



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للغلام



ارحم الراحمين
عليهم يا صابغ

www.ghaemiyeh.com
www.ghaemiyeh.org
www.ghaemiyeh.net
www.ghaemiyeh.ir

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فَاتَّبَعْنَا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَلِكِ الْمُكَتَمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الْمَلِكِ الْمُكَتَمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التَّجْلِيدُ الْعَاشِرُ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (عليه السلام)

كاتب:

محمد تقى شوشترى (تسترى)

نشرت فى الطباعة:

دار بيروت

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
٨	بهج الصباغه فى شرح نهج البلاغه على بن ابى طالب (ع): المجلد ١٠
٨	اشاره
٨	تتمه الفصل الثلاثون: فى بيعته عليه السلام
٨	١٤
١٣	١٥
١٧	الفصل الواحد و الثلاثون: فى الجملى و هم الناكتون
١٧	اشاره
١٩	١
٢٢	٢
٣١	٣
٣٩	٤
٤٨	٥
٥٤	٦
٧١	٧
٧٦	٨
٩٢	٩
١٠٢	١٠
١٥٢	١١
١٧٣	١٢
١٨٠	١٣
١٨٦	١٤
١٨٩	١٥
١٩٧	الفصل الثانى و الثلاثون: فى القاسطين و ما يتعلق بصفين

١٩٧	اشاره
١٩٩	١
٢٠٢	٢
٢٠٩	٣
٢٢٢	٤
٢٢٢	٥
٢٣٩	٦
٢٧٤	٧
٢٨٧	٨
٢٨٩	٩
٢٩٤	١٠
٣١٩	١١
٣٢٣	١٢
٣٣١	الفصل الثالث و الثلاثون: في المارقين
٣٣١	اشاره
٣٣٣	١
٣٤٩	٢
٣٧٥	٣
٣٨٤	٤
٣٩٣	٥
٤١٠	٦
٤٢٤	٧
٤٢٨	٨
٤٣٢	٩
٤٤٩	١٠
٤٤٤	الفصل الرابع و الثلاثون: في ما يتعلق بالغارات

٤٤٤	اشاره
٤٤٤	١
٤٩٩	٢
٥٠٥	٣
٥٣٢	٤
٥٥٣	٥
٥٧١	٦
٥٨٠	٧
٥٨٩	٨
٥٩٩	٩
٦٠٢	١٠
٦١٢	١١
٦٢٤	١٢
٦٣٦	فهرس المطالب
٦٤١	تعريف مركز

سرشناسه: شوشتری، محمدتقی، ۱۳۷۴ - ۱۲۸۲

عنوان و نام پدیدآور: بهج الصباغه في شرح نهج البلاغه [على بن ابي طالب (ع)] / المصنف محمدتقی التستری

مشخصات نشر: دار امير كبير للنشر - بيروت - لبنان - ۱۳۷۶.

وضعیت فهرست نویسی: فهرست نویسی قبلی

عنوان دیگر: نهج البلاغه

موضوع: على بن ابي طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه -- نقد و تفسیر

شناسه افزوده: على بن ابي طالب (ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ ق. نهج البلاغه. شرح

رده بندی کنگره: BP۳۸/۰۲ / ش ۹

رده بندی دیویی: ۲۹۷/۹۵۱۵

شماره کتابشناسی ملی: م ۷۲-۸۰۹

ص: ۱

تمه الفصل الثلاثون: في بيعته عليه السلام

۱۴

الحكمه (۳۲۱)

وَقَالَ ع؟ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ؟ - وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ - لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَ أَرَى فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِئْنِي
أقول: هكذا في (المصريه) (۱) و الصواب: (فاذا عصيتك فأطعني) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (۲) و (الخطيه) و ما يأتي من
سنده.

و في (ابن ميثم) بعد قوله (لعبد الله بن عباس): (رحمه الله) (۳)، و في (ابن أبي الحديد): (رضى الله عنه) (۴)، و في الأول بدل (في
شيء): (بشيء) (۵).

ثم إنّ الأصل فى العنوان: أنّ المغيره أشار عليه عليه السّلام بإبقاء معاويه على

ص: ١

-
- ١-١) نهج البلاغه ٣:٢٣٠. [١]
 - ٢-٢) هكذا فى شرح ابن أبى الحديد ١٩:٢٣٣ و [٢] لكن فى شرح ابن ميثم ٥:٤٠٢ «[٣] فإن» أيضا.
 - ٣-٣) ليست كلمه «رحمه الله» فى شرح ابن ميثم ٥:٤٠٢.
 - ٤-٤) شرح ابن أبى الحديد ١٩:٢٣٣.
 - ٥-٥) فى شرح ابن ميثم ٥:٤٠٢ «[٤] فى شىء» أيضا.

الشام، ثم يعزله إن شاء، حتى يستقر أمر سلطنته، فلم يقبل عليه السلام منه، ثم جاء ابن عباس فصدق رأى المغيرة و أصرّ على قبوله عليه السلام ذلك، فقال عليه السلام له ما قال.

ففى (الطبرى): روى الواقدى عن هشام بن سعد، عن أبى هلال قال: قال ابن عباس: قدمت المدينة من مكّه بعد قتل عثمان بخمسه أيام فجئت عليّاً عليه السّلام أدخل عليه، فقبل لى: عنده المغيرة. فجلست بالباب ساعه فخرج المغيرة فسلم عليّ و قال لى: متى قدمت؟ فقلت: الساعه، ثم دخلت على عليّ عليه السلام فقلت له:

أخبرنى عن شأن المغيرة و لم خلا بك؟ قال: جاءنى بعد مقتل عثمان بيومين فقال لى: اخلنى، ففعلت فقال لى: إنّ النصح رخيص و أنت بقيه الناس و إننى لك ناصح، و إننى اشير عليك برّد عمّال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوك و اطمأنّ الأمر لك عزلت من أحببت و أقررت من أحببت. فقلت له: و الله لا- اداهن فى دينى و لا- اعطى الدنى فى أمرى. فقال: فإن كنت قد أبيت على فانزع من شئت و اترك معاويه فإنّ لمعاويه جرأه، و هو فى أهل الشام يسمع منه، و لك حجّه فى إثباته كان عمر قد ولّاه الشام كلّها. فقلت له: لا و الله لا أستعمل معاويه يومين أبدا. فخرج من عندى على ما أشار به، ثم عاد اليوم فقال لى: إننى أشرت عليك بما أشرت فأبيت عليّ، ثم نظرت فى الأمر فإذا أنت مصيب، لا ينبغي لك أن تأخذ أمرك بخدعه، و لا يكون فى أمرك دلسه.

فقال ابن عباس: فقلت لعليّ عليه السّلام: أمّا أوّل ما أشار به عليك فقد نصحك، و أمّا الآخر فغشك، و أنا اشير عليك بأن تثبت معاويه، فإن بايع لك فعلىّ أن أقلعه من منزله، فقال عليه السلام: لا و الله لا اعطيه إلاّ السيف، ثم تمثل:

ما ميته إن متّها غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقلت: لست بأرب بالحرب، أما سمعت النبىّ صلّى الله عليه و آله يقول: الحرب خدعه؟ فقال: بلى. فقلت له: أمّا و الله لئن أطعنتى لأصدرن بهم بعد ورد، و لأتركنهم

ينظرون في دبر الامور لا- يعرفون ما كان وجهها في غير نقصان عليك و لا- اثم لك. فقال: «يا بن عباس لست من هنياتك و هنيات معاويه في شىء تشير عليّ و ارى فان عصيتك فاطعني» فقلت: أفعل، إن أيسر ما لك عندى الطاعه (١).

و روى خبرا عن ابن عباس في قدومه من مكّه عليه عليه السّلام و عنده المغيره، و أنّه عليه السّلام قال لابن عباس ما أشار عليه المغيره أولا و ثانيا كالأول.

فقال ابن عباس له عليه السّلام: نصحك في الاولى لأنك تعلم أنّ معاويه و أصحابه أهل دنيا، فمتى تثبتهم لا يباليون بمن ولى هذا الأمر، و متى تعزلهم يقولون: قد أخذ هذا الأمر بغير شورى، و هو قتل صاحبنا و يؤلبون عليك، فينتقض عليك أهل الشام و أهل العراق، مع أنّى لا آمن طلحه و الزبير أن يكرّا عليك.

فقال عليه السّلام له: أمّا ما ذكرت من إقرارهم، فو الله ما أشك أنّ ذلك خير في عاجل الدّنيا لإصلاحها، و أمّا الذى يلزمنى من الحقّ و المعرفه بعمّال عثمان، فو الله لا اولى منهم أحدا أبدا، فإن أقبلوا فذلك لهم خير، و إن أدبروا بذلت لهم السيف- إلى أن قال ابن عباس له عليه السّلام: اكتب إلى معاويه فمّنّه وعده. فأبى و قال: و الله لا كان هذا أبدا (٢).

و عبّر بمضمون الخبرين المسعودى في (مروجه) (٣)، و أما تبديل صاحب (الاستيعاب) ابن عباس بالحسن عليه السّلام، و أنّه قال لأبيه: نصحك المغيره في الاولى فغلط منه (٤).

ص: ٣

[١- ١] تاريخ الطبرى ٤: ٤٤٠-٤٤١، سنه ٣٥. [١]

[٢- ٢] تاريخ الطبرى ٤: ٤٣٩-٤٤٠، سنه ٣٥. [٢]

[٣- ٣] مروج الذهب ٢: ٣٦٤-٣٦٥.

[٤- ٤] الاستيعاب بهامش الإصابه ٣: ٣٩٠-٣٩١.

ثمَّ شَتَّانَ بَيْنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَيْنَ صَدِّيقِهِمْ وَفَارُوقِهِمْ، يَشِيرُ الْمَغِيرَةَ عَلَيْهِ نَصْحًا فَلَا يَقْبَلُهُ مِنْهُ، لَكُنْهُ نَصْحًا دُنْيَوِيًّا لَا دِينِيًّا، وَيُرْسَلَانِ إِلَى الْمَغِيرَةَ يَطْلُبَانِ مِنْهُ حَيْلَهُ لِاسْتِيلَانِهِمَا عَلَى الْأَمْرِ، فَيَشِيرُ عَلَيْهِمَا بِاشْتِرَاكِ الْعَبَّاسِ. وَ لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي حَقِيقَتِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَبَطْلَانِ أَمْرِ الرَّجُلَيْنِ إِلَّا هَذَا الْمَوْضِعُ، لَكَفَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ.

وَمِنْ مَحَاجِزَاتِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَعَ الْمَغِيرَةَ وَجَمَعَ آخَرَ فِي مَجْلِسٍ مَعَاوِيَةَ، مَا رَوَاهُ الْمَدَائِنِيُّ: أَنَّ الْمَغِيرَةَ قَالَ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ أَشْرَبَ عَلَيَّ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّصْحِ فَأَثَّرَ رَأْيُهُ وَ مَضَى عَلَيَّ غُلُوَّائِهِ، فَكَانَتْ الْعَاقِبَةُ عَلَيْهِ لَا لَهُ، وَإِنِّي لِأَحْسِبُ أَنَّ خَلْفَهُ يَقْتَدُونَ مِنْهُجَهُ.

فَقَالَ لَهُ بَنُ عَبَّاسٍ: كَانَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَاللَّهِ أَعْلَمُ بِوَجْهِهِ الرَّأْيِ وَ مَعَاقِدِ الْحِزْمِ وَ تَصَارِيفِ الْأُمُورِ، مِنْ أَنْ يَقْبَلَ مَشَاوِرَتَكَ فِي مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ وَ عَنَّفَ عَلَيْهِ، قَالَ سَبْحَانَهُ: «لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ يُؤَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ» (١)، وَ لَقَدْ وَفَّقَكَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى ذِكْرِ مَتِينٍ وَ آيَةٍ مَتْلُوهُ فِي قَوْلِهِ سَبْحَانَهُ: «وَ مَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا» (٢)، وَ هَلْ يَسُوغُ لَهُ أَنْ يَحْكُمَ فِي دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَ فِيءِ الْمُؤْمِنِينَ مِنْ لَيْسَ بِمَأْمُونٍ عِنْدَهُ وَ لَا مَوْثِقٍ بِهِ فِي نَفْسِهِ؟ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ، هُوَ أَعْلَمُ بِفَرْضِ اللَّهِ وَ سُنَّةِ رَسُولِهِ، أَنْ يَبْطِنَ خِلَافَ مَا يَظْهَرُ إِلَّا لِلتَّقِيَةِ وَ لَاتِ حِينَ تَقِيَّتِهِ، مَعَ وَضُوحِ الْحَقِّ وَ ثُبُوتِ الْجَنَانِ وَ كَثْرَةِ الْأَنْصَارِ يَمْضِي كَالسَّيْفِ الْمَصْلُتِ (٣).

ص: ٤

١- ١) المجادلة: ٢٢. [١]

٢- ٢) الكهف: ٥١. [٢]

٣- ٣) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ٢٩٨: ٦-٣٠٣. [٣]

و من خطبه له عليه السلام:

اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ - سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةَ - وَ الْمُصْلِحَةَ غَيْرَ الْمُفْسِدَةَ فِي الدِّينِ وَ الدُّنْيَا - فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا التُّكُوصَ عَنْ نُصَيْرَتِكَ - وَ الْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ - فَأَيُّهَا نَسْتَشْهَدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً - وَ نَسْتَشْهَدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسِيكَتَهُ أَرْضُكَ وَ سَمَاوَاتِكَ - ثُمَّ أَنْتَ بَعْدَهُ الْمُعْنَى عَنْ نَصْرِهِ - وَ الْأَخْذُ لَهُ بِدَنْبِهِ «اللَّهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ»
«قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَ مَنْ اتَّبَعَنِي» (١).

«غير الجائره» تنكيره عليه السلام كلمه (غير) مع كونها صفة (مقالتنا) ك (العادله)، يدلّ على عدم قبولها التعريف و مثله: «غير المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ» (٢)، فهو صفة (الدين) و استعمال المتأخرين لها معرفه غلط.

«و المصلحه غير المفسده في الدين و الدنيا» هكذا في (المصريه) (٣)، و الصواب: (و المصلحه في الدين و الدنيا غير المفسده) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤) و (الخطيه).

مقالته عليه السلام: كانت الدعوه إلى الله تعالى و رسوله و الأخذ بالكتاب و السنّه، و معلوم كونها عادله غير جائره، لا كما فعل الأوّل في قضيه خالد

ص: ٥

١- ١) يوسف: ١٠٨. [١]

٢- ٢) فاتحه الكتاب: ٧.

٣- ٣) نهج البلاغه ٢: ٢١٩. [٢]

٤- ٤) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١: ٦٠ و [٣] لكن في شرح ابن ميثم ٤: ٢٧ «[٤] فالمصلحه غير المفسده في الدين و الدنيا» أيضا.

و تضييعه حدود الله تعالى من القصاص و حدّ الزنا في حقّه و في نظائرها، و لا كما فعل الثاني في تفضيله الأشراف و في نظائره. و واضح كونها مصلحه في الدين و الدّنيا غير مفسده، لا كما فعل الثالث من نصبه من يصلّي بالناس الصبح أربعاً في سكره، و جعله بيت المال نهب أقاربه.

و في (خلفاء ابن قتيبه): في دعوه عدى بن حاتم الطائي قومه إلى نصرته عليه السّلام في الجمل، قال عدى لقومه: أظلكم عليّ عليه السّلام و النّاس معه من المهاجرين و الأنصار، فكونوا أكثرهم عدداً، فإن هذا سبيل للحى فيه الغنى و السرور، و للقتيل فيه الحياه و الرزق.

فصاحت طى: نعم نعم حتّى كاد عدى أن يصمّ من صياحهم (١).

و فيه أيضاً: لَمَّا أَقْبَلَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السّلام على طى، أقبل شيخ قد هرم من الكبر فرفع له من حاجبيه فنظر إلى عليّ عليه السّلام فقال له: أنت ابن أبى طالب؟ قال: نعم، قال:

مرحبا بك و أهلاً قد جعلناك بيننا و بين الله تعالى، و الله لو أتيتنا غير مبايعين لك لنصرك لقرابتك من النّبىّ صلّى الله عليه و آله و أيامك الصالحه، و لئن كان ما يقال فيك من الخبر حقاً ان فى أمرك و أمر قريش لعجبا إذ أخروك و قدّموا غيرك (٢).

«أبى بعد سمعه لها إلاّ النكوص» أى: الرجوع إلى العقب.

«عن نصرتك و الإبطاء» و هو ضد السرعه.

«عن إعزاز دينك» كسعد من عشرتهم و ابن عمر من أجلتهم، و جمع آخر كانوا عثمانيه كحسان بن ثابت و زيد بن ثابت و كعب بن مالك و غيرهم.

و في (الطبرى): قيل لعبد الله بن الحسن كيف أبى هؤلاء يبعته عليه السّلام؟ فقال: أما حسن فكان شاعرا لا يبالي ما يصنع. و أمّا زيد بن ثابت فولّاه عثمان

ص: ٦

١- ١) الإمامه و السياسه ٥٧: ١-٥٨. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه ٥٨: ١. [٢]

الديوان و بيت المال فلما حصر عثمان قال: يا معشر الأنصار كونوا أنصار الله مرتين. فقال له أبو أيوب: ما تنصره إلا أنه أكثر لك من العضدان. و أمّا كعب بن مالك فاستعمله عثمان على صدقه مزينه و ترك ما أخذ منهم له (١).

«فانا نستشهدك عليه بأكبر الشاهدين شهاده» هكذا في (المصريه):

(بأكبر) (٢) و الصواب: (يا أكبر) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٣) و (الخطيه)، و لأن الاستشهاد على الله بأكبر الشاهدين يقتضى أن يكون الأكبر شهاده غيره، مع أنه تعالى أكبر شهاده «قُلْ أَى شَىءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللّهُ» (٤).

«و نستشهد عليه جميع من أسكنته أرضك و سماواتك» أى: الملائكه و الجنّ و الإنس، بأنه سمع و امتنع.

«ثم أنت بعده» هكذا في (المصريه) (٥)، و الصواب: (بعد) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٦) و (الخطيه).

«المغنى عن نصره» «إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللّهُ» (٧).

«و الآخذ له بذنبه» «إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَ لَا تَنْصُرُوهُ شَيْئًا» (٨).

و في (خلفاء ابن قتيبه): قال على عليه السلام في خطبته: و قد فارقكم مصقله بن

ص:٧

١- (١) تاريخ الطبرى ٤:٤٣٠، سنة ٣٥. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ٢:٢١٩. [٢]

٣- (٣) كذا في شرح ابن أبي الحديد ١١:٦٠ و لكن في شرح ابن ميثم ٤:٢٧ «بأكبر» أيضا.

٤- (٤) الأنعام: ١٩. [٣]

٥- (٥) نهج البلاغه ٢:٢١٩. [٤]

٦- (٦) في شرح ابن أبي الحديد ١١:٦٠، و [٥] شرح ابن ميثم ٤:٢٧ «بعده» أيضا.

٧- (٧) التوبه: ٤٠. [٦]

٨- (٨) التوبه: ٣٩. [٧]

هبيره فآثر الدنبا على الآخرة و فارقكم بسر بن أرتاه فأصيح ثقيل الظهر من الدماء،مفتضح البطن من المال،و فارقكم زيد بن عدى بن حاتم فأصيح يسأل الرجعه (١).

هذا و مر فى (١٤) من فصل عثمان قوله عليه السلام: «و إنَّ العامَّة لم تبايعنى لسلطان غالب و لا لعرض حاضر...» (٢).

ص: ٨

١-١) الإمامه و السياسه ١:١١٤. [١]

٢-٢) نهج البلاغه ٣:١٢٢ [٢] الكتاب ٥٤.

الفصل الواحد و الثلاثون: فى الجمل و هم الناكثون

اشاره

ص: ٩

يأتي في (١٠) فصل المارقين أخبار في أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِقِتَالِ النَّكَثِينَ وَ الْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ.

و في (إيضاح الفضل): و رويم عن أبي الفضل، عن زيد بن أبي زياد، عن عبد الله بن الحارث قال: سمعت أم هانئ بنت أبي طالب تقول: لقد علم من جرت عليه المواسي من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ مَلْعُونُونَ عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ قَدْ خَابَ مِنْ افْتَرَى (١).

الحكمه (١٠٧)

و قال عليه السَّلَامُ:

رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ وَ عِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ أَقُولُ: قَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي طَلْحِهِ وَ الزَّبِيرِ فَإِنَّهُمَا كَانَا عَالِمِينَ بَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِّ، وَ أَنَّهُمَا عَلَى الْبَاطِلِ وَ مَعَ ذَلِكَ قَاتَلَاهُ فَقَتَلَهُمَا جَهْلُهُمَا النَّاشِءُ عَنْ حَبِّ الدُّنْيَا

ص: ١١

١-١) الإيضاح: ٨٢-٨٤.

و الحرص على الإيماره و لم يغن علمهما-بكونه عليه السّلام على الحقّ-عنهما شيئاً.

رواه أبو مخنف في (جملة أبو مخنف-الجملة -) و رواه (الإرشاد الشيخ المفيد-الإرشاد-ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧)-و في الأوّل:لما سار الزبير و طلحه من مكّه و معهما عايشه يريدون البصره خطب علىّ عليه السّلام فقال:

أيّها النّاس إنّ عايشه سارت إلى البصره و معها طلحه و الزبير، و كلّ منهما يرى الأمر له دون صاحبه، أمّا طلحه فابن عمّها، و أمّا الزبير فختنها، و الله لو ظفروا بما أرادوا-و لن ينالوا ذلك أبداً-ليضربنّ أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد-و الله إنّ راكبه الجمل ما تقطع عقبه و لا تحلّ عقده إلّا في معصيه الله و سخطه، حتى تورّد نفسها و من معها موارد الهلكه. أي و الله ليقتلن ثلثهم و ليهربن ثلثهم و ليتوبنّ ثلثهم، و إنّها التي تنبّحها كلاب الحوآب، و إنّهما ليعلمان أنّهما مخطئان ، و ربّ عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه .

حسبنا الله و نعم الوكيل، فقد قامت الفئه الباغيه فأين المحتسبون (١)؟ و رواه الثاني مثله لكن فيه بدل قوله:(أما طلحه فابن عمّها، و أمّا الزبير فختنها:«لا- يدعى طلحه الخلفه إلّا أنّه ابن عمّ عايشه و لا يدعيها الزبير إلّا أنّه صهر أبيها» (٢)، و هو جزء الآتي كما يأتي.

و لم يتفطن ابن أبي الحديد و ابن ميثم للمراد، فتوهم الأوّل أنّ المراد بالقتل القتل الظاهري فقال:جرى مثل ذلك لابن المقفّع و فضله مشهور، فقتله المنصور لما كتب كتاب أمان لعّمه عبد الله بن عليّ بأنّه إن غدر بعّمه، فנסأوه طواق و النّاس في حل من بيعته (٣).

و توهم الثاني أنّه عليه السّلام أراد بالعلم علما لا نفع فيه، كعلم السحر

ص:١٢

١- ١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغه ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ١ ص ٢٣٣ ٢٣٣:١. [١]

٢- ٢) الإرشاد ٢٤٦-١:٢٤٧، [٢]بحار الأنوار ١١٢:٣٢-١١٣. [٣]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨:٢٤٩. [٤]

و النيرنجات و علوم صناعيه، و بالجهل الجهل بالشرائع (١)، و كلّ منهما نفخ في غير ضرام.

و من الغريب أنّ الأوّل نقل روايه (جمل أبى مخنف) عند قوله عليه السّلام في الزبير: (يزعم أنّه بايع بيده) (٢) بلا مناسبة و هنا غفل رأساً.

ثمّ إنّّه عليه السّلام و إن قال الكلام في الناكثين، إلّا أنّه يجرى في القاسطين و المارقين و في الثلاثه المتقدمين عليه، و قد عبّر بمعنى الكلام للجميع في الشقشقيه، في قوله عليه السّلام بعد ذكرهم: «كأنّهم لم يسمعوا الله حيث يقول «تلمك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علواً في الأرض و لا فساداً و العاقبه للمتقين» (٣)، بلى و الله لقد سمعوها و لكن حليت الدنيا في أعينهم و راقهم زبرجها» (٤).

و قد قال عليه السّلام قريبا من هذا الكلام في كعب بن سور قاضى البصره، لما مر عليه السلام به قتيلا في أهل الجمل، فروى أبو مخنف في (جمله) عن الأصبغ قال:

لما انهزم أهل البصره ركب على عليه السّلام بغله النبىّ صلى الله عليه و آله الشهباء و كانت باقيه عنده و سار في القتلى يستعرضهم فمر بكعب بن سور قاضى البصره و هو قتيلا، فقال: أجلسوه فأجلس فقال: «ويل أمك كعب بن سور- لقد كان لك علم لو نفعك و لكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار- أرسلوه» (٥).

هذا و عدّ (فهرست الشيخ) في مصنّفات حيدر بن محمّد بن نعيم تلميذ

ص: ١٣

١- ١) شرح ابن ميثم ٢٩٥: ٥.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٣٣: ١ عند شرح الخطبه ٨.

٣- ٣) القصص: ٨٣. [١]

٤- ٤) نهج البلاغه ٣١: ١ الخطبه ٣. [٢]

٥- ٥) نقله عنه ابن أبى الحديد في شرح نهج البلاغه ٢٤٨: ١. [٣]

العياشي، كتاب تنبيه عالم قتله علمه الذي هو معه (١).

و في (عيون القتيبي): كتب كسرى إلى بزرجمهر و هو في الحبس: كان ثمره علمك أن صرت بها أهلا للحبس و القتل. فكتب إليه بزرجمهر: أمّا ما كان مع الجدّ فقد كنت أنتفع بثمره العلم، فالآن إذ لا جد صرت أنتفع بثمره الصبر، مع أنّي إن كنت فقدت كثير الخير فقد استرحت من كثير الشرّ (٢).

و في (الأغاني): كان لإبراهيم بن العباس الصولي الشاعر قينه كان يهواها، فغضبت عليه فقال فيها:

و علمتني كيف الهوى و جهلته و علمكم صبري على ظلمكم ظلمي

و أعلم مالي عندكم فيردني هواي إلى جهل فأقصر عن علمي (٣)

و لبعضهم:

لا تطفئن نور علمك بظلمه الذنوب فتبقى في الظلمه، يوم يسعى أهل العلم بنور علمهم (٤).

٢

الخطبه (١٤٨)

و من كلام له عليه السلام في ذكر أهل البصره:

كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو الْأَمْرَ لَهُ - وَ يَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ - لَا يَمْتَنَانِ إِلَى اللَّهِ بِحَبْلِ - وَ لَا يَمِيدَانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ - كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلٌ ضَبٌّ لِصَاحِبِهِ - وَ عَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ - وَ اللَّهُ لَئِنْ أَصَابُوا الَّذِي يُرِيدُونَ - لَيَسْتَرِعَنَّ هَذَا نَفْسَ هَذَا - وَ لَيَأْتِيَنَّ هَذَا

ص: ١٤

١- (١) الطوسي: الفهرست، ص ٦٤، رقم ٢٤٩ [١] بمنشورات المكتبه المرتضويه، النجف.

٢- (٢) عيون الأخبار ١٢٦: ٢. [٢]

٣- (٣) الأغاني ١٠: ٦٠. [٣]

٤- (٤) عيون الأخبار ١٢٥: ٢. [٤]

عَلَى هَذَا- قَدْ قَامَتِ الْفِتْنَةُ الْبَاغِيَةُ فَأَيُّنَ الْمُحْتَسِبُونَ- فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ السُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ الْخَيْرُ- وَ لِكُلِّ ضَلَّهِ عِلَّةٌ وَ لِكُلِّ نَاكِثٍ شُبُهَةٌ- وَ
اللَّهُ لَا أَكُونُ كَمُسِّمِ اللَّدْمِ- يَسْمَعُ النَّاعِي وَ يَحْضُرُ الْبَاكِي ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ أَقُولُ: قد عرفت في سابقه أن الأصل فيهما واحد رواهما
أبو مخنف ١ أبو مخنف- الجمل- ١ او المفيد الشيخ المفيد- الإرشاد- ج ١ ص ٢٤٦ و ٢٤٧، و غفل ابن أبي الحديد هنا كما غفل
ثمه، و إنما نقل روايه أبي مخنف عند قوله عليه السلام: (يزعم أنه بايع بيده) ٣، و هي: أيها الناس إن عايشه سارت إلى البصره معها
طلحه و الزبير و كل منهما يرى الأمر له دون صاحبه.

أما طلحه فابن عمها، و أما الزبير فختنها و الله لو ظفروا بما أرادوا -و لن ينالوا ذلك أبدا- ليضربن أحدهما عتق صاحبه بعد تنازع
منهما شديد، و الله إن رآكه الجمل الأحمر ما تقطع عقبه و لا تحل عقده إلا في معصيه الله و سخطه، حتى توردها و من
معها موارد الهلكه، أي و الله ليقتلن ثلثهم و ليهربن ثلثهم و ليتوبن ثلثهم، و إنها التي تنبها كلاب الحوآب، و إنهما ليعلمان أنهما
مخطئان، و رب عالم قتله جهله و معه علمه لا ينفعه، حسبنا الله و نعم الوكيل، فقد قامت الفتنة، فيها الفتنه الباغية، أين المحتسبون
أين المؤمنون، مالى و لقريش أما و الله لقد قتلتم كافرين و لأقتلنهم مفتونين، و ما لنا إلى عايشه من ذنب إلا أنا أدخلناها في
حيزنا، و الله لأبقرن الباطل حتى يظهر الحق من خاصرته، فقل لقريش فلتضح ضجيجها ٤.

و مثله (الإرشاد) مع اختلاف يسير (١).

قول المصنف «و من كلام له عليه السّلام» هكذا في (المصريه) (٢) و مثله في (ابن ميثم) (٣) و لكن في (ابن أبي الحديد) (٤) و (الخطيه): «و من خطبه له عليه السّلام» .

«في ذكر أهل البصره» كان عليه أن يقول (في طلحه و الزبير لَمَّا سارا إلى البصره) فَإِنَّ المنصرف من أهل البصره أهلها الأصليون و ليس الكلام فيهم بل فيهما.

قوله عليه السّلام «كَلَّ واحد منهما يرجو الأمر له و يعطفه عليه دون صاحبه» في (الطبرى): أذن مروان حين فصل من مكّه، ثم جاء حتى وقف على طلحه و الزبير فقال: أَيُّكُمَا أسلّم عليه بالامر و اوزنه بالصلاه، فقال عبد الله بن الزبير على أبي عبد الله، و قال محمّد بن طلحه على أبي محمّد، فأرسلت عايشه إلى مروان: مالك تريد أن تفرّق أمرنا ليصلّ ابن اختي، فكان يصلّي بهم ابن الزبير حتّى قدموا البصره، فكان معاذ بن عبيد الله يقول: و الله لو ظفرنا لافتتنا ما خلى الزبير بين طلحه و الأمر و لا خلى طلحه بين الزبير و الأمر (٥).

و في (المروج): تشاخّ طلحه و الزبير في الصلاه بالناس في البصره، ثم اتّفقوا على أن يصلّي ابن الزبير يوما و ابن طلحه يوما في خطب طويل كان بين طلحه و الزبير، و جذب صاحبه حتّى فات وقت الصلاه، و صاح النَّاس:

الصلاه الصلاه يا أصحاب محمّد (٦).

ص: ١٤

١- ١ (الإرشاد ١: ٢٤٦-٢٤٧). [١]

٢- ٢ (نهج البلاغه ٢: ٤٤). [٢]

٣- ٣ (شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥). [٣]

٤- ٤ (في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩) [٢] من كلام له عليه السّلام» أيضا.

٥- ٥ (تاريخ الطبرى ٤: ٤٥٤-٤٥٥، سنة ٣٦). [٣]

٦- ٦ (مروج الذهب ٢: ٣٦٧). [٤]

و فى (جمل أبى مخنف): لَمَّا صفت البصره لطلحه و الزبير بعد قتل حكيم بن جبلة و أصحابه، و طرد عثمان بن حنيف عنها، اختلفا فى الصلاه و أراد كل منهما أن يؤمَّ بالناس و خاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليما و رضى بتقدمه، فأصلحت عايشه بينهما (١).

و فى (جمل المفيد) نقلا عن ابن دأب و أبى مخنف و الواقدى و المدائنى:

أنَّ طلحه و الزبير لَمَّا ظفرا فى البصره بعثمان بن حنيف و حكيم بن جبلة، نزلا دار الإمارة فقدمت عايشه و حملت مالا من بيت المال لتفرقه على أنصارها، فدخل عليها طلحه و الزبير فى طائفه معهما و احتملا منه شيئا كثيرا، فلمَّا خرجا نصبا على أبوابه الأقفال و وكلا به من قبلهما قوما، فأمرت عايشه بختمه فبدر طلحه ليختمه فمنعه الزبير، و أراد الزبير أن يختمه فتدافعا، فبلغ ذلك عايشه فقالت: يختمها عني ابن اختى عبد الله فنختم يومئذ بثلاثه ختوم (٢).

«لا يمتان» أى: لا يتوسلان.

«إلى الله بحبل و لا يمدان إليه بسبب» أى: توصل.

فى (الطبرى) عن عوف الأعرابى قال: جاء رجل إلى طلحه و الزبير و هما فى المسجد بالبصره فقال: نشدتكما بالله فى مسيركما أعهد النبى صلى الله عليه و آله إليكما فيه شيئا؟ فقام طلحه و لم يجبه، فنأشد الزبير فقال: لا، و لكن بلغنا أن عندكم دراهم فجئنا نشارككم فيها (٣).

و عن الزهرى: أنَّ طلحه و الزبير قاما خطيبين فقالا: يا أهل البصره توبه بحوبه إثمنا أردنا أن نستعتب عثمان و لم نرد قتله، فغلب سفهاء الناس الحلماء

ص: ١٧

١- ١) قريب منه ما فى الجمل للمفيد: ٢٨١-٢٨٢، تاريخ يعقوبى ٢: ١٨١، [١] تاريخ الطبرى ٤: ٤٦٨، سنة ٣٦. [٢]

٢- ٢) الجمل للمفيد: ٢٨٤. [٣]

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٤: ٤٧٥، سنة ٣٦. [٤]

حتى قتلوه. فقال الناس لطلحه: قد كانت كتبك تأتينا بغير هذا. فقال لهم الزبير:

فهل جاءكم مني كتاب في شأنه؟ ثم ذكر قتل عثمان و ما أتى إليه و أظهر عيب علي عليه السلام، فقام إليه رجل من عبد القيس فقال: أيها الرجل انصت حتى نتكلم، فقال له ابن الزبير: مالك و للكلام. فقال الرجل: يا معشر المهاجرين أنتم أول من أجاب النبي صلى الله عليه و آله فكان لكم بذلك فضل، ثم دخل الناس في الإسلام كما دخلتم، فلما توفي النبي صلى الله عليه و آله بايعتم رجلا منكم و الله ما استأمرتمونا في شيء من ذلك فرضينا، ثم أنكرتم من عثمان فقتلتموه عن غير مشوره منا، ثم بايعتم علينا عن غير مشوره، فما الذي نقتم عليه فنقاتله، هل استأثر بفيء، أو عمل بغير الحق، أو عمل شيئا تنكرونه فنكون معكم عليه؟ و إلا فما هذا- فهتموا بقتل ذلك الرجل، فقام من دونه عشيرته- فلما كان الغد و ثبوا عليه و على من كان معه فقتلوا سبعين رجلا (١).

«كل واحد منهم حامل ضب» في (الأساس): (في قلبه ضب) أي: غل داخل كالضب الممعن في جحره.

قال سابق البربري:

و لا تك ذا وجهين يبدى بشاشه و في صدره ضب من الغل كما من (٢)

«لصاحبه و عما قليل يكشف قناعه به» أي: عنه، و أهل الدنيا كلهم كذلك، و اصطلاحهم في الظاهر إنما هو من حيث أن الدنيا محبوبه جميعهم، في قبال مبغضها. و أمّا هم في أنفسهم و تراحمهم عليها فيتهاشون كل مع الآخر حال الكلاب و الجيفه .

«و الله لئن أصابوا الذي يريدون» أي: من نيل الإمارة، و قد عرفت من روايه

ص: ١٨

١- ١) تاريخ الطبري ٤: ٤٦٩-٤٧٠، سنة ٣٦. [١]

٢- ٢) أساس البلاغه: ٢٦٥، [٢] مادته: (ضب).

أبي مخنف أنه عليه السلام أخبر بعدم نيلهما ذلك، كما أخبر عليه السلام بقتل ثلث أهل الجمل و هرب ثلثهم و توبه ثلثهم.

«لينزع هذا نفس هذا و ليأتين هذا على نفس هذا» قد عرفت أنّ روايه أبي مخنف بدله بقوله: (ليضربن أحدهما عنق صاحبه بعد تنازع منهما شديد).

و كذلك أهل الدّنيا في كل عصر، فانتزع عبد الملك بن مروان لما نال الأمر نفس عمرو بن سعيد الأشدق و ذبحه بيده، و انتزع منصور الدوانيقى نفس أبي مسلم الخراساني، و قتل المأمون الأمين. قال هارون لرجل: ما عندك في ما كان من العهد الذي عهدت إلى ولاة العهد؟ فاستعفاه فلم يعفه. فقال:

رأيتك قد أخذت ثلاثة أسياف مشحوده فجعلتها في غمد واحد.

و روى (أمالى الشيخ) عن الصادق عليه السلام: أنّ إيتلاف قلوب الأبرار إذا التقوا و إن لم يظهروا التودّد بألستهم كسرعه اختلاط قطر السماء على مياه الأنهار، و إنّ بعد إيتلاف قلوب الفجّار إذا التقوا و إن أظهروا التودّد بألستهم، كبعد البهائم من التعاطف و إن طال اعتلافها على مذود واحد (١).

«قد قامت الفئه الباغيه» التي أخبر بها النبي صلى الله عليه و آله .

«فأين المحتسبون» في جهادهم .

«فقد» هكذا في (المصريه) (٢)، و لكن في (ابن ميثم) (٣): (و قد) و في (ابن أبي الحديد) (٤) و (الخطيه): (قد).

«سنت لهم السنن» في حرب الناكثين .

«و قدم لهم الخبر» في (الطبرى) عن أبي عمره مولى الزبير قال: لما

ص: ١٩

١- ١) الأمالى للشيخ الطوسى رحمه الله ٢: ٢٥-٢٦، [١] بحار الأنوار ٧٤: ٢٨١. [٢]

٢- ٢) نهج البلاغه ٢: ٤٤. [٣]

٣- ٣) في شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥ «فقد» أيضا.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩. [٤]

بايعهما أهل البصره قال الزبير: ألا ألف فارس أسير بهم إلى علي، فأما بيته و أما صبيحته لعلي أقتله قبل أن يصل إلينا. فلم يجبه أحد فقال: إن هذه لهي الفتنة التي كنا نحدث عنها، فقال له مولاه: أ تسميها فتنة و تقاتل فيها؟ قال:

ويحك إنا نبصر و لا نصبر (١).

و في (جمل المفيد): روى عبد الله بن رباح مولى الأنصار عن عبد الله بن زياد مولى عثمان قال: خرج عمّار يوم الجمل إلينا فقال: يا هؤلاء علي أي شيء تقاتلوننا؟ فقلنا: على أن عثمان قتل مؤمنا، فقال: نحن نقاتلكم على أنه قتل كافرا. و قال: و الله لو ضربتمونا حتى نبلغ سعفات هجر، إنا على الحق و إنكم على الباطل. و قال: ما نزل تأويل هذه الآية «يا أيها الذين آمنوا من يزد منكم عن دينه فسوف يأتي الله بقوم يحبهم و يحبونهم» إلا اليوم (٢).

«و لكل ضلّله و لكل ناكث شبهه» يعني و أما طلحه و الزبير فلا عله لصلّتهم بقتالهم معه عليه السلام، و لا شبهه لهما في نكث بيعته عليه السلام، فعله صلّتهم كانت طلب دم عثمان و هم كانوا قاتليه، و قد عرفت أن الرجل العبدى قال لطلحه: جاءت كتبك بقتل عثمان، و سبب نكثهم كان عدم توليتهم الولايات، و ليس هو شبهه و إنما تكون شبهه لو كان أمكنهم ادعاء وقوع خلاف شرع منه عليه السلام.

و روى (أمالي المفيد): عن أبي عثمان مؤذن بنى افضى أنه سمع عليا عليه السلام حين خرج طلحه و الزبير لقتاله تلا هذه الآية «و إن نكثوا أيمانهم من بعد عهدهم و طعنوا في دينكم فقاتلوا أئمة الكفر إنهم لا أيمان»

ص: ٢٠

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٧٥-٤٧٦، سنة ٣٦. [١]

٢- (٢) الجمل للمفيد: ٣٦٦، و [٢] الآية ٥٤ من سورة المائدة. [٣]

«لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (١).

«و الله لا أكون كمستمع اللدم» فى (الصحيح) لدمت المرأه وجهها أى:

ضربته، و التدام النساء: ضربهن صدورهن فى النياحه (٢).

«يسمع الناعى» و هو الذى يأتى بخبر الميت.

«و يحضر الباكى» و المراد أنى لا اساهل فى أمر طلحه و الزبير، اخليهما و إفساد البلاد.

و قال الشاعر:

و لست كمن يرضى بما غيره الرضا و يمسح رأس الذئب و الذئب آكله

و قال ابن أبى الحديد فى معنى قوله عليه السلام: (و الله) -إلى- مستمع اللدم:

كتايه عن الضبع تسمع وقع الحجر بباب حجرها من يد الصائد، فتنخذل و تكف جوارحها إليها حتى يدخل عليها فيربطها، يعنى لا أكون مقراً بالضيم أسمع الناعى المخبر عن قتل عسكر الجمل، حكيم بن جبله و أتباعه، فلا يكون عندى من التغير و الإنكار لذلك، إلا أن أسمع و أحضر الباكين على قتلاهم (٣).

و تبعه الخوئى (٤).

و قال ابن ميثم: أقسم عليه السلام أنه لا يكون معهم كمن يسمع الضرب و البكاء، الذى هو مظنه الخطر، ثم لا يصدق حتى يجىء لمشاهده الحال و يحضر الباكى، و قد كان الأولى أن يكتفى بذلك السماع و يأخذ فى الاستعداد للعدو و الهرب منه (٥).

ص: ٢١

١- (١) الأمالى للمفيد رحمه الله: ٧٣، و الآيه ١٢ من سوره التوبه. [١]

٢- (٢) الصحيح ٢٠٢٨: ٥-٢٠٢٩، [٢] ماده: (لدم).

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠٩: ٩-١١٠. [٣]

٤- (٤) منهاج البراعه ١٠٩: ٩.

٥- (٥) شرح ابن ميثم ٢٠٧: ٣.

قلت: و هما كما ترى، أما قول ابن أبي الحديد: فلم يقل أحد ان مستمع اللدم كناية عن الضيع، و إنما قالوا: إن الضيع تسمع اللدم، أي: الصوت فتخرج فتصاّد.

ففى (الصحيح) قال الأصمعى: اللدم صوت الحجر، أو الشىء يقع بالأرض و ليس بالصوت الشديد.

و فى الحديث: و الله لا أكون مثل الضيع تسمع اللدم حتى تخرج فتصاّد... (١)، و أين هو ممّا قال و إنّما اللدم هنا ضرب المرأه و وجهها و صدرها فى النياحه كما مر، و يشهد له قوله: «يسمع الناعى و يحضر الباكى». و أى ربط لسمع الناعى و حضور الباكى بالضيع؟! كما أنّ تفسيره (يسمع الناعى) بسماعه خبر قتل عسكر الجمل حكيّم بن جبله (٢) من أين قاله؟ مع أنّ الأصل فى (الخطيه) كما عرفت من روايه أبى مخنف و المفيد كان عند شخوص أصحاب الجمل من مكه قبل وصولهم إلى البصره، و قتلهم لحكيّم كان بعد وصولهم إلى البصره، اللهم إلا أن يقال إنّ قوله عليه السّلام «و الله...» لم يكن من الروايتين، و إنّما أخذه الرضى من موضع آخر، حيث إنّ دأبه الجمع بين مختلفات موضوع من مواضع، و لعلّه لذا قال فى عنوانه: «فى ذكر أهل البصره».

و أيضا قوله: «يسمع الناعى و يحضر الباكى» على سياق واحد، فكيف فسّرهما بما قال من إنّه يسمع الناعى بقتل أصحابه، فلا يكون عنده إنكار إلا أن يحضر الباكى (٣).

ص: ٢٢

١- ١) الصحيح ٢٠٢٨: ٥، [١] ماده: (لدم).

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١١٠: ٩. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٠٩: ٩-١١٠، و النقل بتصرّف.

و أما ما ذكره ابن ميثم: فاللفظ أيضا قاصر عن إفادته مع أنه غير السياق أيضا.

«ثم لا يعتبر» هكذا في (المصريه) (١)، وليس هذا الكلام في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٢) رأسا، و الظاهر أنه كان حاشيه اخذت من قول ابن أبي الحديد في ما مرّ في تفسيره ما قبله: «فلا يكون عندي من التغير...» و خلطت بالمتن.

٣

الخطبه (٦)

و من كلام له عليه السلام لما اشير عليه بالألا يتبع طلحه و الزبير و لا يرصد لهما القتال:

وَ اللَّهُ لَا أَكُونُ كَالضَّبْعِ تَنَامَ عَلَى طُولِ الدَّمِّ - حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَائِلُهَا وَ يَخْتَلِهَا رَاصِدُهَا - وَ لَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرِ عَنْهُ - وَ بِالسَّمْعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيِ الْمُرِيبِ أَبَدًا - حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي قَوْلِ المَصْنَفِ : «لَمَّا اشير عليه عليه السلام بالألا يتبع طلحه و الزبير و لا- يرصد لهما القتال» اختلف في المشير عليه بذلك، فروت العامه كونه ابنه الحسن عليه السلام، و روت الخاصه كونه اسامه.

أما الأوّل، فقال ابن أبي الحديد: خرج طارق بن شهاب الأحمسي يستقبل عليّا عليه السلام و قد صار بالربذه طالبا عايشه و أصحابها. قال طارق فقلت في نفسي: أ فأقاتل أم المؤمنين و حوارى النبي صلى الله عليه و آله إن هذا لعظيم؟! ثم قلت:

أدع عليّا عليه السلام و هو أوّل المؤمنين إيمانا بالله و ابن عمّ النبي صلى الله عليه و آله و وصيه هذا

ص: ٢٣

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٤٤. [١]

٢- ٢) كذا في شرح ابن ميثم ٣: ٢٠٥ و لكن في شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٠٩ «ثم لا يعتبر» أيضا.

عظيم! ثم أتيتَه فسَلَّمَت عليه، ثم جلست إليه، فقص عليَّ قصَّيه القوم و قصَّيته، فجاء الحسن ابنه فبكى بين يديه. قال: ما بالك؟ قال: أبكى لقتلك غدا بمضيعة ولا ناصر لك، أمّا إنِّي أمرتك فعصيتني، ثم أمرتك فعصيتني. فقال له عليُّ عليه السَّلام: لا تزال تحنّ حنين الأمه، ما الذى أمرتني به فعصيتك؟ قال: أمرتك حين أحاط النَّاس بعثمان أن تعتزل، فإنَّ النَّاس إذا قتلوه طلبوك أينما كنت حتّى يبابعوك فلم تفعل، ثم أمرتك لما قتل عثمان ألا توافقهم على البيعه حتّى يجتمع النَّاس و يأتيتك و فود العرب فلم تفعل، ثم خالفك هؤلاء القوم فأمرتك ألا تخرج من المدينة و أن تدعهم و شأنهم، فإن اجتمعت عليك الامه فذاك و إلا رضيت بقضائه.

فقال عليُّ عليه السَّلام: و الله لا أكون كالضبع تنام على اللدم حتى يدخل إليها طالبا فيعلق الحبل برجلها و يقول لها دباب دباب حتى يقطع عرقوبها- الى آخر الفصل - (١).

و كان طارق يبكى إذا ذكر هذا الحديث. و نسب إلى (أمالى المفيد) روايته عن طارق الخبير و لكن لم أتحققه (٢).

و رواه سيف كما فى (الطبرى) عن طارق مثله، لكن فيه فقال عليُّ: أى بنى أما قولك لو خرجت من المدينة حين احيط بعثمان، فو الله لقد احيط بنا كما احيط به، و أما قولك لا تباع حتّى يأتى بيعة الأمصار، فإن الأمر أمر أهل المدينة و كرهنا أن يضيع هذا الأمر، و أمّا قولك حين خرج طلحه و الزبير فإن ذلك كان وهنا على أهل الإسلام، و و الله ما زلت مقهورا مذ و ليت منقوصا لا أصل إلى شىء ممّا ينبغى، و أما قولك اجلس فى بيتك، فكيف لى بما قد لزمنى،

ص: ٢٤

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٢٦-٢٢٧. [١]

٢- ٢) ما وجدت هذا الحديث فى الأمالى.

أو من تريدني؟ أ تريد أن أكون مثل الضيع التي يحاط بها و يقال دباب دباب ليست هاهنا حتى يحلّ عرقوباها ثم تخرج. و إذا لم أنظر فيما لزمني من هذا الأمر و يعينني فمن ينظر فيه (١)؟ و روى الطبري عن العرنى صاحب جمل عايشه-بعد بيعه الجمل من أصحاب عايشه و سيره معهم إلى الحوآب و نبح كلابها عليها، و قولها: ردوني أنا و الله صاحبه كلاب الحوآب. ثم انصرافه عنهم و مجيئه معه عليه السلام إلى ذى قار-قال فقال عليه السلام: قد رأيتم ما صنع هؤلاء القوم و هذه المرأة، فقام إليه الحسن فبكى، فقال له عليّ: قد جئت تحن حنين الجارية. فقال: أجل أمرتك فعصيتني، فأنت اليوم تقتل بمضيعة لا ناصر لك. قال: حدّث القوم بما أمرتني به. قال: أمرتك حين سار الناس إلى عثمان ألا تبسط يدك ببيعه حتى تجول جائله العرب فإنهم لن يقطعوا أمرا دونك فأبيت عليّ، و أمرتك-حين سارت هذه المرأة و صنع هؤلاء القوم ما صنعوا-أن تلزم المدينة و ترسل إلى من استجاب لك من شيعتك. قال عليّ: صدق و الله، و لكن و الله يا بني ما كنت لأكون كالضيع و تستمع للدم، إن النبي صلى الله عليه و آله قبض و ما أرى أحدا أحقّ بهذا الأمر مني، فبايع الناس أبا بكر فبايعت كما بايعوا، ثم إنّه هلك و ما أرى أحدا أحقّ بهذا الأمر مني فبايع الناس عمر فبايعت كما بايعوا، ثم إن عمر هلك و ما أرى أحدا أحقّ بهذا الأمر مني، فجعلني سهما من سته أسهم، فبايع الناس عثمان فبايعت كما بايعوا، ثم سار الناس إلى عثمان فقتلوه ثم أتوني فبايعوني طائعين غير مكرهين، فأنا مقاتل من خالفني بمن اتبعني حتى يحكم الله بيني و بينهم (٢).

ص: ٢٥

[١- ١] تاريخ الطبري ٤:٤٥٥-٤:٤٥٦، سنة ٣٦. [١]

[٢- ٢] تاريخ الطبري ٤:٤٥٦-٤:٤٥٨، سنة ٣٦. [٢]

و أما الثاني: فروى المفيد في (جملة): أنه لما جاء كتاب إلى أمير المؤمنين عليه السلام يخبره بخبر طلحة و الزبير و عايشه، دعا عليه السلام ابن عباس و محمد بن أبي بكر و عمارا و سهل بن حنيف، و أخبرهم بما عليه القوم من المسير، فقال محمد بن أبي بكر: ما يريدون؟ فتبسّم عليه السلام و قال: يطلبون بدم عثمان. فقال محمد: و الله ما قتله غيرهم.

ثم قال عليه السلام: أشيروا عليّ بما أسمع منكم القول فيه. فقال عمار: الرأي أن نسير إلى الكوفة فإن أهلها لنا شيعة و قد انطلق هؤلاء القوم إلى البصرة. و قال ابن عباس: الرأي عندي أن تقدم رجالا إلى الكوفة فيبايعوا لك- إلى أن قال:-

فبيناهم في ذلك إذ دخل اسامه بن زيد و قال له عليه السلام: فداك أبي و امي لا- تسر، و خلف على المدينة رجلا، و أقم بمالك، فإنّ العرب لهم جوله ثم يصيرون إليك.

فقال ابن عباس: يا اسامه إنّ هذا القول منك، إن كان على غير دغل في صدرك، فقد أخطأت وجه الرأي، فبه نكون و الله كهيبته الضبع في مغارتها.

فقال له اسامه: فما الرأي؟ قال: ما أشرت به و ما رأى أمير المؤمنين لنفسه. ثم نادى عليه السلام في الناس: تجهزوا (١).

و الصواب هذا الذي يشهد له الاعتبار، و أمّا خيرا طارق و العرفى فخلاف العقل، فمع قطع النظر عن كون الحسن عليه السلام معصوما لا- يعترض على المعصوم، إتباع طلحة و الزبير و عدمه لم يكن أمرا مشتبها مختلف الظاهر و الباطن حتّى يشتهه على الحسن عليه السلام، فمع إتباعه عليه السلام لهما أفسدا تلك الإفسادات العظيمة، فكيف كان لو خلاهما.

و كذلك قبوله عليه السلام بيعه الناس، و أى معنى لقوله للعرب جوله، فالعرب أين كانوا يوم السقيفة و يوم الدار؟ و كيف يعبر الحسن عليه السلام مع أبيه بقوله:

ص: ٢٤

«أمرتك فعصيتني» ألم يدر يقول: «أشرت عليك فما قبلت رأيي»؟ والخبر الأوّل و إن كان دخيلا كالثاني، إلا أنّ سيفا زاد في غشه- كما هو دأبه- إشارته على أبيه بخروجه من المدينة حين احيط بعثمان، و أنّ أباه قال له: لقد احيط بنا كما احيط بعثمان، فإنّه كذب محض و افتراء واضح.

و لقد أغرب (خلفاء ابن قتيبه) و أتى بالمضحك من الكذب، و الطبرى و إن كان ينقل الروايات المتضاده هو يفتى بالمتناقض و المتضاد.

فقال: لمّا أتى كتاب معاويه ليس بينى و بين قيس عتاب غير طعن الكلى و ضرب الرقاب إلى على دخل عليه ابنه الحسن فقال له: قد كنت أمرتك فعصيتني. فقال له على: و ما أمرتني به فعصيتك؟ قال: أمرتك يوم عثمان أن تركب رواحلك فتلحق بمكه فلا تتهم به، و أمرتك حين دعيت إلى البيعه ألاّ تبسط يدك إلاّ على بيعه جماعة فعصيتني، و أمرتك حين خالف عليك طلحه و الزبير ألاّ تكرههما على البيعه و تخلى بينهما و بين وجههما و تدع الناس يتشاورون عاما كاملا، فو الله لو تشاوروا عاما ما زويت عنك، و لا وجدوا منك بدا، و أنا أمرك اليوم أن تقيلهما بيعتهما و تردّ إلى الناس أمرهم، فإن رفضوك رفضتهم و إن قبلوك قبلتهم، فإنّي قد رأيت الغدر فى رؤوسهم، و الكراهيه فى وجوههم. فقال له على: أنا إذن مثلك يا بنى، و لكن اقاتل من عصانى بمن أطاعنى، و ايم الله ما زلت مبيعا على منذ هلك جدك.

فقال له الحسن: يا أبه ليظهن عليك معاويه، لأنّه من قتل مظلوما فقد جعلنا لولّيه سلطانا.

فقال على: يا بنى و ما علينا، ما ظلمناه و لا أمرنا و لا نصرنا عليه، و لا كتبت فيه إلى أحد سوادا فى بياض، و إنك لتعلم إنّ أباك أبرأ الناس من دمه.

فقال له الحسن: دع عنك هذا، أنّى لا أظن، بل لا أشك أنّ ما فى المدينة

عاتق و لا- عذراء و لا- صبى إلا- و عليه كفل من دمه. فقال: يا بنى إنك لتعلم أن أباك قد ردّ عنه الناس مرارا، و قد أرسلتكما جميعا بسيفيكما لتنصراه و تموتا دونه، فنهاكما عن القتال و نهى أهل الدار أجمعين، و لو أمرنى بالقتال لقاتلت دونه أو أموت بين يديه. قال الحسن: دع عنك هذا حتى يحكم الله بين عباده.

فهل أراد المخذول أن يصنع قصه و يجعل معاويه الحسن، و لقد أراد المفترى أن يجعل قتل عثمان ظلما، فأخزاه الله حتى جعل أمير المؤمنين عليه السلام و جميع أهل المدينة صغيروهم و كبيرهم ذكرهم و انتاهم داخلين فى دمه، فإن كان الأمر كما ذكر فهذا إجماع لا إجماع فوقه، و لن تجمع أمه النبى صلى الله عليه و آله على ضلال.

و بالجمله، الأصل فى العنوان أحد تلك الأخبار، لكن عرفت أن الصحيح منها خبر (جمل المفيد) و المفهوم منه كون العنوان و إن لفظه أخصر لابن عباس لاله عليه السلام فإن كان المصنّف وقف على مستند آخر فلعل.

«و الله لا اكون كالضبع» سبع معروف، و قال الجوهري فى قول الشاعر:

فإن قومي لم تأكلهم الضبع المراد بالضبع فيه: السنه المجدبه (١)، لكن إرادته السبع المعروف الذى يأكل الجيف و أشلاء القتلى و الموتى غير بعيدة.

و المشهور أن الضبع الانثى و الذكر ضبعان (٢). و عن ابن الانبارى يطلق على الذكر و الانثى.

و فى كتاب الديميرى: و من أسماء الضبع جيل و جعار و جفصه، و من كناها ام خنور و ام طريق و ام عامر و ام القبور و ام نوفل، و الذكر أبو عامر

ص: ٢٨

١- ١) الصحاح ١٢٤٨: ٣، [١] ماده: (ضبع).

٢- ٢) المصدر نفسه.

و أبو كلده و أبو الهنبر (١).

و من عجيب أمرها أنها كالأرنب، تكون سنه ذكرا و سنه انثى، فتلقح فى حال الذكور و تلد فى حال الانوثة! نقله الجاحظ (٢).

«تنام على طول اللدم» قال الجوهريّ: قال الأصمعيّ: اللدم: صوت الحجر أو الشيء يقع بالأرض، و ليس بالصوت الشديد (٣).

و قال ابن دريد: اللدم: ضربك الحجر بحجر أو غيره، و كل ضرب لدم، و النساء يلتدمن فى المأتم. و فى حديث عليّ رضى الله عنه: «لا أكون كالضبع تسمع اللدم» (٤).

«حتى يصل إليها طالبها و يختلها» أى: يخدعها.

«راصدها» قال ابن أبي الحديد: قال أبو عبيده: يأتى الصائد فيضرب بعقبه الأرض عند باب مغارها ضربا خفيفا، و ذلك هو اللدم، و يقول: «خامرى ام عامر» -مرارا- بصوت ليس بشديد فينام على ذلك (٥).

و قال: تزعم العرب أنّ الصائد يدخل عليها و جارها فيقول لها: اطرقى أم طريق، خامرى ام عامر. فتلجأ إلى أقصى مغارها و تنقبض. فيقول: ام عامر ليست فى و جارها، ام عامر نائمة. فتمد يديها و رجليها و تستلقى، فيدخل عليها فيوثقها و يقول لها: أبشرى ام عامر بكرم الرجال، أبشرى ام عامر بشاه هزلى و جراد عظلى، فيشدّ عراقبها و لا تتحرك، و لو شاءت أن تقتله لأمكنها.

قال الكميت:

ص: ٢٩

١- (١) الدميري: حياه الحيوان ١:٦٤١ [١] منشورات الحلبي، مصر.

٢- (٢) كتاب الحيوان ٧:١٦٨.

٣- (٣) الصحاح ٥:٢٠٢٨، [٢] مادة: (لدم).

٤- (٤) الجمهره ٢:٦٨١. [٣]

٥- (٥) شرح ابن أبي الحديد ١:٢٢٥. [٤]

فعل المقرّه للمقاله خامرى يا امّ عامر

و قال الشنفرى:

لا تقبرونى إنّ قبرى محرم عليكم و لكن خامرى امّ عامر (١)

و فى كتاب الدميرى: إنّ الصياد إذا أراد أن يصيدها رمى فى جحرها بحجر فتحسبه شيئاً تصيده، فتخرج لتأخذه فتصاد. و يقال لها و هى فى جحرها: اطرقى ام طريق خامرى أم عامر أبشرى بجراد عظمى و شاه هزلى.

فلا يزال يقال لها ذلك حتى يدخل عليها الصائد فيربط يديها و رجليها ثم يجرها.

قال: و الجاحظ يرى هذا من خرافات العرب (٢).

و فى روايه سيف المتقدمه: مثل الضبع التى يحاط بها و يقال: «دباب دباب ليست هاهنا، حتى يحل عرقوبها ثم تخرج». و مثل ذلك مثلهم: «اطرق كرا إنّ النعام فى القرى». أو «اطرق كرا يحلب لك». أو «اطرق كرا إنّك لن ترى».

و قال الخليل - كما فى (أمثال الميدانى): الكرا: الذكر من الكروان، يصيدونه بهذه الكلمه، فإذا سمعها تلبد بالأرض، فيلقى عليه ثوب فيصاد.

و هو معنى: «انّ النعام بالقرى» أى: يأتىك فيدوسك بأخفافها (٣).

«و لكنى اضرب بالمقبل إلى الحقّ المدبر عنه» هكذا فى (المصريه) (٤) و مثلها (ابن أبى الحديد) (٥)، و لكن فى (ابن ميثم): «وجه المدبر عنه» (٦). و لا يبعد

ص: ٣٠

١-١ شرح ابن أبى الحديد ١:٢٢٤. [١]

٢-٢ الدميرى حياه الحيوان ١:٦٤٣ منشورات الحلبي، مصر.

٣-٣ مجمع الأمثال ٢:٢٨٥ تحت الرقم ٢٢٧٢.

٤-٤ نهج البلاغه ١:٣٧. [٢]

٥-٥ شرح ابن أبى الحديد ١:٢٢٣. [٣]

٦-٦ فى شرح ابن ميثم المطبوع ١:٢٨٠ «الحقّ المدبر عنه» أيضا.

أصحته حيث أن نسخته بخط مصنفه.

«و بالسامع المطيع العاصي المريب أبدا حتى يأتي على يومى» حيث إن الجهاد واجب أبدا مع شرائطه.

هذا و العجب أن سيفا الذى يضع فى كل شىء قال:لما دخل طلحه و الزبير البصره و اصطلحا مع عثمان بن حنيف عامل على على أن يبعثوا كعب بن سور إلى المدينه يستخبرهم فى بيعتهما،فإن أخبروه بأن علينا أكرههما فالأمر أمرهما،و إن بايعاه طوعا فالأمر أمره.و لما جاء كعب و سألهم،سكت جميع الناس خوفا من سهل عامل على إلا اسامه،فوئب سهل عليه،فأفلته صهيب و قال له:قد علمت أن ام عامر حامقه،أما وسعك ما وسعنا من السكوت (١).

فإنه وضعه فى مقابل روايه (جمل المفيد) (٢)المتقدمه فى أصل العنوان.

٤

الخطبه (٣١)

و من كلام له عليه السلام لابن عباس لما أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل:

لَا تَلْقَيْنَ؟ طَلْحَةَ؟ - فَإِنَّكَ إِنْ تَلَقَّه تَجِدُهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ - يَرْكَبُ الصَّعْبَ وَ يَقُولُ هُوَ الدَّلُولُ - وَ لَكِنَّ الْقِيَامَ؟ الزُّبَيْرِ؟ فَإِنَّهُ أَلَيْنُ عَرِيكَةَ - فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ابْنُ خَالِكَ - عَرَفْتَنِي؟ بِالْحِجَازِ؟ وَ أَنْكَرْتَنِي؟ بِالْعِرَاقِ؟ - فَمَا عِدَا مِمَّا يَدَا قَالَ الشَّرِيفُ أَقُولُ: هُوَ أَوَّلُ مَنْ سَمِعَتْ مِنْهُ هَذِهِ الْكَلِمَةُ، أَعْنَى «فَمَا عِدَا مِمَّا بَدَا» (٣).

ص: ٣١

١- (١) تاريخ الطبرى ٤:٤٦٧-٤٦٨، سنة ٣٦. [١]

٢- (٢) الجمل للمفيد: ٢٣٩-٢٤٠.

٣- (٣) نهج البلاغه ١:٧٣. [٢]

قول المصنف «و من كلام له عليه السّلام لابن عبّاس لَمّا أرسله إلى الزبير يستفيئه إلى طاعته قبل حرب الجمل» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: ما في (ابن ميثم): «و من كلام له عليه السّلام لَمّا أنفذ عبد الله بن العباس إلى الزبير قبل وقوع حرب الجمل يستفيئه إلى طاعته» (٢)، و مثله (ابن أبي الحديد) لكن فيه بدل «وقوع حرب الجمل»: «وقوع الحرب يوم الجمل» (٣).

و أما العنوان فقال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ٢ ص ١٦٩ و ١٧٠: روى الزبير بن بكار في (موفقياته الزبير بن بكار-الموفقيات-):

انّ عليّا عليه السّلام لَمّا سار إلى البصره بعث ابن عباس فقال: ايت الزبير فاقرأ عليه السّلام و قل له: يا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينه و أنكرتنا بالبصره؟ فقال ابن عبّاس: أفلا أتى طلحه؟ قال: لا، إذن تجده عاقصا قرنه في حزن يقول هذا سهل. قال: فأتيت الزبير فوجدته في بيت يتروح في يوم حار و عبد الله ابنه عنده، فقال: مرحبا بك يا بن لبابه، أجمت زائرا أم سفيرا؟ قلت: كلا، إنّ ابن خالك يقرأ عليك السلام و يقول لك يا أبا عبد الله كيف عرفتنا بالمدينه و أنكرتنا بالبصره؟ فقال:

علقهم أنى خلقت عصبه قتاده تعلقت بنشبه

لن أدعهم حتّى آلف بينهم. فأردت منه جوابا غير ذلك، قال لى ابنه: «قل له بيننا و بينك دم خليفه و وصيّ خليفه و اجتماع اثنين و انفراد واحد، و ام مبروره و مشاوره العشيره». فعلمت أنّه ليس وراء هذا الكلام إلا الحرب، فرجعت إلى عليّ عليه السّلام فأخبرته.

قال ابن بكار: هذا الحديث كان يرويه عمى مصعب ثم تركه، و قال: إنى

ص: ٣٢

١-١ (١) نهج البلاغه ٧٢:١. [١]

٢-٢ (٢) فى شرح ابن ميثم ٥٩:٢ ما فى العنوان فى نهج البلاغه. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٦٢:٢. [٣]

رأيت جدّي الزبير في المنام و هو يعتذر من يوم الجمل، فقلت له: كيف تعتذر منه و أنت القائل: «علقتهم-إلى-آلف بينهم»؟! فقال: لم أقله (١).

و قال ابن أبي الحديد أيضا: و روى جعفر بن محمّد الصادق عن أبيه عن جدّه قال: سألت ابن عبّاس عن ذلك فقال: إنّي أتيت الزبير فقلت له... فقال: قل له إنّي أريد ما تريد- كأنه يقول: الملك- لم يزد على ذلك. فرجعت إلى عليّ عليه السّلام فأخبرته.

و روى محمّد بن إسحاق الكلبيّ عن ابن عبّاس قال: قلت للكلمه للزبير، فلم يزدني على ان قال: قل له:

إنّا مع الخوف الشديد لنطمع

و سئل ابن عبّاس عمّا يعنى بقوله هذا، فقال: يقول: إنّا على الخوف لنطمع أن نلى من الأمر ما وليتم.

و قال قوم: أراد أنا مع الخوف من الله لنطمع أن يغفر لنا هذا الذنب (٢).

قلت: و رواه الجاحظ في (بيانه الجاحظ-البيان و التبيين-) و ابن قتيبه في (عيونه ابن قتيبه-عيون الاخبار-ج ١ ص ١٩٥) و ابن عبد ربه في (عقده ابن عبد ربه-العقد الفريد-ج ٥ ص ٦٤)، قال الأوّل: قال عبد الله بن مصعب: أرسل عليّ كرم الله وجهه لئما قدم البصره ابن عبّاس و قال له: آيت الزبير و لا- تأت طلحه، فإن الزبير ألين، و أنك تجد طلحه كالثور عاقصا قرنه يركب الصعوبه و يقول هي السهل، فأقرئه السلام و قل له: يقول لك ابن خالك: عرفتنى بالحجاز و أنكرتنى بالعراق، فما عدا ممّا بدا لك! قال: فأتيت الزبير، فقال: مرحبا بابن لبابه، أ زائرا جئت أم سفيرا؟ قلت: كل ذلك. و أبلغته ما قال عليّ عليه السّلام، فقال الزبير: أبلغه السلام و قل له: بيننا و بينك عهد خليفه و دم خليفه و اجتماع ثلاثه و انفراد واحد و ام

ص: ٣٣

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ١٦٩:٢-١٧٠. [١]

[٢-٢] شرح ابن أبي الحديد ١٦٦:٢-١٦٧. [٢]

مبروره و مشاوره العشيره و نشر المصاحف، فنحلّ ما أحلت و نحرم ما حرّمت (١).

و مثله الثاني: و الثاني بدون النسبه إلى ابن مصعب (٢).

قوله عليه السلام: «لا تلقين طلحه» عن مثالب هشام الكلبي - كما في (الطرائف) :-

كانت لامه صعبه رايه بمكه و استبضعت بأبي سفيان فوقع عليها و تزوجها عبيد الله بن عثمان بن عمر بن كعب بن سعد بن تيم، فجاءت بطلحه لستّه أشهر، فاخصم أبو سفيان و عبيد الله في طلحه، فجعل أمرهما إلى امه فألحقته بعبيد الله، فقيل لها: كيف تركت أبا سفيان؟ فقالت: يد عبيد الله طلقه و يد أبي سفيان كزّه.

فقال حسان:

فيا عجبا من عبد شمس و تركها أخاها زنا بابعد ريش القوادم

و كان أبوه يلعب به و يتخثث (٣).

«فإنك إن تلقه تجده كالثور عاقصا قرنه» في (الجمهره): شاه عقصاء إذا كانت منقلبه القرن (٤). و في (الأساس): (في قرن الشاه عقص) أي التواء، و هي عقصاء القرن (٥). هذا و في (ميزان الذهبى) في ثور بن يزيد الذى كان يرى القدر: حكى عن ابن أبي رواد أنّه كان يقول إذا أتاه من يريد الشام: «إنّ بها ثورا فاحذر لا ينطحك بقرنيه». و سئل سفيان عنه فقال: خذوا عنه و اتقوا قرنيه (٦).

ص: ٣٤

١-١ (١) العقد الفريد ٥:٦٤. [١]

٢-٢ (٢) عيون الأخبار ١:١٩٥. [٢]

٣-٣ (٣) الطرائف ٢:٤٩٥-٢:٤٩٦. [٣]

٤-٤ (٤) جمهره اللغه ٢:١١٧٢. [٤]

٥-٥ (٥) أساس البلاغه: ٣٠٩، [٥] مادة: (عقص).

٦-٦ (٦) ميزان الاعتدال في نقد الرجال، ١:٣٧٤، دار المعرفه بيروت.

«يركب الصعب و يقول هو الذلول» قال ابن قتيبه: كَلَّمَ عليّ طلحه و الزبير قبل القتال، فقال لهما: استحلّفا عايشه بحقّ الله و بحقّ رسوله عليها أربع خصال أن تصدق فيها: هل تعلم رجلا- من قريش أولى منّي بالله و رسوله؟ و إسلامي قبل كافّة الناس أجمعين، و كفايتي رسول الله كفّار العرب بسيفي و رمحي؟ و عليّ أنّي لم استكره أحدا على بيعه؟ و عليّ أنّي ألم أكن أحسن قولاً- منكما في عثمان؟ فأجابه طلحه جوابا غليظا، و رقّ له الزبير. ثم رجع عليّ عليه السّلام إلى أصحابه فقالوا: بسم كلمت الرجلين؟ فقال عليه السّلام: إنّ شأنهما لمختلف، أما الزبير فقاده اللجاج و لن يقاتلكم، و أما طلحه فسألته عن الحقّ فأجابني بالباطل، و لقيته باليقين و لقيني بالشك، فوالله ما نفعه حقّي و لا ضرّني باطله، مقتول غدا في الرعيل الأوّل (١).

و قد وصفه عمر لّمّا عينه للشورى مع عيبه فقال: أما إنّني أعرفك منذ اصيبت إصبعك يوم احد بالبأ و الذي حدث لك، و لقد بات النبيّ صلّى الله عليه و آله ساخطا عليك للكلمة التي قلتها يوم انزلت آية الحجاب (٢).

قال الجاحظ: أشار عمر إلى أنّ طلحه لّمّا انزلت آية الحجاب، قال بمحضر ممّن نقل إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله: ما الذي يغنيه حجابهنّ اليوم و سيموت غدا فنكحهنّ (٣).

و في (المروج): سار أهل الجمل في ستمائه راكب نحو البصره، فانتهوا في الليل إلى ماء لبني كلاب يعرف بالحوأب، فنبحت كلابهم على الركب، فقالت

ص: ٣٥

١- ١) الإمامه و السياسه ٧١: ١-٧٢. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨٥: ١-١٨٦. [٢]

٣- ٣) المصدر نفسه ١٨٦: ١. [٣]

عائشه: ما اسم هذا الموضع؟ فقال سائق جملها: الحوَاب، فاسترجعت و ذكرت ما قيل لها في ذلك، فقالت: ردوني. فقال ابن الزبير: والله ما هذا بحوَاب، ولقد غلط فيما أخبرك به. وكان طلحه في ساقه النَّاس فلحقها فأقسم أن ذلك ليس بالحوَاب، وشهد معهما خمسون، فكان ذلك أوَّل شهاده زور اقيمت في الإسلام (١).

«و لكن الق الزبير فأنه ألين عريكه» أى: طبيعه، في (الطبرى): قال قتاده:

سار على عليه السلام من الزاويه يريد طلحه و الزبير و عائشه، و ساروا من الفرضه يريدون عليا عليه السلام، فالتقوا عند موضع قصر عبيد الله بن زياد في النصف من جمادى الآخره سنه (٣٦)، فلما تراءى الجمعان خرج الزبير على فرس عليه سلاح، فقيل لعلي عليه السلام: هذا الزبير، أما إنه أحرى الرجلين إن ذكر بالله أن يذكر، و خرج طلحه فخرج إليهما على عليه السلام فدنا منهم حتى اختلفت أعناق دوابهم فقال علي عليه السلام لهما: لعمرى لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا، إن كنتما أعددتما عند الله عذرا فاتقيا الله سبحانه و لا تكونا «كالتى نفضت غزلها من بعيد قوه أنكاثا» (٢)، ألم أكن أخاكما في دينكما تحرمان دمي و احرم دماءكما فهل من حدث أحل لكما دمي؟ قال طلحه: ألّبت الناس على عثمان. فقال له علي عليه السلام:

«يَوْمَئِذٍ يُؤْفَفِهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ» (٣)، يا طلحه تطلب بدم عثمان؟ فلعن الله قتله عثمان. يا زبير أتذكر يوم مررت مع النبي صلى الله عليه و آله في بنى غنم فنظر إلى النبي صلى الله عليه و آله و ضحك و ضحكت إليه، فقلت أنت:

لا يدع ابن أبى طالب زهوه. فقال لك النبي صلى الله عليه و آله: صه، إنه ليس به زهوه، و لتقاتلته

ص: ٣٦

١-١ (١) مروج الذهب ٣٥٧: ٢. [١]

٢-٢ (٢) النحل: ٩٢. [٢]

٣-٣ (٣) النور: ٢٥. [٣]

و أنت له ظالم؟ فقال: اللهم نعم، و لو ذكرت ما سرت مسيرى هذا، و الله لا اقاتلك أبدا.

فانصرف عليّ عليه السّلام إلى أصحابه فقال: أما الزبير فقد أعطى الله عهدا ألا يقاتلكم، فرجع الزبير إلى عايشه فقال: ما كنت فى موطن منذ عقلت إلا- و أنا أعرف فيه أمرى غير موطنى هذا. قالت: فما تريد أن تصنع؟ قال: أريد أن أدعهم و أذهب. فقال له ابنه: جمعت بين هذين الغارين، حتّى إذا حدد بعضهم لبعض أردت أن تتركهم و تذهب، أحسست رايات ابن أبى طالب، و علمت أنّها تحملها فتيه أنجاد. قال: إننى حلفت ألا اقاتله- و أحفظه ما قال ابنه له- فقال: كُفّر عن يمينك و قاتل. فدعا بسلام يقال له مكحول فأعتقه.

فقال عبد الرحمن التميمى:

لم أر كاليوم أخوا إخوان أعجب من مكفّر الأيمان

بالعتق فى معصية الرحمن (١)

قلت: قوله عليه السّلام فى الخبر: يا طلحة تطلب بدم عثمان فلعن الله قتله عثمان أراد: (منّى و منكم يا طلحة و الزبير و عايشه) فلعنهم الله بما لا يستطيعون إنكارا و لا اعتراضا، لا إنّه لعن جميع قتلته، كما لا يخفى.

و قد وصفه عمر يوم الشورى بقوله له: «أما أنت يا زبير فوقع لقس، مؤمن الرضا، كافر الغضب، يوما إنسان، و يوما شيطان، و لعلّها لو أفضت إليك ظلت يومك تلاطم بالبطحاء على مد من شعير. أفرأيت إن أفضت إليك، فليت شعرى من يكون للناس يوم تكون شيطانا إماما، و من يكون للناس يوم تغضب إماما (٢)؟»

ص: ٣٧

١- ١) تاريخ الطبرى ٥٠١: ٤-٥٠٢، سنة ٣٦. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١: ١٨٥. [٢]

«يقول لك ابن خالك» كان عليه السلام كالنبي صَلَّى اللهُ عليه وآله ابن خال الزبير لأبيه، فكانت صفته ام الزبير من ام حمزه دون أبى طالب و عبد الله، وكان الزبير يعدّ أولًا من الهاشميين من قبل امه - وإن كان أسديا أبا- لكونه معه عليه السلام يوم السقيفه حتّى نشأ ابنه عبد الله المبعوض له عليه السلام من قبل امه أسماء بنت أبى بكر.

و روى أبو مخنف: أنّ أبا الأسود أتى الزبير فى الجمل فقال له: عهد الناس بك يوم بويح أبو بكر آخذ بقائم سيفك تقول: لا أحد أولى بهذا الأمر من ابن أبى طالب، و أين هذا المقام من ذاك؟ فذكر له الزبير دم عثمان، فقال له أبو الأسود: أنت و صاحبك و ليتماه فيما بلغنا. فقال له: فاذهب إلى طلحه فاسمع ما يقول لك. فذهب إليه فوجدوه سادرا فى غيّه مصرًا على الحرب و الفتنة (١).

عبر عليه السلام بقوله: «ابن خالك» استعطافا، فقالوا نظير قول هارون «قال يا بنّ» .

«عرفتنى بالحجاز و أنكرتنى بالعراق» حيث بايعه بالحجاز و نصب له الحرب بالعراق.

هذا و قال البحرى فى عتاب ابن بسطام:

فكنا بالشام أخال خيرا لرعى الودّ منا بالعراق

و هجا بعض الشعراء المازنى فقال:

و فتى من مازن ساد أهل البصره

امه معرفه و أبوه نكره

و فى (الأغانى): استأذن أبو العتاهيه على عمرو بن مسعده فحجب، فكتب إليه أبياتا منها:

ص: ٣٨

(١-١) نقله عنه ابن أبى الحديد فى شرح نهج البلاغه ٢٢٦:٦. [١]

قد كان وجهي لديك معرفه فاليوم أضحي حرفا من النكره (١)

«فما عدا» أي: جاوز.

«مما بدا» أي: ابتدأت به ان كان الأصل فيه الهمز، أو ظهر لك أولا إن كان معتلا.

و روى (جمل المفيد): أنه عليه السلام أرسل ابن عباس إلى عايشه و قال له قل لها: «إنك كنت أشد الناس على عثمان، فما عدا مما بدا» (٢).

و روى (عيون القتيبي): أن عرار بن أدهم الشامي لما دعا في صفين العباس بن ربيعه الهاشمي إلى البراز، فبرز إليه و ضربه ضربه خر لوجهه و كبر الناس تكبيره ارتجت لها الأرض، سأل عليه السلام عن المبارز فقيل له: العباس بن ربيعه ابن أخيكم. فقال عليه السلام له: ألم أنهك و ابن عباس أن تخلا بمركز كما أو تباشرا حربا؟ فما عدا مما بدا. قال العباس: فادعى إلى البراز فما اجيب (٣).

قول المصنف: قال الشريف أقول: هو أول من سمعت منه هذه الكلمه، أعني «فما عدا مما بدا»، هكذا في (المصريه) (٤)، و الصواب ما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٥): «و قال الرضى رحمه الله: و هو عليه السلام أول من قالها». و قد عرفت أنه عليه السلام قالها مرارا.

و عن (أوائل أبي هلال العسكري): أنه عليه السلام أول من قال: «جعلت فداك».

قاله للنبي صلى الله عليه و آله يوم عمرو بن عبدود (٦).

ص: ٣٩

[١-١] (١) الأغاني ٢١:٤-٢٢. [١]

[٢-٢] (٢) الجمل للمفيد: ٣١٦. [٢]

[٣-٣] (٣) عيون الأخبار ١٧٩:١-١٨٠. [٣]

[٤-٤] (٤) نهج البلاغه ٧٣:١. [٤]

[٥-٥] (٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٦٢:٢ و [٥] شرح ابن ميثم ٥٩:٢ «و [٦] هو عليه السلام أول من سمعت...» أيضا.

[٦-٦] (٦) الأوائل لأبي هلال العسكري: ٢٩٦ دار الكتب العلميه.

و في (طبقات كاتب الواقدي): أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله كَانَ أَوَّلَ مَنْ قَالَ: «لَا يَنْتَظِرُ فِيهَا عِزْرَانٌ». قَالَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله فِي قَتْلِ عَمِيرِ بْنِ عَدَى عِصْمَاءَ بِنْتِ مِرْوَانَ الْيَهُودِيَّ الَّتِي كَانَتْ تُؤْذِي النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله (١).

٥

الخطبة (١٦٩)

و من خطبه له عليه السلام عند مسير أهل الجمل إلى البصرة:

إِنَّ اللَّهَ بَعَثَ رَسُولًا هَادِيًا بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَ أَمْرٍ قَائِمٍ - لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ - وَ إِنَّ الْمُبْتَدِعَاتِ الْمُسَبِّهَاتِ مِنَ الْمُهْلِكَاتِ - إِلَّا مَا حَفِظَ اللَّهُ مِنْهَا - وَ إِنَّ فِي سُلْطَانِ اللَّهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ - فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَ لَا مُسْتَكْرَهَةٍ بِهَا - وَ اللَّهُ لَتَفْعَلَنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللَّهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ - ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا - حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَّثُوا عَلَيَّ سَخَطَهُ إِمَارَتِي - وَ سَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَيَّ جَمَاعَتِكُمْ - فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَمُوا عَلَيَّ فِي آلِهِ هَذَا الرَّأْيِ - انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ أَقُولُ: الْعِنَانُ كُلُّهُ مَأْخُودٌ مِنْ (الطبري الطبري - تاريخ الطبري - ج ٤ ص ٤٤٤، سنة ٣٦) (٢) فِي رِوَايَةِ سَيْفِهِ، الَّتِي إِذَا مَصْنُوعَةٌ كَلَا وَ إِذَا مَدْخُولَةٌ مِنْهُ، كَمَا أَخَذَ مِنْهُ عِنَانٌ قَبْلَهُ «قِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَوْ عَاقَبْتَ قَوْمًا مِمَّنْ أَجْلَبَ عَلَى عِثْمَانَ» كَمَا مَرَّ فِي فَصْلِ عِثْمَانَ، وَ مَرَّ ثُمَّ شَرَحَ مَقْدَارَ مِنْ افْتِعَالَاتِهِ وَ تَصَرُّفَاتِهِ، وَ مَرَّ بَعْضُهَا فِي مِنْ هَذَا الْفَصْلِ.

و روايته هنا هكذا: «استأذن طلحه و الزبير عليًا في العمره فأذن لهما،

ص: ٤٠

[١ - ١] الطبقات الكبرى ٢: ٢٧ - ٢٨. [١]

[٢ - ٢] تاريخ الطبري ٤: ٤٤٤، سنة ٣٦. [٢]

فلحقا بمكّه، وأحبّ أهل المدينة أن يعلموا ما رأى عليّ في معاويه و انتقاضه، ليعرفوا بذلك رأيه في قتال أهل القبلة، أ يجسر عليه أو ينكل عنه؟ وقد بلغهم أنّ الحسن دخل عليه و دعاه إلى القعود و ترك الناس-إلى أن قال-و دعا عليّ ابن الحنفية فدفع إليه اللواء، و ولّى ابن عبيّاس ميمنته و عمر بن أبي سلمه أو عمرو بن سفيان ميسرته، و أبا ليلى ابن أخى ابن عبيده مقدمته، و استخلف على المدينة قثم بن عبيّاس، و لم يولّ ممّن خرج على عثمان أحداً، و كتب إلى قيس بن سعد و إلى عثمان بن حنيف و إلى أبي موسى أن يندبوا الناس إلى الشام، و دعا أهل المدينة إلى قتال أهل الفرقة، و قال: «إنّ الله بعث رسولا هاديا، بكتاب ناطق، و أمر قائم واضح، لا يهلك عنه إلا هالك. و إنّ المبتدعات و الشبهات هنّ المهلكات إلا من حفظ الله، و إنّ في سلطان الله عصمه أمركم، فأعطوه طاعتكم غير ملويه و لا مستكره بها، و الله لتفعلن أو لينقلن الله عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبدا حتّى يأرز الأمر إليها. انهضوا إلى هؤلاء القوم الذين يفرّقون جماعتكم، لعل الله يصلح بكم ما أفسد أهل الافاق، و تقضون الذى عليكم».

فبيناهم كذلك إذ جاء الخبر عن أهل مكّه بنحو آخر و تمام على خلاف، فقام فيهم بذلك، فقال: «إنّ الله جعل لظالم هذه الأُمّة العفو و المغفرة، و جعل لمن لزم الأمر و استقام الفوز و النجاه، فمن لم يسعه الحقّ أخذ بالباطل. ألا- و إنّ طلحه و الزبير و امّ المؤمنين قد تمالّثوا على سخط إمارتى، و دعوا الناس إلى الاصلاح، و سأصبر ما لم أخف على جماعتكم. و أكفّ إن كفّوا و أقتصر على ما بلغنى منهم».

ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصره لمشاهده الناس و الاصلاح، فتعبّى للخروج إليهم و قال: إن فعلوا هذا فقد انقطع نظام المسلمين، و ما كان عليهم

فى المقام فىنا مؤنه و لا إكراه. فاشتد على أهل المدینه الأمر فتأقلوا، فبعث إلى عبد الله بن عمر كمىلا النخعى فجاء به- إلى أن قال:- فرجع ابن عمر إلى المدینه و هم يقولون: لا- و الله ما ندرى كىف نصنع، فإن هذا الأمر مشتبه علينا، و نحن مقيمون حتى يضىء لنا و يسفر. فخرج تحت ليلته و أخبر ام كلثوم بنت على بالذى سمع من أهل المدینه، و إنه يخرج معتمرا مقيما على طاعه على ما خلا النهوض، و كان صدوقا، فاستقرّ عندها، و أصبح على فقيل له: حدث البارحه حدث هو أشدّ عليك من طلحه و الزبير و ام المؤمنين و معاويه. قال:

و ما ذلك؟ قال: خرج ابن عمر إلى الشام، فأتى على السوق و دعا بالظهر، فحمل الرجال و أعد لكل طريق طلابا و ماج أهل المدینه، و سمعت ام كلثوم بالذى هو فيه فدعت ببغلتها فركبها فى رحل ثم أتت عليا و هو واقف فى السوق يفرّق الرجال فى طلبه، فقالت: مالك لا تزند من هذا الرجل؟ إن الأمر على خلاف ما بلغته و حدثته، أنا ضامنه له. فطابت نفسه و قال: انصرفوا، لا و الله ما كذبت و لا كذب، و إنه عندى ثقه (١).

فمن أكاذيبه: أنه عليه السلام لم يولّ أحدا ممن خرج على عثمان، ألم يولّ محمّد بن أبى بكر و الأشر و هما ممن خرج عليه قطعا.

و منها قوله: إن الحسن دخل عليه و دعاه إلى القعود، فقد عرفت كون ما نسب إليه عليه السلام خلاف العقل.

و منها قوله: كتب إلى قيس و عثمان بن حنيف و أبى موسى أن يندبوا الناس إلى الشام، و إن ابن حنيف كان مبتلى بطلحه و الزبير، و أبو موسى إنما كتب إليه بندب أهل الكوفه إلى البصره، و كان عليه السلام يومئذ مشغولا بالبصره فما يكتب إلى قيس.

ص: ٤٢

(١-١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٤٤-٤٤٦، سنه ٣٦، و [١] النقل بتصرف و تلخيص.

و منها: ما نسبته إليه عليه السّلام «ان الله جعل لظالم هذه الامّة العفو و المغفرة»، هل الله ابن عمّ ظلمه هذه الامّة حتى يجعل لهم العفو و المغفرة؟! و سيجزى الله المفترين. إلا أن أئمتّه و أشياعهم لمّا كانوا ظلمه، لا بد أن يقول ذلك حتى يصحّ ايتمامه بهم.

و منها: قوله- و هو مضحك- أنّه عليه السّلام قال: إنّ طلحه و الزبير و امهم دعوا النّاس إلى الإصلاح. فيقال له: الإصلاح بين من و من؟ و إذا كانوا أرادوا الإصلاح فلا بد أنّه عليه السّلام أراد الإفساد! فتبّح الله هذا الرجل ما يدري ما يقول- و كذلك قوله: «ثمّ أتاه أنّهم يريدون البصره لمشاهده النّاس و الإصلاح». فهل كان أهل المدينة نسناسا فأرادوا أن يخرجوا إلى البصره حتّى يروا النّاس؟! و منها قوله: «إنّ أهل المدينة قالوا إنّ الأمر مشتبه علينا و نحن مقيمون حتى يضىء لنا». فإنّه إنّما تخلف عنه- باتفاق السير- سعد و ابن عمر و محمّد بن مسلمه و المغيرة معتذرين أنّ الأمر مشتبه علينا، و أمّا باقى النّاس فبايعوه شوقا و عاونوه طوعا.

و منها: قوله «قيل له عليه السّلام حدث حدث أشدّ عليك من طلحه و الزبير و عايشه و معاويه» فأى سفيه كان يتوهم ذلك؟ فإنّ الرجل لم يكن له قابليه أصلا، و لذا زجر عمر من قال له: لم لا تجعله ولى عهدك؟ و إنّما قال عليه السّلام لعتمار، لمّا دعاه و اعتذر: «دعه فإنّه ضعيف».

و أين هو من طلحه و الزبير و كانا يعدّان أنفسهما فوق عمر؟ و أين وجاهته عند النّاس من عايشه؟ و أين هو من معاويه الذى كان فى الدهاء آيه و كان ذا سلطان، كان بيده الشام و كانوا يعبدونه؟ و من المضحك أنه بدل قوله عليه السّلام فى ابن عمر بكونه ضعيفا بقوله ثقّه.

و منها: قوله إنّ امّ كلثوم دعت ببغلتها، فوضع هذا فى مقابل ركوب

عائشه بغلتها لمنع دفن الحسن عليه السّلام عند جدّه. و حينئذ فأى عبره تبقى بما فيه؟ والكذب لا يصدق، إلا إذا كان شاهد على صدقه، والدخيل لا يروج إلا أن يستخرج غشه. و الرضى رضى الله عنه فعل ذلك هنا فأسقط قوله: «إن الله جعل لظالم هذه الآثمه العفو و المغفره». و أسقط قوله: «و دعوا النَّاس إلى الإصلاح».

قوله : «و إنَّ المبدعات المشبهات» أى: بالسنن.

«من المهلكات» لأنَّ الإنسان يغتر بها.

«إلا ما حفظ الله منها» هكذا فى (المصريه) (١)، و لفظه (منها) زائده لعدم وجودها فى (ابن ميثم) (٢)، و كذا فى (المستند)، و منه يظهر أنّ وجودها فى نسخه من (ابن أبى الحديد) غير صحيحه (٣).

«و إن فى سلطان الله عصمه» أى: حفظ.

«لأمركم فأعطوه طاعتكم غير ملؤمه» هكذا فى (المصريه) (٤)، و قال (ابن ميثم) و فى نسخه (ملويه) (٥)، و هو الأنسب مع أنّه كذا فى (المستند).

«و الله لتفعلن أو لينقلن عنكم سلطان الإسلام، ثم لا ينقله إليكم أبدا حتى يأرز الأمر» أى: يجتمع و ينضمّ، يقال: «أرزت الحيه إلى حجرها».

و قال الشاعر:

و قد أرزت من بردهنّ الأنامل

«إلى غيركم» قال ابن أبى الحديد: فإن قيل: كيف لم يعد إليهم و قد عاد بالخلافه العباسيه؟ قلت: لأن الشرط - و هو عدم الطاعه - لم يقع. و قال قوم:

ص: ٤٤

١-١) نهج البلاغه ٢:٩٩. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ٣:٣٢٤ عند شرح فقرات الخطبه.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٩:٢٩٥. [٢]

٤-٤) نهج البلاغه ٢:٩٩. [٣]

٥-٥) شرح ابن ميثم ٣:٣٢٥. [٤]

خاطب الشيعة الطالبية فقال: إن لم تعطوني الطاعة المحضه نقل الخلافة عن هذا البيت حتى ينضمّ إلى بيت آخر البيت العباسي (١).

قلت: عنده عليه السلام العباسية مع الاموية سواء كالتيمة و العدو، و الظاهر من السياق نقل سلطان الإسلام إلى غير المسلمين لقوله: «أو لينقلن سلطان الإسلام عنكم ثم لا ينقله إليكم أبدا» .

فالظاهر كونه إشارة إلى الدولة الهلالية كونه استأصلت الخلافة العباسية، و ختم اسم الخلافة من العامة، فإنهم قبلها يدعون كون سلطنتهم الخلافة الإسلامية.

كما أن الظاهر أن المراد من قوله عليه السلام: «حتى يأمر الأمر إلى غيركم» قيام المهدي عليه السلام و دوله أهل بيته، فإن أهل بيته عليهم السلام كانوا من غير المخاطبين لاختلاف عقيدتهم معهم بأنهم لما كانوا أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله يجب أن يكونوا خلفاءه، كما هو مقتضى العقل و جرت عليه الشرائع «ذرية بعضها من بعض» (٢).

هذا و من روايات سيف المجمعوله: أن عليا خرج من المدينة في تعيينه التي تعبنا بها إلى الشام، لما بلغه إرادته طلحه و الزبير الخروج إلى البصرة، يرجو أن يدركهم فيحول بينهم و بين الخروج، فلقية عبد الله بن سلام فأخذ بعنانه و قال: لا تخرج منها فوالله لئن خرجت منها لا ترجع إليها و لا يعود إليها سلطان المسلمين أبدا. فسبوه، فقال: دعوا الرجل، فنعم الرجل من أصحاب محمد (٣).

ص: ٤٥

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٢٩٦: ٩-٢٩٧. [١]

٢- ٢) آل عمران: ٣٤. [٢]

٣- ٣) تاريخ الطبري ٤: ٤٥٥، سنة ٣٦. [٣]

منها في ذكر أصحاب الجمل:

فَخَرَجُوا يَجْرُونَ حُزْمَةَ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ - كَمَا تُجْرُ الْأَمَةُ عِنْدَ شَرَائِهَا - مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى؟ الْبُضَيْرَةِ؟ - فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا - وَ أُبْرَزَا حَبِيسَ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ لَهُمَا وَ لغيرِهِمَا - فِي جَيْشِ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَ قَدْ أُعْطَانِي الطَّاعَةَ - وَ سَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ - فَقَدِمُوا عَلَى عِيَالِي بِهَا - وَ حُزَانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ وَ غَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا - فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا وَ طَائِفَةً غَدْرًا - فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يُصَيِّبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُتَعَمِّدِينَ لِقَتْلِهِ - بِلَا جُزْمٍ جَرَّهُ لِحَلِّ لِي قَتْلِ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ - إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا - وَ لَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَ لَا بِيَدٍ - دَعَا مَا إِنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ وَ الْخُطْبَةُ (٢١٨) وَ مِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

فَقَدِمُوا عَلَى عِيَالِي بِهَا وَ حُزَانَ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي - وَ عَلَى أَهْلِ مِصِيرٍ؟ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَ عَلَى بَيْعَتِي - فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ وَ أَفْسَدُوا عَلَى جَمَاعَتِهِمْ - وَ تَوَبَّأُوا عَلَى شَيْعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا - وَ طَائِفَةً مِنْهُمْ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ - فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ أَقُولُ: قَدْ تَرَى أَنَّ الثَّانِي تَكَرَّرَ جُزْءٌ مِنَ الْأَوَّلِ، وَ إِنَّمَا زِيدَ فِيهِ فِقْرَاتٌ، وَ الْأَصْلُ فِيهِمَا كِتَابُ كَتَبَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلنَّاسِ لِيَقْرَأَ عَلَيْهِمْ لَمَّا سَأَلُوهُ عَنِ الثَّلَاثَةِ بَعْدَ فَتْحِ مَعَاوِيَةَ لِمِصْرَ، رَوَاهُ (خُلَفَاءُ ابْنِ قَتَيْبَةَ - الْإِمَامَةُ وَ السِّيَاسَةُ - ج ١ ص ١٥٦ ابْنِ قَتَيْبَةَ) وَ غَارَاتُ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيِّ - الْغَارَاتُ - ج ١ ص ٣١١ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيِّ) وَ (رِسَائِلُ الْكَلِينِيِّ - الرِّسَائِلُ -

الكلينى)و(مسترشد ابن رستم الطبرى-المسترشد- ابن رستم الطبرى).

ففى الأوّل: «فأوّل من بايعنى طلحه و الزبير، و لو أبيا ما أكرهتهما كما لم أكره غيرهما، فما لبثنا إلا يسيرا حتّى قيل لى قد خرجا متوجهين إلى البصره فى جيش، ما منهم رجل إلا و قد أعطانى الطاعه و سمح لى بالبيعه، فقدما على عمّالى و خزّان بيت مالى و على أهل مصر كلّهم فى طاعتى و على بيعتى، فشتّتوا كلمتهم و أفسدوا جماعتهم، ثم و ثبوا على شيعتى فقتلوا طائفه صبّرا و طائفه غدرا.

و منهم طائفه غضبوا لله فشهروا سيوفهم و ضربوا بها، حتّى لقوا الله عزّ و جلّ صادقين، و الله لو لم يصيبوا منهم إلا رجلا واحدا متعمّدين لقتله لحل لى بذلك قتل الجيش كلّّه، مع أنّهم قد قتلوا من المسلمين أكثر من العده التى دخلوا بها عليهم، و قد أدال الله منهم «فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ» (١). - و مثله الثانى (٢) -.

و فى الثالث: فأى خطيئه أعظم ممّا أتيا؟ إخراجهما زوجه رسول الله صلّى الله عليه و آله من بيتها فكشفا عنها حجابا ستره الله عليها، و صانا حلائلها فى بيوتهما- إلى أن قال:- ثمّ أتوا البصره و أهلها مجتمعون على بيعتى و طاعتى، و بها شيعتى خزّان بيت مال الله و مال المسلمين- إلى أن قال:- و قتلوا شيعتى، طائفه صبّرا و طائفه غدرا و طائفه عضوا بأسيافهم حتّى لقوا الله، فو الله لو لم يقتلوا إلا- رجلا- و أحدا لحلّ لى به دماؤهم و دماء ذلك الجيش لرضائهم بقتل من قتل، دع مع أنّهم قد قتلوا أكثر من العده التى قد دخلوا بها عليهم، و قد أدال الله منهم «فَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظّالِمِينَ» .

ص: ٤٧

١- ١) الإمامه و السياسه ١: ١٥٦ و [١] الآيه ٤١ من سوره المؤمنون. [٢]

٢- ٢) الغارات ١: ٣١١. [٣]

فأما طلحه فرماه مروان بسهم فقتله... (١) و مثله الرابع (٢).

قول المصنّف في الأوّل: «منها في ذكر أصحاب الجمل» قال ابن أبي الحديد: قال أبو مخنف: حدّثني الكلبى عن أبي صالح عن ابن عبّاس: أن الزبير و طلحه أغدّا السير بعائشه حتّى انتهوا إلى حفر أبي موسى -قريب البصره- فكتبنا إلى عثمان بن حنيف عامل علىّ عليه السّلام أن أخل لنا دار الاماره. فلمّا وصل كتابهما إليه، بعث إلى الأحنف فقال له: إنّ هؤلاء القوم قدموا علينا و معهم زوجه النّبىّ صلى الله عليه و آله و النّاس إليها سراع.

فقال الأحنف أنّهم جاءوك بها للطلب بدم عثمان، و هم الذين ألّبوا على عثمان النّاس و سفكوا دمه، و أراهم و الله لا يزالونا حتّى يلقوا العداوه بيننا و يسفكوا دماءنا. و أظنهم و الله سيركبون منك خاصه ما لا قبل لك به إن لم تتأهب لهم بالنهوض إليهم فيمن معك من أهل البصره، فإنّك اليوم الوالى عليها و أنت فيهم مطاع، فسر إليهم بالناس و بادرهم قبل أن يكونوا معك فى دار واحده، فيكون النّياس لهم أطوع منك لك. فقال عثمان بن حنيف: الرأى ما رأيت لكنى أكره أن أبدأهم و أرجو العافيه و السلامه، إلى أن يأتينى كتاب أمير المؤمنين عليه السّلام و رأيه فأعمل به.

ثم أتاه بعد الأحنف حكيم بن جبلة من بنى عمرو بن وديعه فأقرأه كتاب طلحه و الزبير، فقال له حكيم مثل قول الأحنف و أجابه بمثل جوابه للأحنف، فقال له حكيم: فائذن لى حتّى أسير إليهم بالناس، فإن دخلوا فى طاعه أمير المؤمنين عليه السّلام و إلّا فأنا بدهم على سواء. فقال له: لو كان ذلك رأى لسرت إليهم بنفسى.

ص: ٤٨

١-١ رسائل الكينى.

٢-٢ مسترشد الطبرى.

قال حكيم: أما و الله إن دخلوا عليك هذا المصر لتتقلن قلوب كثير من الناس إليهم، و ليزيلنك عن مجلسك هذا و أنت أعلم. فأبى عليه عثمان، و كتب عليّ عليه السّلام إلى عثمان لّمّا بلغه مشارفه القوم البصره: «إنّ البغاه عاهدوا الله ثم نكثوا و توجهوا إلى مصرك و ساقهم الشيطان لطلب ما لا يرضى الله به، و الله أشد بأسا و أشد تنكيلا، فإن أقدموا عليك فادعهم إلى الطاعه و الرجوع إلى الوفاء بالعهد و الميثاق الذى فارقونا عليه، فإن أجابوا فأحسن جوارهم ما داموا عندك، و إن أبوا إلّا التمسك بحبل النكث و الخلاف فناجزهم حتّى يحكم الله بينك و بينهم و هو خير الحاكمين. و كتبت إليك كتابي هذا من الربذه و أنا معجل المسير إليك إن شاء الله.

فلّمّا وصل الكتاب إلى عثمان أرسل إلى أبى الأسود و عمران بن حصين الخزاعى فأمرهما أن يسيرا حتّى يأتياه بعلم القوم، فانطلقا حتّى إذا أتيا حفر أبى موسى و به معسكر القوم، فدخلا على عايشه فسألاها و وعظاها، فقالت لهما: القيا طلحه و الزبير. فقاما من عندها و لقيا الزبير فكلّماه، فقال لهما: إنّنا جئنا للطلب بدم عثمان، و ندعو الناس إلى أن يردوا أمر الخلافه شورى ليختار الناس لأنفسهم. فقالا له: إنّ عثمان لم يقتل بالبصره ليطلب دمه فيها، و أنت تعلم قتله عثمان من هم و أين هم و إنك و صاحبك و عايشه كنتم أشد الناس عليه و أعظمهم إغراء بدمه، فأقيدوا من أنفسكم.

و أمّا إعادته أمر الخلافه شورى، فكيف و قد بايعتم عليّا عليه السّلام طائعين غير مكرهين، و أنت لم تبعد العهد بقيامك دون هذا الرجل يوم مات النّبى صلّى الله عليه و آله، و أنت آخذ قائم سيفك تقول: ما أحد أحقّ بالخلافه منه و لا أولى بها منه، امتنعت من بيعه أبى بكر، فأين ذلك الفعل من هذا القول؟! فقال لهما: اذهبا فالقيا طلحه، فقاما إلى طلحه فوجداه خشن اللمس شديد العريكة، قوى العزم

فى إثاره الفتنة و اضرام نار الحرب.فانصرفا إلى عثمان بن حنيف فأخبراه.

و قال له أبو الأسود:

يابن حنيف قد أتيت فانفر و طاعن القوم و اجلد و اصبر

و ابرز لهم مستلثما و شمّر

فقال ابن حنيف:أى و الحرمين لأفعلنّ.و أمر مناديه فنادى فى الناس:

السلّاح السلّاح.فاجتمعوا إليه.

و قال أبو الأسود:

أتينا الزبير فدانى الكلام و طلحه كالنجم أو أبعد

و أحسن قوليهما فادح يضيق به الخطب مستنكد

و قد أوعدونا بجهد الوعى د فأهون علينا بما أوعدوا

فقلنا ركضتم و لن ترملوا و أصدرتم قبل أن توردوا

و إن تلقوا الحرب بين الرجال فملقها حدّه الأنكد

و إنّ علينا لكم مصحر ألاّ إنّّه الأسد الأسود

أما إنّّه ثالث العابدى ن بمكّه و الله لا يعبد

فرخّوا الخناق و لا تعجلوا فإنّ غدا لكم موعد

و أقبل القوم،فلمّا انتهوا إلى المربرد،قام رجل من بنى جشم فقال:أيّها الناس إن كان هؤلاء أتوكم خائفين لقد أتوكم من المكان الذى يأمن فيه الطير و الوحش و السباع،و إن كانوا أتوكم بطلب دم عثمان فغير ولىّ قتله فأطيعونى.

أيّها الناس ردّوهم من حيث أقبلوا،فإنكم إن لم تفعلوا لم تسلموا من الحرب الضروس و الفتنة الصماء التى لا- تبقى و لا تذر.فحصبه ناس من أهل البصره فأمسك،و اجتمع أهل البصره بالمربرد حتّى ملئوه مشاه و ركباناً،

فقام طلحه فأشار إلى الناس بالسكوت ليخطب فسكوتوا بعد جهد، فقال: أما بعد، فإن عثمان كان من أهل السابقيه و الفضيله، و من المهاجرين الأولين الذين رضى الله عنهم و رضوا عنه، و نزل القرآن ناطقا بفضلهم، و أحد أئمه المسلمين الوالين عليكم بعد أبى بكر و عمر صاحبي النبى، و قد كان أحدث أحداثا نقمناها عليه، فأتيناها فاستعتبنا، فاعتبنا، فعدا عليه امرؤ ابتز هذه الامه امرها غصبا بغير رضى منها و لا- مشوره، فقتله و ساعده على ذلك قوم غير أتقياء و لا أبراء، فقتل محرما بريئا تائبا. و قد جئناكم أيها الناس نطلب بدم عثمان، و ندعوكم إلى الطلب بدمه، فإن نحن أمكننا الله من قتلته قتلناهم به و جعلنا هذا الأمر شورى بين المسلمين، و كانت خلافه رحمه للامه جميعا، فإن كل من أخذ الأمر من غير رضى من العامه و لا مشوره منها ابتز. كان ملكه ملكا عضوا و حدثا كبيرا.

ثم قام الزبير فتكلم بمثل كلام طلحه، فقام إليهما ناس من أهل البصره، فقالوا لهما: ألم تبايعا عليا فيمن بايعه، ففيم بايعتما ثم نكثتما؟! فقالا: ما بايعناه و لا لأحد فى أعناقنا بيعه، و إنما استكرهنا على بيعته. فقال ناس: قد صدقا و أحسنا القول و قطعنا بالصواب.

و قال ناس: ما صدقا و لا أصابا. حتى ارتفعت الأصوات، ثم أقبلت عايشه على جملها فنادت بصوت مرتفع: أيها الناس أقلوا الكلام و اسكتوا.

فأسكت الناس لها، فقالت: إن أمير المؤمنين عثمان غير و بدّل، ثم لم يزل يغسل ذلك بالتوبه حتى قتل مظلوما تائبا، و إنما نقموا عليه ضربه بالسوط و تأميره الشبان و حمايته موضع الغمامه فقتلوه محرما، فى حرمه الشهر و حرمه البلد ذبحا كما يذبح الجمل. ألا و إن قريشا رمت غرضها بنبالها و أدمت أفواهاها بأيديهما، و ما نالت بقتلها إياه شيئا، و لا سلك به سيلا قاصدا.

أما والله ليرونها بلايا عقيمه تنبه النائم و تقيم الجالس، و ليسلطن عليهم قوم لا يرحمونهم يسومونهم سوء العذاب.

أيها الناس ما بلغ من ذنب عثمان ما يستحل به دمه مصصتموه كما يماص الثوب الرخيص، ثم عدوتم عليه قتلتموه بعد توبه و خروجه من ذنبه، و بايعتم ابن أبى طالب بغير مشوره من الجماعة، ابتزازا و غصبا، أترانى أغضب لكم من سوط عثمان و لسانه و لا- أغضب لعثمان من سيوفكم، ألا إن عثمان قتل مظلوما فاطلبوا قتله، فإذا ظفرتهم بهم فاقتلوهم، ثم اجعلوا الأمر شورى بين الرهط الذين اختارهم أمير المؤمنين عمر، و لا يدخل فيهم من شرك فى دم عثمان.

فماج الناس و اختلطوا، فمن قائل يقول: القول ما قالت. و من قائل يقول:

و ما هى و هذا الأمر؟ إنما هى امرأه مأوره بلزوم بيتها. و ارتفعت الأصوات و كثر اللغظ حتى تضاربوا بالنعال و تراموا بالحصباء.

ثم إن الناس تمايزوا فصاروا فريقين، فريق مع عثمان بن حنيف، و فريق مع عايشه و أصحابها. فلما أقبل طلحه و الزبير من المربد يريدان ابن حنيف و جداه و أصحابه قد أخذوا بأفواه السكك، فمضوا حتى انتهوا إلى موضع الدباغين، فاستقبلهم أصحاب ابن حنيف، فشجرهم طلحه و الزبير و أصحابهما بالرماح، فحمل عليهم حكيم بن جبله فلم يزل و أصحابه يقاتلونهم حتى أخرجوهم من جميع السكك، و رماهم النساء من فوق البيوت بالحجاره، فأخذوا إلى مقبره بنى مازن فوقفوا بها مليا حتى ثابت إليهم خيلهم، ثم أخذوا على مسناه البصره حتى انتهوا إلى الربوقه، ثم أتو سبخه دار الرزق فنزلوها، و أتاها عبد الله بن حكيم التهمى لَمَا نَزَلَا السَّبْخَةَ بَكَّتْ كَانَا كَتَبَاهَا إِلَيْهِ، فَقَالَ لَطْلَحُهُ: أَمَا هَذِهِ كَتَبْتُكَ إِلَيْنَا؟ قَالَ بَلَى. قَالَ: فَكَتَبْتُ أُمْسَ

تدعوننا إلى خلع عثمان و قتله، حتى إذا قتله أتينا نأثرا بدمه، فلعمري ما هذا رأيك، لا تريد إلا هذه الدنيا، مهلا إذا كان هذا رأيك فلم قبلت من عليّ عليه السّلام ما عرض عليك من البيعه فبايعته طائعا راضيا ثم نكثت بيعته، ثم جئت لتدخلنا في فتنك؟! فقال: إن عليّا دعاني إلى بيعته بعد ما بايعه الناس، فعلمت أنّي لو لم أقبل ما عرضه عليّ لم يتم لي، ثم يغري بي من معه.

ثم أصبحنا من غد فصفا للحرب، و خرج ابن حنيف إليهما فناشدهما الله و الإسلام و أذكرهما بيعتهما عليّا عليه السّلام، فقالا: نحن نطلب بدم عثمان. فقال لهما: و ما أنتما و ذاك، أين بنو عمّه الذين هم أحقّ به منكم؟ كلا و الله و لكنكما حسدتماه حيث اجتمع الناس عليه، و كنتما ترجوان هذا الأمر و تعملان له، و هل كان أحد أشد على عثمان قولا منكما؟ فشتما شتما قبيحا و ذكرا امه.

فقال للزبير: أما و الله لو لا- صفيه و مكانها من النّبىّ صلّى الله عليه و آله فإنّها أدنتك إلى الظل، و إن الأمر بيني و بينك يا بن صعبه- يعني طلحه- أعظم من القول، لأعلمنكما من أمركما ما يسوؤكما، اللهمّ إني قد أعذرت إلى هذين الرجلين. ثم حمل عليهم و اقتتل الناس قتالا شديدا، ثم تحاجزوا و اصطلحوا على أن يكتب بينهم كتاب صلح فكتب: هذا ما اصطلح عليه ابن حنيف و من معه من شيعة أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام و طلحه و الزبير و من معهما من المسلمين من شيعتهما، إن لابن حنيف دار الاماره و الرحبه و المسجد و بيت المال و المنبر، و إن لطلحه و الزبير و من معهما أن ينزلوا حيث شاءوا من البصره، لا يضار بعضهم بعضا في طريق و لا فرضه و لا سوق و لا شريعة و لا مرفق حتى يقدم أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، فإن أحبوا دخلوا فيما دخلت فيه الامه، و إن أحبوا لحق كل قوم بهوهم من قتال و سلم و خروج و إقامة. و على الفريقين بما كتبوا

عهد الله و ميثاقه و أشد ما أخذ الله على نبي من أنبيائه من عهد و ذمه.

و ختم الكتاب، و رجع ابن حنيف حتى دخل دار الاماره و قال لأصحابه:

الحقوا رحمكم الله بأهلكم وضعوا سلاحكم و داووا جرحاكم. فمكثوا كذلك أياما.

ثم ان طلحه و الزبير قالان: ان قدم علي و نحن على هذه الحال من القله و الضعف بأعناقنا. فأجمعنا على مراسله القبائل و استماله العرب، فأرسلنا إلى وجوه الناس و أهل الرياسه و الشرف يدعونهم إلى الطلب بدم عثمان و خلع علي عليه السلام و إخراج ابن حنيف من البصره، فبايعهم على ذلك الأزد و ضبه و قيس عيلان كلها، إلا الرجل و الرجلين في القبيله كرهوا أمرهم فتواروا عنهم.

و أرسلوا إلى هلال بن و كيع التميمي فلم يأتهم، فجاءه طلحه و الزبير إلى داره فتواري عنهما، فقالت له امه: ما رأيت مثلك، أتاك شيخا قريش فتواريت عنهما! فلم تزل به حتى ظهر لهما و بايعهما، و معه بنو عمرو بن تميم كلهم و بنو حنظله، إلا بنى يربوع فإن عاقتهم كانوا شيعه لعلي عليه السلام، و بايعهم بنو دارم كلهم إلا نفرا من بنى مجاشع ذوى دين و فضل. فلما استوسق لطلحه و الزبير أمرهما، خرجا في ليله مظلمه ذات ريح و مطر و معهما أصحابهما قد ألبسوهم الدروع و ظاهرها فوقها بالثياب، فانتهوا إلى المسجد وقت صلاه الفجر و قد سبقهم ابن حنيف و اقيمت الصلاه، فتقدم ابن حنيف ليصلي بهم فأخّره أصحاب طلحه و الزبير و قدموا الزبير، فجاءت السبابجه، و هم الشرط حرس بين المال فأخّروا الزبير و قدموا ابن حنيف، فغلبهم أصحاب الزبير فقدموه.

-إلى أن قال:- فلما انصرف الزبير من صلاته صاح بأصحابه المتسلحين أن خذوا ابن حنيف. فأخذوه بعد أن تضارب هو و مروان بسيفيهما، فلما اسر ضرب ضرب الموت، و نتف حاجباه و أشفار عينيه و كل

شعره فى رأسه و وجهه و أخذوا السبابجه- و هم سبعون رجلا- فانطلقوا بهم و باين حنيف إلى عايشه، فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإن الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله. فنادى عثمان: يا عايشه و يا طلحه و يا زبير إن أخى سهل بن حنيف خليفه على بن أبى طالب على المدينة، و أقسم بالله إن قتلتمونى ليضعن السيف فى بنى أبيكم و أهليكم و رهطكم فلا يبقى منكم أحدا. فكفوا عنه و خافوا أن يوقع سهل بعيالاتهم و أهاليهم بالمدينة، فتركوه. و أرسلت عايشه إلى الزبير أن اقتل السبابجه، فإنه قد بلغنى الذى صنعوا بك، فذبهم الزبير- و الله- كما يذبح الغنم، ولى ذلك ابنه عبد الله- و هم سبعون رجلا- و بقيت منهم طائفه متمسكين بيت المال، و قالوا: لا ندفعه إليكم حتى يقدم أمير المؤمنين عليه السلام، فسار إليهم الزبير فى جيش ليلا فأوقع بهم، و أخذ منهم خمسين أسيرا فقتلهم صبورا.

و حدّثنا الصقعب قال: كانت السبابجه القتلى يومئذ أربعمائى رجل، فكان غدر طلحه و الزبير باين حنيف أول غدر كان فى الإسلام. و كان السبابجه أول قوم ضربت أعناقهم من المسلمين صبورا، و خيروا ابن حنيف بين أن يقيم أو يلحق بعلى، فاختار الرحيل، فخلوا سبيله فلحق بعلى عليه السلام، فلما رآه بكى و قال له: فارقتك شيخا و جئتك أمرد. فقال على عليه السلام: إنا لله و إنا إليه راجعون- ثلاثا-.

فلما بلغ حكيم بن جبلة ما صنع القوم بعثمان بن حنيف، خرج فى ثلاثمائى من عبد القيس مخالفا لهم و منابذا، فخرجوا إليه و حملوا عايشه على جمل، فسمى ذلك اليوم يوم الجمل الأصغر، و يوم على عليه السلام يوم الجمل الأكبر، و تجالذ الفريقان بالسيوف، فشدّ رجل من الأزدي من عسكر عايشه على حكيم بن جبلة فضرب رجله فقطعها، و وقع الأزدي عن فرسه فجثا حكيم

فأخذ رجله فرمى بها الأزدي فصرعه، ثم دب إليه فقتله متكئا عليه حتى زهقت نفسه، فمر رجل بحكيم و هو وجود بنفسه فقال: من فعل بك كذا، قال: و سادى، فنظر فإذا الأزدي تحته.

و كان حكيم شجاعا مذكورا، و قتل مع حكيم إخوه له ثلاثة، و قتل أصحابه كلهم و هم ثلاثمائة من عبد القيس و القليل منهم من بكر بن وائل، فلما صفت البصره لطلحه و الزبير بعد قتل حكيم و أصحابه و طرد ابن حنيف، اختلفا فى الصلاه و أراد كل واحد منهما أن يؤم بالناس، و خاف أن تكون صلاته خلف صاحبه تسليما أو رضى بتقدمه، فأصلحت بينهما عايشه بأن جعلت عبد الله بن الزبير و محمّد بن طلحه يصلّيان بالناس هذا يوما و هذا يوما.

ثم دخلا بيت مال البصره، فلما رأوا ما فيه من الأموال قال الزبير: «وَعَيَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ» (١)، فنحن أحقّ بها من أهل البصره.

فأخذوا ذلك المال، فلما غلب على عليه السلام رد تلك الأموال إلى بيت المال و قسمها فى المسلمين (٢).

قلت: و روى قريبا منه مع زياده و نقصان المفيد فى (جملة) عن أبى مخنف و ابن دأب و الواقدى و المدائنى (٣).

و قال ابن أبى الحديد أيضا: كان القسم بن محمّد بن يحيى بن طلحه الملقّب أبا بعره و لى شرطه الكوفه لعيسى بن موسى العبّاسى، و كان كلّم إسماعيل بن جعفر الصادق بكلام خرجا فيه إلى المنافره، فقال القسم: لم يزل فضلنا و إحساننا سابغا عليكم يا بنى هاشم خاصّه و على بنى عبد مناف كافه.

ص: ٥٦

١-١ (١) الفتح: ٢٠. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣١١: ٩-٣٢٣، و [٢] النقل بتصرّف و تلخيص.

٣-٣ (٣) الجمل للمفيد: ٢٧٣-٢٨٦. [٣]

فقال إسماعيل: أى فضل و إحسان أسديتموه إلى بنى عبد مناف؟ أغضب أبوك جدى بقوله: «ليموتن محمّد و لنجولن بين خلاخيل نسائه كما جال بين خلاخيل نسائنا» فأنزل الله تعالى مراغمه لأبيك: «و ما كان لكم أن تؤذوا رسول الله و لا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً» (١)، و منع ابن عمّك امى حقها من فدك و غيرها من ميراث أبيها، و أجلب أبوك على عثمان و حصره حتى قتل، و نكث بيعه على عليه السلام و شام السيف فى وجهه، و أفسد قلوب المسلمين عليه، فإن كان لبنى عبد مناف قوم غير هؤلاء أسديتم إليهم إحسانا فعزّفتنى من هم جعلت فداك (٢).

قلت: و فى (تاريخ بغداد): دخل أبو بكر بن عيّاش على موسى بن عيسى و هو على الكوفة و عنده عبد الله بن مصعب الزبيرى، فأدناه و دعا له بتكاء فاتكأ و بسط رجله، فقال عبد الله بن مصعب لموسى: من هذا الذى دخل و لم نستأذن له ثم اتكأته و بسطته؟ قال: هذا فقيه الفقهاء، و الرأس عند أهل البصره، أبو بكر بن عيّاش. فقال: فلا كثير و لا طيب و لا مستحق لكل ما فعلته به.

فقال ابن عيّاش: أيها الأمير من هذا الذى سألت عنى بجهل ثم تتابع فى جهله بسوء قول و فعل؟ فنسبه له، فقال له ابن عيّاش: اسكت مسكتا، فبأبيك غدر ببيعتنا، و بقول الزور خرجت ائمانا، و بآبائه هدمت كعبتنا، و بك أخرى ان يخرج الدجال فينا.

فضحك موسى حتى فحص برجله، و قال للزبيرى: أنا و الله أعلم أنه يحوط أهلك و أباك و يتولاه و لكنك مشؤوم على آباءك (٣).

ص: ٥٧

١- ١) الأحزاب: ٥٣. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٣٢٣-٩: ٣٢٤. [٢]

٣- ٣) تاريخ بغداد ٣٧٥: ١٤-٣٧٦. [٣]

قوله عليه السّلام في الأوّل : «فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلّى الله عليه وآله كما تجرّ الأمه عند شرائها، متوجهين بها إلى البصره فحبسا نساءهما في بيوتهما و أبرزا حبيس رسول الله صلّى الله عليه وآله لهما و لغيرهما» في (الطبرى): أقبل جاريه بن قدامه السعدى إلى عايشه يوم الجمل فقال لها: لقتل عثمان أهون من خروجك من بيتك على هذا الجمل الملعون عرضه للسلاح، إنّه قد كان لك من الله ستر و حرمة فهتكت سترك و أبحت حرمتك، إنّه من رأى قتالك يرى قتلك، إن كنت أتيتنا طائعه فارجعي إلى منزلك، و إن كنت أتيتنا مستكرهه فاستعيني بالناس.

و خرج غلام شاب من بنى سعد إلى طلحه و الزبير و قال: أما أنت يا زبير فحوارى النّبى صلّى الله عليه وآله، و أما أنت يا طلحه فوقيت النّبى بيدك، و أرى أمكم معكم فهل جئتما بنسائكما؟ قالوا: لا، قال: فما أنا منكما فى شىء، و اعتزل و قال:

صنتم حلائلكم و قد تم أمكم هذا لعمر ك قلّه الإنصاف

أمرت بجز ذيولها فى بيتها فهوت تشق البيد بالايجاف

غرضا يقاتل دونها أبنائها بالنبل و الخطى و الأسياف

هتكت بطلحه و الزبير ستورها هذا المخبر عنهم و الكافى (١)

هذا، و فى (الأغانى): كانت بالمدينه قينه لآل نفيس يقال لها بصيص، و كان مولاها صاحب قصر نفيس الذى يقول فيه الشاعر:

شاقنى الزائرات قصر نفيس مثقلات الأعجاز قَبّ البطون

و كان تأتيها فتیان من قريش فيستمعون منها، و يأتيها عبد الله بن مصعب بن ثابت بن عبد الله بن الزبير، و حجّ المنصور و مر بالمدينه فى منصرفه، فقال عبد الله بن مصعب:

أ راحل أنت أبا جعفر من قبل أن تسمع من بصبصا

ص: ٥٨

هيهات أن تسمع منها إذا جاوزت العيس بك الأعوصا

فخذ عليها مجلسى لذه و مجلسا من قبل أن تشخصا

أحلف بالله يمينا و من يحلف بالله فقد أخلصا

لو أنها تدعو إلى بيعه بايعتها ثم شقت العصا

فبلغ ذلك المنصور فغضب، و دعا به و قال له: أمّا إنكم يا آل الزبير قديما قادتكم النساء و شققتم معهنّ العصا حتى صرت أنت آخر الحمقى تابع المغنّيات، فدونكم آل الزبير و هذا المرتع الوخيم (١).

«فى جيش ما منهم رجل إلا و قد أعطانى الطاعة و سمح» أى: جاد.

«لى بالبيعه طائعا غير مكره» حتى مروان بن الحكم، و جيشهما و إن كان مقدار منهم من مكّه و مقدار منهم من البصره، و هم لم يحضروا بيعته عليه السلام، إلا أنّ عمّاله عليه السلام كانوا أخذوا منهم البيعه.

قوله عليه السلام فى الأوّل: «فقدموا على عاملى بها و خزّان بيت مال المسلمين و غيرهم من أهلها» و فى الثانى: «فقدموا على عمّالى و خزّان بيت مال المسلمين الذى فى يدى و على أهل مصر كلّهم فى طاعتى و على بيعتى» فى (فتوح البلاذرى):

كانت جماعه من السباجه موكلين بيت مال البصره، يقال إنهم أربعون، و يقال أربعمائنه، فلما قدم طلحه و الزبير البصره و عليها من قبل علىّ عليه السلام عثمان بن حنيف، فأبوا أن يسلموا بيت المال إلى قدوم علىّ عليه السلام، فأتوهم فى السحر فقتلوهم، و كان عبد الله بن الزبير المتولّى لأمرهم فى جماعه تسرعوا إليهم معه، و كان علىّ السباجه يومئذ أبو سالمه الزطى و كان رجلا صالحا (٢).

ص: ٥٩

١- (١) الأغاني ٢٨: ١٥-٢٩. [١]

٢- (٢) فتوح البلدان: ٣٦٩ [٢] فى ذكر أمر الأساوه و الزط.

و قد عرفت من روايه أبي مخنف أنّ قتل ابن الزبير كان بطلب امّ مؤمنيهم ذلك.

هذا، و في (الصحاح): السباجه قوم من السند كانوا بالبصره جلاوزه و حرّاس السجن (١).

و هو كما ترى فإنهم كانوا حرّان بيت المال لا حرّاس السجن.

قوله عليه السّلام فيه : «فشئتوا كلمتهم و أفسدوا عليّ جماعتهم، و وثبوا على شيعتي فقتلوا طائفه منهم غدرا» و في الأوّل: «فقتلوا طائفه صبورا و طائفه غدرا» أمّا الذين قتلوا غدرا فهم على روايه أبي مخنف المتقدّمه السبعون من السباجه، كانوا نصرّوا ابن حنيف فغدرّوا بهم في غدرهم بابت حنيف، فذبّحهم ابن الزبير من قبل أبيه بطلب امّهم كما يذبّح الغنم، و أمّا الذين قتلوهم صبورا فهم الذين أبوا تسليم بيت المال و هم خمسون في قول و أربعمائه في آخر.

و مرّ خبر أبي مخنف في أن غدر طلحه و الزبير كان أوّل غدر في الإسلام، و قتل أولئك صبورا أوّل قتل في الإسلام صبورا.

قلت: و غدرهم كان مرتبا على أوّل غدر في الإسلام، و هو غدرهم بصاحب الغدير، و قد أخبره النّبىّ صلّى الله عليه و آله بذلك في قوله: إنّ الامّه ستغدر بك بعدى.

قول المصنّف في الثّاني : «و من كلام له» هكذا في (المصريه) (٢) و (ابن أبي الحديد) (٣)، و لكن في (ابن ميثم): «و من هذا الكلام» (٤) و في (الخطيبه):

«و منه».

ص: ٦٠

١-١ (١) الصحاح ٣٢١:١، [١] ماده: (سج).

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ٢٢٨:٢.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢١:١١.

٤-٤ (٤) في شرح ابن ميثم ٥٠:٤، و [٢] من كلام له عليه السّلام أيضا.

قوله عليه السّلام فى الثّانى: «و طائفه منهم» هكذا فى (المصريه) (١)، و كلمه (منهم) زائده لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (٢).

«عضوا على أسيافهم فصاربوا بها حتّى لقوا الله صادقين» المراد بهم من قتل يوم الجمل الأصغر، خروج حكيم بن جبلة مع ثلاثه إخوه له و ثلاثمائه أكثرهم من عشيرته عبد القيس و جهادهم معهم حتّى قتلوا عن آخرهم.

قوله عليه السّلام فى الأوّل: «فو الله لو لم يصيبوا من المسلمين إلّا رجلا واحدا معتمدين» أى: قاصدين لقتله.

«بلا- جرم جرّه لحل لى قتل ذلك الجيش كله» فإنّ جميع النّاس لو اشتركوا فى قتل واحد جاز قتل الجميع، و الجيش و إن لم يشترك جميعهم فى قتل من قتل، بل ابن الزبير و عدّه أو هو وحده، إلّا أنّه لمّا كان ذلك بقوّه باقى الجيش مع عدم إنكارهم و دفاعهم كما قال عليه السّلام:

«إذ حضروه فلم ينكروه و لم يدفعوا عنه بلسان و لا بيد» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب: «و لا يد» كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيّه) (٤) كان كاشتراكهم .

«دع ما انهم قد قتلوا من المسلمين مثل العدّه التى دخلوا بها عليهم» يعنى إذا كان قتل جميع الجيش حلالا- لقتل واحد عمدا، كيف لا- يحل قتلهم لمثل تلك العدّه التى قتلوها، خزّان بيت المال كانوا أربعمائه على روايه أبى مخنف عن الصّقعب، و أصحاب حكيم بن جبلة كانوا ثلاثمائه.

و فى روايه (رسائل الكلينى): فدعوا النّاس إلى معصيتى و نقض بيعتى،

ص: ٦١

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٢٢٨.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٢١، و [١] لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ٥٠: [٢] طائفه منهم أيضا.

٣- ٣) نهج البلاغه ٢: ١٠٤. [٣]

٤- ٤) فى شرح ابن أبى الحديد ٩: ٣٠٩ و [٤] شرح ابن ميثم ٣: ٣٣١ و [٥] لا بيد أيضا.

فمن أطاعهم أكفروه و من عصاهم قتلوه، فاجزهم حكيم بن جبلة فقتلوه فى سبعين رجلا من عباد أهل البصره و محبتيهم يسمون المثفين، كأن راح أكفهم ثفات الإبل. و أبى أن يبايعهم يزيد بن حارث اليشكرى فقال: اتقيا الله، إن أولكم قادننا إلى الجنة، فلا يقودنا آخركم إلى النار، فلا تكلفونا أن نصدق المدعى و نقضى على الغائب. أما يمينى فشغلها على بن أبى طالب عليه السلام، و هذه شمالي فارغه فحذاها إن شتتما. فحنت حتى مات.

و قام عبد الله بن حكيم التميمى فقال: يا طلحه هل تعرف هذا الكتاب، ألك؟ قال: نعم- فإذا فيه عيب عثمان و الدعاء إلى قتله- فسيره من البصره، و أخذوا عاملى عثمان بن حنيف الأنصارى غدرا فمثلوا به كل مثله و نتفوا كل شعره فى رأسه و وجهه... (١).

و أقيا عدّه طلحه و الزبير و عايشه التى دخلوا بها البصره، ففى (الطبرى): فى اسناد عن الزهرى أنهم خرجوا من مكّه فى سبعمائه رجل من أهل المدينه و مكّه، ثم لحقهم الناس حتى كانوا ثلاثه آلاف (٢).

هذا و فى (صفين نصر): أنه عليه السلام لما ورد الكوفه بعد فتح البصره قام إليه أبو بردة بن عوف الأزدي- و كان ممن تخلف عنه عليه السلام- فقال: أرايت القتلى حول عايشه و طلحه و الزبير بم قتلوا؟ فقال عليه السلام: قتلوا شيعة و عمالى، و قتلوا أخا ربيعه العبدى رحمه الله عليه فى عصابه من المسلمين، قالوا لهم لا- ننكث كما نكثتم و لا- نغدر كما غدرتم، فوثبوا عليهم فقتلوهم، فسألتهم أن يدفعوا إلى قتله إخوانى أقتلهم بهم، ثم كتاب الله حكم بينى و بينهم، فأبوا على فقاتلوني و فى أعناقهم بيعتى، و دماء قريب من ألف رجل من شيعة فقتلتهم

ص: ٦٢

١-١) رسائل الكليني.

٢-٢) تاريخ الطبرى سنه ٣٦، ٤٥٢: ٤. [١]

بهم. أ في شك أنت من ذلك؟ فقال: قد كنت في شك، فأما الآن فقد استبان لي خطوهم، وإنك أنت المهدى المصيب (١).

٧

الكتاب (٥٧)

و من كتاب له عليه السلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة:

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هَيْدًا - إِمَّا ظَالِمًا وَ إِمَّا مَظْلُومًا وَ إِمَّا بَاطِلًا وَ إِمَّا مَبْغِيًّا عَلَيْهِ - وَ إِنِّي أَذْكُرُ اللَّهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هَيْدًا لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ - فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِنًا أَعَانَنِي - وَ إِنْ كُنْتُ مُسِيئًا اسْتَعْتَبَنِي أَقُولُ: رَوَى هَذَا الْكِتَابَ أَبُو مَخْنَفٍ فِي (جَمَلُهُ ١) أَبُو مَخْنَفٍ - الْجَمَل -)، وَ قَدْ نَقَلَهُ (ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢) ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شَرْحُ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ - ج ١٤ ص ٩ تا ١١) فِي شَرْحِ كِتَابِهِ الْأَوَّلِ، رَوَى: أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَزَلَ الرَّبِذَةَ بَعَثَ هَاشِمَ بْنَ عَتْبَةَ إِلَى أَبِي مُوسَى، فَتَوَعَّدَهُ أَبُو مُوسَى، فَكَتَبَ هَاشِمٌ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِذَلِكَ، فَبَعَثَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ابْنَ عَبَّاسٍ وَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ إِلَى أَبِي مُوسَى فَأَبْطَأَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَرَحَلَ عَنِ الرَّبِذَةِ إِلَى ذِي قَارٍ وَ بَعَثَ مِنْهَا الْحَسَنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَمَّارًا وَ زَيْدَ بْنَ صُوحَانَ وَ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عَبَادَةَ، وَ كَتَبَ مَعَهُمْ هَذَا الْكِتَابَ. وَ لَقَدْ حَكَى مَضْمُونَهُ الْحَسَنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ عَمَّارٌ لِأَهْلِ الْكُوفَةِ (٢).

ففي (الطبري): أنه عليه السلام كتب مع الحسن و عمارة إلى أبي موسى باعتزاله، و ولاية قرظ بن كعب مكانه، و لما دخل الحسن عليه السلام و عمارة مسجد الكوفة قالوا: أيها الناس إن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: إنني خرجت مخرجي هذا ظالما أو مظلوما، و إنني اذكر الله رجلا دعى لله حقا إلا نفر، فإن كنت مظلوما

ص: ٦٣

١ - ١) وقعه صفين: ٤-٥. [١]

٢ - ٢) شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤-١١. [٢]

أعانني، وإن كنت ظالما أخذ مني. والله إن طلحه و الزبير لأول من بايعني و أول من غدر، فهل استأثرت بمال أو بدلت حكما؟ فانفروا، فمروا بمعروف، و انهوا عن منكر (١).

و إنما كتب عليه السّلام إلى أهل الكوفة هذا الكتاب لأن أبا موسى كان يأمرهم بالتقاعد، و يقول لهم: «هذه فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، و اليقظان خير من القاعد، و القاعد خير من القائم، و القائم خير من الراكب. اغمدوا سيوفكم و انصلوا أسنتكم، و اقطعوا أوتار قسيكم حتى يلتئم هذا الأمر، و تنجلي هذه الفتنة. و إنني سمعت ذلك من النبي» (٢).

قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السّلام إلى أهل الكوفة عند مسيره من المدينة إلى البصرة» قد عرفت من خبر أبي مخنف أنّه كان من ذى قار.

قوله: «أما بعد فإنني خرجت من حبي هذا» هكذا في (المصريه) (٣) و في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٤): «عن حبي هذا». ثم «حبي» في كل النسخ، قال ابن أبي الحديد: معناه منزلي (٥). و قال ابن ميثم: قبيلتي (٦).

و أقول: «من حبي» أو «عن حبي» تصحيف من الرضى رضى الله عنه، و الأصل (مخرجي). فمستنده، و هو كتاب أبي مخنف «فاني خرجت مخرجي هذا» (٧).

و مرّ أيضا: نقل الحسن عليه السّلام و عمّار رضى الله عنه كلامه عليه السّلام لأهل الكوفة بلفظ

ص: ٦٤

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦. [١]

٢- (٢) المصدر نفسه ٤: ٤٨٦-٤٨٧، سنة ٣٦.

٣- (٣) نهج البلاغه ٣: ١٢٥. [٢]

٤- (٤) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠، و [٣] لكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣: من حبي أيضا.

٥- (٥) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠.

٦- (٦) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣.

٧- (٧) شرح ابن أبي الحديد ١٤: ١١. [٤]

(مخرجي) و لا يخفى قريهما خطأ فاشتبه عليه.

«أما ظالما و أما مظلوما، و أما باغيا و أما مبغيا عليه» فإن من خرج لقتال لا بد أن يكون من أحدهما .

«و إني» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: (و انا)، كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٢) و الخطيه).

«اذكر الله» الله مفعول ثانٍ قَدَمٌ للأهميه.

«من» مفعول أول.

«بلغه كتابي هذا لما» قال ابن أبي الحديد: «لما» بمعنى إلا كقوله تعالى:

«إِنْ كُئِلْ نَفْسٌ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ» (٣)، و قال (٤) ابن ميثم: لَمَّا مشدده بمعنى إلا- و مخففه، و (ما) زائده دخل عليها لام التأكيد أي: لينفرن إلي (٥).

قلت: كون لَمَّا بمعنى إلا إن ثبت، شرطه تقدّم (ان) نفى و ليس في كلامه عليه السلام فتعين الثاني.

«نفر» أي: شخص.

«إليّ فإن كنت محسنا أعاني» و روى الطبري عن محمد بن الحنفية قال:

أقبلنا من المدينه بسبعمائيه رجل، و خرج إلينا من الكوفه سبعة آلاف، و انضم إلينا من حولنا ألفان، أكثرهم بكر بن وائل- و يقال ستة آلاف (٦).

و عن أبي الطفيل قال عليّ عليه السلام: يأتيكم من الكوفه اثنا عشر ألف رجل

ص: ٦٥

١- ١) نهج البلاغه ٣: ١٢٥. [١]

٢- ٢) هكذا في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠، و [٢] لكن في شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣: و إني أيضا.

٣- ٣) الطارق: ٤. [٣]

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٤٠. [٤]

٥- ٥) شرح ابن ميثم ٥: ١٩٣.

٦- ٦) تاريخ الطبري ٤: ٥٠٦، سنه ٣٦. [٥]

و رجل، فقعدت على نجفه ذى قار، فأحصيتهم فما زادوا رجلا ولا نقصوا رجلا (١).

«و إن كنت مسيئا استعبنى» أى: طلب رجوعى.

فى (خلفاء ابن قتيبه): قال عمّار لأهل الكوفه: أيها الناس إن أبا موسى ينهاكم عن الشخوص إلى هاتين الجماعتين، و ما صدق فيما قال و ما رضى الله عن عباده بما قال، قال عزّ و جل: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تَفِيءَ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» (٢). و قال تعالى: «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» (٣)، فلم يرض من عباده بما ذكره أبو موسى، من أن يجلسوا فى بيوتهم و يخلّوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض، فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين و اسمعوا من حججهم و انظروا من أولى بالنصر فاتبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتم مأجورين، و قد قضيتم حق الله، و إن بغى بعضهم على بعض، نظرتم إلى الفئه الباغيه فقاتلتموها حتى تفيء إلى أمر الله كما أمركم الله و افترض عليكم (٤).

و روى (جمل أبى مخنف): أن عمّارا قال لأبى موسى: أما إنى أشهد أن رسول الله صلّى الله عليه و آله أمر عليا بقتال الناس، و سمى له فيهم من سمى، و أمرهم بقتال القاسطين و إن شئت لأقيم لك شهودا يشهدون أن النبى صلّى الله عليه و آله إنما نهاك

ص: ٦٦

١- ١) المصدر نفسه ٥٠٠: ٤، سنة ٣٦.

٢- ٢) الحجرات: ٩. [١]

٣- ٣) الأنفال: ٣٩. [٢]

٤- ٤) الإمامه و السياسه ٦٦: ١. [٣]

وحدك و حدرك من الدخول في الفتنة (١).

قلت: ونهى النبي صلى الله عليه وآله لأبي موسى وحده، كما نقله عمّار من آيات نبوته، فأبو موسى صار منشأ لفتنتين، الأولى فتنة تثبيطه الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام، فهو كان متفرداً في ذلك، فعبد الله بن عمر و سعد بن أبي وقاص و محمد بن مسلمه و المغيرة بن شعبه اعتزلوه عليه السلام و اعتزلوا غيره و لم يثبطوا الناس مثل أبي موسى عنه عليه السلام.

و قد أشار إلى ذلك زيد بن صوحان -و كان من الجلال بمكان اعترفت به عايشه مع كونها مبغضه لشيعه أمير المؤمنين عليه السلام مثله (٢)-.

ففي (الطبري): لما أمر أبو موسى الناس بالتثبيط، قام إليه زيد بن صوحان و شال يده المقطوعه و أومى إلى أبي موسى و تلا: «الم أ حسب الناس أن يتركوأ أن يقولوا آمنا و هم لا يفتنون و لقد فتنا الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا و ليعلمن الكاذبين» (٣) ثم نادى: سيروا إلى أمير المؤمنين صراط سيد المرسلين، و انفروا إليه أجمعين (٤).

و الثانيه: فتنة حكميته و خبطه في ذلك أيضا واضح لا يحتاج إلى بيان.

و قد رد على أبي موسى غير عمّار و زيد عبد خير الخيواني، ففي (الطبري): أنه قال لأبي موسى: أخبرني عن هذين الرجلين ألم يبايعا عليا عليه السلام؟ قال: بلى. قال: فأحدث علي عليه السلام حدثا يحل به نقض بيعته؟ قال: لا أدري، قال: لا دريت و لا أتيت، إذا كنت لا تدري فنحن تاركوك حتى تدري، أخبرني هل تعلم أحدا خارجا عن هذه الفرق الأربع علي يظهر الكوفه و طلحه

ص: ٦٧

١-١ (١) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ١٤:١٥. [١]

٢-٢ (٢) انظر الجمل للمفيد: ٤٣١، ٢٥١، ٢٤٨، ٥١، و [٢] أماليه: ٢١٧-٢١٨.

٣-٣ (٣) العنكبوت: ٣-١. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ الطبري ٤:٤٨٤، سنة ٣٦. [٤]

و الزبير. البصره و معاويه بالشام و فرقه رابعه بالحجاز قعود لا- يجيبى بهم فى ء و لا يقاتل بهم عدو؟ قال أبو موسى: أولئك خير الناس، فقال له عبد خير:

اسكت يا أبا موسى فقد غلب عليك غشك (١).



الكتاب (٦٣)

و من كتاب له عليه السلام إلى أبى موسى الأشعريّ- و هو عامله على الكوفه- و قد بلغه عنه تشييطه الناس عن الخروج إليه لما ندبهم لحرب أصحاب الجمل:

مَنْ عَبَدَ اللَّهَ؟ عَلِيٌّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ إِلَى؟ عَبِيدَ اللَّهِ بِنِ قَيْسٍ؟- أَمَا بَعِيدٌ فَصَدَّ بَلَعْنِي عَنِّيكَ قَوْلُ هُوَ لَمَكَ وَ عَلَيْكَ- فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ- وَ أَشَدُّ مِثْرَكَ وَ أَخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ وَ انْدُبْ مِنْ مَعَكَ- فَإِنْ تَحَقَّقْتَ فَانْفُذْ وَ إِنْ تَفَشَّلتَ فَابْعُدْ- وَ أَيْمَ اللَّهِ لَتَوْتِيَنَّ مِنْ حَيْثُ أَنْتَ- وَ لَا تُتْرَكَ حَتَّى يُخَلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ- وَ ذَائِبِكَ بِجَامِدِكَ- وَ حَتَّى تُعْجَلَ عَنْ فِعْدَتِكَ- وَ تَحْدَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَيْذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ- وَ مَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو- وَ لَكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى- يُزَكُّبُ جَمَلُهَا وَ يُبْذَلُ صِيْعُهَا وَ يُسِيْهُلُ جَبَلُهَا- فَاعْقِلْ عَقْلَكَ وَ امْلِكْ أَمْرَكَ وَ حُدْ نَصِيْبَكَ وَ حَظَّكَ- فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ وَ لَا فِي نَجَاهٍ- فَبِالْحَرِيِّ لَتَكْفَيْنَنَّ وَ أَنْتَ نَائِمٌ حَتَّى لَا يُقَالَ أَيْنَ فُلَانٌ- وَ اللَّهُ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَ مَا أَبَالِي مَا صَيَّعَ الْمُلْحِدُونَ- وَ السَّلَامُ قَوْلَ الصَّنْفِ «و من كتاب له عليه السلام إلى أبى موسى الأشعريّ و هو عامله على الكوفه» فى (تاريخ اليعقوبى): عزل على عليه السلام عمال عثمان عن البلدان خلا

ص: ٦٨

أبى موسى و هو الأشعريّ كلمه الأشر، فأقرّه (١).

«و قد بلغه عنه تشييطه» أى: توقيفه.

«الناس عن» و فى (المصريه): (على) (٢) غلط.

«و الخروج إليه لَمَّا ندبهم لحرب الجمل» هكذا فى (المصريه و ابن أبى الحديد) (٣) و لكن ليس فى (ابن ميثم): جملة (لَمَّا ندبهم) (٤) و لعلّه سقط من النسخه.

و كيف كان ففى (المروج): لَمَّا كاتب على عليه السلام أبا موسى- فثبطهم و قال:

إنّما هى فتنه، فسمى ذلك إليه عليه السلام- ولى على الكوفه قرظه بن كعب الأنصارى و كتب إلى أبى موسى: «اعتزل عملنا يا ابن الحائك مذؤوما مدحورا، فما هذا أوّل يومنا منك، و إن لك فيها لهنات و هنيات» (٥).

و عن محمّد بن إسحاق: قدم محمّد بن جعفر و محمّد بن أبى بكر الكوفه لاستنفار الناس، فدخل قوم منهم على أبى موسى ليلا فقالوا له: أشر علينا برأيك فى الخروج مع هذين الرجلين إلى على، فقال لهم: أمّا سبيل الآخره فالزموا بيوتكم، و أمّا سبيل الدّنيا فاشخصوا معهما. فمنع بذلك أهل الكوفه من الخروج، و بلغهما ذلك فأغلظا له، فقال لهما: إنّ بيعه عثمان لفى عنق على و عنقى و أعناقكما... (٦).

ص: ٦٩

١- ١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٧٩. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٣: ١٣٣. [٢]

٣- ٣) نهج البلاغه ٣: ١٣٣، [٣] شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٦. [٤]

٤- ٤) فى شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: لَمَّا ندبهم لحرب أصحاب الجمل أيضا.

٥- ٥) مروج الذهب ٢: ٣٦٨-٣٦٩. [٥]

٦- ٦) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٤. [٦]

و مثله (خلفاء ابن قتيبه) إلا أنه قال: بعث عمّارا و محمّد بن أبي بكر (١).

و عن أبي مخنف: أنّ عليّ عليه السّلام بعث من الرّبذه هاشم بن عتبة إلى أبي موسى، و كتب إليه: أتى قد بعثت إليك هاشما لتشخص إلى من قبلك من المسلمين ليتوجهوا إلى قوم نكثوا بيعتى و قتلوا شيعتى و أحدثوا فى الإسلام هذا الحدث العظيم، فاشخص بالناس إلىّ معه حين يقدم إليك، فانى لم أولك المصر الذى أنت فيه، و لم اقركّ عليه إلا لتكون من أعوانى على الحقّ، و أنصارى على هذا الأمر (٢).

و رواه الطبريّ مع اختصار (٣).

و عن أبي مخنف: فبعث هاشم بن عتبة من الكوفه المحل بن خليفه إلى عليّ عليه السّلام بالرّبذه، و كتب معه إليه عليه السلام: «إنى قدمت بكتابك على امرىء مشاق بعيد الود، ظاهر الغل و الشنآن، فتهدنى بالسجن و خوفنى بالقتل.

فبعث عليه السّلام ابن عبّاس و محمّد بن أبي بكر إليه و كتب معهما إليه: أما بعد يا بن الحائك يا عاضّ اير أبيه، فو الله إنى كنت لأرى أنّ بعدك من هذا الأمر الذى لم يجعلك الله له أهلا، و لا جعل لك فيه نصيبا، سيمنعك من ردّ امرى و الابتزاز علىّ، و قد بعثت إليك ابن عبّاس و ابن أبي بكر فخلّهما و المصر و أهله، و اعتزل عملنا مذؤوما مدحورا، فإن فعلت و إلا فإنى قد أمرتهما على أن يباذلك على سواء، «أنّ الله لا- يهدى كيد الخائنين» (٤)، فإذا ظهرا عليك قطعاك إربا إربا، و السلام على من شكر النعمة و وفى بالبيعه و عمل برجاء العاقبه (٥).

ص: ٧٠

١-١ (١) الإمامه و السياسه ١:٦٥-٦٦. [١]

٢-٢ (٢) نقله عنه المفيد فى الجمل: ٢٤٢ و [٢] ابن أبي الحديد فى شرح النهج ٩:١٤. [٣]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٤:٤٩٩، سنه ٣٦. [٤]

٤-٤ (٤) يوسف: ٥٢. [٥]

٥-٥ (٥) نقله عنه المفيد فى الجمل: ٢٤٢-٢٤٣ و [٦] ابن أبي الحديد فى شرح النهج ٩:١٤-١٠. [٧]

و رواه الطبري إلا أنه قال: بعث الحسن عليه السلام و عمّارا يستنفران الناس، و بعث قرظہ أميرا و كتب معه إلى أبي موسى: فقد كنت أرى أن عزوبك عن هذا الأمر الذي لم يجعل الله تعالى لك منه نصيبا، سيمنعك من ردّ أمرى، و قد بعث الحسن و عمّارا يستنفران الناس، و بعث قرظہ واليا على مصر، فاعتزل عملنا مذؤوما مدحورا، فإن لم تفعل فإنّي قد أمرته أن ينادك فإن نابتة فظفر بك ان يقطعك آرابا (١).

قوله عليه السلام «من عبد الله على أمير المؤمنين» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (٢) و لكن ليس في (ابن ميثم): كلمه (على) (٣).

«إلى عبد الله بن قيس» و هو أبو موسى الأشعري .

«اما بعد فقد بلغني عنك قول هو لك و عليك» .

قال ابن أبي الحديد: أراد به أن أبا موسى كان يقول لأهل الكوفه: إن علينا إمام هدى و بيعته صحيحه، إلا أنه لا يجوز القتال معه مع أهل القبله، و هذا القول بعضه حقّ و بعضه باطل (٤).

قلت: كون المراد ما ذكر غير معلوم، فلم يعلم أولا. أن أبا موسى قال ما نسب إليه، و إنما روى المفيد في (جمله): أن ابن عباس خدعه بأن أمير المؤمنين عليه السلام يقره على حكومته، فأخذ البيعه له من الناس.

فروى أن ابن عباس قال له عليه السلام: ابعث إلى الكوفه ابنك الحسن عليه السلام و عمّارا و أنا أخرج معهما، فلما وصلوا قال لهما: إن أبا موسى عاق، فإذا رفقنا به أدر كنا حاجتنا، فقالا له: افعل ما شئت.

ص: ٧١

١- (١) تاريخ الطبري ٤: ٤٩٩-٥٠٠، سنة ٣٦. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ٣: ١٣٣. [٢] شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦. [٣]

٣- (٣) في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤. [٤] على أمير المؤمنين أيضا.

٤- (٤) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦. [٥]

فقال لأبي موسى: إن عليًا عليه السلام أرسلنا إليك لما يظن من سرعتك إلى طاعه الله ورسوله، ومصيرك إلى ما أحبنا أهل البيت، وقد علمت فضله و سابقته في الإسلام و يقول لك: أن تابع الناس يقرّك على عملك و يرضى عنك. فانخدع و صعد المنبر فبايع له عليه السلام ثم نزل (١).

و ثانيا: إنّه لو ثبت ما نسب إليه، لم يعلم صحّ التعبير عنه بأنه (قول لك و عليك)، و لعل في الروايه تحريفا، و أنّ الأصل: (قول هو عليك لا لك).

فروى ابن قتيبه و أبو مخنف: إنّ أبا موسى قال لرسوليه عليه السلام محمّد بن أبي بكر و عمّارا و محمّد بن جعفر: بأنّنا لو أردنا قتالا ما كنّا نبدأ بأحد من قتله عثمان (٢).

و لانزومه نصره له عليه السلام في حربه مع طلحه و الزبير و عايشه لا اعترافه بدخالتهم في قتل عثمان، و اعتزاله عليه السلام عنه فيكون قوله عليه لا له.

و يمكن أيضا بأن يقال: بأنّ قوله ذاك عليه لا له، بأنّ قوله يستلزم حليه قتل عمّار، مع ان من المتواتر قول النّبى صلّى الله عليه و آله: «عمّار تقتله الفئة الباغية»، فضلا عن كونه مجمعا على جلاله.

و في (خلفاء ابن قتيبه): إنّ عمّارا قال: يا أهل الكوفه إن كان غابت عنكم امورنا فقد انتهت إليكم أنباؤنا، إن قتله عثمان لا يعتذرون من قتله إلى الناس، و لا ينكرون ذلك، و قد جعلوا كتاب الله بينهم و بين محاجبيهم، فبه أحبى الله من أحبى و أمات من أمات، و إنّ طلحه و الزبير كانا أوّل من طعن و آخر من أمر، و كانا أوّل من بايع عليًا عليه السلام، فلمّا أخطأهما ما أملاه

ص: ٧٢

١-١) الجمل للمفيد: ٢٦١. [١]

٢-٢) الإمامه و السياسه ١: ٦٦، [٢] شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٤. [٣]

نكثا بيعتهما من غير حدث (١).

و أى قول كان من أبى موسى له و قد بين عمّار كون قوله كلّه عليه.

ففى (خلفاء ابن قتيبه): لَمَّا صعد أبو موسى المنبر و قال: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ الَّذِينَ صَحَبُوهُ فِي الْمَوَاطِنِ أَعْلَمَ بِاللَّهِ وَ رَسُولِهِ مِمَّنْ لَمْ يَصْحَبْهُ، وَ إِنَّ لَكُمْ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أُوَدِّيَهُ إِلَيْكُمْ، إِنَّ هَذِهِ الْفِتْنَةُ النَّائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ الْيَقْظَانِ، وَ الْقَاعِدُ خَيْرٌ مِنَ الْقَائِمِ، وَ الْقَائِمُ فِيهَا خَيْرٌ مِنَ السَّاعِي، وَ السَّاعِي خَيْرٌ مِنَ الرَّكَّابِ، فَاعْمَدُوا سِيُوفَكُمْ حَتَّى تَنْجَلِيَ هَذِهِ الْفِتْنَةُ، قَامَ عَمَّارٌ وَ قَالَ: أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَبَا مُوسَى يَنْهَاكُمْ عَنِ الشَّخْصِ إِلَى هَاتَيْنِ الْجَمَاعَتَيْنِ - وَ مَا صَدَقَ فِيمَا قَالَ وَ لَا رَضِيَ اللَّهُ مِنْ عِبَادِهِ بِمَا قَالَ - قَالَ عَزَّ وَ جَلَّ: «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنَّ فَاءَ تِ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَ أَقْسَطُوا» (٢) وَ قَالَ تَعَالَى: «وَ قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَ يَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ» (٣)، فلم يرض من عباده بما ذكر أبو موسى من أن يجلسوا فى بيوتهم و يخلوا الناس فيسفك بعضهم دماء بعض - فسيروا معنا إلى هاتين الجماعتين و اسمعوا من حججهم، و انظروا من أولى بالنصره فاتبعوه، فإن أصلح الله أمرهم رجعتم ماجورين و قد قضيتم حق الله تعالى، و إن بغى بعضهم على بعض نظرتم إلى الفئه الباغيه، فقاتلوهم حتى تفيء إلى أمر الله كما امرتم و افترض عليكم (٤).

و كذلك ردّ على أبى موسى قوله كلّه عبد خير الخيوانى كما مر فى العنوان السابق.

ص: ٧٣

١ - ١) الإمامه و السياسه ١: ٦٧. [١]

٢ - ٢) الحجرات: ٩. [٢]

٣ - ٣) الأنفال: ٣٩. [٣]

٤ - ٤) الإمامه و السياسه ١: ٦٦. [٤]

و لو صحّت روايه المصنّف:(قول هو لك و عليك)،فمحمول على أنّ ما نقله أنّ النّبىّ صَلَّى اللهُ عليه و آله قال له:إنّ هذه الفتنه النائم فيها خير من اليقظان،قاله له خاصه لعلمه صَلَّى اللهُ عليه و آله بانحرافه عنه،فقال صَلَّى اللهُ عليه و آله له:من كان فى فتنه الناكثين نائما كسعد و ابن عمرو لم يخذلا الناس عنه عليه السّلام كما لم ينصراه،خير من أبى موسى الذى كان قائما بخذل الناس عنه عليه السّلام.

و يشهد له روايه أبى مخنف:(لَمّا صعد أبو موسى المنبر و قال:كأنى أسمع النّبىّ صَلَّى اللهُ عليه و آله بالأمس يذكر الفتن فيقول:أنت فيها نائما خير منك قاعدا -إلى أن قال-قام عمّار و قال له:إن كنت صادقا فإنّما عناك بذلك وحدك و اتخذ عليك الحجّه،فألزم بيتك و لا تدخلن فى الفتنه،أما إنى أشهد أنّ النّبىّ صَلَّى اللهُ عليه و آله أمر عليا بقتال الناكثين-و سمى له فيهم من سمى-و أمره بقتال القاسطين،و إن شئت لأقيمن لك شهودا أنّ النّبىّ صَلَّى اللهُ عليه و آله إنّما نهاك وحدك و حدّرك من الدخول فى الفتنه-ثم قال له:اعطنى يدك على ما سمعت-فمد يده إليه-فقال له عمّار:

غلب الله من غالبه و جاحده ثم جذبه فنزل (١).

و رواه الطبرىّ مختصرا (٢).

«فاذا قدم رسولى» و لعل المراد به قرظه بن كعب الأنصارى كما مر عن (المروج) (٣).

«عليك فارفع ذيلك» (ارفع ذيلك) كقولك شمّر ذيلك.

«و اشدّد مئزرَكَ» كقولك:(اشدّد حيازيمك).

«و اخرج من جحرِكَ» قال ابن أبى الحديد:كنايه غض عن أبى موسى

ص:٧٤

١-١ (١) نقله عنه المفيد فى الجمل:٢٥٢. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٤:٤٨٦-٤:٤٨٧، سنة ٣٦. [٢]

٣-٣ (٣) مروج الذهب ٢:٣٦٨-٢:٣٦٩. [٣]

جعله ثعلبا أو ضبا (١).

قلت: فيه أولًا: أنّ الجحر لم يأت للثعلب بل للضب و الحيه، و إنّما يأتى للثعلب كالأرنب المكو كما صرح به الثعالبي في (فقه لغته) (٢).

و قال الشاعر:

و لا ترى الضب بها ينجر

و في كلامه عليه السلام: أو انجر انجر الضبه في جحرها (٣) و ثانيًا: من أين أنه كناية غض و ليس من قبيل قولهم: «دخلوا في مجاخرهم» أي: في مكائهم، و يشهد له كونه في سياق (ارفع ذيلك و اشدد مئزرك)، فيكون الكل في معنى الأمر بالجد في الأمر و إنّ بعده.

«فانذب» أي: إلى حرب أهل البصره.

«من معك» أي: من أهل الكوفه.

«فان تحققت» هكذا في (المصريه) (٤)، و الصواب: (فان حققت) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٥).

«فانفذ» أي: إذا تبين لك ان حرب الناكثين حق فأجر النذب إليهم.

«و إن تفشلت» أي: خفت و جنت من أن يكون حقًا.

«فابعد» من امرنا و عملنا .

«و ايم الله لتؤتين من حيث» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (٦)، و لكن

ص: ٧٥

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٧. [١]

٢- ٢) فقه اللغة للثعالبي: ٤٣٦ المكتبه التجاريه، مصر، ١٩٣٨ م. و في نسخه (كموء) بدل (مكو) و هو قلب مكاني.

٣- ٣) نهج البلاغه ١: ١١٣، الخطبه ٦٩. [٢]

٤- ٤) في نهج البلاغه ٣: ١٣٣: [٣] فإن حققت.

٥- ٥) في شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦: [٤] فإن تحققت، و في شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٤: فان حققت.

٦- ٦) نهج البلاغه ٣: ١٣٣، [٥] شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦. [٦]

فى (ابن ميثم): (حيث) (١).

«أنت و لا تترك حَتَّى يخلط زبدك» و الزبد: خلاصه اللبن التى تحصل مخضه.

«بخاثر ك» و الخاثر: بقيه اللبن الدون، فى (الصحيح) فى المثل: «اخلط الخاثر بالزباد» و زباد اللبن بالضم و التشديد ما لا خير فيه (٢).

و هو كما ترى فَإِنَّ الظاهر أَنَّ الزباد بمعنى الزبد و أَنه أحسن اللبن، و الخاثر أدونه.

«و ذائبك بجامدك» فى (الصحيح): فى المثل: «ما يدري أ يخثر أم يذيب» (٣).

«و حَتَّى تعجل عن» و فى (المصريه): فى (٤) غلط.

«قعدتك» اى: لا تمهل حَتَّى تقعد، فبعث عليه السلام إليه الأشر و كان على المنبر فلم يمعله يتم كلامه.

ففى الطبرى: إِنَّ الأشر استأذن عليا عليه السلام فى إتيان الكوفه بعد الحسن عليه السلام و عمّار، فأذن له فأقبل حَتَّى دخل الكوفه، و قد اجتمع الناس فى المسجد الأعظم، فجعل لا يمر بقبيله يرى فيها جماعه فى مجلس أو مسجد إلا دعاهم و يقول: اتبعونى إلى القصر، فانتهى إلى القصر فى جماعه من الناس فاقتحم القصر و أبو موسى قائم فى المسجد يخطب الناس و يثبطهم - إلى أن قال - قال أبو مريم الثقفى: و الله إننى لفى المسجد و عمّار يخاطب الناس إذ خرج علينا غلمان أبى موسى يشتدون ينادون يا أبا موسى هذا الأشر دخل القصر و ضربنا و أخرجنا - فنزل أبو موسى فدخل القصر و صاح به الأشر: اخرج

ص: ٧٦

١- ١) فى شرح ابن ميثم ٢٠٤: ٥: «[١] من حيث» أيضا.

٢- ٢) الصحيح ٤٨٠: ٢، [٢] ماده: (زيد).

٣- ٣) الصحيح ١٢٩: ١، [٣] ماده: (ذوب).

٤- ٤) نهج البلاغه ١٣٣: ٣. [٤]

من قصرنا، أخرج الله نفسك، فوالله إنك لمن المنافقين قديما- ودخل الناس ينتهبون متاع أبي موسى، فمنعهم الأشر و قال: إنى قد أخرجته فكف الناس عنه (١).

«و تحذّر من أمامك كحذرك من خلفك» و هو كناية عن كمال توجه أسباب الخطر، فإنّ الإنسان غالبا يحذر من خلفه الذى لا يراه، لا من أمامه الذى نصب عينيه.

ثمّ الظاهر كونه إشارة إلى أنّه إن أدام برأيه فى الخذلان عنه، لم ينحصر خوفه بمن يأتيه من عنده، بل يحصل له الخوف من بلد هو فيه، فقد عرفت أنّه لما جاءه الأشر و هدّده نهب الناس متاعه .

«و ما هى» أى: خصلته التى تخلق بها من خذلان الناس عنه عليه السلام.

«بالهوين» تصغير الهون، و من الغريب عدم تعرّض كتب اللغة حتّى (القاموس) له.

«التى ترجو» رجا أبو موسى لما هوّن عمر أمره عليه السّلام بتفويض الأمر إلى بنى اميّة بنصب عثمان أن يكون أمره عليه السّلام هيّنا حتّى يقدر هو على مخالفته عليه السلام.

«و لكنّها الداهية الكبرى» أى: أمر عظيم و شدّه شديده.

«يركب جملها» فيهزم الناكثين و أهل الجمل.

«و يدلّ صعبتها و يسهل جبلها» فى القاسطين، فيقتل عليه السلام منهم حتّى أرادوا الفرار.

هذا و قال ابن أبى الحديد: معنى قوله عليه السّلام: «و ايم الله لتؤتين من حيث أنت» إن أقمت على تثبيط أهل الكوفة، ليأتينكم و أنتم فى منازلكم أهل البصرة

ص: ٧٧

(١- ١) تاريخ الطبرى ٤: ٤٨٦-٤٨٧، سنة ٣٦. [١]

مع طلحه، و تأتيكم نحن بأهل المدينة فيجتمع عليكم سيفان من أمامكم و خلفكم.

قال: و معنى قوله عليه السّلام: «و تحذّر من أمامك كحذرك من خلفك» إن أقيمت على منع الناس عن الحرب معنا و معهم، يأتيك أهل البصره و أهل المدينة فتكون كما قال تعالى: «إِذْ جَاؤُكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ» (١).

قال: و معنى قوله عليه السّلام: «يركب جملها و يذل صعبها و يسهل جبلها» لا تقل إن هذا أى قصد الجيوش من الجانبين الكوفه أمر صعب فإنّه إن دام الأمر على ما أشرت إلى أهل الكوفه من التخاذل، ليرتكبن أهل المدينة و أهل البصره هذا المستصعب فنطلب نحن و أهل البصره ان نملك الكوفه فيجتمع عليها الفريقان (٢).

قلت: و كلامه كما ترى بمراحل فأى وجه لأن يوعد عليه السّلام أهل الكوفه فلم يكونوا كأهل البصره منابذين له عليه السّلام؟ و إنّما كان أبو موسى شخصه منابذا له عليه السّلام، و لم يكن سلطان الكوفه حتّى يحتاج إلى جمع جيشه عليه السّلام و جيش طلحه و الزبير عليه، فقد عرفت أنّه عليه السّلام لمّا بعث الأشتر وحده إليه فر، و إمارته إنّما كانت من قبله عليه السّلام بطلب الأشتر أوّلا ذلك منه، و بعزله كان يصير نفرا من عرض الناس، و من و لاه بدله كان يقدر على عقوبته كل العقوبه.

فمّر روايه أبى مخنف فى بعثه عليه السّلام ابن عباس و محمّد بن أبى بكر إليه و كتابه عليه السّلام إليه: فإذا ظهرا عليك قطعاك اربا (٣).

و مّر روايه الطبرى فى بعثه عليه السّلام قرظه إليه، و كتابه إليه: فإذا نابذته

ص: ٧٨

١- ١) الأحزاب: ١٠. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٤٧: ١٧-٢٤٨. [٢]

٣- ٣) نقله ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٩: ١٤-١٠. [٣]

فظفر أمرته أن يقطعك آرابا (١).

مع أن أبا موسى إنما كان يثبط الناس عنه عليه السلام، لأنه كان يعلم أنه عليه السلام لا يستعمل مثله منافقا، و أما طلحه و الزبير فإن كانا غلبا لم يخش منهما عدم توليته لكونهم جميعا على رأى واحد، و إنما أمر أهل الكوفه بملازمه بيوتهم لأنه لم يتوقع منهم مساعدته طلحه و الزبير، فإن ميلهم كان معه عليه السلام لا معهما، و كان يقول لأهل الكوفه- كما روى أبو مخنف:-: أن علينا إنما يستنفركم لجهاد أمكم عايشه و طلحه و الزبير حوارى النبي. و كان يقول لأهل الكوفه- كما روى الواقدي:-: إن عايشه كتبت إلى أن اكفنى من قبلك، و هذا على قادم إليكم يريد أن يسفك بكم دماء المسلمين (٢). و بالجمله تفسيره فى غايه السقوط .

«فاعقل عقلك» أى: احبس عقلك عن الخطأ.

«و املك أمرك» بأن لا تتبع هواك.

«و خذ نصيبك و حظك» أى: من أمرى.

«فإن كرهت» أمرى.

«فتنح» أى: ابعده.

«إلى غير رحب» أى: سعه.

«و لا فى نجاه» من بأس الله.

«فبالحرى» أى: فبالجدير.

«لتكفين و أنت نائم حتى لا- يقال أين فلان» أى: يأخذ البيعه من أهل الكوفه رجال كثيرون، و لا يحتاج ذلك إليك حتى يسأل عنك و لا أثر لوجودك .

«و الله إنه لحق مع محق» قال ابن أبى الحديد: إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه و آله

ص: ٧٩

١- (١) تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٠، سنة ٣٦. [١]

٢- (٢) الجمل للمفيد: ٢٥٧. [٢]

فيه عليه السلام اللهم أدر الحق معه حيثما دار (١).

قلت: وروى أبو مخنف: إن رجلا- قام إليه عليه السلام فقال: أي: فتنه أعظم من هذه؟ إن البدرية تمشى بعضها إلى بعض بالسيف! فقال عليه السلام: ويحك أتكون فتنه أنا أميرها وقائدها، والذي بعث محمدا بالحق وكرم وجهه ما كذبت ولا كذبت، ولا ظلمت ولا ضل بي، ولا زلت ولا زل بي، وإني لعلى بينه من ربي بينها الله لرسوله وبينها رسوله لي (٢).

و روى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان، عن يحيى بن عبد الملك، عن إسماعيل بن رجاء، عن محمد بن فضيل، عن الأعمش عن أبي سعيد الخدري قال: كنا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم فانقطع شسع نعله فألقاها إلى علي عليه السلام يصلحها- ثم قال: إن منكم من يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت علي تنزيله. فقال أبو بكر:

أنا هو؟ قال: لا- فقال عمر: أنا هو؟ قال: لا، ولكنّه خاصف النعل- ويد عليّ عليه السلام على نعل النبي صلى الله عليه وآله وسلم يصلحها- قال أبو سعيد: فأتيت عليا عليه السلام فبشّرته بذلك، فلم يحفل به كأنه شيء كان علمه من قبل (٣).

و روى محمد بن يعقوب عن حفص بن غياث عن جعفر بن محمد عليه السلام:

أن رجلا- سأل أباه عن حروب جدّه عليّ عليه السلام فقال له: بعث الله محمدا صلى الله عليه وآله بخمسة أسياف ثلاثة منها شاهره و سيف مكفوف- إلى أن قال- وأمّا السيف المكفوف فسيف على أهل البغي والتأويل، قال تعالى: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» -إلى- «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (٤). فلما نزلت هذه الآية قال النبي صلى الله عليه وآله: إن منكم من يقاتل بعدى على التأويل، كما

ص: ٨٠

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٢٤٩: ١٧. [١]

٢-٢) نقله عنه ابن أبي الحديد في شرح النهج ٢٦٥: ١. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ٢٠٧: ٣. [٣]

٤-٤) الحجرات: ٩. [٤]

قاتلت على التنزيل، فسئل من هو؟ قال: خاصف النعل - و كان عليّ عليه السّلام يخصف نعله... (١).

و روى ابن ديزيل عن يحيى بن سليمان عن أبي فضيل عن إبراهيم الهجرى عن أبي صادق قال: قدم علينا أبو أيوب الأنصارى العراق، فأهدت له الأزد جزرا بعثوها معي، فدخلت عليه و قلت له: يا أبا أيوب قد كرمك الله بصحبه نبيه و نزوله عليك، فمالي أراك تستقبل الناس بسيفك تقاتل هؤلاء مرّه و هؤلاء مرّه؟ فقال: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله عهد إلينا أن نقاتل مع عليّ عليه السّلام الناكثين - فقد قاتلناهم - و عهد إلينا أن نقاتل معه القاسطين - فهذا وجهنا إليهم - يعنى معاويه و أصحابه - و عهد إلينا نقاتل معه المارقين - و لم أرهم بعد (٢).

«و ما أبالي» هكذا فى (المصريه) (٣)، و الصواب: (و ما يبالي) بالياء، و الفاعل ضمير (محق)، كما يشهد له (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) (٤).

«ما صنع الملحدون» كأبى موسى و من تخلف عنه، و مر قول الأشر لأبى موسى: فوالله إنك لمن المنافقين قديما.

و فى (الاستيعاب): و لم يزل أبو موسى واجدا على عليّ عليه السّلام بعد عزله عن الكوفه حتّى جاء منه ما قال حذيفه، فقد روى فيه حذيفه كلاما كرهت ذكره (٥).

و نقل ذلك ابن أبى الحديد عن (الاستيعاب) فى موضع آخر من الكتاب.

و قال: مراده بكلام حذيفه الذى كره ذكره، أنّ أبا موسى ذكر عند حذيفه

ص: ٨١

١- (١) الكافي ١٠: ٥-١٢، و [١] النقل بتصرّف و تلخيص.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٧. [٢]

٣- (٣) نهج البلاغه ٣: ١٣٤.

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ٢٤٦، شرح ابن ميثم ٥: ٢٠٦.

٥- (٥) الاستيعاب [٣] بهامش الإصابه ٢: ٣٧٢.

بالدين فقال: أما أنتم فتقولون ذلك، و أما أنا فأشهد أنه عدو لله و لرسوله و حرب لهما في الحياه الدنياه و يوم يقوم الأشهاد يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم و لهم سوء الدار، و كان حذيفه عارفا بالمنافقين أسرَّ إليه النبي صَلَّى الله عليه و آله أمرهم و أعلمه أسماءهم (١).

و قال أيضا: و روى أن عمّارا سئل عن أبي موسى، فقال: لقد سمعت فيه من حذيفه قولا عظيما يقول: «هو صاحب البرنس الأسود»- ثم كلع منه كلو حاحا علمت منه أنه كان ليله العقبه بين ذلك الرهط (٢).

و روى الطبري في (ذيله): أن أبا موسى لقي أبا ذرّ فجعل يلزمه، و يقول له أبو ذرّ: إليك عنّي. و يقول له أبو موسى: مرحبا بأخي. و يقول له أبو ذرّ:

لست بأخيك (٣).

و روى (أمالى المفيد): أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم قال: تفترق امتي ثلاث فرق- إلى أن قال- و فرقه مدهده على مله السامري- لا يقول لا مساس- و لكنهم يقولون: لا قتال، إمامهم أبو موسى (٤).

و مرّ قوله عليه السلام في سابقه في أبي موسى- لئما صار حكما-: و إنما عهدكم بأبي موسى بالأمس يقول: إنّه فتنه، فإن كان صادقا فقد أخطأ بمسيره غير مستكره، و إن كان كاذبا فقد لزمته التهمه.

و مرّ خبر سويد بن غفله أن أبا موسى قال أيام عثمان: قال النبي صَلَّى الله عليه و آله إنّ بنى إسرائيل اختلفوا فلم يزل الاختلاف بينهم حتّى بعثوا حكّمين ضالّين ضالّا و أضلّا من اتّبعهما و لا ينفك أمر امتي حتّى يبعثوا حكّمين يضلّان

ص: ٨٢

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٣١٤: ١٣- ٣١٥. [١]

٢- ٢) المصدر نفسه ٣١٥: ١٣. [٢]

٣- ٣) ذيل تاريخ الطبري ٥٣٣: ١١.

٤- ٤) الأمالي للمفيد: ٣٠.

و يضللان من تبعهما-فقال له سويد:احذر يا أبا موسى أن تكون أحدهما.

فخلع قميصه و قال:أبرأ إلى الله من ذلك كما من قميصي هذا... (١).

و كان عليه السلام يقنت عليه في صلاته، كما يقنت على معاويه و عمرو بن العاص، و يقول:اللهم العن معاويه أولاً، و عمرا ثانياً، و أبا الأعور ثالثاً، و أبا موسى رابعاً (٢).

و كطلحه و الزبير و غيرهما من المخالفين له عليه السلام. روى الحميري في (قرب إسناده) عن محمد بن عبد الحميد و عبد الصمد بن محمد بن حنان بن سدير عن الصادق عليه السلام قال: دخل عليّ اناس من أهل البصره فسألوني عن طلحه و الزبير- فقلت لهم: كانا من أئمة الكفر، إنّ عليّاً عليه السلام يوم البصره لما صفت الخيل قال لأصحابه: لا تعجلوا على القوم حتى أعذر في ما بيني و بين الله تعالى، فقام إليهم فقال: يا أهل البصره هل تجدون عليّ جوراً في حكم؟ قالوا: لا، قال: فحيفا في قسم؟ قالوا: لا، قال: فرغبه في دنيا أخذتها لي و لأهل بيتي دونكم فنقمتم عليّ؟ قالوا: لا، قال: فأقمت فيكم الحدود و عطلتها عن غيركم؟ قالوا: لا، قال: فما لبيعتي تنكث و بيعه غيري لا تنكث؟ إنني ضربت الأمر أنفه و عينه، فلم أجد إلا الكفر أو السيف، إنّ الله تعالى يقول في كتابه:

«وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعْنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَيْمَةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ» (٣)، و الذي فلق الحبه و برأ النسمة و اصطفى محمداً صلى الله عليه و آله بالنبوه إنهم لأصحاب هذه الآية و ما قوتلوا منذ نزلت (٤).

ص: ٨٣

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٣١٥:١٣. [١]

٢-٢) نقله العلامة المجلسي في البحار، ط الكمباني ٥٦٥:٨-٥٦٦. [٢]

٣-٣) التوبه: ١٢. [٣]

٤-٤) قرب الإسناد: ٩٦-٩٧ ح ٣٢٧، [٤] تفسير العياشي ٧٧:٢. [٥]

الخطبه (١٧٠)

و من كلام له عليه السلام كلم به بعض العرب، و قد أرسله قوم من أهل البصره، لما قرب عليه السلام منها، ليعلم لهم منه حقيقه حاله مع أصحاب الجمل لتزول الشبهه من نفوسهم، فبين له عليه السلام من أمره معهم ما علم به أنه على الحق، ثم قال له: بايع، فقال: إني رسول قوم، و لا احدث حدثا حتى أرجع إليهم. فقال عليه السلام:

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ الَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا - تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ الْغَيْثِ - فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَ أَخْبَرْتَهُمْ عَنِ الْكَلْبِ وَ الْمَاءِ - فَخَالَفُوا إِلَى الْمَعَاطِشِ وَ الْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا - قَالَ كُنْتُ تَارِكُهُمْ وَ مُخَالَفُهُمْ إِلَى الْكَلْبِ وَ الْمَاءِ - فَقَالَ عَ فَا مِ دُ إِذَا يَدُكَ - فَقَالَ الرَّجُلُ - فَوَاللَّهِ مَا اسْتِطَعْتُ أَنْ أَمْتِنَعَ عِنْدَ قِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيَّ - فَيَايَعْتُهُ عَ وَ الرَّجُلُ يُعْرِفُ بِكَلْبِ الْجَرْمِيِّ؟ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِيهِ رَوَايَةُ الطَّبْرِيِّ الطَّبْرِيِّ - تَارِيخِ الطَّبْرِيِّ - ج ٤ ص ٤٩٠ و ٤٩١ و رَوَايَةُ الرَّوَاقِدِيِّ الرَّوَاقِدِيِّ - رَوَايَةُ الرَّوَاقِدِيِّ - فَفِي الْأَوَّلِ: أَخْرَجَ زِيَادُ بْنُ أَيُّوبَ إِلَى كِتَابِهِ فِيهِ أَحَادِيثٌ عَنْ شَيْخٍ - مِنْهَا: حَدَّثَنَا مَصْعَبُ بْنُ سَلَامِ التَّمِيمِيِّ، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سَوْقَةَ، عَنْ عَاصِمِ بْنِ كَلْبِ الْجَرْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ - قَالَ:

ص: ٨٤

١ - ١) نهج البلاغه ١٣٤: ٣، [١] شرح ابن أبي الحديد ١٧: ٢٤٦. [٢]

٢ - ٢) شرح ابن ميثم ٢٠٤: ٥.

رأيت فيما يرى النائم أنّ رجلا- يلى امور الناس مريضا على فراشه و عند رأسه امرأه، و الناس يريدونه و يبهبون إليه، فلو نهتهم المرأة لانتهاوا، و لكنّها لم تفعل فأخذه فقتلوه، فكنت أقص رؤياى على الناس فى السفر و الحضر فيعجبون و لا- يدرون ما تأويلها، فلما قتل عثمان و أتانا الخبر و نحن راجعون من غزاتنا، فقال أصحابنا: رؤياك يا كليب. فانتهدنا إلى البصره فلم نلبث إلا قليلا حتى قيل هذا طلحه و الزبير معهما أم المؤمنين فراع الناس و تعجبوا، فإذا هم يزعمون للناس أنّهم خرجوا غضبا لعثمان و توبه مما صنعوا من خذلانه.

و إنّ أم المؤمنين تقول: غضبنا لكم على عثمان فى ثلاث: اماره الفتى و موقع الغمامه و ضربه السوط و العصا، فما أنصفنا إن لم نغضب له عليكم فى ثلاث جررتموها إليه حرمة الشهر و البلد و الدم.

فقال الناس: أفلم تبايعوا عليا و تدخلوا فى أمره؟ فقالوا: دخلنا و اللج على أعناقنا- إذ قيل هذا على عليه السلام قد أظلكم- فقال قومنا لى و لرجلين معى:

انطلقوا حتى أتوا عليا عليه السلام و أصحابه فسلوهم عن هذا الأمر الذى قد اختلط علينا. فخرجنا حتى إذا دنونا من العسكر طلع علينا رجل جميل على بغله، فقلت لصاحبي: أرايتم المرأة التى كنت احدثكم عنها؟ إنّها كانت عند رأس الوالى، فإنّها أشبه الناس بهذا. ففطن أنا نخوض فيه، فلما انتهى قال: قفوا ما الذى قلتم حين رأيتمونى؟ فأبيناه عليه، و قال: و الله لا تبرحون حتى تخبرونى.

فدخلتنا منه هيبه، فأخبرناه فجاوزنا و هو يقول: و الله رأيت عجا. فقلنا لأدنى أهل العسكر إلينا: من هذا؟ فقال: محمّد بن أبى بكر. فعرفنا أنّ تلك المرأة عايشه، فازددنا لأمرها كراهيه و انتهدنا إلى على عليه السلام فسلمنا عليه ثم سألناه عن هذا الأمر، فقال: عدا الناس على هذا الرجل و أنا معتزل فقتلوه، ثم و لوني و أنا كاره، و لو لا خشيه على الدين لم أجبهم، ثم طفق هذان فى النكت فأخذت

عليهما و أخذت عهدهما عند ذلك و أذنت لهما في العمره، فقدمتا على أمهما فرضيا لهما ما رغبا لنسائهما عنه، و عرضاها لما لا يحل و لا يصلح، فاتبعتهما لكيلا يفتقوا في الإسلام فتقا و لا يفرقوا جماعه. فصاح بنا أصحاب علي عليه السلام:

«بايعوا بايعوا» فبايع صاحبنا، و أميا أنا فأمسكت و قلت: بعثني قومي لأمر و لا- احدث شيئا حتى أرجع إليهم. فقال علي عليه السلام: فإن لم يفعلوا؟ فقلت: لم أفعل، فقال: أرأيت لو أنهم بعثوك رائدا فرجعت إليهم فأخبرتهم عن الكلاء و الماء فمالوا إلى المعاطش و الجدوبه ما كنت صانعا؟ قلت: كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلاء و الماء- قال: «فمد يدك»، فوالله ما استطعت أن امتنع فبسطت يدي فبايعت. و كان يقول: علي عليه السلام من أدهى العرب (1).

و في الثاني- كما في (جمل الشيخ المفيد- الجمل- ص ٢٩٠ تا ٢٩٢ المفيد)- شيبان بن عبد الرحمن عن عاصم بن كليب عن أبيه قال: لما قتل عثمان ما لبثنا إلا قليلا، حتى قدم طلحه و الزبير البصره، ثم ما لبثنا إلا يسيرا حتى أقبل علي عليه السلام بذي قار، فقال شيخان من الحي: اذهب بنا إلى هذا الرجل ننظر ما يدعو إليه، فلما أتينا بذي قار قدمنا إلى أذكي العرب- فوالله لدخل علي نسب قومي فجعلت أقول: هو أعلم به مني و أطوع فيهم، إلى أن قال: فقال: أفلا تبايعوني؟ فبايعه الشيخان اللذان كانا معي و توقفت عن بيعته، فجعل رجال عنده قد أكل السجود و جوههم يقولون:

بايع بايع.

فقال عليه السلام: دعوا الرجل. فقلت: إنما بعثني قومي رائدا و سأنهاي إليهم ما رأيت، فإن بايعوا بايعت. فقال: أرأيت لو أن قومك بعثوك رائدا فرأيت روضه و غديرا فقلت يا قومي النجعه النجعه فأبوا ما كنت بمستنجع بنفسك، فأخذت بإصبع من أصابعه، فقلت: اباع علي أن اطيعك ما أطعت الله، فإذا عصيته فلا

ص: ٨٦

طاعه لك عليّ، فقال: نعم. و طَوَّل صوته... (١).

قول المصنّف «و من كلام له عليه السّلام كَلِمَ به بعض العرب» هو كليب بن شهاب الجرمي.

«و قد أرسله قوم من أهل البصره» قد عرفت من روايه الطبري أنّ أولئك القوم قومه (جرم).

«لَمَّا قَرَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا» قد عرفت من روايه الواقدي أنّه عليه السّلام كان نزل ذاقار.

«ليعلم لهم منه حقيقه حاله مع أصحاب الجمل» لأنّهم كانوا قالوا لهم:

خرجنا غضبا لعثمان و كانت بيعتنا لعليّ مكرها.

«لتزول الشبهه من نفوسهم فيبين له عليه السّلام» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (٢)، و هو و إن كان صحيحا، إلاّ أنّ

الأوضح أن يقال: «فيبين عليه السّلام له» كما لا يخفى .

«من أمره معهم ما علم به أنّه على الحق» و هو أنّه عليه السّلام كان معتزلا عن أمر عثمان، و لم يجبر أحدا على البيعه، و إنّما أكرهه

النّاس على قبوله البيعه .

«ثم قال له بايع» قد عرفت من روايه الطبري أنّ أصحابه عليه السّلام بعد مشاهدته إتمام الحجّه عليه قالوا له و لصاحبيه: بايعوا.

«فقال إنّى رسول قوم و لا- احدث حدثا حتّى أرجع إليهم» قد عرفت من روايه الطبري: أنّه عليه السّلام قال له: فإن لم

يفعلوا؟ فأجاب: إنّى أيضا لا أفعل.

فرد عليه السّلام عليه بالعنوان.

«فقال عليه السّلام» هو تأكيد و إلاّ فهو زائد بعد قوله: (و من كلام له عليه السّلام).

ص: ٨٧

١- (١) الجمل للمفيد: ٢٩٠-٢٩٢. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ١٠٠: ٢، [٢] شرح ابن أبي الحديد ٢٩٩: ٩. [٣]

ثم إن ما نقلنا من قول المصنّف هو في (المصريه و ابن أبي الحديد) (١)، و أمّا (ابن ميثم) فيدّله بقوله: (و من كلام له عليه السّلام) لَمَّا قال لكليب الجرمي قبل وقوعه الجمل: بايع. فقال: إنّي رسول قوم و لا احدث حدثا دونهم حتّى أرجع إليهم فقال- (٢)، و نسخه (ابن ميثم) بخط المصنّف، فمن المحتمل ان المصنّف استنسخه ثانيا فزاد و نقص و غير فطول و اختصر.

قوله عليه السّلام «أ رأيت» في (الصّحاح): قد يحذف همز رأيت قال: صاح هل ريت أو سمعت براع ردّ في الضرع ما فرى في الحلاب (٣).

«لو أن الذين من ورائك» و هم قومه جرم.

«بعثوك رائدا» في (الصّحاح): الرائد الذي يرسل في طلب الكلاء (راد الكلاء يروده رودا و ريادا و ارتاده ارتيادا) بمعنى، أي: طلبه (٤).

«تبتغي» أي: تطلب.

«لهم مساقط الغيث» مواضع نزول المطر فاخضرت و حصل كلاء.

«فرجعت إليهم و أخبرتهم عن الكلاء» أي: العشب.

«و الماء فخالقوا» من الكلاء و الماء.

«إلى المعاطش» مواضع العطش التي لا ماء فيها.

«و المجاذب» أي: محال المحل و القحط.

«ما كنت صانعا» توافقهم أو تخالفهم .

«قال كنت تاركهم و مخالفهم إلى الكلاء و الماء» فان كل عاقل يفعل ذلك .

«فقال عليه السّلام فامدد إذن يدك» يعني كما يحكم العقل ثمه بوجوب مخالفتهم

ص: ٨٨

١- (١) نهج البلاغه ٢:١٠٠، [١] شرح ابن أبي الحديد ٩:٢٩٩. [٢]

٢- (٢) شرح ابن ميثم ٣:٣٢٦.

٣- (٣) الصّحاح ٦:٢٣٤٨، [٣] ماده: (رأى) و البيت لإسماعيل بن بشار.

٤- (٤) المصدر نفسه ٢:٤٧٨، [٤] ماده: (رود).

كذلك هنا بل هنا أولى، لأن ثمة يحصل إلا من الهلكه موقتا و هنا أبدا.

ثم (إذن يدك) في (المصريه و ابن أبي الحديد) (١)، و لكن في (ابن ميثم):

(يدك إذن) (٢).

«فقال الرجل: فو الله ما استطعت أن أمتنع عند قيام الحجّه عليّ فبايعته» و نظير بعث جرم رجلا منهم إليه عليه السّلام فرآه على الحق فأقرّ به عليه السّلام، بعث طلحه و الزبير و بعث عايشه رجلا فاهتدى به.

روى الكافي في (باب ما يفصل به بين دعوى المحقّ و المبطل في أمر الإمامه): أنّ طلحه و الزبير بعثا رجلا من عبد القيس يقال له (خداش) إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، و قالوا له: إنّنا نبعثك إلى رجل طال ما نعرفه و أهل بيته بالسحر و الكهانه، و أنت أوثق من بحضرتنا من أنفسنا أن تحاجّه لنا، و اعلم أنّه أعظم الناس دعوى فلا يكسر نك ذلك عنه و من الأبواب التي يخدع بها الناس الطعام و الشراب و العسل و الدهن، فلا تأكل له طعاما و لا تشرب له شرابا، و لا تمس له عسلا و لا دهنا و لا تخل معه. و احذر هذا كلّ منه فإذا رأيته فاقرا آيه السخره، و تعوذ بالله من كيده و كيد الشيطان، فإذا جلست إليه فلا تمكّنه من بصرك كلّ و لا تستأنس به. ثم قل له: إنّ أخويك في الدين و ابني عمّك في القرابه يناشدانك القطيعه، و يقولان لك: أما تعلم أنّا تركنا الناس لك و خالفنا عشائرتنا فيك منذ قبض الله محمّدا صلّى الله عليه و آله، فلمّا نلت أدنى مناك، ضيعت حرمتنا و قطعت رجاءنا، ثم قد رأيت أفعالنا فيك و قدرتنا على الناس، و إنّ من كان يصرفك عنّا و عن صلتنا كان أقل نفعا لك و أضعف دفعا منا، و قد وضع الصبح لذي عينين و قد بلغنا انتهاك منك لنا و دعاء علينا، فما الذي يحملك على ذلك؟ فقد كنّا نرى

ص: ٨٩

١-١) نهج البلاغه ١٠١:٢، [١] شرح ابن أبي الحديد ٢٩٩:٩. [٢]

٢-٢) في شرح ابن ميثم ٣٢٦:٣. [٣] إذا يدك أيضا.

أَنْتِكَ أَشْجَعُ فَرَسَانَ الْعَرَبِ، أَتَتَّخِذُ اللَّعْنَ دِينًا وَ تَرَى أَنَّ ذَلِكَ يَكْسِرُنَا عَنْكَ؟. فَلَمَّا أَتَى خَدَّاشَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ صَنَعَ مَا أَمْرَاهُ بِهِ، فَلَمَّا نَظَرَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ وَ هُوَ يَنَاجِي نَفْسَهُ ضَحِكًا، وَ أَشَارَ لَهُ إِلَى مَجْلِسٍ قَرِيبٍ مِنْهُ: ادْنُ هَاهُنَا. فَقَالَ: مَا أَوْسَعَ الْمَكَانَ، أَرِيدُ أَنْ أُوْدِيَ إِلَيْكَ رَسُولًا. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: بَلْ تَطْعَمُ وَ تَشْرَبُ وَ تَحُلُّ ثِيَابَكَ وَ تَدَهْنُ ثُمَّ تُؤَدِي رَسُولَتَكَ. فَمَ يَأْتِي قَبْرَ فَأَنْزِلْهُ.

قال: مالي إلى شيء مما ذكرت حاجه.

قال: فأخلو بك.

قال: كل سر لي علانيه.

فقال عليه السلام له: هل علماءك كلاما تقوله إذا أتيتني؟ قال: اللهم نعم. قال عليه السلام:

آيَه السَّخْرَه؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَاقْرَأْهَا. وَ جَعَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَكْرُرُهَا وَ يَرُدُّدَهَا وَ يَصْحَحُ عَلَيْهِ إِذَا أَخْطَأَ، حَتَّى قَرَأَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً. فَقَالَ الرَّجُلُ: مَا يَرَى أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَرُدُّدَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً. قَالَ: أَتَجِدُ قَلْبَكَ أَطْمَأَن؟ قَالَ: أَيْ وَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ. قَالَ:

فَمَا قَالَا- لَكَ؟ فَأَخْبَرَهُ وَ قَالَ: قَلَّ لِهَمَّا كَفَى بِنَطْقِكُمَا حَجَّه عَلَيْكُمَا، وَ لَكِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ، زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَخْوَايَ فِي الدِّينِ وَ أَبْنَاءَ عَمِّي فِي النِّسْبِ، أَمَّا النِّسْبُ فَلَا- انْكُرْهُ وَ إِنْ كَانَ النِّسْبُ مَقْطُوعًا، إِلَّا مَا وَصَلَهُ اللَّهُ، وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ إِنَّكُمْ أَخْوَايَ فِي الدِّينِ، فَإِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَقَدْ فَارَقْتُمْ كِتَابَ اللَّهِ وَ عَصَيْتُمْ أَمْرَهُ، بِأَفْعَالِكُمَا فِي أَخِيكُمَا فِي الدِّينِ، وَ إِلَّا فَقَدْ كَذَبْتُمْ وَ افْتَرَيْتُمْ بِأَدْعَائِكُمَا أَنَّكُمْ أَخْوَايَ فِي الدِّينِ. وَ أَمَّا مَفَارِقَتُكُمْ النَّاسَ مِنْذُ قَبْضِ اللَّهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ، فَإِنْ كُنْتُمْ فَارَقْتُمْ النَّاسَ بِحَقِّ فَقَدْ نَقَضْتُمْ ذَلِكَ الْحَقَّ بِفِرَاقِكُمَا إِيَّايَ أَخِيرًا، وَ إِنْ فَارَقْتُمَاهُمْ بِبَاطِلٍ فَقَدْ وَقَعَ إِثْمٌ ذَلِكَ الْبَاطِلُ عَلَيْكُمَا مَعَ الْحَدِيثِ الَّذِي أَحَدْتُمَا، مَعَ أَنَّ صِفَتِكُمَا بِمَفَارِقَتِكُمَا النَّاسَ لَمْ يَكُنْ إِلَّا لَطْمَعِ الدُّنْيَا، زَعَمْتُمْ وَ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ فَقَطَعْتُمْ رِجَاءَنَا وَ أَنْتُمْ لَا تَعْبِيَانِ بِحَمْدِ اللَّهِ مِنْ دِينِي شَيْئًا، وَ أَمَّا الَّذِي صَرَفْنِي

عن صلتكما فالذى صرفكما عن الحق و حملكما على خلعه من رقابكما، كخلع الحرون لجامه هو الله ربى لا اشرك به شيئا فلا تقولوا أقل نفعا و أضعف دفعا، فتستحقا اسم الشرك مع النفاق.

و أما قولكما إتى اشجع فرسان العرب و هربكما من لعنى و دعائى، فإن لكل موقف عملا، فاذا اختلفت الأسنه و ماجت لبود الخيل و ملأ سحرا كما أجوافكما فثم يكفينى الله بكمال القلب.

و أما إذ أبيتما بأنى أدعو الله فلا تجرعا من أن يدعو عليكما رجل ساحر من قوم سحره زعمتما، اللهم اقعص الزبير بشر قتله و اسفك دمه على ضلاله، و عرف طلحه المذله، و ادخر لهما فى الآخره شرًا من ذلك إن كانا ظلمانى و افتريا على و كتما شهادتهما و عصياك و عصيا رسولك فى -قل آمين- قال خداش: آمين.

ثم قال خداش لنفسه: و الله ما رأيت لحيه قط أبين خطأ منك، حامل حجه ينقض بعضها بعضا لم يجعل الله لهما مساكًا، أنا برىء إلى الله منهما- و قال عليه السلام له: ارجع إليهما و أعلمهما ما قلت. قال: لا و الله حتى تسأل الله أن يردنى إليك عاجلا، و أن يوفقنى لرضاه فيك. ففعل فلم يلبث أن انصرف و قتل معه عليه السلام يوم الجمل (1).

و روى (بصائر الصفار) فى (باب أنهم عليهم السلام يخبرون شيعتهم بأفعالهم و أفعال غيرهم و هم غيب): أن عايشه قالت: التمسوا لى رجلا شديد العداوه لهذا الرجل، حتى أبعثه إليه. فأتيت به، فمثل بين يديها، فرفعت إليه رأسها فقالت له: ما بلغت من عداوتك لهذا الرجل؟ فقال: كثيرا ما أتمنى على ربى أنه و أصحابه فى وسطى فضربته

ص: ٩١

ضربه بالسيف يسبق السيف الدم. قالت: فأنت له اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه، طاعنا رأيته أو مقيما، أما إنك إن رأيت طاعنا رأيت رابعا على بلغة النبي صلى الله عليه وآله متنكبا قوسه، معلقا كنانته على قربوس سرجه وأصحابه خلفه كأنهم طير صواف فتعطيه كتابي هذا، وإن عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولن منه شيئا فإن فيه السحر.

قال: فاستقبلت عليا عليه السلام فناولته الكتاب، ففض خاتمه ثم قرأه فقال: تبلغ إلى منازلنا فتصيب من طعامنا و شرابنا، فنكتب جواب كتابك. فقال: هذا ما لا يكون. فسار خلفه و أحرق به أصحابه.

ثم قال له: أسألك؟ قال: نعم. قال: و تجيبني؟ قال: نعم. قال: نشدتك الله هل قالت عايشة: التمسوا لي رجلا شديد العداوة لهذا الرجل؟ فأتى بك، فقالت لك: ما بلغ من عداوتك لهذا الرجل؟ فقلت: كثيرا ما أتمنى على ربي أنه و أصحابه في وسطى، و أنا ضربته ضربه سبق السيف الدم؟ قال: اللهم نعم.

قال: فنشدتك الله أقالت لك: اذهب بكتابي هذا فادفعه إليه طاعنا كان أو مقيما أما إنك إن رأيت على بلغة النبي صلى الله عليه وآله متنكبا قوسه، معلقا كنانته بقربوس سرجه و أصحابه خلفه كأنهم طير صواف؟ قال: اللهم نعم.

قال عليه السلام: فنشدتك الله هل قالت لك: إن عرض عليك طعامه و شرابه فلا تناولن منه شيئا فإن فيه السحر؟ قال: اللهم نعم. قال: فتبلغ أنت عنى؟ فقال:

اللهم نعم، فإني قد أتيتك و ما في الأرض خلق أبغض إلي منك، و أنا الساعه ما في الأرض خلق أحب إلي منك، فمرني بما شئت.

قال عليه السلام: ارجع إليها بكتابي هذا، و قل لها: ما أطعت الله حيث أمرك بلزوم بيتك فخرجت ترددت في العسكر.

و قل لهما: ما أنصفتما الله و رسوله حيث خلفتم حلائلكم في بيوتكم

و أخرجتم حليله النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله-فجاء بكتابه فطرحة إليها و أبلغها مقالته،ثم رجع إليه فاصيب بصفتين،فقالت: ما نبعث إليه بأحد إلا أفسده علينا (١).

قول المصنّف :

«و الرجل يعرف بكليب الجرمي».

هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (٢)،و ليس في (ابن ميثم) (٣)،و كيف كان فكليب الجرمي عنونه (الاستيعاب).و روى أنه قال:خرجت مع أبي إلى جنازه شهدها النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله و أنا غلام أفهم و أعقل،فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله:إنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَحِبُّ مِنَ الْعَاقِلِ إِذَا عَمَلَ عَمَلًا أَنْ يَحْسَنَ (٤).

قلت:الأصل في خبره كما روى (الكافي):أنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله رأى في قبر عثمان بن مظعون خلا فقال ذلك.

و الرجل و إن كان قال أنا في حال كوني غلاما أفهم و أعقل،إلا أنه بعد صيرورته شيخا ما كان يعقل،فتوهم أنه يجوز له تقليده قومه في أمر الدين كأمر الدنيا،حتى ضرب عليه السلام له المثل مع أن مثله فطري و لذا بايع صاحبه.

ثم إنه بعد ما رأى منه عليه السلام الآيات لم يعرف أنه لا محل للشرط معه عليه السلام، كما عرفته من خبر الواقدي.

هذا و (جرم) بالفتح و السكون ينصرف إلى جرم قضاعه،و إن قالوا:إنَّ في بجيله و عامله و طي أيضا جرم.

ص: ٩٣

١-١) بصائر الدرجات: ٢٦٣-٢٦٤. [١]

٢-٢) نهج البلاغه ١٠١:٢، شرح ابن أبي الحديد ٩:٢٩٩.

٣-٣) و العبارة موجوده في شرح ابن ميثم ٣:٣٢٦ أيضا.

٤-٤) الاستيعاب بهامش الإصابه ٣:٣١٣. [٢]

و من كلام له عليه السلام خاطب به أهل البصره على جهه اقتصاص الملاحم:

فَمَنْ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ - أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللَّهِ فَلْيَفْعَلْ - فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي - فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللَّهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ - وَإِنْ كَانَ
ذَا مَشَقَّتْهُ شِدِيدَةٌ وَ مَرِيضَةٌ مَرِيضَةٌ - وَ أَمَّا فُلَانُهُ فَأَذْرَكَهَا رَأَى النِّسَاءِ - وَ ضَمَّ غُنَّ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ - وَ لَوْ دُعِيَتْ لَتَنَالَ مِنْ
غَيْرِي مِمَّا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ - وَ لَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَ الْحِسَابُ عَلَى اللَّهِ قَوْلِ الْمُصَنِّفِ «و من كلام له عليه السلام خاطب به»
هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (١)، و لكن في (ابن ميثم): (و من خطبه له عليه السلام خاطب بها) (٢).

«أهل البصره» بعد فتحها.

«و على جهه اقتصاص الملاحم» جمع الملحمة: الوقعه العظيمه في الفتن، و يمكن أن يريد عليه السلام ملاحم عصره من معاويه و أتباعه و ملاحم بعده.

قوله عليه السلام :

«فمن استطاع عند ذلك» أى: وقوع ملحمة اقتصها عليه السلام لهم.

«أن يعتقل» أى: يحبس.

«نفسه على الله فليفعل» فقد قال تعالى: «وَ مَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَ يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ» (٣).

ص: ٩٤

١- ١) نهج البلاغه ٢: ٦٢، [١] شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٨٩. [٢]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٣: ٢٥٨. [٣]

٣- ٣) الطلاق: ٢- ٣. [٤]

«فإن أطعمتموني فيائي حاملكم إن شاء الله على سبيل الجنة» سبيلها: العمل بالحق، و معلوم من حاله عليه السلام أيام النبي صلى الله عليه وآله و أيام المتقدمين عليه و أيامه التزامه بالعمل بالحق و حمل الناس عليه-.

و قد كان أعداؤه معترفين بذلك، ففي (الخلفاء): قال عمر يوم الشورى له عليه السلام و إنك أحرى القوم، إن وليتها تقيم على الحق المبين و الصراط المستقيم.

و في (الطبري): لَمَّا بلغ عمرو بن العاص و هو بوادي السباع قتل عثمان، قال: و إن يل الأمر بعده ابن أبي طالب فلا- أراه إلا سيستنظف الحق، و هو أكره من يليه إلى (١).

«و إن كان» أي: سبيل الجنة.

«ذا مشقه شديده و مذاقه مريره» أي: مره «لأن الجنة حفت بالمكاره، كما أن النار حفت بالشهوات» (٢)، «و أما من خاف مقام ربه و نهى النفس عن الهوى فإن الجنة هي المأوى» (٣).

«و أميا فلان» هي بنت فلان الذي قال عليه السلام فيه: «أما و الله لقد تقمصها فلان و إنه ليعلم أن محلي منها محل القطب من الرحي» (٤).

«فأدركها رأى النساء» و في (ابن أبي الحديد) (٥): ضعف رأى النساء.

في (الخلفاء): أنكر علي عليه السلام على طلحه إخراج بعائشه، فقال طلحه: إنها إنما جاءت للإصلاح. فقال علي عليه السلام: هي لعمر الله إلى من يصلح

ص: ٩٥

[١- ١] تاريخ الطبري ٤: ٥٦٠، سنة ٣٦. [١]

[٢- ٢] مأخوذ من نهج البلاغه ٢: ١١٠، الخطبه ١٧٦. [٢]

[٣- ٣] النازعات: ٤٠-٤١. [٣]

[٤- ٤] نهج البلاغه ١: ٢٥، الخطبه ٣. [٤]

[٥- ٥] شرح ابن أبي الحديد ٩: ١٩٢. [٥]

لها أمرها أحوج (١).

و في (جمل المفيد): روى الواقدي عن الحسن البصري قال: أقبل أبو بكره يريد أن يدخل مع طلحه و الزبير في أمرهما، فلما رأى أنّ عايشه تدبرهما رجع عنهما فقبل له: مالك لم تدخل؟ قال: رأيت امرأة تلى أمرهما، و قد سمعت النبي صلى الله عليه و آله - و قد ذكر ملكه سباً - يقول: «لا أفلح قوم تدبر أمرهم امرأة» فكرهت الدخول معهما (٢).

و قال ابن أبي الحديد في شرح (و من كلام له عليه السلام عند ذكر السائرين إلى البصرة): في (غريب حديث ابن قتيبة): في حديث حذيفه ذكر خروج عائشه قال النبي صلى الله عليه و آله: تقاتل معها مضر مضرها الله في النار و أزر عمان سلت الله أقدامها، و إنّ قيساً لا تنفك تبغى دين الله شراً حتى يركبها الله بالملائكة فلا يمحو ذنب تلعه.

و هذا الحديث من أعلام نبوه النبي صلى الله عليه و آله، لأنّه إخبار عن غيب تلقاه حذيفه قبل الجمل، و هذا الحديث يؤكد مذهب أصحابنا في فسق أهل الجمل، إلا من ثبت توبته و هم الثلاثة (٣).

قلت: لو كان قال بثبوت عدم توبتهم كان أقرب إلى الحقّ و الواقع.

و في (العقد): دخلت امّ أو في العبيديه بعد الجمل على عائشه فقالت: يا امّ المؤمنين ما تقولين في امرأة قتلت ابنا لها صغيراً؟ قالت: وجبت لها النار.

قالت: فما تقولين في امرأة قتلت من أولادها الأكابر عشرين ألفاً في صعيد واحد. قالت: خذوا بيد عدوه الله. و ماتت عايشه في أيام معاويه، و قد قاربت

ص: ٩٤

١-١ (الإمامه و السياسه ١: ٧٥). [١]

٢-٢ (جمل للمفيد: ٢٩٧). [٢]

٣-٣ (شرح ابن أبي الحديد ١٢١: ١١-١٢٢). [٣]

السبعين و قيل لها تدفين مع النبي، فقالت: إنني أحدثت بعده حدثا فادفنونى مع إخوتى بالبقيع.

و قد كان النبي صلى الله عليه وآله قال لها: يا حميرا كأتى بك تنبحك كلاب الحوآب، تقاتلين عليا و أنت له ظالمه.

و الحوآب: قريه فى طريق المدينه إلى البصره، و بعض الناس يسمونها الحوب، و قد زعموا أن الحوآب ماء فى طريق البصره، قال فى ذلك بعض الشيعة:

إنى ادين بحب آل محمد و بنى الوصى شهودهم و الغيب

و أنا البرىء من الزبير و طلحه و من التى نبحت كلاب الحوآب (١)

و فى (فصول المرتضى) المنتخبه من (محاسن المفيد): مرّ فضال بن الحسن بن فضال الكوفى بأبى حنيفه - و هو فى جمع كثير يملى عليهم شيئا من فقهه و حديثه - فقال لفضال لصاحب كان معه: و الله لا أبرح أو اخجل أبا حنيفه.

فقال صاحبه: إنّ أبا حنيفه ممّن قد علت حاله و ظهرت حجّته. فقال: مه هل رأيت حجّه كافر علت على مؤمن. ثم دنا منه فسلم عليه و قال له: إنّ لى أخا يقول خير الناس بعد النبي صلى الله عليه وآله علىّ، و أنا أقول: أبو بكر ثم عمر، فما تقول أنت؟ فأطرق مليا، ثم رفع رأسه و قال: كفى بمكانهما من النبيّ كرما و فخرا، أما علمت أنّهما ضجيعاه فى قبره، فأى حجّه أوضح لك من هذا؟ فقال فضال:

قد قلت ذلك لأخى، فقال: و الله إن كان الموضع للنبي صلى الله عليه وآله دونهما فقد ظلما بدفنهما فى موضع ليس لهما فيه حقّ، و إن كان الموضع لهما فوهباه للنبي صلى الله عليه وآله لقد أساءا و ما أحسنا إذ رجعا فى هبتهما و نكثا عهدهما - فأطرق

ص: ٩٧

أبو حنيفة ساعه. ثم قال: قل له لم يكن لهما ولا له خاصه، ولكنهما نظرا في حق عايشه و حفصه فاستحقا الدفن في ذلك الموضع بحقوق ابنتيهما.

فقال له فضال: قد قلت ذلك له، فقال: أنت تعلم أن النبي صلى الله عليه وآله مات عن تسع حشايا فإذا لكل واحده منهن تسع الثمن، ثم نظرنا في تسع الثمن فإذا هو شبر في شبر، فكيف يستحق الرجلان أكثر من ذلك؟ و بعد فما بال عايشه و حفصه ترثان النبي صلى الله عليه وآله و فاطمه ابنته عليها السلام تمنع الميراث؟ فقال أبو حنيفة:

يا قوم نحوه فإنه رافضي خبيث (١).

قلت: و الغريب «أن عمر لمّا طعن بعث إلى عايشه يستأذن منها في دفنه مع النبي صلى الله عليه وآله (٢)، فلم لم يستأذن ابنته حفصه كما قال أبو حنيفة؟ لكنّه أراد أن يجرئها و يعرفها مالكة للبيت، حتى تمنع دفن بنى هاشم فيه، كما منعت من دفن الحسن عليه السلام فيه.

ففي (مقاتل أبي الفرج): قال يحيى بن الحسن: سمعت علي بن طاهر بن زيد يقول لمّا أرادوا دفن الحسن بن علي عليه السلام: ركبت عايشه بغلا و استعونت بنى امية و مروان و من كان هناك منهم و من حشمهم، و هو قول القائل:

فيوما على بغل و يوما على جمل (٣).

و في (تاريخ اليعقوبي): في دفن الحسن عليه السلام - قيل: أن عايشه ركبت بغله شهباء و قالت: بيتي لا آذن فيه لأحد، فأتاها القاسم بن محمد بن أبي بكر فقال لها: يا عمّه ما غسلنا رؤوسنا من يوم الجمل الأحمر، أ تريدن أن يقال يوم البغله الشهباء (٤).

ص: ٩٨

١- ١) فصول المرتضى: ٧٤، الاحتجاج ٣٨٢: ٢. [١]

٢- ٢) نقله ابن سعد في الطبقات ٣٦٣: ٣.

٣- ٣) مقاتل الطالبيين: ٤٩. [٢]

٤- ٤) تاريخ اليعقوبي ٢٢٥: ٢. [٣]

و في (الكافي) بأسانيد عن أبي جعفر عليه السّلام: لَمَّا احتضر الحسن عليه السّلام قال لأخيه عليه السّلام: اوصيك بوصيته فأحفظها، إذا مت هيئني ثم وجهني إلى النّبي صلّى الله عليه وآله لأحدث به عهداً، ثم اصرفني إلى امي، ثم ردني فادفني بالبيع، و اعلم أنّه سيصيني من الحمراء ما يعلم النّاس من ضغنّها و عداوتها لله و رسوله و عداوتها لنا أهل البيت.

فلَمَّا قبض الحسن عليه السّلام وضع على سريره، و انطلقوا به إلى مصلى النّبي صلّى الله عليه وآله الذي كان يصلى فيه على الجنائز، فصلّوا على الحسن عليه السّلام، ثم حمل فلَمَّا أوقف على قبر النّبي صلّى الله عليه وآله بلغ عايشه الخبر، و قيل لها: إنهم أقبلوا به ليدفن مع النّبي صلّى الله عليه وآله فخرجت مبادره على بغل بسرج. فكانت أول امرأه ركبت في الإسلام سرجاً، فوقفّت و قالت: نَحُوا ابنكم عن بيتي، فإنّه لا يدفن فيه و لا يهتك على النّبي حجابّه. فقال لها الحسين عليه السّلام: قد يما هتكت أنت و أبوك حجاب النّبي صلّى الله عليه وآله، و أدخلت بيته من لا يحبّ قربّه و إنّ الله يسألك عن ذلك، يا عائشه إنّ أخى أمرنى أن أقربه من أبيه رسول الله صلّى الله عليه وآله ليحدث به عهداً، و اعلمى أنّ أخى أعلم النّاس بالله و رسوله، و أعلم بتأويل كتابه من أن يهتك على النّبي سرّه و إنّ الله تعالى يقول:

«يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ» (١)، و قد أدخلت أنت بيت النّبي صلّى الله عليه وآله الرجال بغير إذنه، و قد قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ» (٢)، و لعمرى لقد ضربت أنت لأبيك و فاروقه عند اذن النّبي صلّى الله عليه وآله المعاول. و قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَعْضُونَ»

ص: ٩٩

[١-١] الأحزاب: ٥٣. [١]

[٢-٢] الحجرات: ٢. [٢]

«أَصْوَاتُهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى» (١) ولعمري لقد أدخل أبوك و فاروقه على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله بقربهما منه الأذى و ما رعيًا من حَقِّه ما أمرهما الله به على لسان رسوله ان الله حرّم من المؤمنين امواتا، ما حرّم منهم أحياء. و تالله يا عايشه لو كان هذا الذى كرهته من دفن الحسن عليه السّلام عند أبيه جائزا فيما بيننا و بين الله تعالى، لعلمت أنه سيدفن و إن رغم معطسك.

ثم تكلم محمّد بن الحنفية و قال: يا عايشه يوما على بغل و يوما على جمل، فما تملكين نفسك عداوه لبنى هاشم... (٢).

و فى (أمالى الشيخ) بأسانيد عن ابن عبّاس فى وصيه الحسن عليه السّلام و دفنه- إلى أن قال- قال ابن عبّاس: فإذا أنا بعائشه فى أربعين راكبا على بغل مرحل تقدمهم و تأمرهم بالقتال، فلمّا رأتنى قالت: إلىّ إلىّ يا ابن عبّاس، لقد اجترأت علىّ فى الدّنيا تؤذوننى مرّه بعد اخرى، تريدون أن تدخلوا بيتى من لا أهوى و لا احبّ. فقلت: و اسوأته يوم على بغل و يوم على جمل، تريدان أن تطفئى نور الله و تقاتلى أولياء الله، و تحولى بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله و بين حبيبه أن يدفن معه ارجعى فقد كفى الله المثونه، و دفن الحسن إلى جنب امّه، فلم يزد من الله إلا قربا و ما ازددم منه و الله إلا بعدا. يا سوأته انصرفى فقد رأيت ما سرّك.

فقطبت فى وجهى و نادت بأعلى صوتها: ما نسيتم الجمل يا ابن عبّاس إنكم لذووا أحقاد- فقلت: أم و الله ما نسيه أهل السماء فكيف ينسأه أهل الأرض.

فانصرفت و هى تقول:

ص: ١٠٠

[١-١] الحجرات: ٣. [١]

[٢-٢] الكافى ٣٠٢-١: ٣٠٣، [٢] الإرشاد ١٧: ٢-١٩، [٣] شرح ابن أبى الحديد ٤٩: ١٦. [٤]

فألقت عصاها و استقرت بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر (١)

و فى (المروج):رئى بالبصره رجل مصطلم الاذن،فسئل عن قصته، فذكر أنه خرج يوم الجمل ينظر إلى القتلى فنظر إلى رجل منهم يخفض رأسه و يرفعه و هو يقول:

لقد أوردتنا حومه الموت امنا فلم تنصرف إلا و نحن رواء

أطعنا بنى تيم لشقوه جدنا و ما تيم إلا أعبد و إماء

فقلت:سبحان الله لو تشهد بدل ذلك كان خيرا لك.فصاح بى:ادن منى لقنى الشهاده.فصرت إليه،فلما قربت منه استدانى ثم التقم اذنى فذهب بها، فجعلت ألعنه فقال:إذا صرت إلى امك فقالت:من فعل بك هذا؟فقل:عمير بن الأهلبي الضبى مخدوع المرأه التى أرادت أن تكون أميره المؤمنين (٢).

و إخواننا افتعلوا لامهم روايات و ما تغنى عنها،وقد تحقّق أنه نزل فى ذمها آيات.قال بعض الشيعة مشيرا إلى ما ذكرت العامه لها،أنها حفظت أربعين ألف حديث،و لكن نست قوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (٣).

حفظت أربعين ألف حديثا و من الذكر آيه تنساها

و من الآيات التى قلنا قوله تعالى: «وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ» (٤).

روى الثعلبى -كما فى (غبن العتره)-أنها نزلت فى عايشه و حفصه، سخرتا من ام سلمه،و ذلك أنّ ام سلمه ربطت حقوبها بسبيبه- و هى ثوب

ص:١٠١

١-١ (١) أمالى الطوسى ١:١٥٩-١٦٢، [١]بحار الأنوار ١٥١:٤٤-١٥٣. [٢]

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٢:٣٧٩. [٣]

٣-٣ (٣) الأحزاب:٣٣. [٤]

٤-٤ (٤) الحجرات:١١. [٥]

أبيض - و كان سللت طرفها خلفها فكانت تجرّه. فقالت عايشه لحفصه: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب. إلا أنهما كانتا تسخران النبيّ كما يأتي فكيف تباليان من مسخره ام سلمه (١).

الثانيه: قوله تعالى: «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» (٢).

ففي (الكشاف): روى أن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَرِبَ عَسَلًا فِي بَيْتِ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ، فَتَوَاطَأَتْ عَايِشَةُ وَحَفْصَةُ فَقَالَتَا لَهُ: إِنَّا نَشْمُ مِنْكَ رِيحَ الْمَغَافِيرِ فَحَرِّمِ الْعَسَلَ، فَنَزَلَتِ الْآيَةُ (٣).

و روى الحميدى في (الجمع بين الصحيحين): عن عائشه قالت: إن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَمْكُثُ عِنْدَ زَيْنَبَ بِنْتِ جَحْشٍ فَيَشْرَبُ عِنْدَهَا عَسَلًا، فَأَلَيْتُ أَنَا وَحَفْصَةُ أَنْ أَيْنَا دَخَلَ النَّبِيُّ عَلَيْهَا فَقَوْلُ لَهُ: إِنِّي أَجِدُ مِنْكَ رِيحَ مَغَافِيرٍ أَكَلْتُ مَغَافِيرًا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهَا: بَلْ شَرِبْتَ عَسَلًا عِنْدَ زَيْنَبَ وَ لَنْ أَعُودَ، فَنَزَلَتْ: «لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ» (٤).

الثالثه: قوله تعالى: «إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (٥).

قال في (الكشاف): خطاب لحفصه و عايشه على طريقه الالتفات ليكون

ص: ١٠٢

١- ١) مجمع البيان للطبري ٩: ١٣٥ و كذلك بحار الأنوار للمجلسي ٢٢: ٢٢٨ باب ٤. [١]

٢- ٢) التحريم: ١. [٢]

٣- ٣) الكشاف. [٣]

٤- ٤) صحيح البخاري ٦: ١٦٧ و في صحيح مسلم حديث رقم ٢٦٩٤. و الآية ١ من سورة التحريم التحريم. [٤]

٥- ٥) ٤: ٥.

أبلغ في معاتبتهما (١).

قال: و عن ابن عباس: لم أزل حريصا على أن أسأل عنهما عمر، حتى حجّ و حججت معه، فلمّا كان ببعض الطريق عدل و عدلت معه، فسكبت الماء على يده فتوضأ- فقلت من هما؟- فقال: عجبا يا ابن عباس- كأنّه كره ما سألته عنه- ثم قال: هما حفصه و عايشه (٢).

و تدبّر في قوله تعالى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (٣)، حيث جعل في مقابل مظاهره عايشه و حفصه على عداوه نبيّه صلّى الله عليه و آله، معاونته تعالى له، ثم معاونه جبرئيل و صالح المؤمنين- و هو أمير المؤمنين عليه السلام- له، ثم مظاهره ملائكته له.

قال الزمخشري: فما يبلغ تظاهر امرأتين على من هؤلاء ظهراؤه (٤).

و في (ذيل الطبري): قال أبو أسيد الساعدي: تزوّج النبيّ صلّى الله عليه و آله أسماء ابنه النعمان الجوثيه، و أرسلني فجنّت بها، فقالت حفصه لعائشه- أو عائشه لحفصه-: اخضبيها أنت، و أنا امشطها، ففعلتها، ثم قالت إحداهما لها: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله يعجبه من المرأه إذا ادخلت عليه أن تقول: أعوذ بالله منك. فلمّا ادخلت عليه و أغلق الباب و أرخى الستر و مدّ يده إليها قالت: أعوذ بالله منك، فجعل كمّه على وجهه و قال: عدت معاذا- ثلاث مرّات- و خرج، و قال لأبي أسيد: الحقها بأهلها، فقالت: ادعوني الشقيّه و ماتت كمدا (٥).

ص: ١٠٣

١-١) الكشاف للزمخشري ٥٦٦: ٤، [١] دار الكتاب العربي، بيروت.

٢-٢) المصدر نفسه ٥٦٦: ٤. [٢]

٣-٣) التحريم: ٤. [٣]

٤-٤) الكشاف للزمخشري ٥٦٦: ٤-٥٦٧. [٤]

٥-٥) ذيل المذيل من تاريخ الطبري ١١: ٦١٤.

فتظاهرتا على النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَنْعِهِ عَمَّا أَحَلَّ اللَّهُ لَهُ، وَتَسْبِيْتَا لِهَلَاكِ مُؤْمِنِهِ.

و روى أبو مخنف و الواقدي و المدائني - كما نقل ابن أبي الحديد في شرح (و من كتاب له عليه السَّلام إلى أهل الكوفة) (١)-
أنَّ عايشه كتبت إلى حفصه: أمَّا بعد فإني اخبرك أنَّ عليًّا قد نزل ذاقار و أقام بها مرعوبا خائفًا لَمَّا بلغه من عدتنا و جماعتنا، فهو
بمنزله الأشقر إن تقدّم عقر، و إن تأخّر نحر. فدعت حفصه جواري لها يتغنين و يضربن بالدفوف، فأمرتهن أن يقلن في غنائهن: (ما
الخبر، عليّ في السفر، كالفرس الأشقر، إن تقدّم عقر، و إن تأخّر نحر)، و جعلت بنات الطلقاء يدخلن على حفصه و يجتمعن لسماع
ذلك الغناء. فبلغ ذلك أمّ كلثوم بنت عليّ عليه السَّلام، فلبست جلابيها و دخلت عليهنّ في نسوه منكرات، ثم أسفرت عن
وجهها، فلمّا عرفتها حفصه خجلت و استرجعت، فقالت لها أمّ كلثوم: لئن تظاهرتما على أبي منذ اليوم لقد تظاهرتما على أخيه النَّبِيِّ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَنْزَلَ تَعَالَى فِيكُمْ مَا أَنْزَلَ (٢).

الرابعة: قوله تعالى: «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحِينَ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ
يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّٰخِلِينَ» (٣).

روى إبراهيم الثقفي في (تاريخه) - كما في (تقريب الحلبي) -: أن عثمان صعد المنبر فنادته عايشه - و رفعت قميص النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عليه و آله -: لقد خالفت صاحب هذا القميص. فقال عثمان: إن هذه الزعراء عدوه الله، ضرب الله مثلها و مثل

ص: ١٠٤

١-١ (١) نهج البلاغه ٣:٢ [١] الكتاب ١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٣:١٤. [٢]

٣-٣ (٣) التحريم: ١٠. [٣]

صاحبها حفصه في الكتاب بامرأه نوح و امرأه لوط (١).

وقال الزمخشري في (الكشاف) مشيراً إلى هذه الآية و إلى الآية التي بعدها: «وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ» (٢)، في طي هذين التمثيلين تعريض بأمي المؤمنين المذكورتين في أول السوره، و ما فرط منهما من التظاهر على رسول الله بما كرهه، و تحذير لهما على أغلظ وجه و أشده، لما في التمثيل من ذكر الكفر، و أشار إلى أنّ من حقهما أن تكونا في الإخلاص و الكمال فيه كمثل هاتين المؤمنتين، و ألاّ تتكلا- على أنّهما زوجا النبي، فإنّ ذلك الفضل لا ينفعهما، إلاّ مع كونهما مخلصتين. و التعريض بحفصه أرجح، لأن امرأه لوط أفشت عليه، كما أفشت حفصه على النبي صلى الله عليه و آله.

و أسرار التنزيل و رموزه في كل باب بالغه في اللطف و الخفاء حدّا يدق عن تفتنّ العالم و يزل عن تبصره (٣).

قلت: نعم أسرار التنزيل كما ذكر، إلاّ- ان آيات امي المؤمنين لهم من اعلانها لا- أسرارها، و من محكماتها لا متشابهاتها، إلاّ أنّ المكابر لا علاج له «وَلَوْ أَنَّا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَ كَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَ حَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا» (٤).

الخامسه: قوله تعالى: «يا نساء النبيّ من يأت منكنّ بفاحشه مبينه يضاعف لها العذاب ضعفين و كان ذلك على الله يسيراً» (٥)، و هل فاحشه أيّن ممّا أتت به في الجمل؟

ص: ١٠٥

١- ١) تقريب المعارف، [١] مخطوط، و نقل مثله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار [٢] ط الكمباني، ٨- نقلا عن كشف الغمّه. [٣]

٢- ٢) الزمخشري: الكشاف ٤- ٥٧١، و [٤] الآية ١١ من سوره التحريم. [٥]

٣- ٣) الكشاف. [٦]

٤- ٤) الأنعام: ١١١. [٧]

٥- ٥) الأحزاب: ٣٠. [٨]

و في (الطبري) عن عمّار الدّهني: أخذ عليّ عليه السّلام مصحفًا يوم الجمل فطاف به في أصحابه، و قال: من يأخذ هذا المصحف و يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقام إليه فتى من أهل الكوفة عليه قباء أبيض محشو، فقال: أنا، فأعرض عنه. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فأعرض عنه. ثم قال: من يأخذ هذا المصحف يدعوهم إلى ما فيه و هو مقتول؟ فقال الفتى: أنا. فدفعه إليه فدعاهم، فقطعوا يده اليمنى فأخذه بيده اليسرى، فدعاهم فقطعوا يده اليسرى فأخذه ب صدره و الدماء تسيل على قبائه، فقتل. فقالت أمّ الفتى:

لا همّ إنّ مسلما دعاهم يتلو كتاب الله لا يخشاهم

و أمهم قائمه تراهم يأتمرون الغي لا تنهاهم (١)

و عن الزهري، قال: قال عليّ عليه السّلام لأصحابه: أيكم يعرض عليهم هذا المصحف و ما فيه، فإن قطعت يده أخذه بيده الأخرى، و إن قطعت أخذه بأسنانه؟ قال فتى شاب أنا... (٢).

و مرّ خبر أبي مخنف - بعد ذكر غدر عائشه و طلحه و الزبير بعثمان بن حنيف و أسره - فلما ضرب ضرب الموت و نتف حاجباه و أشفار عينيه و كل شعره في رأسه و وجهه و أخذوا السبابجه و هم سبعون رجلا فانطلقوا بهم و باين حنيف إلى عائشه فقالت لأبان بن عثمان: اخرج إليه فاضرب عنقه، فإنّ الأنصار قتلت أباك و أعانت على قتله. فنادى ابن حنيف: يا عائشه و يا طلحه و يا زبير، إنّ أخي سهل بن حنيف خليفه عليّ بن أبي طالب على المدينة، و اقسم بالله أن لو قتلتموني ليضعن السيف في بني أبيكم و رهطكم. فكفّوا عنه

ص: ١٠٦

١-١) تاريخ الطبري ٤: ٥١١-٥١٢، سنة ٣٦. [١]

٢-٢) المصدر نفسه ٤: ٥٠٩، سنة ٣٦.

و خافوا أن يوقع سهل بأهليهم بالمدينه.

و أرسلت عائشه إلى الزبير أن اقتل السباجه، فإنه قد بلغنى الذى صنعوا بك-تعنى تأخير السباجه الزبير عن أمام الصفوف حتى يصلى بهم ابن حنيف-فذبحهم و الله كما يذبح الغنم، ولى ذلك منهم ابن الزبير و هم سبعون رجلا.

و الله تعالى يقول: «مَنْ يَأْتِ مِنْكُمْ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكُمْ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» (١)، و اخواننا يقولون: إن عايشه و إن أتت بما أتت من الفواحش المبيّنات إلا أنّ عذابها عندنا عسير.

فقال الجرزى بعد نقل رجز ربيعه العقيلي من أصحابه عليه السلام:

يا امنا أعقّ امّ نعلم و الامّ تغدو ولدا و ترحم

ألا ترين كم شجاع يكلم و تختلى منه يد و معصم

كذب ربيعه، هي أبرّ امّ نعلم.

السادسه: قوله تعالى: «وَ قَرْنَ فِي بَيْوتِكُنَّ وَ لَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى» (٢).

و فى (الطبرى): أقبل زيد بن صوحان و معه كتاب من عائشه إليه خاصه، و كتاب منها إلى أهل الكوفه عامه، تثبطهم عن نصره على عليه السلام و تأمرهم بلزوم الأرض.

فقال زيد: أيها الناس انظروا إلى هذه امرت أن تقرّ فى بيتها، و امرنا نحن أن نقاتل حتى لا تكون فتنه، فأمرتنا بما امرت به و ركبت ما امرنا به. ثم قرأ:

«الْمَ أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يَتْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَ لَقَدْ فَتَنَّا»

ص: ١٠٧

[١-١] الأحزاب: ٣٠. [١]

[٢-٢] الأحزاب: ٣٣. [٢]

«الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلْيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَ لْيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ» (١).

و في (طبقات ابن سعد) كاتب الواقدي: كانت عايشة تكشف قناعها حيث دفن أبوها مع النَّبِيِّ، فلَمَّا دفن عمر تقنعت فلم تطرح القناع (٢).

قلت: إذا كانت بذاك الحياء و تلك العفْصه حتَّى تتقنَع من ميت عمر تحت التراب، فلم تبرجت لآلاف من أخلاط النَّياس و الجنود؟ و معلوم من حالهم ان أغلبهم فسقه و طالبوا الفجور، و كيف لم تلاحظ طلحه يلازمها ركوبا و نزولا، و قد كان له فيها نظر في حياه النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ حتَّى قال: إن مات محمَّد أنكح عائشه كما ينكح هو امراه كل من مات منا (٣).

و قالوا: قال ابن الجوزي يوما على المنبر: سلوني قبل أن تفقدوني، فسألته امراه عما روى أن عليا عليه السَّلام سار في ليله إلى سلمان فجّهزه و رجع، فقال: روى ذلك. فقالت: فعثمان طرح ثلاثه أيام منبوذا إلى المزابل و عليّ حاضر؟ قال: نعم. فقالت: فقد الزم الخطأ لأحدهما، فقال لها: إن كنت خرجت من بيتك بغير إذن زوجك فعليك لعنه الله و إلا فعليه. فقالت له: فعائشه خرجت إلى حرب عليّ بإذن النَّبِيِّ أو بغير إذنه؟ فانقطع و لم يحر جوابا (٤).

السابعه: قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَ الْآخِرَةِ وَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنُهُمْ وَ أَيْدِيهِمْ وَ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (٥).

روى كتاب الواقدي في (طبقاته): عن الواقدي عن محمَّد بن عبد الله عن

ص: ١٠٨

١- ١) تاريخ الطبري ٤: ٤٨٣-٤٨٤، سنة ٣٦، و [١] الآيات ١-٣ من سورة العنكبوت. [٢]

٢- ٢) الطبقات لابن سعد ٢: ٢٩٤. [٣]

٣- ٣) الطرائف ٢: ٤٩٢-٤٩٣ و [٤] عنه البحراني في تفسير البرهان ٣: ٣٣٣-٣٣٤. [٥]

٤- ٤) نقله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ١٨٣، [٦] ط الكمباني.

٥- ٥) النور: ٢٣-٢٤. [٧]

الزهرى عن عروه عن عايشه-قالت:لَمَّا ولد إبراهيم جاء به النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَيَّ، فقال:انظري إلى شبهه بى-فقلت:ما أرى شيئا-فقال:ألا ترين إلى بياضه و لحمه؟فقلت:من قصر عليه اللقاح ابيض و سمن (١).

و عنه عن ابن حزم عن عروه عن عائشه مثله-إلا أنه قال:قالت عايشه من سقى ألبان سمن و ابيض.قال الواقدي:كانت للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قطعه غنم تروح عليه و لبن لقاح له... (٢)و سيأتى زياده كلام فى نقل كلام ابن أبى الحديد.

و روى ابن حمدان الحظيني-كما فى (تفسير البحراني)-عن الرضا عليه السلام:أنَّ ماريه لَمَّا أهداها المقوقس إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و سلم كان معها خادم ممسوح يقال له جريح،و حسن إسلامهما و إيمانهما،ثم ملكت ماريه النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فحسدها بعض أزواجه،فأقبلت حفصه و عايشه تشكيان إلى أبويهما ميل النَّبِيِّ إِلَيْهِ ماريه و إثارة إِيَّاهَا عليهما،حتى سَوَّلت لهما و لأبويهما أنفسهم بأن يقذفوا ماريه بأنَّها حملت بإبراهيم من جريح،و هم لا يظنون أنَّ جريحا خادم ممسوح فأقبل أبواهما و قالا للنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و آله-و هو جالس فى مسجده-أنَّ جريحا لا-يحلُّ لنا أن نكتمك من أمره و ما يظهر من خيانتة شيئا، فقال:ما تقولان؟قالا:يأتى من ماريه الفاحشه العظمى،و إنَّ حملها من جريح و ليس هو بخادم.فأربد وجهه و تلون،ثم قال:ويحكما ما تقولان؟قالا:إنَّا خلفنا جريحا و ماريه فى مشربتها-يعنيان حجرتها-و هو يفاكهها و يروم منها ما يروم الرجل من النساء،فابعث إلى جريح فإِنَّكَ تجده على هذه الحال، فانفذ فيه حكم الله.فانثنى النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إلى عليّ عليه السَّلام و قال:قم يا أخي،و معك ذو الفقار حتى تمضى إلى مشربه ماريه،فإن صادفتها و جريحا يصنعان

ص: ١٠٩

١- (١) الطبقات لابن سعد ١:١٣٧. [١]

٢- (٢) المصدر نفسه. [٢]

فأخمدهما بسيفك، فقام و أتشح بسيفه و اتخذته تحت ثيابه، فلما ولى قال: يا رسول الله أكون فى ما أمرتنى به كالسكه المحماه فى العهن، أو الشاهد يرى ما لا يرى الغائب؟ فقال: بل الشاهد يرى ما لا يرى الغائب. فأقبل عليه السلام سيفه فى يده حتى تسور من فوق مشربه ماريه- و هى فى جوف المشربه جالسه و يقول لها: عظمى النبى صلى الله عليه و آله و كرميه و نحو هذا الكلام- حتى التفت إليه عليه السلام و سيفه مشهور فى يده ففزع إلى نخله فى المشربه، فصعد إلى رأسها، فنزل عليه السلام إلى المشربه و كشت الريح عن أثواب جريح فاذا خادم ممسوح.

فقال له: انزل. فقال: آمنة على نفسى؟ فقال: آمنة على نفسك. فنزل فأخذ بيده و جاء به إلى النبى صلى الله عليه و آله، فقال: إن جريحا خادم ممسوح- إلى أن قال- فأنزل تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ» (١).

و فى (تفسير القمى): قال ابن بكير لأبى عبد الله عليه السلام: جعلت فداك أمر النبى صلى الله عليه و آله و سلم بقتل القبطى، و قد علم أنها كذبت أو لم يعلم، و إنما دفع الله تعالى القتل عن القبطى بثبوت على عليه السلام... فقال: بل كان و الله يعلم و لو كان عزيزه من النبى صلى الله عليه و آله ما انصرف على عليه السلام حتى يقتله، و لكن إنما فعل النبى صلى الله عليه و آله و سلم ذلك لترجع عن ذنبها، فما رجعت و لا اشتد عليها قتل رجل مسلم (٢).

الثامن: قوله تعالى: «وَالَّذِينَ يَزْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ تَمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (٣).

روى (العلل) مسندا عن أبى جعفر عليه السلام قال: أما لو قد قام قائمنا لقد

ص: ١١٠

١- ١) البرهان فى تفسير القرآن ١٢٧: ٣-١٢٨، و [١] قريب منه ما فى تفسير القمى ٩٩: ٢-١٠٠ و الآية ٢٣ [٢] من سوره النور.

٢- ٢) تفسير القمى ٣١٩: ٢. [٣]

٣- ٣) النور: ٤. [٤]

ردت إليه الحميراء حتى يجلدها الحد، وحتى ينتقم الله لابنه محمد صلى الله عليه وآله فاطمه عليها السلام. قلت له: جعلت فداك و لم يجلدها الحد؟ قال: لفريتها على ام إبراهيم (1).

قلت: ولا يستنكر ما في الخبر، فلا ريب أن عائشه رمت ماريه باتفاق الخاصه و العامه، و أنها استحقت الحد، و لم يقل أحد أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أجرى عليها الحد، و لم يكن النبي ليعطل حدا من حدود الله على قريب و لا بعيد. فلا بد أن الحكمه اقتضت تأخير إجرائه على يد المهدي من ولده عليه السلام. و رجع جمع في أيام المهدي عليه السلام عند الإماميه قطعيه.

و يناسب أن ننقل كلام شيخ ابن أبي الحديد، يوسف بن إسماعيل اللمعاني، الذي نقله عنه بعد التحقيق، ما في الخبر من رمى عائشه لماريه و إيذائها لسيدة نساء العالمين. و كلامه و إن كان مشتملا على الغث و السمين، لكن نشير بعد إلى ما في غشه.

فقال: أول بدء الضغن كان بين عائشه و بين فاطمه، لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم تزوجها عقيب خديجه، و معلوم أن ابنه الرجل إذا مات أمها و تزوج أبوها أخرى كان بينهما كدر و شتان، ثم اتفق أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم مال إليها فزاد ما عند فاطمه بحسب زياده ميله. و أكرم النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمه إكراما عظيما، أكثر مما كان الناس يظنونه و أكثر من إكرام الرجال لبناتهم، حتى خرج بها عن حد حب الآباء للأولاد، فقال بمحضر الخاص و العام مرارا لا مره واحده، و في مقامات مختلفه لا في مقام واحد: إنها سيدة نساء العالمين، و إنها عديله مريم بنت عمران، و إنها إذا مرت في الموقف نادى مناد من جهه العرش: يا أهل الموقف غضوا أبصاركم لتعبر فاطمه بنت محمد صلى الله عليه وآله، و هذا من الأحاديث الصحيحه

ص: ١١١

و ليس من الأخبار المستضعفه.

و إنّ إنكاحه عليّا إيّاها ما كان إلّا بعد أن أنكحه الله تعالى إيّاها في السماء بشهاده الملائكه-.

و كم قال لا مرّه: «يؤذيني ما يؤذيها، و يغضبني ما يغضبها، و إنّها بضعه منّي يرييني ما رابها».

فكان هذا و أمثاله زياده الضغن عند الزوجه، حسب زياده هذا التعظيم و التبجيل، و النفوس البشريه تغيظ على ما دون هذا، فكيف هذا؟ ثم حصل عند بعلمها ما هو حاصل عندها، أعني عليّا فإنّ النساء كثيرا ما يحصلن الاحقاد في قلوب الرجال، لا سيّما و هنّ محدّثات الليل كما قيل في المثل.

و كانت تكثر الشكوى من عائشه، و يغشاها نساء المدينه و جيران بيتها فينقلن إليها كلمات عن عائشه ثم يذهبن إلى بيت عائشه فينقلن إليها كلمات عن فاطمه، و كما كانت فاطمه تشكو إلى بعلمها كذلك كانت عايشه تشكو إلى أبيها، لعلمها أنّ بعلمها لا يشكيها على ابنته فحصل في نفس أبي بكر من ذلك أثر ما. ثم تزايد تقرّظ النبيّ صلّى الله عليه و آله لعليّ عليه السّلام و تقريبه و اختصاصه، فأحدث ذلك حسدا له و غبطه في نفس أبي بكر عنه و هو أبوها، و في نفس طلحه و هو ابن عمّها و هي تجلس إليهما و تسمع كلامهما و هما يجلسان إليها و يحادثانها، فأعدى إليها منهما كما أعدى إليهما.

و لست أبرّء عليّا عليه السّلام من مثل ذلك، فإنّه كان ينفس على أبي بكر سكون النبيّ عليه السّلام إليه و ثناءه عليه، و يجب أن ينفرد هو بهذه المزايا و الخصائص دونه و دون الناس أجمعين، و من انحرف عن إنسان انحرف عن أهله و أولاده، فتأكدت البغضه بين الفريقين. ثم كان من أمر القذف ما كان، و لم يكن عليّ عليه السّلام من القاذفين، و لكنّه كان من المشيرين على النبيّ صلّى الله عليه و آله

بطلاقها، تنزيها لعرض النبي عليه السلام عن أقوال الشنأه والمنافقين.

وقال له لما استشاره: إن هي إلا شسع نعلك، وقال له: سل الخادم و خوفها و إن أقامت على الجحود فاضربها، و بلغ عائشه هذا الكلام و سمعت أضعافه مما جرت عادة الناس أن يتداولوه في مثل هذه الواقعه.

و نقل النساء إليها كلاما كثيرا عن علي و فاطمه، و أنهما قد أظهرتا الشماتة بها جهارا و سرا بوقوع هذه الحادثه لها، فتفاقم الأمر و غلظ. ثم إن النبي صلى الله عليه و آله صالحها و رجع إليها و نزل القرآن ببراءتها، فكان منها ما يكون من الإنسان ينتصر بعد أن قهر، و يستظهر بعد أن غلب، و يبرأ بعد أن اتهم، من بسط اللسان و فلتات القول، و بلغ ذلك كله عليا و فاطمه، فاشتدت الحال و غلظ و طوى كل من الفريقين قلبه على الشنآن لصاحبه.

ثم كان بين عائشه و علي عليه السلام في حياه النبي صلى الله عليه و آله أحوال و أقوال، كلها تهيج ما في النفوس نحو قولها له- و قد استداناه النبي صلى الله عليه و آله فجاء حتى قعد بينه و بينها و هما متلاصقان: أما وجدت مقعدا لكذا- لا تكني عنه- إلا فخذى! و نحو ما روى أن النبي صلى الله عليه و آله ساير عليا عليه السلام يوما و أطال مناجاته، و هي سائره خلفهما حتى دخلت بينهما و قالت: فيم أنتما فقد أطلتما. فيقال إن النبي صلى الله عليه و آله غضب ذلك اليوم.

و ما روى من حديث الجفنه من الثريد التي أمرت الخادم فوقف لها فأكفأتها، و نحو ذلك مما يكون بين الأهل و بين المرأه و أحمائها.

ثم اتفق أن فاطمه ولدت كثيرا بنين و بنات و لم تلد هي ولدا، و أن النبي صلى الله عليه و آله كان يقيم بني فاطمه مقام بنيه و يسمي الواحد منهما ابني و يقول:

دعو إلي ابني و لا- ترزموا على ابني و ما فعل ابني. فما ظنك بالزوجه إذا حرمت الولد من البعل، ثم رأت البعل تبني بني ابنته من غيرها، و يحنو عليهم حنو

الولد المشفق، هل تكون محبته لاوثك البنين ولامهم ولأبيهم أم مبغضه! وهل تودّ دوام ذلك واستمراره أم زواله وانقضاءه؟! ثم اتفق أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله سدّ باب أبيها إلى المسجد وفتح باب صهره، ثم بعث أباها ببراءة إلى مكه ثم عزله عنها بصهره، فقدح ذلك أيضا في نفسها.

و ولد للنبيّ صلّى الله عليه وآله إبراهيم من ماريه فأظهر عليّ عليه السّلام بذلك سرورا كثيرا، و كان يتعصّب لماريه، و يقوم بأمرها عند النبيّ صلّى الله عليه وآله ميلا- على غيرها، و جرت لماريه نكبه مناسبه لنكبه عائشه فبرّأها عليّ عليه السّلام منها و كشف بطلانها، أو كشفه الله تعالى على يده، و كان ذلك كاشفا محسا بالبصر لا يتهيا للمنافقين أن يقولوا فيه ما قالوه في القرآن المنزل ببراءة عائشه، و كلّ ذلك ممّا كان يوغر صدر عائشه عليه، و يؤكّد ما في نفسها منه، ثم مات إبراهيم فأبطنت شماته و إن أظهرت كآبه، و وجم عليّ عليه السّلام من ذلك و كذلك فاطمه، و كانا يؤثران و يريدان أن تتميز ماريه عليها بالولد، فلم يقدر لهما و لا لماريه ذلك و بقيت الامور على ما هي عليه و في النفوس ما فيها حتّى مرض النبيّ صلّى الله عليه وآله المرض الذي توفي فيه فكانت فاطمه و عليّ عليهما السّلام يريدان أن يمرّضاه، و كذلك كان أزواجه، فمال إلى بيت عائشه بمقتضى المحبّه القلبيه التي كانت لها دون نساءه، و كره أن يزاحم فاطمه و بعلمها في بيتها، فلا يكون عنده من الانبساط لوجودهما، ما يكون إذا خلا- بنفسه في بيت من يميل إليه بطبعه. و علم أنّ المريض يحتاج إلى فضل مداواه و نوم و يقظه و انكشاف و خروج حدث، فكانت نفسه إلى بيتها أسكن منها إلى بيت صهره و بنته، فإنّه إذا تصوّر حياءهما منه استحيى هو أيضا منهما، و كلّ أحد يجب أن تخلو بنفسه و يحتشم الصهر و البنت، و لم يكن له الميل إلى غيرها من الزوجات مثل ذلك الميل إليها، فمرض في بيتها فغبطت على ذلك، و لم يمرض النبيّ صلّى الله عليه وآله منذ قدم

المدينه مثل هذا المرض، و إنما كان مرضه الشقيقه يوما أو بعض يوم ثم يبرأ، فتطاول هذا المرض، و كان عليّ عليه السّلام لا يشكّ أنّ الأمر له، و أنّه لا- ينازعه فيه أحد من النّاس. و لقد قال له عمّه و قد مات النبيّ صلّى الله عليه و آله: امدد يدك ابايعك، فيقول النّاس عمّ رسول الله بايع ابن عمّ رسول الله فلا- يتخلف عليك اثنان، قال: يا عم و هل يطمع فيها طامع غيري؟ قال: ستعلم. قال: فإنّي لا احب هذا الأمر من وراء رتاج، و احبّ أن أصحر به. فسكت عنه. فلما ثقل النبيّ صلّى الله عليه و آله في مرضه أنفذ جيش اسامه و جعل فيه أبا بكر و غيره من أعلام المهاجرين و الأنصار. فكان عليّ بوصوله إلى الأمر إن حدث بالنبيّ صلّى الله عليه و آله حدث أو ثق. و غلب على ظنّه أنّ المدينه لو مات لخلت من منازع ينازعه الأمر بالكليّه فيأخذ صفوا عفوا و يتمّ له البيعه، فلا- يتهيّأ فسحها لو رام ضدّ منازعته عليها. فكان من عود أبي بكر من جيش اسامه بإرسال عائشه إليه، و إعلامه أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله يموت ما كان، و من حديث الصلاه بالناس ما عرف فنسب عليّ عليه السّلام عائشه إلى أنّها أمرت بلالا مولى أبيها أن يأمر أباها فليصل بالنّاس، لأنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله كما روى قال:

يصلّى بالناس أحدهم و لم يعين- و كانت صلاه الصبح فخرج النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم و هو في آخر رمق يتهادى بين عليّ عليه السّلام و الفضل بن عباس، حتّى قام في المحراب كما ورد في الخبر، ثمّ دخل فمات ارتفاع الضحى. فجعل عمر صلاته حجّه في صرف الأمر إليه، و قال: أيّكم يطيب نفسا أن يتقدّم قدمين قدمهما النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم في الصلاه. و لم يحملوا خروج النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم إلى الصلاه لصرفه عنها، بل لمحافظته على الصلاه مهما أمكن، فبويح على هذه النكته التي اتّهمها عليّ عليه السّلام أنّها ابتدئت منها، و كان عليّ عليه السّلام يذكر هذا لأصحابه في خلواته كثيرا، و يقول: إنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم لم يقل: (إنّكن لصويحبات يوسف) إلّا- إنكارا لهذه الحال و غضبا منها و حفصه تبادرتا إلى تعيين أبويهما، و أنّه استدركهما

بخروجه و صرفه عن المحراب، فلم يجد ذلك و لا أثر مع قوه الداعى الذى كان يدعو إلى أبى بكر و يمهد له قاعده الأمر، و تقرّر حاله فى نفوس الناس و من اتبعه على ذلك من أعيان المهاجرين و الأنصار، و لما ساعد على ذلك من الحظّ الفلكي، الأمر السمائي الذى جمع عليه القلوب و الأهواء، فكانت هذه الحال عند على عليه السّلام أعظم من كلّ عظيم و هى الطامه الكبرى و المصيبه العظمى، و لم ينسبها إلا إلى عائشه وحدها، و لا علق الأمر الواقع إلا بها، فدعا عليها فى خلواته و بين خواصه، و تظلم إلى الله منها، و جرى له فى تخلفه عن البيعه ما هو مشهور حتى بايع، و كان يبلغه و فاطمه عنها كلّ ما يكرهانه منذ مات النّبى صلّى الله عليه و آله و سلم إلى أن توفيت فاطمه عليها السّلام، و هما صابران على مريض و رمض، و استظهرت بولايه أبيها و استطلت و عظم شأنها و انخذل على عليه السّلام و فاطمه عليها السّلام و قهرا، و أخذت فدك، و خرجت فاطمه تجادل فى ذلك مرارا، فلم تظفر بشيء، و فى كلّ ذلك تبلغها النساء الداخلات و الخارجات عن عائشه كلّ كلام يسؤوها، و يبلغن عائشه عنها و عن بعلمها مثل ذلك، إلا أنّ شتان ما بين الحالين، و بعد ما بين الفريقين هذه غالبه و هذه مغلوبه، و هذه أمره و هذه مأموره، و ظهر التشقى و الشماته، و لا شيء أعظم مراره و مشقّه من شماته العدو (1).

قال ابن أبى الحديد قلت له: أفتقول إنّ عائشه عيّنت أباها للصلاه و النّبى صلّى الله عليه و آله و سلم لم يعينه؟ فقال: أمّا أنا فلا أقول ذلك، و لكنّ عليّا كان يقول و تكليفى غير تكليفه، كان حاضرا و لم أكن حاضرا، فأنا محجوج بالأخبار التى أتصلت بى، و هى تتضمن تعيين النّبى صلّى الله عليه و آله و سلم لأبى بكر فى الصلاه، و هو محجوج بما كان قد علمه أو يغلب على ظنّه من الحال التى كان حضرها، قال:

ص: ١١٦

ثم ماتت فاطمه فجاءت نساء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّهنَّ إِلَى بنى هاشم فى العزاء إِلَّا عائشه، فَإِنَّها لم تَأْتِ أَظهرت مرضا، و نقل إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عنها كلام يدلُّ عَلَى السرور، ثم بايع عَلِيٌّ أَباها فَسَرَّتْ بِذَلِكَ و أَظهرت من الاستبشار بتمام البيعه و استقرار الخلافه و بطلان منازعه الخصم ما قد نقله الناقلون فأكثروا، و استمرت الامور عَلَى هذه مدَّة خلافه أبيها، و خلافه عمر و عثمان، و القلوب تغلى، و الأحقاد تذيب الحجاره، و كلما طال الزمان عَلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ تضاعفت همومه و غمومه، و باح بما فى نفسه إِلَى أن قتل عثمان- و قد كانت عائشه أشدَّ النَّاسِ عَلَيْهِ تَأْلِيبًا و تحريضا- فقالت: أبعدہ اللہ، لَمَّا سمعت قتله و أملت أن تكون الخلافه فى طلحه فيعود الأمر تيممه، كما كانت أَوْلًا، فعدل النَّاسُ عنه إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلَمَّا سمعت ذلك صرخت: و اعثماناه! قتل عثمان مظلوما! افتار ما فى الأنفس حتَّى تولد من ذلك يوم الجمل و ما بعده. قال ابن أبى الحديد:

و هذه خلاصه كلام اللمعانى و كان شديدا فى الاعتزال (١).

و أقول: أميَا قول: (إِنَّ ابنه الرجل إذا ماتت أمها...ففيه أن فاطمه التى قال أبوها أَنَّها سيده نساء العالمين و عديله مريم و ينادى المنادى فى مرورها بالموقف: غَضُّوا أَبْصَارَكُمْ حتَّى تَمْرُو، و إِنَّ إنكاحها عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ كان بعد إنكاح الله تعالى بشهاده ملائكته- و يؤذيه ما يؤذيها- و ما ينطق أبوها عن الهوى- أجلَّ من ذلك، و لم لم يحدث بينها و بين باقى نساء أبيها من ام سلمه و غيرها كدر و شتآن، و كلهن كنَّ كالضرائر لأمها؟ و فى (الطبرى): لا خلاف بين جميع أهل العلم أَنَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بنى بسوده قبل عائشه (٢). فيعلم أَنَّ شتآنها لتلك المرأه و لصاحبتهما لكونهما

ص: ١١٧

١- (١) المصدر نفسه ١٩٨: ٩-١٩٩. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ١٦١: ٣، سنه ١٠. [٢]

عدوتى الله بتصريح الكتاب، فى قوله تعالى: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» (١).

و لو كانت هذه العلل أعدارا لكان أبو جهل معذورا فى عداوته للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقد قال: كُنَّا بنى مخزوم و بنى هاشم كفرسى رهان، و لقد أراد محمّد سبق علينا، و لكان يزيد معذورا فى قتل الحسين عليه السلام، فقال للسجّاد:

إِنَّ أَبَاكَ كَانَ يَبْغِي الْغَوَائِلَ لِسُلْطَانِي.

و من المضحك قوله: «و لست ابرىء عليّا عليه السّلام من مثل ذلك فإنّه كان ينفس على أبى بكر سكون النّبىّ إليه و ثناءه عليه». هل سكن إليه يوم الغار و هو يكثر الجزع، حتّى قال له لا تحزن؟ و هل أثنى عليه يوم فزّ فى خيبر حتّى قال فيه تعريضا: إنّه فزّار غير كزّار، لا- يحبّ الله و رسوله و لا- يحبه الله و رسوله؟ و هل حسد عليّ عليه السّلام أبى بكر عزله عن (براءه)؟ و أى مزايا كانت له حتّى يحب أن يتفرد بها؟ و إنّما كانت مزايه أمران ذكرهما عمر يوم السقيفه.

الأول: كونه صاحب الغار، و هو عوار حيث إنّ إمامهم أحمد بن حنبل قال: إنّ النّبىّ صلى الله عليه وآله خرج منفردا، و إنّما ذهب أبو بكر خلفه من قبل نفسه، و لمّا سمع النّبىّ صلى الله عليه وآله حسّ أبى بكر ظنّه من قريش الذين أرادوا أخذه، فسعى فى المشى حتّى أدمى رجله، و ان جزعه ثمّه صار سببا لسلب السكون عن رسول الله صلى الله عليه وآله، حتّى أنزل تعالى سكينته عليه منفردا. فيفهم من صاحبيته فى الغار عدم إيمانه، و إلا لأنزل تعالى عليه السكينه كما أنزلها فى موضع آخر على رسوله و على المؤمنين (٢).

و الثانى: كونه قدّمه للصلاه، و هو قد شرح علنه و خافيه، و لمّا خرج

ص: ١١٨

١-١) التحريم: ٤. [١]

٢-٢) كما فى سورة الفتح: ٢٤. [٢]

النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي تِلْكَ الْحَالِ اضْطِرَارًا يَجْرُ رِجْلِيهِ مَعْتَمِدًا عَلَى نَفْرَيْنِ - وَ أُخْرَهُ وَ عَزَلَهُ عَنِ الصَّلَاةِ كَمَا عَنِ (بِرَاءةِ)، لَمْ يَبْقَ لَهُ مَجَالٌ أَنْ يَبْقَى فِي ذَاكَ الْمَحَلِّ فَاضْطُرَّ إِلَى خُرُوجِهِ إِلَى مَنْزِلِهِ بِسِنْحٍ مَعَ قُوَّةِ دَاعِيهِ إِلَى أَنْ يَبْقَى مُرَاقِبًا لِسَاعَةِ مَوْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلِمَ، فَاضْطُرَّ عَمْرٌ لَغَيْبَتِهِ إِلَى أَنْ يَهْدِدَ النَّاسَ وَ يَقُولُ: «إِنَّ النَّبِيَّ لَمْ يَمُتْ وَ إِنَّمَا غَابَ كَغَيْبَةِ مُوسَى»، حَتَّى يَصِلَ أَبُو بَكْرٍ وَ يَفْعَلًا بِتَظَاهَرِهِمَا عَلَى الْوَصِيِّ كَتَظَاهَرِ ابْنَتَيْهِمَا عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

وَ كَيْفَ يَقُولُ كَانَ عَلِيٌّ يَنْفَسُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ؟ وَ قَدْ كَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: قَدْ كُنَّا وَ أَبُو بَكْرٍ مَعَنَا فِي حَيَاةِ مَنْ نَبِينَا نَرَى حَقَّ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ لَازِمًا وَ فَضْلَهُ مَبْرُزًا عَلَيْنَا، فَلَمَّا اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ مَا عِنْدَهُ، وَ أْتَمَّ لَهُ مَا وَعَدَهُ، قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ، فَكَانَ أَبُو بَكْرٍ وَ فَارُوقُهُ أَوَّلَ مَنْ ابْتَزَهُ وَ خَالَفَهُ عَلَى ذَلِكَ اتَّفَقَا وَ اتَّسَعَا (١).

وَ أَمَّا قَوْلُهُ: وَ لَمْ يَكُنْ عَلِيٌّ مِنَ الْقَاضِيَيْنِ وَ لَكِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمَشِيرَيْنِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ سَلِمَ بِطَلَاقِهَا، فَاللَّهُ تَعَالَى أَيْضًا كَانَ مِنَ الْمَشِيرَيْنِ فَقَالَ تَعَالَى بَعْدَ قَوْلِهِ «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيَّ» ... «وَ الْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (٢): «عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ مُمْسِلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَ أَبْكَارًا» (٣).

وَ فِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى خُلُوقِ الْمَرَأَتَيْنِ مِنَ صِفَاتِ الْإِسْلَامِ وَ الْإِيمَانِ وَ غَيْرِهِمَا، وَ قَوْلُهُ: (ثَيِّبَاتٍ) إِشَارَةٌ إِلَى حَفْصَةَ وَ (أَبْكَارًا) إِلَى عَائِشَةَ.

وَ أَمَّا قَوْلُهُ إِنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خَوْفُ الْخَادِمِ وَ إِنْ أَقَامَتْ عَلَى الْجُحُودِ فَاضْرِبْهَا، فَبِهَتَانِ مِنْ عَائِشَةَ. وَ أَمَّا قَوْلُهُ: فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِبِرَاءَتِهَا فَشِئْءٌ

ص: ١١٩

١- ١) نقله العلامة المجلسي رحمه الله في البحار ٨: ٦٤٩، [١] ط الكمباني.

٢- ٢) التحريم التحريم: ٤. [٢]

٣- ٣) ٥.

تفردوا به، ورواياتهم تنتهي إليها أنها ادعت أنهم قذفوها، ونزلت الآية فيها.

و مما يوضح افك عائشه في روايتها (١) أنها قالت في خبرها: فدعا النبي بريره يسألها، فقام إليها على فضربها ضرباً شديداً، وهو يقول: اصدقني رسول الله فتقول: والله ما أعلم إلا خيراً. فلا ريب في عصمه أمير المؤمنين عليه السلام من أوله إلى آخره، بإقرار مخالفه وشهاده القرآن له، وفي خبرها قالت عائشه: وAIM الله لأنا كنت أحقر في نفسي وأصغر شأناً من أن ينزل في قرآنا يقرأ به في المساجد ويصلى به، ولكنني قد كنت أرجو أن يرى النبي في نومه شيئاً يكذب الله به عني لما يعلم من برائتي، أو يخبر خبراً، فأما قرآن ينزل في فو الله لنفسي كانت أحقر عندى من ذلك.

فيقال لها: فلم كنت أحقر من أن ينزل فيك قرآن، ولقد جعلك الله أشد من جميع جبابره قريش و مشركى مكة؟ حيث قال في اولئك: «وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ» (٢)، وقال فيك وفي صاحبتك: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ» (٣).

و أمّا الإماميه فعلى أنّ آيه الإفك نزلت في ماريه، فإنّ إفك عائشه مع ذويها لها محقق، كما أنّ طهاره ساحتها عن إفكها محققه بعد كون من رميت به خصياً، كما أقرّ به، فكيف نزلت آيه الإفك في عائشه دون ماريه؟ هل كانت لكونها بنت أبى بكر أكرم على الله، كما هي أكرم عند إخواننا؟، وقد قال تعالى:

«إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ» (٤)، ولا ريب في كونها أتقى، كما لا ريب في

ص: ١٢٠

١-١) تاريخ الطبرى ٢:٦١٥، سنه ٦. [١]

٢-٢) الأنفال: ٣٠. [٢]

٣-٣) التحريم: ٤. [٣]

٤-٤) الحجرات: ١٣. [٤]

عتوّ عائشه و طغيانها، بتصريح الله تعالى في قوله: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» (١) وقوله تعالى: «وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ» (٢)، بل و فوقهما «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَ امْرَأَتَ لُوطٍ» (٣).

و أما قوله: (فكان منهما ما يكون من الانسان يتتصر بعد أن قهر من بسط اللسان و فلتات القول). فيه أنه على رواياتهم لم ينحصر بسط لسانها بأمر المؤمنين عليه السلام فقط، بل بسطت لسانها على النبي صلى الله عليه و آله أيضا- ففي خبرها كما في (الطبري)- أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال لها: يا عائشه إنه قد كان ما بلغك من قول الله، فاتقى الله و إن كنت قارفت سوء فتوبى إلى الله- إلى أن قالت:- فجعل النبي يمسح العرق عن جبينه و هو يقول: ابشرى يا عائشه فقد أنزل الله براءتك، فقلت: بحمد الله و ذمكم (٤). و الكاذب يفضحه الله فادعت أن القرآن الذي يقرأ به في المساجد و يصلى به نزل فيها و جعلت النبي صلى الله عليه و آله من المذمومين.

فان كان كل ما قالت امهم حقا لم ينحصر الأمر في كون النبي صلى الله عليه و آله من المذمومين، بل يكون الله تعالى أيضا من الملوومين، ففي (عقد ابن عبد ربه):

قالت عائشه يوم الجمل في خطبتها: «بى ميز بين منافقكم و مؤمنكم» (٥).

فعلى قولها يكون الله تعالى من المنافقين، حيث قال فيها و فى صاحبها: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ» (٦) و «ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا»

ص: ١٢١

[١- ١] التحريم: ٤. [١]

[٢- ٢] الأحزاب: ٣٣. [٢]

[٣- ٣] التحريم: ١٠. [٣]

[٤- ٤] تاريخ الطبري ٦١٥: ٢-٦١٦، سنة ٦. [٤]

[٥- ٥] العقد الفريد ٦٥: ٥. [٥]

[٦- ٦] التحريم: ٤. [٦]

«امْرَأَتِ نُوحٍ وَ امْرَأَتِ لُوطٍ» (١).

و أما قوله: فكانت فاطمه و عليّ يريدان أن يمرّضانه في بيتهما، و النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم مال إلى بيت عائشه بمقتضى المحبّه القلبيّه. فليس كما قال، بل بمقتضى تظاهرها مع صاحبته و أبيهما عليه صلّى الله عليه و آله و قد منعه عن الوصيه، و تخلفوا عمّا أمرهم به من الخروج في جيش اسامه، و طعنوا في جعل اسامه أميرا عليهم، حتى قال صلّى الله عليه و آله: إن قلت فيهم فقد قلت في أبيه من قبل (٢)، و في (الطبرى): عن أسامه، لما ثقل النبيّ صلّى الله عليه و آله هبطت و هبط الناس معي إلى المدينه فدخلنا عليه، و قد أصمت فلا يتكلم، فجعل يرفع يده إلى السماء ثم يضعها علىّ فعرفت أنه يدعو لى (٣) - و هو مضحك فإنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم كان أشار عليه بحركته و إخراج الرجلين معه، كما يفصح عنه أنّه صلّى الله عليه و آله و سلم كان كلما أفاق يقول جهّزوا جيش اسامه لعن الله من تخلف عنه - و تفسيره إشاره النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم كتفسير امّ خالد بن يزيد كلام مروان لَمّا سمّته، فدخل عليه ابنه عبد الملك و قد اعتقل لسانه فأشار إليها أنّها قتلتته. فقالت: جعلت فداه حتى في احتضاره يوصيكم بى.

و روى العياشى الذى كان عاميا ثم صار إماميا في تفسير قوله تعالى:

«أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ» (٤): إنّ عائشه و حفصه سمّتاها فقتلتاه (٥).

و لدوه أيضا، ففى (الطبرى): قالت عائشه: لدّنا النبيّ صلّى الله عليه و آله في مرضه،

ص: ١٢٢

١-١ التحريم: ١٠. [١]

٢-٢ تاريخ الطبرى ١٨٦: ٣، سنه ١١. [٢]

٣-٣ المصدر نفسه ١٩٦: ٣، سنه ١١.

٤-٤ آل عمران: ١٤٤. [٣]

٥-٥ تفسير العياشى ٢٠٠: ١. [٤]

فقال: لا تلذوني!! فقلنا: كراهيه المريض الدواء. فلما أفاق قال: لا يبقى منكم أحد إلا لدّ غير العباس فإنه لم يشهدكم (١).

و هل كان متولى النبى صلى الله عليه و آله حتى قبض و متصدى تجهيزه غير أمير المؤمنين عليه السّلام؟ و الباكي عليه غير بنته الصديقه؟ و القوم كانوا فى شورى الخلافة و طلب الرياسه، و فى (الطبرى): قالت عائشه: ما علمنا بدفن النبى صلى الله عليه و آله حتى سمعنا صوت المساحى فى جوف الليل ليله الأربعاء (٢).

و فى (طبقات كاتب الواقدي): قال النبى صلى الله عليه و آله فى مرضه: ادعوا لى أخى فدعى له على عليه السّلام فقال: ادن منى. فدنوت منه فاستند الى، فلم يزل مستندا إلى و إنه ليكلمنى حتى أنّ بعض ريق النبى صلى الله عليه و آله و سلم ليصينى، ثم نزل بالنبى صلى الله عليه و آله و سلم و ثقل فى حجرى (٣).

و قوله: (لم يجد استدراك النبى صلى الله عليه و آله و سلم بخروجه، مع قوه داعى أبى بكر و من تبعه من أعيان المهاجرين و الأنصار) غير صحيح، فإنّما تبعه الطلقاء و أبناء الطلقاء، و بهم صار داعيه قويا، و أمّا عمر و أبو عبيده فإنّما كانا متواطئين معه و كلّهم كنفس واحده.

و إنّما كان القول بالمحبّه القليله شىء تدعيه لنفسها، و يدعيه لها عمر ففضّلها فى العطاء على باقى نساء النبى صلى الله عليه و آله، بأن النبى كان يحبّها أكثر من باقيهن. فعل ذلك بها شكرا لها لتأسيس سلطنتهم، و هى إن فعلت ذلك لأبيها، إلا أنّ سلطنه أبيها كانت سلطنته، بل كان حظّه أكثر، لأنّه كان شريك أبيها فى حياته، و مستقلا بعد وفاته و لذا كان جده فى ذلك أكثر، مع أنّ عمر فضل على

ص: ١٢٣

١-١ (١) تاريخ الطبرى ١٩٥: ٣، سنه ١١. [١]

٢-٢ (٢) المصدر نفسه ٢١٣: ٣، سنه ١١.

٣-٣ (٣) طبقات الواقدي ٢٦٣: ٢.

خلاف الكتاب و السّينه -مطلق الأشراف، فكيف لا يفضل عايشه؟ مع أنّ مثل عايشه لو لم يفضّلها لأخلت في سلطنته، كما أخلت في أمر عثمان، و كانت من الأسباب القويّه لقتله، لأنّه لم يفضّلها، و لقد تفضّن لذلك معاويه، ففضّلها و لما قالت له: ما خفت الله في قتل حجر العابد الزاهد، قال لها:

كيف أمر عطائك؟ قالت: حسن، قال: فخليني و إياه للقيامه.

و قوله: «و كره النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلم أن يزاحم عليّا و فاطمه في بيتهما» أيضا غير صحيح، فهل كان رأسه في غير حجر عليّ عليه السّلام حتّى مات؟ و هل كان اتكاؤه لما خرج إلى المسجد لتأخير أبي بكر إلاّ عليه عليه السّلام؟ و أمّا قوله: «و ساعد على ذلك الحظ الفلكي و الأمر السمائي»، ففي غير موضعه، فلم تقل الكلمه في هذا الموضوع، و إنّما تقال تلك في التصادفات الدنيويّه، و أمّا مثلها فيقال: إنّها كانت امتحانا من الله تعالى للناس. و لما قتل أمير المؤمنين عليه السّلام و اضطرّ الحسن عليه السّلام إلى مصالحه معاويه، خطب و قال:

«وَ إِنْ أَدْرِي لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَكُمْ وَ مَتَاعٌ إِلَى حِينٍ» (١).

و قوله: «و لم ينسب عليّ عليه السّلام الحال إلاّ إلى عايشه، و لا علق الأمر إلاّ بها، فدعا عليها في خلواته و بين خواصّه، و تظلم إلى الله منها» صحيح، و كان عليه أن يزيد فيه كما كانت امرأته فاطمه تدعو على أبيها في أدبار صلواتها، ففي (خلفاء ابن قتيبه): إنّ أبا بكر و عمر لمّا دخلا عليها و لت وجهها عنهما، و لم تردّ عليهما السلام لما سلّما، و إنّها قالت لهما بعد قول أبي بكر لها: «يا حبيبه رسول الله، إنّك لأحبّ إليّ من ابنتي عايشه» نشدتكما الله ألم تسمعا النبيّ صلّى الله عليه و آله يقول: «رضي فاطمه من رضاي و سخطها من سخطي، و من أرضي فاطمه فقد أرضاني، و من أسخط فاطمه فقد أسخطني» فقالا: نعم. فقالت: فإنّي

ص: ١٢٤

اشهد الله و ملائكته أنكما أسخطتماني و ما أرضيتماني، و لئن لقيت النبي صلى الله عليه و آله لأشكونكما إليه. فقال أبو بكر: أنا عائد بالله من سخطه و سخطك. ثم انتحب يبكي، و هي تقول: و الله لأدعون الله عليك في كل صلاة أصليها (١).

و قوله: «و أنا محجوج بالأخبار التي اتصلت بي» كما ترى، فإنها أخبار تتناقض صدرا و ذيلا، و هي أخبار أمر بوضعها معاويه، و يكفيها اعتقاد أمير المؤمنين عليه السلام فيها.

و قوله: «و لم تأت عايشه في وفاه فاطمه لتعزيه بنى هاشم» صحيح لكنها أرادت ان تحضر غسلها شماته، فمنعتها أسماء بنت عميس مع كونها زوجه أبيها بوصية فاطمه عليها السلام بمنعها، ففي (الاستيعاب): لَمَّا توفيت فاطمه جاءت عائشه، فقالت أسماء: لا تدخل، فشكته إلى أبي بكر، فقال لها أبو بكر:

ما حملك على منع أزواج النبي؟ فقالت: أمرتني ألا يدخل عليها أحد (٢).

و من أكاذيبها: ادّعاؤها أنّ النبي صلى الله عليه و آله توفي بين سحرها و نحرها، ففي (طبقات كاتب الواقدي): عن أبي عطفان قال: سألت ابن عباس، أ رأيت النبي صلى الله عليه و آله توفي و رأسه في حجر أحد؟ قال: توفي و رأسه مستند إلى صدر علي عليه السلام، قلت: فإنّ عروه حدّثني عن عايشه أنّها قالت: توفي النبي بين سحري و نحري. فقال ابن عباس: أتعقل؟ و الله لتوفي النبي صلى الله عليه و آله و إنّهُ لمستند إلى صدر علي و هو الذي غسله... (٣).

و مرّ قول عمر فيها أنّها التي نزلت فيها و في صاحبها «وَ إِنْ تَظَاهَرَا عَلَيَّ» (٤)، و لعثمان فيها أقوال، روى الجوهرى في (سقيفته) خبرا في تكلم

ص: ١٢٥

١-١ (الإمامه و السياسة ١: ١٣-١٤). [١]

٢-٢ (الاستيعاب بهامش الإصابه ٤: ٣٧٩).

٣-٣ (الطبقات الكبرى ٢: ٢٦٣). [٢]

٤-٤ (التحريم: ٤). [٣]

عائشه و حفصه في عثمان، فقال عثمان و قد أقبل على الناس بعد صلاته: إن هاتين لفتانتان، يحلّ لى سبهما و أنا بأصلهما عالم (١).

و عن (تاريخ الثقفى): إن عثمان صعد المنبر، فرفعت عائشه قميص النبى و نادت: لقد خالفت يا عثمان صاحب هذا القميص. فقال عثمان: إن هذه الزعراء عدوه الله ضرب الله مثلها و مثل صاحبتهما فى الكتاب «امرات نوح و امرأت لوط» (٢).

و عنه: جاءت عائشه إلى عثمان فقالت: اعطنى ما كان يعطينى أبى و عمر، قال: لا أجد له موضعا فى الكتاب و لا فى السنه، و لكن كان أبوك و عمر يعطيانك عن طيبه أنفسهما، و أنا لا أفعل. قالت: فأعطينى ميراثى من النبى صلى الله عليه و آله. قال: أو لم تجيء فاطمه تطلب ميراثها من النبى، فشهدت أنت و مالك بن أوس البصرى أن النبى لا يورث، و أبطلت حق فاطمه و جئت تطليبه، لا أفعل... (٣).

و من منكراتها خلافا على الله تعالى و رسوله: تقريرها فعل معاويه فى إلحاق زياد، ففى (فتوح البلاذرى): نهر مره منسوب إلى مره مولى عبد الرحمن بن أبى بكر. سأل عائشه أن تكتب له إلى زياد و تبدأ به فى عنوان كتابها، فكتبت إليه بالوصايه و عنونته (إلى زياد بن أبى سفيان من عائشه أم المؤمنين) فلما رأى زياد أنها قد كاتبتة و نسبتة إلى أبى سفيان سرّ بذلك و أكرم مره و أطفه، و قال: هذا كتاب أم المؤمنين إلىّ فيه، و عرضه عليهم ليقروا عنوانه، ثم أقطعه مائه جريب على نهر الأبله، و أمره فحفر لها نهرا (٤).

ص: ١٢٤

١- ١) السقيفه و فدك: ٨٠، [١] شرح ابن أبى الحديد ٩: ٥. [٢]

٢- ٢) الأمالى للمفيد: ١٢٥، و الآيه ١٠ من سوره التحريم. [٣]

٣- ٣) الأمالى للمفيد: ١٢٥.

٤- ٤) فتوح البلدان للبلاذرى: ٥٠٢-٥٠٣ [٤] مؤسسه المعارف، بيروت.

و من أكاذيبها مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: ما رواه الخطيب في محمّد بن أحمد المؤدّب: أنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أرسل عائشه إلى امرأه فقالت: ما رأيت طائلا، فقال: لقد رأيت خالا بخدّها اقشعرت منه ذؤابتك. فقالت: ما دونك ستر و من يستطع أن يكتمك؟ (١) و من شهادته النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في حقّها ما رواه الحميدى في (الجمع بين الصحيحين) عن أبي عمر، قال: قام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ خطيبا -و أشار نحو مسكن عائشه- و قال: ها هنا -الفتنه- ثلاثا -منه يطلع قرن الشيطان (٢).

«و ضغن» أي: حقد.

«غلا في صدرها كمرجل» في (الصحيح): المرجل قدر من نحاس (٣).

«القين» أي: الحداد، في (الطبري): عن عائشه قالت رجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ من البقيع في مرضه، فوجدني و أنا أقول و رأساه، فقال: بل أنا و رأساه -ثم قال لي: ما ضرّك لو مت قبلي، فقامت عليك و كفتك و صليت عليك و دفنتك، فقلت:

و الله لكأني بك لو فعلت ذلك رجعت إلى بيتي فعرست ببعض نسائك. فتبسم و تمام به و جعه و هو يدور على نسائه، حتّى استعز به و هو في بيت ميمونه، فدعا نسائه فاستأذنه أن يمرض في بيتي، فأذن له فخرج بين رجلين من أهله، أحدهما الفضل بن عباس و رجل آخر تخطّ قدماه إلى الأرض، عاصبا رأسه حتّى دخل بيتي. قال عبيد الله بن عبد الله بن عتبة: فحدّث هذا الحديث عن عائشه ابن عباس فقال: هل تدري من الرجل الآخر؟ قلت: لا. قال: عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، و لكن عائشه لا تقدر أن تذكره بخير (٤).

ص: ١٢٧

١-١ (١) تاريخ بغداد ٣٠١: ١. [١]

٢-٢ (٢) صحيح البخارى ٨: ٩٥ و صحيح مسلم ٨: ١٨١.

٣-٣ (٣) الصحيح ٤: ١٧٠٥، [٢] مادة: (رجل).

٤-٤ (٤) تاريخ الطبري ٣: ١٨٨-٣: ١٨٩، سنة ١١. [٣]

و في (الطبرى): أنّ عايشه لما انتهت إلى (سرف) راجعه في طريقها إلى مكّه، لقيت عبد بن ام كلاب- و هو عبد بن أبى سلمه ينسب إلى امه- قالت له:

مهيم، قال: قتلوا عثمان فمكثوا ثمانيا. قالت: ثم صنعوا ما ذا؟ قال: أخذها أهل المدينه بالاجتماع فجازت بهم الامور إلى خير مجاز، اجتمعوا على على بن أبى طالب. فقالت: و الله ليت هذه انطبقت على هذه إن تم الأمر لصاحبك، ردّونى ردّونى. فانصرفت إلى مكه و هى تقول: قتل عثمان و الله مظلوما، و الله لأطلبن بدمه، فقال لها ابن ام كلاب: فو الله إنّ أوّل من أمال حرفه لأنت، و لقد كنت تقولين: اقتلوا نعثلا فقد كفر. قالت: إنهم استتابوه ثم قتلوه، و قد قلت و قالوا، و قولى الأخير خير من قولى الأوّل.
فقال لها ابن امّ كلاب:

فمنك البداء و منك الغير و منك الرياح و منك المطر

و أنت أمرت بقتل الإمام و قلت لنا إنّّه قد كفر

فهينا أطعناك فى قتله و قاتله عندنا من أمر

و لم يسقط السقف من فوقنا و لم ينكسف شمسنا و القمر

و قد بايع الناس ذا تدرء يزيل الشبا و يقيم الصعر

و يلبس للحرب أثوابها و ما من و فى مثل من قد غدر

فانصرفت إلى مكّه، فنزلت على باب المسجد، فقصدت للحجر و اجتمع إليها الناس، فقالت: أيّها الناس، إنّ عثمان قتل مظلوما، و الله لأطلبن بدمه (1).

و رواه محمّد بن نعمان هكذا، قال: لمّا جاء ناعى عثمان إلى مكّه، بكى لقتله قوم، فأمرت عائشه مناديا ينادى: ما بكأؤكم على نعثل، أراد ان يطفىء نور الله فأطفأه الله، و أنّ يضيّع سنّه رسوله فقتله.

ص: ١٢٨

ثم ارجف بمكّه أنّ طلحه بويح، فركبت مبادره بغلتها و توجهت نحو المدينه و هى مسروره، حتّى انتهت إلى سرف، استقبلها عبد بن أبى سلمه فقالت له: ما عندك من الخير؟ قال: قتل عثمان. قالت: فمن ولّوه؟ قال علىّ ابن عمّ الرسول، فقالت: و الله لو ددت أن هذه تطامن على هذه إن تمت لصاحبك.

فقال: و لم؟ فو الله ما على هذه الغبراء نسمة أكرم منه على الله (١).

و فى (العقد): عن ابن عباس: لمّا انقضى أمر الجمل قال لى علىّ عليه السّلام:

إيت هذه المرأه فلترجع إلى بيتها الذى أمرها الله تعالى أن تقرّ فيه. فجئت فاستأذنت عليها، فلم تأذن لى، فدخلت بلا إذن، فمددت يدي إلى وساده فى البيت فجلست عليها. فقالت: تالله يا بن عباس ما رأيت مثلك تدخل بيتنا بلا إذن، و تجلس على وسادتنا بغير أمرنا. فقلت: و الله ما هو بيتك و لا بيتك إلا الذى أمرك الله أن تقرّى فيه فلم تفعلى، إنّ أمير المؤمنين يأمرك أن ترجعى إلى بلدك الذى خرجت منه، قالت: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب. قلت:

نعم، و هذا أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب. قالت: أبيت أبيت، قلت: ما كان إباؤك إلا فواق ناقه، ثم صرت ما تحلين و لا تمرين و لا- تأمرين و لا- تنهين - فبكت حتّى علا- نشيجها، ثم قالت: نعم أرجع، فإنّ أبغض البلدان إلى بلد أنتم فيه. قلت: أما و الله ما كان ذلك جزاؤنا منك، اذ جعلناك للمؤمنين اماء، و جعلنا أباك صديقاً. قالت: أتمنّ علىّ بالنبىّ يا بن عباس؟ قلت: نعم نمّنّ عليك بمن لو كان منك بمنزلته منّا لمننت به علينا.

فأتيت عليّاً فأخبرته فقبل بين عينى، و قال: «ذُرِّيَّةٌ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ» (٢).

ص: ١٢٩

١- ١) حرب الجمل للمفيد: ص ٤٢٩. [١]

٢- ٢) العقد الفريد ٧٦: ٥-٧٧، و [٢] الآيه ٣٤ من سوره آل عمران. [٣]

و رواه أعثم الكوفي مع زياده، و فى روايته قالت عايشه لابن عباس:

أخطأت السنّه، فقال لها: نحن علمناك و أباك السنّه، و أمّا بيتك الذى خلفك فيه النّبىّ صلّى الله عليه و آله فخرجت منه ظالمه لنفسك، غاشه لدينك، عاتبه على ربك، عاصيه لرسوله (١).

و فى روايته قالت: رحم الله أمير المؤمنين ذاك عمر بن الخطاب، فقال ابن عباس: هذا و الله أمير المؤمنين و إن تربدت فيه وجوه و رغمت فيه معاطس، أما و الله لهو أمير المؤمنين أمّس برسول الله رحما، و أقرب قرابه و أقدم سبقا و أكثر علما و أعلى منارا و أكثر آثارا من أيبك و من عمر.

و فى روايته: إنّنا جعلناك للمؤمنين اما، و أنت بنت ام رومان و أبوك ابن أبى قحافه. و فى روايته: و لم لا نمنّ عليك بمن لو كانت شعره و قلامه منه منك لمننت به علينا؟ و ما أنت إلّا حشيه من تسع حشايا خلفهن بعده، لست بأبيضهن لونا و لا أحسنهن وجها، و لا بأرشنهن عرقا، و لا بأنصرهن ورقا، و لا بأطراهن أصلا، فصرت تأمرين فتطاعين، و تدعين فتجابين، و نحن لحم النّبىّ و دمه و منه و إليه.

فقلت: إنّ علينا لا يقّر لك بذلك. فقال: أنا لا انازعه فى هذا الباب، فإنّه أقرب إلى النّبىّ منى و أولى بعلمه و ميراثه، فإنّه أخوه، و ابن عمّه، و زوج ابنته فاطمه، و أبو ابنيه الحسن و الحسين، و وصيّيه و باب مدينه علمه، و فارسه فى غزواته، و ما أنت و هذا؟ و الله ما فعلنا لك و لأيبك لا تقدرين على شكره، و لو كنتم تقدرين لا تفعلون، كما فعلتم ما فعلتم، ثم خرج من عندها (٢).

ص: ١٣٠

[١ - ١] كتاب الفتوح ٢: ٤٨٦. [١]

[٢ - ٢] ليس فى كتاب الفتوح المطبوع ببلبان، سنه ١٤١١ هـ ٢: ٤٨٦ - ٤٨٧ بعض هذه الفقرات، و بعض مواضع الكلام فى مروج الذهب ٢: ٣٧٧ و تاريخ يعقوبى ٢: ١٨٣.

و روى الإسكافي عن الزهري: أنه كان عنده حديثان عن عروه عن عائشه في عليّ عليه السّلام. قال معمر: فسألت الزهري عنهما يوما فقال: ما تصنع بهما و بحدِيثهما، الله أعلم بهما، إنّي لأتهمهما في بني هاشم (١).

و في (جمل المفيد) (٢) عن عمر بن أبان قال: لما ظهر عليّ عليه السّلام على أهل البصره جاءه رجال منهم فقالوا: ما السبب الذي دعا عايشه إلى المظاهره عليك، حتّى بلغت من خلافك و شقاقك ما بلغت، و هي امرأه من النساء، لم يكتب عليها القتال، و لا رخص لها في الخروج من بيتها، و لا التبرج بين الرجال؟ فقال عليّ عليه السّلام: سأذكر أشياء حقدتها عليّ، ليس في واحد منها ذنب عليّ، و لكنها تجرّمت بها عليّ.

أحدها: تفضيل النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلم لى عليّ أبيها و تقديمه إتياء في مواطن الخير عليه، فكانت تضطغن ذلك و يصعب عليها.

و ثانيها: إنّه لما آخى بين أصحابه آخى بين أبيها و بين عمر و اختصّنى باخوته، فغلظ ذلك عليها (٣).

و ثالثها: أوصى النّبىّ بسدّ أبواب كانت في المسجد لجميع أصحابه إلا بابى، فلما سد باب أبيها و صاحبه، و ترك بابى مفتوحا في المسجد، تكلم في ذلك بعض أهله فقال النّبىّ صلّى الله عليه و آله: «ما أنا سدّدت أبوابكم و فتحت باب عليّ، بل الله عزّ و جلّ سدّ أبوابكم و فتح بابى» (٤)، فغضب لذلك أبو بكر و عظم عليه، و تكلم في أهله بشيء سمعته منه ابنته فاضطغنته عليّ.

و كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله أعطى أباه الرايه يوم خيبر، و أمره ألا يرجع حتّى

ص: ١٣١

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٦٤. [١]

٢- ٢) الجمل: ٤٠٩-٤١٢. [٢]

٣- ٣) السيره لابن هشام ٢: ١٥٠، الطبقات لابن سعد ٣: ٢٢، [٣] مناقب آل أبى طالب ٢: ١٨٤-١٨٩. [٤]

٤- ٤) مسند أحمد ٤: ٣٦٩، خصائص النسائي: ٧٣، شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٧٣، كفايه الطالب: ٢٠٣-٢٠٤.

يفتح أو يقتل، فلم يلبث لذلك وانهزم، فأعطاها فى الغد عمر، وأمره بمثل ما أمر صاحبه، فانهزم، فساء النبى صلى الله عليه وآله ذلك وقال لهم -ظاهرا معلنا-: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، كزارا غير فزار لا يرجع حتى يفتح الله على يده) (١)، فأعطاني الراية فصبرت حتى فتح الله على يدي، فغم ذلك أباه، فاضطغنه علي فحقدت لحقد أبيها.

و بعث النبى أباه ليؤدى سورة (براءة)، وأمره أن ينبذ العهد للمشركين، فمضى حتى انحرف، فأوحى الله تعالى إلى نبيه أن يردّه و يأخذ الآيات منه، ويسلمها إلى فعزل أباه بإذن الله تعالى، وكان فيما أوحى الله تعالى إليه: لا يؤدى عنك إلا رجل منك (٢)، و كنت من النبى صلى الله عليه وآله و كان منى، فاضطغن لذلك علي أيضا و اتبعته عايشه فى رأيه.

و كانت عايشه تمقت خديجه بنت خويلد و تشنؤها شنآن الضرائر، و كانت تعرف مكانها من النبى صلى الله عليه وآله فيثقل ذلك عليها، و تعدى مقتها إلى ابنتها فاطمه، فتمقتنى و تمقت فاطمه و تمقت خديجه و هذا معروف فى الضرائر.

و لقد دخلت على النبى صلى الله عليه وآله ذات يوم قبل أن يضرب الحجاب على أزواجه و كانت عايشه بقرب النبى صلى الله عليه وآله و آله، فلما رآنى النبى صلى الله عليه وآله رحب بى و قال:

ادن منى يا على. و لم يزل يدنينى حتى أجلسنى بينه و بينها، فغلظ ذلك عليها فأقبلت على و قالت -بسوء رأى النساء و تسرعهن إلى الخطاب-: ما وجدت لاستك يا على موضعا غير فخدى، فزبرها النبى صلى الله عليه وآله و قال لها: «ألعلى تقولين هذا؟! إنه و الله أول من آمن بى و صدقنى، و أول خلق و رودا بى على الحوض،

ص: ١٣٢

١-١) صحيح البخارى ١٠٨٦:٣ ح ٢٨١٢، خصائص النساءى: ٤٩٠-٤٩٠. [١]

٢-٢) خصائص النساءى: ٩١-٩٣، المستدرک ٥١:٣. [٢]

و هو أحق الناس عهدا إليّ، لا- يبغضه أحد إلا أكبه الله على منخره في النار» (١)، فإزدادت بذلك غيضا عليّ. ولما رميت بما رميت اشتد ذلك على النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فاستشارني في أمرها، فقلت له: سل جاريتها بريره و استبريء الحال منها، فإن وجدت عليها شيئا فخل سبيلها فالنساء كثيره. فأمرني أن أتولّى مسأله بريره، ففعلت ذلك فحققت عليّ، و والله ما أردت بها سوءا و لكنني نصحت لله و لرسوله- و أمثال ما ذكرت- فإن شئتم فاسألوها ما الذي نقت عليّ؟ حتى خرجت مع الناكثين ليعتبي و سفك دماء شيعتي، و التظاهر بين المسلمين بعداوتى، إلا البغي و الشقاق و المقت لي بغير سبب يوجب ذلك في الدين.

فقال القوم: القول و الله ما قلت يا أمير المؤمنين، و لقد كشفت الغمّه، و لقد نشهد أنّك أولى بالله و رسوله ممّن دعاك، فقام الحجاج بن غزويه الأنصاري و قال أبياتا (٢).

«و لو دعيت لتنال من غيري ما أتت إلي لم تفعل» روى الخطيب في (تاريخ بغداد): أنّ عليّ عليه السلام لمّا فرغ من قتال أهل النهروان، فقل أبو قتاده الأنصاري و معه ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعائشه فقالت له: ما وراءك؟ فشرح لها قتالهم و قتل ذى الشديه. فقالت عائشه: ما يمنعني ما بيني و بين عليّ أن أقول الحق، سمعت النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يقول: تفترق امّتي على فرقتين، تمرق بينهم فرقه محلّقون رؤوسهم، محفون شواربهم، أزرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن، لا- يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبهم إليّ و أحبهم الى الله تعالى.

قال أبو قتاده: فقلت يا ام المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلم كان الذي

ص: ١٣٣

١- (١) الأمالى للطوسى ٢: ٢١٥، [١] كشف الغمّه ١: ٣٤٢، كشف اليقين: ٢٧٣-٢٧٤. [٢]

٢- (٢) الجمل للمفيد: ٤٠٩-٤١٢. [٣]

منك؟ قالت: يا أبا قتاده و كان أمر الله قدرا مقدورا و للقدرا أسباب (١).

و فى (الطبرى): قال عمّار لعائشه حين فرغ القوم: ما أبعد هذا المسير من العهد الذى عهد إليك؟ قالت: أبو اليقظان؟ قال: نعم. قالت: و الله إنك ما علمت قوال بالحق. قال: الحمد لله الذى قضى لى على لسانك (٢).

و لقد أجاد الحميرى فى قصيدته مشيرا إلى أنّ شجاعه عائشه و قوّه قلبها فى قتال أمير المؤمنين عليه السّلام، كانت أكثر من شجاعه أبيها يوم خيبر، فإنه فرّ و هى ثبتت فقال:

يا للرجال لرأى ام قادهما ذئبان يكتنفانها فى أذؤب

ذئبان قادهما الشقاء و قادهما للحين فافتحما بها فى منشب

فى ورطه لحجابها فتحملت منها على قتب باثم محقب

ام تدبّ إلى ابنها و وليها بالمؤذيات له ديب العقرب

لو أنّ والدها بقوّه قلبها لاقى اليهود بخير لم يهرب

و نقل المرتضى فى شرحه للقصيد، عن كتاب (جمل نصر بن مزاحم) عن السرى بن إسماعيل، عن الشعبى عن عبد الرحمن بن مسعود العبدى، قال:

كنت بمكة- إلى أن قال- فأقبلت عائشه حتّى دخلت على ام سلمه فقالت ام سلمه لها: مرحبا بعائشه، ما كنت لى بزائره فما بدا لك؟ قالت: قدم طلحه و الزبير فخبرنا أنّ أمير المؤمنين عثمان قتل مظلوما. فصرخت ام سلمه صرخه أسمعت من فى الدار. فقالت: يا عائشه أنت بالأمس تشهدين عليه بالكفر، و هو اليوم أمير المؤمنين قتل مظلوما فما تريدن؟ قالت: تخرجين معى، فلعل الله أن يصلح بخروجنا أمر امه محمّدا، فقالت: يا عائشه أخرج و قد سمعت من النّبى صلّى الله عليه و آله ما سمعت، نشدتك يا عائشه بالله الذى يعلم صدقك إن

ص: ١٣٤

١- ١) تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ١: ١٦٠، [١] دار الفكر بيروت.

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٥٤٥-٥٤٦، سنة ٣٦. [٢]

صدقت، أ تذكركم من النبي صلى الله عليه وآله فصنعت حريمه في بيتي فأتيته بها و هو يقول: «والله لا تذهب الليالي و الأيام حتى تتباح كلاب ماء بالعراق يقال له الحوآب امرأه من نسائي في فئه باغيه» فسقط الإناء من يدي، فرفع رأسه إلي فقال: مالك يا ام سلمه؟ قلت: ألا يسقط الإناء من يدي و أنت تقول ما تقول، ما يؤمنني أن أكون أنا هي؟ فضحكت أنت يا عايشه فالتفت إليك فقال: ما يضحك يا حمراء الساقين، اني لأحسبك هي، و أنشدتك بالله يا عائشه أ تذكركم ليله أسرى بنا النبي صلى الله عليه وآله و سلم من مكان كذا و كذا، و هو بيني و بين علي بن أبي طالب يحدثنا فأدخلت جملك فحال بينه و بين علي، فرفع مرفقه كانت معه فضرب بها وجه جملك، و قال: أما و الله ما يومه منك بواحد و لا بليته منك بواحد، و أما إنه لا يبغضه إلا منافق أو كذاب، و أنشدك الله يا عايشه أ تذكركم مرض النبي صلى الله عليه وآله الذي قبض فيه فأتاه أبوك يعود و معه عمر و قد كان علي يتعاهد ثوب النبي صلى الله عليه وآله و نعله و خفه و يصلح ما و هي منها، و كان دخل قبل ذلك و أخذ نعل النبي صلى الله عليه وآله يخصفها خلف البيت، فاستأذنا عليه فأذن لهما فقالا له: كيف أصبحت؟ قال: أصبحت أحمد الله. قال: ما بد من الموت؟ قال: لا بد منه، قال: فهل استخلفت أحدا؟ فقال: ما خليفتي فيكم إلا خاصف النعل. فخرجا فمرا علي عليه السلام و هو يخصف النعل. كل ذلك تعرفينه يا عايشه و تشهدين عليه لأنك سمعته من النبي صلى الله عليه وآله. يا عايشه أنا أخرج علي عليه السلام بعد هذا الذي سمعته من النبي صلى الله عليه وآله.

فرجعت عايشه إلى منزلها و قالت: يا بن الزبير أبلغ طلحه و الزبير أنني لست بخارجه بعد الذي سمعته من ام سلمه. فرجع فبلغهما.

قال عبد الرحمن: فما انتصف الليل حتى سمعنا رغاء إبلها ترتحل...

قال المرتضى: و من العجائب أن يكون مثل هذا الخبر الذي يتضمن

النص بالخلافه، و كل فضيله غريبه موجودا فى كتب المخالفين و فيما يصححونه من رواياتهم و يصنفونه من سيرتهم و لا يتبعونه (١).

هذا و قال ابن أبى الحديد: معنى كلامه عليه السّلام: «و لو دعيت لتتال من غيرى ما أتت إلّى لم تفعل»، أنّ عمر لو ولى الخلافه بعد قتل عثمان على الوجه الذى قتل، و الوجه الذى أنا وليت الخلافه عليه، و نسبت عمر إلى أنّه كان يؤثر قتله، و دعيت إلى ان تخرج عليه فى عصابه من المسلمين إلى بعض بلاد الإسلام تثير فتنه و تنقض البيعه لم تفعل (٢).

قلت: ما قاله فى غايه الركاهه، فإنّها و عمر و أبوها كنفس واحده، أسسوا ما أسسوا معا، فتفسيره نظير أن يفسر الكلام أنّ عايشه لو دعيت إلى قتال أبيها بكر ما فعلت، و إنّما المراد بغيره عليه السّلام عثمان، فإنّ عثمان لمّا قطع عنها ما كان أبوها و عمر يعطيانها و كان لم يراع غير بنى اميّة بنى أبيه، قالت:

اقتلوا نعتلا - فقد كفر، و حرّضت الناس على الخروج عليه، و كانت كلماتها و حركاتها فيه دخيله فى قتله، و لمّا سئل محمّد بن طلحه عن دم عثمان قال مع كونه من أتباع عايشه: ثلثه على عايشه و ثلثه على أبيه، كانت عايشه تقنع فى عثمان بأن تقول أبلى عثمان دين النبىّ و لم يبيل نعلاه، و أما أن تخرج على عثمان كما خرجت عليه عليه السّلام، فلا، مع أنّ أهل مصر و أهل الكوفه و أهل البصره الذين جاءوا لقتل عثمان كانوا حاضرين لدعوتها إلى قتاله، فكانت ملجأهم حتّى لا يأخذ عثمان رؤساءهم، لأنّه لم يكن لها مع عثمان ضغن شديد كما كان لها معه عليه السّلام، و كيف تخرج عليه و هو فرع أبيها؟ و إنّما أسخطها عليه قطع زياده كان من قبله يعطيها فلو كانوا دعوها لم تجبهم.

ص: ١٣٦

١- ١) أورده المجلسى فى بحار الأنوار ٣٢: ١٥١، روايه ١٢٥. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٩: ١٩٩. [٢]

«و لها بعد حرمتها الاولى» في (العقد الفريد): أوّل ما تكلمت به الخوارج يوم الجمل قالوا: ما أحلّ له دماءهم و حرّم علينا أموالهم؟ فقال عليّ عليه السّلام: هي السّينه في أهل القبلة. قالوا: ما ندرى ما هذا. قال: فهذه عايشه رأس القوم، أ تتساهمون عليها؟ قالوا: سبحان الله امّا. قال: فهي حرام؟ قالوا: نعم. قال:

فإنّه يحرم من أبنائها ما يحرم منها (١).

و في (جمل المفيد): لَمّا عزم عليه السّلام على المسير إلى الكوفة أنفذ إلى عايشه يأمرها بالرحيل إلى المدينه، فتهيأت لذلك و أنفذ معها أربعين امرأه ألبسهن العمائم و القلائس و قلدهن السيوف، و أمرهن أن يحفّفنها و يكن عن يمينها و شمالها و من ورائها، فجعلت تقول في الطريق: اللهم افعل بعليّ و افعل، بعث معي الرجال و لم يحفظ فيّ حرمة النّبىّ. فلَمّا قدم المدينه ألقين العمائم و السيوف و دخلن معها، فلَمّا رأتهن ندمت على ذمّه عليه السّلام و قالت: جزى الله ابن أبى طالب خيراً، فلقد حفظ فيّ حرمة النّبىّ صلّى الله عليه و آله (٢).

و قد روى محمّد بن عليّ المعروف بأعثم الكوفي في (فتوحه) المؤلف في سنه (٢٠٤) و ترجمه أحمد بن محمّد المتوفى في سنه (٥٩٦) - و هما من رجالهم، و قد ذكرهما صاحب (كشف الظنون) - ما معناه: أنّ عايشه لم ترد الشخص من البصره فخوّفها عليه السّلام بطلاقها من النّبىّ صلّى الله عليه و آله المفوّض إليه عليه السّلام، فقال بعد ذكر إرساله عليه السّلام ابن عبّاس إليها ثم دخوله بنفسه عليها، و تبكيها بما فعلت و أمرها بشخصها إلى المدينه. و بعث في غده ابنه الحسن إليها، فقال لها: يحلف أمير المؤمنين لئن لم تشخصى الساعه أقول كلاماً أنت تعلمينه في حقّك - و كانت تسرح رأسها في تلك الساعه، و كانت نسجت إحدى

ص: ١٣٧

١ - ١) العقد الفريد ٥: ٧٩. [١]

٢ - ٢) الجمل للمفيد: ٤١٥، [٢] مروج الذهب ٢: ٣٧٩، [٣] تذكره الخواص: ٨٠. [٤]

ذؤابتها و بقيت الاخرى-فلما سمعت ذلك من الحسن عليه السلام، تركت الاخرى بحالها و قامت و قالت:عجلوا براحتى أرجع إلى المدينه.و كانت امرأه من المهالبه عندها،فقالت لها:يا ام المؤمنين جاءك ابن عباس و كلمك بكلمات واجبتيه بجوابات غليظه حتى رجع مغضبا و جاءك على نفسه و قد ردت بينكما كلمات،و جاءك هذا الغلام و كلمك بكلمات اضطربت منها،فما سببه؟ فقالت:قلقت من كلامه لأنه ابن النبي و إنسان عينه،فمن أراد أن يرى انسان عين النبي صلى الله عليه و آله فلينظر فى إنسان عين الحسن.و كانت كلمه اخرى متعلقه بلسان على فأرسل الحسن إلى منها برمز،فلا بد من استماعها و شخوصى إلى المدينه.

فقال المرأه:أنشدك بالذى أرسل محمدا بالحق إلا تخبريني ما تلك الكلمه.فقال عايشه:لما أحلفتني اخبرك،إنه كان اتى فى غزوه بغنائم كثيره، و كان النبي صلى الله عليه و آله يقسمها على أصحابه،فطلبت أنا و بعض نسائه الاخرى منها شيئا و ألحنا عليه حتى ضاق صدره منا-و كان على حاضر-فلامنا على إلحاحنا و قال:لا تكثرن الكلام و اسكنن فقد آذيتن النبي صلى الله عليه و آله،فأجبناه بكلمات غليظه فتلا- علينا قوله تعالى: «عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجا خيرا منك» (١)،فألحنا مره اخرى و قلنا لعلى كلمات شديده،فغضب النبي مما كلمنا علينا فقال:جعلت طلاق هؤلاء النسوه بيدك فمن شئت أن تطلق منهن بعد وفاتى فافعل،فخفت إن لم أشخص هذه الساعه أن يطلقنى على و يقطع سببى عن النبي صلى الله عليه و آله (٢).

و من الغريب أن النصاب وضعوا لها فى مقابل هذه الروايه،مع كونها

ص:١٣٨

١-١) التحريم:٥. [١]

٢-٢) كتاب الفتوح ٤٨٣:٢-٤٨٤.

من طريقهم: (أنا زوجته في الدنيا والآخرة وزوجته في الجنة) وكيف هي استحيت من مجاوره جسدها لجسد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فأوصت ألا تدفن معه صلى الله عليه وآله وسلم لإحداثها. والرواية وإن لم تتضمن وقوع الطلاق منه عليه السلام، إلا أن نساء الأنبياء كأبنائهم لسن و ليسوا كنساء باقى الناس و أبنائهم، فنسبتهم و نسبتهم إنما تكون باقىه ما داموا سالكين على منهاج النبوه من الإيمان بالله تعالى حقيقه، و الإتيان بالعمل الصالح صدقا و إلا فلا.

قال تعالى لنوح فى ابنه: «إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ» (١).

و قال سبحانه لنبىه صلى الله عليه وآله وسلم مخاطبا نساءه: «يا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتِنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ» (٢) و «مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَ كَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا» (٣).

«و الحساب على الله» فى (جمل المفيد): روى محمّد بن عبد الله بن عمر بن دينار- بعد ذكر هزيمه أهل الجمل- و قال على عليه السلام لمحمد بن أبى بكر: سلها هل وصل إليها شىء؟ فسألها، قالت: نعم، وصل إلى سهم خدش رأسى، الله بينى و بينكم. فقال لها محمّد: و الله ليحكمنّ عليك يوم القيامة ما كان بينك و بين أمير المؤمنين، حتى تخرجين عليه و تؤلّين الناس على قتاله، و تنبذى كتاب الله وراء ظهرك. فقالت: دعنا يا محمّد، و قل لصاحبك يحرسنى -و الهودج كالقنفذ من النبل- فرجع محمّد إليه عليه السلام و أخبره بما جرى بينهما.

فقال عليه السلام: هى امرأه و النساء ضعاف العقول، فتولّ أمرها و احملها إلى دار ابن

ص: ١٣٩

[١-١] هود: ٤٦. [١]

[٢-٢] الأحزاب: ٣٢. [٢]

[٣-٣] الأحزاب: ٣٠. [٣]

خلف. فحملها، وإنَّ لسانها لا يفتر من السب له و لعلى عليه السّلام (١).

و قال ابن أبى الحديد: قوله عليه السّلام: «و الحساب على الله» يدل على توقفه فى أمرها، و يجوز أن يكون قاله قبل أن يتواتر عنده توبتها، و قالت أصحابنا إنّها تابت بعد قتله عليه السّلام و ندمت و قالت: لوددت أنّ لى من النّبىّ عشره بنين كلّهم ماتوا و لم يكن يوم الجمل، و إنّها كانت بعد قتله عليه السّلام تننى عليه و تنشر مناقبه، و قد أكّده وقوع التوبه منها ما روى فى الأخبار المشهوره أنّها زوجة النّبىّ فى الآخره أيضا (٢).

قلت: أمّا ما ذكره من توبتها بعد قتله عليه السّلام، فإن أراد به ما قاله أبو الفرج فى مقاتله إنّ عايشه لما جاءها قتل أمير المؤمنين عليه السّلام سجدت و تمثلت:

فألقت عصاها و استقر بها النوى كما قر عينا بالإياب المسافر

ثم قالت: من قتله؟ فقيل رجل من مراد، فقالت:

فإن يك نائيا فلقد بغاه غلام ليس فى فيه التراب

فقلت لها زينب بنت ام سلمه: العلى عليه السّلام تقولين هذا؟ فقالت: إذا نسيت فذكرنى، ثم تمثلت:

ما زالت اهداء القصائد بيننا شتم الصديق و كثره الألقاب

حتى تركت كأنّ قولك فيهم فى كل مجتمع طين ذباب (٣)

و لما أرادوا دفن الحسن عليه السّلام ركب عايشه بغلا و استعونت بنى اميه و بنى مروان و من كان هناك منهم و من حشمهم، و هو قول القائل:

ص: ١٤٠

١- ١) الجمل للمفيد: ٣٦٨-٣٧١، [١] أنساب الأشراف ٢٤٨: ٢-٢٥٠، الأخبار الطوال: ١٥١، تاريخ الطبرى ٤: ٥٠٩، سنه ٣٦.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٩٩: ٩-٢٠٠. [٢]

٣- ٣) مقاتل الطالبين: ٢٦. [٣]

(١)، فلعل و إلا فلم نقف على توبه لها بعده عليه السلام.

و أميا ما ذكره من نشرها مناقبه عليه السلام و ثنائها عليه، فإنما كان من باب إجراء الحق على لسانها، إتماما للحجه عليها و على أتباعها، كما جرى على لسان أبيها و فاروقه و باقى ستهم و عشرتهم و ساير أعوانهم، و لم ينحصر ذلك منها بكونه بعد قتله عليه السلام، بل كان ذلك طول عمرها و فى أيام خلافته عليه السلام التى تمت وقوع السماء على الأرض و عدم وصول الخلافه إليه عليه السلام، فقد عرفت أنها قالت لأبى قتاده بعد فراغه من قتل الخوارج: سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: يقتلهم أحب الخلق إلى الله و إلى.

مع أنه لو أراد بأخبارهم المشهوره أخبار مثل سيف الذى يضع فى مقابل كل أمر أمرا، فقال: إن عايشه سئلت عن عدّه من كان معها و من كان عليها، فكلّمها نعى لها منهم واحد قالت: يرحمه الله. فقال لها رجل من أصحابها:

كيف ذلك؟ قالت: كذلك قال النبى صلى الله عليه و آله فلان فى الجنّه و فلان فى الجنّه، و قال على يومئذ: إنى لأرجو أن لا يكون أحد من هؤلاء نقى قلبه إلا أدخله الله الجنّه (٢).

و قال سيف أيضا: إن عايشه لئما أرادت الارتحال من البصره و دعت الناس و قالت: يا بنى يعتب بعضنا على بعض استبطاء و استزاده، فلا يعتدن أحد منكم على أحد بشيء بلغه من ذلك، إنه ما كان بينى و بين على فى القديم إلا ما يكون بين المرأة و أحماؤها، و إنه عندى -على معتبى- من الأخيار. و قال على: أيها الناس صدقت و برت، ما كان بينى و بينها إلا ذلك، و إنها لزوجه نبيكم

ص: ١٤١

(١ - ١) المصدر نفسه: ٤٩. [١]

(٢ - ٢) تاريخ الطبرى ٥٣٧: ٤، سنه ٣٦. [٢]

و قال أيضا: إنّ عليّا لما انتهى إلى عايشه قال لها: يغفر الله. قالت: و لك (٢)، بل روى أن عليّا أيضا تاب كعايشه، فقال: دخل القعقاع بن عمرو على عايشه فى أول من دخل، فقالت له: إنّى رأيت بالأمس رجلين اجتلدا بين يدي و ارتجزا بكذا، فهل تعرف كوفيك منها؟ قال: نعم ذلك الذى قال: «أعقّ أمّ نعلم» و كذب إنّك لأبّرّ أمّ نعلم، و لكن لم تطاعى. فقالت: و الله لو ددت أنّى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. و خرج فأتى عليّا فأخبره أن عايشه سألته، فقال: ويحك من الرجلان؟ قال: ذاك أبو هاله الذى يقول: «كيما أرى صاحبه عليّا». فقال: و الله لو ددت أنّى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. فكان قولهما واحد (٣).

كما أنّه بدّل خبر نبج كلاب الحوآب لعائشه مع تواتره و اتفاق السير عليه، بنبجها لام زمل، و قال: هى عتيقه عائشه.

ففى (الطبرى) فى سنة (١١) عن سيف: اجتمعت فلال غطفان إلى ظفر، و بها ام زمل و هى تشبه بامها أمّ قرفه، و فى مثل عزها و عندها جملها- و كانت قد سببت أيام ام قرفه، فوقع لعائشه فأعتقها، فكانت تكون عندها ثم رجعت إلى قومها. و كان النبى دخل عليهن يوما فقال: إنّ إحداكن تستنجح كلاب الحوآب، ففعلت ام زمل سلمى ذلك حين ارتدت، فسيرت فى ما بين ظفر و الحوآب ليجمع إليها كل فل (٤).

و من أخبار سيف: أنّه قيل لعلّى: إنّّه قام رجلان على الباب فقال أحدهما:

«جزيت عنّا عقوقا»، و قال الآخر: «يا أمنا توبى فقد خطأت»، فبعث القعقاع بن

ص: ١٤٢

١-١) المصدر نفسه ٤:٥٤٤، سنة ٣٦.

٢-٢) المصدر نفسه ٤:٥٣٤، سنة ٣٦.

٣-٣) المصدر نفسه ٤:٥٣٧، سنة ٣٦.

٤-٤) تاريخ الطبرى ٣:٢٦٣-٣:٢٦٤، سنة ١١. [١]

عمرو إلى الباب فأقبل بمن كان عليه، فأحالوا على رجلين فقال: اضرب أعناقهما، ثم قال: لأنهنكهما عقوبه فضربهما مائه مائه و أخرجهما من ثيابهما (١).

سبحان الله من هؤلاء يعبدون هذه المرأه من دون الله؟ «وَعَزَّوْهُمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (٢) و لا غرو فكانوا يأخذون بعرجلها و يقولون ریح بعرجل امنا ریح المسك، و قد صرحوا بعبادتهم لها من دون الله.

فقال الواقدي و المدائني و غيرهما: إنه خرج من أهل البصره شيخ صبيح الوجه، نبيل عليه جبّه و شيء يحض الناس على الحرب و يقول:

يا معشر الناس عليكم اممك فإنها صلاتكم و صومكم (٣)

و أرادوا قتل أمير المؤمنين الذي هو نفس النبي صلى الله عليه و آله بنص القرآن، و ابنه سيدي شباب أهل الجنة و ريحاني النبي صلى الله عليه و آله، و هم الذين شهد الله بعصمتهم و طهارتهم، لامرأه تبرجت تبرج الجاهليه الاولى، و ضربها الله مثلا للذين كفروا كامرأه نوح و لوط، فقال أبو مخنف: خرج عوف بن قطن الضبي و هو ينادى: ليس لعثمان ثار إلا علي و ولده، و قال:

يا ام يا ام خلا منى الوطن لا أبتغى القبر و لا أبتغى الكفن

من هاهنا معشر عوف بن قطن إن فاتنا اليوم على فالغبن

أو فاتنا ابنه حسين و حسن إذن أمت بطول هم و حزن

و من المصيبة العظمى و ما يضحك الثكلى أنها تجعل نفسها كالنبي صلى الله عليه و آله و يصدقونها، فأخذت كفا من حصي و حصبت بها أصحاب أمير

ص: ١٤٣

١- (١) المصدر نفسه ٥٤٠: ٤، سنه ٣٦.

٢- (٢) آل عمران: ٢٤. [١]

٣- (٣) هو كعب بن سور الأزدي، راجع بحار الأنوار ٣٢: ١٧٩ ح ١٣٢. [٢]

المؤمنين عليه السّلام و صاحت بأعلى صوتها:شاهت الوجوه،وقد كان النّبىّ صلّى الله عليه و آله فعل ذلك يوم حنين،فقال لها قائل: «و ما رَمَيْتِ إِذْ رَمَيْتَ وَ لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى» (١).

و لقد كان الواجب أن يقال لها:(و ما رميت إذ رميت و لكن الشيطان رمى)،و لكن لا غرو إذا كانت إلهتهم أن تكون نبيتهم،فإن كان أصحاب سجاح يقولون:«أضحت نبيتنا انثى نطيف بها»،و هؤلاء ليقولوا:أضحت إلهتنا انثى نطيف بها.

و لأجل أخبارهم المتناقضه و مذهبهم المتضاد ذهب جمع من أئمتهم كواصل بن عطاء و عمرو بن عبيد و أبى هذيل العلاف و أبى بكر الملقب بجريال،بأنّ أحد الفريقين فاسق إمّا على و إمّا طلحه و الزبير و عايشه،أحد الفريقين فاسق لا بعينه كالمتلاعنين.

و قال هشام القوطى و عباد بن سليمان الصيمرى:إنّ الجميع كانوا على حق،و أنّهم لم يريدوا القتال أصلاً،و إنّما أنشب القتال غوغاء الفريقين و هو مذهب سيف بن عمر.

١١

الخطبه (٢١٩)

و من كلام له عليه السّلام لما مرّ بطلحه و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل:

لَقَدْ أَضَيْحَ؟ أَبُو مُحَمَّدٍ؟ بِهَذَا الْمَكَانِ غَرِيبًا- أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ؟ قُرَيْشٌ؟ قَتَلَى- تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ- أَدْرَكْتُ وَتَرَى مِنْ؟ بِنَى عَبْدِ مَنَافٍ؟- وَ أَفَلَتَنِي أَعْيَانُ؟ بِنَى جُمَحٍ؟- لَقَدْ أَتَلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرِ- لَمْ يَكُونُوا

ص: ١٤٤

١- ١) الأنفال: ١٧. [١]

أَهْلَهُ فَوَقَّصُوا دُونَهُ أَقُولُ:الذى وقفت عليه من كلامه عليه السّلام فى قتلى الجمل طلحه و ابن عتاب و غيرهما،من الزبير و كعب بن سور القاضى و محمد بن زهير و عبد الله بن خلف و عبد الله بن ربيعة بن رواح و سفيان بن حويطب و عبد الله بن حكيم بن حزام و عبد الله بن المغيرة بن الأخنس و عبد الله بن الأخنس بن شريق،ما رواه المبرد فى (كامله)عن التوزى عن محمد بن عباد بن حبيب-أحسبه عن أبيه- قال:لما انقضى يوم الجمل خرج علىّ عليه السّلام فى ليله ذلك اليوم و معه قنبر و فى يده مشعله من نار يتصفّح القتلى حتّى وقف على رجل-قال التوزى:فقلت:

أ هو طلحه؟قال:نعم.فلما وقف عليه قال:اعزز علىّ أبا محمد أن أراك معفراً تحت نجوم السماء و فى بطون الأوديه،شفيت نفسى و قتلت معشرى إلى الله أشكو عجرى و بجرى (١).

و ما فى المدائنى فى (تاريخه):-و قد نقله ابن أبى الحديد فى موضع آخر-إنّ عليّاً عليه السّلام مر بطلحه و هو ملتبّد بنفسه،فوقف عليه و قال:أما و الله إن كنت لأبغض أن أراكم مصرّعين فى البلاد،و لكن ما حمّ واقع،ثم تمثّل:

و ما تدرى إذا أزمعت أمراً بأىّ الأرض يدركك المقيّل

و ما يدرى الفقير متى غناه و لا يدرى الغنى متى يعيل

و ما تدرى إذا أنتجت شولاً أنتجت بعد ذلك أم تحيل (٢).

و ما رواه زيد بن فراس عن غزال بن مالك-كما فى (جمل المفيد)-قال:

لَمّا قتل الزبير و جىء برأسه إلى علىّ عليه السّلام،قال:أما و الله لو لا ما كان من أمر حاطب بن أبى بلتعه،ما اجترأ طلحه و الزبير على قتالى،و إنّ الزبير كان أقرب

ص:١٤٥

١-١) الكامل للمبرّد. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد. [٢]

إلَى من طلحه، و ما زال مَنّا أهل البيت حتّى بلغ ابنه فقطع ما بيننا (١).

و ما رواه المفضل بن فضاله عن شداد بن الهاد عن محمّد بن إبراهيم قال: هرب الزبير على فرس له يدعى ذا الخمار-إلى أن قال-بعد مجيء ابن جرموز برأسه و سيفه-استلّ عليّ عليه السّلام سيفه و قال: سيفه أعرفه، أما و الله لقد قاتل بين يدي النّبىّ صلّى الله عليه و آله، و لكنّه الحين و مصارع السوء (٢).

و عن عبد الله بن جعفر عن ابن أبي عون مثله و زاد: ثم تفرّس فى وجه الزبير و قال: لقد كان لك بالنبىّ صلّى الله عليه و آله صحبه و منه قرابه، و لكن دخل الشيطان منخرّك فأوردك هذا المورد (٣).

و روى (جمل المفيد) أيضا: أنّه لما انجلت الحرب و قتل طلحه و الزبير و حملت عايشه إلى قصر بنى خلف، ركب عليّ عليه السّلام و تبعه أصحابه و عمّار يمشى مع ركابه، حتّى خرج إلى القتلى يطوف عليهم، فمرّ بعبد الله بن خلف الخزاعى و عليه ثياب حسان مشهره، فقال النّاس: هذا و الله رأس النّاس.

فقال عليه السّلام: ليس برأس النّاس، و لكنّه شريف منيع النفس.

ثمّ مرّ بعبد الرحمن بن عتاب بن أسيد فقال: هذا يعسوب القوم و رأسهم كما تروه. ثم جعل يستعرض القتلى رجلا رجلا، فلما رأى أشراف قريش صرعى فى جملة القتلى قال: جدعت أنفى! أما و الله إن كان مصرعكم لبغيضا لىّ و لقد قدّمت إليكم و حدّرتكم عضّ السيوف، و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون، و لكن الحين و مصرع السوء! نعوذ بالله من سوء المصرع.

ثمّ سار حتّى وقف على كعب بن سور القاضى و هو مجدّل بين القتلى

ص: ١٤٤

١-١ (١) الجمل للمفيد: ٣٨٩. [١]

٢-٢ (٢) الطبقات الكبرى ١١١: ٣-١١٢، [٢] تلخيص الشافى ١٣٧: ٤، الاحتجاج ١٦٣: ١. [٣]

٣-٣ (٣) الجمل للمفيد: ٣٩٠. [٤]

و فى عنقه المصحف، فقال: نَحُوا المصحف وضعوه فى مواضع الطهاره، ثم قال: أجلسوا لى كعبا، فاجلس- فقال: يا كعب بن سور قد وجدت ما وعدنى ربى حقا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقا؟! ثم قال: اضجعوا كعبا. فتجاوزه، فمر فرأى طلحه صريعا، فقال:

أجلسوا طلحه، فاجلس، فقال عليه السّلام: يا طلحه بن عبيد الله قد وجدت ما وعدنى ربى حقا، فهل وجدت ما وعدك ربك حقا؟ ثم قال: اضجعوه. فوقف رجل من القراء أمامه فقال: يا أمير المؤمنين ما كلامك هذه الهام قد صدت لا تسمع لك كلاما و لا تردّ جوابا! فقال عليه السّلام: أنهما ليسمعان كلامى كما تسمع أصحاب القلب كلام النبى صلى الله عليه وآله، و لو اذن لهما فى الجواب لرأيت عجا.

و مرّ بمعبد بن مقداد و هو فى الصرعى فقال عليه السّلام: رحم الله أبا هذا، إنما كان رأيه فينا أحسن من رأى هذا. فقال عمار: الحمد لله الذى أوقعه و جعل خده الأسفل، إنّا و الله يا أمير المؤمنين لا نبالى من عن الحق عند من والد و ولد.

فقال عليه السّلام: رحمك الله يا عمار و جزاك الله عن الحق خيرا.

و مرّ بمعبد الله بن ربيعه بن رواح و هو فى القتلى، فقال عليه السّلام: هذا البائس ما كان أخرجه نصر لعثمان، و الله ما كان رأى عثمان فيه و لا فى أبيه بحسن.

و مرّ عليه السّلام بمعبد بن زهير بن اميه فقال: لو كانت الفتنة برأس الثريا لتناولها هذا الغلام، و الله ما كان فيها بذى نخيره، و لقد أخبرنى من أدركه إنه يلوذ خوفا من السيف حتى قتل البائس ضياعا.

و مرّ بمسلم بن قرطبه فقال عليه السّلام: البر خرج هذا! و لقد سألتنى أن اكلم عثمان فى شىء يدعيه عليه بمكّه، فلم أزل به حتى أعطاه و قال لى: لو لا أنت ما أعطيته، إن هذا ما علمت بئس أخو العشيره، ثم جاء المشوم لحينه ينصر عثمان.

ثم مرّ بعبد الله بن عمير بن زهير و قال: هذا أيضا ممن أوضع في قتالنا، يطلب بزعمه دم عثمان، و لقد كتب إليّ كتابا يؤدّي عثمان فأعطاه شيئا فرضى عنه.

و مرّ بعبد الله بن حكيم بن حزام فقال عليه السّلام: هذا خالف أباه في الخروج عليّ، و إنّ أباه حيث لم ينصرنا بايع و جلس في بيته، ما ألوم اليوم أحدا إذا كف عنا و عن غيرنا، و لكن المعلوم الذي يقاتلنا.

و مرّ بعبد الله بن المغيرة بن الأخنس فقال: أمّا هذا فقتل أبوه يوم قتل عثمان في الدار، فخرج غضبا لقتل أبيه و هو غلام لا علم له بعواقب الامور.

و مرّ بعبد الله بن الأخنس بن شريق فقال عليه السّلام: أمّا هذا فإنّي أنظر إليه و قد أخذ القوم السيوف و إنّّه لهارب يعدو من الصف، فنهنهت عنه فلم يسمع من نهنهته، و كان هذا مما خفى على فتیان قريش، أعمار لا علم لهم بالحرب، خدعوا و استزلوا فلما وقعوا لحجوا فقتلوا (١).

و رواه (الإرشاد) مختصرا و فيه: في كعب- هذا الذي خرج علينا في عنقه المصحف يزعم أنّه ناصر امّه، يدعو الناس إلى ما فيه و هو لا يعلم ما فيه، ثم استفتح فخاب كل جبار عنيد، أمّا إنّّه دعا الله أن يقتلني فقتله الله اجلسوا كعبا...

و في طلحه قال عليه السّلام: هذا الناكث بيعتي و المنشئ الفتنة و المجلب عليّ و الداعي إلى قتلي و قتل عترتي، اجلسوا طلحه... (٢).

و في (كافيه المفيد)- علي نقل البحار و نقله (الخوئي) أيضا: عن خالد بن مخلد عن زياد بن المنذر عن أبي جعفر عليه السّلام: مرّ عليّ عليه السّلام على طلحه و هو

ص: ١٤٨

١- ١) الجمل للمفيد: ٣٩١-٣٩٤، [١] الشافى ٤: ٣٤٤، الاحتجاج ١: ١٦٣-١٦٤، [٢] بحار الأنوار ٢٠٧: ٣٢-٢٠٩. [٣]

٢- ٢) الإرشاد ١: ٢٥٤-٢٥٧، [٤] بحار الأنوار ٢٠٩: ٣٢. [٥]

صريح فقال:أجلسوه فقال:أم و الله لقد كان لك صحبه،و لقد شهدت و سمعت و رأيت،و لكن الشيطان أزاغك و أمالك فأوردك جهنم (١).

و روى أبو مخنف عن الأصمغ-و قد نقله ابن أبي الحديد فى موضع آخر-قال:لما انهزم أهل البصره ركب على عليه السلام بغله النبى صلى الله عليه و آله الشهباء -و كانت باقيه عنده-و سار فى القتلئ يستعرضهم،فمر بكعب بن سور قاضئ البصره و هو قتيل فقال:أجلسوه فاجلس.فقال:ويل امك كعب بن سور،لقد كان لك علم لو نفعك،و لكن الشيطان أضلك فأذلك فعجلك إلى النار، أرسلوه.

ثم مر بطلحه قتيلا فقال:أجلسوه،فأجلس فقال له:ويل امك طلحه،لقد كان لك قدم لو نفعك،و لكن الشيطان أضلك فأزلك فعجلك إلى النار.

ثم مر بعبد الله بن خلف الخزاعى-و كان قتيلا بيده مبارزه،و كان رئيس أهل البصره-فقال:أجلسوه،فأجلس،فقال:الويل لك يا بن خلف لقد عانيت أمرا عظيما (٢).

و فى (جمل المفيد):روى إبراهيم بن نافع عن سعيد بن أبى هند قال:

أخبرنا أصحابنا ممن حضر القتال يوم البصره أن عليا عليه السلام قاتل يومئذ أشد القتال و سمعوه و هو يقول:تبارك الله الذى اذن لهذه السيوف تصنع ما تصنع.

و نظر عليه السلام يومئذ إلى سفيان بن حويطب بن عبد العزى و هو يسترجع من الخوف و ما التحم من الشر،فقال عليه السلام له:انحز إلى أصحابى لا تقتل.

فانحاز إليهم إلى أن حمل أصحاب الجمل جملة،فإذا هو قد صار فى حيزهم، فحمل عليه رجل من همدان و على عليه السلام يصيح:«كف عنه»،و الهمدانى لا يفهم

ص:١٤٩

١- (١) كافيه المفيد:٢٥-٢٦، [١]بحار الأنوار ٢٠١:٣٢. [٢]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٤٨-١:٢٤٩. [٣]

حتى قطعه اربا إربا. فقال عليه السلام: يا ويحه لفته السيوف و قد كان مقتله إلى بغضيا (١).

و في (ذيل الطبري): مر على عليه السلام بعبد الله بن مقداد، و أمه صباعه بنت الزبير بن عبد المطلب - و كان قتل مع عايشه - فقال: بئس ابن الاخت (٢).

قول المصنف «و من كلام له عليه السلام لما مرّ بطلحه» في (جمل المفيد): و في روايه على بن زيد بن جدعان: لما بلغ طلحه أنّ الزبير اندفع، ذهب في طلبه فمر بمروان فرآه، فقال: لا أطلب بثأري بدم بعد اليوم، ثم رماه بسهم فقتله (٣).

«و عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد و هما قتيلان يوم الجمل» في (جمل أبي مخنف): خرج عبد الرحمن بن عتاب بن أسيد بن العاص بن اميّه بن عبد الشمس - و هو من أشرف قريش و كان اسم سيفه ولول - فارتجز و قال:

أنا ابن عتاب و سيفي و لول و الموت عند الجمل المجلل

فحمل عليه الأشتر فقتله (٤).

و في (جمل المفيد): روى محمّد بن عبيد الله عن عمرو بن دينار عن صفوان قال: لما تصاف الناس يوم الجمل، أقبل الأشتر النخعي و جنذب بن زهير العامري قبال الجمل يرفلان في السلاح، حتى قتلا عبد الرحمن بن عتاب و معبد بن زهير بن خلف بن اميّه (٥).

و روى محمّد بن عبد الله قال: قطعت يوم الجمل يد عبد الرحمن و فيها الخاتم، فأخذه نسر فطرحه باليمامة فأخذه أهل اليمامة و اقتلعوا حجره،

ص: ١٥٠

١-١ (١) الجمل للمفيد: ٣٦١. [١]

٢-٢ (٢) ذيل تاريخ الطبري ١١: ٦٢٠.

٣-٣ (٣) الجمل للمفيد: ٣٨٤. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٦٤-٢٦٥. [٣]

٥-٥ (٥) الجمل للمفيد: ٣٦٤. [٤]

و كان ياقوتا فابتاعه رجل منهم بخمس مائة دينار، فقدم به مكة فباعه بربح عظيم (١).

و في (المروج): اصيب كفه بعد يوم الجمل بثلاثة ايام و في خاتمه (عبد الرحمن بن عتاب) (٢).

هذا و قال ابن ابي الحديد: و عبد الرحمن هو الذي قال عليه السلام فيه و قد مر عليه: لهفي عليك يعسوب قريش، هذا فتى الفتيان، هذا اللباب المحض من بني عبد مناف، شفيت نفسي و قتلت معشري، الى الله اشكو عجري و بجري. فقال له قائل: لشد ما اطريت الفتى منذ اليوم، فقال: انه قام عني و عنه نسوه لم يقمن عنك (٣).

قلت: الاصل فيه (بيان الجاحظ) فعبر بمثله. و زاد بعد قوله (و بجري):

قتلت الصناديد من بني عبد مناف و افلتني الأعيار من بني جمح. فقال إلخ...

و كذا (مروج المسعودي) فقال: مر علي عليه السلام على عبد الرحمن فقال:

لهفي عليك يعسوب قريش، قتلت الغطاريف من بني عبد مناف، شفيت نفسي و جدعت أنفي. فقال له الأشر: ما أشد جزعك عليهم و قد أرادوا بك ما نزل بهم.

فقال: انه قامت عني و عنهم... و هو من اخبارهم الموضوعه، فأمر المؤمنين عليه السلام لم يكن يثنى على المنافقين، فإنهم و إن كانوا من حيث الجسم «و إذا رأيتهم تُعجبك أجسامهم و إن يقولوا تسمع لقولهم» (٤)، لكنهم من حيث الروح «كأنهم خشب مسندة» (٥).

ص: ١٥١

١-١ (١) الجمل للمفيد: ٣٦٤، [١] تجارب الامم ٣٣١: ١، شرح ابن ابي الحديد ١٢٤: ١١. [٢]

٢-٢ (٢) مروج الذهب ٣٨٠: ٢، و الآيه ٤ [٣] من سورة المنافقين.

٣-٣ (٣) شرح ابن ابي الحديد ٢٤٩: ١. [٤]

٤-٤ (٤) سورة المنافقين: ٤.

٥-٥ (٥) مروج الذهب ٣٨٠: ٢.

قوله عليه السّلام على نقل المصنّف «لقد أصبح أبو محمّد» يعنى طلحه، فكان مكنيا باسم ابنه محمّد بن طلحه الذى كان يوم الجمل كلّما حمل عليه رجل قال: نشدتك ب«حم» فينصرف عنه، حتّى شد عليه رجل من بنى أسد بن خزيمه فنشده فلم يشنه ذلك و طعنه فقتله و قال:

و أشعث سجاد بآيات ربه قليل الأذى فى ما ترى العين مسلم

شككت له بالرمح جيب قميصه فخر صريعا للدين و للقم

على غير شىء غير أن ليس تابعا عليّا و من لا يتبع الحق يندم

يذكرنى حم و الرمح شاجر فهلا تلاحم قبل التقدم

ثم قد عرفت روايه أبى مخنف و روايات (جمل المفيد) و (إرشاده) و (كافيته) فيه، و أنّه عليه السّلام لما مر عليه قال: أجلسوه، فاجلس فقال له: -و اللفظ للاول- لقد كان لك قدم لو نفعك، و لكن الشيطان أضلك فأزلّك فعجلّك إلى النار.

و أما قول (المروج): نادى علىّ رضى الله عنه طلحه حين رجع الزبير: يا أبا محمّد ما الذى أخرجك؟ قال: الطلب بدم عثمان. فقال له: أما سمعت النّبىّ صلى الله عليه و آله يقول:

اللهم وال من والاه و عاد من عاداه، و أنت أول من بايعنى ثم نكثت، و قد قال عزّ و جلّ «فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» (١) فقال: أستغفر الله. ثم رجع.

فقال مروان: رجع الزبير و رجع طلحه ما ابالى رميت هاهنا أم هاهنا فرماه فى اكحله فقتله.

فمر به علىّ عليه السّلام بعد الوقعه فى موضع فى قنطره قره، فوقف عليه فقال: إنّنا لله و إنّنا إليه راجعون، و الله لقد كنت كارها، أنت و الله كما قال القائل:

ص: ١٥٢

فتى كان يدينه الفتى من صديقه إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه و فى خده الشعرى و فى الآخر البدر (١)

فمن الأخبار الموضوعه، فلم يقل أحد أن مروان رماه لثيا أراد الرجوع، بل لكونه أول محرّض على عثمان حتى قتل و منع من دفنه.

و كيف يتكلّم أمير المؤمنين بالمزخرفات الشعريه و الترهات الباطله، من كون الثريا فى يمين رجل و الشعرى فى خده و البدر فى يساره. و إنما دعاهم إلى وضع هذا الخبر أن قول النبىّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فِيهِ عَلَيْهِ السَّلَام: «اللهم وال من والاه و عاد من عاده» متواترا، فيلزم أن يكون عدوّ الله و قد جعلوه من العشره المبشره فافتروا بهذه الفريه.

و كيف تاب طلحه أم مدحه عليه السّلام و قد روى الواقدي - كما فى (جمل المفيد) - أن علينا عليه السّلام قام خطيبا بعد الفتح و قال: إننى أحمد الله على نعمه، قتل طلحه و الزبير و هربت عايشه، و ما ازداد عدوّكم بما صنع الله إلاّ حقدا و ما زادهم الشيطان إلاّ طغيانا، و لقد جاءوا مبطلين و أدبروا ظالمين، و إنّنا لعلى الحق و إنّهم لعلى الباطل، و يجمعنا الله و إيّاهم يوم الفصل (٢).

و روى أيضا: أنه عليه السّلام كتب بعد الفتح إلى أهل الكوفه: أمّا بعد فإننا لقينا القوم الناكثين لبيعتنا، المفترقين لجماعتنا، الباغين علينا من امتنا، فحاججناهم إلى الله، فنصرنا الله عليهم و قتل طلحه و الزبير، و قد تقدمت إليهما بالندر، و أشهدت عليهما صلحاء الامّه، فما أطاعا المرشدين

ص: ١٥٣

[١ - ١] مروج الذهب ٣٧٣:٢ - ٣٧٤:١. [١]

[٢ - ٢] الجمل للمفيد: ٤٠٢: [٢]

و من أخبارهم الموضوعه ما فى (خلفاء ابن قتيبه): إن موسى بن طلحه دخل على على عليه السلام بعد انهزامهم، فقال له على: إني لأرجو أن أكون أنا و أبوك ممن قال تعالى فيهم: «و نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» (٢) - و قال له ابن الكوا: أمسيت بالبصره، فقال: كان عندى ابن أخى.

قال: و من هو؟ قال: موسى بن طلحه. فقال ابن الكوا: لقد شقينا إن كان ابن أخيك. فقال على: ويحك إن الله قد اطلع على أهل بدر فقال اعملوا ما شئتم فقد كان غفر لكم. ثم قال ابن الكوا لعلى: من أخبرك بمسيرك هذا الذى سرت فيه، تضرب الناس بعضهم ببعض و تستولى بالأمر عليهم أراى رأيتهم حين تفرقت الاعمه و اختلفت الدعوه، فرأيت أنك أحق بهذا الأمر منهم لقرابتك. فإن كان رأيا رأيتهم أجبنائك فيه، و إن كان عهدا عهدة إليك النبى صلى الله عليه و آله، فأنت المأمون على النبى فى ما حدثت عنه. فقال: أنا أول من صدقه، فلا أكون أول من كذب عليه، أما أن يكون عندى عهد منه فلا و الله، و لكن لما قتل الناس عثمان نظرت فى أمرى فإذا الخليفان اللذان أخذاهما من النبى قد هلكا و لا عهد لهما، و إذا الخليفه الذى أخذها بمشوره المسلمين قد قتل، و خرجت ربقته من عنقى لأنه قتل و لا عهد له (٣).

فيقال لهم فى الآيه: إنه تعالى قال فى المتقين: «و نَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ» (٤) لا للمفسدين فى الأرض، و أى مفسد فى الأرض أفسد من طلحه الذى قتل عثمان ثم قتل آلافا من المسلمين باسم الطلب بدمه،

ص: ١٥٤

١- ١) الجمل للمفيد: ٤٠٣، [١] الشافى ٤: ٣٣٠.

٢- ٢) الحجر: ٤٧. [٢]

٣- ٣) الإمامه و السياسه ٧٨: ١-٧٩. [٣]

٤- ٤) الحجر: ٤٧. [٤]

و موسى ابنه لم يكن بدوننه فهو الذى شهد على حجر يباحه دمه لكونه شيعته عليه السلام.

و يقال لهم فى حديثهم: «اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم» - «اعملوا ما شئتم إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ» (١).

و يقال لهم فى مسيره عليه السلام إلى أهل الجمل: إِنَّهُ من المتواتر عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حَدِيثِ النَّاكثِينَ كَالْقَاسِطِينَ وَ الْمَارِقِينَ. و كيف لم يكن عنده عليه السلام عهد منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و قد علم روايه و درايه قول النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِلزَّبِيرِ: إِنَّكَ سَتَقَاتِلُ عَلِيًّا ظَالِمًا؟ و قد أقر الزَّبِيرُ به و احتمل عاره فى توليته الدبر عنه، و قد قال ابنه له: إِنَّهُ لَا يَغْسِلُ عَارَهُ عَنْهُمْ إِلَّا آخِرَ الدَّهْرِ.

و يقال فى قوله: «الخليفتان اللذان أخذها من النَّبِيِّ» ان الأول أخذها بإحراق أهل بيت النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و الثانى بمعاهده الأول له و معاضدته له، كما أن الثالث أخذها باختيار ابن عوف له بتدبير الثانى له، لكتابته له استخلاف الأول له فى غشوته، و إن أمضاه بعد إفاقتة.

كما أن قوله: «إِنَّ الثالث قتل و لا عهد له» أيضا كذب، فعهد إلى معاويه فجعله ولى دمه فى متواتر رواياتهم، و كان لم ير فى مروان لياقه و لا- كان مالكا لنفسه، و إلا- لكان لجعله ولى عهده، و كيف لا- و قد رضى بقتل نفسه، و لم يرض أن يصل إليه مكروه بفساداته فى الدين، و قد حكم بأنه أفضل من أمير المؤمنين عليه السلام، أف لهم و لما يعبدون من دون الله.

و من أخبارهم الموضوعه ما فى (تذكرة سبط ابن الجوزى): دخل بعض أصحاب علي عليه السلام على طلحه و هو يجود بنفسه، فقال له: اشهد على أنى بايعت أمير المؤمنين عليا- ثم مات فاخبر الرجل عليا- فقال: رحمه الله فصلت.

ص: ١٥٥

(١ - ١) : ٤٠.

و تأسف عليه، و قال: الحمد لله الذى لم يخرجه من الدنيا إلا و بيعتى فى عنقه (١).

و ما فيه ذكر الميدانى: أن عليا لما وقف على القتلى قال: أشكو إليك عجرى و بجرى، و معشرا اغشونى على بصرى، قتلت مضرى بمضرى شفيت نفسى و قتلت معشرى (٢).

و ما قاله ابن أبى الحديد، بعد نقل خبر أبى مخنف المتقدم: روت المعتزله أن عليا قال: اعزز على أبا محمد أن أراك معفرا تحت نجوم السماء، أبعده جهادك فى الله و ذبك عن نبيه. فجاء إليه إنسان فقال: أشهد لقد مررت عليه بعد أن أصابه السهم و هو صريع، فصاح بى: أشهد أنى بايعت عليا (٣).

و ما قاله الجزرى: قال الشعبى: لما قتل طلحه و رآه على مقتولا جعل يمسح التراب عن وجهه و قال: عزيز أبا محمد أن أراك مجدلا تحت نجوم السماء. ثم قال: إلى الله أشكو عجرى و بجرى. و ترحم عليه، و قال: ليتنى مت قبل هذا اليوم بعشرين سنة. و بكى هو و أصحابه عليه، و سمع رجلا يمشى:

فتى كان يدينه الغنى من صديقه إذا ما هو استغنى و يبعده الفقر

فقال: ذاك أبو محمد طلحه بن عبيد الله (٤) - فإنها خلاف العقل و النقل و الدراية.

و لم ينحصر جعلهم الأخبار بطلحه، و قد وضعوا لكعب بن سور القاضى و غيره من أهل الجمل، فقال سيف الوضاع: لما اتى على بكعب قال:

زعمتم إنما خرج معهم السفهاء و هذا الحبر قد ترون. و جعل على كلما مر برجل فيه خير قال: زعم من زعم إنه لم يخرج إلينا إلا الغوغاء هذا العابد

ص: ١٥٦

١-١) تذكره ابن الجوزى: ٧٧. [١]

٢-٢) تذكره الخواص لسبط ابن الجوزى: ٧٩.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٤٨: ١. [٢]

٤-٤) الكامل فى التاريخ لابن الأثير الجزرى ٢٥٥: ٣. [٣]

المجتهد-و صَلَّى على قتلى أهل البصره... (١)-و كل ما قاله بهتان.

«بهذا المكان غريبا» لكونه من أهل المدينة،و قد قتل فى البصره.

و فى روايه سفيان بن عنبسه-كما فى (جمل المفيد)-عن أبى موسى عن الحسن البصرى قال: رأيت طلحه حين أصابه السهم،قال: ما رأيت كالיום مصرع شيخ أضيع من مصرعى.

قال الحسن: و قد كان قبل ذلك جاهد جهادا مع النبى صَلَّى الله عليه و آله و وقاه بيده، فضيغ أمر نفسه،و لقد رأيت قبره مأوى الشقاء يضع عنده غريبه، ثم يقضى عنده حاجته،فما رأيت أعجب من هؤلاء (٢).

«أما و الله لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» فى خبر الحسن البصرى المتقدم:و أما الزبير فإنه أتى حيا من أحياء العرب فقال:

أجيرونى-و قد كان قبل ذلك يجير و لا يجار عليه-قال:و ما الذى أخافك و الله ما أخافك إلا ابنك.فأتبعه ابن جرموز-ثؤلول من أثاليل العرب-فضاع دمه، و هذا قبره بوادى السباع مخراه للثعالب،و عز على هذه الشقوه التى كتبت عليه و على صاحبه (٣).

و فى (جمل المفيد):روى محمّد بن عبد الله عن عمر بن دينار عن صفوان قال:لما تصاف الناس يوم الجمل صاح صائح من أصحاب على عليه السلام:يا معشر شباب قريش أراكم قد لحتم و غلبتم على أمركم هذا،و إئى انشدكم الله أن تحقنوا دماءكم و لا تقتلوا أنفسكم (٤).

و روى محمّد بن موسى عن محمّد بن إبراهيم عن أبيه،قال:سمعت

ص:١٥٧

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥٣٨:٤،سنه ٣٦. [١]

٢-٢ (٢) الجمل للمفيد:٣٨٥،و [٢]قريب منه ما فى شرح ابن أبى الحديد ١١٣:٩-١١٤. [٣]

٣-٣ (٣) الجمل للمفيد:٣٨٥. [٤]

٤-٤ (٤) المصدر نفسه:٣٦٤. [٥]

معاذ بن عبيد الله التميمي - و كان قد حضر الجمل - يقول: لَمَّا التقينا و اصطفنا نادى منادى علىّ: يا معشر قريش أبقوا على أنفسكم، فإنّي أعلم إنكم قد خرجتم و ظننتم أنّ الأمر لا يبلغ إلى هذا، فالله الله في أنفسكم، فإنّ السيف ليس له بقيا، فإن أحببتم فانصرفوا، حتّى نحاكم هؤلاء القوم، و إن أحببتم فالىّ، فإنكم آمنون بأمان الله. فاستحينا أشدّ الحياء و أبصرنا ما نحن فيه، و لكن الحفاظ حملنا على الصبر مع عايشه، حتّى قتل من قتل منا (١).

هذا و من أمثالهم: (ذهب القوم تحت كلّ كوكب) (٢) أى: تفرّقوا.

«أدركت وترى» فى (الصحاح): (الوتر) بالكسر (الفرد) و بالفتح الذحل.

هذه لغه أهل العالیه. و أمّا أهل الحجاز فبالضد منهم. و أمّا تميم فبالكسر فيهما.

و الموتور الذى قتل له قتيل فلم يدرك بدمه (٣).

قلت: و الأصل فى الثانى الأوّل. ففى (الأساس): و ترت الرجل قتلت حميمه فأفردته منه (٤).

و أهل العالیه أى: أهل نجد.

«من بنى عبد مناف» كانوا أربعة: بنو عبد شمس و بنو نوفل و بنو المطلب و بنو هاشم، و المراد الأولان لأنّه عليه السّلام من بنى هاشم، و بنو المطلب كانوا معهم فى الجاهليه و الإسلام، كما أنّ الأولين كانوا عليهما فيهما و لا سيما الأوّل مع الاخير، و قد فسّر قوله تعالى: «هذان خصمان اختصموا فى ربّهم» (٥) بنى عبد شمس مع بنى هاشم، فالأولون نفوه و الأخيرون أثبتوه.

ص: ١٥٨

١- (١) المصدر نفسه: ٣٦٤-٣٦٥. [١]

٢- (٢) مجمع الأمثال للميدانى، تحت الرقم ١٤٨٨.

٣- (٣) الصحاح ٢: ٨٤٢-٨٤٣، [٢] مادة: (وتر).

٤- (٤) أساس البلاغه: ٤٩١، مادة: (وتر).

٥- (٥) الحج: ١٩. [٣]

فى تفسير محمّد بن العباس عن الصادق عليه السّلام فى قوله عزّ و جلّ: «فَإِذَا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» (١) الله انتقم بعلّى عليه السّلام يوم البصره، وهو الذى وعد الله رسوله (٢).

و عن يوسف الأزرق قال: قرأت على الأعمش فى (الزخرف) حتّى انتهيت إلى قوله تعالى: «فَإِذَا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» فقال: أ تدرى فى من نزلت الآية؟ قلت: الله أعلم. قال: نزلت فى على عليه السّلام (٣).

و فى (تفسير الطبرى): قال جابر الأنصارى: إنى لأدناهم من النّبىّ صلّى الله عليه و آله فى حجّه الوداع فقال: لألفينكم ترجعون بعدى كفّاراً، يضرب بعضكم رقاب بعض، و ايم الله لئن فعلتموها لتعرفنى فى الكتيبه التى تضاربكم- ثم التفت إلى خلفه فقال (أو على)- ثلاث مرات- فرأينا أنّ جبرئيل غمزه. فأنزل تعالى إثر ذلك: «فَإِذَا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» بعلّى بن أبى طالب (٤).

و روى السمعانى منهم فى (فضائله)، و ابن المغازلى منهم فى (مناقبه) نزول الآية فيه عليه السّلام (٥).

و فى (الطبرى): عن ابن أبى يعقوب: قتل على بن أبى طالب يوم الجمل ألفين و خمسمائه- من الأزد ألف و ثلاثمائه و خمسون- و من بنى ضبه ثمانمائه- و من ساير الناس ثلاثمائه و خمسون.

و قيل لأبى ليلى الأزدي: لم تسب علياً؟ فقال: ألا أسبّ رجلاً قتل منا ألفين

ص: ١٥٩

١- ١) الزخرف: ٤١. [١]

٢- ٢) البرهان فى تفسير القرآن ٤: ١٤٤، و [٢] قريب منه ما فى تفسير القمى ٢: ٢٨٤. [٣]

٣- ٣) تفسير فرات الكوفى: ٤٠٣، الآية ٤١ [٤] من سورة الزخرف.

٤- ٤) لا- وجود له فى تفسير الطبرى [٥] راجع ٢٥: ٤٥ فى تفسير الآية ٤١ من سورة الزخرف، [٦] دار المعرفه، بيروت، ذكره

السيوطى فى الدر المنثور ٦: ١٦ و [٧] الطبرى فى المجمع ٩: ٤٩.

٥- ٥) المناقب لابن المغازلى: ٢٧٤-٢٧٥.

و خمسمائه، و الشمس هاهنا (١).

و فى (المروج): و قتل من الناس حتّى لم يكن أحد يعزى أحدا، و اشتغل أهل كل بيت بمن لهم، و قطع على ختام الجمل سبعون يدا من بنى ضبه، معهم كعب بن سور القاضى متقلدا مصحفا، كلّما قطعت يد واحد منهم قام آخر فأخذ الختام و قال: أنا الغلام الضبى (٢).

و قتل من أصحابه عليه السّلام فى ذلك اليوم خمسه آلاف- و من أصحاب الجمل و أهل البصره و غيرهم ثلاثه عشر ألفا. و قيل غير ذلك (٣).

و فى (جمل المفيد): فأما الأخبار عن عدد من قطعت يده يومئذ و رجليه ثم قتل بعد ذلك فهى مشهوره بأنهم كانوا نحو من أربعه عشر ألف رجل (٤).

هذا و قال ابن أبى الحديد: قال الراوندى: (يعنى عليه السّلام بنى عبد مناف طلحه و الزبير)، و هو غلط قبيح لأن طلحه من تيم بن مرّه، و الزبير من أسد بن عبد العزى بن قصى (٥).

قلت: يقال لابن أبى الحديد: اعتراضك على الراوندى صحيح، فى أنّ طلحه و الزبير ليسا من بنى عبد مناف، إلاّ إنك لم تفسر المراد منهم؟ فلم يعلم قتل معروف من بنى عبد مناف ذاك اليوم سوى عبد الرحمن بن عتاب المتقدّم، و أمّا مروان و ولد عثمان فإنّهم و إن شهدوا الجمل إلاّ أنّهم لم يقتلوا، فلا بد أن يحمل لفظ المصنّف: (أدركت و ترى من بنى عبد مناف) و لفظ الجاحظ: (قتلت الصناديد من بنى عبد مناف) و لفظ المسعودى: (قتلت

ص: ١٦٠

[١- ١] تاريخ الطبرى ٤:٤٥٤، سنه ٣٦. [١]

[٢- ٢] مروج الذهب ٢:٣٧٥. [٢]

[٣- ٣] المصدر نفسه ٢:٣٨٠. [٣]

[٤- ٤] الجمل للمفيد: ٤١٩. [٤]

[٥- ٥] شرح ابن أبى الحديد ١١:١٢٤. [٥]

الغطاريف من بنى عبد مناف) إن صحّت روايتهم على أنّ مراده ليس قتلهم فى ذاك اليوم فقط، بل فى ذلك اليوم وفى أيام النبىّ صلّى الله عليه وآله فى بدر وغيرها.

هذا وأراد ابن ميثم أن يصحح كلام الراوندى فأتى بأغلط فقال: «كان طلحه و الزبير من بنى عبد مناف من قبل الام» (1) -فواضح أنّه لا يقال بنو فلان إلا لمن كان منسوبا إلى ذاك الفلان بالأب دون الام، مع أنّ طلحه لم تكن امّه من بنى عبد مناف أصلا، بل يمينه من حضر موت اليمن، وهى صعبه الحضرميه، وكيف تكون من عبد مناف وقد وصفها أبو سفيان بعدم نسب ثاقب لها، فإنّها كانت قبل عبید الله أبى طلحه تحت أبى سفيان فطلقها ثم تبعها نفسه فقال:

إنّى و صعبه فيما يرى بعيدان و الود دان قريب

فإن لم يكن نسب ثاقب فعند الفتاه جمال و طيب

و أمّيا الزبير و إن كانت امّه صفيّه بنت عبد المطلب، إلاّ أنّه عرفت أنّ المراد من بنى عبد مناف غير بنى هاشم، كما أنّ المراد بقريش فى قوله: «لقد كنت أكره أن تكون قريش قتلى تحت بطون الكواكب» باقى طوائف قريش غيرهم. ثم إنّ الخوئى توهم أنّ كلام ابن ميثم تحته شيء، فقال: رد ابن ميثم ابن أبى الحديد بكونهما من بنى عبد مناف من قبل الام (2).

«و أفلتنى» هكذا فى (المصريه) (3)، و الصواب: (أفلتنى) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (4) و (الخطيبه) أى: فاتتنى من: أفلت الطائر.

هذا و فى (الأغانى): كان الحرث بن خالد المخزومى الشاعر واليا على مکه من قبل عبد الملك، و كان أبان بن عثمان ربما جاءه كتاب عبد الملك أن

ص: ١٤١

١- ١) شرح ابن ميثم ٥٢: ٤.

٢- ٢) منهاج البراعه (شرح الخوئى) ١٨٧: ١٤.

٣- ٣) نهج البلاغه ٢٢٩: ٢. [١]

٤- ٤) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٢٤ و لكن فى شرح ابن ميثم ٥١: ٤، و أفلتنى أيضا.

يصلّى بالناس و يقيم لهم حجّه، فتأخر كتابه عنه فى سنه حرب ابن الأشعث و لم يأت الحرث كتاب، فلما حضر الموسم شخص أبان من المدينه فصلّى بالناس، و عاونته بنو اميّه و مواليهم فغلب الحرث على الصلاه فقال الحرث:

فإن تنج منها يا أبان مسلما فقد أفلت الحجاج خيل شبيب

فبلغ ذلك الحجاج فقال: و ما لى و للحرث، أ يغلبه أبان على الصلاه و يهتف بى، ما ذكره إياى (١).

«أعيان» هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب: (أعيار) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٣) و (الخطيبه).

فى (الصحاح): العير: الحمار الوحشى و الأهلى أيضا، و الانثى: عيره و الجمع: أعيار.

قال أبو عمرو بن العلاء: ذهب من كان يعرف معنى بيت الحارث بن حلزّه «زعموا ان كل من ضرب العير موال لنا و أنا الولاء».

و معنى قولهم: «ما أدرى من أى ضرب العير هو» أى الناس هو. و عير القوم: سيدهم - و قولهم: «عير بعير و زياده عشره»، كان الخليفه من بنى اميّه إذا مات و قام آخر زاد فى أرزاقهم عشره دراهم (٤).

و فى (الأساس) قولهم: (هو كجوف العير) العير: الحمار، لأنّه ليس فى جوفه ما ينتفع به، و قيل رجل خرّب الله واديه، قال:

لقد كان جوف العير للعين منظرا أنيقا و فيه للمجاور منفس

ص: ١٦٢

١- ١) الأغانى ٣: ٣٣٣-٣٣٤. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ٢: ٢٢٩.

٣- ٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١١: ١٢٣، و لكن فى شرح ابن ميثم ٤: ٥١ أعيان أيضا.

٤- ٤) الصحاح ٢: ٧٦٢-٧٦٣، [٢] ماده: (عير).

و قد كان ذا نخل و زرع و جامل فأمسى و ما فيه لباغ معرّس (١).

هذا و فى (لحن العيون): قال فيل مولى زياد لزياد: اهدوا لنا همار وحش أى: حمار وحش - فقال: ويلك ما تقول فقال: (اهدوا لنا ايرا) أى: عيرا، فقال زياد: الأوّل خير.

بنى جمح بن عمرو بن هصيص بن كعب بن لؤى أحد بطون قريش.

قال ابن أبى الحديد: قال الراوندى: (مروان من بنى جمح). كان هذا الفقيه بعيدا من الأنساب، فمروان من بنى اميّه، و جمح تميم بن عمرو أخو سهم بن عمرو رهط عمرو بن العاص، و قد كان جمع منهم مع عايشه، هربوا و لم يقتل منهم إلا اثنان، هرب منهم عبد الله بن صفوان و يحيى بن حكيم و عامر بن مسعود - المسمّى دحروجه الجعل لقصره و سواده - و أيوب بن حبيب، و قتل منهم عبد الرحمن بن وهب و عبد الله بن ربيعه (٢).

قلت: مع أنّ مروان لم يفلته بل شفّع له الحسنان عليهما السّلام فأطلقه.

ففى (المروج): جهّز علىّ عليه السّلام عايشه لرجوعها إلى المدينه، ثم أتاها مع أهل بيته و شيعته، فلما بصرت به النسوان صحن فى وجهه و قلن: يا قاتل الأخبه. فقال عليه السّلام: لو كانت قاتل الأخبه لقتلت من فى هذا البيت - و أشار إلى بيت من تلك البيوت قد اختفى فيه مروان و ابن الزبير و عبد الله بن عامر و غيرهم. فضرب من كان معه بأيديهم إلى قوائم سيوفهم لئلا علموا من فى البيت، مخافه أن يخرجوا فيغتالوهم، فسألته عايشه أن يؤمن ابن اختها عبد الله بن الزبير فأمنه، و تكلم الحسنان عليهما السّلام فى مروان فأمنه و آمن الوليد بن

ص: ١٤٣

١-١) أساس البلاغه: ٣١٨، [١] ماده: (عير).

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ١٢٤: ١١-١٢٥. [٢]

عقبه و ولد عثمان و غيرهم من بنى اميه (١).

ثم العجب ان ابن ميثم قال هنا أيضا: «وقيل كان مروان من جمح» (٢).

«لقد اتلعوا» أى:مدّوا.

«أعناقهم إلى أمر لم يكونوا أهله فوقصوا» أى:كسروا أعناقا من (وقص يقص)بمعنى الكسر للعتق لا(وقص يوقص)بمعنى قصره.

دونه أى:دون ذلك الأمر.قال ابن أبى الحديد:إن قلت:طلحه و الزبير لم يكونا أهلا- تركت مذهب أصحابك،و إن لم تقله خالفت قوله عليه السلام.ثم قال:هما أهل ما لم يطلبها عليه السلام،فإذا طلبها لم يكونا هما و غيرهما أهلا،و لو لا طاعته لمن تقدّم لم نحكم بصحة خلافتهم (٣).

قلت:أى أثر لطاعه عن كره؟و هو عليه السّلام لم يقل إنهما لم يكونا أهلا فى مقابلى،بل أصلا مع أنّ فاروقهم أيضا قال بعدم أهليتهما،و إنّ النّبىّ صلّى الله عليه و آله مات و هو ساخط على طلحه،و إنّ الزبير يوما إنسان و يوما شيطان.

هذا و يمكن ألا يكون المراد بقوله عليه السّلام بالأمر فى قوله: «لقد اتلعوا إلى أمر» أمر الخلافه،بل أمر الحرب،و يكون الفاعل فى (أتلعوا)مطلق قريش،فمر فى روايه(جمل المفيد):أنه عليه السّلام لمّا رأى أشراف قريش صرعى فى جملة القتلى قال عليه السّلام:و لقد تقدمت إليكم و حذرتكم عض السيوف،و كنتم أحداثا لا علم لكم بما ترون،و لكن الحين و مصرع السوء.و مرت روايات اخرى فى ذلك.

ص:١٦٤

١-١) مروج الذهب ٣٧٧:٢-٣٧٨. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ٥٢:٤. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٢٦:١١. [٣]

و من كلام له عليه السّلام لما أظفره الله بأصحاب الجمل، وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ - وَدِدْتُ أَنْ أَخِي فَلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا - لِيَرَى مَا نَصَرَكَ اللَّهُ بِهِ عَلَيَّ أَعْدَائِكَ - فَقَالَ لَهُ ع:

أَهْوَى أَخِيكَ مَعْنَا فَقَالَ نَعَمْ - قَالَ فَقَدْ شَهِدْنَا - وَ لَقَدْ شَهِدْنَا فِي عَشِيَّتِنَا هَذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ - وَ أَرْحَامِ النِّسَاءِ - سَيَرَعَفُ بِهِمُ الزَّمَانُ وَ يَقْوَى بِهِمُ الْإِيْمَانُ أَقُولُ: وَ روى نظيره عنه عليه السّلام في أهل النهروان، لَمَّا أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِهِمْ، روى البرقي في (محاسنه) عن ابن شمون عن عبد الله بن عمرو بن الأشعث عن عبد الله بن حماد الأنصاري عن الصباح المزني عن الحرث بن الحضير عن الحكم بن عيينه قال: لَمَّا قَتَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السّلام الخوارج يوم النهروان قام إليه رجل فقال: يا أمير المؤمنين طوبى لنا إذ شهدنا معك هذا الموقف و قتلنا معك هؤلاء الخوارج. فقال عليه السّلام: و الذي فلق الحبه و برأ النسمه، لقد شهدنا في هذا الموقف اناس لم يخلق الله آباءهم و لا أجدادهم بعد. فقال الرجل: و كيف يشهدنا قوم لم يخلقوا؟ قال: بلى قوم يكونون في آخر الزمان يشركوننا في ما نحن فيه، و يسلمون لنا فأولئك شركاؤنا في ما كنّا فيه حقا حقا (١).

قول المصنف: «لَمَّا أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ»، هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (٢)، و لكن في (ابن ميثم): «لَمَّا ظَفَرَ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ» (٣).

ص: ١٦٥

١- (١) المحاسن للبرقي ١: ٢٦٢. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ١: ٣٩، [٢] شرح ابن أبي الحديد ١: ٢٤٧. [٣]

٣- (٣) في شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: لَمَّا أَظْفَرَهُ اللَّهُ بِأَصْحَابِ الْجَمَلِ أَيْضًا.

و كيف كان فروى النعمانى فى (غيبته) عن أبى بصير عن الصادق عليه السلام قال:

لَمَّا التقى أمير المؤمنين و أهل البصره نشر عليه السلام رايه النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ فزلزلت أقدامهم فما اصفرت الشمس حتّى قالوا: آمنا يا بن أبى طالب. فعند ذلك قال: لا تقتلوا الاسراء، و لا تجهزوا على جريح، و لا تتبعوا موليا، و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن. و لَمَّا كان يوم صفين سألوه نشر الرايه فأبى عليهم، فتحملوا عليه بالحسنين عليهما السلام و عمّار. فقال: إنّ للقوم مده يبلغونها، و إنّ هذه رايه لا ينشرها بعدى إلا القائم عليه السلام (١).

و روى ابن عبد ربه فى (عقده) عن سعيد عن قتاده قال: قتل يوم الجمل مع عايشه عشرون ألفا معهم ثمانمائه من بنى ضبّه، و قتل من أصحاب على عليه السلام خمسمائه رجل لم يعرف منهم إلا عمّار بن الحرث السدوسى و هند الجملى... (٢).

و فى (المروج): كانت الوقعه فى الموضع المعروف بالحريه، يوم الخميس لعشر خلون من جمادى الآخره سنه (٣٦) (٣).

و فى (تاريخ يعقوبى): كانت الحرب أربع ساعات من النهار، فروى بعضهم أنّه قتل فى ذلك اليوم نيف و ثلاثون ألفا، ثم نادى مناديه عليه السلام: ألا لا تجهز على جريح... (٤).

و فى (جمل المفيد): روى الواقدى عن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام قال: كنت أنا و الأسود بن أبى البختري و الزبير قد تواعدنا و تعاهدنا بالبصره لئن لقينا القوم لنموتن أو لنقتلن عليّا- إلى أن قال- فانظر إلى على و قد انتهى

ص: ١٦٦

١-١ (١) الغيبه: ٢٠٨. [١]

٢-٢ (٢) العقد الفريد ٧٤:٥-٧٥. [٢]

٣-٣ (٣) مروج الذهب ٣٧٧:٢. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ يعقوبى ١٨٣:٢. [٤]

إلى الجمل، و سيفه يعرف دما و هو واضعه على عاتقه، و هو يصيح بمحمّد بن أبي بكر اقطع البطان. فكانت الهزيمه (١).

«و قد قال له بعض أصحابه: وددت أنّ أخی فلانا كان شاهدا لنا ليرى ما نصرک اللّٰه به على أعدائك. فقال عليه السّلام له» هكذا فى (المصريه) (٢) و كلمه (له) زائده لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٣) و (الخطيبه).

«أ هوى أخيك معنا؟ فقال: نعم، فقال: فقد شهدنا» فى (خصائص النسائي):

أنّه عليه السّلام قال بعد ظفره بأهل النهروان: و لقد شهدنا اناس باليمن، قالوا: كيف؟ فقال عليه السّلام: هواهم معنا (٤).

و قال ابن أبى الحديد: قال حبه العرنى: قسّم علىّ عليه السّلام بيت مال البصره على أصحابه خمسمائه خمسمائه، و أخذ عليه السّلام خمسمائه كواحد منهم فجاءه إنسان لم يحضر الوقعه، فقال: يا أمير المؤمنين كنت شاهدا معك بقلبي و إن غاب عنك جسمي، فأعطني من الفىء شيئا، فدفع إليه الذى أخذه لنفسه (٥).

قلت: و رواه (المروج) هكذا: دخل علىّ عليه السّلام بيت مال البصره فى جماعه من المهاجرين و الأنصار، فنظر إلى ما فيه من العين و الورق فجعل يقول: «يا صفراء غرى غرى» و أدام النظر إلى المال مفكّرا، ثم قال: اقسّموه بين أصحابي و من معي خمسمائه خمسمائه. ففعلوا فما نقص درهم واحد و عدد الرجال اثنا عشر ألفا. و قبض ما كان فى عسكرهم من سلاح و دابه و متاع و آله و غير ذلك، فباعه و قسّمه بين أصحابه، و أخذ لنفسه ما أخذ لكل واحد ممّن

ص: ١٦٧

١-١ (١) الجمل للمفيد: ٣٧٥. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ١: ٣٩. [٢]

٣-٣ (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٧ و [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: [٤] قال له أيضا.

٤-٤ (٤) خصائص أمير المؤمنين: ٣١٩ ح ١٨٤. [٥]

٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٥٠. [٦]

معهُ خمسُمائة درهم، فأتاه رجل من أصحابه فقال: إنني لم آخذ شيئاً و خلفني عن الحضور كذا- و أدلى بعذر- فأعطاه الخمسمائة التي له (١).

و في (عقد ابن عبد ربه): قال غندر: حدّثنا شعبه عن عمرو بن مرّه قال:

سمعت عبد الله بن سلمه- و كان مع عليّ عليه السّلام يوم الجمل- و الحرث بن سويد- و كان مع طلحه و الزبير- و تذاكرا وقعه الجمل، فقال الحرث: و الله ما رأيت مثل يوم الجمل، لقد أشرعوا رماحهم في صدورنا و أشرعنا رماحنا في صدورهم، و لو شاءت الرجال أن تمشي عليها لمشت، فو الله لو ددت أني لم أشهد ذلك اليوم، و إنني أعمى مقطوع اليدين و الرجلين. فقال عبد الله بن سلمه:

و الله ما يسرنى أني غبت عن ذلك اليوم و لا عن مشهد شهده عليّ عليه السّلام بحمر النعم (٢).

و في (غارات الثقفى): في كتابه عليه السّلام إلى أهل مصر و إلى محمّد بن أبي بكر: إنّ الله عزّ و جلّ يعطي العبد على قدر نيته، و إذا أحبّ الخير و أهله و لم يعمله كان كمن عمله، فإنّ النّبى صلّى الله عليه و آله قال حين رجع من تبوك: إنّ بالمدينه لأقواما ما سرتهم من مسير و لا هبطتم من واد إلا كانوا معكم، ما حبسهم إلا المرض، يقول: كانت لهم نيه (٣).

هذا و في (بلاغات البغدادى) و (عقد ابن عبد ربه): قال معاوية لزرقاء الهمدانية- بعد أن كتب إلى عامله بإيفادها و ذكره لها حصّها في صفيين عليه و خطبها في ذلك-: و الله يا زرقاء لقد شركت عليّ في كل دم سفكه. فقالت:

أحسن الله بشارتك مثلك من بشر بخير و سر جليسه. فقال لها معاوية: و قد

ص: ١٤٨

١-١ (١) مروج الذهب ٣٨٠:٢. [١]

٢-٢ (٢) العقد الفريد ٧٥:٥. [٢]

٣-٣ (٣) الغارات ٢٢٩:١-٢٣٠. [٣]

سَرَكَ ذلك؟ قالت: نعم و الله لقد سرّنى قولك، فإنّى بتصديق الفعل. فقال لها معاويه: و الله لوفاءؤكم لعلّى بعد موته أعجب إلّى من حبكم له فى حياته (١).

و لقد شهدنا فى عسكرنا هذا أقوام، هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب:

(قوم) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٣).

«فى أصلاب الرجال و أرحام النساء» منهم السيّد الحميرى حيث يقول:

إنّى ادين بما دان الوصىّ به و شاركت كّفه كفى بصفينا

فى سفك ما سفك منها إذا احتضروا و أبرز الله للقسط الموازي

تلك الدماء يا ربّ فى عنقى ثم اسقنى مثلها أمين آمينا

و فى (العقد): كانت الشيعة من تعظيمهم له يلقون له و سارا بمسجد الكوفه فينشدهم (٤).

قال بعض الشيعة:

إنّى ادين بحب آل محمّد و بنى الوصىّ شهودهم و الغيب

و أنا البرىء من الزبير و طلحه و من التى نبحت كلام الحوب (٥)

«سيرعف» الرعاف: خروج الدم من الأنف، «بهم الزمان و يقوى بهم الايمان» قال ابن أبى الحديد: قال الشاعر:

و ما رعى الزمان بمثل عمرو و لا تلى النساء له ضربيا (٦)

قلت: و قيل لاعرأبى كيف ابنك؟ -و كان عاقًا- فقال: عذاب رعى به الدهر

ص: ١٦٩

١- (١) العقد الفريد ١: ٣٤٦-٣٤٩. [١]

٢- (٢) نهج البلاغه ١: ٣٩. [٢]

٣- (٣) كذا فى شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٧، و [٣] لكن فى شرح ابن ميثم ١: ٢٨٨: أقوام أيضا.

٤- (٤) العقد الفريد ٥: ٩١. [٤]

٥- (٥) العقد الفريد ٥: ٧٩. [٥]

٦- (٦) شرح ابن أبى الحديد ١: ٢٤٧. [٦]

فليتني قد أودعته القبر، فإنه بلاء و لا يقاومه الصبر، و فائده لا يجب فيها الشكر. و لبعضهم في شعر كتبه بالقلم:

و بيت على ظهر المطى بنيته باسمر مشقوق الخياشيم مرعف

و وجه قوله عليه السّلام: إنّ كل من رضى بعمل آخر من خير أو شر فكأنّه عمله، و لذا نسب الله تعالى عقر ناقه صالح إلى جميع قومه، فقال سبحانه:

«فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا وَ لَا يَخَافُ عُقْبَاهَا» (١)، مع أنّ العاقر كان واحدا و هو قي دار، لرضى باقيهم بعمله.

و حينئذ فكما أنّ من كان هواه معه عليه السّلام، كان كمن شهده في عسكره، كان من كان هواه مع مخالفه كأنه شهد حربته في عسكر عايشه، و إخواننا السنّه لا يستوحشون من ذلك، ففي سنه (٣٦٣) كما في (الجزري): حملوا امرأه على جمل و سمّوها عايشه و سمّى بعضهم نفسه طلحه و بعضهم الزبير، و قاتلوا شيعة بغداد و جعلوا يقولون: نقاتل أصحاب عليّ بن أبي طالب (٢).

و في عصرنا كان المصريون يأتون في كل سنه بمحمل باسمها إلى مكّه، حتّى منعتهم الوهايبه بعد غلبتهم على الحجاز- و نرضى لهم ما رضوا لأنفسهم.

هذا و في (تذكرة سبط ابن الجوزي): أنشدنا أبو عبد الله محمّد بن عبد الله البندنجي البغدادي، قال: أنشدنا بعض مشايخنا أنّ ابن الهباريه الشاعر اجتاز بكر بلاء فجعل يبكي على الحسين عليه السّلام و قال:

أ حسين و المبعوث جدّك بالهدى قسما يكون الحق عند مسائلي

ص: ١٧٠

١-١ (١) الشمس: ١٤-١٥. [١]

٢-٢ (٢) الكامل ٥١: ٧، سنه ٣٦٣. [٢]

لو كنت شاهد كربلا لبذلت في تنفس كربك جهد البازل

و سقيت حد السيف من أعدائكم علا و حد السمهرى الذابل

لكننى اخرت عنك لشقوتى فبلا بلى بين الغرى و بابل

هبنى حرمت النصر من أعدائكم فأقل من حزن و دمع سائل

ثم نام فى مكانه فرأى النبى صلى الله عليه و آله فى المنام فقال له: يا فلان جزاك الله عنى خيرا، أبشر فإن الله قد كتبك ممن جاهد بين يدي الحسين (١).

هذا و عن (المناقب): كان بالمدينه رجل ناصبى فتشيع، فسئل عن السبب؟ فقال: رأيت فى منامى عليا عليه السلام، فقال لى: لو حضرت صفين مع من كنت تقاتل؟ فأطرت افكر. فقال: يا خسيس هذه مسأله تحتاج إلى هذا الفكر العظيم، اعطوا قفاه. فصفت حتى انتهت و قد ورم قفاهى فرجعت إليه (٢).

و فى (المناقب): عن أبى هريره عن النبى صلى الله عليه و آله قال: «ليرعفن جبار من جباره بنى اميّه على منبرى هذا» فرئى عمرو بن سعيد بن العاص سال رعافه على المنبر (٣).

و فى (الخلفاء): ولى يزيد عثمان بن محمّد بن أبى سفيان الثقفى على المدينه و مكه و على الموسم، فلما استولى على المنبر رعف فقال رجل مستقبله: جئت و الله بالدم، فتلقاه رجل آخر بعمامته فقال: مه و الله عم الناس، ثم قام يخطب فتناول عصا لها شعبتان - فقال: مه شعب و الله أمر الناس (٤).

ص: ١٧١

١- (١) تذكره الخواص: ٢٧٣. [١]

٢- (٢) مناقب آل أبى طالب لابن شهر آشوب ١٦٨: ٢. [٢]

٣- (٣) المصدر نفسه ٩٦: ١. [٣]

٤- (٤) الإمامه و السياسه ٢٠٥: ١. [٤]

و من كلام له عليه السلام:

وَقَدْ أَرَعِدُوا وَ أَبْرُقُوا- وَ مَعَ هَذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشْلُ- وَ لَسْنَا نَزْعِدُ حَتَّى نُوَقِعَ وَ لَا نَسِيلُ حَتَّى نُمِطَرَ أَقُول: و رواه المفيد في (جمله الشيخ المفيد-الجمل-ص ٣٣١ و ٣٣٢) أبسط مع اختلاف، فقال: و بلغ أمير المؤمنين عليه السلام لغط القوم و اجتماعهم على حربه فقام خطيباً، ثم قال: إِنَّ طَلْحَةَ وَ الزَّبِيرَ قَدَمَا الْبَصْرَةَ وَ قَدَ اجْتَمَعَ أَهْلُهَا عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَ بِيَعْتِي، فَدَعَوَاهُمْ إِلَى مَعْصِيَةِ اللَّهِ وَ خِلَافِي، فَمَنْ أَطَاعَهُمَا مِنْهُمْ فَتَنُوهُ، وَ مَنْ عَصَاهُمَا قَتَلُوهُ، وَ قَدَ كَانَ مِنْ قَتَلَهُمَا حَكِيمٌ بَنَ جَبَلَهُ مَا بَلَغَكُمْ وَ قَتَلَهُمَا السَّبَابِجَةُ، وَ فَعَلَهُمَا بَعْثَمَانُ بَنَ حَنِيفٍ مَا لَمْ يَخْفَ عَلَيْكُمْ، وَ قَدَ كَشَفُوا الْآيْنَ الْقِنَاعَ وَ آذَنُوا بِالْحَرْبِ. وَ قَامَ طَلْحَةُ بِالشِّتْمِ وَ الْقَدْحِ فِي أَدْيَانِكُمْ وَ قَدَ أَرَعَدَ (هُوَ) وَ صَاحِبَهُ وَ أَبْرَقَا، وَ هَذَا أَمْرَانِ مَعَهُمَا الْفَشْلُ-إِلَى أَنْ قَالَ-وَ لَسْنَا نَزْعِدُ حَتَّى نُوَقِعَ وَ لَا نَسِيلُ حَتَّى نُمِطَرَ، وَ قَدَ خَرَجُوا مِنْ هُدَى إِلَى ضَلَالٍ وَ دَعَوَانَاهُمْ إِلَى الرِّضَى وَ دَعَوَانَا إِلَى السُّخْطِ، فَحَلَّ لَنَا وَ لَكُمْ رَدُّهُمْ إِلَى الْحَقِّ بِالْقِتَالِ وَ حَلَّ لَهُمْ بِقِصَاصِهِمُ الْقِتْلَ، وَ قَدَ وَ اللَّهُ مَشُوا إِلَيْكُمْ ضَرَارًا، وَ أَذَاقُوكُمْ أَمْسَ مِنَ الْجَمْرِ، فَإِذَا لَقِيتُمُ الْقَوْمَ غَدًا فَاعْذَرُوا فِي الدُّعَاءِ وَ أَحْسِنُوا فِي التَّقِيهِ، وَ اسْتَعِينُوا اللَّهَ، وَ اصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ.

فقام إليه حكيم بن مناف حتى وقف بين يديه و قال:

أبا حسن أيقظت من كان نائماً و ما كل من يدعى إلى الحق يسمع (١)

و روى (الكافي): عن الحسن بن محبوب: إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطَبَ يَوْمَ الْجَمَلِ وَ قَالَ: وَ قَدَ كُنْتُ وَ مَا أَهْدَدُ بِالْحَرْبِ وَ لَا أَرَهَّبُ بِالضَّرْبِ أَنْصَفَ

ص: ١٧٢

القاره من راماهما، فلغيرى فليبرقوا و ليرعدوا، فأنا أبو الحسن الذى فلتت حدّهم و فرقت جماعتهم (١).

«وقد أَرعدوا و أبرقوا» فى (كامل المبرد): زعم الأصمعى أنّ أَرعد خطأ، و أنّ الكميت أخطأ فى قوله:

أَرعدوا برق يا يزيد فما وعيدك لى بضائر (٢)

و زعم أنّ البيت الذى يروى لمهلهل:

انبضوا معجس القسى و أبرقنا كما ترعد الفحول الفحولا

مصنوع محدث. و روى غير الأصمعى أَرعد و أبرق (٣).

و فى (الجمهره): قال أبو حاتم للأصمعى لا- تقول فى التهديد: أَرعد و أبرق، و قد قاله الكميت، فقال: هو جر مقانى من أهل الموصل. و قال: وقف علينا أعرابى محرم فقلت: أتقول: أَرعد و أبرق؟ فقال: نعم. فأخبرت بذلك الأصمعى فلم يلتفت إليه و أنشدنى:

إذا ما جاوزت من ذات عرق تنيه فقل لأبى قابوس ما شئت فارعد (٤)

قلت: و الصواب خطأ الأصمعى، فاستعمال رعد و برق لا يدل على عدم جواز استعمال أَرعد و أبرق. فقال ابن السكيت: حكى ابو عبيده و أبو عمرو اللغتين عن العرب و جوّزه أبو زيد و الفراء و غيرهما، و يدل على بطلان قوله مضافا إلى كلامه عليه السّلام و بيت الكميت و قول الأعرابى و بيت مهلهل - و ادعاؤه أنّه مصنوع بلا شاهد - كلامه عليه السلام فى كتابه إلى محمّد بن أبى بكر، فى الطبرى أنّه عليه السّلام كتب إليه مشيرا إلى معاويه و عمرو بن العاص (فلا يهلك

ص: ١٧٣

١- ١) الكافى ٥: ٥٣. [١]

٢- ٢) جمهره اللغه ٢: ٦٣٢. [٢]

٣- ٣) الكامل [٣] فى الأدب للمبرد: ١٠٥٧ مطبعه البابى الحلبى، مصر، ط ١.

٤- ٤) جمهره اللغه ٢: ٦٣٢. [٤]

إرعادهما وإبراقهما (١)، وبيت معاويه بن الضحاك صاحب رايه بنى سليم مع معاويه فى صفيين:

فلا أرى إلا تركنا الشام جهره و إن أبرق الفجفاج فيها و أرعدا (٢)

و بيت معاويه بن أبى سفيان مشيرا إلى ابن عباس:

فأبرق و أرعدا ما استطعت فإننى إليك بما يشجيك سبط الأنامل (٣)

ذكر كليهما (صفيين نصر). و بيت شاعر تميمى فى وقعه الخوارج بالأهواز أيام ابن الزبير كما فى كامل المبرد:

فأرعدا من قبل اللقاء ابن معمر و أبرق و البرق اليمانى خوآن

و بيت أعشى همدان فى هزيمتهم من الحجاج يوم ابن الأشعث:

و لئما زحفنا لابن يوسف غدوه و أبرق منا العارضان و أرعدا

و بيت عثمان بن ربيعه كما فى (الطبرى) فى عنوان خبر المرتدين باليمن أيام أبى بكر:

و أبرق بارق لئما التقينا فعاتدت خلبا تلك البروق (٤)

و بيت ابن نبهان فى مسلمه كما فى (تاريخ ابن أعثم):

و أرعدا كتاب اليمامه جهره و أكلب فيها باللسان و باليد

و بيت عمرو بن معد يكرب فى الأشعث بن قيس و قومه كما فى (أمالى القالى):

حبست سراتهم بالضح حتى أنابوا بعد إبراق و رعدا

و بيت عبد الله بن الحرث السهمى الذى اشتهر بالمبرق له كما فى

ص: ١٧٤

١-١) تاريخ الأمم و الملوك للطبرى ١٣٠:٣ [١] حوادث، سنه ٣٨.

٢-٢) وقعه صفيين: ٤٦٩. [٢]

٣-٣) وقعه صفيين: ٤١٦. [٣]

٤-٤) تاريخ الطبرى سنه ١١، ٣٢٠:٣. [٤]

(الاستيعاب) و(سيره ابن هشام):

إذا أنا لم أبرق فلا يسعنى من الأرض برّ و فضاء و لا بحر (١)

و فى ديوان عمر بن أبى ربيعه:

من المرعدات الطرف تنفذ عينها إلى نحو حيزوم المجرب ذى العقل

و يدلّ على بطلان قوله حديث المغيره كما فى (نهايه الجزى): «بليله الإرعاد» بليله: ريح فيها ندى أى: لا يزال يرعده و يهدّده (٢).

و قول المختار، فى (الطبرى): قال ابن العرق: رأيت المختار أشر العين فسألته، فقال: شترها ابن زياد، يابن العرق إنّ الفتنه أرعدت و أبرقت و كان قد أينعت (٣).

و قول الحجاج فى كتابه إلى عبد الملك لما أرسل عروه الزبير إليه ليستخرج منه الأموال - كما فى (العقد) -: كالعارض المبرق لاعدائه (٤).

و مما ورد بلفظ أرعد و أبرق من المتأخرين و إن لم يكن فيه حجه قول أبى العتاهيه:

مالى أرى الناس قد أبرقوا بلؤم الفعال و قد أرعدوا

و قول إبراهيم بن العباس الصولى كما فى (ديوان العسكرى):

فكن كيف شئت و قل ما تشأ و أبرق يمينا و أرعد شمالا

و قول السرى الموصلى كما فى (يتيمه الثعالبى):

و من عجب أنّ الغيبين أبرقا مغيرين فى أقطار شعرى و أرعدا

و قول آخر كما فى (مناقب السروى):

ص: ١٧٥

١- ١) سيره ابن هشام ٣٥٥: ١. [١]

٢- ٢) النهايه ١٥٤: ١، [٢] ماده: (بلل).

٣- ٣) تاريخ الطبرى ٥٧٢: ٥، سنه ٦٤. [٣]

٤- ٤) العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسى ٤٤: ٥-٤٥ [٤] دار الكتاب العربى، بيروت.

سألنا ملحدًا إثبات دين فعاندنا و مجمع في دليله و أرعد ثم أبرق ثم ولى...

و قال حسين بن عبد الله العباسي لعبد الله بن معاوية الجعفرى كما في (كتاب الزبيرى):

أبرق لمن يخشى و أرعد غير قومك بالسلاح

و بالجملة لا ريب في جواز (أرعد و أبرق) بل أحسنه من رعد و برق لكثرة الأوّل و قله الثانى فلم نقف إلا على ذاك البيت و ما نسب إلى المتلمس:

فاذا حللت و دون بيتى غاده فأبرق بأرضك ما بدا لك و ارعد

و ما نسب إلى ابن أحمـر:

بأجل ما بعدت عليك بلادنا فأبرق بأرضك ما بدا لك و ارعد

مع أنّ الأصل في البيتين واحد فكأنّ قول: «فأبرق بأرضك ما بدا لك و ارعد» مثل لوقوعه في البيتين. و أما بيت عبيد بن الأبرص لما خيره المنذر بن ماء السماء في أنحاء قتله لما لقاها يوم يؤسه كما في (تنبيه البكرى):

و خير في ذو البؤس في يوم يؤسه خاللا أرى في كلها الموت قد رعد

فليس (رعد) فيه للتهديد بل للرعد الحقيقى استعاره.

هذا و قريب من قوله عليه السلام قول البحرى:

خطروا خطره الجهام و ساروا في نواحي الظنون سير السراب

و قول الكميت في أزد شتؤه—و سمّوا بارقا كما في (السيره) لأنهم تبعوا البرق—و أزد شتؤه اندرءوا علينا:

بجّم يحسبون لها قرونا و ما قلنا لبارق اعتبونا

«و مع هذين الفشل» أى: الجبن، روى الواقدى عن عبد الله بن عمر بن على عن أبيه قال: لما سمع أبى أصوات الناس يوم الجمل و قد ارتفعت قال لابنه

محمّد: ما يقولون؟ قال: يقولون يا ثارات عثمان. فشدّ عليهم و أصحابه يهشون في وجهه يقولون: ارتفعت الشمس، و هو يقول: الصبر أبلغ حجه ثم قام خطيباً يتوكأ على قوس عربييه و قال: أمّا بعد فإنّ الموت طالب حيث لا يفوته الهارب فأقدموا و لا تنكلوا و هذه الأصوات التي تسمعونها من عدوكم فشل و اختلاف (١).

و كما أنّ الإرعاد و الإبراق و الصياح و الجلبة علامه الفشل، كذلك السكوت و الصمت علامه الاطمينان بالغلبه. و لما بعث قريش يوم بدر عمرو بن وهب الجمحي ليرى عسكر النبي صلى الله عليه و آله صعد و صوب ثم رجع إليهم و قال:

نواضح يثرب قد حملت السمّ الناقع، أما ترونهم خرسى لا يتكلمون يتلمظون تلمظ الأفاعى ما لهم ملجأ إلا سيوفهم.

و كان أبو مسلم يقول لقواده إذا أخرجهم: لا تكلموا الناس إلا رمزا و لا تلاحظوهم إلا شزرا لتمتلى صدورهم من هيبكم .

«و لسنا نرعد حتّى نوقع و لا نسيل حتّى نمطر» فى (جمل المفيد): قال معاذ بن عبد الله التميمي: لما قدمنا البصره مع عايشه و أقمنا ندعو الناس إلى نصرتنا- إلى أن قال- و تقدم علىّ و الرايه بين كتفيه و جرد سيفه و ضرب رجلا فأبان كفه ثم انتهى إلى الجمل و قد اجتمع الناس حوله و اختلطوا و أحدقوا به من كل جانب و استجن الناس تحت بطان الجمل، فأنظر و الله إلى علىّ يصيح بمحمد بن أبى بكر: «اقطع البطن» و أرى عليّا قد قتل- ممن أخذ بخطام الجمل- عشره بيده و كلما قتل رجلا مسح سيفه فى ثيابه حتّى صرنا فى أيديهم كأننا غنم نساق فانصرفنا و تلاومنا و ندمنا (٢).

ص: ١٧٧

١-١ (١) الجمل للمفيد: ٣٥٨. [١]

٢-٢ (٢) الجمل للمفيد: ٣٧٣-٣٧٤. [٢]

و في (خلفاء ابن قتيبه): شقّ عليّ عليه السّلام في عسكر القوم يطعن و يقتل ثم خرج و هو يقول: الماء الماء فأتاه رجل يداوه فيها غسل و قال: الماء لا يصلح لك في هذا المقام فحسا عليه السّلام منه حسوه ثم قال إنّ غسلك هذا لطائفى. قال الرجل: لعجبا منك، و الله يا أمير المؤمنين لمعرفتك الطائفى من غيره في هذا اليوم و قد بلغت القلوب الحناجر! فقال له عليّ عليه السّلام: و الله يابن اخى ما ملأ صدر عمك شىء قط و لا أهابه شىء. ثم اعطى الرايه لابنه محمّد و قال: هكذا فاصنع (١).

هذا و من أمثالهم (رعدا و برقاً و الجهم جافر) (و بارقه تروق و لا تريق).

١٤

الخطبه (١١٨)

و من كلام له عليه السّلام:

أَنْتُمْ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ - وَ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ - وَ الْجَنُّ يَوْمَ الْيَأْسِ - وَ الْبَطَانَةُ دُونَ النَّاسِ - بِكُمْ أَضْرِبُ الْمَيْدَانَ وَ أَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ - فَأَعِينُونِي بِمَنَاصِيحِهِ خَلِيَّةٍ مِنَ الْعَشْرِ - سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ - فَوَاللَّهِ إِنِّي لَمَأْوَى النَّاسِ بِالنَّاسِ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شرح نهج البلاغه - ج ٧ ص ٢٨٤: ذكر المدائنى ١ المدائنى - كتاب المدائنى - و الواقدى ١ الواقدى - كتاب الواقدى - فى كتابيهما أنّ هذا الكلام قاله عليه السّلام للأَنْصار بعد فراغه من حرب الجمل (٢).

«أنتم الانصار على الحق» لما أحسّ عليه السّلام من قريش و أتباع معاويه أتباع الباطل قال عليه السّلام ذلك لأنصاره، كما حكى تعالى عن عيسى عليه السّلام فى قوله: «فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمْ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ»

ص: ١٧٨

١- ١) الامامه و السياسه لابن قتيبه ١: ٧٦ طبع البابى [١] الحلبي، سنه ١٩٦٩ القايره.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٨٤: ٧. [٢]

«الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ» (١).

«و الإخوان فى الدين» فكانوا مؤمنين و قد قال تعالى: «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» (٢).

«و الجنى يوم البأس» أى: كما أنّ الترس يحفظ صاحبه فى الحرب كذلك أنتم .

«و البطانه دون الناس» كناية عن كونهم خواصه عليه السلام .

«بكم أضرب المدبر» أهل صفين كما ضرب بهم أهل الجمل .

«و أرجو طاعه المقبل» فلحق به عليه السلام جمع كثير لما كان له أولئك الأنصار و أطاعوه و لولاهم لما كان ذلك .

«فأعينونى بمناصحه خليه من الغش سليمه من الريب» روى (أمالى المفيد) عن أبى مخنف: أنّ أمير المؤمنين عليه السلام لما قدم من البصره إلى الكوفه قال قعد عن نصرى رجال منكم و أنا عليهم عاتب فاهجروهم و أسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى. فقام إليه أبو برده الأزدي - و كان عثمانيا تخلف عنه يوم الجمل و حضر معه يوم صفين نيه فى نصرته - فقال له عليه السلام: أرأيت القتلى حول عايشه و طلحه و الزبير بم قتلوا؟ فقال عليه السلام بما قتلوا شيعتى و عمالى و بقتلهم أخا ربيعه العبدى رضى الله عنه فى عصابه من المسلمين قالوا لا ننكث البيعه و لا نغدر كما غدرتم فوثبوا عليهم فقتلوهم ظلما و عدوانا فسألتهم أن يدفعوا إلى قتله اخوانى لنقتلهم بهم، ثم كتاب الله بينى و بينهم فأبوا على و قاتلوني و فى أعناقهم بيعتى و دماء نحو ألف من شيعتى فقتلتهم بذلك. أفى شك أنت من ذلك؟ قال: كنت فى شك، و أمّا

ص: ١٧٩

١- ١) آل عمران: ٥٢. [١]

٢- ٢) الحجرات: ١٠. [٢]

الآن فقد عرفت و استبان خطأ القوم و إنك المهتدى المصيب-و كان مع حضوره صفين يناقق و يكاتب معاويه سرا، فلما ظهر معاويه اقطعه قطيعه بالفلوجه (١).

و فى (صفين نصر) عن محمد بن مخنف قال: دخلت مع أبى على على عليه السلام حين قدم من البصره فإذا بين يديه رجال يؤنبهم و يقول لهم: ما بطا بكم عنى و أنتم أشراف قومكم و الله لئن كان من ضعف النيه و تقصير البصيره إنكم لبود و و الله لئن كان من شك فى فضلى و مظاهره على إنكم لعدو! قالوا: حاش لله نحن سلمك و حرب عدوك. ثم اعتذر القوم. فنظرت إليهم فعرفتهم فإذا عبد الله بن معتمر العبسى و إذا حنظله التميمى و أبو بردة الأزدي و غريب الهمداني. و نظر على إلى أبى فقال: لكن مخنف بن سليم و قومه لم يتخلفوا و لم يكن مثلهم مثل القوم الذين قال تعالى فيهم: «وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيَبْطِئَنَّ فَإِنْ أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيَّ إِذْ لَمْ أَكُنْ مَعَهُمْ شَهِيداً وَ لَئِنْ أَصَابَكُمْ فَضْلٌ مِنَ اللَّهِ لَيَقُولَنَّ كَأَنْ لَمْ تَكُنْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُ مَوَدَّةٌ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزاً عَظِيماً» (٢).

«و الله إننى لأولى الناس بالناس» روى ابراهيم الثقفى- كما فى (أمالى المفيد)- أن عبد الرحمن بن أبى ليلى قام إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال إننى سائلك لأخذ عنك و قد انتظرنا أن تقول من أمرك شيئاً فلم تقله، ألا تحدثنا عن أمرك أ كان بعهد من رسول الله صلى الله عليه و آله أو شىء رأيت، فإننا قد أكثرنا فيك الأقاويل و أوثقه عندنا ما سمعناه من فيك إننا كنا نقول لو رجعت إليكم بعد النبى صلى الله عليه و آله لم ينازعكم فيها أحد، و الله ما أدرى إذا سئلت ما أقول: أزعم أن

ص: ١٨٠

١- (١) أمالى المفيد: ١٢٧-١٢٩.

٢- (٢) وقعه صفين: ٧-٨ و [١] الآيات ٧٢-٧٣ من سورة النساء. [٢]

القوم كانوا أولى بما كانوا فيه فعلام نصبك النبي صلى الله عليه وآله بعد حجه الوداع:

فقال «أيها الناس من كنت مولاه فعلى مولاه» وإن كنت أولى منهم بما كانوا فيه فعلام نتولاهم؟ فقال يا عبد الرحمن إن الله تعالى قبض نبيه يوم قبضه وأنا يوم قبضه أولى الناس منى بقميصي هذا، وقد كان من النبي صلى الله عليه وآله التي عهد لو خزموني بأنفي لأقررت سمعا وطاعة وإن أول ما انتقصناه بعد إبطال حقنا في الخمس فلما رق امرنا طمعت رعيان البهم من قريش فينا. فقال عبد الرحمن: أنت يا أمير المؤمنين لعمر ك كما قال الأول:

لقد أيقظت من كان نائما و أسمعت من كانت له اذنان (١)

١٥

الكتاب (٢٩)

و من كتاب له عليه السلام إلى أهل البصرة:

وَقَدْ كَانَ مِنْ انْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَ شِقَاقِكُمْ - مَا لَمْ تَغَيِّرُوا عَنْهُ - فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ وَ رَفَعْتُ السَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ - وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ - فَإِنْ خَطَّتْ بِكُمْ الْأُمُورُ الْمُؤَدِيَةَ - وَ سَافَهُ الْمَأْرَاءُ الْحَيَاثِرَةَ إِلَى مُنَابَذَتِي وَ خِلَافِي - فَهِيَ أَنَا ذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي وَ رَحَلْتُ رِكَابِي - وَ لَيْسَ الْحَيَاثُمُونِي إِلَى الْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ - لِمَا وَقَعَنَّ بِكُمْ وَقَعَهُ - لَا - يَكُونُ؟ يَوْمَ الْجَمِيلِ؟ إِلَيْهَا إِلَّا كَلْفَقَهُ لَاعِقِي - مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي الطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ - وَ لِذِي النَّصِيحَةِ حَقَّهُ - غَيْرُ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَمًا إِلَى بَرِيٍّ وَ لَا نَاكِثًا إِلَى وَفِيٍّ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِي هَذَا الْكِتَابِ مَا رَوَاهُ إِبْرَاهِيمُ الثَّقَفِيُّ فِي (غَارَاتِهِ إِبْرَاهِيمَ الثَّقَفِيِّ - الْغَارَاتُ - ج ٢ ص ٣٧٣ تا ٤٠٨) (٢) :-

ص: ١٨١

١-١ (١) أمالي المفيد: ٢٢٣-٢٢٤.

٢-٢ (٢) الغارات ٣٧٣:٢-٤٠٨، [١] شرح ابن أبي الحديد ٣٤:٤-٥٣. [٢]

كتبه عليه السّلام إليهم لَمَّا بعث معاويه إليهم ابن الحضرمي لأخذ البصره و حث أهلها على نقض بيعته. فروى عن محمّد بن يوسف عن الحسن بن عليّ الزعفراني عن محمّد بن عبد الله بن عثمان عن ابن أبي سيف عن يزيد بن حارثه الأزدي عن عمرو بن محسن أنّ معاويه لَمَّا أصاب محمّد بن أبي بكر بمصر و ظهر عليها دعا عبد الله بن عامر الحضرمي فقال له: سر إلى البصره فإنّ جلّ أهلها يرون رأينا في عثمان و يعظّمون قتله و قد قتلوا في الطلب بدمه فهم موتورون حنقون لما أصابهم و ودّوا لو يجدون من يدعوهم و يجمعهم و ينهض بهم في الطلب بدم عثمان، و احذر ربيعه، و انزل في مضر، و توّدّد الأزديّ فإنّ الأزديّ كلّهم معك إلا قليلا منهم و إنّهم غير مخالفيك.

فقال له ابن الحضرمي: أنا سهم في كنانتك و أنا من قد جرّبت و عدو أهل حربك و ظهيرك على قتله عثمان فوجّهني إليهم متى شئت. فقال: اخرج غدا. فلما كان الليل جلس معاويه و أصحابه فقال لهم: في أي منزل ينزل القمر الليلة؟ قالوا: في سعد الذابح. فأرسل إليه: لا- تبرح حتّى يأتيك أمرى- إلى أن قال بعد ذكر كتابه إلى عمرو بن العاص مستشيرا به و تصويبه له و أمر معاويه له بالشخص:-

قال عمرو بن محسن: فكنت معه حين خرج فسمح لنا ظبي أعفر ماّرًا عن شمائلنا، فنظرت إليه فوالله لرأيت الكراهيه في وجهه ثم مضينا حتّى نزلنا البصره في بني تميم فسمع بقدمنا أهل البصره فجاءنا كل من يرى رأى عثمان، فاجتمع الينا رءوس أهلها، و كان الأمير بالبصره يومئذ زياد استخلفه ابن عباس و قدم على عليّ عليه السّلام يعزّيه عن محمّد بن أبي بكر. و أقبل الناس إلى ابن الحضرمي و كثر تبعه ففرغ لذلك زياد و هو في دار الإمارة فبعث إلى الحصين بن منذر و مالك بن مسمع و قال: إنّكم أنصار أمير المؤمنين و شيعته

و ثقته، و قد جاءكم هذا الرجل بما قد بلغكم فأجيروني حتى يأتيني أمر أمير المؤمنين، فأما مالك بن مسمع فقال: هذا أمر فيه نظر ارجع إلى من ورائي و استشير.

و أما الحصين فقال: نعم نحن فاعلون و لن نخذلك. فلم ير زياد ما يطمئن إليه.

فبعث إلى صبره بن سليمان الأزدي فقال له: أنت سيد قومك و أحد عظماء هذا المصر، فإن يكن فيه أحد هو أعظم أهله فأنت ذاك، أفلا تجيرونني و تمنعني و تمنع بيت مال المسلمين فإنما أنا أمين عليه. فقال: بلى إن تحملت حتى تنزل داري لمنعتك. قال: إنني فاعل. فارتحل ليلا حتى نزل دار صبره و كتب إلى ابن عباس -و لم يكن معاوية ادعى زيادا بعد إنما ادعاه بعد وفاه علي عليه السلام- للأمين عبد الله بن العباس من زياد بن عبيد، سلام عليك أما بعد فإن عبد الله بن عامر الحضرمي أقبل من قبل معاوية حتى نزل في بني تميم و نعي ابن عفان و دعا إلى الحرب فبايعه جل أهل البصره فلما رأيت ذلك استجرت بالأزد بصبره بن سليمان و قومه لنفسى و لبيت مال المسلمين و رحلت من قصر الإمارة فنزلت فيهم، فارتفع ذلك إلى أمير المؤمنين ليرى فيه رأيه.

فرجع ذلك ابن عباس إليه فدعا عليه السلام جاريه بن قدامه و قال له: تمنع الأزد عاملي و بيت مالي و تشاقتني مضر و تنابذني و بنا ابتداها الله بالكرامة و عرفها الهدى و تدعو إلى المعشر الذين حادوا الله و رسوله و أرادوا إطفاء نور الله حتى علت كلمه الله و هلك الكافرون. فقال: ابعثنى إليهم و استعن بالله عليهم. قال: قد بعثتك و استعنت به.

قال كعب بن قعين: خرجت مع جاريه من الكوفه إلى البصره في خمسين رجلا - من بني تميم ما كان فيهم يمانى غيرى، و كنت شديد التشيع،

فقلت لجاريه: إن شئت كنت معك و إن شئت ملت إلى قومي؟ فقال: بل معي فوالله لو ددت أن الطير و البهائم تنصرنى عليهم فضلا عن الإنس.

قال كعب: إن عليا عليه السلام كتب مع جاريه- و قال اقرأه على أصحابك:-

من عبد الله أمير المؤمنين إلى من قرئ عليه كتابي هذا من ساكني البصره من المؤمنين و المسلمين سلام عليكم أما بعد فإن الله حلیم ذو أناه، لا يعجل بالعقوبه قبل البينه، و لا يأخذ المذنب عند أول وهله و لكنه يقبل التوبه و يستديم الإنابه و يرضى بالإنابه ليكون أعظم للحجه و أبلغ فى المعذره، و قد كان من شقاق جلكم، أيها الناس ما استحققتم أن تعاقبوا عليه فعفوت عن مجرمكم، و رفعت السيف عن مدبركم و قبلت من مقبلكم و أخذت ببعثكم فإن تفوا ببيعتي و تقبلوا نصيحتي و تستقيموا على طاعتي أعمل فيكم بالكتاب و قصد الحق، و أقيم فيكم سبيل الهدى، فوالله ما أعلم أن واليا بعد محمد صلى الله عليه و آله أعلم بذلك منى و لا أعلم بقوله منى، أقول قولى هذا صادقا غير ذام لمن مضى و لا منتقضا لأعمالهم و إن حطت بكم الامور المرديه و سفه الرأى الجائر إلى منابذتى تريدون خلافى فيها أنا ذا قرّبت جياذى و رحلت ركابى، و ايم الله لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعه لا يكون يوم الجمل عندها إلا كلعقه لاقع، و إنى لظان ألا تجعلوا إن شاء الله على أنفسكم سبيلا، و قد قدّمت هذا الكتاب إليكم حجه عليكم و لن أكتب إليكم من بعده كتابا إن استغشثتم نصيحتى و نابذتم رسولى حتى أكون أنا الشاخص نحوكم و السلام. فلما قرأ الكتاب على الناس قام صبره بن سليمان فقال: سمعنا و أطعنا و نحن لمن حارب أمير المؤمنين حرب، و لمن سالم سلم، إن كفيت يا جاريه قومك بقومك فذاك و إن أحببت أن نصرك نصرناك. و قام وجوه الناس فتكلموا بمثل ذلك و نحوه فلم يأذن لأحد منهم أن يسير معه و مضى نحو بنى تميم.

فقام زياد فى الأزدي فقال: يا معشر الأزدي إن هؤلاء كانوا أمس سلما فأصبحوا اليوم حربا و إنكم كنتم حربا فأصبحتم سلما و إنى و الله ما اخترتكم إلا على التجربة و لا أقمت فيكم إلا على الأمل فما رضيتم أن آجرتمونى حتى نصبتم منبرا و سريرا و جعلتم لى شرطا و أعوانا و مناديا و جمعه و ما فقدت بحضرتكم شيئا إلا هذا الدرهم لا اجيبه اليوم فإن لم اجبه اليوم اجبه غدا إن شاء الله.

فأما جاريه فإنه لما كلم قومه فلم يجيبوه و خرج إليه منهم أوباش فناوشوه بعد أن شتموه و أسمعوه فأرسل إلى زياد و الأزدي يستصرخهم و يأمرهم أن يسيروا إليه، فسارت الأزدي زياد و خرج إليهم ابن الحضرمي و على خيله عبد الله بن خازم السلمى فاقتلوا ساعه و أقبل شريك بن الأعرور الحارثي -و كان من شيعه على عليه السلام و صديقا لجاريه- فقال: ألا نقاتل معك عدوك؟ فقال: بلى. فما لبثوا بنى تميم أن هزموهم و اضطروهم إلى دار سنبل السعدى و حصروا مائتى رجل من بنى تميم و معهم عبد الله بن خازم السلمى فجاءت أمه و هى سوداء حبشيه، فنادته فأشرف عليها فقالت: يا بنى انزل إلى.

فأبى. فكشفت رأسها و ألقى قناعها و سألته النزول فأبى. فقالت. و الله لتنزلن أو لأتعرّين -و أهوت بيدها إلى ساقها- فلما رأى ذلك نزل فذهبت به. و أحاط جاريه و زياد بالدار و قال جاريه: على بالنار. فقالت الأزدي: لسنا من الحريق بالنار فى شىء فهم قومك و أنت أعلم. فحرّق جاريه الدار فهلك ابن الحضرمي فى سبعين رجلا أحدهم عبد الرحمن بن عمير بن عثمان القرشى ثم التميمي و سمى جاريه منذ ذلك اليوم محرّقا. و سارت الأزدي زياد حتى أو طؤوه قصر الإمارة و معه بيت المال و كتب زياد إلى أمير المؤمنين عليه السلام: أما بعد فإنّ جاريه بن قدامه -العبد الصالح- قدم من عندك فناهض جمع بن الحضرمي

بمن نصره و أعانه من الأزد فضّضه و اضطّره إلى دار من دور البصره فى عدد كثير من أصحابه فلم يخرج حتّى حكم الله تعالى بينهما فقتل ابن الحضرمى و أصحابه منهم من احرق بالنار و منهم من القى عليه جدار و منهم من هدم عليه البيت من أعلاه و منهم من قتل منهم بالسيف و سلم منهم نفر أنابوا (١).

و من الغريب أن ابن أبى الحديد غفل عنه هنا و نقله فى موضع آخر بلا ربط (٢) و لم يتفطن له ابن ميثم أيضا (٣).

«و قد كان من انتشار جبلكم و شقاقكم ما لم تغبوا عنه» فى (الصحاح):

(غبيت عن الشيء و غبيته أيضا إذا لم يفطن له) (٤) و المراد يوم الجمل.

«فعفوت عن مجرمكم» بنكث البيعه و نصب الحرب.

«و رفعت السيف عن مدبركم» فأمر عليه السلام ذاك اليوم أن ينادى: لا يتبعنّ مولّ و لا يجهز على جريح.

«و قبلت من مقبلكم» فأمر عليه السلام أن ينادى: من ألقى السلاح فهو آمن و من أغلق بابه فهو آمن .

«فإن خطت بكم» أى: جاوزتكم من الخطوه ما بين القدمين.

«الامور المرديه» أى: المهلكه.

«و سفه الآراء الجائره» أى: العادله عن الحقّ.

«إلى منابذتى» أى: مكاشفتى بالحرب.

«و خلافى» أى: مخالفتى.

«فها أنا ذا قد قربت جيادى» جمع الجواد، أى: الفرس الرائع.

ص: ١٨٤

١- (١) الغارات ٣٧٣:٢-٤٠٨، [١] شرح ابن أبى الحديد ٣٤:٤-٥٣. [٢]

٢- (٢) نقله ابن أبى الحديد فى شرح النهج ٣٤:٤-٥٣. [٣]

٣- (٣) انظر شرح ابن ميثم على النهج ٤٤٧:٤-٤٤٨.

٤- (٤) الصحاح ٢٤٤٣:٦، [٤] ماده: (غبا).

«و رحلت» من رحلت البعير إذا شددت على ظهره الرحل.

قال الأعشى:

رحلت سميّه غدوه أجمالها غضبي عليك فما تقول بدا لها

و قال المثقب العبدى:

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهه الرجل الحزين

«ركابى» فى (الصحاح): الركاب الإبل التى يسار عليها، الواحده راحله و لا واحد لها من لفظها (١).

هذا و فى (المعجم): كتب إبراهيم بن العباس الصولى من قبل المتوكل إلى أهل حمص رساله عجب المتوكل من حسننها و هى: أميا بعد فيان الخليفه يرى من حق الله عليه بما قوم به من أود و عدل به من زيغ و لم به من منتشر استعمال ثلاث يقدم بعضهن أمام بعض، اولاهن ما يتقدم به من تنبيه و توقيف ثم ما يستظهر به من تحذير و تخويف، ثم التى لا يقع حسم الداء بغيرها:

أناه فإن لم تغن عقب بعدها وعيدا فإن لم يغن أغنت عزائمها (٢)

«و لئن ألجأتمونى إلى المسير إليكم لأوقعن بكم وقعه لا يكون يوم الجمل إليها إلا كلعقه لاقع» أى: لحس لا حس بالنسبه إلى أكل كامل.

فى (الأغانى): عن الشعبى أنه أتى البصره أيام ابن الزبير فجلس فى المسجد إلى قوم من تميم فيهم الأحنف بن قيس فتذاكروا أهل البصره و أهل الكوفه و فاخروا بينهم، فقال بصرى: و هل أهل الكوفه إلا خولنا؟ استنقذناهم من عبدهم - يعنى الخوارج - قال الشعبى: فهجس فى صدرى

ص: ١٨٧

١-١ (١) الصحاح ١: ١٣٨، [١] ماده: (ركب).

٢-٢ (٢) معجم الأباء لياقوت الحموى ١: ١٨٦ [٢] ترجمه رقم ١٦، دار الفكر بيروت.

أن تمثلت قول أعشى همدان:

أ فخرتم أن قتلتم أعبدا و هزمتم مره آل عزل

نحن سقناهم إليكم عنوه و جمعنا أمركم بعد شمل

فإذا فاخرتمونا فاذكروا ما فعلنا بكم يوم الجمل

بين شيخ خاضب عشونه و فتى أبيض وضاح رفل

جاءنا يرفل فى سابغه فذبحناه ضحى ذبح الحمل

و عفونا فنسيتم عفونا و كفرتم نعمه الله الأجل

فضحك الأحنف، ثم قال: يا أهل البصره! قد فخر عليكم الشعبى و صدق و انتصف فأحسنوا مجالسته (١).

«مع أنى عارف لذى الطاعه منكم فضله و لذى النصيحه حقه». قد عرفت أن فى هذه المره كانت الأزد ذووا طاعه و رئيسهم صبره بن سليمان الأزدي ذا نصيحه.

«غير متجاوز متهما إلى برىء و لا- ناكثا إلى وفى» فإنّ التجاوز عمل الجبابره، فكان زياد و ابن زياد و الحجاج يأخذون البرىء بالسقيم و لا يراعون قوله تعالى: «و لا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» (٢).

و كان الحجاج أمر الناس باللحوق بالمهلب فقام اليشكرى و قال: بى فتق رآه بشر بن مروان فعذرني. فأمر بقتله.

و مرّ فى (١١) من الفصل التاسع فى الملاحم قوله عليه السلام «كنتم جند المرأه...».

ص: ١٨٨

١- ١) الأغاني ٥٤: ٤-٥٥. [١]

٢- ٢) فاطر: ١٨. [٢]

الفصل الثاني و الثلاثون: في القاسطين و ما يتعلق بصفيين

اشاره

ص: ١٨٩

و من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي لما أرسله إلى معاوية:

أَمَا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ؟ مُعَاوِيَةَ؟ عَلَى الْفَضْلِ - وَ خُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ - ثُمَّ خَيَّرَهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجَلِّبَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ - فَإِنْ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ - وَإِنْ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بِيَعْتَهُ وَ السَّلَامُ أَقُولُ: رواه (صفين نصر بن مزاحم - صفين - ص ٥٥ نصر) (١) و (عقد ابن عبد ربّه - العقد الفريد - ج ٣ ص ٨٠ ابن عبد ربّه) (٢)، و في الثانی: «و خيره بين حرب معضله» في (العقد): «مجلبه» رواه في عنوان اخبار على و معاوية.

قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السلام إلى جرير بن عبد الله البجلي» عدوه في الطوال، ففي (معارف ابن قتيبه) يتفل في ذروه البعير من طوله، و كانت

ص: ١٩١

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥. [١]

٢-٢) العقد الفريد لابن عبد ربّه ٨٠: ٣. [٢]

نعله ذراعاً، وقال: اعتزل علياً عليه السلام و معاويه و أقام بالجزيره و نواحيها حتى توفي بالشره سنه (٥٤).

«لما أرسله إلى معاويه» عن (موفقيات ابن بكار): «لما أرسله عليه السلام أقام عند معاويه أربعة أشهر.

و في (تاريخ اليعقوبى) (١) أن الأشرع منع علياً عليه السلام من إرسال جرير إلى معاويه، و قال: هواه هواهم و نيتته نيتهم. فقال عليه السلام: دعه يتوجه فإن نصح كان ممن أدى أمانته، و إن داهن كان عليه و زر من أو تمن و لم يؤد الأمانه.

و يا ويحهم مع من يميلون و يدعوننى! فو الله ما أردتهم إلا على إقامة الحق، و لم يردهم غيرى إلا على باطل.

هذا، و في (الأغانى) (٢): قال على بن زيد: قال لى الحسن البصرى: قول الشاعر:

لو لا جرير هلكت بجيله نعم الفتى و بئست القبيله

أهجاه أم مدحه؟ قلت: مدحه و هجا قومه. فقال: ما مدح من هجى قومه.

قوله عليه السلام: «أما بعد، فإذا أتاك كتابى، فأحمل معاويه على الفصل و خذه بالأمر الجزم - إلى قوله - «فخذ بيعته» روى هذا الكتاب نصر بن مزاحم فى (صفينه) (٣)، فقال: و فى حديث محمد و صالح بن صدقه قالا: و كتب على عليه السلام إلى جرير بعد ذلك: أما بعد، فإذا أتاك كتابى هذا، فأحمل معاويه على الفصل، و خذه بالأمر الجزم، ثم خيره بين حرب مجليه أو سلم محظيه. فلما انتهى الكتاب إلى جرير، أتى معاويه فأقرأه الكتاب، و قال له: إنه لا يطبع على قلب إلا بذنب، و لا ينشرح

ص: ١٩٢

١- ١) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٨٤. [١]

٢- ٢) الأغانى ٣٠٥: ٢١.

٣- ٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥. [٢]

إلا بتوبه، ولا أظنّ قلبك إلا مطبوعاً، أراك قد وقفت بين الحق والباطل كأنك تنتظر شيئاً في يدي غيرك. فقال معاوية: ألقاك بالفصل أول مجلس. فلما بايعه أهل الشام، قال: الحق بصاحبك. وكتب إليه بالحرب.

و قال نصر (١) أيضاً: قال الشعبي إنّ عليّاً عليه السّلام حين قدم من البصره، نزع جريراً عن همدان، فأراد عليّ عليه السّلام أن يبعث إلى معاوية رسولا، فقال له جريراً:

ابعثني، فإن معاوية لم يزل لي مستنصحا و وادا-إلى أن قال-قال عليّ عليه السّلام له: إيت معاوية بكتابي فإن دخل في ما دخل فيه المسلمون، وإلا فانبد إليه، و اعلم أنّي لا أرضى به أميرا و أنّ العامه لا ترضى به خليفه. فانطلق حتى أتى الشام، و قال: يا معاوية إنّهُ قد اجتمع لابن عمّك أهل الحرمين، و أهل المصرين، و أهل الحجاز، و أهل اليمن، و أهل مصر، و أهل العروض، و عمان، و أهل البحرين، و اليمامة، و لم يبق إلا- هذه الحصون التي أنت فيها لو سال عليها سيل من أوديته غرقها-إلى أن قال-خطب معاوية و قال: أيها الناس قد علمتم أنّي خليفه عمر، و أنّي خليفه عثمان، و أنّي وليه و قد قتل مظلوما و الله يقول: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِئِئِهِ سُلْطٰنًا فَلَا يَشِيرُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورا» (٢) و أنا أحب أن تعلموني ذات أنفسكم في قتل عثمان. فقاموا بأجمعهم، و أجابوا إلى الطلب بدمه، و بايعوه على ذلك.

و في (خلفاء ابن قتيبه) (٣): ذكروا أنّ معاوية قال لجريراً: رأيت رأياً، أكتب إلى عليّ أن يجعل لي الشام و مصر، فإن حضرته الوفاه لم يجعل لأحد من بعده في عنقي بيعه، و أسلم إليه هذا الأمر، و أكتب إليه بالخلافه. قال جريراً:

ص: ١٩٣

١-١ (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧. [١]

٢-٢ (٢) الاسراء: ٣٣. [٢]

٣-٣ (٣) الخلفاء لابن قتيبه ٩٥: ١.

اكتب ما شئت. فكتب معاويه إليه عليه السّلام يسأله ذلك. و ذكروا أنّ عليّاً عليه السّلام كتب إلى جرير. أما بعد، فإن معاويه إنّما أراد بما طلب ألا يكون لي في عنقه بيعه، و أن يختار من أمره ما أحب، و قد كان المغيره أشار عليّ -و أنا بالمدينه- أن أستعمله على الشام. فأبيت ذلك عليه، و لم يكن الله ليراني أن أتخذ المضلّين عضداً، فإن بايعك الرجل، و إلا فأقبل.

ثمّ يظهر ممّا نقلنا من مستند الكتاب من خبر محمد و صالح أنّ كلمه (هذا) سقطت من المصنّف في قوله: «كتابي هذا»، فالمقام يقتضيه، و ان كلمه (مخزيه) في كلامه مصحفه (محظيه) و كيف تكون السلم مخزيه و قد قال تعالى: «يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلْمِ كَأَفْهٍ» (١)؟! و في (الصّحاح): السلم: الصّلح، يفتح و يكسر، و يذكر و يؤنث. و الحرب تؤنث، و قال المبرد: قد تذكر، و أنشد:

و هو إذا الحرب هفا عقابه مرجم حرب تلتقى حرايه

هذا، و مر في فصل عثمان قوله عليه السّلام: «إنّ استعدادي لحرب أهل الشام و جرير عندهم إغلاق للشام، و صرف لأهله عن خير إن أرادوه، و لكن قد وقت لجرير وقتنا لا- يقيم بعده إلا- مخدوعاً أو عاصياً، و الرأى عندي مع الأناه، فارودوا و لا- أكره لكم الاعداد، و لقد ضربت أنف هذا الأمر و عينه، و قلبت ظهره و بطنه، فلم أرلى إلا القتال أو الكفر» مع شرحه.

٢

الخطبه (٤٨)

و من خطبه له عليه السّلام عند المسير إلى الشام:

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَ غَسَقَ - وَ الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَ خَفَقَ

ص: ١٩٤

وَ الْحَمِيدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ الْإِنْعَامِ وَ لَا مُكَافِئِ الْإِفْضَالِ - أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي - وَ أَمَرْتُهُمْ بِالزُّومِ هَذَا الْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي - وَ قَدْ رَأَيْتُ أَنْ أَقْطَعَ هَذِهِ النُّطْفَةَ إِلَى شَرِّ ذِمَّةٍ مِنْكُمْ - مُوْطِنِينَ أَكْنَافَ دِجْلَةَ - فَأُنْهَضُهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عِدْوِكُمْ - وَ أَجْعَلُهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ قَالَ (١) الشَّريف: أقول: يعنى عليه السَّلام بالملطاط السميت الذى أمرهم بنزوله، و هو شاطيء الفرات، و يقال: ذلك الشاطيء البحر، و أصله ما استوى من الأرض.

و يعنى بالنطفه ماء الفرات، و هو من غريب العبارات و أعجبها.

قول المصنّف: «و من خطبه له عليه السَّلام عند المسير الى الشام» هكذا فى (المصريه) (٢)، و يصدقه ابن ميثم (٣)، و لكن ابن أبى الحديد (٤) بديل «خطبه» بقوله: «كلام» و ليس بصواب، حيث إنّه قال بعد: و هذه الخطبه خطب عليه السَّلام بها و هو بالنخيله، خارجا من الكوفه متوجها الى صفين، لخمس بقين من شوال، ذكرها جمع من أهل السير، و زادوا فى الخطبه: «و قد أمرت على المصر عقبه بن عمرو، و لم آلكم و لا - نفسى، فأياكم و التخلف و التربص، فإنى قد خلفت مالك بن حبيب اليربوعى، و أمرته: ألا يترك متخلفا إلا لحقه بكم عاجلا.

و روى نصر بن مزاحم نصر بن مزاحم - صفين - ص ١٣٢ (٥) عوض قوله: «إلى عدوكم». «إلى عدو الله».

قال نصر: فقام إليه معقل بن قيس الرياحى، فقال له عليه السَّلام: ما يتخلف عنك إلا ظنين، و لا يتربص بك إلا منافق، فمر مالك بن حبيب يضرب أعناق المتخلفين.

ص: ١٩٥

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ٣:٢٠١. [١]

٢-٢ (٢) الطبعه المصريه: ٩٣ الخطبه ٤٨.

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢:١٢٥.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٣:٢٠١. [٢]

٥-٥ (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ١٣٢. [٣]

فقال عليه السلام: قد أمرته بأمرى وليس بمقصر إن شاء الله.

قلت: المستفاد من (صفين ١) نصر بن مزاحم) أنه عليه السلام انما خطب وقت خروجه من النخيله من العنوان بقوله : «الحمد لله غير مفقود الانعام...» و أما قوله عليه السلام فى صدرها: «الحمد لله كلما وقب ليل و غسق، و الحمد لله كلما لاح نجم و خفق» ، فكان بعد شخوصه عليه السلام من النخيله و نزوله على شاطىء البرس، بين حمام أبى برده و حمام عمر بعد صلاته عليه السلام المغرب بالناس. قال نصر:

فلما انصرف من الصلاه قال: «الحمد لله الذى يولج الليل فى النهار. و يولج النهار فى الليل الحمد لله كلما وقب ليل و غسق، و الحمد لله كلما لاح نجم و خفق» ثم أقام حتى صلى الغداه.

و قول ابن أبى الحديد (٢): «لخمس بقين» مصحف: «لخمس مضين».

فكذا فى (صفين نصر) (٣).

و كيف كان، فقال نصر: لما أراد على عليه السلام الشخوص قام مالك بن حبيب و هو على شرطه فقال: أخرج يا أمير المؤمنين بالمسلمين فتصيبوا أجر الجهاد و القتال و تخلفنى فى حشر الرجال؟ فقال عليه السلام له: إنهم لن يصيبوا من الأجر شيئاً إلا كنت شريكهم فيه، و أنت ها هنا أعظم عناء منك عنهم لو كنت معهم. فقال: سمعا و طاعة.

قوله عليه السلام: «الحمد لله كلما وقب ليل» أى: دخل.

«و غسق» أى: أظلم.

«و الحمد لله كلما لاح نجم» أى: طلع.

ص: ١٩٦

١-١ (١ صفين لنصر بن مزاحم: ١٣١). [١]

٢-٢ (٢ شرح ابن أبى الحديد ٢٠١: ٣). [٢]

٣-٣ (٣ صفين لنصر بن مزاحم: ١٣١). [٣]

«و خفق» أى:غرب،يقال:وردت خفوق النجم.أى:وقت غروب الثريا.

قال ابن السكيت:الخافقان افقا المشرق و المغرب،لأن الليل و النهار يخفقان فيهما.

«و الحمد لله غير مفقود الإنعام» على كلّ أحد عامًا و خاصًا .

«و لا- مكافأ الإفضال» و كيف يكافأ-أى:يجازى-إفضاله،و القيام فى عبادته بحوله و قوته و توفيقه و الإنفاق فى سبيله من ماله ؟
«أما بعد فقد بعثت مقدّمتى» بعثهم عليه السّلام من النخيله،و هم زياد بن النضر فى سته آلاف،و شريح بن هانى فى سته آلاف،و
قال لهما-كما فى (الطوال للدينورى) (1):اعلما أن مقدّمه القوم عيونهم،و عيون المقدّمه طلائعهم، فإياكما أن تسأما عن توجيه
الطلائع،و لا تسيرا بالكتائب و القبائل من لدن مسيركما الى نزولكما إلّا بتعييه و حذر .

«و أمرتهم بلزوم هذا الملطاط» أى:شاطىء الفرات .

«حتى يأتيهم أمرى» فى (الطبرى) (2):قد كان زياد بن النضر و شريح بن هانى -و كان على عليه السّلام سرحهما مقدّمه له-أخذوا
على شاطىء الفرات من قبل البر مما يلى الكوفه حتى بلغا عانات،فبلغهما أخذ على عليه السّلام طريق الجزيره، و على أنّ معاويه
قد أقبل فى جنود الشام من دمشق لاستقباله،فقالا:و الله ما هذا برأى أن نسير و بيننا و بين أمير المؤمنين عليه السّلام هذا البحر،و
مالنا خير فى أن نلقى جموع الشام فى قلّه من العدد،منقطعين عن المدد.فذهبوا ليعبروا من عانات،فمنعهم أهلها و حبسوا عنهم
السفن،فأقبلوا راجعين حتى عبروا من هيت،و لحقوا عليًا عليه السّلام بقرية دون قرقيا،فلما لحقوا عليًا عليه السّلام عجب و قال:

ص: ١٩٧

١-١ (١) الطوال للدينورى: ١٦٦. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٥٦٦: ٤. [٢]

مقدمتي تأتي من ورائي! فقال له زياد و شريح ما جرى؟ فقال: قد أصبتما رشد كما. فلما عبروا الفرات قدّمهما أمامه نحو معاوية، فلقيهما أبو الأعور السلمى فى جنود من الشام و هو على مقدمه معاوية، فدعواه إليه عليه السلام، فأبى فكتبا إليه بذلك.

«و قد أردت» هكذا فى (المصريه) (١) و الصواب: (و قد رأيت) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطبه).

«ان اقطع هذه النطفه» و الأصل فيها: الماء الصافى، قلّ أو كثر، و المراد:

ماء الفرات.

«الى شردمه» أى: طائفه.

«منكم موطنين أكناف» أى: جوانب.

«دجله فأنهضهم» أى: أشخصهم و أقيمهم.

«معكم الى عدوكم و أجعلهم من إمداد» بالكسر، من: أمددت الجيش بمدد، و أمّا الأمداد بالفتح، فجمع المدّ بالضم: ربع الصاع. و قال ابن أبى الحديد:

و الإمداد جمع مدد. و هو كما ترى.

«القوه لكم» ثم الظاهر أنّ المراد (بشردمه منهم موطنين أكناف دجله):

أهل المدائن، فروى نصر بن مزاحم (٤): أنّه عليه السّلام لما انتهى إليها، أمر الحارث الأعور فصاح فى أهل المدائن: من كان من المقاتله فليواف أمير المؤمنين صلاه العصر. فوافوه فى تلك الساعه، فقال عليه السّلام لهم: إني قد تعجبت من تخلفكم عن دعوتكم، و انقطاعكم عن أهل مصركم، فى هذه المساكن الظالم

ص: ١٩٨

١- (١) الطبعه المصريه: ٩٣ الخطبه ٤٨.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٢٠٠. [١]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٢٥، و [٢] فيه أيضا: «و قد أردت».

٤- (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ١٤٣. [٣]

أهلها. لا معروف تأمرون به ولا منكر تنهون عنه. فقالوا: كُنَّا ننتظر أمرَك، مرنا بما أحببت. فسار و خلف عليهم عدى بن حاتم، فأقام عليهم ثلاثا ثم خرج إليه عليه السلام فى ثمانمائه رجل منهم، و خلف عدى ابنه زيدا فلحقه عليه السلام فى أربعمائه رجل منهم.

قول المصنّف: «قال الشريف» هكذا فى (المصريه) (1) و لكن فى (ابن أبى الحديد): (قال الرضى) و فى (ابن ميثم) (2): (قال السيد) و هذا دليل على أنّ أحدا منها ليس كلام المصنّف.

«أقول» هكذا فى (المصريه) و هو زائد فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (3) و الخطيه).

«يعنى عليه السلام بالملطاط» هكذا فى (المصريه) و فيها سقط، و الاصل:

«يعنى عليه السلام بالملطاط هاهنا» كما فى ابن (أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) و انما قال: هاهنا لأنّه يأتى فى بعض المواضع بمعنى جلده الرأس. قال الراجز:

«ننتزع العينين بالملطاط»

«السمت الذى أمرهم بنزوله» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (بلزومه) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (4) و الخطيه).

«و هو شاطيء» أى: جانب.

«الفرات» و هو أحد نهري العراق.

«و يقال ذلك» أى: المملطاط.

«لشاطيء البحر» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (أىضا لشاطيء البحر)

ص: ١٩٩

١-١ (١) الطبعة المصريه: ٩٤.

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم ٢:١٢٥ و ليس فيه: «هاهنا».

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢:١٢٥ و فيه: «قال الشريف: أقول».

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٢:١٢٥.

كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم (١) و الخطيه)، و المراد: أن الملطاط لا يختص بشاطئ النهر، بل يقال لشاطئ البحر أيضا.

و قول ابن أبي الحديد (٢): «لا معنى لقوله، لأنه لا فرق بين شاطئ الفرات و شاطئ البحر» بلا معنى ففرق النهر و البحر واضح، و من الغريب أنه عبر أولا بما في (الصحاح) غير ناسب إليه: الملطاط حافه الوادى و شفيره و ساحل البحر، قال رؤبه:

نحن جمعنا الناس بالملطاط.

قال الأصمعي: يعنى به ساحل البحر. و قال ابن مسعود: هذا الملطاط طريقه بقيه المؤمنين هرابا من الدجال- يعنى به شاطئ الفرات-.

ثم اعترض على المصنّف بما مرّ، مع أنه عين كلام المصنّف باختلاف لفظ، فمحصل كلام (الصحاح) أن الملطاط يأتي بمعنى حافه الوادى، أى:

شاطئ النهر، و شاهده حديث ابن مسعود، و بمعنى شاطئ البحر، و شاهده بيت رؤبه، فاذا لم يتدبر فى كلام (الصحاح) الذى جعله من إنشائه لا غرو ألا يتدبر فى كلام المصنّف.

كما ان قول ابن أبي الحديد (٣): «و كان الواجب على المصنّف أن يقول:

الملطاط السمّت فى الأرض، و يقال أيضا لشاطئ البحر» غلط فلم يقل أحد: إنّ الملطاط مطلق السمّت .

«و أصله ما استوى من الأرض» بمعنى أنه يجمع الشاطئين، و فى (الجمهره): «الملطاط: الغائط من الأرض المطمئن».

«و يعنى عليه السّلام بالنطفه ماء الفرات و هو من غريب العبارات و أعجبها»

ص: ٢٠٠

١-١) شرح ابن ميثم ١:٢٥ و ليس فيه كلمه: «أيضا».

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٣:٢٠١. [١]

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ٣:٢٠١. [٢]

و من كلام له عليه السلام إليه أيضا:

وَ كَيْفَ أَنْتَ صَائِعٌ - إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ - مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا وَ خَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا - دَعْتِكَ فَأَجَبْتَهَا وَ قَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا - وَ أَمَرْتِكَ فَأَطَعْتَهَا - وَ إِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقْفِكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجْنٌ - فَاقْعَسْ عَنْ هَذَا الْأَمْرِ - وَ خُذْ أَهْبَةَ الْحِسَابِ وَ شَمْرٌ لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ - وَ لَا تُمْكِنِ الْغَوَاةَ مِنْ سِمْعِكَ - وَ إِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمَكَ مَا أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ - فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ الشَّيْطَانُ مِنْكَ مَاخِذَهُ - وَ بَلَغَ فِيكَ أَمَلُهُ وَ جَرَى مِنْكَ مَجْرَى الرُّوحِ وَ الدَّمِ - وَ مَتَى كُنْتُمْ يَا مُعَاوِيَةُ؟ سَاسَهُ الرَّعِيَّةُ - وَ وُلَاهُ أَمْرُ الْأُمَّةِ - بِغَيْرِ قَدَمِ سَابِقٍ وَ لَا شَرَفٍ بَاسِقٍ - وَ نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ الشَّقَاءِ - وَ أَحْذَرُكَ أَنْ تَكُونَ مَتَمَادِيًّا فِي غَرِّهِ الْأُمِّيَّةِ - مُخْتَلِيفَ الْعَلَائِيَّةِ وَ السَّرِيرَةِ - وَ قَدْ دَعَوْتَ إِلَى الْحَرْبِ فَدَعِ النَّاسَ جَانِبًا - وَ أَخْرِجِ إِلَيَّ وَ أَعِيفِ الْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْقِتَالِ - لِيُعْلَمَ أَيُّنَا الْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ وَ الْمُعْطَى عَلَى بَصِيرِهِ - فَأَنَا؟ أَوْ حَسَنٌ؟ - قَاتِلُ حِدِّكَ وَ أَخِيكَ وَ خَالِكَ شَدْخًا؟ يَوْمَ يَدْرِي؟ - وَ ذَلِكَ السَّيْفُ مَعِي - وَ بِذَلِكَ الْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي - مَا اسْتَبَدَلْتُ دِينًا وَ لَا اسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا - وَ إِنِّي لَعَلَى الْمُنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ - وَ دَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ

ص: ٢٠١

١ - (١) الطبعه المصريه: ٩٤.

٢ - (٢) شرح ابن ميثم ١٢٥: ٢. [١]

أقول: رواه نصر بن مزاحم نصر بن مزاحم -صفين- ص ١٠٨ (١) إلى قوله: «و قد دعوت إلى الحرب...» مع اختلاف و زياده و نقصان، فقال في سياق كتبه عليه السلام الى معاويه من الكوفه:

و كتب على عليه السلام الى معاويه: «أما بعد، فإنك قد رأيت مرور الدنيا و انقضاءها و تصرّمها بأهلها، و خير ما اكتسب من الدنيا ما أصابه العباد الصالحون منها من التقوى، و من يقس الدنيا بالآخره يجد بينهما بونا بعيدا، و اعلم يا معاويه أنّك قد ادّعت أمرا لست من أهله لا في القدم و لا في الحدث، و لست تقول فيه بأمر بين تعرف لك به أثر، و لا لك عليه شاهد من كتاب الله، و لا عهد تدّعيه، فكيف أنت صانع إذا انقضت عنك جلايب ما أنت فيه من دنيا قد فتنت بزينتها، و ركنت الى لذتها و خلى بينك و بين عدوك فيها، و هو عدوّ كلب مضلّ جاهد ملح مع ما قد ثبت في نفسك من جهتها؟ دعتك فأجبتها، و قادتك فاتبعتها، و أمرتك فأطعتها، فاقعس عند هذا الأمر، و خذ أهبه الحساب، فإنّه يوشك أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن. و متى كنتم يا معاويه ساسه الرعيه أو ولاه أمر هذه الامه، بلا- قدم حسن، و لا شرف سابق على قومكم؟ فاستيقظ من سنتك و ارجع الى خالقك، و شمّر لما سينزل بك، و لا تمكّن عدوك الشيطان من بغيه فيك. مع أنّي أعرف أنّ الله و رسوله صادقان، نعوذ بالله من لزوم سابق الشقاء، و إلا تفعل فإنّي أعلمك ما أغفلت من نفسك: إنّك مترف قد أخذ منك الشيطان مأخذه فجرى منك مجرى الدم في العروق، و لست من أئمه هذه الامه و لا من رعاتها. و اعلم أنّ هذا الأمر لو كان الى الناس أو بأيديهم، لحسدونا و امتنوا به علينا، و لكنه قضاء ممّن منحاه و اختصاصنا به على لسان نبيه الصادق المصدّق. لا أفلح من شك بعد العرفان و البينه. ربّنا احكم بيننا و بين عدوّنا بالحقّ و أنت خير الحاكمين.

ص: ٢٠٢

و أمّا قوله عليه السّلام: «فدع الناس جانبا الى قوله و بذلك القلب القى عدوى» فراه المدائنى المدائنى-كتاب المدائنى- مستقلاً. و كيف يكون جزء ذاك الصدر، و ذاك عرفت كتبه عليه السّلام من الكوفه، و هذا قاله له فى صفين كما سترى؟ و كيف كان، فنقل العنوان عن (تاريخ دمشق ابن عساكر-تاريخ دمشق-ترجمه معاويه ج ٢٥ ص ٣٢ ابن عساكر) (١) فى ترجمه معاويه عن الكلبي و لم يحقق الناقل مقداره.

قول المصنّف: «و من كتاب له عليه السّلام إليه أيضا» و الصواب: (إلى معاويه أيضا) كما فى (ابن ميثم) (٢)، و كذا فى (ابن أبى الحديد) (٣).

قوله عليه السّلام «و كيف أنت صانع إذا تكشفت عنك جلايب» أى: ملاحظ.

«ما أنت فيه من دنيا قد تبهجت بزيتها و خدعت بلدتها» «و حيل بينهم و بين ما يشتهون كما فعل بأشياءهم من قبل إنهم كانوا فى شكّ مريب» (٤).

«دعتك فأجبتها و قادتك فاتبعتها و أمرتك فأطعتها» «يَوْمَ يَنْذَرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى وَ بُرْزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى فَمَا مِنْ طَغَى وَ آثَرَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى» (٥).

«و أنه يوشك» أى: يقرب.

«أن يقفك واقف على ما لا ينجيك منه مجن» هكذا فى (المصريه) (٦)، و فى (ابن أبى الحديد) (٧): «منج». و قال: و فى روايه «مجن». و الاولى أصح. و مثله

ص: ٢٠٣

١-١ (١) تاريخ دمشق لابن عساكر ٣٢:٢٥.

٢-٢ (٢) شرح ابن ميثم ٣٧٠:٤. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧٩:١٥. [٢]

٤-٤ (٤) سبأ: ٥٤. [٣]

٥-٥ (٥) النزاعات: ٣٥-٣٩. [٤]

٦-٦ (٦) الطبعه المصريه ١٢:١٠.

٧-٧ (٧) شرح ابن أبى الحديد ٧٩:١٥. [٥]

(ابن ميثم) (١) إلا أنه جعل «منج» روايه.

و كيف كان، فالمجن هو الجنه، قال تعالى «فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ» (٢).

«فاقعس» أى: تأخر.

«عن هذا الأمر و خذ اهبه الحساب» أى: استعداده و تهيئته، قال تعالى:

«أَفْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا» (٣).

«و شمّر» أى: جدّ و خفّ، كمن شمّر عن ساقه، قال: قد شمّرت عن ساق شمري.

«لما قد نزل بك» من أمر الآخره.

«و لا تمكّن الغواه من سمعك» فكان كذلك، فأشار عليه المغيره باستلحاق زياد و باستخلاف يزيد، ففعل.

«و الا- تفعل أعلمك ما أغفلت من نفسك فإنك مترف» و قد وصف تعالى المترفين فى قوله: «وَ أَصْحَابُ الشُّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشُّمَالِ فِي سَيْمُومٍ وَ حَمِيمٍ وَ ظِلٌّ مِنْ يَحْمُومٍ لَا بَارِدٍ وَ لَا كَرِيمٍ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُتْرَفِينَ وَ كَانُوا يُصَهَّرُونَ عَلَى الْحِنْثِ الْعَظِيمِ» (٤) «وَ إِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا تَدْمِيرًا» (٥).

«قد أخذ الشيطان منك مأخذه و بلغ فيك أمله» «إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ»

ص: ٢٠٤

١-١) شرح ابن ميثم ٣٧٠:٤. [١]

٢-٢) الحاقه: ٣٥. [٢]

٣-٣) الاسراء: ١٤. [٣]

٤-٤) الواقعه: ٤١-٤٦. [٤]

٥-٥) الاسراء: ١٦. [٥]

«و جري منك مجرى الروح و الدّم» و كان عمر يمدحه بترفه و شيطانيته، ففي (الاستيعاب) (٢): ذمّ معاويه عند عمر يوما فقال: دعونا من ذمّ فتى قريش، من يضحك في الغضب، و لا ينال ما عنده إلا على الرضا، و لا يأخذ ما فوق رأسه إلا من تحت قدميه .

«و متى كنتم يا معاويه ساسه الرعيه و ولاه أمر الامه بغير قدم سابق» في (مروج المسعودي): حبس معاويه صعصعه بن صوحان العبدى و ابن الكواء اليشكرى و رجالا من أصحاب على عليه السّلام مع رجال من قريش، فقال: نشدتكم بالله إلا ما قاتم حقا و صدقا، أى الخلفاء رأيتمونى؟ فقال ابن الكواء: لو لا أنك عزمت علينا ما قلنا، لأنك جبار عنيد، لا تراقب الله فى قتل الأخيار، و لكننا نقول:

إنك ما علمنا: واسع الدنيا، ضيق الآخره، قريب الثرى، بعيد المرعى، تجعل الظلمات نورا و النور ظلمات- الى أن قال- ثم تكلم صعصعه فقال: تكلمت يا بن أبى سفيان فأبلغت، و لم تقصر عما أردت، و ليس الأمر على ما ذكرت. أتى يكون الخليفه من ملك الناس قهرا، و دانهم كبرا و استولى بأسباب الباطل كذبا و مكرًا؟ أما و الله مالك فى يوم بدر مضرب و لا مرمى، و ما كنت فيه إلا كما قال القائل: لا حلى و لا سبرى. و لقد كنت أنت و أبوك فى العير و النفير ممن أجلب على النبى صلّى الله عليه و آله. و انما أنت طليق ابن طليق، أطلقكم النبى، فأنتى تصلح الخلافه لطلق (٣)؟ و فيه أيضا: قال معاويه لصعصعه: أنت ذو معرفه بالعرب- الى أن

ص: ٢٠٥

١- ١) الأعراف: ٢٧. [١]

٢- ٢) الاستيعاب ٣: ٣٩٧. [٢]

٣- ٣) مروج الذهب للمسعودى ٣: ٥٠. [٣]

قال - و اخبرني عن أهل الحجاز. قال: أسرع الناس فتنه، و أضعفهم عنها، و أقلهم غناء فيها، غير أن لهم ثباتا في الدين، و تمسكا بعروه اليقين، يتبعون الأئمة الأبرار و يخلعون الفسقه الفجار. فقال معاويه: من البرره و الفسقه؟ فقال: يابن أبي سفيان ترك الخداع من كشف القناع. عليّ و أصحابه من الأئمة الأبرار، و أنت و أصحابك من اولئك الفسقه الفجار» (١).

«و لا شرف باسق» أي: طويل. و منه قوله تعالى: «و النَّحْلَ بِاسِقَاتٍ» (٢).

و قال الشاعر:

و اذا ما الناس عدّوا شرفا كنتم من ذاك في مال رخي

و في (صفين نصر) (٣): جمع معاويه كلّ قرشي بالشام و قال لهم: ليس لأحد منكم في هذه الحرب فعال يطول به لسانه غدا، فما بالكم؟ و أين حميه قريش؟ فغضب الوليد بن عقبه فقال: و أيّ فعال تريد؟ و الله ما نعرف في أكفائنا من قريش العراق من يغني غانا باللسان و لا باليد. فقال معاويه: إنّ اولئك وقوا علينا بأنفسهم. قال الوليد: كلا بل عليّ وقاهم بنفسه. قال معاويه:

ويحكم! أما منكم من يقوم لقرنه منهم مبارزه أو مفاخره؟ فقال مروان: أما البراز فان علينا لا يأذن لحسن و لا لحسين و لا لمحمد بنيه، و لا - لابن عباس و اخوته و يصلى هو بالحرب دونهم فلائيمهم نبارز؟ و أما المفاخره فيما ذا نفاخرهم؟ أبا لاسلام؟ أم بالجاهليه؟ فإن كان بالاسلام فالفخر لهم بالنبوّه، و إن كان بالجاهليه فالملك فيه لليمن، فإن قلنا: قريش قالت العرب. فأقروا لبني عبد المطلب.

ص: ٢٠٦

١-١) مروج الذهب للمسعودي ٣:٥١. [١]

٢-٢) ق: ١٠.

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٢. [٢]

«و نعوذ بالله من لزوم سوابق الشقاء» «أ لَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَ كُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ قَالَ اخْسَأُوا فِيهَا وَ لَا تُكَلِّمُونَ» (١).

و فى (صفين نصر) (٢) مسندا عن ابن عمر قال: أرسل النبى صلى الله عليه و آله الى معاويه يدعوه، فجاء الرسول فقال: هو يأكل. فأعاد عليه الثانيه و الثالثه و يقول الرسول: هو يأكل. فقال: لا أشبع الله بطنه. و نظر النبى صلى الله عليه و آله يوما إلى أبى سفيان و هو راكب و معاويه و أخوه، أحدهما قائد و الآخر سائق، فلما نظر إليهم النبى صلى الله عليه و آله قال: اللهم العن القائد و السائق و الراكب.

«و احذر ك أن تكون متماديا» أى: ماذا الى المدى و الغايه.

«فى غزه الامنيه» أى: الأمل و الهوى «أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» (٣).

«مختلف العلانيه و السريره» منافقا .

«و قد دعوت الى الحرب فدع الناس جانبا و اخرج إلى و أعف الفريقين من القتال ليعلم أينا المرين على قلبه» فى (الصحاح): قال أبو عبيده فى قوله تعالى: «كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» (٤): أى: غلب، و كل ما غلبك فقد ران بك و رانك و ران عليك.

«و المغطى على بصره» فى (صفين نصر) (٥): قام على عليه السلام بين الصفين ثم نادى يا معاويه- يكررها- فقال: أسألوه ما شأنه؟ قال: أحب أن يظهر لى فأكلمه واحده، فبرز و معه عمرو بن العاص، فلما قارباه لم يلتفت الى

ص: ٢٠٧

١- ١) المؤمنون: ١٠٥-١٠٨. [١]

٢- ٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٠. [٢]

٣- ٣) الجاثية: ٢٣. [٣]

٤- ٤) المطففين: ١٤. [٤]

٥- ٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧٤. [٥]

عمرو و قال: ويحك علام يقتل الناس بيني و بينك، و يضرب بعضهم بعضا؟ ابرز إليّ فأينا قتل صاحبه فالأمر له. فالتفت معاويه الى عمرو فقال: ما ترى ابارزه؟ فقال عمرو: لقد أنصفك، و إن نكلت عنه لم تزل سبّه عليك و على عقبك ما بقى عربى. فقال معاويه: ليس مثلى يخذع عن نفسه. و الله ما بارز ابن أبى طالب رجلا قط إلا سقى الأرض من دمه. ثم انصرف راجعا حتى انتهى الى آخر الصفوف.

و فيه عن الشعبى (1) قال: أرسل على عليه السلام الى معاويه: أن ابرز إليّ و أعف الفريقين عن القتال، فأينا قتل صاحبه كان الأمر له. قال عمرو: لقد أنصفك الرجل. فقال معاويه: إنى لأكره أن ابارز الأهوج الشجاع. لعلك طمعت فيها يا عمرو؟ فقال على عليه السلام: وا نفساه! أيطاع معاويه و اعصى؟ ما قاتلت امه أهل بيت نبيها و مقره بنيتها إلا هذه الامه.

و ذكروا أنّ معاويه قال يوما بعد صفين لعمرو بن العاص: أينما أدهى؟ قال: أنا للبديهة و أنت للرويه. قال معاويه: قضيت لى على نفسك فى الرويه، و أنا أدهى منك فى البديهة أيضا، قال عمرو: فأين كان دهاؤك يوم رفعت المصاحف؟ قال معاويه: بها غلبتني، أفلا أسألك عن شىء تصدقنى فيه؟ قال عمرو: و الله إن الكذب لقبيح فاسأل عمّا بدا لك اصدقك. قال: هل غششتني منذ نصحتني؟ قال: لا. قال: بلى و الله لقد غششتني. أما إنى لا أقول فى كلّ المواطن، و لكن فى موطن واحد. قال: و أى موطن؟ قال: يوم دعانى علىّ للمبارزه فأشرت علىّ بمبارزته، و أنت تعلم من هو، قال: إنّما دعاك رجل عظيم الشرف فكنت من مبارزته على إحدى الحسينين. إمّا أن تقتله فتكون قد قتلت قتال الأقران، و تزداد به شرفا إلى شرفك و تخلو بملكك، و إمّا ان كان قتلك فكنت

ص: ٢٠٨

تجعل الى مرافقه الشهداء و الصالحين و حسن أولئك رفيقا. فقال معاوية: هذه شر من الاولى. و الله إنى أعلم أن لو قتلته دخلت النار، و لو قتلنى دخلت النار.

قال عمرو: فما حملك على قتاله؟ قال: الملك، و الملك عقيم، و لن يسمعها منى أحد بعدك.

و فى (المروج) (١): لما قتل العباس بن ربيعة الهاشمى رجلا من شجعان الشام تأسف معاوية عليه و قال: من قتل العباس فله مائه اوقيه من التبر، و مائه اوقيه من اللجين، و مائه برد. فانتدب له لخميان و دعواه الى البراز، فقال على عليه السلام: يود معاوية أنه ما بقى من بنى هاشم نافخ ضرمه إلاّ - طعن فى بطنه إطفاء لنور الله «و يَأْبَى اللهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورَهُ» (٢)، أما و الله ليملكنهم منا رجال يسومونهم سوء الخسف حتى تعفو الآثار. و أخذ عليه السلام سلاح العباس و وثب على فرسه، فلم يمهلها أن قتلها، فقال معاوية: قبح الله اللجاج إنّه لعقور، ما ركبه قط إلاّ - خذلت. فقال عمرو: المخذول و الله اللخميان. فقال معاوية: اسكت أيها الرجل. فقال عمرو: و إن لم يكن رحم الله اللخمين، و لا - أراه يفعل. فقال معاوية: ذلك أضيق لحجتك و أخسر لصفتك. قال: قد علمت ذلك و لو لا مصر لركبت المنجاه، فإنى أعلم أنّ عليّا على الحق و أنا على الباطل.

فقال معاوية: مصر و الله أعمتك. و لو لا - مصر لألفيتك بعيرا. ثم ضحك معاوية ضحكا ذهب به كلّ مذهب، قال عمرو: مم تضحك؟ قال معاوية: أضحك من حضور ذهنك يوم بارزت عليّا و إبدائك سواتك. أما و الله لقد رأيت الموت عيانا، و لو شاء ابن أبى طالب لقتلك، و لكنّه أبى إلاّ تكرّما. فقال عمرو: أما و الله إننى لعن يمينك حين دعاك علىّ الى البراز، فاحولت عيناك و بدا سحرك، و بدا

ص: ٢٠٩

١-١ (١) مروج الذهب للمسعودى ٣: ٢٨. [١]

٢-٢ (٢) التوبه: ٣٢. [٢]

منك ما أكره ذكره، فأضحك أو دع.

و في (صفين نصر) (١): غلس على عليه السّلام يوماً بصلاه الصبح بالناس، ثم زحف بهم الى أهل الشام. فقام أبرهه الحميري - وكان من رؤساء أصحاب معاوية - فقال: يا معشر أهل اليمن، إنّي لأظنّ والله أنّ الله قد أذن بفنائكم، ويحكم خلوا بين هذين الرجلين فليقتلا، فأَيُّهما قتل صاحبه ملنا معه جميعاً.

فبلغ ذلك عليّاً عليه السّلام فقال: صدق أبرهه، و والله ما سمعت بخطبه - منذ وردت الشام - أنا بها أشدّ سروراً مني بهذه. و بلغ كلام أبرهه معاوية، فتأخّر آخر الصفوف و قال لمن حوله: إنّي لأظنّ أبرهه مصاباً في عقله. فأقبل أهل الشام يقولون: و الله لأبرهه أفضلنا رأياً و ديناً، و لكن كره معاوية مبارزه على. و برز يومئذ عروه بن داود الدمشقي، فقال: يا أبا الحسن، إن كان معاوية يكره مبارزتك فهلّم إليّ فتقدّم عليه السّلام إليه، فقال له أصحابه: ذر هذا الكلب فإنّه ليس بخطر. فقال عليه السّلام و الله ما معاوية اليوم بأغلظ لي منه، دعوني و إياه. ثم حمل عليه فضربه فقطعه قطعتين، سقطت احدهما يمينه و الاخرى يسره، فارتج العسكران لهول الضربه، ثم قال عليه السّلام: يا عروه اذهب فأخبر قومك، أما و الذي بعث محمّداً صلّى الله عليه و آله بالحق لقد عاينت النار و أصبحت من النادمين .

«فأنا أبو الحسن قاتل جدك و خالك و أخيك شدخاً» في (الصحاح) الشدخ:

كسر الشيء الأجوف.

و في (الأساس): شدخ الشيء الأجوف أو الرخص. اذا كسره أو غمزه.

و يقال شدخ الرأس و الحنظل. و من المجاز شدخ دماءهم تحت قدمه. أي:

أبطلها.

و منه قيل ليعمر بن الملوّح - الذي حكم بين خزاعه و قصي حين اقتتلوا،

ص: ٢١٠

فأبطل دماء خزاعه، وقضى بالبيت لقصى - الشداخ، و له يقول قصي:

إذا خطرت بنو الشداخ حولي و مد البحر من ليث بن بكر

«يوم بدر» أما أخوه حنظله و خاله الوليد بن عقبه فقتلها عليه السلام منفردا، و أما جدّه عتبه فقتله عليه السلام بمشاركه عبيده بن الحارث على الأصح، من كون المقابل لعبيده عتبه، كما نقله الطبري (1) عن محمد بن إسحاق دون ما رواه الواقدي من استقلال حمزه بقتل عتبه و مشاركته عليه السلام لعبيده في قتل شبيهه عمّ أمّه، فكلامه عليه السلام في هذا الكتاب و في الكتاب (٦٤): «و عندي السيف الذي أعضضته بجذك و خالك و أخيك في مقام واحد» يصدق الروايه الاولى.

و يشهد له أيضا قول هند في رثاء أبيها عتبه:

تداعى له رهطه غدوه بنو هاشم و بنو المطلب

فبنو هاشم هو عليه السلام، و بنو المطلب عبيده، و لو كان حمزه قتله منفردا لما كان لبني المطلب فيه شركه.

و كيف كان، فشيبه أيضا قتل في بدر، قتله حمزه أو قتله عبيده بمشاركته عليه السلام.

و أما من قال مشيرا إلى هند:

فإن تفخر بحمزه يوم ولى مع الشهداء محتسبا شهيدا

فإننا قد قتلنا يوم بدر أبا جهل و عتبه و الوليدا

و شيبه قد تركنا يوم احد على أثوابه علقا جسيدا

فوهم من قائله، لعدم اطلاعه بالتاريخ، و ضلّ ابن طلحه الشافعي في (مطالب سؤوله): فنسب الأبيات إليه عليه السلام، و لم يتفطن

البحار (٢) فنقل

ص: ٢١١

١- ١) تاريخ الطبري ٢: ٤٤٥-٤٤٦.

٢- ٢) البحار ١١٨: ٢٠-١١٩. [١]

ما فيه مقررا له.

و كيف كان فقال أسيد بن إياس في فعله عليه السّلام بيدر بهم محرّضا لهم عليه:

في كلّ مجمع غايه أخزاكم جذع ابر على المذاكى القرّح

هذا ابن فاطمه الذى أفناكم ذبحا و قتلا قعصه لم يذبح

أفناكم قعصا و ضربا يعترى بالسيف يعمل حدّه لم يصفح

«و ذلك السيف معي» في (صفين نصر) (١): خطب عليّ عليه السّلام في صفين، فقال: و الذى نفسى بيده لنظر إلّى النّبي صلّى الله عليه و آله أضرب قدامه بسيفي، فقال:

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا عليّ

«و بذلك القلب القى عدوى» في (الطبرى) (٢): لما قتل عليّ عليه السّلام أصحاب الألويه في احد أبصر النّبي صلّى الله عليه و آله جماعه من مشركى قريش، فقال لعليّ عليه السّلام:

احمل عليهم، فحمل عليهم ففرّق جمعهم، و قتل عمرو بن عبد الله الجمحى، ثم أبصر النّبي صلّى الله عليه و آله جماعه من مشركى قريش، فقال لعليّ عليه السّلام: احمل عليهم.

فحمل عليهم ففرّق جماعتهم، و قتل شيبه بن مالك أحد بنى عامر بن لؤى، فقال جبرئيل: يا رسول الله، إنّ هذه للمواساه. فقال النّبي صلّى الله عليه و آله: إنّّه منّى و أنا منه.

فقال جبرئيل: و أنا منكما. فسمعوا صوتا:

لا سيف إلّا ذو الفقار و لا فتى إلّا على

«ما استبدلت دينا و لا استحدثت نبيا، و إنّى لعلى المنهاج الذى تركتموه طائعين و دخلتم فيه مكرهين» في (صفين نصر) (٣): قال عمّار: و الله ما أسلم

ص: ٢١٢

١-١ (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٣ و ٣١٥. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٥١٤: ٢. [٢]

٣-٣ (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٥. [٣]

القوم، و لكن استسلموا و أسروا الكفر، حتّى وجدوا عليه أعوانا.

و فيه (١): عن شامى قال: لَمَّا رأيت معاوية يبايع عند باب لد، ذكرت قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «شَرَّ خَلْقِ اللَّهِ خَمْسَةٌ: إبليس، و ابن آدم الذى قتل أخاه، و فرعون ذو الأوتاد، و رجل من بنى إسرائيل رَدَّهم عن دينهم، و رجل من هذه الامه يبايع على كفره عند باب لد» فلحقت بعلى عليه السّلام فكننت معه.

و فيه (٢): خطب على عليه السّلام فى صفين، و قال: و إنّ من أعجب العجائب: أنّ معاوية و عمرو بن العاص أصبحا يحرضان الناس على طلب الدين بزعمهما، و ايم الله ما اختلفت امه قطّ بعد نبّيها إلاّ ظهر باطلها على أهل حقّها، إلاّ ما شاء.

فقال عمّار: أمّا أمير المؤمنين عليه السّلام فقد أعلمكم أنّ الامه لن تستقيم عليه. ثم تفرّق الناس و قد نفذت بصائرهم.

و فيه (٣) قيل لعلى عليه السّلام حين أراد أن يكتب الكتاب بينه و بين معاوية و أهل الشام: أتقرّ أنّهم مؤمنون مسلمون؟ فقال: ما أقرّ لمعاوية و لا لأصحابه أنّهم مؤمنون و لا مسلمون، و لكن يكتب ما شاء، و يسمّى نفسه و أصحابه ما شاء.

و فيه (٤): جاء رجل الى على عليه السّلام فقال: هؤلاء الذين نقتلهم، الدعوه واحده فبم نسميهم؟ قال عليه السّلام: بما سّماهم الله فى كتابه. أ ما سمعت الله يقول:

«تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» - الى - «و لو شاء الله ما اقتتل الذين من بعدهم من بعد ما جاءتهم البينات و لكن اختلفوا فمنهم من آمن و منهم من»

ص: ٢١٣

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٣ و ٢٢٤. [٢]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٩. [٣]

٤-٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢. [٤]

«اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَ لَكِنْ اِخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَ مِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» (١) فلما وقع الاختلاف كُنَّا نحن أولى بالله و بالكتاب و بالنبي و بالحق، فنحن الذين آمنوا، و هم الذين كفروا و شاء الله قتالهم، فقاتلناهم هدى بمشيئه الله ربنا و إرادته.

٤

الخطبه (٥١)

و من خطبه له عليه السلام لما غلب أصحاب معاويه أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات بصنّفين و منعوهم من الماء:

قَدْ اسْتَطَعْمَوْكُمْ الْقِتَالَ - فَأَقْرُوا عَلَيَّ وَ تَأْخِيرِ مَحَلِّهِ - أَوْ رَوْوا السُّيُوفَ مِنْ الدِّمَاءِ تَزَوُّوا مِنَ الْمَاءِ - فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ - وَ الْحَيَاءُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ - أَلَا وَ إِنَّ؟ مُعَاوِيَةَ؟ قَادَ لَمَهُ مِنَ الْغَوَاهِ - وَ عَمَسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ - حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَيْتَةِ أَقول: الأصل في العنوان ما رواه نصر بن مزاحم انصر بن مزاحم - كتاب نصر بن مزاحم - و قد نقله ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ٣ ص ٢٤٤ (٢) أيضا - عن عمرو بن شمر عن جابر قال: خطب على عليه السلام فقال: «أما بعد، فإن القوم قد بدؤكم بالظلم، و فاتحوكم البغي، و ابتدءوكم بالعدوان و استطعموكم القتال حيث منعوكم الماء، فأقروا على مذله و تأخير محله...».

قول المصنّف: «و من خطبه له عليه السلام» هكذا في (المصريه) (٣)، و الصواب:

(و من كلام له عليه السلام) كما (في ابن أبي الحديد و ابن ميثم (٤) و الخطيه)، و إن عرفت من نصر أنّ الكلام كان خطبه.

«لما غلب أصحاب معاويه أصحابه عليه السلام على شريعة الفرات» قال

ص: ٢١٤

١ - ١) البقره: ٢٥٣. [١]

٢ - ٢) شرح النهج لابن أبي الحديد ٢٤٤: ٣. [٢]

٣ - ٣) الطبعه المصريه: ٩٦ الخطبه ٥١.

٤ - ٤) شرح ابن ميثم ١٣٥: ٢.

الدينورى فى (طواله) (١): أقبل معاويه بالخيل نحو صفين، و على مقدمته سفيان بن عمرو أبو الأعود السلمى، و على ساقيه بسر بن أبى أرتأه العامرى - و صفين قريه خراب من بناء الروم منها الى الفرات غلوه، و على شط الفرات مِمًا يليها غيضة متلفه، فيها نزوز، طولها نحو من فرسخين، و ليس فى ذينك الفرسخين طريق الى الفرات، إلا - طريق واحد مفروش بالحجاره، و سائر ذلك خلاف و غرب ملتف لا يسلك، و جميع الغيضة نزوز و وحل، إلا ذلك الطريق الذى يأخذ من القريه الى الفرات - فأقبلا حتى سبقا الى موضع القريه، فنزلا - هناك من ذلك الطريق، و وافهما معاويه بجميع الفيلق حتى نزل معهما، و أمر معاويه أبا الأعور أن يقف فى عشره آلاف من أهل الشام على طريق الشريعه، فيمنع من أراد السلوك الى الماء من أهل العراق، و أقبل على عليه السّلام حتى وافى المكان، فصادف أهل الشام احتوا على القريه و الطريق، فأمر الناس فنزلوا بالقرب من عسكر معاويه، و انطلق السقاءون و الغلمان الى طريق الماء، فحال أبو الأعور بينهم و بينه، فاخبر على عليه السّلام بذلك، فقال لصعصعه: إيت معاويه فقل له: إنّنا سرنا اليكم لنعذر قبل القتال، فإن قبلتم كانت العافيه أحبّ الينا، و أراك قد حلت بيننا و بين الماء، فإن كان أعجب اليك أن ندع ما جئنا له، و نذر الناس يقتتلون على الماء حتى يكون الغالب هو الشارب فعلنا. فأتاه فقال له ما قاله عليه السّلام، فقال الوليد بن عقبه لمعاويه: امنعهم الماء كما منعه عثمان. اقتلهم عطشا، قتلهم الله. فقال معاويه لعمر بن العاص: ما ترى؟ قال: أرى أن تخلى عن الماء، فإنّ القوم لن يعطشوا و أنت ريان. فقال عبد الله بن أبى سرح: امنعهم الماء الى الليل لعلهم أن ينصرفوا الى طرف الغيضة، فيكون انصرفهم هزيمه.

فقال صعصعه لمعاويه: ما الذى ترى؟ قال ارجع فسيأتىكم رأيى. فانصرف

ص: ٢١٥

و ظلّ أهل العراق يومهم ذلك و ليلتهم بلا- ماء، إلا- من كان ينصرف من الغلمان الى طرف الغيضة، فيمشى مقدار فرسخين فيستقي، فغمّ عليًا عليه السّلام أمر الناس غمًا شديدًا، فأتاه الأشعث فقال: أيمنعنا القوم الماء و أنت فينا و معنا سيوفنا؟ ولّنى الزحف إليه، فوالله لا أرجع أو أموت، و مر الأشتر فليضمّ إليّ في خيله.

فقال له عليّ عليه السّلام: إيت في ذلك ما رأيت. فلمّا أصبح زاحف أبا الأعور فاقتلوا، و صدقهم الاشر و الأشعث حتى نفيأ أبا الأعور عن الشريعة، و صارت في أيديهما، فقال عمرو لمعاوية: ما ظنّك بالقوم اليوم ان منعوك كما منعتهم؟ فقال معاوية: دع ما مضى، ما ظنّك بعليّ؟ قال: ظنّي أنّه لا يستحلّ منك ما استحلت منه، لأنّه أتاك في غير أمر الماء. ثم توادع الناس....

ثمّ إنّ معاوية كما تصرّف الماء في أوّل وروده، و منع أصحابه عليه السّلام الماء، كذلك تصرفها بحيله بعد ذلك، ففي (صفين نصر) (١): كتب معاوية في سهم: من عبد الله الناصح، فإنّي اخبركم أنّ معاوية يريد أن يفجر عليكم الفرات فيغرقكم، فخذوا حذركم. ثم رمى بالسهم في عسكر على عليه السّلام، فوقع السهم في يدى رجل من أهل الكوفة. فقرأه ثم أقرأه صاحبه، فلما قرأه و أقرأه الناس قالوا: هذا أخ لنا ناصح، كتب إليكم يخبركم بما أراد معاوية.

فلم يزل السهم يقرأ حتى دفع الى أمير المؤمنين عليه السّلام، و قد بعث معاوية مائتى رجل من الفعلة الى عاقول من النهر، بأيديهم المرود و الزنبيل يحفرون فيها بحيال عسكر على عليه السّلام، فقال على عليه السّلام: ويحكم! إنّ الذى يعالج معاوية لا يستقيم له، و إنّما يريد أن يزيلكم عن مكانكم، فالهوا عن ذلك. فقالوا له:

هم و الله يحفرون الساعة. فقال: ويحكم! لا تغلبونى على رأيى. فقالوا:

و الله لنرتحلن، فإن شئت فارتحل و إن شئت فأقم. فارتحلوا، و ارتحل على عليه السّلام

ص: ٢١٤

فى اخريات الناس، و هو يقول:

و لو أتى اطعت عصبت قومى الى ركن اليمامة أو شام

و لكنى اذا أبرمت أمرا منيت بخلف آراء الطغام

و ارتحل معاويه حتى نزل على معسكر على عليه السلام الذى كان فيه.

فدعا على عليه السلام الاشر فقال: ألم تغلبنى على رأى، أنت و الأشعث؟ فقال الأشعث: أنا اكفيك، سأداوى ما أفسدت. فجمع بنى كنده فقال: يا معشر كنده، لا تفضحونى اليوم و لا تخزونى، إنما اقارع بكم أهل الشام. فخرجوا معه رجالا يمشون. و بيد الأشعث رمح له يلقيه على الأرض، و يقول:

امشوا قيس رمحى

فلم يزل يقيس لهم على الأرض برمحه ذلك، و يمشون معه رجاله قد كسروا جفون سيوفهم، حتى لقوا معاويه وسط بنى سليم واقفا على الماء و قد جاءه أدنى عسكره، فاقتلوا على الماء ساعه، و انتهى أوائل أهل العراق فنزلوا، و أقبل الأشر فى خيل من أهل العراق فحمل على معاويه، و الأشعث يحارب فى ناحيه، فردوا وجوه إبل معاويه قدر ثلاثه فراسخ، ثم نزل و وضع أهل الشام أثقالهم، و الأشعث يهدر و يقول: أرضيتك يا أمير المؤمنين؟ و لما غلب على عليه السلام على الماء فطرد عنه أهل الشام، بعث الى معاويه: أنا لا- نكافيك بصنعك، هلّم الى الماء، فنحن و أنتم سواء. فأخذ كل واحد منهما بالشريعه مما يليه، و قال عليه السلام لأصحابه: إن الخطب أعظم من منع الماء.

هذا، و نظير حيله معاويه هذه مع أصحابه عليه السلام حيله أبى مسلم فى قتاله لعبد الله بن على عم المنصور، فأقبل أبو مسلم الى عبد الله و نزل ناحيه لم يعرض له، و أخذ طريق الشام و كتب الى عبد الله: إنى لم أوامر بقتالك إنما ولانى المنصور الشام، و إنما اريدها. فقال من كان مع عبد الله من أهل الشام: كيف

ص: ٢١٧

نقيم معك، وهذا يأتي بلادنا و فيها حرمانا، فيقتل من قدر عليه من رجالنا، و يسبى ذرارينا؟ و لكننا نخرج الى بلادنا، فمنعه حرمانا و ذرارينا، و نقاتله إن قاتلنا. فقال لهم عبد الله: إنه و الله ما يريد الشام و ما و حيه إلا- لقتالكم، و لئن أقمتم ليأتينكم. فأبوا إلا المسير، فأقبل أبو مسلم فعسكر قريبا، و ارتحل عبد الله من معسكره نحو الشام، فتحول أبو مسلم حتى نزل في موضعه، و عور ما كان حوله من المياه، و ألقى فيها الجيف، فقال عبد الله لأصحابه: ألم أقل لكم؟....

هذا، و في (القاموس): بليل - كزير - شريعه صفين.

«بصفين» في (فتوح البلاذري): بالس، و بولس، و قاصرين، و عابدين، و صفين: قري منسوبه الى الروم.

و في (مصباح الفيومي) (1): صفين: موضع على الفرات من الجانب الغربى بطرف الشام، مقابل قلعه نجم، و هو فعيلين من الصف، أو فعيل من الصفون.

قلت: و حيث إنها كانت من بناء الروم - كما عرفته من الدينورى و البلاذري - فلا وجه لكونه من الصف.

و قد ذكره الجوهري (2) و الفيروز آبادى (3) و الجزرى فى صفن. و قال الأ-خير: فى اعرابه قولان، أحدهما: أن يقرأ بالياء و فتح النون مطلقا، و الثانى: أن يعرب بالنون.

«و منعوهم الماء» هكذا فى (المصريه) (4)، و الصواب: (من الماء) كما فى

ص: ٢١٨

١-١) المصباح للفيومي ٤١٤:١. [١]

٢-٢) الصحاح للجوهري ٢١٥٢:٦.

٣-٣) الفيروز آبادى ٢٤٢:٤.

٤-٤) الطبعه المصريه الخطبه: ٩٦ ٥١.

(ابن أبي الحديد (١) و ابن ميثم (٢) و الخطيبه).

قوله عليه السلام: «قد استطعموكم القتال» جعله عليه السلام منعهم عن شرب الماء كاستطعام للقتال أحسن كناية.

و في (صفين نصر) (٣): قال الأشعث لعمر بن عمرو: والله إن كنت لأظنّ لك رأيا، فإذا أنت لا عقل لك، أترانا نخليك و الماء؟ فقال له عمرو: كنت مقهورا على ذلك الرأي فكأيدتك بالتهدد .

«فأقروا على مذلّه و تأخير محله» بالرضا بأن تبقى الشريعة في أيديهم.

و لما قتل عبد الله بن معديكرب أراد أخوه عمرو بن معديكرب أخذ ديتة و ترك ثأره، فقالت اخته كبشه:

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم فمشوا بآذان النعام المصلّم

و دع عنك عمرا إن عمرا مسالم و هل بطن عمرو غير شبر لمطعم (٤)

و لما كان أسماء بن خارجة ذهب بهاني بن عروه الى عبيد الله بن زياد فقتله، قال عبد الله بن الزبير الأسدي مخاطبا لمذحج قوم هاني:

فإن أنتم لم تتأروا بأخيكم فكونوا بغايا ارضيت بقليل (٥)

«أو رووا السيوف من الدماء ترووا من الماء» و في (صفين نصر) (٦): أنّ الأشر روى سيفه من دماء سبعة من فرسانهم: صالح بن فيروز العكي، و كان مشهورا بشده البأس، شد عليه بالرمح و فلق ظهره، ثم مالک بن أدهم

ص: ٢١٩

١-١ شرح ابن أبي الحديد ٣:٢٤٤. [١]

٢-٢ شرح ابن ميثم ٢:١٣٥، و فيه: «منعهم الماء».

٣-٣ صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٩ و ١٧٠. [٢]

٤-٤ الأغاني ١٥:٢٣٠. [٣]

٥-٥ الأغاني لأبي الفرج ١٤:٢٢٩، و فيه أورد مطلع القصيدة.

٦-٦ صفين لنصر بن مزاحم: ١٧٤. [٤]

السلمانى و كان من فرسانهم، ثم رماح بن عتيك الغساني، ثم إبراهيم بن وضاح الجمحي، ثم أزمّل عتيك الحزامى و كان من أصحاب ألويتهم، ثم أجّاح بن منصور الكندى و كان من أعلام العرب و فرسانها و ماتت اخته جيله حزنا عليه، ثم محمد بن روضه الجمحي، خرج و هو يقول:

يا قاتلى عثمان ذاك المؤتمن أضربكم و لا أرى أبا حسن

فشدّ عليه الأشتر و هو يقول:

لا يبعد الله سوى عثمانا مخالف قد خالف الرحمانا

نصرتموه عابدا شيطانا

فقتله. و قال أيضا- و قد كان قتل من آل ذى يزن رجلا، و من آل ذى لقوه فارس الأردن-.

اليوم يوم الحفاظ بين الكماه الغلاظ

نحفرها و المظاظ

هذا، و ذكر أعرابى قوما تحاربوا، فقال: أقبلت الفحول تمشى مشى الوعول، فلما تصافحوا بالسيوف، فغرت المنايا أفواهاها.

و قال صخر أخو خنساء فى أخذه ثار أخيه معاويه من بنى مرّه:

و مرّه قد صبحناها المنايا فرؤينا الأسنه غير فخر (١)

و فى (عيون القتيبي) (٢): لما صرف أهل مزه الماء عن أهل دمشق، و وجهوه الى الصحارى، كتب إليهم أبو الهندام: إلى بنى استها- أهل مزه- ليمسى الماء أو لتصبحنكم الخيل. فوافاهم الماء قبل أن يعتموا، فقال أبو الهندام:

ص: ٢٢٠

١- ١) الأغانى لأبى الفرج ١٠١: ١٥.

٢- ٢) العيون للقتيبي ١٩٧: ١.

«فالموت فى حياتكم مقهورين، و الحياه فى موتكم قاهرين» هو فى جمع المعنى و رفع المغزى، كقوله تعالى: «وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ» (١).

كان عمليق الطسمى قضى على جديس: ان يذهبوا ببنااتهم ليله زفافهم قبل ازواجهم إليه فيفترعن هو، فذهبوا بعفيره بنت عباد الجديسى إليه فافترعها، فخرجت الى قومها شاقه درعها من قبل و من دبر فى أقبح منظر، قائله:

لا أحد أذلّ من جديس أ هكذا يفعل بالعروس

و قالت فى تحريض قومها:

فموتوا كراما أو أميتوا عدوكم و دبوا لنار الخطب بالحطب الجزل

فللبين خير من تماد على أذى و للموت خير من مقام على الذلّ

و إن أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعاب من الكحل

و دونكم طيب العروس فإنما خلقتم لأثواب العروس و للنسل

فصار تحريضها سببا لقتل العمليق (٢) و قال صخر أخو خنساء لَمَا طال مرضه، و سئلت امرأته عنه فقالت: لا حى فيرجى و لا ميت فينعى -:

و للموت خير من حياه كأنها محله يعسوب برأس سنان (٣)

و تمثّل زيد بن على يوم قتل بقول القائل:

ص: ٢٢١

١-١ (١) البقره: ١٧٩. [١]

٢-٢ (٢) الأغانى لأبى الفرج ١٦٥:١١-١٦٦.

٣-٣ (٣) الأغانى لأبى الفرج ٧٩:١٥.

اذل الحياه و عز الممات و كلاً أراه طعاما وبيلا

فإن كان لا بدّ من واحد فسيروا إلى الموت سيرا جميلا

و ذكروا: أنّ عبد الجبار الأزدي خرج على المنصور، فانهزم، فحمل إليه فقال للمنصور: قتله كريمه. قال تركتها وراءك يا ابن اللخناء.

و قال البحترى فى بنى حميد، و قد قتلوا فى الحرب، لأبيهم:

أبا غانم أردى بنيك اعتقادهم بأن الردى فى الحرب أكبر مغنم

مضوا يستلذّون المنايا حفيظه و حفظا لذاك السؤدد المتقدّم

و لَمَّا رأوا بعض الحياه مذله عليهم و عز الموت غير محرم

أبوا أن يذوقوا العيش و الدم واقع عليه و ماتوا ميتة لم تدمم

«ألا- و ان معاويه قاد لمه» بتخفيف الميم، أى: جماعه. ذكره الجوهري فى لام، و قال: و الهاء عوض عن الهمزة الذاهبه فى وسطه. و فى (الجمهره): اللمه -منقوصه-: الجماعه، و الجمع لمات، و ظاهره كون الأصل: لَمَا.

و كيف كان فالظاهر أنّه ليس بمعنى مطلق الجماعه، بل جماعه موافقه، ففى (النهايه) (١): فى الخبر: ليتزوج الرجل لمتّه من النساء، و لتتزوج المرأه لمتها من الرجال. و حينئذ فمعنى كلامه عليه السّلام: أنّه قاد جماعه موافقه له فى الخبث، و يشهد له موارد استعماله.

قال الشاعر:

سبحان من منتطق المأثور جهلا لدى سرادق الحصير

وسط لمات الملاء الحضور إنّ السباب و غر الصدور

فالحصير: الملك، و الملاء: جماعته.

«من الغواه» جمع الغاوى. أى: الضالين.

ص: ٢٢٢

«وعمس» فى (الصحيح) العمس أن ترى أنك لا تعرف الأمر و أنت عارف به. قال ابن السكيت: أمر عموس و عماس، أى: مظلّم لا يدري من أين يؤتى له، و منه قولهم جاءنا بامور معمسات، أى: مظلّمه ملويه عن جهتها.

«عليهم الخبر حتى جعلوا نحورهم» جمع النحر، بمعنى: المنحر.

«أغراض» جمع الغرض، أى: الهدف.

«المنيه» أى: الموت، ففى (صفيين نصر) (١): أن معاويه لما أتاه كتاب على عليه السّلام بعزله عن الشام بعد عثمان صعد المنبر، و قال: يا أهل الشام، قد علمتم أنّي خليفة أمير المؤمنين عمر و خليفة عثمان و قتل مظلوما. و تعلمون أنّي وليه. و الله يقول: «وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيَّهِ سُلْطَانًا» (٢)....

و وضع من يقوم فى الناس و يروى لهم أن النبى صلّى الله عليه و آله قال: إنّ عثمان كان على الحق، و بثّ فيهم أنّ علينا لا يصلّى.

و فى (صفيين نصر) (٣): ذكروا أنّه لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبه، فقال لهم: يا أهل الشام هذا و الله أوّل الظفر، لا سقانى الله و لا سقى أبا سفيان إن شربوا منه، حتى يقتلوا بأجمعهم عليه.

و فيه (٤): خرج رجل من أهل الشام، فقال: من يبارز فخرج إليه رجل من أصحاب على عليه السّلام فاقتتلا ساعه، ثم إنّ العراقى ضرب رجل الشامى فقطعها، فقاتل و لم يسقط الى الأرض، ثم ضرب يده فقطعها، فرمى الشامى سيفه بيده اليسرى الى أهل الشام و قال لهم: دونكم سيفى هذا، فاستعينوا به على عدوّكم. فأخذوه، فاشتري معاويه ذلك السيف

ص: ٢٢٣

١-١) صفيين لنصر بن مزاحم: ٨١. [١]

٢-٢) الإسراء: ٣٣. [٢]

٣-٣) صفيين لنصر بن مزاحم: ١٦٣. [٣]

٤-٤) صفيين لنصر بن مزاحم: ٣٨٨. [٤]

من الخطبه (٢٦)

(و منها):

و لَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعِ ثَمَنًا - فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَ خَزِيَّتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ - فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا وَ أَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا - فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَ عَلَا سِنَاهَا - وَ اسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ أَقُولُ: رواه الثقفى فى (غاراته الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٣١٧، ضمن رساله لأصحابه عليه السلام) (١) و ابن قتيبه فى (خلفائه ابن قتيبه - الإمامه و السياسه -) و الكلينى فى (رسائله الكلينى - الرسائل -) جزء كتاب كتبه عليه السلام ليقراً على الناس، لما سأله عن قوله فى الثلاثه المتقدمين بعد فتح مصر، مع زياده و نقيصه و اختلاف.

ففى الأول: «لقد انهى إلى أن ابن النابغه لم يبايع معاويه حتى أعطاه و شرط له: أن يؤتية إتاوه هى أعظم مما فى يده من سلطانه، ألا صفرت يد هذا البايع دينه بالدنيا، و خزيت أمانه هذا المشتري بنصره فاسق غادر بأموال المسلمين - الى أن قال بعد كلام طويل - خذوا للحرب اهبتها و أعدوا لها عدتها، فقد شب نارها، و علا سناها، و تجرد لكم الفاسقون، كى يعذبوا عباد الله، و يطفئوا نور الله...» و مثله الثانى و الثالث.

قول المصنّف : «و منها» هكذا فى (المصريه) (٢)، و مثلها (ابن أبى الحديد) و المراد من تلك الخطبه، أى: الخطبه (٢٥)، و لكن فى (ابن ميثم) (٣): «و من خطبه له عليه السلام يذكر فيها عمرو بن العاص».

ص: ٢٢٤

١- ١) الغارات للثقفى ٣١٧: ١، [١] ضمن رساله لأصحابه عليه السلام.

٢- ٢) الطبعه المصريه: ٦٣: الخطبه ٢٦.

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٢٧: ٢، و فيه: «و منها».

قوله عليه السلام «و لم يبايع» هكذا في (المصريه) ومثله (ابن أبي الحديد) و لكن في (ابن ميثم) (1): «و لم يبايع معاويه».

«حتى شرط» عليه.

«أن يؤتیه» أى: يعطيه.

«على البيعه» أى: يبيعه معه.

«ثمنا فلا ظفرت يد البايع» قال ابن أبي الحديد: و في أكثر النسخ «المبايع».

«و خزيت» أى: ذلت و هانت.

«امانه المبتاع» قال ابن أبي الحديد (2): يعنى عليه السلام بالمبتاع: عمرا، و بالبايع معاويه.

قلت: بل بالعكس، فعمرو بايع دينه بدنيا معاويه و هذا واضح، قال تعالى: «وَ لَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ» (3)، «وَ لَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلَقٍ» (4)، «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ فَلَا يُخَفِّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَ لَا هُمْ يُنصَرُونَ» (5) «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَ مَا كَانُوا مُهْتَدِينَ» (6) «أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَهَ بِالْهُدَى وَ الْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَصْبَرَهُمْ عَلَى النَّارِ» (7)، «وَ اشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ» (8).

ص: ٢٢٥

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٢:٧٢، و [١] فيه: «و لم يبايع حتى...».

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٣:٦٠.

٣-٣ (٣) البقره: ١٠٢. [٢]

٤-٤ (٤) البقره: ١٠٢. [٣]

٥-٥ (٥) البقره: ٨٦. [٤]

٦-٦ (٦) البقره: ١٦. [٥]

٧-٧ (٧) البقره: ١٧٥. [٦]

٨-٨ (٨) آل عمران: ١٨٧. [٧]

و ننقل كيفيه بيعته من كتاب (صفين نصر) (١) بمعناه، و قد نقله ابن أبى الحديد (٢) بلفظه، فقيه: لما كتب معاويه الى عمرو يستدعيه الى نصرته- و قد كان اعتزل أيام عثمان فى فلسطين- شاور ابنه عبد الله و محمدا، فقال له ابنه عبد الله: قر فى بيتك، فلست مجعولا خليفه، و لا- ترد أن تكون حاشيه لمعاويه على دنيا قليله، أو شكك أن تهلك فتشقى فيها. و قال له ابنه محمد: أرى أنك شيخ قريش، و صاحب أمرها و إن تصرم هذا الأمر و أنت فيه خامل تصاغر أمرك، فالحق بجماعه أهل الشام. و دعا غلامه وردان أيضا- و كان راهبا ماردا- فقال له: أرحل أخط؟ فقال: إن شئت أنبأتك بما فى نفسك. قال: هات، قال: اعترك الدنيا و الآخره على قلبك، فقلت على معه الآخره فى غير دنيا، و فى الآخره عوض الدنيا، و معاويه معه الدنيا بغير آخره، و ليس فى الدنيا عوض من الآخره، فأنت واقف بينهما. قال: و الله ما أخطأت، فما ترى يا وردان؟ قال أرى أن تقيم فى بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت فى عفو دينهم، و إن ظهر أهل الدنيا لن يستغنوا عنك. قال: الآن لما شهدت العرب مسيرى الى معاويه؟ فارتحل و هو يقول:

يا قاتل الله وردانا و قرحته أبدى لعمرك ما فى النفس وردان

لما تعرضت الدنيا عرضت لها بحرص نفسى و فى الأطباع إدهان

نفس تعف و اخرى الحرص يقلبها و المرء يأكل تبنا و هو غرثان

أما على فدين ليس يشركه دنيا و ذاك له دنيا و سلطان

فاخترت من طمعى دنيا على بصر و ما معى بالذى أختار برهان

فسار الى معاويه، فقال له معاويه: أدعوك الى جهاد هذا الرجل الذى عصى ربه، و قتل الخليفه، و أظهر الفتنه، و فرق الجماعه. قال عمرو: إلى جهاد

ص: ٢٢٤

١- ١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٦، ٣٤-٣٩. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٦١: ٢-٦٢. [٢]

من؟ قال: عليّ. فقال عمرو: و الله ما أنت و علي بعكمى بعير، مالك هجرته و لا- سابقته و لا- صحبته و لا- جهاده و لا فقهه و لا علمه، فما تجعل لى إن شايعتك على حربيه، و أنت تعلم ما فيه من الغرر و الخطر؟ قال حكمك: قال: مصر. قال:

إئى أكره أن يتحدّث عنك العرب: أنّك أنّما دخلت فى هذا الأمر لغرض الدنيا.

قال: دعنى عنك. قال معاويه: إئى لو شئت أن أخدمك لفعلت. قال: مثلى يخدم؟ قال له: ادن منى اسارّك. فدنا منه ليسارّه، فعض معاويه اذنه، و قال: هذه خدمه، هل ترى فى بيتك أحدا غيرى و غيرك؟ فأنشأ عمرو يقول:

معاوى لا اعطيك دينى و لم أنل بذلك دنيا فانظرن كيف تصنع

فإن تعطنى مصرا فأربح بصفقه أخذت بها شيخا يضرب و ينفع

و ما الدين و الدنيا سواء فإننى لأخذ ما تعطى و رأسى مقنع

و لكننى اغضى الجفون و إئنى لأخدم نفسى و المخادع يخدم

و اعطيك أمرا فيه للملك قوه و إئى به إن زلت النعل اصرع

و تمنعنى مصرا و لست نزعته و إئى بذا الممنوع قدما لمولع

قال له معاويه: أ لم تعلم أنّ مصر مثل العراق؟ قال: بلى، و لكنها إنّما تكون لى إذا كانت لك، و إنّما تكون لك إذا غلبت علينا على العراق. فدخل عتبه بن أبى سفيان فقال لمعاويه: أما ترضى أن تشتري عمرا بمصر ان صفت لك وليتك لا- تغلب على الشام؟ فأعطاه و كتب له كتابا، و كتب معاويه: «على ان لا ينقض شرط طاعته». فكتب عمرو: «و لا تنقض طاعته شرطا». و كاید كلّ واحد منهما صاحبه، فلمّا بلغ علينا عليه السلام ما صنعا، قال:

يا عجبا لقد سمعت منكرا كذبا على الله يشيب الشعرا

ما كان يرضى أحمد لو خبرا أن يقرنوا وصيّه و الابترا

شانى الرسول و اللعين الأخررا

بملك مصر ان أصاب الظفرا

إلى أن قال ١: فقال له عمرو: رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندى، و هو عدوّ جرير البجليّ الذى أرسله اليك علىّ، فأرسل إليه و وطن له ثقاتك فليفشوا فى الناس: أن علينا قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنّها كلمه جامع له لك أهل الشام على ما تحب و إن تعلق بقلبه لم يخرجه شىء أبدا. فكتب معاويه إليه فى ذلك، و دعا يزيد بن أسد و بسر بن أرطاه و عمر بن سفيان و مخارق بن الحرث و حمزه بن مالك و حابس بن سعد -رءوس قحطان و اليمن و كانوا خاصه معاويه و بنى عم

شرحبييل-فأمرهم أن يلقوه و يخبروه: أن عليًا قتل عثمان-إلى أن قال-ثم خرج شرحبييل فلقية هؤلاء النفر الموطئون له، فكلهم يخبره بأن عليًا قتل عثمان، فدخل على معاوية فقال له: أباي الناس إلا أن عليًا قتل عثمان، والله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. فقال له معاوية: ما كنت لاخالف عليكم، ما أنا إلا رجل من أهل الشام. فقال شرحبييل: فرد هذا الرجل-أى: جريرا-إلى صاحبه. فعرف معاوية أن شرحبييل قد نفذت بصيرته في حرب العراق، وأن الشام كله معه.

يا عجباً لقد سمعت منكراً كذباً على الله يشيب الشعرا

ما كان يرضى أحمد لو خبراً أن يقرنوا وصيه و الابترا

شاني الرسول و اللعين الأخررا

بملك مصر ان أصاب الظفرا

إلى أن قال (١): فقال له عمرو: رأس أهل الشام شرحبيل بن السمط الكندي، وهو عدو جرير البجلي الذي أرسله إليك علي، فأرسل إليه و وطن له ثقاتك فليفشوا في الناس: أن علياً قتل عثمان، و ليكونوا أهل الرضا عند شرحبيل، فإنها كلمه جامعه لك أهل الشام علي ما تحب و إن تعلق بقلبه لم يخرجه شيء أبداً. فكتب معاوية إليه في ذلك، و دعا يزيد بن أسد و بسر بن أرطاه و عمر بن سفيان و مخارق بن الحرث و حمزه بن مالك و حابس بن سعد -رءوس قحطان و اليمن و كانوا خاصه معاوية و بنى عم شرحبيل- فأمرهم أن يلقوه و يخبروه: أن علياً قتل عثمان- إلى أن قال- ثم خرج شرحبيل فلقبه هؤلاء النفر الموطئون له، فكلهم يخبره بأن علياً قتل عثمان، فدخل علي معاوية فقال له: أبي الناس إلا أن علياً قتل عثمان، و الله لئن بايعت له لنخرجنك من الشام أو لنقتلنك. فقال له معاوية: ما كنت لا خالف عليكم، ما أنا إلا- رجل من أهل الشام. فقال شرحبيل: فرد هذا الرجل- أي: جريراً- إلى صاحبه. فعرف معاوية أن شرحبيل قد نفذت بصيرته في حرب العراق، و أن الشام كله معه.

و فيه (٢): أن معاوية طلب من عمرو ان يسوى له صفوف أهل الشام، فقال له عمرو: علي أن لي حكمي إن قتل علي بن أبي طالب، و استوسقت لك البلاد. فقال: أليس حكمك في مصر؟ قال: و هل مصر تكون عوضاً عن الجنه، و قتل ابن أبي طالب ثمناً لعذاب النار الذي «لا يُفتر عنهم و هم فيه»

ص:

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٧٠:٢. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٣٧. [٢]

«مُبْلِسُونَ» (١)؟ فقال له معاوية: إِنَّ لَكَ حَكْمَكَ إِنْ قَتَلَ، رويدا لا يسمع أهل الشام كلامك.

و فيه (٢): جاء رجل الى عمّار فقال له: إِنَّ صَلَاتَنَا وَاحِدَةٌ وَ كِتَابُنَا وَاحِدٌ وَ رَسُولُنَا وَاحِدٌ. فقال له عمّار: هل تعرف الراية السوداء في مقابلتي؟ إنَّها راية عمرو بن العاص قاتلتها مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ ثَلَاثَ مَرَاتٍ، وَ هَذِهِ الرَّابِعَةُ، مَا هِيَ بِخَيْرٍ مِنْ وَ لَا أَبْرَهَنَ، بَلْ شَرَّهِنَّ وَ أَفْجَرَهُنَّ .

«فخذوا للحرب» أي: الحرب الثانية مع معاوية، فقد عرفت أنه عليه السلام قاله بعد فتح مصر.

«اهبتها» أي: تهيئتها .

«وَ أَعِدُّوا لَهَا عِدَّتَهَا» أي: استعدادها، وَ الْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «وَ أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ» (٣).

«فقد شب» أي: توقد، وَ الشَّبُوبُ: مَا تَوَقَّدَ بِهِ النَّارُ.

«لظاها» أي: التهاب نارها .

«وَ عَلَا سَنَاها» أي: ضوؤها .

«وَ اسْتَشْعَرُوا الصَّبْرَ» أي: اجعلوه شعارا لكم كالثوب الملتصق بالبدن .

«فإنه» أي: الصبر .

«أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ» «قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَ اصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ» (٤).

ص: ٢٢٩

١-١ (١) الزخرف: ٧٥. [١]

٢-٢ (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢١. [٢]

٣-٣ (٣) الانفال: ٦٠. [٣]

٤-٤ (٤) الاعراف: ١٢٨. [٤]

و من كتاب له عليه السلام إلى معاوية جوابا عن كتاب منه إليه:

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ؟ الشَّامُ؟- فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأَعْطِيكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتِكَ أَمْسٍ- وَ أَمَّا قَوْلُكَ- إِنَّ الْحَزْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ بَقِيَتْ- أَلَا وَ مَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ- وَ مَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ- وَ أَمَّا اسْتِثْوَاؤُنَا فِي الْحَزْبِ وَ الرَّجَالِ- فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ- وَ لَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ؟ بِأَخْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا- مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ؟ عَلَى الْآخِرَةِ- وَ أَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا؟ بَنُو عَبْدِ مَنَاةٍ؟- فَكَذَلِكَ نَحْنُ وَ لَكِنْ لَيْسَ؟ أُمِّيَّةٌ؟ كَهَاشِمٍ؟- وَ لَا-؟ حَزْبٌ؟ كَعَبِيدِ الْمُطَّلِبِ؟ وَ لَا-؟ أَبُو سُفْيَانَ؟؟ كَأَبِي طَالِبٍ؟- وَ لَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ وَ لَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ- وَ لَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَ لَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ- وَ لَبِئْسَ الْخَلْفُ خَلْفٌ يَتَّبِعُ سَلْفًا هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ- وَ فِي أَيُّدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذَلَّنَا بِهَا الْعَزِيزُ- وَ نَعَشَّنَا بِهَا الدَّلِيلُ- وَ لَمَّا أَدْخَلَ اللَّهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا- وَ أَشَلَمَتْ لَهُ هَذِهِ الْأُمَّةَ طَوْعًا وَ كَرْهًا- كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَ إِمَّا رَهْبَةً- عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّقِّ بِسَبِّ بَقِيهِمْ- وَ ذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الْأَوْلُونَ بِفَضْلِهِمْ- فَلَا- تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيبًا- وَ لَا- عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلًا قَوْلَ الْمُصَنِّفِ: «و من كتاب له عليه ابن قتيبه في

ص: ٢٣٠

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١٥. [١]

٢-٢ (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧١.

٣-٣ (٣) مروج الذهب للمسعودي ٢٢: ٣-٢٣.

(خلفائه ابن قتيبه-الخلفاء-ص ١١٨، ١١٧) (١)، وكذا عن البيهقي في (محاسنه البيهقي-المحاسن-).

ففي الأوّل- ونقله ابن أبي الحديد (٢) أيضا مع اختلاف- ذكروا (٣) أنّ عليّا عليه السّلام أظهر يوما أنّه مصبح غدا معاويه و
مناجزه، فبلغ ذلك معاويه و فرع أهل الشام لذلك و انكسروا لقوله- الى أن قال:- وقال الأشتر حين قال عليه السّلام ذلك:

قد دنا الفضل في الصباح و للسلم رجال و للحروب رجال

فرجال الحروب كلّ حذب مقحم لا تهدّه الأهوال

يضرب الفارس المدجج بالسيف إذا فلّ في الوغى الأكفال

يا بن هند شد الحيازيم للموت و لا يذهبن بك الآمال

إنّ في الصبح إن بقيت لأمرًا تتفادى من هو له الأبطال

فيه عز العراق أو ظفر الشام بأهل العراق و الزلزال

فاصبروا للطعان بالأسل السمر و ضرب يجرى به الأمثال

ان تكونوا قتلتم النفر البيض و غالت اولئك الآجال

فلنا مثلهم و إن عظم الخطب قليل أمثالهم أبدال

يخضبون الوشيح طعنا اذا جرّت إلى الموت بينهم أذيال

طلب الفوز في المعاد و في ذا تستهان النفوس و الأموال

فلما انتهى الى معاويه شعر الأشتر قال: شعر منكر من شاعر منكر، رأس أهل العراق و عظيمهم، و مسعر حربهم، و أوّل الفتنة و
آخرها. و قد رأيت أن أكتب الى علي كتابا أسأله الشام- و هو الشيء الأول الذي ردّني عنه- و القى

ص: ٢٣١

١- (١) الخلفاء لابن قتيبه: ١١٨، ١١٧.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١٥.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٢٠: ١٥، [١] صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٨. [٢]

فى نفسه الشك و الرقه فضحك عمرو بن العاص و قال له: أين أنت من خدعه على؟ فقال: ألسنا بنى عبد مناف؟ قال: بلى، و لكن لهم النبوه دونك، و إن شئت أن تكتب فاكتب. فكتب مع رجل من السكاسك يقال له: عبد الله بن عقبه- و كان من ناقله أهل العراق: أما بعد، فإننى أظنك أن لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما علمت، لم يجننها بعضنا على بعض، و إنا و إن كنا قد غلبنا على عقولنا، فقد بقى لنا ما نندم به على ما مضى و نصلح به ما بقى، و قد كنت سألتك الشام على ألا يلزمنى لك طاعه و لا بيعه، فأبيت ذلك على فأعطانى الله ما منعت، و أنا أدعوك اليوم إلى ما دعوتك إليه أمس، فإننى لا أرجو من البقاء إلا ما ترجو، و لا أخاف من الموت إلا- ما تخاف، و قد و الله رقت الأجناد و ذهبت الرجال، و نحن بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، إلا فضل لا يستدل به عزيز و لا يسترقّ به حرّ. و السلام. فلما انتهى كتاب معاويه الى على عليه السلام قرأه، ثم قال:

العجب لمعاويه و كتابه. ثم دعا عبيد الله بن أبى رافع- كاتبه- فقال له: اكتب الى معاويه: «أما بعد، فقد جاءنى كتابك تذكر أنك لو علمت و علمنا أن الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت لم يجننها بعضنا على بعض، فأنا و إياك منها فى غاية لم تبلغها، و إننى لو قتلت فى ذات الله و حيت، ثم قتلت ثم حيت سبعين مره لم أرجع عن الشده فى ذات الله، و الجهاد لأعداء الله. و أما قولك: إنّه قد بقى من عقولنا ما نندم به على ما مضى، فإننى ما نقصت عقلى و لا ندمت على فعلى.

فأما طلبك الشام فإننى لم أكن لأعطيك اليوم ما منعتك أمس. و أما استواؤنا فى الخوف و الرجاء فإنك لست بأمضى على الشك منى على اليقين، و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخره. و أما قولك: أنا بنو عبد مناف ليس لبعضنا على بعض فضل، فلعمرى إنا بنو أب واحد، و لكن ليس اميه كهاشم، و لا- حرب كعبد المطلب، و لا- أبو سفیان كأبى طالب، و لا المهاجر

كالطليق، و لا المحق كالمبطل، و فى أيدينا فضل النبوه التى أذللنا بها العزيز و أعزنا بها الذليل». فلما أتى معاويه كتاب على عليه السلام كتبه عن عمرو أياما، ثم دعاه بعد ذلك فأقرأه الكتاب، فشمته به. و لم يكن أحد من قريش أشد تعظيما لعلى عليه السلام من عمرو، منذ يوم لقيه و صفح عنه.

و فى الأخير- بعد ذكر معنى ما مرّ عن نصر- فقال معاويه لعمرو: قد علمت أنّ إغظامك لعلى لما فضحكك، فقال عمرو: لم يفتضح امرؤ بارز عليّ، و إنّما افتضح من دعاه الى البراز فلم يجبه.

قوله عليه السلام: «فأما طلبك إلى الشام فإنّي لم أكن أعطيك اليوم ما منعتك أمس» فى (الاستيعاب) (١): نادى حوشب الحميرى عليّا عليه السلام يوم صفين، فقال:

انصرف عتّا يابن أبى طالب، فأنا ننشدك الله فى دماننا و دمك، و نخلى بينك و بين عراقك، و تخلى بيننا و بين شامنا، و تحقن دماء المسلمين. فقال على عليه السلام: هيهات يابن امّ ظليم و الله لو علمت أنّ المداهنه تسعنى فى دين الله لفعلت، و لكان أهون علىّ فى المؤمنه، و لكن الله لم يرض من أهل القرآن بالسكوت و الإدهان، إذا كان الله يعصى و هم يطيقون الدفاع و الجهاد، حتى يظهر أمر الله.

و فى (الأغانى) (٢): سار زياد بن الأشهب- و كان شريفا سيّدا- الى أمير المؤمنين علىّ عليه السلام يصلح بينه و بين معاويه، فلم يجبه و فى ذلك يقول نابغه بنى جعله يعتدّ على معاويه:

و قام زياد عند باب ابن هاشم يريد صلاحا بينكم و يقرب

ص: ٢٣٣

١- ١) الاستيعاب ٣٩٥: ١. [١]

٢- ٢) الأغانى لأبى الفرج ١٢: ٢٣.

و في (صفين نصر) (١): و خرج رجل من أهل الشام ينادى بين الصفين:

يا أبا الحسن ابرز لي. فخرج إليه عليّ عليه السّلام حتى اذا اختلفت أعناق دابتيهما بين الصفين قال له: يا عليّ إنّ لك قدما في الاسلام و هجره، فهل لك في أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخير هذه الحروب، حتى ترى من رأيك؟ فقال له عليّ عليه السّلام: و ما ذاك؟ قال: ترجع الى عراقك، فنخلى بينك و بين العراق، و نرجع الى شامنا، و نخلى بيننا و بين شامنا. فقال له عليّ عليه السّلام: لقد عرفت أنّما عرضت هذا نصيحة و شفقه، و لقد أهمنى هذا الأمر و أسهرنى، و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلاّ القتال، أو الكفر بما أنزل على محمّد صلّى الله عليه و آله. إنّ الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى في الأرض و هم سكوت مذعنون، لا يأمرون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون عليّ من معالجه الأغلال في جهنم. فرجع الشامي و هو يسترجع .

«و أمّا قولك: ان الحرب قد أكلت العرب إلاّ حشاشات» في (الصحاح):

الحشاش و الحشاشه: بقيه الروح في جسد المريض.

«أنفس بقيت» في (المروج) (٢): اختلف في عدّه من قتل من الفريقين، فعن يحيى بن معين: قتل من الشام تسعون ألفا، و من أهل العراق عشرون ألفا.

و ذكر الهيثم بن عدى و الشرقي بن القطامي و أبو مخنف: أنّه قتل من أهل الشام خمسه و أربعون ألفا، و من أهل العراق خمسه و عشرون ألفا، فيهم خمسه و عشرون بدريا. و كان الاحصاء للقتلى يقع بالقضيب.

«ألا و من أكله الحق في الجنّه و من أكله الباطل في النار» هكذا في

ص: ٢٣٤

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤. [١]

٢-٢) مروج الذهب للمسعودي ٢: ٤٠٤. [٢]

(المصريه) (١) و لكن في (ابن أبي الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣) إنما هكذا: «ألا من أكله الحق فإلى النار». و لم يشر ابن ميثم الى روايه اخرى. و أما ابن أبي الحديد (٤) فقال: روايه «ألا و من أكله الحق فإلى النار» أليق من الروايه المذكوره في أكثر الكتب...

و أشار الى مثل ما في (المصريه) و ظاهر كلامه كون النهج بلفظ: «ألا- و من أكله الحق فإلى النار»، حيث نسب مثل ما في (المصريه) إلى كتب اخرى لا- نسخ النهج، و يشهد له اقتصار ابن ميثم- مع كون نسخه بخط المصنّف- على ما مر. و حينئذ المراد بقوله عليه السّلام «من أكله الحق» أي: من أمر الحق بقتله، و الأصل فيه قوله تعالى «و لا- تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ» (٥) و أما ما في (المصريه) فالمراد واضح: أنّ من قتل في سبيل الحق فإلى الجنّه، و من قتل في سبيل الباطل فإلى النار. و يمكن تأييده بما روى (صفيين نصر) (٦):

أن عتبه بن أبي سفيان- أخا معاويه- قال لجعده بن هبيرة ابن اخت أمير المؤمنين عليه السّلام: ما أقبح بعلى أن يكون في قلوب المسلمين أولى الناس بالناس، حتى اذا أصاب سلطانا أفنى العرب! فقال له جعده: و أما قتل العرب فإنّ الله كتب القتال، فمن قتله الحق فإلى الله.

و كيف كان، ففي (صفيين نصر) (٧): أنّ الأحنف قال في صفيين لأصحابه

ص: ٢٣٥

١- ١) الطبعه المصريه: ١٩، الكتاب ١٧.

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١٥. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٣٨٨: ٤ و [٢] فيه: «ألا و من أكله الحق فإلى الجنّه...».

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ١١٨: ١٥. [٣]

٥- ٥) الأنعام: ١٥١. [٤]

٦- ٦) صفيين لنصر بن مزاحم: ٤٦٤. [٥]

٧- ٧) صفيين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧. [٦]

وكان مع عليّ عليه السّلام: هلكت العرب. قالوا: وإن غلبنا؟ قال: نعم. قالوا: ما جعلت لنا مخرجا. قال: إن غلبنا لم نترك بها رئيسا إلا ضربنا عنقه، وإن غلبنا لم يعرج رئيس عن معصية الله .

«و أمّا استواؤنا في الحرب و الرجال فلست بأمضى على الشك منّي على اليقين» في (صفين نصر) (١): نادى عتبه بن أبي سفيان جعده المخزومي ابن اخت عليّ عليه السّلام، و اذن عليّ عليه السّلام له في الخروج إليه، و اجتمع الناس لكلامهما، فقال عتبه: يا جعده، و الله ما أخرجك علينا إلا حبّ خالك، و إنّنا و الله ما نزعنا أنّ معاوية أحقّ بالخلافه من عليّ عليه السّلام لو لا أمره في عثمان، و لكن معاوية أحقّ بالشام لرضا أهلها به، فاعفوا لنا عنها، فو الله ما بالشام رجل به ظرف إلا و هو أجّد من معاوية في القتال، و ليس بالعراق من له جدّ من مثل جدّ عليّ، و نحن أطوع لصاحبنا منكم لصاحبكم. فقال له جعده: إن كان لك خال مثلي لنسيت أباك، و أمّا رضاك اليوم بالشام فقد رضيتم بها أمس. و أمّا قولك: إنّه ليس بالشام من رجل إلا و هو أجّد من معاوية، و ليس بالعراق لرجل مثل جدّ عليّ، فهكذا ينبغي أن يكون، مضى بعليّ عليه السّلام يقينه، و قصر بمعاوية شكه، و قصد أهل الحقّ خير من جهد أهل الباطل.

«و ليس أهل الشام بأحرص على الدنيا من أهل العراق على الآخرة» في (صفين نصر) (٢): قيدت عك من أهل الشام أرجلها بالعمائم، ثم طرحوا حجرا بين أيديهم و قالوا لا نفرّ حتى يفرّ هذا الحكر- أي: الحجر، فعك تقلب الجيم كافا- و فعل أهل العراق كذلك، و تجادلوا حتى أدركهم الليل، فقالت همدان: يا معشر عك إنّنا و الله لا- ننصرف حتى تنصرفوا. و قال عك مثل ذلك. فأرسل

ص: ٢٣٦

١-١ (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٦٣-٤٦٤. [١]

٢-٢ (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٣٤. [٢]

معاويه الى عك: أبروا قسم القوم. فانصرفت عك، ثم انصرفت همدان.

و فيه (١): أرسل ابن حنش رأس خثعم مع معاويه الى أبى كعب رأس خثعم مع على عليه السّلام: إن شئت توافقنا فلم نقتل، فإن ظهر صاحبك كئنا معكم، و إن ظهر صاحبنا كنتم معنا و لم يقتل بعضنا بعضا. فأبى أبو كعب ذلك. و قال ابن حنش لقومه: قد عرضت لقومنا من أهل العراق الموادعه، صله لأرحامهم و حفظا لحقهم، فأبوا إلّا قتالنا- الى أن قال- فاشتد القتال و أخذ أبو كعب يقول لأصحابه: يا معشر خثعم خذموا- أى: اضربوهم فى سوقهم- و أخذ صاحب الشام يقول: يا أبا كعب قومك فأنصف.

و فيه (٢): خرج ائال بن حجل من عسكر على عليه السّلام و نادى: هل من مبارز؟ فدعا معاويه حجلا فقال: دونك الرجل. و كانا مستبصرين فى رأيهما، فبرز كل واحد منهما إلى صاحبه، فبدره الشيخ بطعنه، فطعنه الغلام و انتمى، فاذا هو ابنه! فنزلا فاعتنق كل واحد منهما صاحبه و بكيا، فقال له الأيب: أى ائال، هلم الى الدنيا. فقال له الغلام: يا أبة هلم الى الآخرة، و الله يا أبة لو كان من رأى الانصراف إلى أهل الشام، لوجب عليك أن يكون من رأيك لى أن تنهانى، واسوأ تاه! فماذا أقول لعلى عليه السّلام و للمؤمنين الصالحين؟ كن أنت على ما أنت عليه، و أنا أكون على ما أنا عليه. و انصرف حجل الى أهل الشام و ائال الى أهل العراق، فخبير كل واحد منهما أصحابه .

«و أمّا قولك: إنا بنو عبد مناف فكذلك» الأصل فى شبهه كون كل منهما ابن عبد مناف عمر، حيث أراد فى شورا جعل عثمان فى مقابله عليه السّلام فقال: «و لكن الستة على و عثمان ابنا عبد مناف...» فيقال لعمر: على قاعدتك يتساوى

ص: ٢٣٧

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٧. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٤٣. [٢]

النبي صَلَّى الله عليه و آله و أبو سفيان، فكلّ منهما ابنا عبد مناف.

«و لكن ليس اميه» قال جاريه بن قدامه لمعاويه في منافره بينهما: ما معاويه إلا كلبه تعاوى الكلاب، و ما اميه إلا تصغير الأمه.

«كهاشم» في (الطبرى) (١): اسمه عمرو، و إنما قيل له: هاشم، لأنه أول من هشم الثريد لقومه بمكه و أطعمهم. و له يقول مطرود الخزاعي: و قال ابن الكلبي: يقول ابن الزبيرى:-

عمرو الذى هشم الثريد لقومه و رجال مكه مستنون عجاف

ذكروا أنّ قومه من قريش كانت أصابتهم لزبه و قحط، فرحل الى فلسطين فاشترى منها الدقيق، فقدم به مكه فأمر به فخبز له، و نحر جزورا، ثم اتّخذ لقومه مرقه ثريد بذلك الخبز.

قال وهب بن عبد قصي في ذلك:

تحمل هاشم ما ضاق عنه و أعيب أن يقوم به ابن بيض

أثامم بالغرائر متأنقات من ارض الشام بالبر النفيض

فأوسع أهل مكه من هشيم و شاب الخبز باللحم الغريض

فظل القوم بين مكلمات من الشيزى و حائرها يفيض

فحسده اميه، و كان ذا مال، فتكلّف أن يصنع صنيع هاشم، فعجز عنه فشمت به ناس من قريش، فغضب و نال من هاشم و دعاه الى المنافره، فكره هاشم ذلك لسنة و قدره، و لم تدعه قريش و أحفظوه. قال: فإني انافرك على خمسين ناقة سود الحدقه نحرها ببطن مكه، و الجلاء عن مكه عشر سنين.

فرضى بذلك اميه، و جعللا- بينهما الكاهن الخزاعي، فنقّر هاشما على اميه، فأخذ هاشم عن اميه الإبل، فنحرها و أطعمها من حضره، و خرج اميه الى

ص: ٢٣٨

الشام فأقام بها عشر سنين، فكانت هذه أوّل عداوه وقعت بين هاشم و اميه.

و في (لطائف الثعالبى): و قيل في هاشم:

ما أحد كهاشم و ان هشم لا لا و لا كحاتم و إن حتم

و في (إثبات وصيه المسعودى) (١) - في خطبته عليه السّلام في انتقال نور النبى صلّى الله عليه و آله من آدم أبا بعد أب الى ولادته - حتى نقلت نوره الى هاشم خير آبائه بعد إسماعيل، فأى أب و جدّ و والد أسره و مجمع عتره و مخرج طهر و مرضع فخر جعلت - يا رب - هاشما! لقد أقمته لدن بيتك و جعلت له المشاعر و المتاجر.

و قال الجاحظ - و قد نقله ابن أبى الحديد (٢) في موضع آخر - : صنع اميّه فى الجاهليه صنعا لم يصنعه أحد من العرب: زوّج ابنه أبا عمرو امرأته فى حياته منه، فأولدها أبا معيط. و المقتيون فى الاسلام هم الذين نكحوا نساء آبائهم بعد موتهم. فأما ان يتزوجها فى حياه الأب و يبنى عليها و هو يراه، فإنه شىء لم يكن قط... و يأتى أنّ عبد المطلب بن هاشم حرّم زوجه الأب فى الجاهليه، فأمضاه الاسلام.

و عن كتاب (هاشم و عبد شمس) للدباس: روى هشام الكلبي: أنّ اميّه لما كان غلاما كان يسرق الحاجّ، فسّمى حارسا.

و عنه: قال عثمان لرجل من حضر موت: أ رأيت اميّه؟ قال: نعم، رأيت رجلا آدم دميما قصيرا أعمى، يقال: أنّه كان أنكد و إن فيه نكدا - أى: مشؤوما و فيه عسر - فقال عثمان: يكفيك من شرّ سماعه. و أمر بإخراجه.

و عن (أنساب قريش ابن بكار): اصطلحت قريش على ان يولّى هاشم

ص: ٢٣٩

١- ١) إثبات الوصيه للمسعودى: ١٠٩. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٠٧: ١٥. [٢]

بعد موت أبيه السقايه و الرفاده، و ذلك ان عبد شمس كان يسافر و قل أن يقيم بمكه- و كان رجلا معيلا، و كان له ولد كثير- و كان هاشم رجلا موسرا، فكان إذا حضر الحج قام في قريش فقال: إنكم جيران الله و أهل بيته، و إنه يأتيكم في هذا الموسم زوار الله يعظمون حرمة بيته، فهم لذلك ضيف الله، و أحق ضيف بالكرامه ضيف الله، و قد خصكم الله بذلك و أكرمكم به، ثم حفظ منكم أفضل ما حفظ جار من جاره، فأكرموا ضيفه و زواره، فإنهم يأتون شعنا غيرا من كل بلد، ضوامر كالقدهاح و قد ارجفوا و تفلوا و قملوا و ارسلوا، فأقروهم و أعينوهم.

فكانت قريش تترافد على ذلك، و كان هاشم يخرج في كل سنه مالا كثيرا، و كان يقول لقريش: فورب هذه البيته لو كان لى مال يحمل ذلك لكفيتموه، ألا- و إني مخرج من طيب مالى و حلاله ما لم يقطع فيه رحم و لم يؤخذ بظلم، و لم يدخل فيه حرام. و أسألكم بحرمة هذا البيت ألا- يخرج منكم رجل من ماله لكرامه زوار بيت الله و معونتهم إلا طيبا، لم يؤخذ ظلما، و لم يقطع فيه رحم، و لم يغتصب. فكانت قريش تخرج من صفو أموالها ما تحتمله أحوالها، و تأتي بها الى هاشم فيضعه فى دار الندوه لضيافه الحاج، و كان هاشم يأمر بحياض من ادم، يجعل فى موضع زمزم من قبل أن تحترف، يستقى فيها من البئار التى بمكه فيشرب الحاج، و كان يطعمهم أول ما يطعم قبل يوم الترويه بيوم، بمكه و منى و بجمع و بعرفه، و كان يثرد لهم الخبز و اللحم و السمن و السويق و التمر، و يحمل لهم الماء فيسقون بمنى- و الماء يومئذ قليل- الى أن يصدروا.

و قال الجاحظ: كان يقال لهاشم: القمر. كان بين مطرود الخزاعى و بعض قريش شىء، فدعاه الى المحاكمه الى هاشم، و قال:

الى القمر السارى المنير دعوته و مطعمهم فى الازل من قمع الجزر

و قال ابن بكار: قالوا لهاشم: عمرو العلى لمعاليه، و كان أول من سن

الرحلتين: رحله الى الحبشه و رحله الى الشام، وكانت قريش لا تعدو تجارتهم مكة، إنما تقدم عليهم الأعاجم بالسلع فيشترونها منهم و يتبايعون بها بينهم، و يبيعون من حولهم من العرب حتى رحل هاشم الى الشام، فنزل بقيصر فكان يذبح كل يوم شاه، و يضع جفنه من ثريد يدعو الناس فيأكلون. و كان من أحسن الناس خلقا و تماما، فذكر لقيصر و قيل له: ها هنا رجل من قريش يهشم الخبز ثم يصبّ عليه المرق و يفرغ عليه اللحم و يدعو الناس. و كانت الأعاجم و الروم تضع المرق في الصحف تأتدم عليه بالخبز، فدعا به قيصر، فلمّا رآه و كلمه اعجب به، و جعل يرسل إليه فيدخل عليه، فلمّا رأى مكانه منه سأله أن يأذن لقريش في القدوم عليه بالمتاجر، و أن يكتب لهم كتاب الأمان في ما بينهم و بينه، ففعل. فبذلك ارتفع هاشم من قريش.

«و لا حرب كعبد المطلب» عن (الأغانى): أنّ معاويه قال لدغفل النسابة:

أ رأيت عبد المطلب كيف كان؟ قال: رأيت رجلا نبيلًا و ضيئًا كأنّ على وجهه نور النبوة.

و فى (الكافى) (١): عن الصادق عليه السّلام: جاء النبى صلّى الله عليه و آله و هو طفل يدرج حتى جلس على فخذ عبد المطلب، فأهوى بعض ولده إليه لينحيه عنه، فقال له: دع ابنى فان الملك قد أتاه (٢).

و عنه عليه السّلام: قال النبى صلّى الله عليه و آله: سنّ عبد المطلب فى الجاهليه خمس سنن أجراها الله له فى الاسلام: حرّم نساء الآباء على الأبناء، فأنزل تعالى: «و لا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء» (٣). و وجد كنزًا فأخرج منه الخمس

ص: ٢٤١

١-١ (١) الكافى ١:٤٤٨ ح ٢٦. [١]

٢-٢ (٢) ذكره شرح ابن أبى الحديد ١٥:٢٢٩ الباب ٢٨. [٢]

٣-٣ (٣) النساء: ٢٢. [٣]

و تصدق به، فانزل تعالى: «وَ اعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِإِخْوَتِهِ الْقُرْبَى وَ الْيَتَامَى وَ الْمَسَاكِينِ وَ ابْنِ السَّبِيلِ» (١). و لما حفر زمزم سمّاها سقايه الحاج، فانزل تعالى: «أَجْعَلْتُمْ سَقَايَةَ الْحَاجِّ وَ عِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (٢). و سن في القتل مائه من الإبل، فأجرى الله تعالى ذلك في الاسلام. و لم يكن للطواف عدد عند قريش، فسوّ فيهم عبد المطلب سبعة أشواط، فأجرى الله تعالى ذلك في الاسلام.

و كان لا يستقسم بالأزلام، و لا يعبد الأصنام، و لا يأكل ما ذبح على النصب، و يقول: أنا على دين إبراهيم.

و عنه عليه السلام: أنّ عبد المطلب أول من قال بالبداء. يبعث يوم القيامة و عليه بهاء الملوك و سيماء الأنبياء، و كان يفرش له بفناء الكعبه لا يفرش لأحد غيره، و كان له ولد يقومون على رأسه، فيمنعون من دنا منه.

و في (الطبري) (٣): تنافر عبد المطلب بن هاشم و حرب بن اميه الى النجاشي الحبشي، فأبى أن ينفر بينهما، فجعل بينهما نفيل بن عبد العزى العدوي، فقال لحرب: أتنافر رجلا هو أطول منك قامه، و أعظم منك هامه، و أوسم منك و سامه، و أقل منك لامه، و أكثر منك ولدا، و أجزل منك صفدا، و أطول منك مذودا؟ فنفره عليه.

و رواه الجاحظ: قال نفيل لحرب:

أبوك معاهر و أبوه عف و ذاد الفيل عن بلد حرام

قال في شرح قوله: «أبوك معاهر»: إنّ اميه تعرّض لامرأه من زهره، فضربه

ص: ٢٤٢

١-١ (١) الأنفال: ٤١. [١]

٢-٢ (٢) التوبه: ١٩. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ١٣: ٢.

رجل منهم بالسيف، فأراد اميه إخراج زهره من مكه، فقام دونهم قيس بن عدى السهمى -و كانوا أخواله، و كان منيع الجانب -و صاح: «اصبح ليل».

فذهبت مثلاً، و نادى: «الآن الظاعن مقيم». و فى هذه القصة يقول وهب بن عبد مناف جدّ النبى صلّى الله عليه و آله لامّه:

مهلا اميّه فإن البغى مهلكه لا يكسبّك يوم ذكره شرّ

تبدو كواكبه و الشمس طالعه يصبّ فى الكأس منه الصبر و المقر

و فى (أنساب البلادرى): كان كعب بن لؤى عظيم القدر فى العرب، فأرّخوا بموته إعظاماً له، ثم بعام الفيل، ثم أرّخوا بموت عبد المطلب.

و فى خير النسابه مع أبى بكر: أمنكم شبيه الحمد مطعم طير السماء؟ قال: لا.

و قال النبى صلّى الله عليه و آله: أنا النبى لا كذب، أنا ابن عبد المطلب، ما عادانا بيت إلا و قد خرب و لا كلب إلا و قد جرب (١).

و فى (الكافى) عن الصادق عليه السّلام: لما أقبل صاحب الحبشه بالفيل يريد هدم الكعبه، مروا بإبل لعبد المطلب فاستاقوها، فتوجّه عبد المطلب الى صاحبهم يسأله رد إبله، فقيل له: إنّه عظيم قريش، و هو رجل له عقل و مروه.

فأكرمه و أدناه. ثم قال لترجمانه: سل ما حاجتك؟ فقال: إن أصحابك مروا بإبل لى فاستاقوها فأحببت أن تردّها علىّ. فتعجب من سؤاله ردّ الإبل، و قال:

هذا الذى زعمتم أنّه عظيم قريش و ذكرتم عقله، يدع أن يسألنى أن أنصرف عن بيته الذى يعبده، أما لو سألتنى أن أنصرف عن هدمه لانصرفت. فأخبره الترجمان بمقاله الملك، فقال له عبد المطلب: إنّ لذلك البيت ربّاً يمنع، و إنّما سألتك ردّ إبلى. فأمر بردّها عليه، ثم مضى عبد المطلب حتّى لقى الفيل على

ص: ٢٤٣

طرف الحرم، فقال له: محمود فحرّك رأسه، فقال له: أ تدرى لم جىء بك؟ فقال برأسه: لا. فقال: جاءوا بك لتهدم بيت ربك، أ فتفعل؟ فقال برأسه: لا. فانصرف عبد المطلب و جاءوا بالفيل ليدخل الحرم، فلما انتهى الى طرف الحرم امتنع....

و عن (انساب ابن بكار) (١): أنّ ركبا من جذام خرجوا صادرين عن الحج من مكه، فوجدوا رجلا- من عاليه بيوت مكه يقال له: حذافه، فربطوه و انطلقوا به، فتلقاهم عبد المطلب مقبلا من الطائف و معه ابنه أبو لهب يقود به- و حينئذ قد ذهب بصره- فلما نظر إليه حذافه هتف به، فقال لابنه: ويلك من هذا؟ قال:

حذافه بن غانم العذرى مربوطا مع ركب. قال: فالحقهم و أطلق الرجل. فلحقهم و قال لهم: قد عرفتم تجارتي و مالي، أحلف لكم لاعطينكم عشرين أوقيه ذهباً، و عشرا من الإبل، و فرسا، و هذا ردائي رهنا. فقبلوا ذلك و أطلقوا حذافه، فلما أقبل به و قربا سمع عبد المطلب صوت أبي لهب، و لم يسمع صوت حذافه، فصاح بابنه: إنك لعاص، ارجع لا أم لك فأت به. قال: يا أبتاه هذا الرجل معى.

فناداه عبد المطلب: يا حذافه، أسمعنى صوتك. قال: ها أنا ذا بأبى أنت و امى يا ساقى الحجيج. أردفنى. فأردفه حتى دخل مكه، فقال حذافه يوصى ابنه خارجه بالانتماء الى بنى هاشم:

أ خارج إما أهلكنّ فلا تزل لهم شاكرا حتى تغيب فى القبر

بنى شبيه الحمد الكريم فعاله يضىء ظلام الليل كالقمر البدر

و عنه (٢): أنّ عبد المطلب اتى فى المنام، فقيل له: «احفر زمزم خبيئه الشيخ الأعظم». فاستيقظ فقال: «اللهم بين لى» فارى فى المنام مرّه اخرى:

«احفر مكتم، بين الرّفث و الدم، فى مبحث الغراب فى قريه النمل مستقبليه

ص: ٢٤٤

١- ١) لا وجود له فى أنساب قريش لابن بكار، و لكن ما يتضمن معناه موجود فى نسب قريش لمصعب الزبيرى: ٣٧٥.

٢- ٢) نقله عن نهج البلاغه ٢١٤: ١٥-٢١٥.

الانصباح الحمر». فقام فمشى حتى جلس في المسجد الحرام ينتظر ما سمي له من الآيات، فنحر بقره بالجزوره فأفلتت من جازرها بحشاشه نفسها حتى غلبها الموت في المسجد في موضع زمزم، فاحتمل لحمها من مكانها، وأقبل غراب يهوى حتى وقع في الفرث، يبحث عن قريه النمل، فقام عبد المطلب يحفر، وقال: إني لحافر هذا البئر ومجاهد من صدني عنها. فطقق يحفر هو وابنه الحارث - وليس له يومئذ ولد غيره - فيسفه عليهما الناس من قريش و ينازعونهما، و تناهى عنه ناس من قريش لما يعلمون من زعيق نسبه و صدقه، حتى إذا أتعبه الحفر نذر إن و في له عشره من الولد أن ينحر أحدهم.

ثم حفر فأدرك سيوفا دفنت في زمزم حين دفنت، فلما رأته قريش أنه قد أدرك السيوف قالت له: أجدنا ما وجدت. فقال: هذه السيوف لبيت الله. ثم حفر حتى أنبط الماء، فحفرها في القرار، ثم بحرهما حتى لا - تنزف، ثم بنى عليها حوضاً، و طفق هو و ابنه ينزعان فيملاآن ذلك الحوض، ليشرب منه الحاج، و كان قوم من قريش يكسرون الحوض حسدا له بالليل، فيصلحه حين يصبح، فلما أكثروا دعا ربّه، فأرى فقيل له: قل: «اللهم إني لا احلها لمغتسل، و هي لشارب حلّ و بل». ثم كفيتهم، فقام حين اختلفت قريش في لمسجد، فنادى بالذي أرى ثم انصرف، فلم يكن يفسد حوضه عليه أحد من قريش إلا رمى في جسده بداء، حتى تركوا حوضه ذلك و سقايته، ثم تزوج النساء فولد له عشره رهط، فقال: «اللهم إني كنت نذرت لأنحر أحدهم و إني أقرع بينهم، فأصب بذلك من شئت» فأقرع بينهم فطارت القرعه على عبد الله - و كان أحبّ ولده إليه - فقال:

اللهم هو أحب اليك أم مائه من الإبل....

و قال: و يقال: كان يعرف في عبد المطلب سيماء النبوه، و هيبه الملك.

و عن (سيره محمد بن إسحاق): لما أنبط عبد المطلب الماء في زمزم

حسدته قريش، فقالت له: إنَّها بئر آيينا إسماعيل، وإنَّ لنا فيها حقاً فاشركنا معك. قال: ما أنا بفاعل، إنَّ هذا الأمر خصصت به دونكم. قالوا: فإنَّنا غير تاركيك. قال: فاجعلوا بيني وبينكم حكماً احاكمكم إليه. قالوا: كاهنه بنى سعد بن هذيم. قال: نعم. وكانت باشراف الشام، فركب عبد المطلب في نفر من عبد مناف، وخرج من كل قبيله من قريش قوم، والأرض إذ ذاك مفاوز، حتَّى إذا كانوا ببعض تلك المفاوز بين الحجاز و الشام، نفذ ما كان مع عبد المطلب و بنى أبيه من الماء، فعطشوا عطشاً شديداً، فاستسقوا قومهم فأبوا أن يسقوهم، و قالوا: نحن بمفازة و نخشى على أنفسنا مثل الذى أصابكم، فلما رأى عبد المطلب ما صنع القوم و خاف على نفسه و أصحابه الهلاك، قال لأصحابه:

ما ترون؟ قالوا: ما رأينا إلاّ - تبع لرأيك، فمرنا بما أحببت. قال: فإنَّى أرى أن يحفر كل رجل منّا حفرة لنفسه بما معه الآن من القوّه، فكلما مات رجل دفنه أصحابه حتّى يكون رجل واحد، فضيعه واحد أيسر من ضيعه ركب. قالوا:

نعم ما أشرت. فقام كلّ رجل منهم فحفر حفيره و قعدوا ينتظرون الموت، ثمَّ إنَّ عبد المطلب قال لهم: و الله ان لقاءنا بأيدينا كذا للموت لعجزه، قوموا فعسى الله ان يرزقنا ماء ببعض الأرض، ارتحلوا. فارتحلوا و من معهم من قبائل قريش ينظرون ما هم صانعون، فتقدم عبد المطلب إلى راحلته فركبها، فلما انبعث به انفجر من تحت خفها عين ماء عذب، فكبر و كبر أصحابه، ثمَّ نزل فشرّب هو و أصحابه و ملاؤوا اسقيتهم، ثمَّ دعا القبائل من قريش، فقال لهم:

هلموا إلى الماء، فقد أسقانا الله فاشربوا. فقالوا: قد قضى الله لك علينا، و الله لا نخاصمك فى زمزم ابداً. إنَّ الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاه هو سقاك زمزم فارجع إليها.

و روى كاتب الواقدي فى (طبقاته): قصه اخرى لعبد المطلب فى ماء له

بالباطن، يقال له: ذو الهرم، مع جذب الثقفى، و أنهما تنافرا إلى الكاهن العذرى بالشام، و نفذ ماء عبد المطلب و من معه، فانفجرت عين من تحت جران بعير عبد المطلب.

و عن القمى رفعه، قال: كان فى الكعبه غزالان من ذهب و خمسہ أسياف، فلما غلبت خزاعه جرهما ألت جرهم الأسياف و الغزالين فى بئر زمزم، و ألقوا فيها الحجاره و طموها و عموا أثرها، فلما غلبت قصى على خزاعه لم يعرفوا موضع زمزم و خفى عليهم موضعها. فلما بلغ عبد المطلب و كان يفرش له فى فناء الكعبه، و لم يكن يفرش لأحد هناك غيره، فبينما هو نائم فى ظل الكعبه رأى فى منامه: أن أتاه آت فقال له: احفر بره. فقال: و ما بره؟ ثم أتاه فى اليوم الثانى فقال له: احفر طيبه. فقال: و ما طيبه؟ ثم أتاه فى اليوم الثالث فقال: احفر المصونه؟ قال: و ما المصونه؟ ثم أتاه فى اليوم الرابع فقال:

«احفر زمزم، لا- تبرح و لا- تدم، تسقى الحجيج الأعظم، عند الغراب الأعصم، عند قريه النمل. و كان عند زمزم جحر يخرج منه النمل، فيقع عليه غراب أعصم يلتقط النمل كل يوم، فلما رأى عبد المطلب هذه الرؤيا عرف موضع زمزم، فقال لقريش: إنى عبرت فى أربع ليال فى حفر زمزم، و هى مأثرتنا و عزنا فهلما نحفرها، فلم يجيبوه، فأقبل يحفرها هو بنفسه، و كان له ابن واحد و هو الحرث، و كان يعينه على الحفر، فلما صعب عليه ذلك تقدم إلى باب الكعبه، ثم رفع يديه و دعا الله تعالى، و نذر له إن رزقه عشره بنين أن ينحر أحبهم إليه تقربا إليه تعالى، فلما أن حفر و بلغ الطوى-طوى إسماعيل- و علم أنه قد وقع على الماء، كبر و كبرت قريش و قالوا: يا أبا الحرث هذه مأثرتنا و لنا فيها نصيب. فقال: لم تعينونى على حفرها، هى لى و لولدى فى الدهر.

و في (الطبرى) (١): كان سبب بدء الحلف الذى كان بين بنى هاشم و خزاعه-الذى افتتح النبى صلى الله عليه و آله بسببه مكه و قال: لتنصب هذه السحابه بنصر بنى كعب-أن نوفل بن عبد مناف-و كان آخر من بقى من عبد مناف- ظلم عبد المطلب على اركاح له-و هى الساحات-و كانت امّ عبد المطلب سلمى بنت عمرو النجارى من الخزرج فتنصف عبد المطلب عمه فلم ينصفه، فكتب إلى أخواله:

يا طول ليلى لأحزاني و أشغالى هل من رسول إلى النجار أخوالى

فقدم عليه منهم ثمانون راكبا فأناخوا بفناء الكعبه، فلتمّيا رآهم نوفل قال لهم: أنعموا صباحا. فقالوا له: لا- نعم صباحك أيتها الرجل! انصف ابن اختنا من ظلامته. قال: أفعل بالحب لكم و الكرامه. فرد عليه الأركاح، فدعا ذلك عبد المطلب إلى الحلف مع خزاعه- إلى أن قال- و اسمه شيبه لأنّه كان فى رأسه شيبه، و قيل له: عبد المطلب، لأن أباه كان شخص فى تجاره له إلى الشام، فسلك طريق المدينه إليها، فلما قدم المدينه نزل على زيد بن عمرو الخزرجى- أو عمرو بن زيد الخزرجى على اختلاف الروايات- فرأى ابنته سلمى فأعجبته فخطبها إلى أبيها، فأنكحه و شرط عليه: ألا تلد ولدا إلا فى أهلها. ثم مضى هاشم لوجهته قبل أن يبنى بها، ثم انصرف راجعا، فبنى بها فى أهلها فحملت منه، ثم ارتحل إلى مكه و حملها معه، فلتمّيا أثقلت ردها إلى أهلها و مضى إلى الشام، فمات بها بغزه، فولدت سلمى عبد المطلب، فمكث بيثرب سبع سنين أو ثمانى.

ثم إن رجلا- من بنى الحرث بن عبد مناف مرّ بيثرب، فإذا غلمان ينتصلون، فجعل شيبه إذا خسق قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء. فقال

ص: ٢٤٨

له الحارثي: من أنت؟ قال: أنا شبيه بن هاشم. فلما أتى الحارثي مكة قال للمطلب، و هو جالس في الحجر: تعلم أنني وجدت غلمانا ينتصلون بيثرب، و فيهم غلام إذا خسق، قال: أنا ابن هاشم، أنا ابن سيد البطحاء؟ فقال المطلب:

و الله لا- أرجع إلى أهلي حتى آتي به. فقال له الحارثي: هذه ناقتي بالفناء فاركبها. فجلس المطلب عليها، فورد يثرب عشاء حتى أتى بنى عدى بن النجار، فإذا غلمان يضربون كره بين ظهري مجلس، فعرف ابن أخيه، فقال للقوم: أ هذا ابن هاشم؟ قالوا: نعم، هذا ابن أخيك، فإن كنت تريد أخذه فالساعه قبل أن تعلم به أمه، فإنها إن علمت لم تدعه، و حلنا بينك و بينه. فدعاه و قال: يا بن أخي، أنا عمّك أردت الذهاب بك إلى قومك. و أناخ راحلته، فما كذب أن جلس على عجز الناقة، فانطلق به و لم تعلم به أمه، حتى كان الليل فقامت تدعو بحربها على ابنه، فاخبرت أنّ عمّه ذهب به. و قدم به المطلب ضحوه و الناس في مجالسهم فجعلوا يقولون: من هذا؟ فقال: عبد لى. ثم خرج المطلب حتى أتى الجزوره، فاشتري حله فألبسها شبيهه، ثم خرج به حين كان العشى إلى مجلس بنى عبد مناف....

و قال الجاحظ مع نصبه: و قد أعطى الله عبد المطلب في زمانه، و أجرى على يديه، و أظهر من كرامته ما لا يعرف مثله إلا لنبي مرسل، و أنّ في كلامه لأبرهه صاحب الفيل، و توعدده إياه برّب الكعبه، و تحقيق قوله من الله تعالى و نصره و عيده بحبس الفيل، و قتل أصحابه بالطير الابايل و حجاره السجيل حتى تركوا كالعصف المأكول، لأعجب البرهانات و أسنى الكرامات- إلى أن قال- و لو شئنا أن نذكر ما أعطى الله عبد المطلب من تفجير العيون، و ينابيع الماء من تحت كل كل بعيره، و اخفائه بالارض القسى، و بما اعطى من المساهمه و عند المقارعه من الامور العجيبه و الخصال البائنه، لقلنا.

و روى ابن بكار عن ابن شهاب قال: أوّل ما ذكر من عبد المطلب أنّ قريشا خرجت فارّة من الحرب خوفا من أصحاب الفيل -و عبد المطلب يومئذ غلام شاب -فقال: و الله لا أخرج من حرم الله أبغى العزّ في غيره. فجلس في البيت، و أجلت قريش عنه، فقال عبد المطلب:

اللهم إنّ المرء يم رحله فامنع حلالك

لا يغلبنّ صليبهم و محالهم أبدا محالك

فلم يزل تائبا في الحرم حتى أهلك الله الفيل و أصحابه، فرجعت قريش و قد عظم فيهم بصيرته و تعظيمه.

و في (الكافي) (١): أنّ عبد المطلب قال لبعض مواليه لئما جاء أبرهه: اعل الجبل فانظر، ترى شيئا؟ فقال: أرى سوادا من قبل البحر. فقال له: يصيبه بصرك أجمع؟ قال: لا، و أو شك أن يصيب. فلما أن قربت قال: هو طير كثير و لا اعرف، يحمل كلّ طير في منقاره حبه حصاه مثل حصاه الحذف أو دونها.

فقال عبد المطلب: و ربّ عبد المطلب ما تريد إلاّ القوم. حتى لما صارت فوق رؤوسهم أجمع، ألفت الحصاه فوقت كل حصاه على هامه رجل، فخرجت من دبره فقتلته، فما انفلت منهم إلاّ رجل واحد يخبر الناس، فلما أخبرهم ألفت عليه حصاه فقتلته.

و في (حياه حيوان الدّميري): في عنوان الغراب: ذكر المسعودي (٢): أنّ امّيه بن أبى الصلت كان مصحوبا يبدو له الجن، فخرج في غير من قريش، فمرّت به حيه فقتلوها، فاعترضت لهم حيه اخرى تطلب به ثأرها، و قالت: قتلتم فلانا. ثمّ ضربت الارض بقضيب، فنفرت الإبل فلم يقدرُوا عليها إلاّ بعد عناء

ص: ٢٥٠

١- ١) الكافي ١: ٤٤٨ ح ٢٥. [١]

٢- ٢) المسعودي ٢: ١٦١.

شديد، فلما جمعوها جاءت ثانيه، فضربت فنفرت فلم يقدرُوا عليها إلا بعد نصف الليل، ثم جاءت فضربت ثالثه، فنفرتها فلم يقدرُوا عليها حتى كادوا أن يهلكوا عطشا و عناء، و هم فى مفازه لا ماء بها، فقالوا لاميه: هل عندك من حيله؟ قال: لعلها. ثم ذهب حتى جاوز كتيبا، فرأى ضوء نار على بعد فاتبعه، حتى أتى على شيخ فى حناء، فشكا إليه ما نزل به و بصحبه - و كان الشيخ جنيا - فقال: فاذهب فإن جاء تكم فقولوا: «باسمك اللهم» سبعا. فرجع إليهم، و قد أشرفوا على الهلاك، فأخبرهم بذلك، فلما جاء تهم الحيه قالوا ذلك، فقالت:

تبا لكم، من علمكم هذا؟ ثم ذهبت. و أخذوا إبلهم و كان فيهم حرب ابن اميّه، فقتلته الجن بعد ذلك بتأر الحيه المذكوره، و قالوا فيه:

و قبر حرب بمكان قفر و ليس قرب قبر حرب قبر

و فى (الأغانى) (1): مرّ حرب ابن اميّه و مرداس - أبو العباس بن مرداس - بغيصه ملتفه الشجر، فأحرقا شجرها ليتخذاها مزرعه، فكانت تخرج من الغيصه حباب بيض فتطير حتى تغيب، و مات حرب و مرداس عقيب ذلك، فتحدّث قومهما: أنّ الجن قتلتها لإحراقهما منازلها من الغيصه. و ذلك قبل البعثه بحين. ثم كانت بين أبى سفيان بن الحرب و العباس بن مرداس منازعه فى هذه القرية.

«و لا أبو سفيان كأبى طالب» أمّا الأوّل فقال الجاحظ: قام أبو سفيان مقام أبيه فخالفه أبو الأزيهر الدوسى، و كان عظيم الشأن فى الأزده، و كانت بينه و بين بنى الوليد بن مغيره محاكمه فى مصاهره كانت بين الوليد و بينه، فجاء هشام بن الوليد و أبو الأزيهر كان قاعدا فى مقعد أبى سفيان بذى المجاز، فضرب عنقه، فلم يدركه به أبو سفيان عقلا و لا قودا فى بنى المغيره.

ص: ٢٥١

وَلَمَّا كَتَبَ مَعَاوِيَةَ إِلَى زِيَادٍ لَمَّا كَانَ عَلَى فَارِسٍ بَعْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهَدَّاهُ وَعَيَّرَهُ، أَجَابَهُ زِيَادٌ: وَأَمَّا تَعْيِيرُكَ لِي بِسَمِيَّةٍ فَإِنَّ كُنْتَ ابْنَ سَمِيَّةٍ، فَأَنْتَ ابْنُ حَمَامَةٍ! وَيَأْتِي أَنَّ حَمَامَةَ أُمَّ أَبِي سَفْيَانَ كَانَتْ بَغِيًّا صَاحِبَةً رَأْيَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

وَأَمَّا الثَّانِي فَقَالَ ابْنُ بَكَّارٍ: كَانَ كَافِلَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَحَامِيَهُ مِنْ قَرِيْشٍ، وَنَاصِرَهُ وَالرَّفِيقَ بِهِ، وَالشَّفِيقَ عَلَيْهِ وَوَصِيَّ عَبْدِ الْمَطْلُبِ فِيهِ، وَكَانَ سَيِّدَ بَنِي هَاشِمٍ فِي زَمَانِهِ، وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنْ قَرِيْشٍ يَسُودُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ إِلَّا بِمَالٍ، إِلَّا أَبُو طَالِبٍ، وَأَبُو طَالِبٍ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقِسَامَةَ فِي دَمِ عَمْرٍو بْنِ عَلِقَمَةَ، ثُمَّ اثْبَتَهَا السُّنَّةَ فِي الْإِسْلَامِ، وَكَانَتْ السَّقَايَةَ بِيَدِهِ، ثُمَّ سَلَّمَهَا إِلَى أَخِيهِ الْعَبَّاسِ.

وَقَالَ مَعَاوِيَةُ لِعَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ -بَعْدَ ضَرْبِ الْخَارِجِيِّ صَاحِبِهِ لَهُ ضَرْبَهُ عَالِجٍ مِنْهَا، وَكَتَلَ الْخَارِجِيَّ صَاحِبَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامِ لَهُ، وَوَعَدَ ظَفَرَ صَاحِبِ عَمْرٍو بِهِ: -نَجُوتٌ وَوَقْدٌ بِلِ الْمَرَادِيِّ سَيْفِهِ مِنْ ابْنِ أَبِي -شَيْخِ الْأَبَاطِحِ

-طَالِبٍ وَفِي خَبَرِ (١) الْكِنْدِيِّ الَّذِي رَأَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ يَصْلِي وَمَعَهُ غَلَامٌ وَامْرَأَةٌ، وَسَأَلَ الْعَبَّاسَ عَنْهُ، وَأَجَابَهُ بِأَنَّهُ ابْنُ أَخِيهِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ يَزْعَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَمْ يَتَّبِعْهُ إِلَّا هَذَا الْغَلَامُ: وَهُوَ ابْنُ أَخِي عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، وَهَذِهِ الْمَرْأَةُ: هِيَ امْرَأَتُهُ خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ. قَالَ لَهُ: فَمَا تَفْعَلُونَ؟ قَالَ نَنْتَظِرُ مَا يَفْعَلُ الشَّيْخُ. يَعْنِي: أَبَا طَالِبٍ.

وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدَ مَنْفٍ، فَلَمَّا مَاتَ عَبْدَ الْمَطْلُبِ أَوْصَى إِلَيْهِ بِالنَّبِيِّ، وَقَالَ لِأَبِي طَالِبٍ فِي آيَاتٍ:

أَوْصِيكَ يَا عَبْدَ مَنْفٍ بَعْدِي بِوَاحِدٍ بَعْدَ أَبِيهِ فَرْدٌ

ص: ٢٥٢

فارقه و هو ضجيع المهد فكنت كالآم له فى الوجد

و عن ابن عساكر (١) قال جلهمه بن عرفه: قدمت مكة و هم فى قحط، فقالت قريش: يا أبا طالب أقحط الوادى، و أجذب العيال، فهلّم لنستسقى. فخرج أبو طالب و معه غلام كأنّ وجهه شمس دجى تجلت عنه سحابه قتماء، فأخذه و ألصق ظهره بالكعبة، و لاذ الغلام بإصبعه و ما فى السماء قرعه، فأقبل السحاب من هاهنا و هاهنا و أغدق و انفجر الوادى، و أخصب النادى و البادى، فقال أبو طالب:

و أبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمه للأرامل

تطوف به الهلاك من آل هاشم فهم عنده فى نعمه و فواضل

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا و لا يعبأ بقول الأباطل

فأيده ربّ العباد بنصره و أظهر دينا حقّه غير ناصل

قلت: و الظاهر أنّ أبا طالب قال الأبيات بعد ذلك، و أشار فى قوله:

«و أبيض...» إلى تلك الواقعة.

و فى (تفسير القمى): حمل علىّ عليه السّلام و حمزه يوم بدر عبيده بن الحارث بن المطلب لما ارتث إلى النّبىّ صلّى الله عليه و آله، فنظر إليه و استعبر، و قال له: أنت أوّل شهيد من أهل بيتى. فقال عبيده: أمّا إنّ عمك لو كان حيّا لعلم أنّى أولى بما قال منه، حيث يقول:

كذبتّم و بيت الله نخلى محمدا و لما نطاعن دونه و نناضل

و ننصره حتّى نصرّع حوله و نذهل عن أبنائنا و الحلائل

فقال له النّبىّ صلّى الله عليه و آله أما ترى ابنه كالثّيب العادى بين يديّ الله و رسوله، و ابنه الآخر فى جهاد الله بأرض الحبشه؟ فقال عبيده للنّبىّ صلّى الله عليه و آله: أسخّطت

ص: ٢٥٣

علّي في هذه الحالة؟ قال: لا، ولكن ذكرت عمي فانقبضت.

و في (الكافي) (١) عن الصادق عليه السلام و قد قيل له: إنهم يزعمون أنّ أبا طالب كان كافرا. فقال: كذبوا كيف؟ و هو يقول:

الم يعلموا أنّا وجدنا محمدا نبيا كموسى خط في أوّل الكتب

و عنه عليه السلام (٢) في خبر آخر: كيف يكون كافرا؟ و هو يقول:

لقد علموا أنّ ابننا لا مكذب لدينا و لا نعبأ بقيل الأباطل

و اشتهر عن المأمون قال: أسلم و الله أبو طالب بقوله:

نصرت الرسول رسول الاله بيض تلالا كلمع البروق

اذبّ و احمى رسول الاله حمايه عمّ عليه شفيق

و روى المهدي العباسي عن أبيه المنصور- كما رواه (تاريخ بغداد) (٣) في عنوان معاويه بن عبيد الله كاتب المهدي- عن عطاء عن ابن عباس قال:

عارض النبي صلّى الله عليه و آله جنازه أبي طالب و قال له: وصلتك رحم و جزاك خيرا يا عم.

و في (الكافي) (٤) عن الصادق عليه السلام: لما توفّي أبو طالب قال جبرئيل للنبي عليه السلام: اخرج من مكة فليس لك فيها ناصر.

و في (الكافي) (٥): عن الكاظم عليه السلام قال لدرست بن أبي منصور كان أبو طالب مستودعا للوصايا، فدفعتها إلى النبي صلّى الله عليه و آله، فمات من يومه.

هذا، و روى (نوادير حج الكافي) (٦): عن داود الرقي قال: دخلت على أبي

ص: ٢٥٤

[١-١] الكافي ١:٤٤٨ ح ٢٩. [١]

[٢-٢] الكافي ١:٤٤٨ ح ٢٩. [٢]

[٣-٣] تاريخ بغداد ١٩٦:١٣. [٣]

[٤-٤] الكافي ١:٤٤٩ ح ٣١. [٤]

[٥-٥] الكافي ١:٤٤٥ ح ١٨. [٥]

[٦-٦] الكافي ٤:٥٤٤ ح ٢١. [٦]

عبد الله عليه السلام، ولى على رجل مال قد خفت تواه، فشكوت إليه ذلك، فقال لى: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب طوافاً، و صلّ ركعتين عنه، و طف عن أبى طالب طوافاً، و صلّ عنه ركعتين، و طف عن آمنه و صلّ عنها ركعتين، و طف عن فاطمه بنت أسد و صلّ عنها ركعتين، ثم ادع أن يرّد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك ثم خرجت من باب الصفا، و إذا غريمى واقف يقول: يا داود حبستنى، تعال فاقبض مالك.

و إخواننا يعتقدون أنّ غير فاطمه بنت أسد كل من فى الخبر كافر.

«و لا الصريح كاللصيق» عن الزمخشري فى (ربيع الابرار): كان معاويه يعزى إلى أربعة: مسافر بن أبى عمرو، و عماره بن الوليد بن المغيرة، و الصباح مغنى عماره، و العباس.

و روى ابن أبى الحديد (1) فى موضع آخر: أنّ عقيلاً دخل بعد وفاه أخيه عليه السلام على معاويه و حوله جلساؤه فقال له: أخبرنى عن عسكرى و عسكر أخيك، فقد وردت عليهما. قال: أخبرك. مررت و الله بعسكر أخى، فإذا ليل كليل رسول الله، و نهار كنهار رسول الله صلّى الله عليه و آله، ما رأيت إلّا مصلياً و لا سمعت إلّا قارياً. و مررت بعسكرك فاستقبلنى قوم من المنافقين ممن نفر بالنبى صلّى الله عليه و آله ليله العقبه، ثم قال لمعاويه: من هذا عن يمينك يا معاويه؟ قال: عمرو بن العاص. قال: هذا الذى اختصم فيه سته نفر فغلب عليه جزار قريش، فمن الآخر؟ قال: الضحّاك بن قيس الفهرى. قال: أما و الله لقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس، فمن هذا الآخر؟ قال: أبو موسى الأشعري. قال: هذا ابن السراقه. فلما رأى معاويه أنّه قد أغضب جلساءه، علم أنّه إن استخبره عن نفسه، قال فيه سوء فأحب أن يسأله ليقول فيه ما يعلمه من سوء، فيذهب

ص: ٢٥٥

بذلك غضب جلسائه، فقال له: فما تقول فيّ؟ قال: دعني من هذا. قال: أتعرف حمامه؟ قال: و من حمامه؟ قال: قد أخبرتك. ثم قام فمضى، فأرسل معاويه إلى نسابه، فقال: من حمامه؟ قال: لى الأمان؟ قال: نعم. قال: أمّ أبى سفيان أبيك كانت بغيا في الجاهليه صاحبه رايه. فقال معاويه لجلسائه: قد ساويتكم و زدت عليكم فلا تغضبوا.

و في (الطرائف) عن (مثالب هشام الكلبي): كانت لحمامه جده معاويه رايه بذى المجاز، و كان معاويه لأربعه- إلى أن قال- و كانت أمّه من المعتلمات.

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي)- في قصه طلب عمرو بن العاص و الوليد بن عقبه و المغيره من معاويه أن يحضر الحسن عليه السّلام لتخجيله- قال الحسن عليه السّلام لمعاويه: «و قد علمت الفراش الذي ولدت عليه» قال الكلبي: عامه الناس على أنّ معاويه من مسافر بن أبى عمرو لأنّه كان أشدّ حبا لهند. فلما حملت هند بمعاويه خاف مسافر أن يظهر أنّه منه، فهرب إلى ملك الحيره هند بن عمرو، ثم إنّ أبا سفيان قدم الحيره فلقية مسافر، و هو مريض من عشقه لهند و قد سقى بطنه- إلى أن قال- ثم مات مسافر من عشقه لهند- إلى أن قال- و جرى بين إسحاق بن طابه و يزيد بن معاويه كلام بين يدي أبيه. فقال يزيد لإسحاق: إنّ خيرا لك أن يدخل بنو حرب كلّهم الجنه. أشار إلى أنّ أمّ إسحاق كانت تتهم ببعض بنى حرب، فقال له إسحاق: إنّ خيرا لك أن يدخل بنو العباس كلّهم الجنه. فلم يفهم يزيد مراده و فهمه معاويه، فلما قام إسحاق قال معاويه ليزيد: كيف تشاتم الرجال قبل أن تعلم ما يقال فيك؟ قال: قصدت شين إسحاق. قال: و هو أيضا قصد شينك. قال: و كيف؟ قال: أما علمت أنّ بعض قريش في الجاهليه يزعمون أنّى للعباس؟ فسقط في يدي يزيد.

وقال الشعبي: وقد أشار النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِلَى هِنْدِ يَوْمِ فَتْحِ مَكَّةَ بِشَيْءٍ مِنْ هَذَا، فَأَنَّهُ لَمَّا جَاءَتْ تَبَاعِيحَهُ - وَكَانَ قَدْ أَهْدَرَ دِمَهَا - قَالَتْ: عَلَامَ أَبَايَعُكَ؟ فَقَالَ:

عَلَى الْآ تَزِينِ. فَقَالَتْ: وَهَلْ تَزْنِي الْحَرَّةَ؟ فَعَرَفَهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَنَظَرَ إِلَى عَمْرِ فَتَبَسَّمَ.

هَذَا، وَقَالُوا: مِنْ حَمَقِي بَنِي أُمَيَّةَ بَكَارِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ، وَكَانَ أَبُوهُ يَنْهَاهُ إِلَى أَنْ يَجْلِسَ إِلَى خَالِدِ بْنِ يَزِيدَ. فَجَلَسَ يَوْمًا إِلَيْهِ فَقَالَ بَكَارٌ: أَنَا وَاللَّهِ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ:

يَرُدُّنِي بَنِي اللَّخْنَاءِ تَرْدِيدًا

هَذَا وَفِي (أَصْنَامِ ابْنِ الْكَلْبِيِّ): كَانَتْ لِقَرِيْشٍ أَصْنَامٌ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ، وَكَانَ أَعْظَمُهَا عِنْدَهُمْ هَبْلٌ، وَكَانَ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ قَدَامَهُ سَبْعَةٌ أَقْدَحٌ، مَكْتُوبٌ فِي أَوَّلِهَا: «صَرِيحٌ» وَالْآخِرُ: «مَلْصِقٌ». فِإِذَا شَكُّوا فِي مَوْلُودٍ، أَهْدَوْا هَدِيَّةً، ثُمَّ ضَرَبُوا بِالْقِدَاحِ فَإِنْ خَرَجَ «صَرِيحٌ» الْحَقُّوهُ بِهِ، وَإِنْ خَرَجَ «مَلْصِقٌ» دَفَعُوهُ.

هَذَا، وَيُقَالُ لِرَبِيْعِهِ وَمَضْرُ: الصَّرِيحَانِ مِنْ وَلَدِ نَزَارٍ، وَكَانَ وَلَدُهُ أَرْبَعَةٌ:

هُمَا مَعَ إِيَادٍ وَأَنْمَارٍ. وَيُقَالُ لِقِصِيِّ وَزَهْرَةَ ابْنِي كِلَابٍ: صَرِيحَا قَرِيْشٍ.

«وَالْمَحَقُّ كَالْمَبْطُلِ» فِي (مَنَاقِبِ ابْنِ طَلْحَةَ الشَّافِعِيِّ): قَدِمَتْ سُوْدَةُ بِنْتُ عِمَارَةَ الْهَمْدَانِيَّةُ بَعْدَ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَعَاوِيَةَ، فَجَعَلَ يُؤَنِّبُهَا عَلَى تَحْرِيبِهَا عَلَيْهِ أَيَّامَ صَفِيْنٍ - إِلَى أَنْ قَالَ - قَالَ مَعَاوِيَةُ لَهَا: مَا حَاجَتُكَ؟ قَالَتْ: إِنَّ اللَّهَ سَأَلَكَ عَنْ أَمْرِنَا، وَلا يَزَالُ يَقْدُمُ عَلَيْنَا مِنْ قَبْلِكَ مَنْ يَسْمُو بِمَكَانِكَ، وَيَبْطِشُ بِسُلْطَانِكَ، فَيَحْصِدُنَا حِصْدَ السَّنْبِلِ، وَيَدُوسُنَا دُوسَ الْحَرْمَلِ، يَسُومُنَا الْخَسْفَ وَيَذِيْقُنَا الْحَتْفَ، وَهَذَا بَسْرُ بَنِ أَرْطَاهُ قَدِمَ عَلَيْنَا فَقَتَلَ رِجَالَنَا وَأَخَذَ أَمْوَالَنَا فَإِنْ عَزَلْتَهُ عَنَّا شَكَرْنَاكَ وَإِلَّا كَفَرْنَاكَ. فَقَالَ مَعَاوِيَةُ: إِنِّي أَيْتَى تَهْدِيْنِ بِقَوْمِكَ؟ لَقَدْ هَمَمْتُ أَنْ أَحْمَلَكَ عَلَى قَتَبِ أَشْرَسٍ فَأُرَدِّكَ إِلَيْهِ، فَيَنْفِذَ فِيكَ حَكْمَهُ.

فأطرت سوده ساعه، ثم قالت:

صلى الإله على روح تضمنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحق لا يبغى به بدلا فصار بالحق والإيمان مقرونا

فقال معاويه: من هذا يا سوده؟ فقالت: هذا والله أمير المؤمنين على بن أبي طالب والله لقد جئته في رجل كان ولآه صدقاتنا، فجار علينا، فجئته فصادفته قائما يصلى، فلما رأني انفلت من صلاته، ثم أقبل على برحمه ورفق ورأفه وتعطف، وقال: ألك حاجة؟ فقلت: نعم. وأخبرته، فبكى ثم قال: «اللهم أنت الشاهد على و عليهم أنى لم أمرهم بظلم خلقك. ولا بترك حقك، ثم أخرج من جيبه قطعه جلد، فكتب فيها: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ» ... «قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ» ... «ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» (١) فإذا قرأت كتابى فاحتفظ بما فى يدك من عملنا حتى يقدم من يقبضه منك. ثم رفع الرقعه إلى فو الله ما ختمها بطين ولا خزمها، فجئت بالرقعه إلى صاحبه، فانصرف عنا معزولا.

«و لا المؤمن كالمدغل» أى: المفسد والغاش «أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ» (٢).

وقد أجمعوا على أنه عليه السلام المراد من المؤمن فى الآيه.

وفى (صفين نصر) (٣) قال الأصبغ: جاء رجل إلى على عليه السلام فقال: هؤلاء القوم الذين نقاتلهم، الدعوه واحده و الرسول واحد و الصلاه واحده و الحج واحد، فبم نسميهم؟ قال: بما سماهم الله فى كتابه- قال: ما كل ما فى الكتاب

ص: ٢٥٨

[١- ١] الأعراف: ٨٥. [١]

[٢- ٢] السجده: ١٨. [٢]

[٣- ٣] صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٢. [٣]

أعلمه. قال: أما سمعت الله يقول: «تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ» - إلى - «وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ» (١)؟ فلما وقع الاختلاف كنا نحن أولى بالله وبالكتاب وبالنبي وبالحق، فنحن الذين آمنوا، وهم الذين كفروا و شاء الله قتالهم، فقاتلناهم هدى بسنة الله ربنا و ارادته.

و في (مروج المسعودي) (٢) قال ابن بكار في (موفياتة): سمعت المدائني يقول: قال المطرف بن المغيرة بن شعبه: وفدت مع أبي إلى معاوية، فكان أبي يتحدث عنده ثم ينصرف إلي، فيذكر معاوية و يذكر عقله، و يعجب مما يرى منه، إذ جاءت ذات ليله فأمسك عن العشاء، فظننت أنه لشيء حدث فينا أو في عملنا، فقلت له: مالي أراك مغتما منذ الليلة؟ قال: يا بني إني جئت من عند أخبث الناس. قلت له: و ما ذاك. قال: قلت له و قد خلوت به: إنك قد بلغت مناك فلو أظهرت عدلا و بسطت خيرا فأنتك قد كبرت، و لو نظرت إلى إختوتك من بنى هاشم فوصلت أرحامهم، فو الله ما عندهم اليوم شيء تخافه. فقال لي: هيهات، ملك أخو تيم فعدل و فعل ما فعل، فو الله ما عدا ان هلك، فهلك ذكره، إلا أن يقول قائل: أبو بكر. ثم ملك أخو عدى فاجتهد و شمّر عشر سنين، فو الله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره إلا - أن يقول قائل: قال عمر. ثم ملك أخونا عثمان فملك رجل لم يكن أحد مثل نسبه، فعمل ما عمل و عمل به، فو الله ما عدا أن هلك، فهلك ذكره و ذكر ما فعل به، و إن أخا هاشم يصرخ به في كل يوم خمس مرّات: أشهد أنّ محمدا رسول الله، فأى عمل يبقى مع هذا، لا أم لك؟ و الله ألا دفنا دفنا.

ص: ٢٥٩

١ - ١) البقرة: ٢٥٣. [١]

٢ - ٢) مروج الذهب للمسعودي ٤٠: ٤٠-٤١. [٢]

«و لبئس الخلف خلفا» هكذا في (المصريه) (١) و هو غلط، و الصواب:

(خلف) كما هو القاعده و كما في (ابن أبي الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣).

و في (مقاتل أبي الفرج) (٤): لَمَّا بُويع معاويه خطب فذكر عليًا عليه السَّلام، فقال منه و نال من الحسن عليه السَّلام، فقام الحسين عليه السَّلام ليرد عليه، فأخذ الحسن عليه السَّلام بيده فأجلسه، ثم قام فقال: أيها الذاكر عليًا، أنا الحسن و أبي علي، و أنت معاويه و أبوك صخر و أمي فاطمه و أمك هند، و جدى رسول الله و جدك حرب، و جدتى خديجه و جدتك قتيله، فلعن الله الأئمة ذكرا، و أحسنا حسبا و شرفا، و أقدمنا كفرا و نفاقا. فقال طوائف من المسجد: آمين.

«يتبع سلفا في نار جهنم» في (لهوف ابن طاوس): لَمَّا جعل يزيد ينكت بقضيه ثانيا الحسين عليه السَّلام و يتمثل بأبيات ابن الزبيرى و يزيد عليها:

ليت أشياخى بيدر شهدوا جزع الخزرج من وقع الأسل

لأهلوا و استهلوا فرحا ثم قالوا يا يزيد لا تشل

قامت زينب و قالت فى ما قالت له: تهتف بأشياخك؟! فلتردن و شيكا موردهم، و لتودن أنك شللت و بكمت و لم يكن فعلت ما فعلت و قلت ما قلت .

«و فى أيدينا بعد فضل النبوه» فى (مناقب ابن طلحه الشافعى): قال جابر الأنصارى: سمعت عليًا عليه السَّلام ينشد و النبى صلى الله عليه و آله يسمع:

أنا أخو المصطفى لا شك فى نسبي

«التي أذللنا بها العزيز» كأبى سفيان أبيه.

«و نعشنا» أى: رفعنا.

ص: ٢٦٠

١- (١) الطبعة المصريه: ١٨ الكتاب ١٧.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ١٥. [١]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٣٨٩: ٤.

٤- (٤) المقاتل لأبى الفرج: ٤٦.

«بها الدليل» كسلمان و مقداد و عمار، هذا و فى (تاريخ بغداد) (١): قال أعراب من كلاب لدعبل - و كان هجاهم -: ممّن أنت؟ فكره دعبل أن يقول: من خزاعه فيهجوهم فقال: أنا أتمى الى القوم الذين يقول فيهم الشاعر:

اناس على الخير منهم و جعفر و حمزه و السجاد ذو الثففات

إذا افتخروا يوما أتوا بمحمد و جبريل و القرآن و السورات

فوثب الاعرابى و هو يقول: محمد و جبريل و القرآن و السورات! مالى الى هؤلاء مرتقى، مالى الى هؤلاء مرتقى.

و فى (الأغانى) (٢): وفد عمر بن أبى ربيعه على عبد الملك، فقال له:

أخبرنى عن منازعتك اللهبى فى المسجد الجامع، فقد أتانى نبأ ذلك، و كنت أحب أن أسمعك منك. فقال: بينا أنا جالس فى المسجد الحرام فى جماعه من قريش، إذ دخل علينا الفضل بن العباس بن عتبه فسلم و جلس، و وافقنى و أنا أتمثل بهذا البيت:

و أصبح بطن مكة مقشعرا كان الأرض ليس بها هشام

فأقبل على، فقال: يا أبا بنى مخزوم و الله إن بلده تبجح بها عبد المطلب، و بعث فيها النبى صلى الله عليه و آله، و فيها بيت الله تعالى، لحقيقه ألا تقشعر لهشام. و إن أشعر من هذا البيت و أصدق، قول من يقول:

إنما عبد مناف جوهر زين الجوهر عبد المطلب

فأقبلت عليه فقلت: يا أبا بنى هاشم إن أشعر من صاحبك، الذى يقول:

إن الدليل على الخيرات أجمعها أبناء مخزوم للخيرات مخزوم

فقال لى: أشعر - و الله - من صاحبك، الذى يقول:

ص: ٢٤١

١ - ١) تاريخ بغداد ٣٨٣: ٨. [١]

٢ - ٢) الأغانى ١٨٧: ١٦. [٢]

جبريل أهدي لنا الخيرات أجمعها آرام هاشم لا أبناء مخزوم

فقلت في نفسي: غلبني و الله، ثم حملني الطمع في انقطاعه عني، فقلت له:

بل أشعر منه الذي يقول:

أبناء مخزوم الحريق اذا حرّكته تاره ترى ضرما

يخرج منه الشرار مع لهب من حاد عن حدّه فقد سلما

فو الله ما تلعثم أن أقبل عليّ بوجهه، فقال: يا أبا بني مخزوم، أشعر من صاحبك و أصدق، الذي يقول:

هاشم بحر اذا سما و طما أحمده حر الحريق و اضطرما

و اعلم- و خير القول أصدقه- بأن من رام هاشما هشما

فتمنيت و الله أن الأرض ساخت بي، ثم تجلّدت عليه، فقلت: يا أبا بني هاشم أشعر من صاحبك، الذي يقول:

أبناء مخزوم أنجم طلعت للناس تجلو بنورها الظلما

تجود بالنيل قبل تسأله جودا هنيئا و تضرب البهما

فأقبل عليّ بأسرع من اللحظ، ثم قال: أشعر من صاحبك و أصدق، الذي يقول:

هاشم شمس بالسعد مطلعها اذا بدت أخفت النجوم معا

اختارنا الله في النبي فمن قارعنا بعد أحمد قرعا

فأسودت الدنيا في عيني، فانقطعت فلم أجد جوابا، ثم قلت له: يا أبا بني هاشم إن كنت تفتخر علينا بالنبي صلّى الله عليه و آله، فما تسعنا مفاخرتك. فقال: كيف لا نفتخر به و لو كان منك لفخرت به عليّ؟ فقلت: صدقت، إنّه لموضع الفخار.

و سررت بقطعه الكلام، ثم إنّه ابتدأ المناقضة، ففكر هنيئاً ثم قال: قد قلت فلم أجد بدا من الاستماع. فقلت: هات. فقال:

نحن الذين إذا سما بفخارهم ذو الفخر أقعده هناك القعد
افخر بنا إن كنت يوماً فاخرا تلق الألى فخروا بفخرك افردوا
قل يا بن مخزوم لكلّ مفاخر منّا المبارك ذو الرسالة أحمد
ما ذا يقول ذوو الفخار هنا لكم هيهات ذلك هل ينال الفرقد
فحصرت و تبدلت، ثم قلت له: انظرني. و أفكرت ملياً ثم أنشأت أقول:

لا فخر إلا قد علاه محمد فاذا فخرت به فأنى أشهد

ان قد فخرت وفتت كلّ مفاخر و إليك في الشرف الرفيع المقصد

و لنا دعائم قد تناهى أول في المكرمات جرى عليها المولد

من رامها حاشى النبى و أهله في الأرض غطغظه الخليج المزبد

دع و ذا و رح بفناء خود بضمه مما نطقت به و غنى معبد

مع فيه تندى بطون أكفهم جوداً إذا هز الزمان الأندك

يتناولون سلافه عاميه طابت لشاربها و طاب المقعد

فو الله لقد أجبني بجواب كان أشدّ على من الشعر، فقال لى: يا أبا بنى مخزوم اريك السها، و ترينى القمر. و هذا مثل، أى: تخرج من المفاخره الى شرب الراح-الى أن قال-فقلت: لا أرى شيئاً أصلح من السكوت. فضحك و قام عنى. قال: فضحك عبد الملك حتى استلقى، و قال: يا بن أبى ربيعه أما علمت أنّ لبنى عبد مناف ألسنه لا تطاق؟ قلت: قول عبد الملك نظير قول معاويه: «إنّا بنو عبد مناف». .

«و لما أدخل الله العرب فى دينه أفواجاً» قال تعالى: «إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَ الْفَتْحُ وَ رَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا» (١).

«و أسلمت له هذه الامه طوعاً و كرها» بعد فتح مكه.

ص: ٢٤٣

«كنتم ممن دخل الدين إما رغبة وإما رهبة» لأن إسلامهم كان بعد الفتح، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بعد الفتح لأهل مكة كما في (الطبري) (١): «أذهبوا فأنتم الطلقاء» فاعتقهم وقد كان الله أمكنه من رقابهم عنوه و كانوا له فيئا. و انما قوله عليه السلام:

«إما رغبة وإما رهبة» نظير قوله تعالى: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (٢). و إلا فمعلوم كون دخولهم في الدين رهبة.

«على حين فاز أهل السبق بسبقهم و ذهب المهاجرون الأوّلون بفضلمهم» في (الطبري) (٣): قال العباس لأبي سفيان قبل أن يرد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مكة: اركب عجز بغلتي لاستأمن لك النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فو الله لئن ظفر ليضربن عنقك-الى أن قال- فلما رأى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أبا سفيان قال له: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم ألا إله إلا الله؟ فقال: و الله لقد ظننت أن لو كان مع الله غيره، لقد أغنى عنى شيئا. فقال: ويحك! ألم يأن لك أن تعلم أنني رسول الله؟ فقال: أمّا هذه ففي النفس منها شيء. فقال له العباس: ويلك! تشهد شهادة الحق قبل أن يضرب عنقك. فتشهد، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ للعباس: احبسه عند خطم الجبل بمضيق الوادي، حتى تمرّ عليه جنود الله-الى أن قال- فقال أبو سفيان للعباس: لقد أصبح ملكك ابن أخيك عظيما. فقال له العباس: ويحك! إنها النبوة. فقال: نعم إذن-الى أن قال- قال الواقدي: و أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بقتل ستة نفر، و أربع نسوة، منهن هند ام معاوية- إلى أن قال- فجاءته هند متنّبه متنكره، لحدثها و ما كان من صنعها بحمزه، في بيعه النساء- إلى أن قال- قال لهن: «و لا تسرفن». فقالت هند: و الله إن كنت لاصيب من مال أبي سفيان الهنه الهنه. فقال لها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و آله: و إنك لهند؟ قالت:

ص: ٢٤٤

١-١ (١) تاريخ الطبري ٣:٤١. [١]

٢-٢ (٢) سبأ: ٢٤. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٣:٥٣. [٣]

أنا هند، فاعف. قال: «و لا- تزنين» قالت: و هل تزنى الحره؟ فقال: «و لا- تقتلن أولادكن». فقالت: «ربينا هم صغارا و قتلتهم يوم بدر كبارا»، فانت و هم أعلم.

فضحك عمر من قولها حتى استغرب .

«فلا تجعلن للشيطان فيك نصيبا و لا على نفسك سيلا» بادعاء الباطل، فقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ- كما رواه (صفين نصر) (١):- إذا رأيتم معاويه يخطب على منبري، فاضربوا عنقه.

و فيه (٢): خرج عمّار يوم الثالث، و خرج إليه عمرو بن العاص، فجعل عمّار يقول: يا أهل الاسلام أ تريدون أن تنظروا إلى من عادى الله و رسوله، و جاهدهما و بغى على المسلمين، و ظاهر المشركين، فلما أراد الله أن يظهر دينه، و ينصر رسوله أتى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَسْلَمَ، و هو و الله ما يرى راهب غير راغب، و قبض الله رسوله و إنّنا و الله لنعرفه بعداوه المسلم، و موده المجرم؟ ألا و إنّ معاويه، فالعنوه لعنه الله، و قاتلوه فإنّه ممّن يطفىء نور الله، و يظاهر أعداء الله.

و مر في (١١) فصل الإمامه العامه: أن قوما استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين و الأنصار، و لكلّ فضل، حتى اذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء و خصّه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بسبعين تكبيره....

٧

الخطبه (٥٥)

و من كلام له عليه السّلام و قد استبطأ أصحابه إذنه لهم في القتال بصفين:

أَمَّا قَوْلُكُمْ أ كُلُّ ذَلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ - فَوَاللَّهِ مَا أَبَالِي - دَخَلْتُ إِلَيَّ

ص: ٢٤٥

[١-١] صفين لنصر بن مزاحم: ٣١٦. [١]

[٢-٢] صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٤. [٢]

الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ - وَ أَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ؟ - فَوَاللَّهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا - إِلَّا وَ أَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي - وَ تَعْشُرَ إِلَيَّ ضَوْئِي - وَ ذَلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا - وَ إِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِأَثْمِهَا أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ (١): لَمَّا مَلَكَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَاءَ بِصَفِينِ، ثُمَّ سَمِحَ لِأَهْلِ الشَّامِ بِالْمِشَارَكَةِ فِيهِ، اسْتَمَالَ لَهُمْ وَ أَظْهَارًا لِلْمَعْدَلِ وَ حَسَنَ السَّيْرِ فِيهِمْ، مَكَثَ أَيَّامًا لَا يَرْسِلُ إِلَى مَعَاوِيَةَ وَ لَا يَأْتِيهِ مِنْ عِنْدِهِ أَحَدٌ، فَاسْتَبَطَّ أَهْلَ الْعِرَاقِ إِذْ نَهَى لَهُمْ فِي الْقِتَالِ وَ قَالُوا لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: خَلَّفْنَا ذُرَارِينَا وَ نِسَاءَنَا بِالْكُوفَةِ وَ جِئْنَا إِلَى أَطْرَافِ الشَّامِ لِنَتَّخِذَهَا وَطَنًا؟ ائْذَنْ لَنَا فِي الْقِتَالِ، فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ قَالُوا.

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا قَالُوا؟ فَقِيلَ: إِنَّ النَّاسَ يَظُنُّونَ أَنَّكَ تَكْرَهُ الْحَرْبَ كِرَاهِيَةً لِلْمَوْتِ، وَ إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَنْ يَظُنُّ أَنَّكَ فِي شَكِّكَ مِنْ قِتَالِ أَهْلِ الشَّامِ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: وَ مَتَى كُنْتُ كَارَهَا لِلْحَرْبِ قَطُّ؟ إِنَّ مِنَ الْعَجَبِ حَبِي لَهَا غَلَامًا وَ يَافِعًا، وَ كِرَاهِيَتِي لَهَا شَيْخًا بَعْدَ نِفَادِ الْعَمْرِ وَ قُرْبِ الْمَوْتِ، وَ أَمَّا شَكِّي فِي الْقَوْمِ فَلَوْ شَكَّكَ فِيهِمْ، لَشَكَّكَ فِي أَهْلِ الْبَصْرَةِ، وَ اللَّهُ لَقَدْ ضَرَبَتْ هَذَا الْأَمْرَ ظَهْرًا وَ بَطْنًا، فَمَا وَجَدْتَ يَسْعُنِي إِلَّا الْقِتَالُ، أَوْ أَنْ أَعْصَى اللَّهَ وَ رَسُولَهُ، وَ لَكِنِّي اسْتَأْنَى بِالْقَوْمِ عَسَى أَنْ يَهْتَدُوا أَوْ تَهْتَدِي مِنْهُمْ طَائِفَةٌ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ قَالَ لِي يَوْمَ خَيْبَرَ لَنْ يَهْدِيَ اللَّهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرَ لَكَ مِمَّا طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ. ثُمَّ نَقَلَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ (٢): رَوَاهُ نَصْرُ بْنُ مَزَاحِمٍ فِي (صَفِينِهِ) (٣): بَعَثَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَمْعًا إِلَى مَعَاوِيَةَ وَ مَشَى الْقِرَاءَ بَيْنَهُمَا - إِلَى أَنْ قَالَ - فَقَالَ الْقِرَاءُ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ مَعَاوِيَةَ يَقُولُ لَكَ: إِنْ كُنْتُ صَادِقًا فِي عَدَمِ

ص: ٢٦٦

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٣. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٤: ١٦. [٢]

٣-٣ (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ١٨٩. [٣]

قتلك عثمان و عدم أمرک بقتله، فأقدنا من قتلته، فإنهم فى عسكرک و جندک و عضدک. فقال عليه السّلام لهم: إنّ القوم تأولوا عليه القرآن و وقعت الفرقة، فقتلوه فى سلطانه، و ليس على ضربهم قود. ثم قال ابن أبى الحديد (١): و لا- أدرى لم عدل عليه السّلام عن الحجّه بما هو أوّضح من هذا الكلام؟ و هو أن يقول: إنّ الذين باشروا قتل عثمان بأيديهم كانا اثنين، و هما قتر بن وهب و سودان بن حمران، و كلاهما قتل يوم الدار، قتلها عبيد عثمان، و الباقون الذين جندى و عضدى- كما تزعمون- لم يقتلوا بأيديهم و إنّما اغروا به و حصروه، و أجبوا عليه و هجموا على داره، كمحمّد بن أبى بكر و الأشر و عمرو بن الحمق و غيرهم، و ليس على هؤلاء قود. و قوله عليه السّلام: و ليس على ضربهم قود.

أى: على مثلهم.

قلت: هل هو أعلم بالقضيه و بقضائها منه عليه السّلام؟ و كيف أنكر تصدّى اولئك و قد طعنه عمرو بن الحمق تسع طعنات؟ و كون عمّار من قتلته مسلم، فقال معاويه لجمع أرسلهم عليه السّلام إليه: أأستم تعلمون أنّ قتله صاحبنا أصحاب صاحبكم؟ فليدفعهم إلينا فنقتلهم به، ثم نجيبكم إلى الطاعه. فقال له شيبث:

أيسرك بالله إن امكنت من عمّار فقتلته؟ فقال: و الله لو أمكنتى صاحبكم من ابن سميه ما قتلته بعثمان، و لكنى أقتله بنائل مولاة. فقال له شيبث: و إله السماء ما عدلت معدلا.

كما أنّ كون محمّد بن أبى بكر من قتلته أيضا مسلم، ففى (الطبرى) (٢):

كتب معاويه إليه: سعيت عليه فى الساعين و سفكت دمه فى السافكين- إلى أن قال- و عدوك على عثمان يوم تطعن بمشاقصك بين أحشائه و أوداجه. و ما

ص: ٢٦٧

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٤: ٥٩. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٤: ٧٦.

ينفعه تأويله لفظ «ضربهم»؟ و كون عثمان عنده عليه السّلام مباح الدم أمر واضح، فلما جاء شرحبيل و معن من قبل معاوية إليه عليه السّلام-و قد نقله بعد عن (صفين نصر) (١) قالوا له عليه السّلام:

أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوما؟ فقال لهما: إنّى لا- أقول ذلك. قالوا: فمن لم يشهد أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه براء. ثمّ قاما فانصرفا، فقال على عليه السّلام «فإنّك لا تسمع الموتى و لا تسمع الصّمّ الدّعاء إذا ولّوا مُدبرين» (٢).

«أمّا قولكم أكلّ» و فى (ابن ميثم) (٣): «كلّ» ثم الظاهر كون (كل) بالرفع مبتدأ. و يجوز أن يقرأ بالنصب، لقوله بعد (أو): «أمّا قولكم: «شكا فى أهل الشام» فيقدر له ناصب كما له.

«ذلك» أى: تأخير الحرب.

«كراهيه الموت فو الله ما ابالى» أى: لا اكثرث.

«أدخلت» هكذا فى (المصريه) (٤)، و الصواب: (دخلت) كما فى (ابن أبى الحديد) (٥) و (ابن ميثم) (٦) و (الخطبه).

«الى الموت أو خرج الموت» لعل لإظهار مع كون المقام مقام الإضمار، لتأكيد عدم مبالاته عليه السّلام بالموت.

«إلى» فإنّه عليه السّلام كان يقول-لما كانوا يقولون: سكت عن طلب الملك جزعا من الموت-: و الله لا-بن أبى طالب آنس بالموت من الطفل بثدى امه.

ص: ٢٤٨

١-١) وقعه صفين لنصر بن مزاحم: ٢٠١-٢٠٢. [١]

٢-٢) الروم: ٥٢. [٢]

٣-٣) شرح ابن ميثم ١٤٥: ٢، و فيه: «أمّا قولكم: أكلّ ذلك».

٤-٤) الطبعه المصريه: ٩٩ الخطبه ٥٥.

٥-٥) شرح ابن أبى الحديد ١٢: ٤. [٣]

٦-٦) شرح ابن ميثم ١٤٥: ٢.

و فى (صفين نصر) (١): عن زيد بن وهب قال مر على عليه السّلام يومئذ و معه بنوه نحو الميسره، و إنى لأرى النبل يمر بين عاتقه و منكبيه، ثم إن أهل الشام دنوا منه، و الله ما يزيد قريهم منه سرعه فى مشيه، فقال له الحسن عليه السّلام: ما ضرّك لو سعت حتى تنتهى إلى هؤلاء الذين صبروا لعدوّك من أصحابك؟ فقال: يا بنى لأبيك يوم لن يعدوه، و لا يبطل به عنه السعى، و لا يعجل به إليه المشى. إن أباك و الله ما يبالي وقع على الموت أو وقع الموت عليه.

و عن (٢) عبد الرحمن بن حاطب: كان على عليه السّلام إذا أراد القتال هلل و كبر، ثم قال:

أى يومى من الموت أفر يوم ما قدر أم يوم قدر

«و أمّا قولكم: شكافى أهل الشام، فو الله ما دفعت الحرب يوماً إلّا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهدى بى» ممّن لحق به عليه السّلام ابن عم لعمر بن العاص، ففى (صفين نصر) (٣): أن ابن عمّ لعمر و قال له: إنك ان لم ترد معاويه، لم يردك، و لكنك تريد دنياه و يريد دينك. فبلغ معاويه قوله، فطلبه فلحق بعلى عليه السّلام، فحدّثه بأمر عمرو و معاويه، فسرّ ذلك علياً عليه السّلام و قرّبه.

و لحق به عليه السّلام ابن اخت لشرحبيل بن السمط، ففى (صفين نصر) (٤): لما كتب جرير إلى شرحبيل ينصحه، ذعر و فكر فلفف له معاويه الرجال يعظّمون عنده قتل عثمان، و يرمون به علياً عليه السّلام، و يقيمون الشهاده الباطله، و الكتب المختلفه، حتى أعادوا رأيه. فقال ابن اخت له من بارق- و كان لحق أهل الشام:-

لعمر أبى الأشقى ابن هند لقد رمى شرحبيل بالسهم الذى هو قاتله

ص: ٢٤٩

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٤٩. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٥. [٢]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٢. [٣]

٤-٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٩-٥٠. [٤]

فقال شرحبيل: والله لأسيرن إلى صاحب هذا الشعر، أو ليفوتني. فهرب الفتى إلى الكوفة و كان أصله منها. و كاد أهل الشام أن يرتابوا...

و لحق به عليه السّلام صديق لعمر و بن العاص، ففى (صفين نصر) (١): ذكروا أنّه لما غلب أهل الشام على الفرات فرحوا بالغلبه، و قال معاويه: هذا أول الظفر. فقام إليه رجل يقال له ابن الأقبل - و كان ناسكا، و كان له فى ما يذكر همدان لسان، و كان صديقا لعمر و - فقال له: أما تعلم ان فيهم العبد و الأمه و الأجير و الضعيف، و من لا ذنب له؟ هذا و الله أول الجور، لقد شجعت الجبان، و بصّرت المرتاب، و حملت من لا يريد قتالك على كتفيك. فأغلظ له، فقال الرجل أبياتا: و لحق فى سواد الليل بعلى عليه السّلام.

و لحق به عليه السّلام شامى سمع قول النّبي صلّى الله عليه و آله فى معاويه، لثما رأى بيعه أهل الشام معه، ففى (صفين نصر) (٢): عن أبى حرب بن الأسود عن رجل من أهل الشام عن أبيه، قال: سمعت النّبي صلّى الله عليه و آله يقول: «شرّ خلق الله خمسه: إبليس، و ابن آدم الذى قتل أخاه، و فرعون ذو الأوتاد، و رجل من بنى إسرائيل ردّهم عن دينهم، و رجل من هذه الامه يبايع على كفره عند باب لد». قال الرجل:

فلما رأيت معاويه يبايع عند باب لد ذكرت قول النّبي صلّى الله عليه و آله، فلحقت بعلى عليه السّلام فكنت معه.

و لحق به شمر بن أبرهه الحميرى، و جمع من القراء، ففى (صفين نصر) (٣): عن الزهرى قال: خرج فى اليوم الخامس من صفر شمر بن ابرهه الحميرى فى ناس من قراء أهل الشام، فلحق بعلى عليه السّلام، ففت ذلك فى عضد

ص: ٢٧٠

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ١٦٣-١٦٤. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢١٧. [٢]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٢٢. [٣]

معاويه و عمرو بن العاص، فقال عمرو لمعاويه: إنك تريد أن تقاتل بأهل الشام رجلا له من محمد قرابه قريبه، و رحم ماسه، و قدم في الاسلام لا- يعتد أحد بمثله، و نجده في الحرب لم تكن لأحد من أصحاب محمّد، و إنه قد سار إليك بأصحاب محمّد المعدودين، و فرسانهم و قزائهم، و أشرفهم و قدمائهم في الاسلام، و لهم في النفوس مهابه، فبادر بأهل الشام محاش الوعر، و مضائق الغيظ، و آتهم من باب الطمع قبل أن ترفههم، فيحدث عندهم طول المقام مللا، فيظهر فيهم كآبه الخذلان، و مهما نسيت فلا تنس أنك على باطل و أنه على الحق.

و لحق به عليه السّلام عبد الله بن عمر العنسى لسماح ذى الكلاع حديث: (قتل الفئه الباغيه لعَمّار) في أيام عمر من عمرو بن العاص، ففي (صفيين نصر) (1)، عن الإفريقي بن أنعم قال: قال أبو نوح الحميري: كنت في خيل على عليه السّلام، إذا أنا برجل من أهل الشام يقول: من دل على الحميري؟ قلت: أيهم تريد؟ قال: أبو نوح. قلت: قد وجدته، فمن أنت؟ قال: أنا ذو الكلاع، سرّ إلى. فقلت: معاذ الله أن أسير إليك إلا- في كتيبه. قال: سرّ فلنك ذمّه الله و ذمّه رسوله و ذمّه ذى الكلاع، حتى ترجع إلى خيلك، فإنما أريد أن أسألك عن أمر فيكم تمارينا فيه. فسارا حتى التقيا، فقال له ذو الكلاع: إنما دعوتك احداثك حديثا حدثنا به عمرو بن العاص أيام إماره عمر: أنّ النبي صلّى الله عليه و آله قال: «يلتقى أهل الشام و أهل العراق، و في احدي الكتيبتين الحق و إمام الهدى و معه عمّار بن ياسر». فقال له: إنّ عمّارا و الله لفينا. قال: أجادّ هو في قتالنا؟ قال: نعم و ربّ الكعبه، هو أشد على قتالكم منّي، و لوددت أنّكم خلق واحد فذبحته، و بدأت بك قبلهم و أنت ابن عمي. قال: ويلك علام تتمنى ذلك منّي؟ و الله ما قطعتك في ما بيني و بينك، و إنّ

ص: ٢٧١

رحمك لقريبه، و ما يسرنى أنى أقتلك. قال أبو نوح: إن الله قد قطع بالإسلام أرحاما قريبه، و وصل به أرحاما متباعده، و أنى يكون بيننا وصل و نحن على الحق، و أنتم على الباطل مقيمون مع أئمة الكفر و رءوس الأحزاب؟ فقال ذو الكلاع هل تستطيع أن تأتي معى صف أهل الشام، فانا جار لك منهم، حتى تلقى عمرو بن العاص فتخبره بجدّ عمّار فى قتالنا؟- إلى أن قال- ثم سار أبو نوح حتى أتى عمرا، و هو عند معاويه، فقال ذو الكلاع لعمرو: هل لك فى رجل ناصح لبيب شفيق يخبرك عن عمّار لا يكذبك؟ قال عمرو: و من هو؟ قال: ابن عمى هذا، و هو من أهل الكوفه. فقال عمرو لأبى نوح: إننى لأرى عليك سيماء أبى تراب. قال أبو نوح: على عليه السّلام عليه سيماء محمّد صلّى الله عليه و آله و أصحابه، و عليك سيماء أبى جهل و سيماء فرعون- إلى أن قال بين ذكر جمعه بين عمّار و عمرو- فقال عمّار لعمرو: أ لست تعلم- أيها الأبتى- أنّ النبى صلّى الله عليه و آله قال لعلىّ عليه السّلام: من كنت مولاه فعلىّ مولاه اللهم وال من والاه و عاد من عاداه- إلى أن قال- فقال عمرو: فما ترى فى قتل عثمان؟ قال عمّار: فتح لكم باب كلّ سوء.

قال عمرو: فعلىّ قتله؟ قال عمّار: بل الله ربّ على قتله، و على معه. قال عمرو:

أ كنت فى من قتله؟ قال: كنت مع من قتله؟ و أنا اليوم أقاتل معهم. قال عمرو:

فلم قتلتموه؟ قال عمّار: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه- إلى أن قال- و مشى عبد الله بن سويد سيد جرش إلى ذى الكلاع فقال له: لم جمعت بين الرجلين؟ قال:

لحديث سمعته من عمرو، ذكر أنّه سمعه من النبى صلّى الله عليه و آله، و هو يقول لعمّار:

«تقتلك الفئة الباغية» فخرج عبد الله بن عمر العنسى- و كان من عبّاد أهل زمانه- ليلا فأصبح فى عسكر على عليه السّلام، و قال لذى الكلاع:

و الراقصات بركب عامدين له إنّ الذى جاء من عمرو لمأثور

قد كنت اسمع- و الأنباء شاعه

و اليوم أبرأ من عمرو و شيعته و من معاويه المحدو به العير

لا، لا اقاتل عمّارا على طمع بعد الروايه حتى ينفخ الصور

تركت عمرا و أشياعا له نكدا إننى بتركهم يا صاح معذور

يا ذا الكلاع فدع له معشرا كفروا أو لا فدينك عين فيه تغير

ما فى مقال رسول الله فى رجل شكّ و لا فى مقال الرسل تحيير

فلما سمع معاويه بهذا الشعر بعث إلى عمرو: أن أفسدت علىّ أهل الشام، أكّل ما سمعته من النبى صلّى الله عليه و آله تقوله؟ فقال

عمرو:قلتها و لست أعلم الغيب، ولا أدري أنّ صفيين تكون، وقد رويت أنت في عمّار مثل الذي رويت.

ص: ٢٧٢

و الراقصات بركب عامدين له إنّ الذي جاء من عمرو لمأثور

قد كنت اسمع -و الأنباء شائعه

و اليوم أبرأ من عمرو و شيعته و من معاويه المحدو به العير

لا، لا اقاتل عمّارا على طمع بعد الروايه حتى ينفخ الصور

تركت عمرا و أشياعا له نكدا إنّى بتركهم يا صاح معذور

يا ذا الكلاع فدع له معشرا كفروا أو لا فدينك عين فيه تغير

ما فى مقال رسول الله فى رجل شكّ و لا فى مقال الرسل تحيير

فلما سمع معاويه بهذا الشعر بعث إلى عمرو: أن أفسدت على أهل الشام، أكل ما سمعته من النبي صلى الله عليه و آله تقوله؟ فقال عمرو: قلتها و لست أعلم الغيب، و لا أدري أنّ صفين تكون، و قد رويت أنت فى عمّار مثل الذى رويت.

كما أنّ جمعا من أصحابه عليه السلام الذين كانوا حريصين على الدنيا لحقوا بمعاويه لغلبه الشقاوه عليهم، منهم بشر بن عصفه المزنى، و قيس بن قزّه التميمي، كما فى (الطبرى) (١). و ذو نواس بن هذيم العبدى، و قيس بن زبد الكندى، كما فى (صفين نصر) (٢).

«و تعشو إلى ضوئى» فى (الصحيح): عشوت إلى النار: اذا استدلت عليها ببصر ضعيف، قال الحطيه:

متى تأته تعشو إلى ضوء ناره تجد خير نار عندها خير موقد

قلت: و الأصحّ ما فى (الجمهره) من أنّ العشو: القصد بالليل لا ببصر ضعيف. فقال: العشو مصدر عشوت إلى ضوئك: اذا قصده ليل، ثم صار كلّ قاصد شيئا عاشيا، ثم ذكر بيت الحطيه.

و إنما قال عليه السلام ذلك، لأنّ معاويه لبس الأمر على أهل الشام، ففى (صفين

ص:

١- (١) تاريخ الطبرى ٢٨: ٥-٢٩. [١]

٢- (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٧٠ و ٢٨٥. [٢]

(نصر) (١): مضى هاشم المرقال في عصابه من القراء، إذ خرج عليهم فتى شاب يقول:

أنا ابن أرباب الملوك غسان و الدائن اليوم بدين عثمان

أبانا أقواما بما كان ان علينا قتل ابن عفان

ثم شدّ، فلا يثنى يضرب بسيفه، ثم يلعن و يشتم و يكثر الكلام، فقال له المرقال: إن هذا الكلام بعده الخصام، و إن هذا القتال بعده الحساب، فاتق الله فانك راجع إلى ربك فسائلك عن هذا الموقف. قال: فأني اقاتلكم لأن صاحبكم لا يصلى كما ذكر لي، و أنكم لا- تصلون، و اقاتلكم لأن صاحبكم قتل خليفتنا، و أنتم وازرتموه على قتله. فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمد صلى الله عليه و آله، و قراء الناس حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب، و إن أصحاب محمد صلى الله عليه و آله هم أصحاب الدين و أولى بالنظر في امور المسلمين.

و أما قولك: إن صاحبنا لا يصلى، فهو أول الناس من صلى لله مع النبي صلى الله عليه و آله، و أفقه الناس في دين الله، و أولاهم برسوله، و أما من ترى معه فكأنهم قارئ لكتاب الله لا ينامون الليل تهجدا، فلا يغررك عن دينك الأشقياء المغرورون.

فقال الفتى لهاشم: أتى لأظنك امرأ صالحا، هل تجد لي من توبه؟ قال: نعم، تب إلى الله إنه يتوب عليك، فإنه «يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَ يَغْفُوا عَنْ السَّيِّئَاتِ» (٢) و «يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَ يُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ» (٣). فذهب الفتى راجعا، فقال له رجل من أهل الشام: خدعك العراقي. قال: لا، و لكن نصحنى .

«و ذلك» و في (ابن ميثم) (٤): (فهو).

ص: ٢٧٤

١- ١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٥، ٣٥٤. [١]

٢- ٢) الشورى: ٢٥. [٢]

٣- ٣) البقرة: ٢٢٢. [٣]

٤- ٤) شرح ابن ميثم ١٤٥: ٢. [٤]

«أحبّ إليّ من أن اقتلها على ضلالها و ان كانت تبوء» أى: ترجع.

«بأثامها» فى (الطبرى) (١): مكث الناس فى صفين حتى اذا دنا انسلاخ المحرم، أمر على عليه السّلام مرثد بن الحارث الجشمى، فنادى أهل الشام عند غروب الشمس: ألا إنّ أمير المؤمنين يقول لكم: أتى قد استدمتكم لتراجعوا الحق و تنبوا إليه، و احتججت عليكم بكتاب الله عز و جلّ فدعوتكم إليه، فلم تناهوا عن طغيان، و لم تجيبوا إلى حق. و إنّى قد نبذت إليكم على سواء «إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ» (٢).

و روى الطبرى (٣): أنّه ابتدئ بالقتال فى أوّل يوم من صفر، و كان يوم الأربعاء فخرج الأشر من أصحابه عليه السّلام، و خرج فى مقابله أبو الأعور، و خرج اليوم الثالث عمّار، و خرج فى مقابله عمرو بن العاص، و خرج اليوم الرابع محمد ابن الحنفية، و خرج فى مقابله عبيد الله بن عمرو، و خرج فى اليوم الخامس ابن عباس، و خرج فى مقابله الوليد بن عقبه، و خرج فى اليوم السادس قيس بن سعد ابن عباده، و خرج فى مقابله ابن ذى الكلاع، و خرج فى اليوم السابع أيضا الأشر و حبيب بن مسلمة. فخطب عليه السّلام عشية الثلاثاء بعد العصر فقال: حتى متى لا- ناهض القوم بأجمعنا؟ و قال: الحمد لله الذى لا يبرم ما نقض، و ما أبرم لا ينقضه الناقضون، و لو شاء ما اختلف اثنان من خلقه، و لا- تنازعت الامه فى شىء من أمره، و لا جحد المفضول ذا الفضل فضله. و قد ساقتنا و هؤلاء القوم الأقدار، فلقت بيننا فى هذا المكان، نحن من ربنا بمرأى و مسمع، فلو شاء عجل النقمه و كان منه التغيير، و لكن جعل الدنيا

ص: ٢٧٥

١-١ (١) تاريخ الطبرى ١٠: ٦. [١]

٢-٢ (٢) الأنفال: ٥٨. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٧: ٤-٩. [٣]

دار الأعمال، وجعل دار الآخرة عنده هي دار القرار، «لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى» (١). ألا إنكم ملائقوا القوم غدا فأطيلوا الليله القيام، وأكثروا تلاوه القرآن، وسلوا الله الصبر والنصر، والقوهم بالجد والحزم، وكونوا صادقين. وعياً عليه السلام ليلته كلاًها، وخرج إليهم غداه الأربعاء فاستقبلهم، وقال: اللهم رب السقف المرفوع المحفوظ المكفوف، الذي جعلته مغيضا ليل و النهار، وجعلت فيه مجرى الشمس والقمر و منازل النجوم، وجعلت سكانه سبطا من الملائكة لا يسأمون العباده، و رب هذه الأرض التي جعلتها قرارا للأنام والهوام والأنعام، و ما لا يحصى مما يرى و ما لا يرى من خلقك العظيم، و رب الفلك التي تجرى في البحر بما ينفع الناس، و رب السحاب المسخر بين السماء والأرض، و رب البحر المسجور المحيط بالعالم، و رب الجبال الرواسي التي جعلتها للأرض أوتادا، و للخلق متاعا، إن أظهرتنا على عدونا فجنبنا البغي، و سدنا للحق، و إن أظهرتهم علينا فارزقني الشهاده، و اعصم بقيه أصحابي من الفتنة.

و ازدلف الناس يوم الأربعاء، واقتتلوا أشد قتال حتى الليل، لا ينصرف أحد إلا للصلاه و كثرت القتلى، فأصبحوا من الغد فصلى عليه السلام بهم غداه الخميس، فجلس بالصلاه أشد التغليس، و أقبل - و على ميمته ابن بديل، و على ميسرته ابن عباس، و هو عليه السلام في القلب - في أهل المدينه، بين أهل الكوفه و أهل البصره، و رفع معاويه قبه عظيمه قد ألقى عليها الكرايس، و بايعه معظمهم على الموت، و أحاطت خيل دمشق بقبته، فزحف ابن بديل في ميمته عليه السلام، و قال: قد قاتلناهم مع النبي صلى الله عليه و آله مره، و هذه ثانيه، و الله ما هم في هذه بأثقى و لا أزكى و لا أرشد. فلم يزل يكشف خيل حبيب بن مسلمه من

ص: ٢٧٦

و من خطبه له عليه السلام:

و لَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالٍ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَ خَابَيْطَ الْغَيِّ - مِنْ إِذْهِيَانٍ وَ لَا - إِبْهِيَانٍ - فَاتَّقُوا اللَّهَ عِبَادَ اللَّهِ وَ امْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ - وَ قَوْمُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ - ؟ فَعَلَيْتِي؟ ضَامِنٌ لِفَلْجِكُمْ آجِلًا إِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا أَقُولُ: يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ قَالَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى مَعَاوِيَةَ ابْتِدَاءً أَوْ ثَانِيًا، وَ يُمْكِنُ الِاسْتِنَاسُ لِلأَوَّلِ بِمَا فِي (صَفِينِ نَصْر) (١): أَنْ عَلَيْنَا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَرَادَ الْمَسِيرَ إِلَى الشَّامِ دَعَا إِلَيْهِ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَ الْأَنْصَارِ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَ أَثْنَى عَلَيْهِ وَ قَالَ: إِنَّكُمْ مِيَامِينَ الرَّأْيِ، مَرَاجِيحَ الْحَلْمِ، مَقَاوِيلَ بِالْحَقِّ، مَبَارِكُوا الْفِعْلَ وَ الْأَمْرَ. وَ قَدْ أَرَدْنَا الْمَسِيرَ إِلَى عَدُوِّنَا وَ عَدُوِّكُمْ فَأَشِيرُوا عَلَيْنَا بِرَأْيِكُمْ.

فقام هاشم بن عتبته و قال: أنا بالقوم جد خبير، إنهم لك ولأشياءك أعداء، و لمن يطلب حرث الدنيا أولياء، و هم مقاتلوك و مجاهدوك لا يبقون جهدا، مشاحه على الدنيا، و ضنا بما في أيديهم منها، و ليس لهم إربه غيرها إلا ما يخذعون به الجهال من الطلب بدم عثمان. و قام عمار و قال له عليه السلام: إن استطعت الأ تقيم يوما واحدا، فاشخص بنا قبل استعار نار الفجره، و اجتماع رأيهم على الصدود و الفرقة، و ادعهم إلى رشدهم. و قام قيس بن سعد بن عباده و قال له:

انكمش بنا إلى عدونا، و لا تعرج، فو الله لجهادهم أحب إلي من جهاد الترك و الروم، لإدهانهم في دين الله، و استدلالهم أولياء الله من أصحاب محمد صلى الله عليه و آله، من المهاجرين و الأنصار و التابعين باحسان، فإذا غضبوا على رجل حبسوه،

أو ضربوه، أو حرموه، أو سيروه، و فيئنا لهم حلال، و نحن لهم في ما يزعمون قطين. يعنى: رقيق.

و يمكن الاستيناس للثانى بما فى (خلفاء ابن قتيبه) (١): أنه عليه السلام لما آيس من رجوع الخوارج، رأى أن يدعهم و يمضى بالناس إلى معاويه، فقام خطيبا و قال: أما بعد، فإن من ترك الجهاد، و داهن فى أمر الله، كان على شفا هلكه، إلا أن يتداركه الله برحمته، فاتقوا الله عباد الله. قاتلوا من حاد الله و حاول أن يطفىء نور الله، قاتلوا الخاطئين القاتلين لأولياء الله، المحرفين لدين الله، الذين ليسوا بقراء الكتاب، و لا فقهاء فى الدين، و لا علماء بالتأويل، و لا لهذا الأمر بأهل فى دين، و لا سابقه. فى الاسلام و الله لو ولوا عليكم، لعملوا فيكم بعمل كسرى و قيصر .

«و لعمرى ما على من قتال من خالف الحق» كائنا من كان، و لو كان قريبه أو صديقه .

«و خابط» فى (الصحيح): خبط البعير الأرض بيده: ضربها، و منه قيل:

خبط عشواء، و هى التى فى بصرها ضعف، تخبط اذا مشت لا تتوقى شيئا.

«الغى من إدهان» أى: مصانعه، قال تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله: «وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ» (٢).

«و لا إيهان» أى: تضعيف، من: و هن - بالكسر - أى: ضعف .

«فاتقوا الله عباد الله» اقتصر فى (المصريه) (٣) على الكلام، و فيها سقط، و الأصل: «فاتقوا الله عباد الله و فروا إلى الله من الله» كما يشهد له (ابن أبى

ص: ٢٧٨

١- ١) الخلفاء لابن قتيبه: ١٤٤.

٢- ٢) القلم: ٩. [١]

٣- ٣) الطبعه المصريه: ٥٩: الخطبه ٢٤.

الحديد) (١) و(ابن ميثم) (٢) و(الخطيبه). و معنى الفرار إليه منه: أنه لا ملجأ منه إلا إليه، بمعنى أنه لا يتصور الفرار منه تعالى، و الفرار منه هو الفرار إليه .

«و امضوا فى الذى نهجه» أى: فى الطريق الذى أوضحه.

«لكم» و كان أعداؤه مقرين بذلك، فكان عمر يقول: لو ولى الخلافة على، ليحملن الناس على المحجّه البيضاء و الصراط المستقيم .

«و قوموا بما عصبه» أى: شدّه.

«بكم» من جهاد أعداء الله .

«فعلى ضامن لفلجكم» أى: ظفركم و فوزكم و فلاحكم.

«آجلا» فى الآخرة .

«إن لم تمنحوه» أى: تعطوه.

«عاجلا» أى: فى الدنيا، فشيئته هم الفائزون فى الآخرة. رواه سبط ابن الجوزى، عن أبى سعيد الخدرى، عن النبى صلى الله عليه و آله.

٩

الخطبه (١٠٥)

و من كلام له عليه السلام:

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ - وَ انْحِيَا زُكْمَ عَنْ صِيْفُوْفِكُمْ - تَحُوْزُكُمْ الْجَفَاهُ الطَّعَامُ - وَ اَعْرَابُ اَهْلِ الشَّامِ؟ - وَ اَنْتُمْ لَهَا مِيْمُ الْعَرَبِ - وَ يَا فَيْخُ الشَّرْفِ - وَ الْمَائِنُ الْمُقَدَّمُ - وَ السَّنَامُ الْمَاعْظَمُ - وَ لَقَدْ شَفَى وَ حَاوَحَ صِدْرِي - اَنْ رَأَيْتُكُمْ بِاَخْرِهِ - تَحُوْزُونَهُمْ كَمَا حَاوَزُكُمْ - وَ تُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا اَزَالُوْكُمْ - حَسًّا بِالنُّضَالِ وَ شَجْرًا بِالرَّمَا حِ - تَزَكُّ اَوْلَاهُمْ - اُنْحَرَاهُمْ كَالْبَابِلِ الْهِيْمِ

ص: ٢٧٩

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٣١: ١. [١]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ١٤: ٢، و [٢] فيه: «فاتقوا الله عباد الله».

المَطْرُودَه- تُزْمَى عَنْ حِيَاظَةِهَا- وَ تُدَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا أقول:رواه الطبري الطبري-تاريخ الطبري-ج ٥ ص ٢٥ (١)و(صَفِين نصر بن مزاحم-صَفِين-ص ٢٥٦ نصر) (٢)و(الكافي الكليني-الكافي-ج ٥ ص ٤٠ ح ٤) (٣).و نقل الأول أخيرا.

قول المصنّف : «و من كلام له عليه السّلام» هكذا في (المصريه) (٤)و فيه تحريف و سقط،و الصواب:(و من خطبه له عليه السّلام في بعض أيام صفين) كما في (ابن أبي الحديد) (٥)و(ابن ميثم) (٦)و(الخطيه).

«و قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم تحوزكم الجفاه» جمع الجافى.

«الطغام» أى:الأرذال و الأوغاد .

«و أعراب أهل الشام» قال عليه السّلام ذلك لأصحابه لما هزمهم في الميمنه أصحاب معاويه ففي (الطبري) (٧):أقبل الذين تبايعوا من أهل الشام على الموت إلى معاويه،فأمرهم أن يصمدوا لابن بديل في الميمنه و بعث إلى حبيب بن مسلمه في الميسره:يحمل بمن كان معه على الميمنه،فانكشف أهل العراق من قبل الميمنه،حتى لم يبق منهم إلا-ابن بديل في مائتين أو ثلاثمائة من القراء،قد أسند بعضهم ظهره إلى بعض،فأمر على عليه السّلام سهل بن حنيف، فاستقدم في من كان معه من أهل المدينة،فاستقبلتهم جموع لأهل الشام عظيمه،فاحتلمتهم حتى ألحقتهم بالميمنه-إلى أن قال-لما انهزمت ميمنه

ص: ٢٨٠

١-١) تاريخ الطبري ٢٥:٥. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم:٢٥٦.

٣-٣) الكافي ٤٠:٥ ح ٤. [٢]

٤-٤) الطبعه المصريه:٢٠٥ الخطبه ١٠٥.

٥-٥) شرح ابن ابى الحديد ١٧٩:٧. [٣]

٦-٦) شرح ابن ميثم ٣٧:٣،و [٤]فيه:«من خطبه له عليه السّلام».

٧-٧) تاريخ الطبري ١٨:٥. [٥]

العراق و أقبل على عليه السّلام نحو الميسره، مرّ به الأشر و هو يركض نحو الفزع قبل الميمنه، فقال عليه السّلام له: إيت هؤلاء القوم فقل لهم: أين فراركم من الموت الذى لن تعجزوه إلى الحياه التى لن تبقى لكم؟ فمضى الأشر، و استقبل الناس منهزمين، فقال لهم هذه الكلمات التى قالها له على عليه السّلام، و قال: إلى أيها الناس أنا مالك بن الحرث. ثم ظنّ أنّه بالأشر أعرف فى الناس، فقال: أنا الأشر إلى أيها الناس .

«و أنتم لهاميم العرب» وردت الفقرة فى العنوان (١٢٠)، و الكلام استعاره من قولهم: فرس لهيم. اذا كان جوادا غزير الجرى صرّح بالمعنى ابن دريد، و ليس المراد: أنتم صاحبو الجود، كما توهمه الشّراح أخذنا من الجوهرى، فهو زلّ فى قوله: الهموم الجواد من الناس و الخيل .

«و يآفيخ» جمع اليافوخ: الموضع الذى يتحرّك من رأس الطفل.

«الشرف و أنف» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب: (و الانف) كما فى (ابن أبى الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣) و (الخطيه).

«المقدم و السنام» فى (الصّحاح): واحد أسنمه البعير.

«الأعظم» و الكل استعارات، كلها ميم العرب، و فى (الطبرى) (٤) - بعد ما مرّ من قول الأشر للمنهزمين: أنا الأشر، إلى أيها الناس - فأقبلت إليه طائفه و ذهب عنه طائفه، فنادى: أيها الناس عضضتم بهن آباءكم، ما أقبح ما قاتلتم منذ اليوم! أيها الناس اخلصوا لى مدحجا. فأقبلت إليه مدحج، فقال لهم:

عضضتم بضم الجنادل، ما أرضيتم ربّكم و لا نصحتم له فى عدوّكم، و كيف

ص: ٢٨١

١- (١) الطبعه المصريه: ٢٠٥ الخطبه ١٠٥.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧٩: ٧. [١]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٣٧: ٣ و فيه: «و أنف المقدم».

٤- (٤) تاريخ الطبرى ٢٠: ٥. [٢]

بذلك، وأنتم أبناء الحروب، وأصحاب الغارات، وفتيان الصباح، وفرسان الطراد، وحتوف الأقران، ومذحج الطعان، الذين لم يكونوا يسبقون بثأرهم، ولا تطل دماؤهم، ولا يعرفون بخسف في موطن، وأنتم أحد أهل مصركم، وأعد حى في قومكم؟ وما تفعلوا في هذا اليوم، فإنه مأثور بعد اليوم؟ فاتقوا مأثور الأحاديث في غد، وأصدقوا عدوكم اللقاء، فإن الله مع الصابرين. والذى نفس مالك بيده، ما من هؤلاء - وأشار بيده إلى الشام - رجل على مثل جناح بعوضه من محمد صلى الله عليه وآله، وإنما أنتم ما أحستتم القراع، اجلوا سواد وجهى يرجع فى وجهى دمی عليكم بهذا السواد الأعظم فإن الله لو قد فضه تبعه من بجانيه، كما يتبع مؤخر السيل مقدمه. قالوا خذ بنا حيث أحببت....

و فيه (١): أن الأشر كان يومئذ يقاتل على فرس له، و فى يده صحيفه يمانيه إذا طأطأها خلت فيها ماء منصبا، و اذا رفعها كاد يغشى البصر شعاعها، و جعل يضرب بسيفه و يقول: الغمرات ثم تنجلينا، و رآه منقذ و حمير ابنا قيس الناعطيان، فقال منقذ لحمير: ما فى العرب مثل هذا، إن كان ما أراه من قتاله من التيه. فقال له حمير: و هل التيه إلا ما تراه يصنع؟ قال: إني أخاف أن يكون حاول ملكا....

«و لقد شفى و حاوح» و فى (الطبرى): «أحاح».

فى (الجمهره): يقال للمرأه اذا طلقت: تركتها توحوح بين القوابل.

و سمعت بفلان أحه و أحاحا و أحيجا: اذا رأته يتوجع من غيظ، أو حزن. و فى قلبه أحاح و أحيح، قال الراجز:

يطوى الخيازيم على أحاح

«صدرى أن رأيتكم بأخره» بفتح الهمزه أى: أخيرا.

ص: ٢٨٢

«تحوزونهم كما حازوكم و تزيلونهم عن مواقفهم كما أزالوكم حسا» أى:

استيصالا بالقتل، قال تعالى «إِذْ تَحْشُونَهُمْ بِأَذْنِهِ» (١).

«بالنضال» هكذا فى (المصريه) (٢)، و نسب النضال- و هى المراماه-(ابن أبى الحديد) (٣) إلى روايه. و لكن فى (ابن ميثم) (٤): «بالنضال» بالمهمله. و فى (الصحاح): النصل: نصل السهم و السيف و السكين و الرمح و الجمع: نصول و نصال .

«و شجرا» أى: طعنا.

«بالرمح تركب أولاهم اخراهم كالابل الهيم» أى: العطاش.

«المطروده ترمى عن حياضها و تذاذ» أى: تدفع و تطرد.

«عن مواردھا» أى: المحال التى تردها لشرب الماء، فى (الطبرى) (٥): لما اجتمع إلى الأشتر عظم من كان انهزم عن الميمنه حرضهم- إلى أن قال- ثم حمل على الخصم حتى كشفهم، فألحقهم بصفوف معاويه بين صلاه العصر و المغرب، و انتهى إلى عبد الله بن بديل، و هو فى عصبه من القراء بين المائتين و الثلاثمائه، و لقد لصقوا بالأرض كأنهم جثى، فكشف عنهم أهل الشام، فأبصروا اخوانهم قد دنوا منهم، فقالوا: ما فعل أمير المؤمنين عليه السلام؟ قالوا:

حى صالح فى الميسره يقاتل الناس أمامه. فقالوا: الحمد لله، قد كنا ظننا ان قد هلك هو و هلكتم. و قال عبد الله بن بديل لأصحابه: استقدموا بنا. فأرسل الأشتر إليه: لا تفعل، اثبت مع الناس فقاتل، فإنه خير لهم و أبقى لك و لأصحابك. فأبى،

ص: ٢٨٣

١-١ (١) آل عمران: ١٥٢. [١]

٢-٢ (٢) الطبعة المصريه: ٢٠٥ الخطبه ١٠٥.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧: ١٨٠.

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٣٧: ٣، و فيه: «بالنضال».

٥-٥ (٥) تاريخ الطبرى ٢٣: ٥. [٢]

فمضى كما هو نحو معاويه، و حوله كأمثال الجبال، و فى يده سيفان و قد جرح فهو أمام أصحابه، فأخذ كلما دنا منه رجل ضربه فقتله، حتى قتل سبعة، و دنا من معاويه فنهض إليه الناس من كل جانب، و احيط به و بطائفه من أصحابه، فقاتل حتى قتل، و قتل ناس من أصحابه، و رجعت طائفه قد جرحوا منهزمين.

فبعث الأشر بن جمهان الجعفى، فحمل على أهل الشام الذين يتبعون من نجا من أصحاب ابن بديل، حتى نفسوا عنهم و انتهوا إلى الأشر، فقال لهم: ألم يكن رأى لكم خير لكم من رأىكم لأنفسكم؟ ألم أمركم أن تثبتوا مع الناس؟ و كان معاويه قال فى ابن بديل - و هو يضرب قدما-: أترونه كبش القوم؟ فلما قتل أرسل إليه: من هو؟ فقال ناس من أهل الشام: لا نعرفه. فأقبل هو حتى وقف عليه، فقال: بلى، هذا عبد الله بن بديل، و الله لو استطاعت نساء خزاعه أن يقاتلنا فضلا عن رجالها لفعلت، مدوه. فمدوه، فقال: هذا و الله كما قال الشاعر:

أخو الحرب إن عصت به الحرب عصها و إن شمّرت يوما به الحرب شمرا

- و البيت لحاتم - و زحف الأشر اليهم، فاستقبله معاويه بعك و الأشعريين، فقال الأشر لمذحج: اكفونا عكا. و وقف فى همدان، و قال لكنده:

اكفونا الأشعريين. فاقتتلوا قتالا شديدا، و أخذ الأشر يخرج إلى قومه، فيقول:

إنما هم عك فاحملوا عليهم. فيجثون على الركب و يرتجزون:

يا ويل أمّ مذحج من عك هاتيك أمّ مذحج تبكى

فقاتلوهم حتى المساء. ثم أنه قاتلهم فى همدان و ناس من طوائف الناس، فحمل عليهم فأزالهم عن موافقهم حتى ألحقهم بالصفوف الخمسه المعقله بالعمائم حول معاويه، ثم شدّ عليهم شدّه اخرى، فصرع الصفوف الأربعة، و كانوا معقلين بالعمائم حتى انتهوا إلى الخامس الذى حول معاويه،

و دعا معاويه بفرس فركب، و كان يقول: أردت أن أنهزم فذكرت قول ابن أظنابه- كان ابن أظنابه جاهلياً، و أظنابه امه امرأه من بلقين- أبت لي عفتي و حياء نفسي و إقدامي على البطل المشيح

و إعطائي على المكروه مالي و أخذى الحمد بالثمن الريح

و قولى كلّمًا جشأت و جاشت مكانك تحمدى أو تستريحي

فمنعنى هذا القول من الفرار.

هذا، و الأصل فى العنوان ما رواه الطبرى (١) و غيره (٢)، كما مر عن زيد بن وهب: أن علياً عليه السّلام لما رأى ميمنته قد عادت إلى مواقفها و مصافها، و كشفت من بإزائها من عدوّها، حتى حاربوهم فى مواقفهم و مراكزهم، أقبل حتى انتهى إليهم، فقال: إنى رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم، يحوزكم الطغاه الجفاه و أعراب أهل الشام، و أنتم لهاميم العرب، و السنام الأعظم، و عمّار الليل بتلاوه القرآن، و أهل دعوه الحق إذ ضلّ الخاطئون، فلو لا إقبالكم بعد إدباركم، و كركم بعد انحيازكم، و جب عليكم ما و جب على المولى يوم الزحف دبره، و كنتم من الهالكين، و لكن هوّن وجدى و شفى بعض أحاح نفسى أنى رأيتكم بأخره حزتموهم كما حازوكم، و أزلتموهم عن مصافهم كما أزالوكم، تحسونهم بالسيوف تركب أولاهم كالإبل المطرده، فالآن فاصبروا، نزلت عليكم السكينه و ثبتكم الله تعالى باليقين، ليعلم المنهزم أنّه مسخط ربه و موبق نفسه، إنّ فى الفرار موجدّه الله عز و جل عليه، و الذلّ اللازم، و العار الباقي، و اعتصار الفىء من يده، و فساد العيش عليه، و إنّ الفار منه لا يزيد فى عمره و لا يرضى ربه، فموت المرء محققاً قبل إتيان هذه

ص: ٢٨٥

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥: ٢٥. [١]

٢-٢ (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٦. [٢]

من الخطبه (١٨٠)

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا - وَ أَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا - وَ أَرْزَمَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ - وَ بَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا لَا يَبْقَى - بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى - مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سَفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَ هُمْ؟ بِصِفِّينَ؟ - أَلَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءَ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ - وَ يَشْرَبُونَ الرِّثْقَ قَدْ وَ اللَّهُ لَقُوا اللَّهَ فَوَفَّاهُمْ أَجُورَهُمْ - وَ أَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعِيدَ خَوْفِهِمْ - أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكَبُوا الطَّرِيقَ - وَ مَضَوْا عَلَى الْحَقِّ أَيْنَ؟ عَمَّارٌ؟ وَ أَيْنَ؟ ابْنُ التَّيْمِيَّانِ؟ - وَ أَيْنَ؟ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ - وَ أَيْنَ نَظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَيْتَةِ - وَ أُبْرِدَ بُرْءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجْرِ - قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ - فَأَطَالَ الْبُكَاءَ ثُمَّ قَالَ ع - أَوَّهْ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ قَرَأُوا الْقُرْآنَ؟ فَأَحْكُمُوهُ - وَ تَدَبَّرُوا الْفَرْصَ فَأَقَامُوهُ - أَحْيُوا السُّنَّةَ وَ آمِنُوا الْبِدْعَةَ - دُعُوا لِلْجِهَادِ فَاجَابُوا وَ وَتَقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ قَالَ: ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ، فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أقول: قال ابن أبي الحديد (١): هذه الخطبه آخر خطبه خطب عليه السَّلَامُ بها قائما.

قلت: إن وجد في ذلك خبرا، وإلا - فالمحقق كونه قرب شهادته عليه السَّلَامُ بأسبوع. ففي ذيلها «قال نوف: و عقد للحسين عليه السَّلَامُ في عشره آلاف - إلى أن قال - وهو يريد الرجعة إلى صِفِّينَ، فما دارت الجمعه حتى ضربه الملعون»

ص: ٢٨٤

و أمّا كونها أخيرها فغير معلوم .

«الآنّ قد أدبر من الدنيا» بغلبه أهل الجور.

«ما كان مقبلا» بكون الأمر فى يدى أهل الحق، زمن النبى صلّى الله عليه و آله.

«و أقبل منها ما كان مدبرا» بتصدى أهل الباطل للأمر بعد النبى صلّى الله عليه و آله لا سيما فى زمن عثمان، لخلوص الأمر لبني اميّه، كما صرّح به أبو سفيان .

«و أزمع» أى: عزم. و الأصح قول الكسائى من عدم تعديه بعلى، دون قول الفراء بجوازه، فلم نقف إلا على تعديته بنفسه، ككلامه عليه السّلام هنا، و قول عنتره:

إن كنت أزمعت الفراق فإنّما

و قول الأعشى:

أزمعت من آل ليلى ابتكارا

و من الغريب أنّ ابن دريد أتى بالتناقض هنا، فقال أولا: أزمع فلان كذا و كذا: إذا عزم عليه، و لا يكادون يقولون: أزمع على كذا و كذا. و قال ثانيا: و لا تكاد العرب تقول: إلا أزمعت على ذلك.

«الترحال» أى: الارتحال.

«عباد الله الأخيار، و باعوا قليلا من الدنيا» فكل شريف أو وضيع لا يمتّع من الدنيا إلا قليلا.

«لا يبقى، بكثير من الآخرة» فمن كان أدنى أهل الآخرة ثوبا، كان له من النعمة سبعين ضعفا من نعيم الدنيا، من أولها إلى آخرها.

«لا يفنى» أخذ كلامه عليه السّلام من أوله إلى هنا سليمان بن صرد الخزاعى، لما أراد الطلب بدم الحسين عليه السّلام، فكتب إلى سعد بن حذيفه اليمانى بالمدائن:

إنّ الدنيا دار قد أدبر منها ما كان معروفا، و أقبل منها ما كان منكرا، و أصبحت

قد تشنّأت إلى ذوى الألباب، و أزمع الترحال منها عباد الله الأخيار و باعوا قليلا من الدنيا لا يبقى بجزيل مثوبه عند الله لا يفنى (١).

و نظير كلامه عليه السّلام كلام ابنه الحسين عليه السّلام فى خطبته أصحابه بنى حسم، حين وصل الحر مع ألف فارس من قبل ابن زياد إليه، ففى (الطبرى) (٢):

قام عليه السّلام فحمد الله و أثنى عليه، ثم قال لأصحابه: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، و إنّ الدنيا قد تغيّرت و تنكّرت، و أدبر معروفها و استمرّت حذاء فلم يبق منها إلّا صبابه كصبابه الإناء، و خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحق لا يعمل به، و أنّ الباطل لا يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقّا، فإنّى لا أرى الموت إلّا شهاده، و لا الحياه مع الظالمين إلّا بر ما. فقام زهير بن القين الجلى فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تتكلم. فقال له: قد سمعنا يا بن رسول الله مقاتك، و الله لو كانت الدنيا لنا باقيه، و كنّا فيها مخلدين إلّا أنّ فراقها فى نصرك و مواساتك، لآثرنا الخروج معك على الإقامه فيها.

فدعا له الحسين عليه السّلام، و أقبل الحر يسايره و هو يقول له: يا حسين إنّى اذكرك الله فى نفسك، فإنّى أشهد لئن قاتلت لتقتلن. فقال عليه السّلام له: أ بالموت تخوّفنى؟ و هل يعدو بكم الخطب إلّا أن تقتلونى؟ أقول لك ما قال أخو الأوس لابن عمه - لما لقيه و هو يريد نصره النبى صلّى الله عليه و آله، و قال له أين تذهب؟ فإنّك مقتول:-

سأمضى و ما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقّا و جاهد مسلما

و آسى الرجال الصالحين بنفسه و فارق مشورا يغش و يرغما

«ما ضرّ إخواننا الذين سفكت دماؤهم و هم» هكذا فى (المصريه) (٣) و الكلمه

ص: ٢٨٨

١- (١) تاريخ الطبرى ٣: ٣٩٢ سنة ٦٤. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٥: ٤٠٣. [٢]

٣- (٣) الطبعه المصريه: ١٣٠ الخطبه ١٨٠.

زائده، لعدم وجودها في (ابن ميثم) (١) و(ابن أبي الحديد) (٢)، ولأن المعنى معها غير مستقيم.

«بصفين» في (صفين نصر) (٣): أصيب بصفين من أهل الشام خمسة و أربعون ألفاً، و من أهل العراق خمسة و عشرون ألفاً.

و في (مروج المسعودي) (٤): كانت عدده الوقائع بين أهل العراق و الشام سبعين وقعه، و قد تنوع في مقدار من قتل بها من الفريقين، فعن يحيى بن معين: قتل منهما مائه ألف و عشره آلاف، في مائه يوم و عشره أيام، تسعون ألفاً من أهل الشام، و عشرون ألفاً من أهل العراق. و أما الهيثم بن عدى الطائي و الشرقي بن القطامي و أبو مخنف لوط بن يحيى فذكروا: أنّ جملة من قتل منهما سبعون ألفاً خمسة و أربعون من أهل الشام، و خمسة و عشرون ألفاً من أهل العراق، فيهم خمسة و عشرون بدرية. و العَدَّ كان يقع بالقضيب، و الإحصاء للقتلى في كلّ وقعه. و تحصيل هذا يتفاوت، لأنّ فيهم من لا يعرف، و من غرق، و من قتل فأكله السباع.

«الآ- يكونوا اليوم أحياء يسيغون» من: ساغ الشراب، أى: سهل مدخله في الحلق. قال الجوهري: يتعدى و لا يتعدى، و الأجود في المتعدى أساغ، قال تعالى: «يَتَجَرَّعُهُ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُ» (٥).

«الغصص» -بالفتح- مصدر غصّ بالطعام، أو-بالضم- جمع الغصه.

«و يشربون الرنق» أى: المكدر، قال ابن الرومي.

ص: ٢٨٩

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٣:٣٩١. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠:٩٩. [٢]

٣-٣ (٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٥٨. [٣]

٤-٤ (٤) مروج الذهب للمسعودي ٢:٤٠٤. [٤]

٥-٥ (٥) إبراهيم: ١٧. [٥]

قد قلت اذ مدحوا الحياه فأكثروا للموت ألف فضيله لا تعرف

فيها أمان لقائه بلقائه و فراق كل معاشر لا ينصف

«قد و الله لقوا الله فوفاهم أجورهم، و أحلهم دار الأمن من بعد خوفهم» في (صفين نصر) (١): قال عتبه بن جويريه يوم صفين: ألا إن مرعى الدنيا قد أصبح شجرها هشيمًا، و أصبح زرعها حصيدًا، و جديدها سملاً، و حلوها مرًا.

ألا- و إني انبئكم نبأ امرئ صادق: إني سئمت الدنيا، و عزفت نفسي عنها، و قد كنت أتمنى الشهاده و أتعرض لها في كل حين، فأبى الله إلا أن يبلغني هذا اليوم، ألا و إني متعرض ساعتي هذه لها، و قد طمعت ألا احرمها. فما تنظرون عباد الله جهاد الله، أ تستبدلون الدنيا بالنظر إلى وجه الله عز و جل، و مرافقه النبيين و الصديقين و الشهداء و الصالحين في دار القرار؟ ما هذا بالرأى السيد. ثم قال لإخوته: إني قد بعث هذه الدار بالتي أمامها، و هذا وجهي إليها.

فتبعه أخواه عبيد الله و عوف ابنا مالك، و قالوا: لا- نطلب رزق الدنيا بعدك، قبيح الله العيش بعدك، اللهم إنا نحتسب أنفسنا عندك. ثم استقدموا فقاتلوا، حتى قتلوا.

و فيه (٢): قال أبو عرفاء جبله بن عطيه الذهلي في صفين للحضين بن المنذر: هل لك أن تعطيني رايتك أحملها، فيكون لك ذكرها و يكون لى أجرها، أغيرها عنك ساعه فما أسرع ما ترجع إليك؟ فعلم أنه يريد أن يستقتل، فقال:

فما شئت. فاخذ أبو عرفاء الرايه، فقال: يا أهل هذه الرايه، إن عمل الجنه كره كله، و إن عمل النار خف كله، و إن الجنه لا يدخلها إلا الصابرون الذين صبروا أنفسهم على فرائض الله و أمره، و ليس شيء مما افترض الله على العباد أشد من الجهاد، و هو أفضل الأعمال ثوابًا، فاذا رأيتموني قد شددت فشدوا،

ص: ٢٩٠

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٦٤. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٠٤-٣٠٥. [٢]

ويحكم! أما تشتاقون إلى الجنة؟ أما تحبون أن يغفر الله لكم؟ فشدّ و شدوا معه، حتى قتل.

و في (الطبرى) (1): قاتلت النخع في صفين قتالا شديدا فأصيب منهم يومئذ بكر بن هوذه، و حيان بن هوذه، و شعيب بن نعيم من بنى بكر النخع، و ربيعه بن مالك، و أبى بن قيس أخو علقمه الفقيه، و قطعت رجل علقمه يومئذ، فكان يقول: ما أحب أن رجلى أصح ما كانت، و أنها لمّا أرجو به حسن الثواب من ربى عز و جل، و لقد كنت أحب أن أرى فى نومى أخى أو بعض إخوانى، فرأيت أخى فقلت: ما ذا قدمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن و القوم فاحتججنا عند الله عز و جل، فحججناهم. فما سررت منذ عقلت مثل سرورى بتلك الرؤيا.

هذا، و أخذ كلامه عليه السلام من قوله: «ما ضر اخواننا الذين سفكت دماؤهم بصفين» إلى هنا سليمان بن صرد الخزاعى أيضا، فكتب إلى سعد بن حذيفه أيضا: ما ضر أهل عذراء-يعنى حجرا و أصحابه-الذين قتلوا ألا يكونوا اليوم أحياء، و هم عند ربهم يرزقون، شهداء قد لقوا الله صابرين محتسبين، فأثابهم ثواب الصابرين؟ و ما ضرّ إخوانكم المقتلين صبرا، المصلين ظلما، و الممثول بهم، المعتدى عليهم ألا- يكونوا أحياء مبتلين بخطاياكم، قد خير لهم فلقوا ربهم و وفاهم أجرهم؟ «أين إخوانى الذين ركبوا الطريق» أى: طريق الله عز و جل.

«و مضوا على الحق» كما أمرهم سبحانه «و أنّ هذا صراطى مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَ لَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ» (2).

ص: ٢٩١

١- ١) تاريخ الطبرى ٥: ٣٢. [١]

٢- ٢) الانعام: ١٥٣. [٢]

فى (الطبرى) (١): قال أبو عبد الرحمن السلمى: رأيت عمّارا لا يأخذ واديا من أوديه صفين إلا تبعه من كان هناك من أصحاب محمّد صلّى الله عليه وآله، ورأيته جاء إلى هاشم بن عتبة المرقال صاحب رايه على عليه السّلام، فقال: يا هاشم أعورا وجينا؟ لا خير فى أعور لا يغشى البأس، اركب يا هاشم. فركب هاشم ومضى وهو يقول:

أعور يبغى أهله محلا قد عالج الحياه حتى ملا

لا بدّ أن يفلا أو يفلا

و فى (الاستيعاب) (٢): قال عبد الرحمن بن ابزى: شهدنا مع على عليه السّلام صفين ممن بايع بيعه الرضوان، فقتل ممّا ثلاثه و ستون، منهم عمّار .

«أين عمار» فى (ذيل الطبرى) (٣): عمّار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانه بن قيس بن الحصين بن الوديم بن ثعلبه بن عوف بن حارثه بن عامر الأ-كبر بن يام ابن عنس. قدم أبوه من اليمن إلى مكه فى طلب أخ له، فأقام و حالف أبا حذيفه بن المغيره المخزومى، فزوّجه أبو حذيفه أمه له يقال لها:

سميه بنت خباط، فولدت له عمّارا، فأعتقه أبو حذيفه و لم يزل هو و أبوه مع أبى حذيفه إلى أن جاء الله بالاسلام، فأسلم هو و أبوه و أمّه.

هذا، و فى (الاستيعاب): قال ابن قتيبه: خلف على ام عمّار بعد ياسر، الأزرق و كان غلاما روميا للحارث بن كلده، فولدت له سلمه بن الأزرق، فهو أخو عمّار لأمّه. و هذا غلط فاحش من ابن قتيبه، و إنّما خلف الأزرق على سميه امّ زياد، زوّجه مولاه الحارث بن كلده منها، لأنّه كان مولى لهما، فسلمه

ص: ٢٩٢

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٥:٤٠. [١]

٢-٢ (٢) الاستيعاب ٢:٤٧٨. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ١١:٥٠٨. [٣]

الأزرق أخو زياد لأمه لا أخو عمّار، وليس بين سمّيه ام عمّار و سمّيه ام زياد نسب و لا سبب.

قلت: لم يتفرّد بما قال من تزوّج الأزرق بسمّيه ام عمّار، و كون سلمه بن الأزرق أخا عمّار لأمه ابن قتيبه فقط، بل قال به قبله البلاذري في (نسبه)، و بعده الطبري في (ذيله) (١). و التحقيق: أنّ الأزرق تزوّج بام عمّار قبل ياسر أبيه، كما صرّح به البلاذري، و توهم ابن قتيبه و الطبري في العكس، فام عمّار لم تفارق أباه حتى قتلت معه، ففي (البلاذري): «كان عمّار و أبوه و امه و أخوه عبد الله يعذبون في الله، فمّرّ بهم النبي صلّى الله عليه و آله فقال: صبرا آل ياسر فإنّ موعدكم الجّنه. فمات ياسر في العذاب، و أغلظت سمّيه لأبى جهل، فطعننها في قلبها فماتت...» كتوهم صاحب (الاستيعاب) في كون سلمه بن الأزرق أخا زياد لأمه، فلم يقل ذلك أحد، و إنّما كان لزياد أخوان من أمه: نافع و أبو بكره.

و في (الطبري) (٢): هاجر في قول جميع أهل السير - إلى أرض الحبشه الهجره الثانيه، و قالوا جميعا: شهد بدرا و احدا و الخندق و المشاهد، و آخى النبي صلّى الله عليه و آله بينه و بين حذيفه.

و في (الحليه): لقي على عليه السّلام رجلين خرجا من الحمام متدهنين، فقال:

من أنتما؟ قالوا: من المهاجرين. قال: كذبتما، إنّما المهاجر عمّار.

و في (موفقيات الزبير بن بكار): عن ابن عباس قال عثمان لعمّار: أما و الله إنك ما علمت من أعوان الشر الحاضّين عليه، الخذله عند الخير و المثبطين. فقال عمّار: مهلا - يا عثمان فقد سمعت النبي صلّى الله عليه و آله يصفني بغير ذلك. قال عثمان: و متى؟ قال: يوم دخلت عليه منصرفه من الجمعة و ليس عنده غيرك، و قد ألقى ثيابه و قعد في فضله، فقبّلت صدره و نحره و جبهته، فقال: يا

ص: ٢٩٣

١- ١) تاريخ الطبري ٥٠٨: ١١. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبري ٥٠٨: ١١. [٢]

عَمَّارٌ إِنَّكَ لَتَحْبِنَا وَ إِنَّا لَنَحْبُكَ، وَ إِنَّكَ مِنَ الْأَعْوَانِ عَلَى الْخَيْرِ الْمَثْبُطِينَ عَنِ الشَّرِّ.

فَقَالَ عَثْمَانُ: أَجَلٌ، وَ لَكِنَّكَ غَيَّرْتَ وَ بَدَّلْتَ. فَرَفَعَ عَمَّارٌ يَدَهُ يَدْعُو، وَ قَالَ: أَمَّنْ يَا بَنَ عَبَّاسٍ. فَقَالَ: اللَّهُمَّ مِنْ غَيْرِ فَعَيَّرَ بِهِ. قَالَه ثَلَاثَ مَرَاتٍ.

وَ فِي (الاسْتِيعَابِ) (١): وَ نَقَلَهُ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ (٢) أَيْضًا: وَ لِلْحَلْفِ وَ الْوَلَاءِ الَّذِي بَيْنَ مَخْزُومٍ وَ بَيْنَ عَمَّارٍ وَ أَبِيهِ كَانَ اجْتِمَاعُ مَخْزُومٍ إِلَى عَثْمَانَ، حِينَ نَالَ غُلْمَانُ عَثْمَانَ مِنْ عَمَّارٍ مَا نَالُوا مِنَ الضَّرِّ، حَتَّى انْفَتَقَ لَهُ فَتَقٌ فِي بَطْنِهِ، وَ زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَسَرُوا ضِلْعًا مِنْ أَضْلَاعِهِ، فَقَالُوا: وَ اللَّهُ لئن مَاتَ عَمَّارٌ، لَا قَتَلْنَا بِهِ أَحَدًا غَيْرَ عَثْمَانَ.

وَ فِيهِ: عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى «أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَ جَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا» (٣) فِي عَمَّارٍ وَ أَبِي جَهْلٍ. وَ أَجْمَعَ أَهْلُ التَّفْسِيرِ أَنَّهُ نَزَلَ فِي عَمَّارٍ قَوْلُهُ تَعَالَى «إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَ قَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ» (٤) لِمَا عَذَبَ فِي اللَّهِ فَأَعْطَاهُمْ مَا أَرَادُوا بِلِسَانِهِ.

وَ هَاجَرَ إِلَى الْحَبَشَةِ وَ صَلَّى الْقِبْلَتَيْنِ.

قُلْتُ: وَ رَبَطَ جَعَلَ أَبِي جَهْلٍ فِي قِبَالِهِ، لَكُونَ أَبِي جَهْلٍ، مِنْ مَخْزُومٍ وَ عَمَّارٍ كَانَ حَلِيفَ مَخْزُومٍ.

وَ فِي (كَامِلِ الْجَزْرِ): قَالَ عَمَّارٌ لِعَايِشَةَ بَعْدَ الْجَمَلِ: مَا أَبْعَدَ هَذَا الْمَسِيرَ مِنَ الْعَهْدِ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْكَ. فَقَالَتْ عَايِشَةُ: وَ اللَّهُ إِنَّكَ مَا عَلِمْتَ لِقَوْلِ الْحَقِّ. قَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي قَضَى لِي عَلَى لِسَانِكَ.

ص: ٢٩٤

١- ١) الاستيعاب ٤٧٧: ٢. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠٢: ١٠. [٢]

٣- ٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠٢: ١٠، والآية ١٢٢ [٣] من سورة الأنعام.

٤- ٤) النحل: ١٠٦. [٤]

و في (الاستيعاب) (١): في اسنادين عن عايشه: ما من أحد من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْ أَشَأَ أَنْ أَقُولَ فِيهِ قُلْتُ إِلَّا عَمَّارًا، فَإِنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

عَمَّارٌ حَشَى مَا بَيْنَ أَيْمَنِ قَدَمَيْهِ إِلَى شَحْمَةِ أُذُنِهِ إِيمَانًا.

و فيه (٢): و من حديث خالد بن الوليد: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: مَنْ أَبْغَضَ عَمَّارًا أَبْغَضَهُ اللهُ. قال خالد: فما زلت أحبه من يومئذ. و عن أنس قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ:

اشْتَاقْتُ الْجَنَّةَ إِلَى عَلِيٍّ وَ عَمَّارٍ وَ سَلْمَانَ وَ بِلَالَ.

و من (٣) حديث (٤) على عليه السَّلام: جاء عَمَّارٌ يَسْتَأْذِنُ عَلِيَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَعَرَفَ صَوْتَهُ، فَقَالَ: مَرْحَبًا بِالطَّيِّبِ الْمَطِيبِ أَيْذِنُوا لَهُ. و رواه نصر: (مرحبا بالطيب ابن الطيب) (٥).

و في (الاستيعاب) (٦): كان يوم صفين، أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَتَّبِعُونَهُ كَأَنَّهُ عِلْمٌ لَهُمْ، وَ يَقُولُ:

نَحْنُ ضَرْبُ نَاكِمٍ عَلَى تَنْزِيلِهِ فَالْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَأْوِيلِهِ

ضَرْبًا يَزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ وَ يَذْهَلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

و في (كامل الجزري): قيل: إنَّ أبا الغاديه عاش إلى زمن الحجاج، فدخل عليه فأكرمه و قال له: أنت قتلت ابن سميّه؟ قال: نعم. قال: من سرّه أن ينظر إلى عظيم الباع يوم القيامة فلينظر إلى هذا الذي قتل ابن سميّه. ثم سأله حاجته، فلم يجبه إليها، فقال: نوّطىء لهم الدنيا، و لا يعطوننا منها، و يزعم أنّي

ص: ٢٩٥

١-١ (١) الاستيعاب ٤٧٨:٢. [١]

٢-٢ (٢) الاستيعاب ٤٧٩:٢. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠٤:١٠. [٣]

٤-٤ (٤) الاستيعاب ٤٧٩:٢. [٤]

٥-٥ (٥) صفين لنصر بن مزاحم الاستيعاب: ٣٢٣. [٥]

٦-٦ (٦) ٤٧٩:٢.

عظيم الباع يوم القيامة. فقال الحجاج: أجلّ و الله، من كان ضرسه مثل احد، و فخذة مثل جبل ورقان، و مجلسه مثل المدينة و الربذه، إنّه لعظيم الباع يوم القيامة، و الله لو أنّ عمّارا قتله أهل الأرض لدخلوا كلّهم النار.

و في (الاستيعاب): كان أبو الغادية إذا استأذن على معاويه و غيره، قال:

قاتل عمّار بالبواب. و كان يصف قتله اذا سئل عنه لا يباليه، و في قصّيته عجب عند أهل العلم: روى عن النبي صلّى الله عليه و آله قوله في عمّار، ثم قتله.

و في (معارف ابن قتية): عن الزيادي عن عبد الوارث عن زمعه بن كلثوم عن ابيه عن أبي الغادية قال سمعت النبي صلّى الله عليه و آله يقول: ألا- لا ترجعوا بعدى كفّارا يضرب بعضكم رقاب بعض، فإن الحق يومئذ لمع عمّار. قال أبو الغادية: و سمعت عمّارا يذكر عثمان في المسجد، قال يدعى فينا جباناً، و يقول: إنّ نعثلاً هذا يفعل و يفعل. يعيبه فلو وجدت يومئذ ثلاثة أعوان، لو طئته حتى أقتله، فبينما أنا بصفين إذا أنا به في أوّل الكتيبه، فطعنه رجل في كتفه، فانكشف المغفر عن رأسه، فضربت رأسه، فإذا رأس عمّار قد ندر. قال زمعه:

قال أبي: فما رأيت شيخاً أضلّ منه، يروى أنّه سمع النبي صلّى الله عليه و آله يقول ما قال، ثم ضرب عنق عمّار.

قلت: بل العجب من جميع إخواننا، كيف يقولون بإمامه عثمان مع أنّ عمّارا كان يكفره و يجعله مباح الدم؟ فلما قال له عمرو بن العاص: أعلّيت قتل عثمان؟ قال: بل الله ربّ على قتله. قال: أ كنت ممّين قتله؟ قال: كنت معهم، و أنا اليوم اقاتل معهم. قال: لم تقتلتموه؟ قال: أراد أن يغيّر ديننا فقتلناه.

و في (الطبري) (1): قال عمّار يوم صفّين: اقصدوا بنا نحو هؤلاء الذين يبغون دم ابن عفان، و يزعمون أنّه قتل مظلوما....

ص: ٢٩٦

و فى (الطبرى): (١) قال حبه العرنى: انطلقت أنا و أبو مسعود إلى حذيفه بالمداين، و قلنا: حدثنا فإننا نخاف الفتن. فقال: عليكما بالفئه التى فيها ابن سميه، إنى سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: تقتله الفئه الباغيه الناكبه عن الطريق، و إن آخر رزقه ضياح من لبن. قال حبه: فشهدته يوم صفين و هو يقول: إيتونى بآخر رزق من الدنيا. فاتى بضياح من لبن فى قده أروح، له حلقه حمراء، فما أخطأ حذيفه مقياس شعره. فقال عمّار:

اليوم ألقى الأحبه محمدا و حزبه

و الله لو ضربونا حتى يبلغوا بنا سعفات هجر، لعلمنا أنا على الحق و أنهم على الباطل. و جعل يقول: الموت تحت الأسل، و الجنه تحت البارقه.

و فى (ذيل الطبرى) (٢): روى الواقدى عن لؤلؤه مولاة امّ الحكم بنت عمّار، قالت: لما كان اليوم الذى قتل فيه عمّار، و الرايه يحملها هاشم بن عتبه، و قد قتل أصحاب على عليه السلام ذلك اليوم حتى كانت العصر، ثم تقرب عمّار من وراء هاشم يقدمه، و قد جنحت الشمس للغروب، و مع عمّار ضياح من لبن ينتظر وجوب الشمس أن يفطر، فقال حين وجبت الشمس و شرب الضييح:

سمعت النبى صلى الله عليه و آله يقول: «آخر زادك من الدنيا ضييح من لبن» ثم اقترب فقاتل حتى قتل، و هو ابن أربع و تسعين سنه.

و روى (٣) عن عمّاره بن خزيمه بن ثابت قال: طعن أبو غاديه المزنى عمّارا برمح فسقط، فلما وقع أكبّ عليه رجل آخر فاحتر رأسه، فأقبلا. يختصمان فيه، كلاهما يقول: أنا قتلته. فقال عمرو بن العاص: و الله، إن يختصمان إلا فى النار. فسمعها منه معاويه، فلما انصرف الرجلان قال

ص: ٢٩٧

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٣٨:٥. [١]

٢-٢ (٢) ذيل تاريخ الطبرى ٥٠٩:١١.

٣-٣ (٣) ذيل تاريخ الطبرى ٥٠٩:١١.

معاويه لعمرو: ما رأيت مثل ما صنعت، قوم بذلوا أنفسهم دوننا، تقول لهما:

إنكما تختصمان في النار! فقال عمرو: هو والله ذاك، والله إنك لتعلمه، ولوددت أنني متّ قبل هذا بعشرين سنة.

و عن ابى مخنف (١) قال: إن عمّارا لم يزل بهاشم بن عتبة -و معه اللواء- حتى حمل، فنهض عمّار في كتيبه، و نهض إليه ذو الكلاع في كتيبه، فاقتلوا فقتلا جميعا، و استوصلت الكتيبتان، و حمل على عمّار حوى السكسكى و أبو غاديه المزنى فقتلاه، فقبل لأبى الغاديه: كيف قتلته؟ قال: لما دلف إلينا في كتيبه، و دلفنا إليه نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من السكاسك، فاضطربا بسيفيهما فقتل عمّار السكسكى، ثم نادى: هل من مبارز؟ فبرز إليه رجل من حمير، فاضطربا بسيفيهما فقتل عمّار الحميرى، و أثخنه الحميرى و نادى: من يبارز؟ فبرزت فاختلفنا ضربتين -و كانت يده ضعفت- فانتجيت عليه بضربه اخرى، فسقط فضربته بسيفى حتى برد، و نادى الناس: قتلت أبا اليقظان قتلك الله. فقلت: اذهب إليك، فوالله ما ابالى من كنت. و ما أعرفه يومئذ، فقال له محمّد بن المنتشر: يا أبا الغاديه خصمك يوم القيمه ما زندر-يعنى:

ضخم -فضحك.

و فى (الطبرى) (٢): قال أبو عبد الرحمن السلمى: لما قتل عمّار و كان الليل قلت: لأدخلن إليهم حتى أعلم هل بلغ منهم قتل عمّار ما بلغ منّا؟ و كنّا إذا توادعنا من القتال تحدثوا إلينا و تحدّثنا إليهم، فركبت فرسى و قد هدأ الليل، ثم دخلت فاذا أنا بأربعة يتسايرون: معاويه و أبو الأعور و عمرو بن العاص و ابنه عبد الله، فأدخلت فرسى بينهم مخافه أن يفوتنى ما يقول أحد الشقين،

ص: ٢٩٨

١-١) ذيل تاريخ الطبرى ١١:٥١٠.

٢-٢) تاريخ الطبرى ٥:٤١. [١]

فقال عبد الله لأبيه: يا أبة قتلتهم هذا الرجل في يومكم هذا، وقد قال فيه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا قَالَ؟ قَالَ: وَمَا قَالَ؟ قَالَ: أَلَمْ تَكُنْ مَعَنَا وَنَحْنُ بِنِي الْمَسْجِدِ، وَالنَّاسُ يَنْقُلُونَ حَجْرًا حَجْرًا، وَابْنَهُ لَبْنَهُ، وَعَمَّارٌ يَنْقُلُ حَجْرَيْنِ حَجْرَيْنِ وَبِنْتَيْنِ لَبْنَتَيْنِ، فغشى عليه فأتاه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فجعل يمسح التراب عن وجهه، ويقول: «ويحك يا بن سمية! الناس ينقلون لبنة لبنة و أنت تنقل لبنتين لبنتين رغبة منك في الأجر، و أنت ويحك مع ذلك تقتلك الفئة الباغية» فدفع عمرو صدر فرسه، ثم جذب معاوية إليه، فقال: يا معاوية ألم تسمع ما يقول عبد الله؟ قال: وما يقول؟ فأخبره، فقال معاوية: إنك شيخ أخرق، ولا تزال تحدّث بالحديث و أنت تدحض في بولك، أو نحن قتلنا عمّارًا؟! إنما قتل عمّارًا من جاء به. فخرج الناس من فساطيطهم و أخبيتهم يقولون: إنما قتل عمّارًا من جاء به. فلا أدري من كان أعجب، هو أو هم؟! و في (صفيين نصر) (١): كان ذو الكلاع سمع عمرو بن العاص يقول: قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِعَمَّارٍ: تقتلك الفئة الباغية، و آخر شربه تشربها ضياح من لبن.

فكان ذو الكلاع يقول لعمرو: ما هذا ويحك؟ فيقول عمرو: إنه سيرجع إلينا.

فقتل ذو الكلاع قبل عمّار، فقال عمرو بعد قتل عمّار لمعاوية: ما أدري بقتل أيهما أشدّ فرحا بقتل عمّار، أو بقتل ذى الكلاع، و الله لو بقى ذو الكلاع بعد قتل عمّار، لمال بعامه أهل الشام إلى عليّ.

و فيه (٢): عن السدي عن يعقوب بن الأوسط قال: احتج رجلان بصفيين في سلب عمّار و في قتله، فأتيا عبد الله بن عمرو بن العاص، فقال لهما: ويحكما! اخرجنا عنى، فإنّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال: «ولعت قريش بعّمار، مالهم و لعّمار؟»

ص: ٢٩٩

١-١ (١) صفيين لنصر بن مزاحم: ٣٤٢، ٣٤١. [١]

٢-٢ (٢) المصدر السابق.

يدعوهم إلى الجنة و يدعونه إلى النار، قاتله و سالبه في النار» قال السدي:

فبلغني أنّ معاويه قال: إنّما قتله من أخرجه. يخدم بذلك طعام أهل الشام.

«و أين ابن التيهان» قال ابن أبي الحديد (١): هو مالك بن عتيك الأنصاري.

قلت: بل مالك بن التيهان بن مالك، كما في أسماء (الاستيعاب) (٢): و قال البلاذري في (أنسابه) ولده يقولون: ابن التيهان بن مالك بن عتيك. و أمّا قول (الاستيعاب) (٣) في كناه: «و التيهان اسمه مالك بن عمرو» فغلط لكونه خلاف قوله في أسمائه، و لأنّه روى في كناه بعد عن أبي نعيم (٤)، قال: «و التيهان اسمه عمرو بن الحارث». و إن كان خلاف قوله في أسمائه أيضا.

و كيف كان، فروى (الاستيعاب) (٥) عن صالح بن الوجيه، و عن أبي نعيم قتله بصفين، و يشهد له كلامه عليه السلام، فالأقوال الاخر في موته في زمان النبي صلّى الله عليه و آله، و في سنة (٢٠) و في سنة (٢١) لا عبره بها.

هذا و في (اشتقاق ابن دريد): شهد ابن التيهان العقبة و بدر و كان نقيبا.

و التيهان في إعلان من تاه يتيه.

و في (كامل المبرد) (٦): يقال لأبي الهيثم الأنصاري: ذو السيفين، لأنّه كان يتقلّد سيفين في الحرب.

و روى (عيون ابن بابويه) (٧): أنّ في جملة ما كتب الرضا عليه السلام للمأمون

ص: ٣٠٠

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ١٠٧: ١٠ [١] لا يوجد فيه: «ابن عتيك».

٢- ٢) الاستيعاب ٣: ٣٦٨. [٢]

٣- ٣) الاستيعاب ٤: ٢٠٠. [٣]

٤- ٤) أبو نعيم قال: «و التيهان اسمه عمرو بن الحارث» و إن كان خلاف قوله في أسمائه أيضا.

٥- ٥) الاستيعاب ٤: ٢٠١. [٤]

٦- ٦) الكامل للمبرد ٢: ٣٨٧. [٥]

٧- ٧) العيون لابن بابويه ٢: ١٢٥. [٦]

من شرايع الاسلام:الولايه لأمير المؤمنين عليه السّلام و الذين مضوا على منهاج نبيهم،و لم يغيروا و لم يبدلوا،مثل سلمان الفارسي،و أبي ذر الغفاري، و المقداد،و عمّار،و حذيفه،و أبي الهيثم بن التيهان.

و مما يحقق قتله في صفين ما رواه نصر بن مزاحم في (صفينه) (١) أنّ أمينه الأنصاريه رأته و قالت:

منع اليوم ان أذوق رقادا مالك إذ مضى و كان عمادا

يا أبا الهيثم بن تيهان إني صرت للهّم معدنا و وسادا

إذ غدا الفاسق الكفور عليهم إنّه كان مثلها معتادا

أصبحوا مثل من ثوى يوم احد يرحم الله تلكم الأجسادا

«و أين ذو الشهادتين» و اسمه خزيمه بن ثابت.و سمى ذو الشهادتين لما رواه البلاذري عن الواقدي قال:قال محمّد بن يحيى بن سهل:ابتاع النبي صلّى الله عليه و آله فرسه المرتجز من أعرابي من بنى مره،فرأى الأعرابي فيه رغبه،فجحد أن يكون باعه إياه،فشهد له على ابتياعه هذا الفرس خزيمه بن ثابت الأنصاري- و لم يكن شاهدا شراءه-فقال له النبي صلّى الله عليه و آله:كيف شهدت و لم تحضر؟قال:

بتصديقي إيّاك،و إنّ قولك كالمعانيه.قال:أنت ذو الشهادتين.فسمّى ذا الشهادتين.و وقع في خبر(عيون)المتقدم كابن التيهان.

قال ابن أبي الحديد (٢):روى حديث مقتله بصفين من وجوه كثيره عن ولد ولده محمّد بن عمّاره بن خزيمه،و من غريب ما وقفت عليه من العصبية القبيحه أنّ أبا حيان التوحيدى قال في (بصائره):إنّ خزيمه بن ثابت المقتول بصفين ليس ذا الشهادتين،بل آخر صحابي من الأنصار،فإنّ كتب الحديث

ص:٣٠١

١-١) صفين لنصر بن مزاحم:٣٦٥. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠٩:١٠. [٢]

و النسب تنطق أنه: لم يكن في الصحابه خزيمه بن ثابت غيره، و إنما الهواء لا- دواء له. على أن الطبرى (١) سبق أبا حيان، و من كتابه نقل أبو حيان، ثم أى حاجه لناصرى أمير المؤمنين عليه السلام أن يتكثروا بخزيمه، و ابن الهيثم، و غيرهم لو أنصفوه؟....

قلت: الطبرى قال ذلك فى (الجمل) فى رواياته عن سيف التى كلها مفتعله، إلا أنه فى (ذيله) قال بعد رفع نسبه إلى أوس: و هو ذو الشهادتين يكتى أبا عماره، شهد صفين و قتل يومئذ سنه (٣٧).

«و أين نظراؤهم من اخوانهم الذين تعاهدوا» أى: تعاهدوا.

«على المنيه» أى: الموت. منهم هاشم المرقال، و أصحابه. و فى (صفين نصر) (٢): لمّا قتل هاشم جزع الناس عليه جزعا شديدا، و اصيب معه عصابه من القراء من أسلم، فمّر عليهم علىّ عليه السلام و هم قتلى حوله، فقال:

جزى الله خيرا عصبه أسلميه صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

يزيد و عبد الله بشر و معبد و سفيان و ابنا هاشم ذى المكارم

و عروه لا يبعد ثناه و ذكره إذا اخترطت يوما خفاف الصوارم

و روى (٣)، عن عبد خير الهمداني قال: قال هاشم: أيها الناس إنى رجل ضخم فلا يهولنكم مسقطى إن أنا سقطت، فإنه لا يفرغ منى أقل من نحر جزور. ثم حمل فصرع، فمّر عليه زجل و هو صريع بين القتلى، فقال له: أقرىء أمير المؤمنين السلام و رحمه الله، و قل له: انشدك بالله ألا اصبحت و قد ربطت مقاود خيلك بأرجل القتلى، فإنّ الدبره تصبح عندك لمن غلب على القتلى.

ص: ٣٠٢

١-١) ذيل تاريخ الطبرى ٥١١: ١١.

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٦. [١]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٣. [٢]

فأخبر الرجل عليًا عليه السّلام بذلك، فسار عليّ عليه السّلام في بعض الليل، حتى جعل القتلى خلف ظهره، وكانت الدبره له عليهم.

و روى (١)، عن أبي سلمه: أن هاشم بن عتبة دعا الناس، فقال: ألا من كان يريد الله و الدار الآخرة فليقبل. فأقبل إليه ناس، فشدّ في عصابه من أصحابه على أهل الشام مرارا، فليس يحمل من وجه عليهم إلاّ- صبروا له، و قوتل فيه قتالا شديدا، فقال لأصحابه: لا يهولتكم ما ترون، فو الله ما ترون إلاّ- حميه العرب و صبرها تحت راياتها و عند مراكزها، و إنهم لعلى الضلال و إنكم لعلى الحق، يا قوم اصبروا و صابروا، و اجتمعوا و امشوا بنا على تؤده رويدا، ثم تأسوا و تصابروا، و اذكروا الله، و لا يسلم رجل أخاه، و لا تكثروا الالتفات، و جالدوهم محتسبين «حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ هُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ» (٢) إذ خرج عليهم فتى شاب- إلى أن قال- فقال له هاشم: و ما أنت و ابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمّد صلى الله عليه و آله و قرّاء الناس، حين أحدث أحداثا و خالف حكم الكتاب، و أصحاب محمّد هم أصحاب الدين و أولى بالنظر في امور المسلمين- إلى أن قال- و قاتل هاشم و أصحابه قتالا شديدا حتى أتت كتفيه لتنوخ، فشدوا فقاتلهم حتى قتل تسعه أو عشره، و حمل عليه الحرث بن المنذر التنوخي فطعنه فسقط، و بعث إليه على عليه السّلام: أن قدّم لواءك. فقال للرسول: انظر إلى بطني. فاذا هو قد انشق، و أخذ اللواء بعد قتله ابنه عبد الله و قال:

أ هاشم بن عتبة بن مالك أعزز بشيخ من قريش هالك

تخبطه الخيول بالسنايك في أسود من نفعهن حالك

أبشر بحور العين في الأرائك و الروح و الريحان عند ذلك

ص: ٣٠٣

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٣-٣٥٤. [١]

٢-٢) الأعراف: ٨٧. [٢]

و في (المروج) (١): حمل هاشم و معه جماعه من أسلم قد آلوا ألا يرجعوا، أو يفتحوا، أو يقتلوا. و شرطه الخميس الذين بايعوه على الموت كانوا خمسين.

و منهم أبو عمره عمرو بن محصن النجاري في (صفين نصر) (٢): كان من أعلام أصحاب علي عليه السلام، فلما قتل جزع علي عليه السلام لقتله، و قال النجاشي يرثيه:

لنعم فتى الحيين عمرو بن محصن إذا صائح الحى المصبح ثوبا

لقد فجع الأنصار طرا بسيد أخى ثقه فى الصالحات مجربا

فان تقتلوا الحر الكريم ابن محصن فنحن قتلنا ذا الكلاع و حوشبا

و قالت شاميه:

و لا تعدموا قوما أذاقوا ابن ياسر شعوبا و لم يعطوكم بالخزائم

فنحن قتلنا اليربى ابن محصن خطيبكم و ابنى بديل و هاشم

و منهم عبد الله بن بديل الخزاعي، و في (صفين نصر) (٣): كان عليه يومئذ سيفان و درعان، فجعل يضرب الناس بسيفه قدما، و هو يقول:

لم يبق إلا الصبر و التوكل و اخذك الترس و سيفا مصقل

ثم التمشى فى الرعيل الأول مشى الجمال فى الحياض المنهل

فلم يزل يضرب بسيفه حتى انتهى إلى معاويه، فأزاله عن موقفه، فأقبل أصحاب معاويه يرضخونه بالصخر، حتى أثنوه و قتل. فقال معاويه: هذا كبش القوم و رب الكعبه.

ص: ٣٠٤

[١- ١] مروج الذهب للمسعودى ٨٠: ٣-٨١. [١]

[٢- ٢] صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٧. [٢]

[٣- ٣] صفين لنصر بن مزاحم: ٢٤٥. [٣]

«و أبرد برءوسهم الى الفجره» قال ابن أبى الحديد (١)أى: حملت رؤوسهم مع البريد إلى الفجره أى: امراء عسكر الشام.

قلت: لم ينقل فى السير قطع الرؤوس فى صفيين بعد القتل و إرسالها إلى الامراء، ثم امراء الشام كانوا شاهدين صفيين، فلم تحمل الرؤوس إليهم مع البريد؟ ثم لم يكن أحد يرسل إليه رأس غير أمير الفجره معاويه. و يمكن أن يكون المراد بقوله عليه السّلام: «و أين نظراؤهم إلى و ابرد برءوسهم إلى الفجره» فى غير صفيين، و إنّه عليه السّلام أشار إلى حمل رأس محمّد بن أبى بكر، فالخطبه - كما عرفت - كانت بعد قتل محمّد قرب قتله عليه السّلام، و فى (العقد) (٢): ضرب معاويه بن حديج عنق محمّد، و بعث برأسه إلى معاويه، فكان أوّل رأس طيف به فى الاسلام.

و كلامه عليه السّلام بلفظ الماضى، و إلاّ فحمل رأس عمرو بن الحمق الذى كان أحد أجلاء شيعته - كحجر بن عدى - إلى معاويه بعشر سنين بعده عليه السّلام، هرب زمان إماره زياد على الكوفه إلى الموصل، و دخل غارا فنهشته حيه فقتلته، فبعث عامل الموصل من أخذ رأسه و بعثه إلى زياد، فبعثه زياد إلى معاويه و قالوا: إنّ رأسه أوّل رأس حمل فى الإسلام من بلد إلى بلد.

و اللعين أوّل من أسّس هذه الشناعه فى الإسلام، و تبعه من بعده من الجبابره، و فى (صله تاريخ الطبرى) (٣): ورد فى سنه (٣٠٤) الكتاب من خراسان: أنّه وجد بالقندهار فى أبراج سورها برج متصل بها، فيه خمسه آلاف رأس فى سلال من حشيش، و من هذه الرؤوس: تسعه و عشرون رأسا،

ص: ٣٠٥

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ١١٠: ١٠. [١]

٢-٢ (٢) العقد لابن عبد ربه ١٢٣: ١. [٢]

٣-٣ (٣) صله تاريخ الطبرى ١١: ٥٩.

فى اذن كل رأس منها رقعته مشدوده بخيط إبريسم، باسم كل رجل منهم، و الأسماء: شريح بن حيان، خباب بن الزبير، الخليل بن موسى التميمى، الحارث بن عبد الله، طلق بن معاذ السلمى، حاتم بن حسنه، هانى بن عره، عمر بن علاء، جرير بن عباد المدنى، جابر بن خبيب بن الزبير، فرقد بن الزبير السعدى، عبد الله بن سليمان بن عمارة، سليمان بن عمارة، مالك بن طرخان صاحب لواء عقيل بن سهيل بن عمرو، عمرو بن حيان، سعيد بن عتاب الكندى، حبيب بن أنس، هارون بن عروه، غيلان بن العلاء، جبرئيل بن عباد، عبد الله الجلى، مطرف بن صبح ختن عثمان بن عفان، وجدوا على حالهم، إلا أنه قد جفت جلودهم و الشعر عليها بحالته. و فى الرقاع من سنه (٧٠) من الهجره.

هذا، و فى الخبر: أن الحسين عليه السلام كان فى شخوصه من مكه إلى العراق لا ينزل منزلا و لا يرحل، إلا كان يذكر أمر رأسه عليه السلام، و بعثه إلى عبيد الله و يزيد، و كان عليه السلام يقول: من هوان الدنيا أن رأس يحيى بن زكريا اهدى إلى ملك بغى .

«قال» ليس فى (ابن ميثم) (١)، و انما هو فى (ابن أبى الحديد) (كالمصريه) (٢).

«ثم ضرب بيده» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (يده) كما فى (ابن ميثم) (٣) و (ابن أبى الحديد) (٤) و (الخطيه).

«على لحيته الشريفه الكريمه» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (على

ص: ٣٠٦

١- ١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، و فيه: قال ثم ضرب.

٢- ٢) الطبعة المصريه: ١٣١ الخطبه ١٨٠.

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، و فيه: «ضرب بيده».

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٠: ٩٩.

لحيته) بدون زياده لعدم وجود الوصفين في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (١).

«فأطال البكاء ثم قال عليه السلام» هكذا في (المصريه)، و ليس في (ابن ميثم و ابن أبي الحديد): عليه السلام .

«أؤه» -بسكون الواو- قال الجوهرى: توجع، قال الشاعر:

فأؤه لذكرها إذا ما ذكرتها و من بعد أرض بيننا و سماء

«على اخوانى الذين قرءوا» هكذا في (المصريه)، و الصواب: (تلوا) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«القرآن فأحكموه، و تدبروا الفرض فأقاموه، أحيوا السنه و أماتوا البدعه» في (صفين نصر) (٢): قتل عبد الله بن كعب يوم صفين، فمر عليه الأسود بن قيس و هو بآخر رمق، فقال له الأسود: عز عليّ و الله مصرعك، أما و الله لو شهدتك، لآسيتك و لدافعت عنك، و لو أعرف الذى أشعرك لأحببت ألا يزايلنى حتى يلحقنى بك. ثم نزل إليه، و قال له: و الله إن كان جارك ليأمن بوائقك، و إن كنت من الذاكرين الله كثيرا، أو صنى رحمك الله. قال: أو صيكن بتقوى الله، و ان تناصح أمير المؤمنين، و أن تقاتل معه المحليين حتى يظهر الحق، أو تلحق بالله، و أبلغه عنى السلام، و قل له: قاتل على المعركه حتى تجعلها خلف ظهرك، فمن أصبح و المعركه خلف ظهره كان الغالب. ثم لم يلبث أن مات، فأقبل الأسود إلى على عليه السلام فأخبره، فقال رحمه الله جاهد معنا عدونا فى الحياه، و نصح لنا فى الوفاه .

«دعوا للجهاد فأجابوا، و وثقوا بالقائد» يعنى عليه السلام نفسه.

ص: ٣٠٧

١- ١) شرح ابن ميثم ٣: ٣٩٢، و [١] فيه: «على لحيته الشريفه الكريمه».

٢- ٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٦. [٢]

«فاتبعوه» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: (فاتبعوا) كما في (ابن أبي الحديد) (٢) و (ابن ميثم) (٣).

في (صفين نصر) (٤): لما خرج على عليه السلام إلى صفين قال له عمرو بن الحمق: إني والله ما بايعتك على قرابه بيني وبينك، ولا إرادته مال تؤتنيه، ولا التماس سلطان ترفع ذكرى، ولكن أجبتك لخصال خمس: أنك ابن عم النبي صلى الله عليه وآله، وأول من آمن به، وزوج سيده نساء الامه، وأبو الذريه التي بقيت فينا من النبي صلى الله عليه وآله، وأعظم رجل من المهاجرين في الجهاد. فلو أنني كلفت نقل الجبال الرواسي، ونزع البحور الطوامي، حتى يأتي علي يومى فى أمر أقوى به ولتيك و اوهن به عدوك، ما رأيت أنني قد أدت فيه كل الذى يحق علي من حقك. فقال عليه السلام: اللهم نور قلبه بالتقى، و اهده إلى صراط مستقيم، ليت فى جندي مائه مثلك. ثم قام حجر بن عدى، فقال له عليه السلام: نحن بنو الحرب و أهلها، نلهبها و ننتجها، قد ضار ستنا و ضار سناها، و لنا أعوان ذوو صلاح و عشيره ذات عدد، و رأى مجرب و بأس محمود، و أزمّتنا منقادك لك بالسمع و الطاعة، فإن شرقت شرقتنا، و إن غرّبت غرّبتنا، و ما أمرتنا به من أمر فعلناه.

و في (رجال الكشي): قال أبو الجارود: قلت للأصبغ: ما كان منزله هذا الرجل فيكم؟ قال: ما أدري ما تقول، إلا أنّ سيفنا كانت على عواتقنا، فمن أومى إليه ضربناه بها، و كان يقول لنا: تشرطوا، فو الله ما اشتراطكم لذهب و لا فضه، و ما اشتراطكم إلا للموت، إنّ قوما قبلكم من بنى اسرائيل تشرطوا بينهم، فما مات أحد منهم حتى كان نبي قومه، أو نبي قريته، أو نبي نفسه،

ص: ٣٠٨

١- (١) الطبعة المصريه: ١٣١ الخطبه ١٨٠.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٩٩: ١٠. [١]

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٣٩٢: ٣.

٤- (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ١٠٣. [٢]

و إنكم بمنزلتهم غير أنكم لستم بأنبياء.

و فى (المروج) (١): كان حذيفه اليمانى فى سنة (٣٦) عليلاً بالكوفة، فبلغه قتل عثمان و بيعه الناس لعلى عليه السلام، فقال: أخرجونى و ادعوا: الصلاة جامعه.

فوضع على المنبر، فحمد الله و أثنى عليه، و صلى على النبى و آله، ثم قال: أيها الناس، إن الناس قد بايعوا علينا عليه السلام، فعليكم بتقوى الله، و انصروا علياً، و ازرروه، فو الله إنه لعلى الحق آخراً و أولاً، و إنه لخير من مضى بعد نبيكم، و من بقى إلى يوم القيامة. ثم أطبق يمينه على يساره، ثم قال: اللهم اشهد أنى قد بايعت علياً. و قال: الحمد لله الذى أبقانى إلى هذا اليوم. و قال لابنيه صفوان و سعيد: احملانى و كونا معى، فسيكون له حروب كثيرة، فيهلك فيها خلق من الناس، فاجتهدا أن تستشهدا معى، فإنه و الله على الحق، و من خالفه على الباطل. و مات حذيفه بعد ذلك بسبعة أيام، و استشهد ابنه فى صفين، و استشهد عبد الله بن الحرث النخعى أخو الأشر.

١١

الحكمه (٣٢٢)

و روى: أنه ع لما ورد؟ الكوفه؟ - قادمًا من؟ صفة؟ - مرَّ بالسَّبَامِيِّينَ - فَمِيعَ بُكَاءِ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ؟ صفة؟ - و خَرَجَ إِلَيْهِ؟ حَرْبُ بَنِ شُرَحْبِيلَ الشَّيْأَمِيِّ؟ - و كَمَا مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ فَفَالَ ع لَهُ - أ تَعْلِبُكُمْ نِسَاءُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ - أ لا - تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ هَذَا الرَّيْنِ - و أَقْبَلَ؟ حَرْبُ؟ يَمْشَى مَعَهُ وَ هُوَ رَاكِبٌ - فَقَالَ ع اِرْجِعْ فَإِنَّ مَشَى مِثْلَكَ مَعَ مِثْلِى - فَتَنَّهُ لِلْوَالِى وَ مَدَّ لَهُ لِلْمُؤْمِنِ

ص: ٣٠٩

(١-١) مروج الذهب للمسعودى ٣٩٤:٢. [١]

أقول: رواه نصر بن مزاحم نصر بن مزاحم-صفين-ص ٥٣١ (١)، والطبري الطبري-تاريخ الطبري-ج ٤ ص ٤٥ (٢) في كتابيهما مع زياده قبله وبعده. فروى الأول عن عمر عن عبد الله بن عاصم، قال: لما مرّ على عليه السّلام بالثوريين-يعنى ثور همدان-سمع البكاء، فقال: ما هذه الأصوات؟ قيل: هذا البكاء على من قتل بصفين. قال: أما إنني أشهد لمن قتل منهم صابرا محتسبا بالشهادة. ثم مرّ بالشباميين، فسمع رثه شديده، و صوتا مرتفعا عاليا، فخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامي، فقال له على عليه السّلام: أ تغلبكم نساؤكم؟ ألا تنهونهن عن هذا الصياح والرنين؟ قال: لو كانت دارا أو دارين أو ثلاثا قدرنا على ذلك، ولكن من هذا الحي ثمانون و مائه قتيل، فليس من دار إلا و فيها بكاء.

أما نحن معاشر الرجال فإننا لا نبكي، و لكن نفرح لهم بالشهادة. فقال عليه السّلام:

رحم الله قتلاكم و موتاكم. و أقبل يمشى معه، و على عليه السّلام راكب فقال له على عليه السّلام: ارجع فإنّ مشى مثلك فتنه للوالى. و مدله للمؤمن. ثم مضى حتّى مرّ بالناعطين، فسمع رجلا منهم يقال له عبد الرحمن بن مرثد، يقول: ما صنع على شيئا؟ ذهب ثم انصرف فى غير شىء. فلما نظر على عليه السّلام إليه ألبس، فقال عليه السّلام: وجوه قوم ما رأوا الشام العام. ثم قال عليه السّلام لأصحابه: قوم فارقتهم أنفا خيرا من هؤلاء. ثم قال:

أخوك الذى إن أحرضتك ملمه من الدهر لم يبرح لبثك واجما

و ليس أخوك بالذى إن تمنّعت عليك امور ظل يلحاك لائما

ثم مضى عليه السّلام فلم يزل يذكر الله حتى دخل الكوفه.

و فى حديث (٣) عمرو ابن شمر: لما صدر على عليه السّلام من صفين أنشأ

ص: ٣١٠

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣١. [١]

٢-٢) تاريخ الطبري ٤: ٤٥. [٢]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٣٢-٥٣٣. [٣]

يقول:

و كم قد تركنا فى دمشق و أرضها من اشط موتور و شمطاء تاكل

و غانيه صاد الرماح حليلها فأضححت تعد اليوم احدى الأرامل

تبكى على بعل لها راح غاديا و ليس إلى يوم الحساب بقافل

و إنا لناس ما تصيب رماحنا إذا ما طعنا القوم غير المقاتل

و روى الثانى (1) باسناده عن أبى مخنف عن عبد الله بن عاصم مثله، إلى قوله: «حتى دخل الكوفه» لكن فيه: «حتى مر بالناعطين و جلهم عثمانيه» و فيه: «فلما نظروا إلى على عليه السلام ألبسوا».

قول المصنّف: «و روى» قد عرفت أنّ الراوى عبد الله بن عاصم الفائشى.

«أنّه عليه السلام لَمّا ورد الكوفه قادما من صفين مرّ» قد عرفت من التّوايه المتقدمه أنّ مروره عليه السلام بمن قال، كان قبل وروده الكوفه.

«بالشبابيين» بكسر الشين، فى (الجمهره): شبام: قبيله من العرب. قال ابن الكلبي: هم منسوبون إلى جبل و ليس بامّ و لا أب.

و فى (السمعاني): شبام: مدينه باليمن. و فى (لبابه): شبام: بطن من همدان، و هو شبام بن أسعد بن جشم بن حاشد بن خيران بن نوف بن همدان، و تلك المدينه بهم سميت.

و فى (القاموس): «موضع بالشام، و جبل لهمدان باليمن، و بلد لحمير تحت جبل كوكبان، و بلد لبنى حبيب عند ذمرمر، و بلد فى حضر موت».

قلت: و الأصح فى الحى ما قاله ابن الكلبي.

«فسمع بكاء النساء على قتلى صفين» قد عرفت فى خبره: «فسمع رنه شديده، و صوتا مرتفعا عاليا» و يشهد له قوله عليه السلام: «ألا تنهونهن عن هذا

ص: ٣١١

الرنين». لا أنه عليه السّلام نهى عن مطلق البكاء. كيف وقد سمع عليه السّلام قبل الشباميين من ثور همدان بكاء نسائن فلم ينه؟ «وخرج إليه حرب بن شرحبيل الشبامى و كان من وجوه قومه» كان من التابعين و قوله له عليه السّلام فى خبره: «أما نحن معاشر الرجال فلا نبكى و نفرح لهم بالشهاده» يدلّ على حسن حاله .

«فقال عليه السّلام أ تغلبكم نساؤكم على ما أسمع» من الصياح.

«أ لا تنهونهن عن هذا الرنين» صوت البكاء الممتد، و فى (الجمهره): الرنه:

الصوت الشديد يخالطه فرع أو صراخ. سمعت رنه القوم، ثم كثر حتى قالوا:

سمعت رنّه الطير. أى: أصواتها، و هو الرنين أيضا.

«و أقبل حرب» ليس (حرب) فى (ابن ميثم) (1) بل فى (ابن أبى الحديد) (2) و أخذته (المصريه) (3) منه.

«يمشى معه عليه السّلام و هو راكب فقال عليه السّلام»: هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (فقال عليه السّلام له) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه) (4).

«ارجع فإنّ مشى مثلك مع مثلى فتته للوالى و مذله للمؤمن» روى (الروضه) (5): عن جويريه بن مسهر قال: اشتدّت خلف أمير المؤمنين عليه السّلام، فقال: يا جويريه إنّه لم يهلك هؤلاء الحمقى إلاّ بخفق النعال خلفهم، ما جاء بك؟ قلت: جئت أسألك عن ثلاث: الشرف و المروه و العقل....

و فى (معارف القتيبي): قال ميمون بن مهران: أوّل من مشت معه

ص: ٣١٢

١-١ شرح ابن ميثم ٤٠٣:٥.

٢-٢ شرح ابن أبى الحديد ٢٣٤:١٩. [١]

٣-٣ الطبعه المصريه: ٢٣٠ الحكمه ٣٢٢.

٤-٤ شرح ابن ميثم ٤٠٣:٥. [٢]

٥-٥ روضه فروع الكافى ٢٤١:٨-ح ٣٣١. [٣]

و من كلام له عليه السلام قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومه:

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَيَا أُحِبُّ - حَيْتِي نَهَكْتُكُمْ الْحَرْبُ - وَقَدْ وَاللَّهِ أَخَذْتُ مِنْكُمْ وَ تَرَكْتُ - وَ هِيَ لِعِيدُكُمْ أَنْهَكُ - لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا - وَ كُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنُهِيًا - وَ قَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَ لَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلْكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ أَقُولُ: ذكره (صفين نصر بن مزاحم - صفين - ص ٤٨٤ نصر بن مزاحم) [١]، مع أدنى اختلاف و مع بيان سببه، فقال: ذكروا أن أهل الشام جزعوا فقالوا: يا معاوية ما نرى أهل العراق أجابوا إلى ما دعوناهم إليه، فأعدها جذعه، فإنك قد غمرت بدعائك القوم، و اطمعتهم فيك. فدعا معاوية عبد الله بن عمرو بن العاص و أمره أن يكلم أهل العراق، فأقبل حتى إذا كان بين الصفين: نادى يا أهل العراق أنا عبد الله بن عمرو بن العاص، إنها قد كانت بيننا و بينكم أمور للدين أو الدنيا، فإن تكن للدين فقد و الله اعذرنا و اعذرتم و إن تكن للدنيا فقد أسرفنا و أسرفتم، و قد دعوناكم إلى أمر لو دعوتونا لأجبناكم، فإن يجمعنا و إياكم الرضا فذلك من الله، فاغتنموا هذه الفرجه لعله أن يعيش فيها المحترف و ينسى فيها القتيل، فإن بقاء المهلك بعد الهالك قليل. فخرج سعيد بن قيس الهمداني فأتى علياً عليه السلام، فأخبره بقول عبد الله بن عمرو - إلى أن قال - و قام الناس إلى علي عليه السلام، فقالوا: أجب القوم إلى ما دعوك إليه، فإننا قد فنينا - إلى أن قال - ذكروا: أن الناس ماجوا و قالوا: أكلنا الحرب، و قتلت الرجال. و قال قوم: نقاتل

ص: ٣١٣

القوم على ما قاتلناهم عليه أمس. و لم يقل هذا إلاّ- قليل من الناس، ثم رجعوا عن قولهم مع الجماعة و ثارت الجماعة بالموادعة، فقام على عليه السّلام و قال: «إنّه لم يزل أمرى معكم على ما احب إلى أن أخذت الحرب منكم، و قد و الله أخذت منكم و تركت، و أخذت من عدوّكم و لم تترك، و إنّها فيهم أنكى و أنهك، إلاّ أنّى كنت أمس أميراً، فأصبحت اليوم مأموراً، و كنت ناهياً، فأصبحت منهيماً، و قد أحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون» ثم تكلم رؤساء القبائل، فأما من ربيعه- و هى الجبهه العظمى- فقام كردوس بن هانى البكرى فقال:

أيّها الناس و الله ما تولينا معاويه منذ تبرأنا منه، و لا تبرأنا من على عليه السّلام منذ توليناه، و إنّ قتلنا لشهداء، و احياءنا لأبرار، و إنّ علينا عليه السّلام لعلى بينه من ربّه، و ما أحدث إلاّ الانصاف، و كان محقاً منصفاً، فمن سلّم له نجا، و من خالفه هلك. ثم قام شقيق بن ثور البكرى فقال: أيّها الناس إنّنا دعونا أهل الشام إلى كتاب الله، فردّوه علينا، فقاتلناهم عليه. و إنّهم دعونا إلى كتاب الله، فإن ردّدناه عليهم حل لهم ممّا حل لنا منهم، و لسنا نخاف أن يحيف الله علينا و لا رسوله، و إنّ علينا عليه السّلام ليس بالمراجع الناكص، و لا الشاك الواقف، و هو اليوم على ما كان عليه أمس، و قد أكلتنا هذه الحرب و لا نرى إلاّ الموادعة. ثم قام حريث بن جابر البكرى فقال: أيّها الناس إنّ علينا عليه السّلام لو كان خلوا من هذا الأمر لكان المفزع إليه فكيف و هو قائده و سائقه و أنّه و الله ما قبل من القوم اليوم إلاّ- ما دعاهم إليه أمس- إلى أن قال- و قام الحضين الربعى- و كان أصغر القوم سناً- فقال: أيّها الناس إنّما بنى هذا الدين على التسليم، فلا توقروه بالقياس، و لا تهدموه بالشفقة. فإنّا و الله لو لا تقبل لا نقبل إلاّ ما نعرف لأصبح الحق فى أيدينا قليلاً، و لو تركنا و ما نهوى لكان الباطل فى أيدينا كثيراً، و إنّ لنا داعياً قد حمدنا و رده و صدره، و هو المصدق على ما قال، المأمون على ما فعل، فإن قال لا:.

قلنا: لا. وإن قال: نعم. قلنا: نعم.

و ذكره (خلفاء ابن قتيبه-الخلفاء-ص ١١٥ ابن قتيبه) (١) أيضا، فقال: ذكروا أن أهل العسكرين باتوا بشده من الألم، و نادى على عليه السلام أصحابه، فأصبحوا على راياتهم و مصافهم، فلما رأهم معاويه و قد برزوا للقتال، قال لعمر بن العاص: ألم تزعم أنك ما وقعت في أمر قط إلا و خرجت منه؟ قال: بلى. قال: أفلا تخرج مما ترى؟ قال:

و الله لأدعونهم-إن شئت-إلى أمر افترق به جمعهم، و يزداد جمعك إليك اجتماعا، إن أعطوكه اختلفوا، و إن منعوكه اختلفوا. قال: و ما ذاك؟ قال: تأمر بمصاحف فترفع، ثم تدعوهم إلى ما فيها فو الله لئن قبله ليفرقن عنه جماعته، و لئن رده ليكفرنّه أصحابه. فدعا معاويه بالمصحف، ثم دعا رجلا- من أصحابه يقال له: ابن هند، فنشره بين الصفيين، ثم نادى: الله الله في دماننا و دمائكم، البقيه البقيه، بيننا و بينكم كتاب الله. فلما سمع الناس ذلك ثاروا إلى علي عليه السلام فقالوا: أعطاك معاويه الحق، و دعاك إلى كتاب الله فاقبل منه-إلى أن قال-فقام علي عليه السلام خطيبا فقال: «أيها الناس إنّه لم أزل من أمرى على ما أحب حتى قد نهكتكم الحرب، و قد و الله أخذت منكم و تركت، و هي لعدوّكم أنهك، و قد كنت بالأمس أميرا، فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت ناهيا، فأصبحت اليوم منهيّا، و ليس لي أن أحملكم على ما تكرهون» .

قول المصنّف: «و من كلام له عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومه» هكذا في (المصريه) (٢) و كذا (ابن أبي الحديد) (٣) و في (ابن ميثم) (٤):

«و قال عليه السلام لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومه».

ص: ٣١٥

١-١) الخلفاء لابن قتيبه: ١١٥.

٢-٢) الطبعه المصريه ٢: ٢١٢.

٣-٣) شرح ابن أبي الحديد ١١: ٢٩. [١]

٤-٤) شرح ابن ميثم ٤: ١٥. [٢]

قوله عليه السلام: «أيها الناس إنّه لم يزل أمرى معكم على ما احب» يأترون ما أمرهم به، ويزدجرون عمّا زجرهم عنه.

«حتى نهكتكم» من: نهكته الحمى، إذا جهدته و نقصت لحمه، أو من:

نهكت الثوب، إذا لبسته حتى خلق.

«الحرب» مؤنث و قد تذكر، قال: إذا الحرب هفا عقابه.

«و قد و الله أخذت» الحرب.

«منكم» رجالا.

«و تركت» أكثر.

«و هي لعدوّكم أنهك» فقتلى أصحاب معاويه كانوا أكثر من قتلى أصحابه عليه السلام، ففي (المروج) (١): عن يحيى بن معين: قتل من أهل الشام تسعون ألفا، و من أهل العراق عشرون ألفا. و عن أبي مخنف و الشرقى و الهيثم: قتل من أهل الشام خمسه و أربعون ألفا، و من أهل العراق خمسه و عشرون .

«لقد كنت أمس أميرا فأصبحت اليوم مأمورا» فى (صفين نصر) (٢): لما رفع أهل الشام المصاحف على الرماح يدعون إلى حكم القرآن، قال عليّ عليه السلام: عباد الله أنا أحق من أجباب إلى كتاب الله، و لكن معاويه و عمرو بن العاص و ابن أبى معيط و حبيب بن مسلمه و ابن أبى سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إننى أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا، فكانوا شر أطفال و شر رجال. إنّها كلمه حق يراد بها باطل، إنهم و الله ما رفعوها إلا أنّهم يعرفونها و لا يعملون بها، و ما رفعوها لكم إلا خديعه و مكيده. أعيرونى سواعدكم

ص: ٣١٤

١-١) مروج الذهب للمسعودى ٢:٤٠٤. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩. [٢]

و جماجمكم ساعه واحده، فقد بلغ الحق مقطعه، و لم يبق إلا- أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءه زهاء عشرين ألفا مقنعين في الحديد، شاكي السلاح، سيوفهم على عواتقهم، و قد اسودت جباههم من السجود، يتقدمهم مسعر بن فدكي، و زيد بن حصين و عصابه من القراء الذين صاروا خوارج من بعد، فنادوه باسمه لا يامرهم المؤمنين: يا عليّ أجب القوم إلى كتاب الله إذ دعيت إليه، و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان، فو الله لنفعلنّها إن لم تجبهم. فقال علي عليه السلام لهم:

و يحكم أنا أوّل من دعا إلى كتاب الله، و أوّل من أجب إليه، و ليس يحلّ لي و لا يسعني في ديني، أن ادعى إلى كتاب الله فلا أقبله، إنّما اقاتلهم ليدينوا بحكم القرآن، فإنّهم قد عصوا الله في ما أمرهم، و نقضوا عهده، و نبذوا كتابه، و لكنني قد أعلمتكم أنّهم قد كادوكم و أنّهم ليسوا العمل بالقرآن يريدون. قالوا فابعث إلى الأشتر ليأتينك. و قد كان الأشتر صبيحه ليله الهرير قد أشرف على عسكر معاويه ليدخله، و حدّثني فضيل بن خديج عن رجل من النخع قال رأيت إبراهيم بن الاشر دخل على مصعب فسأله عن الحال: كيف كانت؟ فقال: كنت عند عليّ عليه السلام حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، فقال لرسوله: قل له: ليس هذه الساعه ينبغي لك أن تزلني فيها عن موقفي، إنّني قد رجوت أن يفتح الله لي.

فرجع رسوله، فما هو إلا- أن انتهى إلينا حتى ارتفع الوهج، و علت الأصوات من قبل الأشتر و ظهرت دلائل الفتح لأهل العراق و الخذلان على أهل الشام، فقال له القوم: و الله ما نراك إلا أمرته بقتال القوم. قال عليه السلام: رأيتموني ساررت رسولي؟ أليس إنّما كلمته على رؤوسكم علانيه و أنتم تسمعون؟ قالوا:

فابعث إليه فليأتك، و إلا فو الله اعترلناك. فقال لرسوله: ويحك قل له: أقبل فإنّ الفتنه قد وقعت. فأتاه فأخبره، فقال الأشتر: الرفع هذه المصاحف؟ قال: نعم.

قال: اما و الله لقد ظننت أنّها حين رفعت ستوقع اختلافًا و فرقه، أنّها من مشوره

ابن النابغه-يعنى:عمرو بن العاص-ثم قال لرسوله:ألا ترى إلى الفتح؟ألا ترى إلى ما يلقون؟ألا ترى إلى الذى يصنع الله لنا؟أ
ينبغى أن ندع هذا و ننصرف عنه؟فقال له رسوله:أ تحب أنك ظفرت هاهنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يسلم إلى
عدوه؟قال:سيحان الله!و الله ما احب ذلك.قال:

إنهم قالوا له:لترسلن إلى الأشر فليأتك،أو لنقتلنك كما قتلنا عثمان،أو لنسلمنك إلى عدوك.فأقبل الأشر حتى انتهى إليهم
فصاح:يا أهل الذل و الوهن،أحين علوتم القوم فظنوا أنكم لهم ظاهرون،و رفعوا المصاحف يدعونكم إلى ما فيها،و قد و الله
تركوا ما أمر الله فيها و سنّه من انزلت عليه؟فلا- تجيبوهم،أمهلونى فواقا،فإنى قد أحسست بالفتح.قالوا:لا.قال:فامهلونى عدو
الفرس،فإنى قد طمعت فى النصر.قالوا:إذن ندخل معك فى خطيبتك.

قال:فحدثونى عنكم-و قد قتل أمثالكم و بقى أراذلكم-متى كنتم محقين؟ أحين تقتلون أهل الشام،فأنتم الآن حين أمسكنم
مبطلون؟أم الآن محقون؟ فقتلاكم إذن لا تنكرون فضلهم،و كانوا خيرا منكم فى النار.قالوا:دعنا منك يا أشر قاتلناهم فى الله،و
ندع قتالهم فى الله،إننا لسنا نطيعك فاجتنبنا.قال:

خدعتم و الله فانخدعتم،و دعيتم إلى وضع الحرب فأجبتم.يا أصحاب الجباه السود،كنا نظن أن صلاتكم زهاده فى الدنيا و شوقا
إلى لقاء الله،فلا أدرى فراركم إلا إلى الدنيا من الموت،ألا فقبحا يا أشباه النيب الجلاله،ما أنتم برائين عزا بعدها أبدا،فابعدوا كما
بعدا للقوم الظالمين.فسبوه و سبهم،و ضربوا بسياطهم وجه دابته،و ضرب بسوطه وجه دوابهم،فصاح بهم على عليه السلام
فكفوا،فقال الأشر له عليه السلام:احمل الصف على الصف يصرع القوم.فقالوا له:

إن عليا قبل الحكومه و رضى.فقال:إن كان قد قبل و رضى فقد رضيت بما رضى به أمير المؤمنين عليه السلام.فأقبل الناس
يقولون قد رضى أمير المؤمنين،

قد قبل أمير المؤمنين. و هو عليه السلام ساكت لا يلفظ بكلمه، مطرق إلى الأرض.

«و كنت أمس ناهيا فأصبحت اليوم منها» في (صفين نصر) (1): جاء الأشعث إلى على عليه السلام فقال: ما أرى الناس إلا وقد رضوا أن يجيوا القوم إلى ما دعوهم إليه، فإن شئت أتيت معاويه فسألته ما يريد، ونظرت ما الذي يسأل.

قال: إيته إن شئت. فأتاه فقال له: لأى شىء رفعت المصاحف؟ قال: لترجع نحن و أنتم إلى ما أمر الله به فى كتابه، فأبعثوا منكم رجلا ترضون به، و نبعث منّا رجلا، ثم نأخذ عليهما أن يعملما بما فى كتاب الله لا يعدوانه، ثم نتبع ما اتفقا عليه. فقال الأشعث: هذا هو الحق. فانصرف إلى على عليه السلام فأخبره، فقال الناس: قد قبلنا و رضينا. فبعث على عليه السلام قراء من أهل العراق، و بعث معاويه قراء من أهل الشام، فاجتمعوا بين الصفيين و معهم المصحف، فنظروا فيه و تدارسوه و أجمعوا على أن يحيوا ما أحيا القرآن، و أن يميتوا ما أمات القرآن، ثم رجع كل فريق إلى أصحابه، فقال أهل الشام: إنا قد رضينا و اخترنا عمرو بن العاص. و قال الأشعث و القراء الذين صاروا خوارج فى ما بعد: إنا قد رضينا و اخترنا أبا موسى. فقال لهم على عليه السلام: انى لا أرضى بأبى موسى، و لا أرى ان أوليه. فقال الأشعث و يزيد بن حصين و مسعر بن فدكى فى عصابه من القراء: إنا لا نرضى إلا به، فإنه قد حذرنا ما وقعنا فيه. قال على عليه السلام: فإنه ليس لى برضاء و قد فارقتى، و خذل الناس عنى، ثم هرب حتى أمنته بعد أشهر، و لكن هذا ابن عباس أوليه ذلك. قالوا: و الله ما نبالى أنت كنت أو ابن عباس لا تريد إلا رجلا هو منك و من معاويه سواء، ليس إلى واحد منكما بأذى من الآخر. قال: فإنى أجعل الأشر. قال الأشعث: و هل سحر الأرض علينا غير الأشر؟ و هل نحن إلا فى حكم الأشر؟ قال على عليه السلام: و ما حكمه؟

ص: ٣١٩

قال ان يضرب بعضنا بالسيف حتى يكون ما أردت و ما أراد-إلى أن قال-قال على عليه السلام:قد أيتيم إلا- أبا موسى.قالوا:نعم.قال:فاصنعوا ما أردتم.

«وقد أحببتم البقاء و ليس لى أن أحملكم على ما تكرهون» «و كرهوا أن يُجاهدوا بِأموالِهِمْ وَ أَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَ قالوا لا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» (١).

ص: ٣٢٠

[١- ١] التوبه: ٨١. [١]

الفصل الثالث و الثلاثون: في المارقين

اشاره

ص: ٣٢١

و من خطبه له عليه السلام بعد التحكيم:

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَ إِنِ اتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ - وَ الْحَدِيثِ الْجَلِيلِ - وَ أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ حْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ - لَيْسَ مَعَهُ إِلَهٌ غَيْرُهُ -
 وَ أَنْ؟ مُحَمَّدًا؟ عَبْدُهُ وَ رَسُولُهُ ص - أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ النَّاصِحِ الشَّفِيقِ الْعَالِمِ الْمُجْرَبِ - تُورِثُ الْحَيْرَةَ وَ تُعْقِبُ النَّدَامَةَ - وَ قَدْ كُنْتُ
 أَمَرْتُكُمْ فِي هَذِهِ الْحُكُومَةِ أَمْرِي - وَ نَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي - لَوْ كَانَ يُطَاعُ؟ لِقَصِيرٍ؟ أَمْرٌ - فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْجُفَاءِ وَ
 الْمُنَابِذِينَ الْعُصَاهِ - حَتَّى ازْتَابَ النَّاصِحُ بِنُصْحِهِ وَ ضَنَّ الزَّوْدُ بِقَدْحِهِ - فَكُنْتُ وَ إِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو؟ هَوَازِنٌ؟ أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي؟ بِمُنْعَرَجِ
 اللُّوَى؟ فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

أقول: قال ابن أبي الحديد ٢ ابن أبي الحديد-شرح نهج البلاغه-ج ٢ ص ٢٥٩ (١): قال نصر في (صفيه انصر بن مزاحم-صفين-
(لما خدع عمرو بن العاص أبا موسى، غم ذلك عليًا عليه السلام و ساءه و وجم له، فخطب الناس و قال :

الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح -إلى آخر الخطبه- و زاد: الا أنّ هذين الرجلين اللذين اخترتموهما قد نبذا حكم
الكتاب، و أحببنا ما أمات، و اتبع كلّ منهما هواه، و حكم بغير حجّه و لا بينه، و لا سنّه ماضيه، و اختلفا في ما حكما، فكلاهما لم
يرشده الله فاستعدوا للجهاد، و تأهبوا للمسير و أصبحوا في معسكركم....

قلت: و رواه الطبري الطبري-تاريخ الطبري-ج ٥ ص ٧٦ (٢)، و كذا المسعودي المسعودي-مروج الذهب-ج ٢ ص ٤١١ (٣)، و
القتبي ابن قتيبه-الخلفاء-ص ١٤٣ (٤)، و البلاذري البلاذري-أنساب الاشراف-أنساب الرابع .

و في الأول: لما خرجت الخوارج و هرب أبو موسى إلى مكه، و ردّ على عليه السلام ابن عباس إلى البصره، قام على عليه السلام
في الكوفه فخطبهم، فقال: الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح... مع الزيادة.

و في (المروج) (٥): و لمّا بلغ عليًا عليه السلام ما كان من أمر أبي موسى و عمرو قال: إنّي كنت تقدّمت إليكم في هذه الحكومه و
نهيتكم عنها، فأبيتم إلّا-عصيانى، فكيف رأيتم عاقبه أمركم إذ أبيتم عليّ؟ و الله إنّي لأعرف من حملكم على خلافي و الترك
لأمرى، و لو أشاء أخذه لفعلت، و لكن الله من ورائه-يريد بذلك الأشعث و الله أعلم-و كنت في ما أمرت به كمال قال أخو بني
جشم:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشدا إلّا ضحى الغد

من دعا إلى هذه الخصومه فاقتلوه قتله الله و لو كان تحت عمامتى هذه.

ص: ٣٢٤

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٢:٢٥٩. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبري ٥:٧٦.

٣-٣ (٣) المسعودي ٢:٤١١. [٢]

٤-٤ (٤) القتيبي: ١٤٣.

٥-٥ (٥) مروج الذهب للمسعودي ٢:٤١٢. [٣]

ألا- إن هذين الرجلين الخاطئين اللذين اخترتموهما حكمين قد تركا حكم الله، و حكما بهوى أنفسهما بغير حجّه و لا- حقّ معروف، فأماتا ما أحيا القرآن، و أحيا ما أماته، و اختلف في حكمهما كلامهما، و لم يرشدهما الله و لم يوفقهما، فبرىء الله منهما و رسله و صالح المؤمنين، فتأهبوا للجهاد....

و فى (الخلفاء) (١): قالوا: لمّا توفى الخوارج إلى النهروان قام على عليه السّلام بالكوفه على المنبر، ثم قال: أما بعد، فإنّ معصيه العالم الناصح يورث الحسره، و تعقب الندامه، و قد كنت أمرتكم فى أمر هذين الرجلين، و فى هذه الحكومه بأمرى، فأبيتم إلاّ ما أردتم، فأحيا ما أمات القرآن و أماتا ما أحيا القرآن، و اتبع كلّ واحد منهما هواه يحكم بغير حجّه و لا سنّه ظاهره، و اختلفا فى أمرهما و حكمهما فكلاهما لم يرشده الله، فبرىء الله منهما و رسوله و صالح المؤمنين، فاستعدوا للجهاد و تأهبوا للمسير، ثم أصبخوا فى معسكركم بالنخيله، و والله لأغزوتهم، و لو لم يبق أحد غيرى لجاهدتهم.

و فى (أنساب الرابع) بإسناده عن أبى مخنف، عن أبى روق الهمدانى، عن عامر الشعبى و عن معلّى بن كليب، عن أبى الوداك جبر بن نوف، و غيرهما، قالوا: لما هرب أبو موسى إلى مكه، و رجع ابن عباس واليا على البصره، و أتت الخوارج النهروان، خطب على عليه السّلام الناس بالكوفه، فقال: الحمد لله و إن أتى الدهر بالخطب الفادح و الحدث الجليل، و أشهد أن لا إله إلاّ الله و أنّ محمّدا عبده و رسوله. أمّا بعد، فإنّ معصيه الناصح الشفيق المجرب تورث الحسره، و تعقب الندم، و قد كنت أمرتكم فى هذين الرجلين و هذه الحكومه بأمرى، و نخلت لكم رأى لو يطاع لقصير رأى، و لكنكم أبيتم إلاّ ما أردتم، فكنتم و أنتم كما قال أخو هوازن:

ص: ٣٢٥

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستينوا الرشدا الا ضحى الغد

ألا- إنّ الرجلين اللذين اخترتموهما حكيمين، قد نبذا حكم الكتاب وراء ظهورهما، وارتأيا الرأى قبل أنفسهما، فأماتا ما أحيا القرآن، وأحييا ما أمات القرآن، ثم اختلفا فى حكمهما، فكلاهما لا- يرشد و لا- يسدد، فبرىء الله منهما و رسوله و صالح المؤمنين، فاستعدوا للجهاد، و تأهبوا للمسير، و أصبحوا فى معسكركم.

«الحمد لله و ان أتى الدهر بالخطب» فى (الجمهره): الخطب الأمر العظيم و الجمع خطوب.

«الفادح» أى: المثقل.

«و الحدث الجليل» و أنّما قال عليه السّلام ذلك، لأنّه يجب حمده تعالى على كلّ حال. و كان الصادق عليه السّلام إذا ورد عليه أمر يسره قال: الحمد لله على هذه النعمه. و إذا ورد عليه أمر يغتمّ به قال: الحمد لله على كلّ حال (١).

«و أشهد أن لا- إله إلاّ الله و حده لا شريك له ليس معه إله غيره» هكذا فى (المصريه) (٢). و قوله: «و حده لا شريك له» من زيادات المحشين، لعدم وجوده فى (ابن أبى الحديد) (٣) و ابن ميثم (٤) و الخطيه).

«أما بعد، فإن معصيه الناصح الشفيق، العالم المجرب توجب الحيره» هكذا فى (المصريه) (٥)، و الصواب: (الحسره) كما فى (ابن أبى الحديد

ص: ٣٢٤

١- (١) الكافى ٢: ٩٧، و [١] البحار ٣٣: ٧١. [٢]

٢- (٢) الطبعه المصريه ٨٠: ١.

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ٢٠٤: ٢. [٣]

٤- (٤) شرح ابن ميثم ٨٤: ٢. [٤]

٥- (٥) الطبعه المصريه ٨١: ١.

و ابن ميثم (١) و (الخطيه).

«و تعقب الندامه» قال القطامي كما في (عيون القتيبي) (٢):

و معصيه الشفيق عليك مما يزيدك مره منه استماعا

و خير الأمر ما استقبلت منه و ليس بأن تتبعه اتباعا

كذلك و ما رأيت الناس إلا إلى ما جرّ غاويهم سراعاً

تراهم يغمرون من استركبوه و يجتنبون من صدق المصاعا

و قال سبيع لأهل اليمامة لَمَّا خالفوه: يا بني حنيفه بعدا لكم كما بعدت عاد، أما و الله لقد أنبأتكم بالأمر قبل وقوعه، كأني أسمع جرسه و أسمع غيبه، و لكنكم أبيتم النصيحة فاجتنيتم الندم، و أصبحتم و في أيديكم من تكذبي التصديق، و من تهمتي الندامه، و أصبح في يدي من هلاككم البكاء، و من ذلكم الجزع، و أصبح ما فات غير مردود، و ما بقى غير مأمون، و إنني لَمَّا رأيتكم تتهمون النصيح، و تسفهون الحليم استشعرت منكم اليأس، و خفت عليكم البلاء....

و في (الطبري) (٣): -في قصه خروج ابن الأشعث على الحجاج- كتب المهلب إلى الحجاج: إن أهل العراق قد أقبلوا إليك و هم مثل السيل المنحدر من علّ، ليس يرده شيء حتى ينتهي إلى قراره. و إنّ لأهل العراق شرّه في أول مخرجهم، و صبابه إلى أبنائهم و نسائهم، فليس شيء يردهم حتى يسقطوا إلى أهليهم، و يشمّوا أولادهم، ثمّ واقعهم عندها. فلَمَّا قرأ كتابه قال: فعل الله به و فعل، لا و الله مالي نظر، و لكن لابن عمّه نصح. و عزم على استقبال ابن

ص: ٣٢٧

١- ١) شرح ابن ميثم ٢: ٨٤، و [١] فيه: «تورث الحيره».

٢- ٢) العيون للقتبي ١: ٣٣.

٣- ٣) تاريخ الطبري ٦: ٣٣٩. [٢]

الأشعث، فسار بأهل الشام حتى نزل تستر، وقدم بين يديه مطهر بن الحر العكبي، و عبد الله بن رميثة الطائي، فجاءوا حتى انتهوا إلى دجيل، وقد قطع ابن الأشعث خيلا له عليها عبد الله بن أمان الحارثي في ثلاثمائة فارس، وكانت مسلحة له و للجنود. فلما انتهى إليه مطهر أمر ابن رميثة فأقدم عليهم فهزمت خيله حتى انتهت إليه، و جرح أصحابه، و أقحم أصحاب ابن الأشعث خيولهم دجيل، و هزموا العكبي و الطائي في يوم الأضحى سنة (٨١) و قتلوهم قتلا ذريعا. و أتت الحجاج الهزيمة و هو يخطب، فقال: ارتحلوا إلى البصرة. و حين صدم تلك الصدمة دعا بكتاب المهلب فقراه، ثم قال لله أبوه! أي صاحب حرب هو؟ أشار علينا بالرأى و لكننا لم نقبل .

«و قد كنت أمرتكم في هذه الحكومه أمرى و نخلت لكم مخزون رأى» كشيء ينخل و يغربل، فكان عليه السلام قال لهم: إن معاوية و ابن العاص، و ابن أبي معيط، و ابن أبي سرح ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، إننى أعرف بهم منكم، و ما رفعوها لكم إلا خديعه و مكيدة .

«لو كان يطاع لقصير أمر» مثل تمثل عليه السلام به، و الأصل فيه كما فى (الطبرى) (١): أن جذيمه الأبرش - و كان من أفضل ملوك العرب رأيا، و أبعدهم مغارا، و أشدهم نكايه. و كان أول من استجمع له الملك بأرض العراق، و كان به برص، فهابت العرب أن تنسبه إليه إعظاما له، فقال: جذيمه الوضاح، و جذيمه الأبرش. و كانت منازلها بين الحيره و الأنبار، و بقه و هيت و ناحيتها، و عين التمر و أطراف البر إلى الغمير، و القطقطانه و خفيه و ما والاها - غزا عمرو بن ظرب ملك الشام، فقتله، فملك بعده ابنته الزباء، فأجمعت لغزو جذيمه تطلب بثأر أبيها، فقالت لها اختها - و كانت ذات رأى و دهاء -: إن ظفرت

ص: ٣٢٨

أصبحت تأرك، وإن قتلت ذهب ملكك، ولا تدرين لمن تكون العاقبه. فانصرفت عن هذا الرأي، فأنت أمرها من وجوه الخدع و المكر، فكتبت إلى جذيمه تدعوه إلى نفسها و ملكها، و أن يصل بلاده ببلادها، و أنها لم تجد ملك النساء إلا إلى قبيح في السماع، و ضعف في السلطان، و أنها لم تجد لنفسها كفوا غيره، فأقبل إليّ فاجمع ملكي إلى ملكك، و صل بلادى ببلادك، و تقلد أمرى مع أمرك. فلما انتهى كتابها إلى جذيمه استخفه ما دعته إليه، و رغب في ما أطمعته فيه، و جمع إليه أهل النهى من ثقاته، و هو بالبقه من شاطيء الفرات، فعرض عليهم ما دعته إليه فصوبوا ذلك كلهم إلا قصيرا— و هو قصير بن سعد بن عمرو بن جذيمه بن قيس بن ربي بن نماره بن لخم— و قال: «رأى فاتر و غدر حاضر» فذهبت مثلا. فنازعوه الرأي فقال: «إنني لأرى أمرا ليس بالخسا و لا الزكا» فذهبت مثلا.

و قال لجذيمه: اكتب إليها، فإن كانت صادقه فلتقبل إليك، و إلا لم تمكنها من نفسك و قد قتلت أباه. فلم يوافق جذيمه رأى قصير، فقال قصير:

إنني امرؤ لا يميل العجز ترويتي إذا أتت دون شيء مره الوزم

فقال جذيمه: «و لكنك امرؤ رأيك في الكن لا في الضح» فذهبت مثلا.

فدعا جذيمه ابن اخته عمرو بن عدى، فاستشاره فشجعه على المسير، و قال:

إن نماره قومي مع الزباء، و لو قدروا لصاروا معك. فأطاعه و عصى قصيرا، فقال قصير: «لا يطاع لقصير أمر». فاستخلف على ملكه عمرو بن عدى، و سار في وجوه من أصحابه، فأخذ على الفرات من الجانب الغربي، فلما نزل الفرضه دعا قصيرا، فقال: ما الرأي؟ قال: «ببقه تركت الرأي» فذهبت مثلا.

و استقبلته رسل الزباء بالهدايا و الألفاف، فقال: يا قصير كيف ترى؟ قال:

«خطر يسير في خطب كبير» فذهبت مثلا. و قال له: ستلقاك الخيول، فإن سارت أمامك فإن المرأه صادقه، و إن أخذت جنبيك و أحاطت بك من خلفك

فإن القوم غادرون، فاركب العصا- وكانت عصا فرسا لجذيمه لا- تجارى- فإني راكبها و مسايرك عليها. فلقيته الخيول و الكتائب، فحالت بينه و بين العصا، فركبها قصير، و نظر إليه جذيمه موليا على متنها، فقال: «ويل امه حزما على ظهر العصا» فذهبت مثلا. فقال: «ياضل ما تجرى به العصا».

و جرت به إلى غروب الشمس ثم نفقت و قد قطعت أرضا بعيدة، فبنى عليها برجا يقال له: برج العصا. و سار جذيمه و قد أحاطت به الخيول حتى دخل على الزباء، فلما رأته تكشفت، فإذا هي مصفوره الاست، فقالت: يا جذيمه «أ دأب عروس ترى»؟ فذهبت مثلا. و قالت: إني انبث أن دماء الملوكة شفاء من الكلب.

ثم أجلسته على نطع، و أمرت بطست من ذهب فأعدته له و سقته من الخمر حتى أخذت مأخذها منه، و أمرت براهشيه فقطعا، و قد قيل لها: إن قطر من دمه شيء في غير الطست طلب بدمه. و كانت الملوكة لا تقتل بضرب العنق إلا في القتال تكرمه للملك. فلما ضعفت يده سقطتا فقطر من دمه، فقالت: لا تضيعوا دم الملك. فقال: «دعوا دما ضيعه أهله» فذهبت مثلا. فهلك جذيمه و استنشفت الزباء دمه، فجعلته في برس قطن في ربعه لها. و خرج قصير من الحى الذى هلكت العصا بين أظهرهم، حتى قدم على عمرو بن عدى بالحيره، فقال له:

«أ دائر أم ثائر» قال: «ثائر سائر» فذهبت مثلا. فقال له قصير: «تهيا و لا تطل دم خالك». قال: و كيف لى بها و هى «امنع من عقاب الجو»؟ فذهبت مثلا. و كانت اتخذت نفقا من مجلسها الذى كانت تجلس فيه إلى حصن لها داخل مدينتها، و قالت ان فجأنى أمر دخلت النفق إلى حصنى- فقال له قصير: اجدع أنفى و اضرب ظهري، و دعنى و إياها. فقال عمرو: ما أنا بفاعل ذلك و ما أنت بذلك بمستحق منى. فقال قصير: «خلّ عنى إذن و خلا- ك ذم» فذهبت مثلا. فقال له عمرو: فأنت أبصر. فجدع قصير أنفه و أثر بظهره، فقالت العرب: «لمكر ما جدع

قصير أنفه». ثم خرج كأنه هارب، وأظهر أن عمرا فعل به ذلك، وأنه يزعم أنه مكر بخاله جديمه، وعزه من الزباء. فسار حتى قدم على الزباء فقيل لها: إن قصيرا بالباب. فأمرت به فادخل عليها، فإذا أنفه قد جدع، وظهره قد ضرب، فقالت: ما الذى أرى بك يا قصير؟ فقال زعم عمرو بن عدى أنى غررت خاله، وزينت له المسير إليك و غششته و مالأتك عليه، ففعل بى ما ترين، فأقبلت إليك و عرفت أنى لا- أكون مع أحد هو أثقل عليه منك. فأكرمته، وأصابت عنده بعض ما أرادت من الرأى و المعرفه بامور الملوک. فلمّا عرف أنّها قد ثقّت به قال: إنّ لى بالعراق أموالا- كثيرة، و بها طرائف و ثياب و عطر، فابعثنى إلى العراق لأحمل مالى، و أحمل إليك من بزوزها و طرائف ثيابها، و صنوف ما يكون بها من الأمتعه و الطيب و التجارات، فتصيبين فى ذلك أرباحا عظاما، و بعض ما لا غنى بالملوك عنه. فلم يزل يزین لها ذلك حتى سرحته و دفعت معه عيرا، و قالت له: بع ما جهّزناك به، و ابتع لنا من طرائف ما يكون بها. فسار قصير حتى قدم العراق و أتى الحيره متنكرا، فدخل على عمرو بن عدى فأخبره بالخبر، و قال: جهّزنى بالبز و الطرف و الأمتعه، لعلّ الله يمكن منها فتصيب ثأرك. فجّهّزه بصنوف الثياب و غيرها، فرجع بذلك كلّه إلى الزباء فأعجبها ما رأت، و ازدادت به ثقّه. ثم جهّزته بعد ذلك بأكثر مما فى المره الاولى، فسار حتى قدم العراق، و لقي عمرو بن عدى، و حمل من عنده ما ظنّ أنّه موافق لها، و لم يدع طرفه قدر عليها إلاّ حملها، ثم عاد الثالثه، و قال لعمرو:

اجمع لى ثقات أصحابك و جندك، و هتّىء لهم الغرائر و المسوح- و قصير أوّل من عمل الغرائر- و احمل كلّ رجلين على بعير فى غرارتين، و اجعل معقد رءوس الغرائر من باطنها، فإذا دخلوا مدينه الزباء أقمتك على باب نفقها، و أخرجت الرجال من الغرائر فصاحوا بأهل المدينه، فمن قاتلهم قتلوه، و إن

أقبلت الزبىاء تريد النفق جلتها بالسيف. ففعل عمرو ما قال، ثم وَّجَّه إلى الزبا العير عليها الرجال و أسلحتهم، فلما كانوا قريبا من مدينتها تقدّم قصير إليها، فبشّرها و أعلمها كثره ما حمل إليها من الثياب و الطرائف، و سألها أن تخرج فتتظر إلى قطارات تلك الإبل، و قال لها: «إني جئت بما صاء و صمت» فذهبت مثلا. و كان قصير يكمن النهار و يسير الليل، و هو أوّل من فعل ذلك- فخرجت، فأبصرت الإبل تكاد قوائمها تسوخ في الأرض من ثقل أحمالها، فقالت: يا قصير ما للجمال مشيها وئيدا أجنلا يحملن أم حديدا

أم صرفانا باردا شديدا أم الرجال جثما قعودا

فدخلت الإبل المدينة حتى كان آخرها، نخس بواب نبطى بمنخسته الغرائر التي تليه، فأصابت خاصره الرجل الذي فيها، فضرط، فقال: «بشقا بسقا»- يعنى فى الجوالق شر- فذهبت مثلا. فلما توسطت الإبل المدينة انيخت، و دلّ قصير عمرا على باب النفق، و خرجت الرجال من الغرائر، و صاحوا بأهل المدينة، و وضعوا فيهم السيف. و قام عمرو على باب النفق، و أقبلت الزبىاء موليه مبادره لتدخل النفق فأبصرت عمرا قائما- و كان المصوّرون صوروا لها صورته قبل، لأن كاهنتها أخبرتها أنه قاتلها- فمصيبت خاتمها، و كان فيه سم و قالت: «بيدى لا بيدك يا عمرو» فذهبت مثلا. و تلقاها عمرو، فجللها بالسيف فقتلها.

و المثل بعدم إطاعه أمر قصير كما تمثّل عليه السّلام به معروف، قال نهشل بن حري التميمي:

و مولى عصانى و استبدّ برأيه كما لم يطع بالبتين قصير

فلما تيّقن غبّ أمرى و أمره

«فأبيتم على إباء المخالفين الجناه» هكذا فى (المصريه) ١، و الصواب:

و مولى عصانى و استبدّ برأيه كما لم يطع بالبتين قصير

فلما تيّقن غبّ أمرى و أمره

«فأبيتم على إباء المخالفين الجناه» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب:

(الجفاه) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم و الخطيه).

«و المنابذين العصاه» فى (مقاتل أبى الفرج) (٣) فى قضايا أبى السرايا فى خروج محمّد بن جعفر أيام المأمون و قتاله مع عسكر المأمون و عليهم هرثمه ابن أعين:- ان هرثمه صاح: يا أهل الكوفه علام تسفكون دماءنا و دماءكم؟ إن كان قتالكم كراهيه لإمامنا فهذا منصور بن المهدي رضا لنا و لكم نبايعه، و إن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس فانصبوا إمامكم، و اتفقوا معنا ليوم الإثنين نتناظر فيه و لا تقتلونا و أنفسكم. فأمسك أهل الكوفه أصحاب أبى السرايا عن الحمله، فناداهم أبو السرايا: ويحكم! إن هذه حيله من هؤلاء لما أيقنوا بالهلاك، فاحملوا عليهم. فامتنعوا و قالوا: لا يحلّ لنا قتالهم، و قد أجابوا.

فغضب أبو السرايا، و لما كان يوم الجمعة خطب و قال: يا أهل الكوفه يا قتله على عليه السّلام، و يا خذله الحسين عليه السّلام إنّ المغتر بكم لمغرور، و إنّ المعتمد على نصركم لمخدول، و إنّ الدليل لمن أعزّتموه، و الله ما حمد على عليه السّلام أمركم فى حمده، و لا- رضى مذهبكم فى رضاه، و لقد حكمكم فحكمتم عليه، و ائتمنكم فختتم أمانته، و وثق بكم فحلتم عن ثقته، ثم لم تنفكوا عليه مختلفين، و لطاعته ناكثين، إن قام قعدتم، و إن قعدتم، و إن تقدّم تأخرتم، و إن تأخر تقدّمتم خلافا عليه، و عصيانا لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته، و خذلكم الله بخذلانكم إيّاه، أى عذر لكم فى الهرب عن عدوّكم، و النكول عمّن لقيتم و قد عبروا

ص:

١- (١) الطبعه المصريه ١:٨١.

٢- (٢) شرح نهج ابن أبى الحديد ٢:٢٠٤. [١]

٣- (٣) المقاتل لأبى الفرج: ٣٦٣.

خندقكم، وعلوا قبائلكم، ينتهبون أموالكم و يستباحون حريمكم؟ هيهات لا- عذر لكم إلا- العجز و المهانه و الرضا بالصغار و الذله، إنما أنتم كفىء الظل، و تهزمكم الطبول بأصواتها، و يملأ قلوبكم الخرق بسوادها. أما و الله لأستبدلن بكم قوما يعرفون الله حق معرفته، و يحفظون محمدا صلى الله عليه و آله في عترته. قال:

و مارست أقطار البلاد فلم أجد لكم شبيها في ما وطئت من الأرض
خلافاً و جهلاً و انتشار عظيمه و وهنا و عجزاً في الشدائد و الخفض
لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوه فلا فيكم راض و لا فيكم مرضى
سأبعد دارى عن قلى من دياركم فذوقوا إذا وليت عاقبه النقض
«حتى ارتاب الناصح» بأن نصحه لعله خطأ، حيث لا يقبلونه .

«و ضنّ» أى: بخل.

«الزند» فى (الصحاح) الزند: العود الذى تقدح به النار، و هو الأعلى، و الزنده السفلى فيها ثقب، و هى الانثى و هما زندان... و من ضنه الزند قالوا:

فلان مزند. أى: بخيل، و عطاء مزند. أى: قليل، و ثوب مزند، أى: ضيق، و مزاده مزنده: قليله الماء.

«بقدحه» أى: اشتعاله .

«فكنت و إياكم كما قال أخو هوازن» و هوازن ابن منصور بن عكرمه بن حفصه ابن قيس عيلان، و المراد بأخى هوازن: دريد بن الصمه .

«أمرتكم أمرى بمنعرج اللوى فلم تستبينوا النصح الا ضحى الغد»

و الأصل فى قول أخى هوازن ما رواه أبو الفرج فى (أغانيه) (١): أن عبد الله بن الصمّه -أخا دريد- غزا غطفان فظفر بهم و ساق أموالهم فى يوم

ص: ٣٣٤

يقال له: يوم اللوى، و مضى بها، و لما كان منهم غير بعيد قال: انزلوا بنا. فقال أخوه دريد: نشدتك الله ألا تنزل، فإن غطفان ليست بغافله عن أموالها. فأقسم لا يريم حتى يأخذ مرباعه، و ينقع نقيعه، فيأكل و يطعم و يقسم البقيه بين أصحابه. فبينما هم فى ذلك و قد سطعت الدواخن، إذا بغبار قد ارتفع اشد من دخانهم، و إذا عيس و فزاره و أشجع قد أقبلت، فقالوا لربيثتهم: انظر ما ذا ترى؟ فقال: أرى قوما جادا كأن سرايلهم قد غمست فى الجادى. قال: تلك أشجع ليست بشىء. ثم نظر، فقال: أرى قوما كأنهم الصبيان أستتهم عند آذان خيلهم. قال: تلك فزاره. ثم نظر فقال: أرى قوما أدما كأنهم يحملون الحبل بسوادهم، يخذون الأرض بأقدامهم خدًا، و يجرّون رماحهم. قال: تلك عيس و الموت معهم، فتلاحقوا بالمنعرج من رميله اللوى، فاقتتلوا فقتل عبد الله بن الصمه، فتنادوا: قتل أبو دفافه. فعطف دريد فذب عنه فلم يغن شيئا، و جرح دريد فسقط فكفوا عنه و هم يرون أنه قد قتل، و استنقذوا المال. قال دريد:

فأمهلت حتى إذا كان الليل، مشيت و أنا ضعيف قد نزفتى الدم حتى ما أكاد أبصر، فجزت بجماعه تسير فدخلت فيهم، فوقع بين عرقوبى بعير طعينه، فنفر البعير فنادت: نعوذ بالله منك. فانتسبت لها، فاعلمت الحى بمكانى فغسل عنى الدم و زودت زادا و سقاء فنجوت. و قال يرثى أخاه:

أ عاذلتى كل امرىء و ابن امه متاع كزاد الراكب المتروء

أعاذل إن الرزء أمثال خالد و لا رزء ممّا أهلك المرء عن يد

نصحت لعارض و أصحاب عارض و رهط بنى السوداء و القوم شهء

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فلما عصونى كنت منهم و قد أرى

دعانى أخى و الخيل بينى و بينه فلما دعانى لم يجدنى بقعد

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا فقلت أ عبد الله ذلكم الردى

فإن يك عبد الله خلى مكانه فلم يك وقّافا و لا طائش اليد

و لا برما إذا ما الرياح تناوحت برطب العضاه و الهشيم المعضد

نظرت إليه و الرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

فطاعنت عنه الخيل حتى تبددت و حتى عدانى أشقر اللون مزبد

فما رمت حتى خرقنتى رماحهم و غودرت أكبوا فى القفا المتقصد

قتال امرىء و اسى أخاه بنفسه و أيقن أنّ المرء غير مخلّد

صبور على وقع المصائب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى الغد

و تمثّل عليه السّلام أيضا ببيته، لما ندمت الخوارج عن التحكيم، و طلبوا منه عليه السّلام الرجوع، فروى (الأغانى) أيضا عن أبى مخنف عن رجاله: أنّ عليّ عليه السّلام لما اختلفت كلمه أصحابه فى أمر الحكّمين و تفرّقت الخوارج، و قالوا له: ارجع عن أمر الحكّمين، و تب و اعترف بأنك كفرت إذ حكّمت، فلم يقبل ذلك منهم و فارقه، تمثّل بقول دريد:

ص: ٣٣٥

أعاذلتى كل امرىء و ابن امه متاع كزاد الراكب المتزود

أعاذل إن الرزء أمثال خالد و لا رزء ممأ أهلك المرء عن يد

نصحت لعارض و أصحاب عارض و رهط بنى السوداء و القوم شهء

فقلت لهم ظنوا بألفى مدجج سراتهم فى الفارسى المسرد

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

فلما عصونى كنت منهم و قد أرى

دعانى أذى و الخيل بينى و بينه فلما دعانى لم يجدنى بقعد

تنادوا فقالوا أردت الخيل فارسا فقلت أ عبد الله ذلكم الردى

فإن يك عبد الله خلّى مكانه فلم يك وقافا و لا طائش اليد

و لا برما إذا ما الرياح تناوحت برطب العضاه و الهشيم المعضد

نظرت إليه و الرماح تنوشه كوقع الصياصى فى النسيج الممدد

فطاعت عنه الخيل حتى تبددت و حتى عدانى أشقر اللون مزبد

فما رمت حتى خرقتنى رماحهم و غودرت أكبو فى القفا المتقصد

قتال امرىء و اسى أخاه بنفسه و أيقن أن المرء غير مخذ

صبور على وقع المصائب حافظ من اليوم أعقاب الأحاديث فى الغد

و تمثّل عليه السّلام أيضا بيته،لما ندمت الخوارج عن التحكيم،و طلبوا منه عليه السّلام الرجوع،فروى(الأغانى)أيضا (1)عن أبى

مخنف عن رجاله:أنّ عليّا عليه السّلام لما اختلفت كلمه أصحابه فى أمر الحكّمين و تفرقت الخوارج،و قالوا له:ارجع عن أمر

الحكّمين،و تب و اعترف بأنك كفرت إذ حكّمت،فلم يقبل ذلك منهم و فارقه،تمثّل بقول دريد:

أمرتهم أمرى بمنعرج اللوى فلم يستبينوا الرشد إلا ضحى الغد

هذا و قد عرفت أنّ(المروج) (2)بدل قوله: «أخو هوازن» بقوله:«أخو بنى خثعم»و لا تنافى حيث إنّ جشما بطن من هوازن،فجشم

ابن معاويه بن بكر بن هوازن،كما أنّ جشما أيضا بطون،منها غزیه بن جشم،و كان دريد منهم، و لذا قال: «و هل أنا إلا من غزیه

إن غوت...»

ص:

١-١) الأغاني لأبي الفرج ١٠:١٠.

٢-٢) مروج الذهب للمسعودي ٤١٣:٢. [١]

و تمثل عليه السّلام بذاك البيت أيضا على ما روى أبو مخنف كما فى (الطبرى) (1)، فففيه: قيل لعلى عليه السّلام بعد ما كتب الصحيفه: إنّ الأشر لا- يقرّ بما فى الصحيفه، ولا يرى إلّا قتال القوم. قال على عليه السّلام: و أنا و الله ما رضيت، ولا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيت إلا أن ترضوا فقد رضيت، فإذا رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا، ولا التبديل بعد الإقرار، إلا أن يعصى الله عز و جل و يتعدّى كتابه، فقاتلوا من ترك أمر الله عز و جل، و أمّا الذى ذكرت من تركه أمرى و ما أنا عليه، فليس مالك من اولئك، و لست أخافه على ذلك، يا ليت فيكم مثله اثنين، يا ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى، إذن لخفت على مؤنتكم و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم، و قد نهيتكم عما أتيتم فعصيتموني، فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن:

و هل أنا إلا من غزيه إن غوت غويت و إن ترشد غزيه أرشد

٢

من الخطبه (١٢٣)

و من كلام له عليه السّلام:

فإن أبيت أن تزعموا إلا أنّى أخطأت و ضللت - فلم تزلون عامه أمه؟ محمد ص؟ بضاللى - و تأخذونهم بخطائى - و تكفروا بهم بدؤوبى - سيؤفكم على عواتقكم - تزعونها مواضع البرء و السقم - و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب - و قد علمتم أن رسول الله ص؟ رجم الزانى ثم صلى عليه ثم ورثه أهله - و قتل القاتل و ورث ميراثه أهله - و قطع السارق و جاهد الزانى غير المحصن - ثم قسم عليهما من الفىء و نكح المسلمات - فأخذهم؟ رسول الله ص؟ بدؤوبهم - و أقام حق الله فيهم -

ص: ٣٣٧

(١-١) تاريخ الطبرى ٥٩: ٥. [١]

وَلَعَمْرِي يَمْنَعُهُمْ سَيِّئُهُمْ مِّنَ الْإِسْلَامِ - وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ - ثُمَّ أَنْتُمْ شَرَارُ النَّاسِ - وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ وَضَرَبَ بِهِ تَيْهَهُ - وَسَيَّيْهَلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ - مُحِبُّ مُفْرِطٍ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ - وَ مُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ - وَ خَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالًا - النَّمِيطُ الْأَوْسَيْطُ فَالزَّمُوهُ - وَ الزَّمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ - فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ - وَ إِيَّاكُمْ وَ الْفِرْقَةَ - فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ - كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذَّبِّ - أَلَا - مَنْ دَعَا إِلَى هَذَا الشُّعَارِ فَاقْتُلُوهُ - وَ لَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هَيْدِهِ - فَإِنَّمَا حُكْمُ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا؟ الْقُرْآنُ؟ - وَ يُمِيتَا مَا أَمَاتَ؟ الْقُرْآنُ؟ - وَ إِحْيَاؤُهُ الْاجْتِمَاعَ عَلَيْهِ - وَ إِمَاتَتُهُ الْإِفْتِرَاقَ عَنْهُ - فَإِنْ جَرْنَا؟ الْقُرْآنُ؟ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ - وَ إِنْ جَرَّهِمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا - فَلَمْ آتِ لَّا أَبَا لَكُمْ بُجْرًا - وَ لَا خَتَلْتُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ - وَ لَا لَبَسْتُمْ عَلَيْكُمْ - إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَيْكِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ - أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا الْإِلَّا - يَتَعَدَّيَا؟ الْقُرْآنُ؟ فَتَاهَا عَنْهُ - وَ تَرَكََا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ - وَ كَانَ الْحِجْرُ هَوَاهِمَا فَمَضَى عَلَيْهِ - وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ - وَ الصَّمِيدِ لِلْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا الْخُطْبَةُ (١٧٥) وَ مِنْ كَلَامِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى الْحَكَمِينَ:

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَيْكِكُمْ عَلَى أَنْ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ - فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ يُجْعِعِيَا عِنْدَ الْقُرْآنِ؟ وَ لَا - يُحِ اوزَاهُ - وَ تَكُونُ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَ قُلُوبُهُمَا تَبَعُهُ فَتَاهَا عَنْهُ - وَ تَرَكََا الْحَقَّ وَ هُمَا يُبْصِرَانِهِ - وَ كَانَ الْجَوْرُ هَوَاهِمَا وَ الْإِعْوَجَاجُ رَأْيُهُمَا - وَ قَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي الْحُكْمِ بِالْعَدْلِ - وَ الْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا وَ جَوْرَ حُكْمِهِمَا - وَ الثَّقَّةُ فِي أَيْدِينَا

لأنفسنا حين خالفنا سبيل الحق - و أتيا بما لا يُعرف من معكوس الحكم أقول:العنوان الثاني تكرر لذيل العنوان الأول من قوله: «انما اجتمع رأى ملئكم على اختيار رجلين...» مع أدنى اختلاف و زياده كما ترى،و عذره ما قاله فى أول الكتاب:«و ربما بعد العهد بما اختير أولا،فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا،لا قصدا و اعتمادا»و لم يتفطن الشراح أيضا لتكراره.

و كيف كان،فالأصل فيهما ما رواه الطبرى الطبرى-تاريخ الطبرى-ج ٥ ص ٨٤(١)عن أبى مخنف،عن أبى سلمه الزهرى ابن بنت أنس بن مالك:أنّ عليا عليه السلام قال لأهل النهروان:«يا هؤلاء إنّ أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومه،التي ابتدأتموها و سألتموها و أنا لها كاره،و أنبأتكم أنّ القوم سألكموها مكيدته و دهنها،فأبيتم على إباء المخالفين،و عدلتم عنى عدول النكداء العاصين،حتى صرفت رأبى إلى رأيكم،و أنتم و الله معاشر أخفاء الهام سفهاء الأحلام،فلم آت-لا-أبا لكم- حراما،و الله ما اختلتكم عن اموركم،و لا- أخفيت شيئا من هذا الأمر عنكم،و لا- أو طأتمكم عشوه،و لا دببت لكم الضراء،و إن كان أمرنا لأمر المسلمين ظاهرا، فأجمع ملؤكم على أن اختاروا رجلين،فأخذنا عليهما أن يحكما بما فى القرآن و لا يعدوا،فتاها و تركا الحقّ و هما يبصرانه،و كان الجوهر هواهما،و قد سبق استيثاقنا عليهما فى الحكم بالعدل و الصمد للحقّ سوء رأيهما و جور حكمهما،و الثقة فى أيدينا لأنفسنا حين خالفنا سبيل الحقّ و أتيا بما لا يعرف، فبينوا لنا بماذا تستحلون قتالنا و الخروج عن جماعتنا؟ان اختار الناس رجلين،أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم،ثم تستعرضوا الناس تضربون رقابهم و تسفكون دماءهم،انّ هذا لهو الخسران المبين.و الله لو قتلتكم على هذا

ص:٣٣٩

دجاجة لعظم عند الله قتلها، فكيف بالنفس التي قتلها عند الله حرام؟ قال أبو سلمة: فتنادوا لا تخاطبوهم وتهيئوا للقاء الرب، الروح الروح إلى الجنة.

و خرج عليّ فعبأ الناس...

قول المصنّف فى العنوان الأول : «و من كلام له عليه السّلام» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب: ما فى (ابن أبى الحديد) (٢)، و كذا (ابن ميثم) (٣): «و من كلام له عليه السّلام قاله للخوارج أيضا». و لكن فى (ابن ميثم) «و من كلام له عليه السّلام أيضا للخوارج». و أشار بقوله: «أيضا». إلى أن قبله فى (١٢١): «و من كلام له عليه السّلام فى التحكيم». لكن توسط بينهما: «و من كلام له عليه السّلام لما عوتب على التسويه فى العطاء» و كأنه غفل عن فصله.

قوله عليه السّلام : «فان أبيتتم أن تزعموا إلاّ أنى أخطأت و ضللت» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (فان أبيتتم إلاّ أن تزعموا أنى أخطأت و ضللت) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) (٤).

قال المبرد فى (كامله) (٥): يروى أنّ عليّا عليه السّلام فى أوّل خروج القوم عليه دعا صعصعه بن صوحان العبدى - و قد كان وجهه إليهم - و زياد بن النضر الحارثى مع عبد الله بن العباس، فقال: بأى القوم رأيتهم أشدّ إطفاه؟ فقال:

ببزياد ابن قيس الأرحبى. فركب على عليه السّلام إليهم إلى حروراء، فجعل يتخللهم حتى صار إلى مضرب يزيد، فصلى فيه ركعتين ثم خرج، فاتكأ على قوسه و أقبل على الناس، ثم قال: هذا مقام من فلج فيه فلج يوم القيامة، أنشدكم الله

ص: ٣٤٠

١-١ (١) الطبعه المصريه ١١٧:٢.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٥٥:١٠.

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٣٦٧:٣.

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ١٣٣:٣. [١]

٥-٥ (٥) الكامل للمبرد ١٧٥:٢. [٢]

أعلمتم أحدا منكم كان أكره للحكومة مني؟ قالوا: اللهم لا. قال: أفعلتم أنكم أكرهتموني حتى قبلتها؟ قالوا: اللهم نعم. قال: فعلام خالفتموني و نابذتموني؟ قالوا: إنا أتينا ذنبا عظيما فتبنا إلى الله، فتب إلى الله منه و استغفره، نعد لك. فقال علي عليه السلام: إنني استغفر الله من كل ذنب. فرجعوا معه و هم ستة آلاف، فلما استقرّوا بالكوفة أشاعوا: أنّ عليا عليه السلام رجع عن التحكيم و رآه ضلالا، و قالوا: إنّما ينتظر أمير المؤمنين أن يستمن الكراع، و يجبي المال، فينهض إلى الشام. فأتى الأشعث بن قيس عليا عليه السلام و قال له: إنّ الناس قد تحدّثوا أنّك رأيت الحكومة ضلالا، و الاقامة عليها كفرا. فخطب عليه السلام الناس فقال: من زعم أنّي رجعت عن الحكومة فقد كذب، و من رآها ضلالا فهو أضلّ.

فخرجت الخوارج من المسجد، فحكمت، فقيل لعلي عليه السلام: إنّهم خارجون عليك.

فقال: لا اقاتلهم حتى يقاتلوني، و سيفعلون .

«فلم تضلون عامه امه محمّد صلّى الله عليه و آله بضاللي، و تأخذونهم بخطائي، و تكفرونهم بذنوبي» في (كامل المبرد) (١): أصاب الخوارج مسلما و نصرانيا فقتلوا المسلم و أوصوا بالنصراني، فقالوا: احفظوا ذمّه نييكم. و لقيهم عبد الله بن خباب و في عنقه مصحف، و معه امرأته و هي حامل، فقالوا: إنّ الذي في عنقك يأمرنا أن نقتلك. قال: ما أحيا القرآن فأحيوه، و ما أماته فأميتوه. فوثب رجل منهم على رطبه فوضعها في فيه، فصاحوا به فلفظها تورعا. و عرض لرجل منهم خنزير، فضربه الرجل فقتله، فقالوا: هذا فساد في الأرض. فقال عبد الله بن خباب: ما عليّ منكم بأس أنّي لمسلم. قالوا له: حدّثنا عن أبيك. قال:

سمعت أبي يقول: سمعت النبي صلّى الله عليه و آله يقول: «تكون فتنة يموت فيها قلب الرجل كما يموت بدنه، يمسي مؤمنا و يصبح كافرا، فكن عبد الله المقتول و لا تكن

ص: ٣٤١

القاتل» قالوا: فما تقول في أبي بكر و عمر؟ فأثنى خيرا، فقالوا: فما تقول في عليّ قبل التحكيم، و في عثمان ست سنين؟ فأثنى خيرا، قالوا: فما تقول في الحكومه و التحكيم؟ قال: أقول إنّ عليّا عليه السّلام أعلم بكتاب الله منكم، و أشدّ توقّيا على دينه، و أنفذ بصيره. قالوا: إنّك لست تتبع الهدى، إنّما تتبع الرجال على اسمائها. ثمّ قربوه إلى شاطئ النهر فذبحوه، فامذقر دمه. أى: جرى مستطيلا على دقه. و ساموا رجلا نصرانيا بنخله له، فقال: هي لكم. قالوا: ما كنّا لناخذها إلاّ بثمن. قال: ما أعجب هذا! أقتلون مثل عبد الله بن خباب، و لا تقبلون منّا جنى نخله؟ و في (الطبرى) (١): قتلوا عبد الله بن خباب و ذبحوه و سال دمه فى الماء، و قتلوا امرأته بقروا بطنها، و قتلوا ثلاثة نسوه من طى، و قتلوا امّ سنان الصيداويه .

«سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البرء» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (البراءه) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«و السقم، و تخلصون من أذنب بمن لم يذنب» فى (كامل المبرد) (٤): خرج قريب بن مرّه الأزدي و زحاف الطائي—و كانا مجتهدين بالبصره فى أيام زياد—فاعترضوا الناس، فلقيا شيخا ناسكا من بنى ضبيعه بن ربيعه بن نزار فقتلاه، و تنادى الناس، فخرج رجل من بنى قطيعه من الأزدي و فى يده السيف، فناداه الناس من ظهور البيوت: الحروريه، انج بنفسك. فنادوه: لسنا حروريه نحن الشرط. فوقف فقتلوه، ثمّ جعللا لا يمران بقبيله إلاّ قتلا من وجدا.

ص: ٣٤٢

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٨١:٥-٨٢. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١١٢:٨. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١٣٣:٣. [٣]

٤-٤ (٤) الكامل للمبرد ١٩٨:٢-١٩٩. [٤]

و مورد خطابه عليه السّلام: «سيوفكم على عواتقكم، تضعونها مواضع البراءة و السقم» خوارج البصره، فأنهم كانوا هكذا دون خوارج الكوفه، ففي (العقد) (١) - في محاجه عمر بن عبد العزيز مع شوذب الخارجي، في اعتراضه عليه بعدم لعن عمر لأهل بيته، و عدم براءته منهم - :أخبرني عن أهل النهروان، أليسوا من صالحى أسلافكم و ممن تشهد لهم بالنجاه؟ قال: نعم.

قال: فهل تعلمون أنّ أهل الكوفه حين خرجوا كفّوا أيديهم، فلم يسفكوا دما، و لم يخيفوا آمنا، و لم يأخذوا مالا؟ قال: نعم. قال: فهل علمتم أنّ أهل البصره حين خرجوا مع مسعر بن فديك استعرضوا يقتلونهم، و لقوا عبد الله بن خباب صاحب النبي صلّى الله عليه و آله، فقتلوه و قتلوا جاريتته، ثم قتلوا النساء و الأطفال، حتى جعلوا يلقونهم في قدور الأقط و هي تفور؟ قال: قد كان ذلك. و مثله في (المروج) (٢).

«و قد علمتم أنّ رسول الله صلّى الله عليه و آله رجم الزاني، ثم صلّى عليه» و أمّا ما رواه (الكافي) (٣) عن محمّد بن حكيم عن الصادق عليه السّلام: «لو أنّ رجلا مات صائما في السفر ما صلّيت عليه» فمحمول على ما إذا اعتقد مشروعيتّه، فيكون غير عارف، فلا تكون الصلاه عليه واجبه.

و روى (٤) معاويه بن وهب: قلت لأبي عبد الله عليه السّلام: ذكر لنا أنّ رجلا من الأنصار مات و عليه ديناران دينا، فلم يصلّ عليه النبي صلّى الله عليه و آله، و قال: «صلّوا على صاحبكم» حتى ضمنها عنه بعض قرابته. فقال عليه السّلام: ذلك الحق. ثم قال:

إنّما فعل ذلك ليتّعظوا، و ليردّ بعضهم على بعض، و لئلا يستخفوا بالدين، و قد

ص: ٣٤٣

١-١ (١) العقد الفريد ٢:٢٤٣. [١]

٢-٢ (٢) مروج الذهب للمسعودي ٣:٢٠٠-٣:٢٠١. [٢]

٣-٣ (٣) الكافي ٤:١٢٨ ح ٧. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٥:٩٣ ح ٢. [٤]

مات صَلَّى اللهُ عليه وآله و عليه دين، و مات الحسن عليه السّلام و عليه دين، و قتل الحسين عليه السّلام و عليه دين.

«ثم ورثه أهله» و ممّن رجمه صَلَّى اللهُ عليه و آله ما عز بن مالك، فروى (الكافي) (١): أنه أقرّ عند النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بالزّنا، فأمر به أن يرجم فهرب من الحفيره، فرماه الزبير بساق بعير فعقله فسقط، فلحقه الناس فقتلوه، ثم أخبروا النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله بذلك، فقال لهم: فهلاً تركتموه إذا هرب يذهب؟ فإنّما هو الذي أقرّ على نفسه، أما لو كان على حاضرنا معكم لما ضللتكم .

«و قتل القاتل و ورث ميراثه أهله» هكذا في (المصريه) (٢) و ابن أبي الحديد (٣) و الخطيه) و لكن في (ابن ميثم) (٤): «و ورث أهله ميراثه» .

«و قطع السارق-إلى-و لم يخرج أسماءهم من بين أهله» أي: الإسلام، بل ورد أنه صَلَّى اللهُ عليه و آله نهى عن لعنهم، ففي (اسد الغابه) (٥): كان رجل اسمه عبد الله يلقّب حمارا يضحك النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله، و كان النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله جلده في الشراب، فأتى به يوما فأمر به فجلد، فقال رجل من القوم: اللهم العنه، ما أكثر ما يؤتى به النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله! فقال صَلَّى اللهُ عليه و آله: لا تلعه، فو الله ما علمت إلا أنه يحب الله و رسوله.

رد عليه السيّلام على مذهبه الباطل في تكفير مرتكب الكبائر، استنادا إلى آيات مجملات بالسّنة المبيّنه، قال ابن أبي الحديد (٦): استندوا إلى قوله تعالى في

ص: ٣٤٤

١-١ (١) الكافي ١٨٥:٧-ح ٥. [١]

٢-٢ (٢) الطبعه المصريه ١١:٢.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١٢:٨. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ١٣٣:٣. [٣]

٥-٥ (٥) اسد الغابه ٤٥:٢. [٤]

٦-٦ (٦) شرح ابن أبي الحديد ١١٤:٨. [٥]

الحج: «وَمَنْ كَفَرَ» (١) وقوله تعالى: «إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمَ الْكَافِرُونَ» (٢)، «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ» (٣). و ذكر آيات اخر لا ربط لها أصلا، كقوله تعالى «فَأَنْذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّى لَا يَصِيْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى» (٤)، «وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ» (٥)، «فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ» (٦)....

«ثم أنتم شرار الناس» قالت عايشه لمسروق- كما في (مسند أحمد بن حنبل) (٧)-: «إِنَّكَ مِنْ وَلَدِي وَ مِنْ أَحْبَبِهِمْ إِلَيَّ، فَهَلْ عِنْدَكَ عِلْمٌ مِنَ الْمَخْدُجِ؟ قَالَ:

قتله على بن أبي طالب على نهر يقال له تامر، ولأسفله النهروان، بين تخافيق و طرفاء. قالت: أبغى على ذلك بينه فأقام رجلا شهيدا، ثم قال لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت فيهم؟ قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «إِنَّهُمْ شَرُّ الْخَلْقِ وَ الْخَلِيقَةِ، يَقْتُلُهُمْ خَيْرُ الْخَلْقِ وَ الْخَلِيقَةِ، وَ أَقْرَبُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَسِيلَهُ.»

«و من رمى به الشيطان مراميه» جمع المرمى، أى: مقاصده .

«و ضرب به تيهه» التيه: المفازة يتاه فيها .

«و سيهلك في صنفان: محب مفرط يذهب به الحب الى غير الحق، و مبغض مفرط يذهب به البغض الى غير الحق» قال ابن أبي الحديد (٨): روى المحدثون أن النبي صلى الله عليه وآله قال له عليه السلام: «فِيكَ يَا عَلِيُّ مِثْلُ مَنْ عَيْسَى بْنُ مَرْيَمَ، أَبْغَضْتَهُ الْيَهُودُ

ص: ٣٤٥

١-١ (١) آل عمران: ٩٧.

٢-٢ (٢) يوسف: ٨٧. [١]

٣-٣ (٣) المائدة: ٤٤. [٢]

٤-٤ (٤) الليل: ١٤-١٦. [٣]

٥-٥ (٥) العنكبوت: ٥٤. [٤]

٦-٦ (٦) آل عمران: ١٠٦. [٥]

٧-٧ (٧) ذكره البحار ٣٨: ١٥. [٦]

٨-٨ (٨) شرح ابن أبي الحديد ١١٩: ٨. [٧]

فبهت أمه، وأحبتة النصارى فرفعته فوق قدره». وقد كان عليه السلام عشر على قوم من أصحابه، خرجوا من حد محبته باستحواذ الشيطان عليهم، إلى أن كفروا بربهم ووجدوا ما جاء به نبيهم صلى الله عليه وآله، فاتخذوه ربا وقالوا له: أنت خالقنا ورازقنا، فاستتابهم وتوعدهم، فأقاموا على قولهم، فحفر لهم حفرا دخن عليهم طمعا في رجوعهم، فأبوا فحرقهم وقال:

ألا ترونى قد حفرت حفرا إني إذا رأيت أمرا نكرا

أو قدت نارى و دعوت قنبرا

وروى أبو العباس الثقفى، عن المصيصى المعروف بنوين، وعن النوفلى عن مشيخته: أن عليا عليه السلام مر بقوم وهم يأكلون فى شهر رمضان، فقال: أسفر أم مرضى؟ قالوا: ولا واحده. قال: فمن أهل الكتاب فتعصمكم الذمه والجزيه؟ قالوا: لا. قال: فما بال الأكل فى نهار شهر رمضان؟ قالوا: أنت أنت - يؤمون إلى ربوبيته - فنزل عليه السلام عن فرسه وألصق خده بالأرض وقال:

ويلكم! أنا عبد من عبيد الله، فاتقوا الله وارجعوا إلى الاسلام. فأبوا فدعاهم مرارا، فأقاموا على كفرهم، فنهض إليهم وقال: شدوهم وثاقا، وعلى بالفعلة و النار و الحطب. ثم أمر بحفر بئرين فحفرتا فجعل إحداهما سربا و الاخرى مكشوفه، وألقى الحطب فى المكشوفه و فتح بينهما فتحا، وألقى النار فى الحطب فدخن عليهم، و جعل يهتف بهم و يناشدهم ليرجعوا إلى الاسلام فأبوا، فأمر بالحطب و النار فالقى عليهم فاحرقوا - فقال الشاعر:

لترم بى المنيه حيث شاءت إذا لم ترم بى فى الحفرتين

إذا ما حشنا حطبا بنار فذاك الموت نقدا غير دين

فلم يبرح حتى صاروا حمما.

قلت: وروى (الكافي) (١) القضييه في آخر صومه، و أنه عليه السّلام أحرقتهم لأنهم أنكروا نبوّه النبيّ صلّى الله عليه وآله دون توحيد الله، قال ابن أبي الحديد (٢): ثم استترت هذه مقاله سنه أو نحوها، ثم ظهر عبد الله بن سبأ - وكان يهوديا يستتر بالإسلام - بعده عليه السّلام فأظهرها، و اتبعه قوم فسموا السبّيه، و قالوا: إنّ عليّا لم يمت، و إنّّه في السماء، و الرعد صوته و البرق ضوءه. و إذا سمعوا صوت الرعد قالوا: السلام عليك يا أمير المؤمنين. و قالوا في النبيّ صلّى الله عليه وآله أغلظ قول، و افتروا عليه أعظم فريه فقالوا: كتم تسعه أعشار الوحي. فنعى عليهم قولهم الحسن بن علي بن محمّد بن الحنفية، في رسالته التي يذكر فيها الأرجاء، روى سليمان بن أبي شيخ، عن الهيثم بن معاوية، عن عبد العزيز بن ابان، عن عبد الواحد بن أيمن المكي، قال: شهدت الحسن يملئ هذه الرسالة، و فيها: و من قول هذه السبّيه اهدينا لوحى ضلّ عنه الناس، و علم خفى عنهم، و زعموا أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله كتم تسعه أعشار الوحي و لو كتم النبيّ صلّى الله عليه وآله شيئا مما أنزل الله عليه، لكتم شأن امرأه زيد، و قوله تعالى «تَبَتَّغِي مَرَضَاتِ أَرْوَاجِكِ» (٣). ثم ظهر المغيرة بن سعيد مولى بجيله، فأراد أن يحدث لنفسه مقاله، فغلا في عليّ عليه السّلام و قال: لو شاء عليّ لأحيا عادا و ثمود و قرونا بين ذلك كثيرا. - إلى أن قال - ثم تفاقم الغلاه و أمعنوا في الغلو، فادّعوا حلول الذات الإلهيه في قوم من سلالة أمير المؤمنين عليه السّلام - إلى أن قال - و كان اسحاق بن زيد بن الحرث - و كان من أصحاب عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر - يقول بالإباحه و إسقاط التكليف، و يثبت لعليّ عليه السّلام شركه مع النبيّ صلّى الله عليه وآله في

ص: ٣٤٧

١-١ (١) الكافي ١٨١: ٤-٧ ح.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٢٠: ٨. [١]

٣-٣ (٣) التحريم: ١. [٢]

النبوة، على وجه غير هذا الظاهر الذى يعرفه الناس....

قلت: و ذكر الكشى جمعا من الغلاة منهم: محمّد بن الفرات، و أنّ الرضا عليه السّلام قال: «آذانى أذى ما آذى أبو الخطاب جعفر بن محمّد عليه السّلام» و منهم:

أبو الغمر، و جعفر بن واقد، و هاشم بن أبى هاشم، و أنّ الجواد عليه السّلام قال: «إنّهم يدعون الناس إلى ما دعا إليه أبو الخطاب لعنه الله» و منهم: القسم اليقطينى، و على بن حسكه، و الحسن بن محمّد المعروف بابن بابا، و محمّد بن نصير، و فارس بن حاتم، و أنّ الهادى عليه السّلام لعنهم، و أمر بقتل فارس، فقتل .

«و خير الناس فى حال النمط الأوسط فالزموه» و هم الذين لم يرفعوه عليه السّلام عن درجته، حتى يجعلوه إلها كالغلاة، و لم يحطّوه عن رتبته التى هى خلافة الرسول صلّى الله عليه و آله بمقتضى أدلّه العقول، فضلا عن تواتر النقول، قال تعالى:

«أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (١) و الآيات القرآنية من قوله تعالى: «وَأَنْفُسِنَا وَ أَنْفُسِكُمْ» (٢)، و قوله تعالى: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا» (٣) و قوله تعالى: «إِنَّمَا وَثِقُكُمْ اللَّهُ وَ رَسُولُهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَ هُمْ رَاكِعُونَ وَ مَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَ رَسُولَهُ وَ الَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ» (٤)، و قول النبى صلّى الله عليه و آله فيه - بعد تقرير الناس بكونه أولى بهم من أنفسهم -: «من كنت مولاة فعلى مولاة» و قوله صلّى الله عليه و آله له: «أنت منى بمنزلة هارون من موسى» و إجماع الامّة على كونه عليه السّلام أعلم الناس بالكتاب و السنّة، و كيف و قد اعترف فاروقهم: بأنّه لو

ص: ٣٤٨

١-١ (١) يونس: ٣٥. [١]

٢-٢ (٢) آل عمران: ٦١. [٢]

٣-٣ (٣) الأحزاب: ٣٣. [٣]

٤-٤ (٤) المائدة: ٥٥-٥٦. [٤]

وليها ليحملنهم على المحجّه البيضاء.

و ادعاء أهل السنّه: كونهم النمط الأوسط لم يأتوا لها ببينه، بل البرهان على خلافهم، وقد قال النّظام-استاذ الجاحظ و أحد شيوخ معتزلتهم، كما في (السروى) (١)-: عليّ بن أبي طالب محنه على المتكلّم، إن وقاه حقّه غلا، و إن بخسه حقّه أساء، و المنزله الوسطى دقيقه الوزن، حاده الشاف، صعب الترقى إلا على الحاذق الدين.

و روى (أمالى المفيد) (٢) مسندا عن جميل بن صالح، عن أبي خالد الكابلي، عن الأصبع، قال: دخل الحارث الهمداني على علي عليه السّلام فى نفر من الشيعة- و كنت فيهم- فجعل الحارث يتأود فى مشيته و يخبط الأرض بمحجنه- و كان مريضا- فأقبل عليه على عليه السّلام، و كانت له منه منزله، فقال له:

كيف تجدك يا حارث؟ فقال: نال الدهر منى، و زادنى اوارا و غليلا اختصام أصحابك. قال: و فيهم اختصامهم؟ قال: فيك و فى الثلاثه من قبلك، فمن مفرط منهم غال، و مفرط قال، و من متردد مرتاب لا يدري أ يقدم أم يحجم؟ فقال عليه السّلام: حسبك يا أخا همدان، ألا- إن خير شيعتى النمط الأوسط، إليهم يرجع الغالى و بهم يلحق التالى. فقال له الحارث: لو كشفت فداك أبى و امى- الرين عن قلوبنا، و جعلتنا فى ذلك على بصيره من أمرنا. فقال عليه السّلام: إن دين الله لا- يعرف بالرجال، بل بآيه الحق، فاعرف الحق تعرف أهله، يا حارث إن الحق أحسن الحديث، و الصادع به مجاهد، و بالحق اخبرك فأرعى سمعك ثم خبر به من كان له حصافه من أصحابك. ألا إنى عبد الله و أخو رسوله و صدّيقه الأكبر، صدّفته و آدم بين الروح و الجسد، ثم إنى صدّيقه الأوّل فى امتكم حقا،

ص: ٣٤٩

١- (١) السروى ٣:١٦.

٢- (٢) الأمالى للمفيد: ٣-٤، المجلس ١.

فنحن الأولون و نحن الآخرون، و نحن خاصيتته و خالصته، و أنا صنوه و وصيّه و وليّه و صاحب نجواه و سرّه، و تيت فهم الكتاب، و فصل الخطاب، و علم القرون و الأسباب، و استودعت الف مفتاح يفتح كلّ مفتاح ألف باب، يفضى كلّ باب إلى ألف ألف عهد، و أيّدت و امددت بلبه القدر نفاً، و أنّ ذلك يجرى لى و لمن استحفظ من ذريتي ما جرى الليل و النهار، حتى يرث الله الأرض و من عليها، و ابشرك يا حارث: لتعرفنى عند الممات، و عند الصراط، و عند الحوض، و عند المقاسمه، قال الحارث: و ما المقاسمه؟ قال عليه السّلام:

مقاسمه النار اقسامها قسمه صحيحه أقول: هذا وليّ فاتركيه، و هذا عدوى فخذيه. ثم أخذ عليه السّلام بيد الحارث، و قال: أخذت بيدك كما أخذ النبي صلّى الله عليه و آله بيدي، فقال لى - و قد شكوت إليه حسد قريش و المنافقين لى -: «إنّه إذا كان يوم القيامة أخذت بحبل الله و حجزته - يعنى عصمته من ذى العرش - و أخذت أنت يا على بحجزتى، و أخذت ذريتك بحجزتك، و أخذ شيعتكم بحجزتكم، فما ذا يصنع الله بنبيّه، و ما يصنع نبيّه بوصيّه؟» خذها إليك يا حارث قصيره من طويله. أنت مع من أحببت و لك ما كسبت. - يقولها ثلاثاً - فقام الحارث و هو يقول: ما ابالى بعدها متى لقيت الموت أو لقينى.

قال جميل: و أنشدنى السيد الحميرى فى ما تضمنه هذا الخبر:

قول علىّ لحارث عجب كم ثم اعجوبه له حملاً

يا حار همدان من يمت يرنى من مؤمن أو مناقق قبلاً

يعرفنى طرفه و أعرفه بنعته و اسمه و ما عملاً

و أنت عند الصراط تعرفنى فلا تخف عثره و لا زللاً

أسقيك من بارد على ظمأ تخاله فى الحلاوه العسلاً

أقول للنار حين نوقف

«و الزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله على الجماعة، و إياكم و الفرقة، فإنّ الشاذ من الناس» أى: المنفرد منهم، قال:

قول عليّ لحارث عجب كم ثم اعجوبه له حملاً

يا حار همدان من يمت يرني من مؤمن أو منافق قبلاً

يعرفني طرفه و أعرفه بنعته و اسمه و ما عملاً

و أنت عند الصراط تعرفني فلا تخف عثره و لا زللاً

أسقيك من بارد علي ظمأ تخاله في الحلاوه العسلاً

أقول للنار حين نوقف

«و الزموا السواد الأعظم، فإنّ يد الله على الجماعة، و إياكم و الفرقة، فإنّ الشاذ من الناس» أي: المنفرد منهم، قال:

يضمّ شذاذ إلى شذاذ من الرباب دائم التلواذ

«للشيطان، كما أنّ الشاذ» هكذا في (المصريه) (١) و كذا في (ابن ميثم) (٢) و لكن في (ابن أبي الحديد (٣) و الخطيه): (الشاذه).

«من الغنم للذئب» و لذا جوّز التقاطها، فقال النبي صلّى الله عليه و آله لمن سأله عنها:

«هي لك أو لأخيك أو للذئب»، و في (تحف عقول ابن أبي شعبه الحلبي) (٤): سأل رجل علياً عليه السّلام عن السنّه و البدعه و الفرقة و الجماعة، فقال: أمّا السنه فسنّه النبي صلّى الله عليه و آله، و أم البدعه فمن خالفها، و أمّا الفرقة فأهل الباطل و إن كثروا، و أمّا الجماعة فأهل الحقّ و ان قلوباً.

و قال ابن أبي الحديد (٥): قال النبي صلّى الله عليه و آله لا- تجتمع امّتي على خطأ، سألت الله ألا- تجتمع امّتي على خطأ فأعطانيها، و سألت الله ألا تجتمع امّتي على ضلاله فأعطانيها.

قلت: صدق النبي صلّى الله عليه و آله، لم تجتمع امّته يوماً على الخطأ و على الضلاله، فاجتمع أجلاء أصحابه المتفق على جلالتهم- كسلمان و أبي ذر و المقداد و عمّار و حذيفه و نظرائهم- على إمامته، و كذلك كانوا شيعته عليه السّلام في كلّ عصر. و أمّا اغترارهم بالإجماع على بيعه أبي بكر، فإنّما كان أبو بكر و عمر

ص:

١- (١) الطبعة المصريه ٢:١٢.

٢- (٢) شرح ابن ميثم ١٣٣:٣.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ١١٢:٨. [١]

٤- (٤) تحف العقول: ٢١١.

و أبو عبيده تواطئوا، فقال أبو بكر: بايعوا عمرا و أبا عبيده. وقال: لا نتقدمك.

و أمّا باقى الناس فأخذوا البيعه منهم بالضرب بالعصا، و من أهل بيته بإحراقهم لو لم يبايعوا، فهم موضع قوله تعالى: «وَعَزَّوْهُمُ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» [١].

«ألا من دعا الى هذا الشعار فاقتلوه و لو كان تحت عمامتي هذه» و رواه المسعودى (٢): «من دعا الى هذه الخصومه (٣) فاقتلوه و لو كان تحت عمامتي هذه»، قال ابن أبى الحديد: (٤) كان شعار الخوارج أنهم يحلقون وسط رؤوسهم، و يبقى الشعر مستديرا حوله كالأكليل.

قلت: روى (صفين نصر بن مزاحم) (٥) عن شيخ من حضر موت شهد صفين معه عليه السلام قال: أرسل على عليه السلام إلى الناس: ان احملاوا فحملوا على راياتهم كل قوم بحيالهم، فتجالدوا بالسيوف، و عمل الحديد، لا يسمع إلا صوت الحديد و مرّت الصلاة كلها لم يصلوا إلا - تكبيرا، حتى تفانوا ورق الناس فخرج رجل بين الصفين، فقال: أخرج فيكم المحلقون؟ قلنا: لا. قال: أنهم سيخرجون، ألسنتهم أحلى من العسل و قلوبهم أمّ من الصبر، لهم حمه كحمه الحيات. ثم غاب الرجل و لم يعلم من هو.

و فى (تذكرة سبط ابن الجوزى) مسندا عن أبى قتاده، قال: كنّا مع على عليه السلام فى قتال أهل النهروان، و كنّا ستين أو سبعين من الأنصار، و كنت على الرجاله، فلما رجعنا إلى المدينة دخلنا على عايشه، فسألتنا عن مقدمنا

ص: ٣٥٢

[١-١] آل عمران: ٢٤. [١]

[٢-٢] المسعودى ٢: ٤٠٢. [٢]

[٣-٣] فى الأصل (الحكومته).

[٤-٤] شرح ابن أبى الحديد ٨: ١٢٣. [٣]

[٥-٥] صفين لنصر بن مزاحم: ٣٩٣-٣٩٤. [٤]

فأخبرناها بقتل الخوارج، فقالت: ما كانوا يقولون؟ قلت: يسبون أمير المؤمنين و عثمان و أنت و يكفرونكم فلم نزل نقاتلهم و على عليه السلام بين أيدينا و تحته بغله النبي صلى الله عليه و آله، لله أبوه! وقف على بعض القتلى، فقال: اقلبوهم فقلبناهم، فإذا رجل أسود على كتفيه مثل حلمه الثدى، فقال عليّ: الله أكبر و الله ما كذبت و لا كذبت، كنا مع النبي صلى الله عليه و آله و هو يقسم غنائم حنين فجاء هذا، فقال:

يا محمد اعدل فو الله ما عدلت منذ اليوم. فقال النبي صلى الله عليه و آله: و من يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر فقال: دعني اضرب عنق هذا المنافق. فقال النبي صلى الله عليه و آله: دعه فإن له من يقتله، سيخرج من ضئضى هذا أقوام يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية. فقالت عايشة لأبي قتاده: أنت رأيت هذا؟ قال: نعم، فقالت: فما يمنعني ما كان بيني و بين عليّ أن أقول الحق: صدق عليّ، أنا سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: «تفترق امتي فرقتين، يمرق بينهما فرقه محلقة رؤوسهم، محفوفة شواربهم أزهرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن لا- يجاوز تراقيهم، يقتلهم أحب الخلق إلى الله و رسوله». قال أبو قتاده، فقلت لعايشة: فقد علمت هذا فلم كان إليه منك ما كان؟ فقالت: «و كان أمر الله قَدراً مَقْدُوراً» (١).

و في (الطبرى) (٢)- فى قصه خروج المستورد أيام ولايه المغيره على الكوفه من قبل معاويه، و تهديد المغيره الناس على ايوائهم و مساعدتهم:-

فقام صعصعه بن صوحان رئيس الشيعة فى قومه عبد القيس فخطبهم فقال:

معشر عباد الله، إن الله -و له الحمد كثيرا- لما قسم الفضل بن المسلمين خصيكم منه بأحسن القسم، فأجبتهم إلى دين الله الذى اختاره لنفسه و ارتضاه

ص: ٣٥٣

[١- ١] الاحزاب: ٣٨. [١]

[٢- ٢] تاريخ الطبرى ١٨٥: ٥. [٢]

لملائكته ورسوله، ثم أقمت عليه حتى قبض الله رسوله، ثم اختلف الناس بعده فثبت طائفه وارتدت طائفه وادهنت طائفه و تربصت طائفه، فلزمت دين الله ايمانا به و برسوله و قاتلت المرتدين حتى قام الدين و أهلك الله الظالمين، فلم يزل الله يزيدكم بذلك خيرا فى كل شىء و على كل حال، حتى اختلفت الامه بينها، فقالت طائفه: نريد طلحه و الزبير و عايشه، و قالت طائفه: نريد أهل المغرب، و قالت طائفه نريد عبد الله بن وهب الراسبي، و قلت أنتم: لا نريد إلا أهل البيت الذين ابتدأنا الله من قبلهم بالكرامه تسديدا من الله لكم و توفيقا، فلم تزالوا على الحق لانزيم له آخذين به، حتى أهلك الله بكم و بمن كان على مثل هداكم و رأيكم، الناكثين يوم الجمل و المارقين يوم النهرو- و سكت عن أهل الشام لأن السلطان كان حينئذ سلطانهم- و لا قوم أعدى لله و لكم و لأهل بيت نبيكم و لجماعه المسلمين، من هذه المارقه الخاطئه، الذين فارقوا إمامنا و استحلوا دماءنا و شهدوا علينا بالكفر فأياكم أن تؤوهم فى دوركم أو تكتموا عليهم، فإنه ليس ينبغى لحي من أحياء العرب أن يكون أعدى لهذه المارقه منكم، و قد و الله ذكر لى أن بعضهم فى جانب من الحى و أنا باحث عن ذلك، فان كان حكى لى ذلك حقا تقربت إلى الله تعالى بدمائهم، يا معشر عبد القيس، إن ولاتنا هؤلاء هم أعرف شىء بكم و برأيكم، فلا تجعلوا لكم عليهم سبيلا....

و مراده بقوله لقومه: ان ولا-تكم- كالمغيره- أعرف الناس بكونهم شيعة ينتهزون الفرصه لقتلهم، فلا- يجعلوا لهم وسيله بعدم جديتهم فى المارقه مع أنهم أحق الناس بقتلهم لقولهم: بكفر إمامهم .

«و إنما حكم الحكمان ليحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن، و احياءه الاجتماع عليه و اماتته الافتراق عنه، فان جزنا القرآن إليهم اتبعناهم و إن جزهم إلينا

اتبعوننا» في (الطبري) (١): كتب كاتب التحكيم: هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان، قاضى علي عليه السلام على أهل الكوفة و من معهم من شيعتهم من المؤمنين و المسلمين، و قاضى معاوية على أهل الشام و من كان معهم من المؤمنين و المسلمين: انا ننزل عند حكم الله عز و جل و كتابه، و لا يجمع بيننا غيره، و إنّ كتاب الله عز و جل بيننا من فاتحه إلى خاتمه نحى ما أحيا و نमित ما أمات، فما وجد الحكمان- و هما أبو موسى عبد الله بن قيس الأشعري و عمرو بن العاص القرشي- في كتاب الله عز و جل عملا به و ما لم يجد في كتاب الله عز و جل، فالسنّه العادله الجامعه غير المفترقه .

«فلم آت- لا أبا لكم- بجر» في (الصحاح): البجر- بالضم- الشر و الأمر العظيم .

«و لا ختلتكم» أي: خدعتكم.

«عن أمركم و لا لبسته» بالتخفيف و التشديد، أي: عميته.

«عليكم، إنما اجتمع رأى ملتكم على اختيار رجلين، أخذنا عليهما ألا يتعديا القرآن» .

قوله عليه السلام في العنوان الثاني:

«فأجمع رأى ملتكم على أن اختاروا رجلين، فأخذنا عليهما أن يجعجا» من:

جمع البعير، إذا برك و استناخ.

«عند القرآن و لا يجاوزاه، و تكون ألسنتهما معه و قلوبهما تبعه» أي: تبع القرآن. أفرد التبع، لأنه مصدر، يقال: هو له تبع، و هم له تبع.

قوله عليه السلام فيهما: «فتاها عنه» أي: تحيرا.

ص: ٣٥٥

«و تركا الحق و هما يبصرانه، و كان الجور هو هما» في (الطبرى) (١): قال عمرو بن العاص لأبى موسى: أ أنت على أن نسمى رجلا يلى أمر هذه الامه؟ فسم لى، فإن أقدر على أن اتابعك فلك على أن اتابعك و إلا فلى عليك أن تتابعنى. قال أبو موسى: اسمى لك عبد الله بن عمر- و كان فى من اعتزل- و قال: أنى اسمى لك معاويه. فلم يبرحا حتى استبأ، ثم خرجا إلى الناس فقال أبو موسى: إننى وجدت مثل عمرو مثل الذى قال تعالى «وَ اتُّلُّ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا» (٢)- فلما سكت أبو موسى تكلم عمرو، فقال: أيها الناس إننى وجدت مثل أبى موسى كمثل الذين قال تعالى: «مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا» (٣). و كتب كل منهما مثله الذى ضربه لصاحبه إلى الأمصار.

قلت: و صدق كل منهما فى مثله لصاحبه، كما صدقت اليهود و النصارى فى قول كل منهما للآخر: «وَ قَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصَارَى عَلَى شَيْءٍ وَ قَالَتِ النَّصَارَى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ» .

و فى (تاريخ اليعقوبى) (٤)- بعد ذكر تسابهما-: فتنادى الناس حكم -و الله- الحكمان بغير ما فى كتاب الله، و الشرط عليهما غير هذا.

هذا، و قالوا: شكأ أبو العيناء إلى محميد بن سليمان من ابن المدبر تأخيره لأرزاقه، فقال له: أنت اخترته. فقال: و ما على «وَ اخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا» (٥) فما كان منهم رجل رشيد، فأخذتهم الرجفة، و اختار

ص: ٣٥٦

١- ١) تاريخ الطبرى ٥: ٥٨. [١]

٢- ٢) الأعراف: ١٧٥. [٢]

٣- ٣) الجمعة: ٥. [٣]

٤- ٤) تاريخ اليعقوبى ٢: ١٩٠. [٤]

٥- ٥) الأعراف: ١٥٥. [٥]

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ابْنِ أَبِي سَرْحٍ كَاتِبًا، فَلَحِقَ بِالْمَشْرُكِينَ، وَاخْتَارَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ حَكَمًا، فَحَكَمَ عَلَيْهِ.

وَفِي (أَنْسَابِ الْبَلَاذُرِيِّ): أَنَّ أَهْلَ الْبَصْرَةِ اجْتَمَعُوا - أَيْ: بَعْدَ مَوْتِ يَزِيدَ - فَقَلَعُوا أَمْرَهُمُ النَّعْمَانَ بْنَ صَهْيَانَ الْأَزْدِيَّ، ثُمَّ الرَّاسِبِيَّ وَرَجُلًا مِنْ مَضَرَ، لِيُخْتَارُوا لَهُمْ رَجُلًا يُولُونَهُ عَلَيْهِمْ، فَقَالُوا: مَنْ رَضِيْتُمَا لَنَا فَقَدْ رَضِينَا بِهِ.

وَكَانَ رَأْيُ الْمَضَرِيِّ فِي بَنِي أُمِيَّةٍ، وَرَأْيُ النَّعْمَانَ فِي بَنِي هَاشِمٍ، فَقَالَ النَّعْمَانُ لِلْمَضَرِيِّ: مَا أَرَى أَحَدًا أَوْلَى بِهَذَا الْأَمْرِ مِنْ فَلَانٍ - يَعْنِي: رَجُلًا - مِنْ بَنِي أُمِيَّةٍ - قَالَ: أَوْ ذَاكَ رَأْيُكَ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَقَدْ قَلَدْتُكَ أَمْرِي وَرَضِيْتُ بِمَنْ رَضِيْتَ بِهِ. ثُمَّ خَرَجَا إِلَى النَّاسِ، وَقَالُوا لَهُمَا: مَا صَنَعْتُمَا؟ فَقَالَ الْمَضَرِيُّ: رَضِيْتُ بِمَنْ رَضِيَ بِهِ النَّعْمَانُ، فَمَنْ سَمِيَ فَأَنَا رَاضٍ بِهِ. فَقَالَ النَّاسُ لِلنَّعْمَانَ: مَا تَقُولُ؟ فَقَالَ: مَا أَرَى أَحَدًا غَيْرَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَارِثِ - يَعْنِي بِهِ - فَقَالَ الْمَضَرِيُّ: مَا هَذَا الَّذِي سَمَيْتَ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ لَهُو. فَفَرَضِيَ النَّاسُ بِهِ فَبَايَعُوهُ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَوَّلِ: «فَمَضِيًّا عَلَيْهِ» وَفِي الثَّانِي: «وَالْأَعْوَجَاجَ رَأْيَهُمَا» بَاحِثُ هِشَامِ بْنِ الْحَكَمِ بَعْضُ الْمُخَالَفِينَ فِي الْحَكَمِينَ، قَالَ الْمُخَالَفُ: كَانَا مَرِيدِينَ لِلْإِصْلَاحِ. فَقَالَ: بَلْ غَيْرَ مَرِيدِينَ لَهُ، قَالَ تَعَالَى فِي حَكْمَى الزَّوْجِينَ «إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوفِّقُ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» (١)، فَلَمَّا لَمْ يُوَفَّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا عَلِمْنَا أَنَّهُمَا لَمْ يُرِيدَا الْإِصْلَاحَ.

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمَا «وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا» هَكَذَا قَالَ الْمُصَنِّفُ فِي الْعُنْوَانِ، وَالصَّوَابُ: (اسْتِثْنَاؤُنَا) كَمَا عَرَفْتَهُ مِنَ الطَّبْرِيِّ (٢) وَلَمَّا يَأْتِي.

«عَلَيْهِمَا فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصِّدْقِ» - بِالتَّسْكِينِ - أَيْ: الْقَصْدِ.

ص: ٣٥٧

[١-١] (١) النساء: ٣٥. [١]

[٢-٢] (٢) تاريخ الطبري ٨٥: ٥. [٢]

«للحق» في الأول.

«في الحكم بالعدل و العمل بالحق» في الثاني.

«سوء رأيهما و جور حكمهما» السوء و الجور مفعولان ل(سبق)، و الفاعل (استيثاقنا)، و مما يدل على كون (استثنائنا) محزّف (استيثاقنا) أنّ نصر بن مزاحم (1) روى كتاب العهد عن زيد بن حسن هكذا: «و على الحكّمين عهد الله و ميثاقه أن لا يألوا اجتهادا، و لا يعتمدا جورا، و لا يدخلوا في شبهه، و لا يعدوا حكم الكتاب و سنّه الرسول صلّى الله عليه و آله، فان لم يفعلا برئت الذمه من حكمهما، و لا عهد لهما و لا ذمه».

قوله عليه السّلام في الثاني : «و الثقة في أيدينا لأنفسنا، حين خالفا سبيل الحق، و أتيا بما لا يعرف من معكوس الحكم» في (خلفاء ابن قتيبه) (2): لما خدع عمرو أبا موسى و تشاتما، و انصرف عمرو إلى معاوية و لحق أبو موسى بمكة، و انصرف القوم إلى علي عليه السّلام قال عدى له عليه السّلام: أما و الله لقد قدّمت القرآن، و أخرت الرجال، و جعلت الحكم لله. فقال عليّ عليه السّلام: أما إنني قد أخبرتكم أنّ هذا يكون بالأمس، و جهدت أن تبعثوا غير أبي موسى فأبيتم عليّ - إلى ان قال - فقال عليّ عليه السّلام لابنه الحسن عليه السّلام: قم فتكلّم في أمر هذين الرجلين. فقام فقال:

أيها الناس قد أكثرتم في أمر أبي موسى و عمرو، إنّما بعثنا ليحكم بالقرآن دون الهوى، فحكمنا بالهوى دون القرآن، فمن كان هكذا لم يكن حكما، و لكنّه محكوم عليه، و قد كان من خطأ أبي موسى أن جعله لعبد الله بن عمر، فأخطأ في ثلاث خصال: خالف أباه عمر، إذ لم يرضه لها و لم يره أهلا لها، و كان أبوه أعلم به من غيره، و لا أدخله في الشورى إلاّ على الاشياء له فيها، شرطا

ص: ٣٥٨

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٠٥. [١]

٢-٢) الخلفاء لابن قتيبه: ١٣٨.

مشروطا من عمر على أهل الشورى، فهذه واحده، و ثانيه: لم يجمع عليه المهاجرون و الأنصار الذين يعقدون الإمامه و يحكمون على الناس، و ثالثه: لم يستأمر الرجل فى نفسه، و لا علم ما عنده من ردّ أو قبول.

قلت: ذكره عليه السّلام الخطأ الثانى عدم قبول المهاجرين و الأنصار إنّما كان جدلا، و إلّا فيدلّ كتابه عليه السّلام إلى معاويه أيام بيعه الناس له أنّ أهل البيت عليهم السّلام هم خيرهم الله، و أنّه لا خيره للناس المهاجرين و الأنصار و غيرهما.

و لقد صدّق خطاه الأول و الثانى ابن عمر نفسه، ففى (الخلفاء) (١): أنّ ابن عمر لمّا بلغه ما فعل أبو موسى كتب إليه: فإنّك تقرّبت إلىّ بأمر لم تعلم هواى فيه، أ كنت تظنّ أنّى أبسط يدا إلى أمر نهانى عنه أبى عمر؟ أو كنت ترانى أ تقدّم على علىّ عليه السّلام؟- إلى أن قال- ثم أعظم من ذلك: خديعه عمرو إياك- إلى أن قال- إنّ أبا موسى كتب فى جوابه: و أما خديعه عمرو و فو الله ما ضرّ بخديعته عليّ و لا نفع معاويه، و قد كان الشرط ما اجتمعنا عليه، لا ما اختلفنا فيه.

و فيه (٢)، و فى (العقد) (٣): أنّه عليه السّلام أمر ابن عباس أن يتكلّم فى الحكمين بعد الحسن عليه السّلام، فقام و قال: أيّها الناس إنّ للحقّ أهلا أصابوه بالتوفيق، و الناس بين راض به و راغب عنه، و إنّما بعث أبو موسى بهدى إلى ضلاله، و بعث عمرو بضلاله إلى هدى، فلما التقيا رجع أبو موسى عن هداه، و مضى عمرو بضلاله- إلى أن قال- و قال علىّ عليه السّلام لعبد الله بن جعفر: قم فتكلم فقام و قال: أيّها الناس، إنّ هذا الأمر كان النظر فيه لعلّى عليه السّلام و الرضا فيه إلى غيره، جئتم بأبى موسى مبرنسا، فقلتم: قد رضينا هذا فارض به، و ايم الله ما استفدنا به علما، و لا انتظرنا منه غائبا، و ما نعرفه صاحبا، و ايم الله ما أصلحا

ص: ٣٥٩

١- ١) الخلفاء لابن قتيبه: ١٣٨.

٢- ٢) الخلفاء لابن قتيبه: ١٣٨.

٣- ٣) العقد الفريد ٥: ٩٨. [١]

بما فعلا الشام، و لا أفسدا العراق، و لا أماتا حقّ عليّ، و لا أحيا باطل معاويه، و لا يذهب الحق رقيه راق، و لا نفخه شيطان، و نحن اليوم على ما كنّا عليه أمس.

هذا، و قال ابن أبي الحديد (١) عن أبي عبيده، قال: أمر بلال بن أبي بردة - و كان قاضيا - بتفريق بين رجل و امرأته، فقال الرجل: يا آل أبي موسى، إنّما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين.

و بعث (٢) عبد الملك روح بن زنباع، و بلال بن أبي بردة بن أبي موسى إلى زفر بن الحارث الكلابي بكلام، و حذرهما من كيده و خصّ بالتحذير روحا، فقال له: إنّ أباه كان المخدوع يوم دومه الجندل لا أبي، علام تخوفني الخداع و الكيد. فغضب بلال و ضحك عبد الملك.

و كتب معاويه إلى عمرو بن العاص - و هو على مصر و قد قبضها بالشرط الذي اشترط معاويه -: أمّا بعد فإنّ سؤال أهل الحجاز، و زوّار أهل العراق كثروا عليّ، و ليس عندي فضل عن أعطيات الحجاز، فأعنى بخراج مصر هذه السنة. فكتب إليه عمرو: أن تدر كك نفس شحيحه، فما مصر إلّا كالهباء في التراب، و ما نلتها عفوا و لكن شرطتها، و قد دارت الحرب العوان على قطب، و لو لا دفاعي الأشعري و رهطه لألفيتها ترغو كراغيه السّقب ثم كتب في ظاهر الكتاب:

معاوي حظي لا تغفل و عن سنن الحق لا تعدل

أتنسى مخادعه الأشعري و ما كان في دومه الجندل

ألين فيطمع في غرتي و سهمي قد خاض في المقتل

ص: ٣٦٠

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٥٦: ١٠. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٥٧: ١٠. [٢]

المظه عسلا باردا و اخبا من تحته الحنظل

و أعليته المنبر المشمخر كرجع الحسام إلى المفصل

فأضحى لصاحبه خالعا كخلع النعال من الأرجل

و أثبتّها فيك موروته ثبوت الخواتيم في الأنمل

وهبت لغيرى وزن الجبال و أعطيتنى زنه الخردل

و أنّ عليّا غدا خصمنا سيحتج بالله و المرسل

و ما دم عثمان منج لنا و ليس عن الحق من مرجل

فلمّا بلغ الجواب إلى معاويه لم يعاوده فى شىء من أمر مصر بعدها (١).

قلت: و فى (العقد) (٢): كان رجل يحدث بأخبار بنى إسرائيل، فقال له الحجاج ابن خيثمه: ما كان اسم بقره بنى إسرائيل؟ قال: خيثمه. فقال له رجل من ولد أبى موسى: أين وجدت هذا؟ قال فى كتاب عمرو بن العاص.

و فيه: بعث بلال بن أبى برده فى ابن أبى علقمه الممرور، فلمّا أتى قال:-

أ تدرى لم بعث إليك؟ قال: لا. قال: بعث إليك لأضحك منك. فقال له الممرور:

لقد ضحك أحد الحكمين من صاحبه-عرض له بجده أبى موسى، و ضحك عمرو من خداعه له-فغضب عليه بلال، و أمر به إلى الحبس، فكلّمه الناس و قالوا: إنّ المجنون لا- يعاقب و لا يحاسب. فأمر بإطلاقه و أن يؤتى به إليه، فاتى به يوم السبت، و فى كتمه طرائف اتحف بها فى الحبس، فقال له بلال:

ناولنى من هذا الذى فى كتمك. قال: هو يوم سبت ليس يعطى فيه و لا يؤخذ.

عرض به بعمه كانت له من اليهود.

ص: ٣٤١

[١-١] شرح ابن أبى الحديد ٥٦: ١٠. [١]

[٢-٢] العقد الفريد ١٣٠: ٤. [٢]

و من كلام له عليه السلام فى التحكيم:

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ - وَ إِنَّمَا حَكَّمْنَا؟ الْقُرْآنَ؟ وَ هَذَا؟ الْقُرْآنُ؟ - إِنَّمَا هُوَ حَطٌّ مَسِيطُورٌ بَيْنَ الدَّفَتَيْنِ - لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ وَ لَا يُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ - وَ إِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ - وَ لَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ - إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا؟ الْقُرْآنَ؟ - لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلَّى - عَنْ كِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى - وَ قَدْ قَالَ سُـبْحَانَهُ - «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَ الرَّسُولِ» - (١) فَرُدُّهُ إِلَى اللَّهِ أَنْ نُحَكِّمَ بِكِتَابِهِ - وَ رُدُّهُ إِلَى؟ الرَّسُولِ؟ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ - فَإِذَا حُكِّمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللَّهِ - فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ - وَ إِنْ حُكِّمَ بِسُنَّةِ؟ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ - فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ - وَ أَمَا قَوْلُكُمْ - لَمْ جَعَلَتْ بَيْنَكُمْ وَ بَيْنَهُمْ أَجَلًا - فِي التَّحْكِيمِ - فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذَلِكَ لِيَتَّبِعَنَّ الْجَاهِلُ - وَ يَتَّبِعَتِ الْعَالِمُ - وَ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُضِلِّحَ فِي هَيْدِهِ الْهُدَيْنَةَ - أَمْرٌ هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَ لَا تُؤْخَذُ بِأَكْظَامِهَا - فَتَعَجَّلَ عَنْ تَبْيِينِ الْحَقِّ - وَ تَنْفَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ - إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ - مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ - وَ إِنْ نَقَصَهُ وَ كَرَّهَهُ مِنَ الْبَاطِلِ - وَ إِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةٌ وَ زَادَهُ - أَيْنَ يَتَاهُ بِكُمْ - وَ مِنْ أَيْنَ أُتَيْتُمْ - اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى - عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَ - وَ مُوزَعِينَ بِالْجُورِ لَا يَعْدِلُونَ بِهِ - جُفَاهٍ عَنِ الْكِتَابِ - نُكِبَ عَنِ الطَّرِيقِ - مِمَّا أَنْتُمْ بَوَاقِيهِ يُعَلِّقُ بِهَا - وَ لَا - زَوَافِرَ عَزَّ يُعْتَصِمُ إِلَيْهَا - لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ - أَفَّ لَكُمْ - لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحًا يَوْمًا أَنَادِيكُمْ - وَ يَوْمًا أَنُاجِيكُمْ - فَلَا أَحْرَارَ صِدْقٍ عِنْدَ النَّدَاءِ - وَ لَا إِخْوَانَ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ

ص: ٣٤٢

أقول:العنوان مأخوذ من كلامه عليه السّلام في ثلاثه مواضع،فمن أوله إلى قوله: «و تنقاد لأول الغي» كلامه عليه السّلام مع الخوارج،رواه الطبري الطبري-تاريخ الطبري-ج ٤ ص ٥٠ و ٥١(١)و(إرشاد الشيخ المفيد-الإرشاد-ص ٢٧١،مؤسسه آل البيت عليهم السّلام المفيد) (٢)إلى قوله: «و لعل الله أن يصلح في هذه الهدنه أمر هذه الامه»، و من قوله: «إن أفضل الناس عند الله- إلى -و إن جرّ إليه فائده و زاده» نصحه لعمر بن العاص في حكميته،رواه الطبري (٣)مع زيادات،ففيه:قال أبو مخنف:قال النضر بن صالح العبسي:كنت مع شريح بن هاني في غزوه سجستان، فحدّثني أنّ عليّاً عليه السّلام أو صاه بكلمات إلى عمرو بن العاص،قال:قل له:إنّ عليّاً يقول لك«إنّ أفضل الناس عند الله عز و جل:من كان العمل بالحق أحبّ إليه -و ان نقصه و كثره-من الباطل و ان حن إليه و زاده.و الله يا عمرو أنّك لتعلم أين موضع الحق،فلم تجاهل إن اوتيت طمعا يسيرا كنت به لله و أوليائه عدوّا، فكان و الله ما اوتيت قد زال عنك؟ويحكك ف «لا تُكُنْ لِلْخَائِنِينَ خَصِيْمًا» (٤)و لا- للظالمين ظهيرا أما إنّي أعلم بيومك الذي أنت فيه نادم،و هو يوم وفاتك،تمنّى أنّك لم تظهر للمسلم عداوه،و لم تأخذ على حكم رشوه»قال شريح:فبلغته ذلك فتمعر وجهه،ثم قال:متى كنت أقبل مشوره عليّ،أو أنتهى إلى أمره،أو أعتد برأيه؟فقلت له:و ما يمنعك يا بن النابغه أن تقبل من مولاك و سيد المسلمين-بعد نبيهم-مشورته،فقد كان من هو خير منك أبو بكر و عمر يستشيرانه و يعملان برأيه؟فقال:إنّ مثلي لا- يكلم مثلك.فقلت له:و بأى أبويك ترغب عني،أبأيك الوشيظ،أم بأمّيك النابغه؟ و من قوله: «استعدوا للمسير...» حث لأصحابه لقتال معاويه بعد قتل

ص:٣٤٣

١-١ (١) تاريخ الطبري ٥٠:٤-٥١. [١]

٢-٢ (٢) الارشاد للمفيد:٢٧١، [٢]مؤسسه آل البيت عليهم السّلام.

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٦٩:٥. [٣]

٤-٤ (٤) النساء:١٠٥. [٤]

أهل النهروان، رواه الطبرى (١) أيضاً، ففيه: قال زيد بن وهب: إن علياً عليه السلام قال للناس - وهو أول كلام قاله لهم بعد النهروان - «أيها الناس استعدوا للمسير إلى عدو في جهاده القربه إلى الله، و درك الوسيله عنده، حيارى في الحق، جفاه عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان و يكونون في غمره الضلال ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ» (٢)، و توكلوا على الله «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا» (٣) «وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا» (٤) قال زيد: فلا- نفروا و لا تيسروا فتركهم أياما حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم و وجوههم فسألهم عن رأيهم، فمنهم المعتل و منهم المكره و أقلهم من نشط، فقام فيهم خطيبا فقال: عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا «أثاقلتم إلى الأرض أَرْضِيَّتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ» (٥)، و بالذل و الهوان من العز؟ أو كلما نذبتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت في سكره، و كأن قلوبكم مالوسه فأنتم لا تعقلون، و كأن أبصاركم كمه فأنتم لا تبصرون؟ لله أنتم! ما أنتم إلا اسود الشرى في الدعه، و تعالب رواغه حين تدعون إلى البأس، ما أنتم لى بثقه سجيس الليالى، ما أنتم يركب يصال بكم، و لا ذى عز يعتصم إليه، لعمر الله لبس حشاش الحرب أنتم! تكادون و لا تكيدون، و ينتقص أطرافكم و لا تتحاشون، و لا- ينام عنكم و أنتم فى غفله ساهون، إن أخوا الحرب اليقظان، و بات لذل من وادع، و غلب المتخاذلون، و المغلوب مقهور و مسلوب.

ص: ٣٤٤

[١-١] تاريخ الطبرى ٩٠:٥. [١]

[٢-٢] الأنفال: ٦٠. [٢]

[٣-٣] النساء: ٨١. [٣]

[٤-٤] النساء التوبه: ٤٥. [٤]

[٥-٥] ٣٨.

كما أن الصدر رواه الطبري (١) أيضا مع زياده و نقصان، ففيه: خرج عليّ عليه السّلام إلى الخوارج و قال: اللّهم إنّ هذا مقام من أفلح فيه كان أولى بالفلاح يوم القيامة، و من نطف فيه أو عسف «فَهُوَ فِي الْمَآخِرَةِ أَعْمَى وَ أَصْلٌ سَبِيلاً» (٢). ثم قال عليه السّلام لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أ تعلمون أنّهم حيث رفعوا المصاحف، فقلتم: نجيبهم إلى كتاب اللّهم، قلت لكم: «إني أعلم بالقوم منكم إنّهم ليسوا بأصحاب دين و لا- قرآن، إني صحبتهم و عرفتهم أطفالا و رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، امضوا على حقكم و صدقكم، فإنّما رفع القوم هذه المصاحف خديعه و دهنه و مكيدته» فرددتهم عليّ رأيي و قلت: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: «اذكروا قولي لكم و معصيتكم إياي» فلمّا أبيتم إلّا الكتاب اشترطت على الحكمين: أنّ يحييا ما أحيا القرآن، و أن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن، و إن أيا فنحن من حكمهما براء. قالوا له: فخبّرنا أ تراه عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: إنّنا لسنا حكّما الرجال، إنّما حكّما القرآن، و هذا القرآن إنّما هو خط مسطور بين الدفتين لا ينطق، إنّما يتكلم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل، لم جعلته في ما بينك و بينهم؟ قال: ليعلم الجاهل و يتثبت العالم، و لعلّ الله عز و جل يصلح في هذه الهدنه هذه الامه. ادخلوا مصركم رحمكم اللّهم.

فدخلوا من عند آخرهم.

و حيث إنّ الكلام كلّه خطاب و عتاب للخوارج، و لأحد الحكمين و للناس بعد قتلهم، جمع المصنف بينها و جعلها تحت عنوان واحد، كما هو دأبه.

ص: ٣٦٥

١- (١) تاريخ الطبري ٦٥: ٥-٦٦. [١]

٢- (٢) الاسراء: ٧٢. [٢]

«و من كلام له عليه السلام في التحكيم» هكذا في (المصريه) (١) و(ابن ميثم) (٢) و(الخطيه) و لكن في (ابن أبي الحديد) (٣) «و من كلام له عليه السلام في الخوارج لما أنكروا تحكيم الرجال، و يذمّ فيه أصحابه في التحكيم». و لا بدّ أنّه حاشيه خلطه ابن أبي الحديد نفسه أو كاتب نسخه بالمتن.

قوله عليه السلام: «إِنَّا لَمْ نَحْكَمْ الرِّجَالَ» «إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» (٤).

«و إنّما حكمتنا القرآن» كلام الله و كتابه .

«و هذا القرآن إنّما هو خط مستور» هكذا في (المصريه) (٥) و هو غلط و الصواب: (مسطور) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم) (٦) و غيرهما.

«بين الدفتين» قال ابن أبي الحديد (٧): دفنا المصحف: جانباه اللذان يكتنفانه، و كان الناس يعملانها قديما من خشب، و يعملونها الآن من جلد.

قلت: و في (الجمهره) الدف: صفحه الجنب .

«لا ينطق بلسان و لا بد له من ترجمان» ذكره (الصحاح) في: رجم، و (القاموس) في: ترجم، و قال: الفعل منه ترجمه يدل على اصاله التاء، و الترجمان- كعنفوان و زعفران- مفسر اللسان. و ذكره كتاب لغه في الأفعال، في الرباعي أيضا .

«و إنّما ينطق عنه الرجال» فالحاكم في الحقيقه هو، لا الرجال، كالمترجم عن القاضي.

ص: ٣٦٦

١- (١) الطبعة المصريه ٢:٧.

٢- (٢) شرح ابن ميثم ٣:١٢٤.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ٨:١٠٣. [١]

٤- (٤) الأنعام: ٥٧. [٢]

٥- (٥) الطبعة المصريه ٢:٧.

٦- (٦) شرح ابن ميثم ٣:١٢٦.

٧- (٧) شرح ابن أبي الحديد ٨:١٠٤. [٣]

«و لما دعانا القوم الى أن نحكم بيننا القرآن» و ان كانت دعوتهم مجرد لفظ.

«لم نكن الفريق المتولى على» هكذا في (المصريه) و الصواب: (عن) كما في (ابن ميثم) (١) و غيره.

«كتاب الله» لأنه عليه السلام أول من آمن بالله، فكيف يعقل توليه عن كتابه؟! «و قد قال الله سبحانه: «فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ» و الآية في سورة النساء، وقبلها: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَ أَطِيعُوا الرَّسُولَ وَ أُولَى الْأَمْرِ مِنْكُمْ». و بعدها: «إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَ الْيَوْمِ الْآخِرِ» (٢).

«فرده الى الله أن نحكم بكتابه و رده الى الرسول ان نحكم بسنته» بيان للمراد من الآية .

«فإذا حكم بالصدق في كتاب الله» لا كما حكم الحكمان.

«فنحن أحق الناس به، و إن حكم بسنه رسول الله صلى الله عليه و آله فنحن أولاهم به» إلا أنهم أرادوا المكيدة، لا الكتاب أرادوا و لا السنة.

و في (العقد) (٣) قالوا: إن علياً عليه السلام لما اختلف عليه أهل النهروان و أصحاب البرانس، و نزلوا قريه يقال لها حرورا، رجع إليهم فقال: يا هؤلاء من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. قال: فليبرز اليّ. فخرج إليه ابن الكواء، فقال عليه السلام له:

ما الذي أخرجكم بعد رضاكم بالحكمين؟ قال: قاتلت بنا عدوا لا نشك في جهاده، فزعمت أن قتلاتنا في الجنة و قتلاهم في النار، فبينما نحن كذلك إذ أرسلت منافقا و حكمت كافرا، و كان من شكك في أمر الله أن قلت للقوم - حين

ص: ٣٦٧

١-١ (١) شرح ابن ميثم ١٢٦: ٣. [١]

٢-٢ (٢) النساء: ٥٩. [٢]

٣-٣ (٣) العقد الفريد ٩٩: ٥. [٣]

دعوتهم-: «كتاب الله بيني وبينكم، فإن قضى عليّ بايعتكم، وإن قضى عليكم بايعتموني» فلو لا شكك لم تفعل هذا و الحق في يدك. فقال عليه السلام: يا ابن الكواء إنما الجواب بعد الفراغ، أفرغت؟ قال: نعم. قال: أمّا قتالك معي عدوا لا نشك في جهاده فصدقت، ولو شككت فيهم لم اقاتلهم، و أمّا قتلاهم و قتلانا، فقد قال الله في ذلك ما يستغنى به عن قولي، و أمّا إرسالى المنافق و تحكيمي الكافر، فأنت أرسلت أبا موسى مبرنسا و معاويه حَكَمَ عمرا، أتيت بأبي موسى مبرنسا فقلت: «لا نرضى إلا أبا موسى» فهلا قام الّى رجل منكم، فقال: لا نعطي هذه الدينه فإنّها ضلاله؟ و أمّا قولي لمعاويه: إن جرنى إليك كتاب الله تبعتك و إن جرّك الّى تبعتنى، زعمت أنّى لم أعط ذلك إلا من شك، فحدّثنى ويحك! عن اليهود و النصارى و مشركى العرب. أهم أقرب إلى كتاب الله أم معاويه و أهل الشام؟ قال: بل معاويه و أهل الشام. قال: فالنبي صلّى الله عليه و آله كان أوثق بما في يده من كتاب الله أو أنا؟ قال: بل النبي. قال: أ رأيت الله تعالى حين يقول «قُلْ فَأَتُوا بِكِتَابٍ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا اتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ» (١) أما كان النبي صلّى الله عليه و آله يعلم أنّه لا يؤتى بكتاب هو أهدى فيما في يديه؟ قال: بلى. قال: فلم أعطى النبي صلّى الله عليه و آله القوم ما أعطاهم؟ قال: انصافا و حجّه. قال: فإنّى أعطيت القوم ما أعطاهم النبي صلّى الله عليه و آله. قال ابن الكواء: هذه واحده، زدنى. قال: فما أعظم ما نقمتم عليّ؟ قال: تحكيم الحكّمين، نظرنا في أمرنا فوجدنا تحكيمهما شكا.

قال عليّ عليه السلام: فمتى سمى أبو موسى حكما، حين ارسل أو حين حكم؟ قال:

حين ارسل. قال: أ ليس قد سار و هو مسلم، و أنت ترجو أن يحكم بما أنزل الله؟ قال: نعم. قال: فلا أرى الضلال في إرساله. فقال ابن الكواء: سمى حكما حين حكم. قال: نعم، إذن فارساله كان عدلا، أ رأيت يا ابن الكواء لو أنّ النبي بعث

ص: ٣٤٨

مؤمننا إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب الله، فارتد على عقبه كافرا كان يضرّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئًا؟ قال: لا. قال عليه السَّلَام: فما كان ذنبى أن كان أبو موسى ضلّ؟ هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذا قال؟ قال: لا، ولكنك جعلت مسلما وكافرا يحكمان في كتاب الله. قال عليه السَّلَام: ويلك يا ابن الكواء! هل بعث عمرا غير معاوية؟ وكيف احكمه وحكمه على ضرب عنقى؟ إنما رضى به صاحبه كما رضيت أنت بصاحبك، وقد يجتمع المؤمن والكافر يحكمان في أمر الله، أ رأيت لو أنّ رجلا مؤمنا تزوج يهوديه أو نصرانيه، فخافا شقاق بينهما، فضرع الناس إلى كتاب الله وفي كتابه: «فَابْعَثُوا حَكَمًا مِنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِنْ أَهْلِهَا» (١)، فجاء رجل من اليهود أو النصرارى ورجل من المسلمين، أ ليسا اللذين لهما أن يحكما كما في كتاب الله فحكما؟ قال ابن الكواء: وهذه أيضا، أمهلنا حتى ننظر...

ولابن أبى الحديد هنا كلام رث لم تتعرض له .

«و أمّا قولكم لم جعلت بينكم و بينهم أجلا فى التحكيم؟ فإنما فعلت ذلك ليتبين الجاهل و يتثبت العالم، و لعلّ الله أن يصلح فى هذه الهدنه» أى: المصالحه و المتاركة.

«أمر هذه الامه» كما فى صلح الحديبيه .

«و لا تؤخذ باكظامها» جمع الكظم، أى: مخرج النفس، يقال: أخذت بكظمه.

«فتعجل عن تبين الحق و تنقاد لأوّل الغى» إن لم يكن أجل فى البين .

«إنّ أفضل الناس عند الله من كان العمل بالحق أحبّ إليه و ان نقصه و كثره» فى (الجمهره): كثرنى هذا الأمر كثرنا: إذا ثقل عليك.

«من الباطل» متعلق بقوله: «أحب» .

ص: ٣٦٩

«وإن جرّ إليه فائده و زاده» قد عرفت أنّ قوله عليه السّلام: «إنّ أفضل الناس...» كلامه عليه السّلام لعمر بن العاص، قال عليه السّلام ذلك لأنّه لازم الايمان، فالحق -و ان نقص و كرث في الدنيا- يزيد في الآخرة و يسر، و الباطل و إن جرّ فائده في الدنيا إلّا أنّه خسران في الآخرة .

«أين» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: (فأين) كما في الثلاثه، ثم قد عرفت أنّه من هنا عتاب لأصحابه في تركهم معاوده قتال معاويه.

«يتاه بكم» أي: في أيّ مكان تذهبون متحيرين؟ «من» هكذا في (المصريه) (٢) و الصواب: (و من) كما في الثلاثه.

«أين أتيتم» أتاكم الشيطان، أو أتاكم الخصم حتى صرتم هكذا بلا حميه .

«استعدوا للمسير في قوم» هكذا في (المصريه) (٣)، و الصواب: (إلى قوم) كما في (ابن ميثم) و غيره.

«حيارى عن الحق لا يبصرونه» أي: معاويه و أهل الشام .

«و موزعين بالجور» أي: مغرون به. أوزعته بالشىء، أي: أغريته. و قول ابن أبي الحديد (٤) «أي ملهمون» غلط، فلا- معنى للالهام هنا، كما في قوله تعالى «أَوْزَعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ» (٥).

«جفاه» أي: مرتفعين.

«عن الكتاب» الذي أنزله تعالى .

«نكب» أي: عادلين.

ص: ٣٧٠

١-١) الطبعة المصريه ٢:٨.

٢-٢) الطبعة المصريه ٢:٨.

٣-٣) الطبعة المصريه ٢:٩.

٤-٤) شرح ابن أبي الحديد ١٠٦:٨-١٠٧. [١]

٥-٥) النمل: ١٩. [٢]

«عن الطريق» إلى الله تعالى .

«ما أنتم بوثيقه» أى:عروه محكمه.

«يعلق بها» فيحصل فيكم الانفصام .

«و لا زوافر» أى:أعمده و أسباب التقوى،قال الحطيئه:

فان تك ذا عز حديث فإنهم ذوو إرث مجد لم تخنه زوافره

«عز يعتصم إليها» فيقده فيكم الانهدام «لبئس حشاش» أى:موقدو:

«نار الحرب أنتم.اف لكم» و الالف:إظهار تضجر،و فى (الجمهره):قال أبو زيد فى قولهم:اف و تف:الاف الأظفار،و التف:وسخ الأظفار .

«لقد لقيت منكم برحا» أى:شده شديده،قال جران العود:

الاقى الخنا و البرح من ام جابر و ما كنت ألقى من رزينه أبرح

و فى (الجمهره):إذا أصاب الرامى قالوا:مرحى.و إذا أخطأ قالوا:برحى .

«يوما اناديكم و يوما اناجيكم،فلا أحرار صدق عند النداء» أى:للحرب .

«و لا إخوان ثقه عند النجاء» مصدر(ناجى)كالمنجاه،أى:لكشف المعضلات و دفع المحذورات.

٤

الخطبه (١٢٠)

و من كلام له عليه السلام قاله للخوارج-و قد خرج إلى معسكرهم و هم مقيمون على إنكار الحكومه،فقال عليه السلام:

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا؟ صَفِينٌ؟ - فَقَالُوا مَنَا مَنْ شَهِدَ - وَ مَنَا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ - قَالَ فَاَمْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ - فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ؟ صَفِينٌ؟ فِرْقَةٌ - وَ مَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا

ص: ٣٧١

فِرْقَهَ - حَتَّى أَكَلَمَ كَلَامًا بِكَلَامِهِ - وَ نَادَى النَّاسَ فَقَالَ أَمْسِكُوا عَنِ الْكَلَامِ - وَ أَنْصِتُوا لِقَوْلِي - وَ أَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ - فَمَنْ نَشَدَنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا - ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ مِنْهُ - أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ الْمَصِاحِفَ حِيلَهُ وَ غِيْلَهُ - وَ مَكْرًا وَ خَدِيعَةً - إِخْوَانًا وَ أَهْلًا دَعَوْتَنَا - اسْتَعَاوْنَا وَ اسْتَرَاوْنَا إِلَى كِتَابِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ - فَالزَّأَى الْقَبُولُ مِنْهُمْ - وَ التَّنْفِيسُ عَنْهُمْ - فَقُلْتُ لَكُمْ هَذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيْمَانٌ - وَ بَاطِنُهُ عِمْدَانٌ - وَ أَوْلَاهُ رَحْمَةٌ وَ آخِرُهُ نَدَامَةٌ - فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ - وَ الزُّمُومُوا طَرِيقَتَكُمْ - وَ عَضُّوا عَلَى الْجِهَادِ بِنَوَاجِدِكُمْ - وَ لَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقِ نَعَقٍ - إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ وَ إِنْ تُرِكَ ذَلَّ - وَ قَدْ كَانَتْ هَذِهِ الْفِعْلَةُ وَ قَدْ رَأَيْتُكُمْ أُعْطِيتُمُوهَا - وَ اللَّهُ لَئِنْ أَيْتَهَا مَا وَجِبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَةٌ بِهَا - وَ لَا - حَمَلَنِي اللَّهُ ذَنْبَهَا وَ اللَّهُ إِنْ جِئْتَهَا إِنِّي لِلْمُحِقِّ الَّذِي يُبَيْعُ - وَ إِنْ الْكِتَابَ لَمَعَى مَا فَارَقْتَهُ مُذْ صَحِبْتُهُ فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ص؟ - وَ إِنْ الْقَتْلَ لَيُدُورُ عَلَى الْآبَاءِ وَ الْأَبْنَاءِ - وَ الْإِخْوَانَ وَ الْقَرَابَاتِ - فَلَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَ شِدَّةٍ - إِلَّا - إِيْمَانًا وَ مُضِيًّا عَلَى الْحَقِّ - وَ تَسْلِيمًا لِلْمَأْمُرِ - وَ صَبْرًا عَلَى مَضِّ الْجِرَاحِ - وَ لَكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي الْإِسْلَامِ - عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ الزَّنْعِ وَ الْإِعْوَجَاجِ - وَ الشُّبْهِهِ وَ التَّأْوِيلِ - فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْمِهِ يَلُمُّ اللَّهُ بِهِ شَعْنًا - وَ تَتِدَانِي بِهَا إِلَى الْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا - رَغْبًا فِيهَا وَ أَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا قَوْلِ الْمَصْنُفِ : «و من كلام له عليه السلام قاله» ليس (قاله) في نسخه ابن ميثم (1).

ص: ٣٧٢

(١-١) شرح ابن ميثم ١١٨:٣. [١]

«للخوارج وقد خرج الى معسكرهم» أى: محل عسكرهم.

«وهم مقيمون على انكار الحكومه» ليست هذه الجملة فى نسخه ابن ميثم (١).

فى (تاريخ يعقوبى) (٢): صارت الخوارج إلى قريه يقال لها حروراء، و بينها و بين الكوفه نصف فرسخ، و بها سموا الحروريه، و رئيسهم عبد الله بن وهب الراسبى و ابن الكواء و شبت بن ربيعى، فجعلوا يقولون: لا حكم إلا لله.

فلما بلغ عليا عليه السلام ذلك قال: كلمه حق اريد بها باطل. ثم خرجوا فى ثمانيه آلاف - و قيل فى اثنى عشر ألفا - فوجه عليه السلام إليهم ابن عباس، فكلمهم و احتجوا عليه، فخرج إليهم علي عليه السلام فقال: أفتشهدون علي بجهل؟ قالوا: لا. قال: فتنفذون أحكامى؟ قالوا: نعم. قال: ارجعوا إلى كوفتكم حتى تتناظر. فرجعوا من عند آخرهم، ثم جعلوا يقومون فيقولون: لا حكم إلا لله. فيقول عليه السلام: حكم الله أنتظر فيكم .

«فقال عليه السلام» ليست الكلمه فى نسخه ابن ميثم (٣)، و عليها يكون (أكلكم...) إلخ مبتدأ لقوله: «و من كلام له» و لا يرد على المصنف ما يأتى على نقل غيره.

«أكلكم شهد معنا صفين؟ قالوا: من شهد و من شهد و من شهد. قال:

فامتازوا فرقتين، فليكن من شهد صفين فرقه، و من لم يشهدا» و فى نسخه ابن ميثم (٤): «و من لم يشهد».

«فرقه حتى اكلم كلاً» و زاد ابن أبى الحديد: «منكم».

«بكلامه. و نادى الناس فقال: أمسكوا عن الكلام و أنصتوا» أى: اسكتوا.

ص: ٣٧٣

١- ١) شرح ابن ميثم ١١٨: ٣.

٢- ٢) تاريخ يعقوبى ١٩١: ٢. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ١١٨: ٣.

٤- ٤) شرح ابن ميثم ١١٨: ٣. [٢]

«و اقبلوا بأفئدتكم إلى، فمن نشدناه شهاده» ليست الكلمه فى نسخه ابن ميثم (١).

«فليقل بعلمه فيها. ثم كلمهم عليه السّلام بكلام طويل منه» هكذا فى (المصريه) (٢) و الصواب: ما فى (ابن أبى الحديد (٣) و ابن ميثم) (٤): «ثم كلمهم عليه السّلام بكلام طويل من جملته أن قال» .

و كيف كان، ففى (تاريخ يعقوبى) (٥) -بعد ما مرّ- و خرجت الحروريه من الكوفه، فوثبوا على ابن خباب فقتلوه، فخرج على عليه السّلام إليهم، و قال لابن عباس: قل لهم: ما نعمتم على أمير المؤمنين؟ ألم يحكم فيكم بالحق، و يقيم فيكم العدل، و لم يبخسكم شيئاً من حقوقكم؟ فناداهم ابن عباس بذلك، فقالت طائفه منهم: و الله لا نجيبه. و قالت الأخرى: و الله لنجيبه ثم لنخصمته، نعم يا بن عباس، نعمنا عليه خصالا كلّها موبقه، و لو لم نخصمه إلاّ بخصمه خصمناه: محا اسمه من إمره المؤمنين يوم كتب إلى معاويه، و رجعنا عنه يوم صفين فلم يضربنا بسيفه حتى نفىء إلى أمر الله، و حكم الحكّمين، و زعم أنّه وصى فضيع الوصيه، و جئتنا يا بن عباس فى حلّه حسنه جميله تدعوننا إلى مثل ما يدعوننا إليه. فقال بن عباس له عليه السّلام: قد سمعت مقاله القوم و أنت أحقّ بالجواب. فقال عليه السّلام: حججتهم و الذى فلق الحبه و برأ النسمة، قل لهم: أستم راضين بما فى كتاب الله و بما فيه من اسوه رسول الله؟ قالوا:

بلى. فقال عليه السّلام: كتب كاتب النبى صلّى الله عليه و آله يوم الحديبيه -إذ كتب إلى سهيل بن

ص: ٣٧٤

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٣:١١٨. [١]

٢-٢ (٢) الطبعه المصريه ٢:٢.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧:٢٩٧. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٣:١١٨. [٣]

٥-٥ (٥) تاريخ يعقوبى ١٩١:٢-١٩٢. [٤]

عمرو و صخر بن حرب و من قبلهما من المشركين:- «من محمّد رسول الله» فكتبوا إليه: «لو علمنا أنّك رسول الله ما قاتلناك، فاكتب إلينا: من محمّد بن عبد الله لنجيبك». فمحا النبي صلى الله عليه وآله اسمه بيده و قال: إنّ اسمي و اسم أبي لا يذهبان بنوّتي. فكتب: «من محمّد بن عبد الله». ففى رسول الله اسوه حسنه. و أمّا قولكم: إنّى لم أضربكم بسيفى حتى تفيثوا إلى أمر الله، فإنّ الله عز و جل يقول: «وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (١)، كنتم عددا جمّا و أهل بيتى فى عده يسيره. و أمّا قولكم: إنّى حكمت الحكمين، فإنّ الله عزّ و جل حكم فى أرنب يباع بربع درهم فقال: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» (٢) و لو حكم الحكمان بما فى كتاب الله لما وسعنى الخروج من حكمهما. و أمّا قولكم:

إنّى كنت وصيا فضيحت الوصية، فإنّ الله عز و جل يقول: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَ مَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (٣). أفرأيتم هذا البيت لو لم يحجّ إليه أحد كان البيت يكفر، أم لو تركه من استطاع إليه سبيلا كفر؟ و أنتم كفرتم بترككم إياى، لا أنا كفرت بتركي لكم. فرجع منهم ألفان.

قوله عليه السلام: «ألم تقولوا عند رفعهم المصاحف حيله و غيله» من: «أرضعته غيله»، أى: على جبل، و هو مفسد للصبى، يقال: الارضاع غيله كالقتل غيله.

«و مكرأ و خديعه» كلّها مفعول له لقوله: «رفعهم» .

«إخواننا» مقول قولهم.

«و أهل دعوتنا استقالونا» من القتال.

ص: ٣٧٥

[١-١] البقره: ١٩٥. [١]

[٢-٢] المائده: ٩٥. [٢]

[٣-٣] آل عمران: ٩٧. [٣]

«و استراحوا الى كتاب الله سبحانه، فالرأى القبول منهم و التنفيس» أى:

الترفيه .

«عنهم، فقلت لكم: هذا أمر ظاهره ايمان و باطنه عدوان، و أوّله رحمه و آخره عداوه، فأقيموا على شأنكم و الزموا طريقكم» فى (الطبرى) (1) - فى حرب يزيد بن المهلب مع مسلمه بن عبد الملك أيام يزيد بن عبد الملك - : دعا ابن المهلب رءوس أصحابه، فقال لهم: قد رأيت أن أجمع اثني عشر ألف رجل، فأبعثهم مع محمد أخى حتى يبيتوا مسلمه، و يحملوا معهم البراذع و الأكف و الزبل، لدفن خنادقهم فنقاتلهم على خنادقهم بقيه ليلتهم، فإذا أصبحت نهضت إليهم بالناس فنناجزهم. قال السميديع: إننا قد دعوناهم إلى كتاب الله و سنّه نبيه، و قد زعموا أنّهم قابلو هذا منّا، فليس لنا ان نمكر و لا نغدر و لا نريدهم بسوء، حتى يردّوا علينا ما زعموا أنّهم قابلوه، فقال لهم يزيد بن المهلب: ويحكم! أ تصدقون بنى اميه أنّهم يعملون بالكتاب و السنّه، و قد منعوا ذلك منذ كانوا أنّهم أرادوا أن يكفوكم عنهم حتى يعملوا فى المكر؟ إننى قد لقيت بنى مروان، و ما لقيت رجلا - هو أمكر من هذه الجراده الصفراء - يعنى: مسيلمه - . فقالوا: لا نرى أن نفعل ذلك حتى يردّوا علينا ما زعموا أنّهم قابلوه منّا

«و عضّوا على الجهاد بنواجدكم» النواجد أربعة فى أقصى الأسنان بعد الأرحاء .

«و لا تلتفتوا الى ناعق نعق» أى: لا تكونوا كالأغنام، يقال: نعق الراعى بغنمه. - بالكسر - أى: صاح بها.

قال الأخطل لجرير:

أنعق بضأنك يا جرير فإئما مئتك نفسك فى الخلاء ضلالا

ص: ٣٧٤

«إن اجيب أضلّ» فنقأ أهل الشام صار سببا لضلال الخوارج.

«و إن ترك ذلّ» فلو كانوا لم يمشوا بنعقهم، لصاروا ذليلين و اسراء مقهورين .

«و قد كانت هذه الفعله، و قد رأيتكم أعطيتموها، و الله لئن أبيتها ما وجبت على فريضتها و لا حملنى الله ذنبها، و الله إن جئتها إننى للمحقّ الذى يتبع، و إنّ الكتاب لمعى ما فارقتة مذ صحبتة» هذه الفقرات كلّها من قوله: «و قد كانت» - إلى هنا، ليس منها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم) أثر و لا إشاره بوجودها فى نسخه أو روايه، و نسختهما هى الصحيحه، لا سيما الثانى الذى نسخته بخط المصنّف، فالظاهر أنّ بعضهم رأى هذا الكلام زائدا فى كلامه عليه السلام فى موضع آخر، فنقله حاشيه، فخلط بالمتن.

و لقد وقفت فى كلامه عليه السلام على ما يناسبه، فى (الطبرى) (١) قال عليه السلام للناس بعد التحكيم: قد فعلتم فعله ضعفت قوّه، و اسقطت منّيه، و أورثت و هنا و ذلّمه، و لما كنتم الأعلين و خاف عدوكم الاجتياح، و استحر بهم القتل و وجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف و دعوكم إلى ما فيها ليفتؤوكم عنهم، و يقطعوا الحرب فى ما بينكم و بينهم، و يتربصون ريب المنون خديعه و مكرا، فأعطيتموهم ما سألوا، و أبيتهم إلا أن تدهنوا و تخوروا، و ايم الله ما أظنكم بعدها توافقون رشدا، و لا تصيبون باب حزم .

«فلقد كنّا مع رسول الله صلّى الله عليه و آله و أنّ القتل ليدور على» هكذا فى (المصريه) (٢)، و الصواب: (بين) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

ص: ٣٧٧

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٤:٤٠. [١]

٢-٢ (٢) الطبعة المصريه ٢:٣.

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٣:١١٩. [٢]

«الآباء و الأبناء و الاخوان و القرابات، فلا نزداد على كل مصيبه و شدّه إلا إيماناً و مضياً على الحق، و تسليمياً للأمر، و صبوراً على مضمض» أى: ألم.

«الجراح» مرّ في فصل النبوه نظير هذا الكلام من قوله: «و لقد» من العنوان (٥٥): «و من كلام له عليه السلام: و لقد كنّا مع رسول الله نقتل آباءنا و أبناءنا و إخواننا و أعمامنا، ما يزيدنا ذلك إلا إيماناً و تسليمياً و مضياً على اللقم، و صبوراً على مضمض الألم، و جدّاً على جهاد العدو، و لقد كان الرجل منّا و الآخر من عدوّنا يتصاولان يتصاول الفحلين، يتخالسان أنفسهما: أيهما يسقى صاحبه كأس المنون؟ فمرّه لنا من عدوّنا و مره لعدوّنا، فلمّا رأى الله صدقنا أنزل بعدوّنا الكبت، و أنزل علينا النصر، حتى استقر الاسلام ملقياً جرانه و متبوّءاً أو طانه، و لعمري لو كنّا نأتى ما أتيتم ما قام للدين عمود، و لا أخضّر للإيمان عود».

مرّ ثمه أنّ نصر بن مزاحم (١) روى: أنّه عليه السلام قال ذلك الكلام يوم صفين، حين أقرّ الناس بالصلح، فالظاهر أنّ الأصل فيهما واحد.

و كيف كان فقول ابن أبي الحديد: «إنّ قوله عليه السلام: و لقد كنّا... غير مربوط بسابقه، و إنّما نقله الرضى على حسب عادته» في غير محله، فربطه بسابقه و هو قوله: «و عضوا على الجهاد بنوا جذكم -إلى و إن ترك ذل» على نقله واضح، و المراد حتّ أصحابه على التأسى بأصحاب النبي صلّى الله عليه و آله في ثباتهم .

«و لكنّا إنّما أصبحنا نقاتل اخواننا في الإسلام على ما دخل فيه من الزبغ و الاعوجاج و الشبهه و التأويل، فاذا طمعنا في خصله يلم الله به شعثنا، و نتداني بها إلى البقيه في ما بيننا، رغبتنا فيها، و أمسكنا عمّا سواها» قال ابن أبي الحديد (٢): هذا

ص: ٣٧٨

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٠. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٩٩: ٧. [٢]

الكلام من قوله: «و لكننا» مخالف في الظاهر للفصل الأول، لأنّ الأول فيه إنكار الإجابة للتحكيم و هذا يتضمن تصويبها، و ظاهر الحال أنّه بعد كلام طويل - و قد قال المصنف في أوّل الفصل: إنّهُ من جملة كلام طويل - و أنّه لما ذكر التحكيم قال ما كان يقوله دائماً، و هو: إنّى إنّما حكمت على أن نعمل في هذه الوقعة بحكم الكتاب، و إنّى كنت احارب قوما ادخلوا في الاسلام زيفاً، و أحدثوا به اعوجاجاً، فلما دعونى إلى تحكيم الكتاب أمسكت عن قتلهم و أبقيت عليهم، لأننى طمعت فى أمر يلم الله به شعث المسلمين.

قلت: بل الظاهر أنّه حرّف عن موضعه، و أنّه كان مقول قول الخوارج فى أوّل الأمر، لما حملوه عليه السّلام على التحكيم بعد قولهم فى أوّل الفصل: «اخواننا و أهل دعوتنا استقالونا و استراحوا إلى كتاب الله سبحانه، فالرأى القبول منهم و التنفيس عنهم» كما لا يخفى، و إلا فكيف يقول عليه السّلام: أصبحنا نقاتل إخواننا فى الاسلام؟ و كيف يقول عليه السّلام فى أوّل كلامه: «إنّ رفعهم المصاحف إنّما كان حيله و غيله و مكرا و خديعه»، و يقول فى آخر كلامه: «فاذا طمعنا فى خصله يلمّ الله به شعثنا...»؟ و إنّما كان عليه السّلام يقول للخوارج: إنّى و ان كنت كارها للتحكيم، إلاّ أنّه لما أكرهتمونى، عليه صرفته إلى المشروع بقبول حكم الحكم إذا كان من كتاب الله، و عقد بذلك عهد يجب الجرى عليه، حتى نرى ما يحكم الحكمان.

و كيف يقول عليه السّلام: معاويه و عمرو بن العاص و أهل الشام اخواننا فى الإسلام، و طمعنا منهم فى خصله يلمّ الله به شعثنا؟ و يقول صاحبه عمّار - حين نظر إلى رايه عمرو بن العاص -: و الله أنّ هذه الرايه قد قاتلتها ثلاث مرات، و ما هذه بأرشدهنّ. ثم قال:

نحن ضربناكم على تنزيله

و من كلام له عليه السلام، وقد قام إليه رجل من أصحابه، فقال: نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها، فلم ندر أى الأمرين أرشد؟ فصق عليه السلام إحدى يديه على الأخرى، ثم قال:

هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ - أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ - بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ - الَّذِي يَجْعَلُ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا - فَإِنْ اسْتَقَمْتُمْ هَيْدَيْتُكُمْ - وَإِنْ اعْوَجَجْتُمْ قَوْمْتُكُمْ - وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ لَكَانَتِ الْوَثْقَى - وَ لَكِنْ بَمَنْ وَ إِلَى مَنْ - أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَ أَنْتُمْ دَائِي - كَنَاقِشِ الشُّوْكَهِ بِالشُّوْكَهِ - وَ هُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلَعَهَا مَعَهَا - اللَّهُمَّ قَدْ مَلَأْتُ أَطْبَاءَ هَذَا الدَّاءِ الدَّوَى - وَ كَلَّتِ النَّزْعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِي - أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ - وَ قَرَأُوا؟ الْقُرْآنَ؟ فَمَا حَكَمُوهُ - وَ هَيَّجُوا إِلَى الْفِتْيَالِ فَوَلَّهُوا - وَ لَهُ اللَّفَاحُ إِلَى أَوْلَادِهَا - وَ سَلَبُوا السُّيُوفَ أَعْمَادَهَا - وَ أَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا - وَ صَفًّا صَفًّا بَعْضُ هَلَكَ وَ بَعْضُ نَجَا - لَا يُبَشِّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ - وَ لَا - يُعَزِّوْنَ بِالمَوْتَى - مُرَّةُ الْعُيُونِ مِنَ الْبُكَاءِ - خُمْصُ الْبُطُونِ مِنَ الصِّيَامِ - ذُبُّبُ الشَّفَاهِ مِنَ الدُّعَاءِ - صِفْرُ الْمَالُونَ مِنَ السَّهْرِ - عَلَى وَجْهِهِمْ غَبْرَةُ الْخَاشِعِينَ - أَوْلِيَّكَ إِخْوَانِي الدَّاهِبُونَ - فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَنْظِمَ إِلَيْهِمْ - وَ نَعَضَّ الْأَيْدِي عَلَى فِرَاقِهِمْ - إِنَّ الشَّيْطَانَ يُسْنِي لَكُمْ طُرْقَهُ - وَ يُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةَ عُقْدَةً - وَ يُعْطِيكُمْ بِالْجَمَاعَةِ الْفُرْقَةَ - فَاصْدِفُوا عَنْ نَزْعَاتِهِ وَ نَفَثَاتِهِ - وَ اقْبَلُوا النَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ - وَ اعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ

أقول: رواه ابن عبد ربّه في (عقده ابن عبد ربّه-العقد الفريد-ج ٤ ص ١٦٢) (١) مع اختلاف، فروى عن نافع بن كليب، قال: دخلت الكوفة للتسليم على أمير المؤمنين عليّ عليه السّلام، فإني لجالس تحت منبره، وعليه عمامه سوداء وهو يقول: «انظروا هذه الحكومة، فمن دعا إليها فاقتلوه وإن كان تحت عمامتي هذه» فقال له عدى بن حاتم: قلت لنا أمس:

من أبي عنها فاقتلوه، و تقول لنا اليوم: من دعا إليها فاقتلوه، والله ما ندرى ما نضنع بك؟ وقام إليه رجل أحدب من أهل العراق، فقال: أمرت بها أمس و تنهى عنها اليوم؟ فأنت كما قال الأول: «آكلك و أنا أعلم ما أنت» فقال عليه السّلام: إني يقال هذا؟ (أصبحت اذكر أرحاما و أصره بدلت منها هوى الريح بالقصب) أما والله لو أتى حين أمرتكم بما أمرتكم به، و نهيتكم عمّا نهيتكم، حملتكم على المكروه الذي جعل الله عاقبته خيرا، إذن كان فيه، و لكانت الوثقى التي لا تقلع، و لكن بمن والى من ادوايكم؟ كأني و الله بكم كناقش الشوكه بالشوكه! يا ليت لي بعض قومي، و ليت لي من بعد خير قومي. اللهم إنّ دجله و الفرات نهران أعجمان أصمان أبكمان، اللهم سلط عليهما بحرك، و انزع منهما نصرك، و يل للنزعه بأشطان الرّكبي! دعوا إلى الاسلام فقبلوه، و قرءوا القرآن فأحسنوه، و نطقوا بالشعر فأحكموه، و هتجوا إلى الجهاد فولهوا و له اللقاح أولادها، ضربا ضربا و زحفا زحفا، لا يتباشرون بالحياه، و لا يعزون على القتلى، و لا يغيرون على العلى:

اولئك إخواني الذاهبون فحقّ البكاء لهم أن يطيبا

رزقت حبيبا على فاقه و فارقت بعد حبيب حبيبا

ثم نزل تدمع عيناه. فقلت: إنا لله و إنا إليه راجعون على ما صرت إليه.

فقال: نعم إنا لله و إنا إليه راجعون، أقومهم -و الله- غدوه و يرجعون إلى عشيه

ص: ٣٨١

مثل ظهر الحيه!حتى متى،و إلى متى؟حسبى الله و نعم الوكيل...

هكذا وجدت في نسخته،ولا يخلو من تصحيقات،كما لا يخفى.

قول المصنف : «و من كلام له عليه السلام و قد قام اليه» ليست الكلمه في (ابن أبى الحديد (١)و ابن ميثم (٢)).

«رجل من أصحابه» قد عرفت من روايه (العقد)أنه كان رجلا أحذب.

«فقال: نهيتنا عن الحكومه ثم أمرتنا بها، فلم ندر» هكذا في (المصريه) (٣)،و الصواب: (فما ندرى) كما في (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه). أى: الأمرين، الحكومه و تركها.

«أرشد» أى: أقرب إلى الصواب .

«فصفق عليه السلام» أى: ضرب.

«إحدى» و في (ابن ميثم): «باحدى».

«يده على الاخرى ثم قال هذا جزاء من ترك العقده» أى: استحكام الأمر، كمن يشد الشىء بحبل، قال ابن أبى الحديد (٤): في هذا الكلام اعتراف بأنه ظهر له -فى ما بعد- أن الرأى الأصلى كان الاصرار و الثبات على الحرب، و أن للإمام أن يعمل بموجب ما يغلب على ظنه، فلما نهاهم كان نهيه مصلحه، و لما أمرهم كانت المصلحه فى ظنه قد تغيرت، كالطبيب الذى ينهى المريض اليوم عن أمر و يأمره بمثله غدا.

قلت: هو تفسير غلط، كغلط اعتراض المعترضين، فنهاهم أولا- عن الحكومه لكونها مفسده محضه، و لما أجبروه عليها و عقد عهدا، نهاهم عن

ص: ٣٨٢

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٧:٢٩١. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ٣:١١٤. [٢]

٣-٣) الطبعه المصريه ١:٢٣٣.

٤-٤) شرح ابن أبى الحديد ٧:٢٩٢. [٣]

نقض العهد، لا أنه أمرهم بالحكومة، فلما كتبوا كتاب الصلح و ندموا.

قام محرز بن حريش - كما في (صفين نصر) (١) - وقال له عليه السلام: ما إلى الرجوع من هذا الكتاب سبيل، فوالله إنى لأخاف أن يورث إلا؟ فقال عليه السلام: أما بعد أن كتبناه ننقضه، إن هذا لا يحل.

و لا غرو أن يعترضوا عليه عليه السلام، فقد اعترض فاروقهم على النبي صلى الله عليه وآله يوم الحديبيه، ففي (الطبرى) (٢) - بعد ذكر كتابه الصلح بين النبي صلى الله عليه وآله و آلهم و قریش في الحديبيه - أتى عمر النبي صلى الله عليه وآله و قال له: أ لست برسول الله؟ قال: بلى. قال:

أو لسنا بالمسلمين؟ قال: بلى. قال: أو ليسوا بالمشركين؟ قال: بلى. قال: فعلام نعطي الدينه في ديننا؟ فقال له النبي صلى الله عليه وآله: أله: أنا عبد الله و رسوله، لن اخالف أمره و لن يضيعنى.

و فيه (٣): كان على عليه السلام ذات يوم في خطبته إذ حكمت المحكمه في جوانب المسجد، فقال على عليه السلام: الله أكبر، كلمه حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، و إن تكلموا حججناهم، و إن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربى، فقال: اللهم إنا نعوذ بك من اعطاء الدينه في ديننا، فإن إعطاء الدينه في الدين إدهان في أمر الله، و ذل راجع بأهله إلى سخط الله....

و في (ملل الشهرستاني) (٤): شبهات امه كل نبى في آخر زمانه ناشئه من شبهات خصماء أول زمانه، فإن خفى علينا ذلك في الامم السالفه، فلم يخف في هذه الامه أن شبهاتها نشأت من شبهات منافقى زمان النبي صلى الله عليه وآله، إذ لم يرضوا بحكمه في ما كان يأمر و ينهى....

ص: ٣٨٣

١-١ (١) صفين لنصر بن مزاحم: ٥١٩. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٢: ٦٣٤. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٧٢. [٣]

٤-٤ (٤) الملل للشهرستاني ١: ١٠. [٤]

و من العجب أنّ الناس لم يريدوا أمير المؤمنين الذى كان نفس النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله علما و عملا، و أرادوا عمر الذى منع النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله من الوصيه قائلا:

إنّه يهجر. و صار سببا لحصول هذه الفرق الباطله، مع أنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله قال:

«أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعدى».

فلما خطبهم قيس بن سعد بن عباده بعد غدر الحكمين، و قال لهم:

عودوا بنا إلى قتال عدوّنا و عدوّكم. قال عبد الله بن شجره السلمى له: إنّ الحقّ قد أضاء لنا، فلسنا نتابعكم أو تأتوننا بمثل عمر.

قاتلهم الله، يكفّرون أمير المؤمنين عليه السّلام بحكميه القرآن، و لا- يكفّرون عمر بحكميه عبد الرحمن بن عوف، حتى يختار لإمامتهم رئيس بنى اميه، حتى يتخذوا دين الله دغلا و عباده خولا.

و يقول أبو سفيان يوم بويح عثمان بتدبير عمر: تداولوا الخلافه بينكم تداول الكره فلا جنّه و لا نار. و يصلّى الوليد بن عقبه-أخا عثمان لأمّه أيام ولايته على الكوفه من قبله-بالناس سكران، و يصلّى الصبح بهم أربعا، و يقول: لو شئتم أزيدكم على الأربع.

و إذا اسس الأمر على ولايه صدّيقهم و فاروقهم يصير المرجع هكذا.

و من العجب أنّهم كانوا يرجحون سنّتهما على سنّه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله، فلمّا خرجت الخوارج من الكوفه أتاه عليه السّلام أصحابه و قالوا له: نحن أولياء من و البيت، و أعداء من عاديت. فشرط لهم سنّه النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله، فجاءه ربيعه بن شداد الخثعمى- و كان شهد معه الجمل و صفّين، و معه رايه خثعم-فقال عليه السّلام له:

بايع على كتاب الله و سنّه رسوله. فقال له ربيعه: على سنّه أبى بكر و عمر.

فقال عليه السّلام له: ويلك! لو أنّ أبابكر و عمر عملا بغير كتاب الله و سنّه رسوله لم يكونا على شىء من الحق، أما و الله لكأنى بك و قد نفرت مع هذه الخوارج

فقتلت، وكأني بك وقد وطئتك الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهر مع خوارج البصره، ووطئته الخيل وشدخوا وجهه ورأسه.

كما أن أبا موسى يقول لعمر وبن العاص: نخلع علينا ونحيي سنّه عمر.

لكن لا غرو هذه سنّه فطريه: كلّ يميل إلى سنخه، وكلّ يعمل على شاكلته، فأبو موسى الذي شهد حذيفه صاحب سر النبي صلّى الله عليه وآله بنفاقه، وسعد و المغيره بن شعبه و نظراؤهم -من الذين اتفق على نفاقهم- لم يريدوا غير عمر، كما أن سلمان و أبا ذر و المقداد و عمّار و حذيفه و نظراءهم -ممن اتفق على إيمانه- لم يريدوا غير أمير المؤمنين عليه السّلام.

و خطب الحجاج فقال -كما في (العقد)-: يا أهل العراق بلغني أنّكم تروون أنّ من ملك عشره رقاب من المسلمين جيء به يوم القيامة مغلوله يداه إلى عنقه، حتى يفكّه العدل أو يوبقه الجور، و ايم الله إنّي لأحب إليّ أن أحشر مع أبي بكر و عمر مغلولاً، من أحشر معكم مطلقاً.

و نظير عدم تمييزهم بين نهيه عن الحكومه، و أمره بالوفاء بالعهد بعد الكتابه: أنّ شيعته عليه السّلام لما بايعوه ثانيه و قالوا له: «نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت» قالوا لهم: استبقتم أنتم و أهل الشام إلى الكفر كفرسى رهان، بايع معاويه أهل الشام على ما أحبوا و كرهوا، و بايعتم أنتم علينا على أنّكم أولياء من و إلى و أعداء من عادى. و معلوم أنّه عليه السّلام لم يحب إلاّ كتاب الله و سنّه نبيّه، و لم يكره إلاّ تركهما، كما أنّ معاويه بالعكس.

و أجابهم زياد بن النضر من شيعته فقال لهم: و الله ما بسط عليّ عليه السّلام يده فبايعناه إلاّ على كتاب الله و سنّه نبيّه، و هو على الحق و الهدى، و من خالفه ضال مضل. و لكونه عليه السّلام كذلك ترك يوم الشورى حقّه لَمّا أراد ابن عوف -حكم عمر منه- قبول سنّه أبي بكر و عمر، كما أنّ معاويه قال لهم عام

الجماعه: ما بايعتكم على أن تصلوا و تصوموا، بل لأتأمر عليكم. و قال: كل ما شرطت في بيعه الحسن فهو تحت قدمي.

و من العجب أنهم رووا من صدّيقهم و فاروقهم، و كذا ذى نوريهم في الست الاولى من خلافته الذين تولوه فيها، تلك الخزايا المذكوره في محلّها، و المطوقه عليهم طوق الحمام و لم يقولوا شيئا. و امّا طعنهم عليه في السنن الأخره حتى قتلوه فلم يكن غضبا لله بل لأنفسهم، حيث خصّ الدنيا ببني اميه، حتى إنّه عزل عمرو بن العاص، و بخرس عايشه زياده يعطيها أبوها و عمر، و أمّا بالنسبه إليه عليه السّلام فأجبروه على التحكيم، و قالوا له: إنّ قتال معاويه الغدار و لعين النبي صلّى الله عليه و آله لَمّا قال لهم مكرّا و خديعه: «بيننا كتاب الله» كفر. ثم قالوا له بعد الإيجاب: إنّ قبوله عليه السّلام الحكم بالقرآن كفر، و بيعه الناس له على الكتاب و السنّه كفر. و لا غرو فإنّ فرعون الذي استخف قومه فقال لهم:

«أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» (١) لم يقولوا له: أنت بشر مثلنا. و يقول فرعون لموسى - لَمّا قال له: أنا رسول من ربكم إليكم - إيت بآيه إن كنت من الصادقين. فأتاه بآيتين عظيمتين، فقالوا له: أنت ساحر عليم (٢).

و من العجب أنهم لم يقبلوا من أمير المؤمنين عليه السّلام أن يحكّم ابن عباس، و يقولون له: إنّه مثلك. مع أنّ بينه عليه السّلام و بين ابن عباس ما بين السماء و الأرض، و لم يقولوا لمعاويه: لا نقبل حكميه عمرو بن العاص - مع أنّهما كانا كنفس واحده، من طفولتيهما إلى موتهما - و نقاتلك حتى تحكّم حكما عدلا .

«اما و الله لو أنّي حين أمرتكم بما أمرتكم به، حملتكم على المكروه الذي يجعل

ص: ٣٨٤

١-١) النزاعات: ٢٤. [١]

٢-٢) معنى الآيات ١٠٤-١٠٩ من سوره الأعراف.

اللّٰه فيه خيرا» قال تعالى «وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ» (١).

«فإن استقمتم هديتكم، وإن اعوججتم قومتكم، وإن أبيتم تداركتكم، لكانت الوثقى» قال ابن أبي الحديد معنى قوله: «أما والله...» أى: لو كنت أحملكم على الحرب فإن استقمتم اهتديتم، وإن اعوججتم بفتور وقله جد قومتكم بالتحريض، وإن امتنعتم تداركت الأمر، إماما بالاستنجد بغيركم من قبائل العرب، كانت هى العقده الوثقى. أى: الرأى الأصوب.

قلت: هذا أيضا غلط منه، فلما زاغ فى الكلام الأول حصل له الزيغ إلى الآخر، فإن المراد إنما هو أنه عليه السّلام لو كان فعل ذلك كان العقده الوثقى، أى:

الاستحكام الكامل للأمر حتى لا يؤل إلى ما آل، إذا كان متمكنا من ذلك، ولكن لم يتمكن كما قال بعد: «و لكن بمن و إلى من...» .

و من الغريب أنّ ابن أبي الحديد (٢) مع ادعائه المعرفة قال-تفريعا على تفسيره الغلط-: إنّ عليّ عليه السّلام ما أخطأ، بمعنى: ارتكاب الإثم، و لكنّه ترك الرأى الأصوب، كما قال الحسن البصرى: «هلا مضيت قدما لا أبا لك» و قد قيل: إنّ قول عليّ عليه السّلام:

لقد عثرت عثره لا انجبر سوف اكيس بعدها و استمر

و اجمع الرأى الشئيت المنتشر إشاره إلى هذا المعنى. و قيل فيه غير ذلك، و قال الجاحظ: من عرفه عرف أنّه غير ملوم فى الانقياد معهم إلى التحكيم، فإنّه ملّ من القتل و تجريد السيف ليلا و نهارا، و ملّت الخيل من تقحّم الأهوال بها، و ضجر من دوام تلك الخطوب الجليله و الارزاء العظيمه، و استلاب الأنفس و تطاير الأيدى و الأرجل بين يديه،

ص: ٣٨٧

١- (١) البقره: ٢١٦. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢٩٢: ٧-٢٩٣. [٢]

و أكلت الحرب أصحابه و أعداءه و عطلت السواعد، و خدرت التي سلمت من وقايح السيوف بها، و لو أنّ أهل الشام لم يستعفوا من الحرب و يستقيلوا من المقارعه و المصارمه، لأدت الحال إلى قعود الفيلقين معاً، و لزومهم الأرض و القائهم السلاح....

قلت: الحسن البصرى و الجاحظ أيضا غلطا. أمّا قول الحسن: «هلا مضيت قدما» أين يمضى قدما؟ فكانوا يقتلونه لو كان مضى، و قد أراد الأشر المضى فما خلوه، و أجبروه عليه السلام على منعه، فقال إبراهيم بن الأشر لمصعب:

كنت عند على عليه السلام حين أكرهه الناس على الحكومه، و قالوا له: ابعث إلى الأشر فليأتك. فأرسل، فقال لرسوله: قل له: ليس هذه الساعه التي ينبغي لك أن تزيلنى فيها عن موقفى، إننى قد رجوت أن يفتح لى، فلا تعجلنى. فرجع الرسول إليه، و قال له، قالوا له عليه السلام: لترسلنّ إلى الأشر فليأتينك، أو لنقتلنك كما قتلنا ابن عفان. فرجع الأشر و قال لهم: أمهلونى عدو فرس. قالوا: اذن ندخل فى خطيتك.

و فى (العقد): أنّ الخوارج اعترضوا عليه اعتراضات، فأجابهم عنها، و منها: و أمّا قولكم: إننى لم أضربكم بسيفى يوم صفين حتى تفيئوا إلى أمر الله، فإنّ الله عز و جل يقول: «وَلَا تَلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ» (١)، و كنتم عددا، و أنا و أهل بيتى فى عدّه يسيره.

و أمّا قول الجاحظ، فكيف كان عليه السلام يملّ من الحرب و قد كان كتب إلى معاويه: جاءنى كتابك تذكر أنّك لو علمت و علمنا أنّ الحرب تبلغ بنا و بك ما بلغت، لم يجنّها بعضنا على بعض. فإنّا و إياك منها فى غايه لم تبلغها بعد، و إننى لو قتلت فى ذات الله و حييت، ثم قتلت ثم حييت سبعين مرّه، لم أرجع عن

ص: ٣٨٨

الشّدّه فى ذات الله، و الجهاد لأعداء الله. ذكره صفين نصر (١).

و فيه (٢): أنّ رجلا من أهل الشام خرج بين الصّفين، و دعاه عليه السّلام فخرج إليه فقال له عليه السّلام: إنّ لك قدما فى الاسلام و هجره، فهل لك فى أمر أعرضه عليك يكون فيه حقن هذه الدماء و تأخير هذه الحروب؟ ترجع و نرجع. فقال عليه السّلام له:

لقد عرفت أنّك إنّما عرضت هذا نصيحه و إشفاقا، و لقد أهمني هذا الأمر و أسهرني، و ضربت أنفه و عينه فلم أجد إلاّ القتال، أو الكفر بما أنزل على محمّد صلّى الله عليه و آله، إنّ الله تعالى لم يرض من أوليائه أن يعصى فى الأرض و هم سكوت مدعون، لا يأمرّون بالمعروف و لا ينهون عن المنكر، فوجدت القتال أهون علىّ من معالجات الأغلال فى جهنم. فرجع الشامى و هو يسترجع.

نعم ما ذكره من ملل أصحابه صحيح، و هو السبب فى إجبارهم له على القبول.

و فيه (٣): فى رجوعه عليه السّلام عن صفين: لقي عليه السّلام عبد الله بن وديعه الأنصارى، قال: ما سمعت الناس يقولون فى أمرنا هذا؟ قال: يقولون: إنّ عليّا كان له جمع عظيم ففرّقه، و حصن حصين فهدمه، فحتى متى يبني مثل ما قد هدم، و يجمع مثل ما قد فرّق؟ فلو أنّه كان مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - فقاتل حتى يظهره الله أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم. فقال على عليه السّلام:

أنا هدمت أم هم هدموا: أنا فرّقت أم هم تفرّقوا، و أمّا قولهم: لو أنّه مضى بمن أطاعه - إذ عصاه من عصاه - يقاتل حتى يظفر أو يهلك، إذن كان ذلك هو الحزم، فو الله ما غبى عن رأيى ذلك، و إن كنت سخي النفس عن الدنيا، طيب

ص: ٣٨٩

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧١. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٧٤. [٢]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٥٢٩. [٣]

النفس بالموت، ولقد هممت بالإقدام فنظرت إلى هذين قد استقدما نى، فعلمت أنّ هذين إن هلكا انقطع نسل محمّد صلّى الله عليه وآله من هذه الامة. فكرهت ذلك و أشفقت على هذين أن يهلكا، ولقد علمت أنّ لو لا مكانى لم يستقدا-يعنى ابنىه الحسين عليهما السّلام- و ايم الله لئن لقيتهم بعد يومى هذا، لقيتهم و ليسا معى فى عسكر....

و كيف يمكنه عليه السّلام المضى و لم يقنعوا بجبره على ترك الحرب، فأجبروه على جعل أبى موسى-مع عداوته معه و مبغضيته له عليه السّلام- حكما له عليه السّلام؟ «و لكن بمن و إلى من اريد أن أداوى بكم و أنتم دائى؟» فجمع من أصحابه صاروا خوارج كفّروه بقبوله حكميه القرآن، و جمع أغلقوا أبوابهم على أنفسهم، كلّما حرّضهم لم يتحرّكوا .

«كناقش الشوكه بالشوكه» فى (الجمهره): نقشت عن الشوكه: إذا كشفت عنها اللحم و الجلد حتى تستخرجها بالمنقاش، و أصل النقش: استقصاؤك الكشف عن الشىء، و منه الحديث: من نوقش الحساب عذب .

«و هو يعلم ان ضلعها معها» أى: ميل المنقوش بها مع المنقوش عنها، و فى (الصحيح) فى المثل: «لا تنفش الشوكه بالشوكه، فإنّ ضلعها معها»: يضرب للرجل يخاصم الآخر، فيقول: اجعل بينى و بينك فلانا. لرجل يهوى هواه .

«اللهم قد ملّت أطباء هذا الداء الدوى» هو كقوله عليه السّلام- فى موضع آخر-: ما داؤكم و ما داؤكم؟ «وكلّت» أى: أعييت.

«الترعه» جمع النازع: من نزع الدلو من البئر.

«بأشطان» جمع الشطن: الجبل الطويل.

«أين القوم الذين دعوا الى الاسلام فقبلوه» في (صفين نصر) (1) عن عمر بن سعد، عن مسلم الملاي، عن حبه العرنى، قال: لما نزل على عليه السلام الرقه بمكان يقال له: بليخ، على جانب الفرات، نزل راهب من صومعته، وقال له عليه السلام:

إن عندنا كتابا توارثناه عن آبائنا، كتبه عيسى بن مريم عليه السلام، أعرضه عليك؟ قال على عليه السلام: نعم، فما هو؟ قال الراهب: بسم الله الرحمن الرحيم الذي قضى ما قضى و سطر ما سطر: أنه باعث في الاميين رسولا- منهم، يعلمهم الكتاب و الحكمه، و يدلهم على سبيل الله، لا فظ و لا غليظ، و لا صحاب في السواق، و لا يجزى بالسيئه السيئه، و لكن يعفو و يصفح، أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل نشز، و في كل صعود و هبوط، تذلل ألسنتهم بالتهليل و التكبير، و ينصره الله على كل من ناواه، فاذا توفاه الله اختلفت أمته ثم اجتمعت، فلبثت بذلك ما شاء الله ثم اختلفت، فيمزر رجل بشاطيء هذا الفرات، يأمر بالمعروف و ينهى عن المنكر، و يقضى بالحق، و لا يرتشى في الحكم، الدنيا أهون عليه من الرماد في يوم عصفت الريح، و الموت أهون عليه من شرب الماء على الظمأ، يخاف الله في السر و ينصح له في العلانيه، و لا يخاف في الله لومه لائم، من أدرك ذلك النبي من أهل هذه البلاد فأمن به، كان ثوابه رضوانى و الجنه، و من أدرك ذلك العبد الصالح فلينصره، فإن القتل معه شهاده. فأنا مصاحبك غير مفارقك حتى يصيبني ما أصابك. فبكى على عليه السلام ثم قال: الحمد لله الذى لم يجعلني عنده منسيا، الحمد لله الذى ذكرني في كتب الأبرار. و مضى الراهب معه، و كان في ما ذكره يتغدى مع على عليه السلام و يتعشى، حتى اصيب يوم صفين، فلما خرج الناس يدفنون قتلاهم، قال على عليه السلام: اطلبوه. فلما وجدوه

صلى عليه ودفنه، وقال: هذا منّا أهل البيت. واستغفر له مرارا .

«و قرءوا القرآن فاحكموه، و هيجوا الى القتال» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: (إلى الجهاد) كما في (ابن أبي الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيبه).

«فولها و له اللقاح» جمع اللقحه و اللقوح، أى: الناقه الدرور و الحلوب، قال ابو عمرو: إذا نتجت الناقه فهى لقوح، شهرين أو ثلاثه، ثم هى لبون.

«الى أولادها، و سلبوا السيوف أغمادها» كناية عن مقاتلتهم و استماتتهم، و فى (صفين نصر) (٤): كان الأشتر يقاتل و فى يده صحيفه يمانيه، إذا طأطأها خلت فيها ماء منسبا، و إذا رفعها كان يغشى البصر شعاعها، يضرب بسيفه قدما و هو يقول: «غمرات ثم ينجلين» فبصر به الحارث بن جهمان الجعفى، فدنا منه و قال له: جزاك الله عن أمير المؤمنين، و جماعه المسلمين خيرا. و قال منقذ الناعطى لأخيه حمير: ما فى العرب رجل مثل هذا .

«و أخذوا بأطراف الأرض زحفا زحفا» أى: يجزّون أنفسهم إلى العدو، كالصبي الذى يزحف على الأرض قبل أن يمشى.

و فى (صفين نصر) (٥): خرج عمّار إلى القتال و صفت الخيول و زحف الناس، و على عمّار درع و هو يقول: أيها الناس الرواح إلى الجنه. فاقتتل الناس قتالا شديدا لم يسمع الناس بمثله، و كثرت القتلى حتى أن كان الرجل ليشد طنبا فسقاطه بيد رجل أو رجله.

ص: ٣٩٢

١- ١) الطبعه المصريه ١: ٢٣٤.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٧: ٢٩١. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٣: ١١٥. [٢]

٤- ٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٢٥٤-٢٥٥. [٣]

٥- ٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٩. [٤]

و فيه (١):قال الأحنف:كنت إلى جانب عمّار،حتى إذا دنونا من هاشم بن عتبة فقال له عمّار:احمل فداك أبي و امي.فقال له هاشم:رحمك الله إنك رجل تأخذك خفه في الحرب،و إنني إنما أزحف باللواء زحفا و أرجو أن أنال بذلك حاجتي،و إنني إن خفت لم آمن الهلكه.و قد كان معاويه قال لعمرو:ويحك!إنّ اللواء اليوم مع هاشم،و قد كان من قبل يرقل به إرقالا،و إنّه إن زحف به اليوم أنّه لليوم الأطول لأهل الشام .

«بعض هلك» كزيد بن صوحان في الجمل،و عمّار و المرقال و ابن بديل من المعروفين في صفين.

«و بعض نجا» كالأشتر و محمّد بن أبي بكر من معروفينهم،نجيا من القتل في الجمل و صفين،و لكن استشهدا بعد.

و في (صفين نصر) (٢):قال الأشتر لمذحج:عليكم بهذا السواد الأعظم، فإنّ الله لو قد فضه تبعه من بجانيه،كما يتبع السيل مقدمه.قالوا:خذ بنا حيث أحببت.و استقبله سنام من همدان و كانوا ثمانمائه مقاتل،و كانوا صبروا في ميمنه عليّ عليه السّلام حتى اصيب منهم ثمانون و مائه رجل،و قتل منهم أحد عشر رئيسا،كلّما قتل منهم رجل أخذ الرايه آخر-إلى أن قال-اذ مرّ الأشتر بزياد بن النضر يحمل إلى العسكر،فقال:من هذا؟قيل:زياد بن النضر،استلحم هو و أصحابه في الميمنه،فتقدّم زياد فرفع لأهل الميمنه رايته،فصبروا و قاتل حتى صرع.ثم لم يمكثوا إلّا-كلا-شئ حتى مروا بيزيد بن قيس محمولا-إلى العسكر،فقال:من هذا؟قالوا:يزيد بن قيس،لما صرع زياد بن النضر رفع لأهل الميمنه رايته،فقاتل حتى صرع،فقال الأشتر:هكذا و الله

ص:٣٩٣

١-١) صفين لنصر بن مزاحم:٣٤٠. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم:٢٥٢. [٢]

الصبر الجميل، و الفعل الكريم .

«لا يبشرون بالأحياء ولا يعزون بالموتى» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب: (عن الموتى) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

و كيف كان، فالمراد بمن لا يبشر و لا يعزى: من كان من غير الأشراف من المؤمنين، و فى (صفات شيعة ابن بابويه) عن الباقر عليه السلام لجابر الجعفى:

شيعة عليّ عليه السلام من لا- يهزّ هريز الكلب، و لا- يطمع طمع الغراب، و لا- يسأل الناس و ان مات جوعاً، اولئك الخفيه عيشتهم، المنتقله ديارهم، إن شهدوا لم يعرفوا، و إن ماتوا لم يشهدوا، و ان مرضوا لم يعادوا، فى قبورهم يتراورون.

فقال له جابر: أين أطلبهم؟ قال: فى أطراف الأرض، و بين الأسواق .

«مره» فى (الصحيح): قال أبو عبيده: المره: البياض الذى لا يخالطه، غيره و إنما قيل للعين التى ليس فيها كحل: مرهء، لهذا المعنى. «العيون من البكاء، خمص البطون» أى: ضامره.

«من الصيام» فى (ذيل الطبرى) (٤) عن أمّ الحكم بنت عمّار: لَمّا كان اليوم الذى قتل فيه عمّار، كان معه ضييح من لبن، ينتظر وجوب الشمس أن يفطر، فحين وجبت شرب الضييح و قال: سمعت النبى صلّى الله عليه و آله يقول: «آخر زادك من الدنيا ضييح من لبن» ثم اقترب فقاتل حتى قتل.

و زاد (الارشاد) (٥) فى وصف شيعة عليه السلام: حذب الظهور من القيام .

«ذبل» من: ذبل البقل، أى: زوى.

ص: ٣٩٤

١-١ (١) الطبعة المصريه ٢٣٤:١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢٩١:٧. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١١٥:٣. [٢]

٤-٤ (٤) ذيل المذيل للطبرى ١٥:٨.

٥-٥ (٥) الإرشاد: ٢٣٧، [٣] مؤسسه آل البيت عليهم السلام.

«الشفاه من الدعاء» في (الطبرى) (١): قتل عبد الله بن كعب المرادى في صفين، فمَرَّ به الأسود المرادى بآخر رمق، فقال له: أما والله أن كان جارك ليأمن بواقفك، وأن كنت من الذاكرين الله كثيرا، أوصني رحمك الله. فقال:

أوصيك بتقوى الله، وأن تناصح أمير المؤمنين عليه السلام، وقاتل معه المحلين .

«صفر اللون من السهر» أى: الأرق و عدم النوم .

«على وجوههم غبره الخاشعين» في (صفين نصر) (٢): قال ذو الكلاع الحميرى - وهو من أصحاب معاوية لأبى نوح الحميرى، وهو من أصحاب على عليه السلام-: حَدَّثَنَا عمرو بن العاص فى إماره عمر بن الخطاب أَنَّ النّبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ: «يَلْتَقَى أَهْلُ الشَّامِ وَ أَهْلُ الْعِرَاقِ، وَ فى إِحْدَى الْكُتَيْبَتَيْنِ الْحَقُّ وَ إِمَامُ الْهَدْيِ، وَ مَعَهُ عَمَّارٌ». فَقَالَ لَهُ أَبُو نُوحٍ: إِنَّ عَمَّارًا لَفِينَا-إِلَى أَنْ قَالَ-بَعْدَ مَسِيرِ أَبِي نُوحٍ مَعَ ذِي الْكَلَاعِ إِلَى عَمْرُو بْنِ الْعَاصِ بِالْأَمَانِ-فَقَالَ لَهُ عَمْرُو إِنَّى لَأَرى عَلَيْكَ سِيْمَاءَ أَبِي تَرَابٍ؟ قَالَ لَهُ أَبُو نُوحٍ: نَعَمْ عَلِىَّ سِيْمَاءَ النَّبِىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَ أَصْحَابِهِ، وَ عَلَيْكَ سِيْمَاءَ أَبِي جَهْلٍ وَ سِيْمَاءَ فِرْعَوْنَ. فَقَامَ أَبُو الْأَعْوَرِ فَسَلَّ سِيْفَهُ، فَقَالَ: لَا أَرى هَذَا يَشَاتِمُنَا بَيْنَ أَظْهَرِنَا وَ عَلَيْهِ سِيْمَاءَ أَبِي تَرَابٍ. فَقَالَ لَهُ ذُو الْكَلَاعِ: لئن بسطت يدك إليه لأحطمن أنفك بالسيف، عقدت له بدمتي و جئت به إليكما، ليخبر كما عمّا تماريتم فيه من أمر عمّار .

«اولئك إخوانى الذاهبون» في (صفات شيعه ابن بابويه) عن محمد بن الحنفية: لما قدم أبى البصره-بعد قتال أهل الجمل-دعاه الأحنف و اتخذ له طعاما، فقال عليه السلام له: ادع لى أصحابى. فدخل عليه قوم متخشعون كأنهم شنان بوال، فقال الأحنف له عليه السلام: ما هذا الذى نزل بهم؟ أمن قلّه الطعام، أم من

ص: ٣٩٥

١-١) تاريخ الطبرى ٤٦:٥. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٣. [٢]

هول الحرب؟ فقال عليه السّلام له: يا أحنف إنّ لله سبحانه عبادا تنسكوا إليه في دار الدنيا، تنسك من هجم على ما علم، من قريهم من يوم القيامة من قبل ان يشاهدوها، فحملوا أنفسهم على مجهودها، وكانوا إذا ذكروا صباح يوم العرض على الله تعالى، توهموا خروج عنق تخرج من النار تحشر الخلائق إلى ربهم، وكتاب يبدو على رؤوس الأشهاد فيه فضائح لهم، فكادت أنفسهم تسيل سيلانا، أو تطير قلوبهم بأجنحة الخوف طيرانا، فكانوا يحنون حنين الواله في دجى الظلم، فمضوا ذبل الأجسام، حزينه قلوبهم، كالحه وجوههم، ذابله شفاههم، خامصه بطونهم.

و عن الأصبع قال: خرج على عليه السّلام ذات يوم و نحن مجتمعون، فقال: من أنتم، و ما اجتماعكم؟ قلنا: قوم من شيعتك. فقال: مالى لا أرى سيماء شيعتى عليكم؟ قلنا: و ما سيماهم؟ فقال: صفر الوجوه من صلاه الليل، عمش العيون من مخافه الله، ذبل الشفاه من الصيام، عليهم غبره الخاشعين .

«فحق لنا أن نظمأ اليهم» فيه عن السجاء عليه السّلام: كان جالسا في البيت إذ قرع عليهم قوم الباب، فقال: للجاريه انظري من بالباب؟ فقالوا: قوم من شيعتك.

فوثب عجلان حتى كاد أن يقع، و لما فتح الباب و نظر إليهم رجع، و قال: كذبوا، فأين سمت في الوجوه و أين أثر العباده

«و نعص الأيدى على فراقهم» في (الطبرى) (1): حزن على عليه السّلام على محمّد بن أبى بكر لمّا بلغه قتله، حتى رثى ذلك في وجهه و تبين فيه، فقام خطيبا و قال: و إنّ محمّد بن أبى بكر قد استشهد رحمه الله، فعند الله نحتسبه، أما و الله أن كان ما علمت: لممن ينتظر القضاء، و يعمل للجزاء، و يبغض شكل الفاجر، و يحب هدى المؤمن.

ص: ٣٩٤

و فيه (١): قام الحسين عليه السّلام بذي حسم بعد التقائه بالحرّ و أصحابه، و قال: إنّه قد نزل من الأمر ما قد ترون، و إنّ الدنيا قد تغيّرت و تنكرت، و أدبر معروفها و استمرّيت جدّاً، فلم يبق منها إلّا صبا به كصبا به الإناء، و خسيس عيش كالمرعى الوبيل، ألا ترون أنّ الحقّ لا- يعمل به، و أنّ الباطل لا- يتناهى عنه؟ ليرغب المؤمن فى لقاء الله محقاً، فإنّى لا أرى الموت إلّا شهادة، و لا الحياه مع الظالمين إلّا- برما. فقام زهير بن القين فقال لأصحابه: تكلمون أم أتكلّم؟ قالوا: بل تكلم. فقال: سمعنا مقاتلك: لو كانت الدنيا لنا باقيه، و كنّا فيها مخلدين، لآثرنا الخروج معك على الإقامه فيها .

«إنّ الشيطان يسنى» أى: يسهل.

«لكم طرقه و يريد أن يحلّ» أى: يفتح.

«دينكم عقده عقده، فاصدقوا» أى: اعرضوا.

«عن نزغاته» أى: إغراءاته.

«و نفثاته» أى: نفحاته .

«و اقبلوا النصيحه ممن أهداها إليكم، و اعقلوها» أى: احبسوها.

«على أنفسكم» .

٤

الخطبه (٤٠)

و من كلام له عليه السّلام فى الخوارج لما سمع قولهم: «لا حكم إلّا لله» قال عليه السّلام:

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا الْبَاطِلُ - نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ - وَ لَكِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلَّهِ - وَ إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ - يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ

ص: ٣٩٧

الْمُؤْمِنُ - وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ - وَ يُبْلَغُ اللَّهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ - وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعِدُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ - وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ - حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاخَ مِنْ فَاجِرٍ - وَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ - حُكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ - وَ قَالَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبِرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ - وَ أَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ - إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مِدَّتُهُ وَ تُدْرِكَهُ مَبِيتُهُ وَ الْحِكْمَةُ (١٩٨) وَ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ:

كَلِمَةٌ حَقٌّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ وَ الْحِكْمَةُ (٣٣٢) وَ قَالَ ع: السُّلْطَانُ وَ زَعَاهُ اللَّهُ فِي أَرْضِهِ أَقُولُ: الْعُنْوَانُ الثَّانِي جُزْءٌ مِنَ الْعُنْوَانِ الْأَوَّلِ، فَهُوَ مِنْ تَكَرَّرَ غَفَلَ عَنْهُ الْمَصْنُفُ.

ثُمَّ فِي الْعُنْوَانِ الْأَوَّلِ رِوَايَاتٌ، إِحْدَاهَا مَا فِي (أَنْسَابِ الْبِلَازْدَرِيِّ - أَنْسَابِ الْأَشْرَافِ - الْبِلَازْدَرِيِّ) عَنْ رُوحِ بْنِ عَبْدِ الْمُؤْمِنِ، عَنْ أَبِي الْوَلِيدِ الطَّيَالِسِيِّ، عَنْ شُعْبَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ عَنْ عَاصِمٍ: إِنَّ حُرُورِيهِ عَلَى عَهْدِ عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالُوا: «لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ» فَقَالَ عَلِيُّ: «إِنَّهُ كَذَلِكَ، وَ لَكِنِّهْمُ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَةَ. وَ لَا بَدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ، بَرٌّ أَوْ فَاجِرٌ، يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتِعُ الْكَافِرُ، وَ يَبْلُغُ الْكِتَابُ أَجْلَهُ».

وَ رَوَى أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ صَالِحٍ، عَنْ يَحْيَى بْنِ آدَمَ، عَنْ رَجُلٍ، عَنْ مَجَالِدٍ، عَنْ الشَّعْبِيِّ قَالَ: بَعَثَ عَلِيُّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ إِلَى الْحُرُورِيَّةِ - إِلَى أَنْ

قال- ثم خرجوا فتوافوا بالنهروان، وأقبلوا يحكمون، فقال على عليه السّلام: «إِنَّ هَؤُلَاءِ يَقُولُونَ: لَا إِمْرَهُ. وَلَا بَدَّ مِنْ أَمِيرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَيَسْتَمْتَعُ الْفَاجِرُ، وَيَبْلُغُ الْكِتَابَ الْأَجَلَ، وَإِنَّهَا لِكَلِمَةٍ حَقَّ يَعْتَرُونَ بِهَا الْبَاطِلَ، فَإِنْ تَكَلَّمُوا حُجَجْنَاهُمْ، وَإِنْ سَكَّتُوا غَمَمْنَاهُمْ».

و روى عن بكر بن الهيثم عن أبي الحكم العبدى عن معمر عن الزهرى فى خبر: فاذا صلّى على عليه السّلام و خطب حكموا، فيقول على عليه السّلام: كلمه حق يعترون بها باطل.

و روى عن عباس بن هشام، عن أبيه، عن أبي مخنف، عن ابن أبي جره الحنفى: أنّ عليّاً عليه السّلام خرج ذات يوم فخطب، فإِنَّهُ لَفى خطبته إذ حكمت المحكمه فى جوانب المسجد، فقال على عليه السّلام: كلمه حق يعزى بها- أو قال: يراد بها باطل- نعم إِنَّهُ لَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَ لَكُنْهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّهُ لَا إِمْرَهُ. وَ لَا بَدَّ مِنْ أَمِيرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ، وَ يَسْتَمْتَعُ الْفَاجِرُ، فَإِنْ سَكَّتُوا تَرَكَنَاهُمْ- أو قال: عذرناهم- و إن تكلموا حججناهم، و إن خرجوا علينا قاتلناهم.

قول المصنف فى الأوّل «و من كلام له عليه السّلام فى الخوارج» هكذا فى (المصريه) (١)، و الصواب: ما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم) (٣): «فى معنى الخوارج».

«لما سمع قولهم: لا حكم إلا لله» فى (كامل المبرد) (٤): قيل: إنّ أول من حكم من الخوارج عروه بن أديه: وقيل: بل سعيد، رجل من بنى محارب بن خصفه بن قيس عيلان. وقيل: بل الحجاج بن عبد الله المعروف بالبرك، و هو

ص: ٣٩٩

١- ١) الطبعه المصريه ١: ٨٧.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٣: ٣٠٧. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٢: ١٠١.

٤- ٤) الكامل للمبرد ٢: ١٥٩-١٦٠. [٢]

الذى ضرب معاويه على أليته. و أول من حكم بين الصّفين رجل من بنى يشكر، قتل رجلا من أصحابه عليه السّلام غيله، ثم مرق بين الصّفين و حكم، و حمل على أهل الشام، فكشروه فرجع، و حمل على أصحابه عليه السّلام، فخرج إليه رجل من همدان فقتله، فقال شاعر همدان:

و ما كان أغنى الإشكرى عن التى تصلى بها جمرا من النار حاميا

«قال عليه السّلام» هكذا فى (المصريه) (١)، و ليس فى (ابن أبى الحديد) (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيبه) كلمه: «عليه السّلام»، و فى (ابن ميثم): «فقال».

و كيف كان فكلمه: «قال» أو «فقال» زائده بعد قوله: «و من كلام له عليه السّلام» .

قوله عليه السّلام فى العنوانين: «كلمه حق» أى: قولهم «لا- حكم إلا- لله»، وورد فى القرآن كرارا، قال تعالى: «إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ» (٤) «إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» (٥) «إِنِ الْحُكْمُ لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَ هُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ» (٦).

«يراد بها الباطل» هكذا فى (المصريه) فى الأول، و الصواب: (باطل) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم)، و كما فى الثانى، و لأنّ المراد (باطل) مخصوص كالحق و لأنّ مستنده بلفظ (باطل)، فروى الطبرى (٧) أنّه عليه السّلام خرج ذات يوم يخطب إذ حكمت المحكمه فى جوانب المسجد، فقال على عليه السّلام: الله

ص: ٤٠٠

١- ١) الطبعة المصريه ١: ٨٧.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٠٧: ٢. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ١٠١: ٢.

٤- ٤) يوسف: ٤٠. [٢]

٥- ٥) يوسف: ٦٧. [٣]

٦- ٦) الأنعام: ٥٧. [٤]

٧- ٧) تاريخ الطبرى ٧٢: ٥. [٥]

أكبر، كلمة حق يراد بها باطل، إن سكتوا عممناهم، وإن تكلموا حججناهم، وإن خرجوا علينا قاتلناهم. فوثب يزيد بن عاصم المحاربي، وقال: اللهم إنا نعوذ بك من إعطاء الدينه في ديننا- إلى أن قال- ثم خرج هو وإخوه له ثلاثة، فاصيبوا مع الخوارج بالنهر، و أصيب أحدهم بعد ذلك بالنخيله.

و روى الخطيب (1) في أبي قتاده الأنصاري عنه: أنه لما فرغنا من قتال أهل النهروان قفلت، و معي ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأت بعائشه فقالت: قصص عليّ القصة. فقلت: تفرقت المحكمه و هم نحو من اثني عشر الفا ينادون: لا حكم إلا لله، فقال عليّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل- إلى أن قال- فقالت عائشه: ما يمنعني ما بيني و بين عليّ أن أقول الحق: سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول: «تفترق امتي على فرقتين، تمرق بينهما فرقه محلّقه رؤوسهم، محفّون شواربهم، ازهرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن لا- يتجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبهم إليّ و أحبهم إلى الله تعالى». فقلت لعائشه: فأنت تعلمين هذا، فلم الذي كان منك؟ قالت: يا أبا قتاده، كان أمر الله قدرا مقدورا، و للقدر أسباب.

و روى في عبيد الله بن أبي رافع عنه: أن الحروريه لثما خرجت فقالت: «لا- حكم إلا لله» قال عليّ عليه السلام: كلمة حق يراد بها باطل، إن النبي صلى الله عليه و آله وصف لي ناسا، إنني لأعرف صفتهم في هؤلاء، يقولون الحق بألسنتهم لا يجاوز هذا- و أشار إلى حلقه- و هم من أبغض خلق الله إليه و فيهم أسود إحدى يديه كأنها طبي شاه أو حلمه ثدى. فلما قتلهم قال: انظروا. فنظروا فلم يجدوا شيئا، فقال:

ارجعوا فو الله ما كذبت و لا كذبت- مرتين أو ثلاثا- فوجدوه في خربه.

ثم إن المصنف إنما قال: «إنه عليه السلام قال قوله: (كلمه حق يراد بها باطل) لما سمع قول الخوارج: (لا حكم إلا لله)» مع أنه لم ينحصر به، فقاله عليه السلام لما دعا

ص: ٤٠١

أهل الشام أصحابه إلى حكم القرآن، ففى (صفين نصر) (١): لما رفع أهل الشام المصاحف يدعون إلى حكم القرآن، قال على عليه السلام عباد الله أنا أحق من أجب إلى كتاب الله، ولكن معاويه وعمرو بن العاص وابن أبى معيط وحبیب بن مسلمه وابن أبى سرح ليسوا بأصحاب دين ولا قرآن، إني أعرف بهم منكم، صحبتهم أطفالا و صحبتهم رجالا، فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، إنهما كلمه حق يراد بها باطل، إنهم والله ما رفعوها لكم إلا خديعه و مكيده، أعيروني سواعدكم و جماجمكم ساعه واحده ف، قد بلغ الحق مقطعه و لم يبق إلا أن يقطع دابر الذين ظلموا. فجاءته زهاء عشرين ألفا مقنعين فى الحديد، شاكى السلاح، سيوفهم على عواتقهم، و قد أسودت وجوههم من السجود، فنادوه باسمه: أجب القوم إلى كتاب الله إذا دعيت إليه، و إلا قتلناك كما قتلنا ابن عفان.

هذا، و فى (كامل المبرد) (٢): خطب الحجاج، فلما توسّط كلامه سمع تكبيرا عاليا من ناحيه السوق، فقطع خطبته ثم قال: يا أهل العراق، يا أهل الشقاق، يا بنى اللكيعة، و عبید العصا، و بنى الإمام، إني لأسمع تكبيرا ما يراد به الله، و إنما يراد به الشيطان.

هذا، و قالوا: إن على بن هارون المنجم كانت له جاريه صفراء و كان معجبا بها، فصار مريضا فراجع الطيب، فقال له: غلبك الصفراء. فقال:

جسّ الطيب يدي و قال مخبرا: هذا الفتى أودت به الصفراء

فعجبت منه اذ أصاب- و ما درى- قولاً و ظاهر ما أراد خطاء و قريب منه قول الوزير المهلبى:

و قالوا للطيب: أشر فإننا نعدك للعظيم من الامور

ص: ٤٠٢

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٨٩. [١]

٢-٢) الكامل للمبرد ١: ٢٢٢. [٢]

فقال: شفاؤه الرمان مما تضمّنه حشاه من السعير

فقلت لهم: أصاب بغير قصد و لكن ذاك رمان الصدور

«نعم إنّه لا حكم إلا لله» فهو كلمه حق، و كلام صدق .

«و لكن هؤلاء يقولون: لا إمره إلا لله» لم أقف على من روى أنّه عليه السّلام قال: إنّ الخوارج أرادوا بقولهم: «لا حكم إلا لله»: «لا إمره إلا لله» سوى المبرّد فى (كامله) (1) مرفوعا، و تبعه ابن عبد ربه فى (عقده)، فقال الأوّل: لما سمع علىّ عليه السّلام نداءهم: لا حكم إلا لله قال: كلمه عادله يراد بها جور، إنّما يقولون: لا إماره، و لا بدّ من إماره برّه أو فاجره.

و قال الثانى: لما سمع علىّ عليه السّلام نداءهم قال: كلمه حق يراد بها باطل، و إنّما مذهبهم ألا يكون أمير، و لا بدّ من أمير، برّا كان أو فاجرا.

و مرّ أيضا عن البلاذرى.

و الذى رواه غيرهم و معلوم بالدرايه أنّهم أرادوا بقولهم: «لا حكم إلا لله» عدم صحّحه حكميه أبى موسى و عمرو بن العاص، لا عدم إماره أمير، ففى (المروج) (2) قال يحيى بن معين: حدّثنا وهب بن جابر، عن الصلت بن بهرام قال: لما قدم علىّ عليه السّلام الكوفه جعلت الحروريه تناديه و هو على المنبر: جزعت من البليه، و رضيت بالقضيه، و قبلت الدينه، لا - حكم إلا لله. فيقول عليه السّلام: «حكم الله أنتظر فيكم». فيقولون: «و لقد أوحى إليك و إلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك و لتكونن من الخاسرين» (3).

و فى (صفيين نصر) (4) عن شقيق بن سلمه: أنّ الأشعث خرج فى الناس

ص: ٤٠٣

[١-١] الكامل للمبرّد ١٧٢: ٢. [١]

[٢-٢] مروج الذهب ٤٠٦: ٢. [٢]

[٣-٣] الزمر: ٦٥. [٣]

[٤-٤] صفيين لنصر بن مزاحم: ٥١٢. [٤]

بكتاب الصلح يعرضه على الناس، ويمرّ به على صفوف أهل الشام فرضوا به، ثم مرّ به على صفوف أهل العراق وراياتهم، حتى مرّ برايات عنزه - وكان معه عليه السّلام منهم بصفّين أربعة آلاف مجفف - فلما مرّ بهم الأشعث فقرأه عليهم، قال فتیان منهم: لا حكم إلّا لله. ثم حملا - على أهل الشام بسيفهما حتى قتلا - على باب رواق معاويه، وهما أوّل من حكم، وكانا أخوين، ثم مرّ الأشعث بالصّحيفه على مراد، فقال صالح بن شقيق - وكان من رؤسائهم -:

ما لعلّي في الدماء قد حكم لو قاتل الأحزاب يوما ما ظلم

لا حكم إلّا لله و لو كره المشركون. ثم مرّ على رايات بنى راسب فقرأها عليهم، فقالوا: لا حكم إلّا لله، لا نرضى و لا نحكم الرجال في دين الله. ثم مرّ على رايات بنى تميم فقرأها عليهم، فقال رجل منهم: لا حكم إلّا لله، تقضى بالحق و أنت خير الفاصلين. و خرج عروه بن أديه أخو مرداس، فقال: أتحمّون الرجال في أمر الله، لا - حكم إلّا لله، فأين قتلانا يا أشعث؟ ثم شدّ بسيفه ليضرب به الأشعث فأخطأه، فانطلق إلى عليّ عليه السّلام فقال له: قد عرضت الحكومه عليهم فقالوا جميعا: قد رضينا، حتى مررت برايات بنى راسب، و نبذ سواهم، قالوا:

لا نرضى إلّا حكم الله. قال: دعهم. فما راعه إلّا نداء الناس من كلّ جهه: لا حكم إلّا لله لا لك يا عليّ، لا نرضى بأن يحكم الرجال في دين الله، إنّ الله قد أمضى حكمه في معاويه و أصحابه: أن يقتلوا أو يدخلوا في حكمنا عليهم، و قد كانت زلّه منّا حين رضينا بالحكمين، فرجعنا و تبنا، فارجع أنت كما رجعنا، و إلّا برثنا منك. فقال عليه السّلام: و يحكم! أبعث الرضا و العهد نرجع؟ أو ليس الله تعالى قال: «أَوْفُوا بِالْعُقُودِ» (١)، و قال: «وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْفُضُوا»

ص: ٤٠٤

«الْإِيمَانَ بَعْدَ تَوَكُّدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» (١).

فأبى على عليه السلام أن يرجع، وأبت الخوارج إلا تضليل الحكيم.

مع أن نصب الناس أميرا لهم أمر فطرى للبشر لا ينكره أحد: مبتدع وغيره، وكيف، والخوارج أنفسهم-من أولهم إلى آخرهم- كانوا يجعلون امراء لأنفسهم حتى يجمع كلمتهم؟ ففي (الطبرى) (٢): أن عليا لما بعث أبا موسى لإنفاذ الحكومه، لقيت الخوارج بعضها بعضا، فقال عبد الله بن وهب الراسبي: اخرجوا بنا «مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلِهَا» (٣). فقال حمزه بن سنان الأسدي: الرأى ما رأيتم، فولوا أمركم رجلا- منكم، فإنه لا- بد لكم من عماد و سناد و رايه تحفون بها، فبايعوا عبد الله بن ٤ وهب و سار إلى النهروان، فقالوا: إن هلك ولينا الأمر زيد بن حصين أو حرقوص بن زهير. و أما خوارج البصره فاجتمعوا فى خمسمائه رجل، و جعلوا عليهم مسعر بن فدكى التميمى، و أقبل يعترض الناس- و على مقدمته الأشرس بن عوف الشيبانى- حتى لحق عبد الله بالنهر

«وإنه لا- بد للناس من أمير بر أو فاجر، يعمل فى إمرته المؤمن و يستمتع فيها الكافر و يبلغ الله فيها الأجل و يجمع به الفىء و يقاتل به العدو و تأمن به السبيل و يؤخذ به للضعيف من القوى» هذا كلام فى نفسه صحيح، و كيف لا، و به قوام الدنيا و نظام العالم و مقتضى الحكمه؟ فلعله عليه السلام كان هذا الكلام منه عليه السلام، مع كلامه فى الخوارج مذكورين فى كتاب متوالين، فحصل الخلط بينهما، و الأصل فى الخلط المتقدم، و تبعه من تأخر، و يستأنس لكونهما غير

ص: ٤٠٥

١- ١) النحل: ٩١. [١]

٢- ٢) تاريخ الطبرى ٥: ٧٤. [٢]

٣- ٣) النساء: ٧٥. [٣]

مربوطين قوله فى الروايه الثانيه: «إنه عليه السّلام لما سمع تحكيمهم قال: حكم الله أنتظر فيكم. و قال: إمّا الإمّره البرّه فيعمل فيها التقي...» .

و كيف كان، ففى (صفيين نصر) (1) قال علىّ عليه السّلام لمرسا الذى أسند أهل السواد أمرهم إليه: أخبرنى عن ملوك فارس، كم كانوا؟ قال: كانت ملوكهم فى هذه المملكه الأخيره اثنين و ثلاثين ملكا. قال: فكيف كانت سيرتهم؟ قال: ما زلت سيرتهم فى عظم أمرهم واحده حتى ملكنا كسرى بن هرمز، فاستأثر بالمال و الأعمال، و خالف أولينا، و أخرب الذى للناس و عمر الذى له، و استخفّ بالناس فأوغر نفوس فارس حتى ثاروا إليه فقتلوه. فقال عليه السّلام: يا مرسا إنّ الله تعالى خلق الخلق بالحق و لا يرضى من أحد إلاّ بالحق، و فى سلطان الله تذكره مما حول الله، و إنّها لا تقوم مملكه إلاّ بتدبير، و لا بد من اماره....

و عنه عليه السّلام: أسد خطوم خير من سلطان ظلوم، و سلطان ظلوم خير من فتن تدوم.

و عن الصادق عليه السّلام- فى قصه إبراهيم عليه السّلام-: لما خرج سائرا بجميع ما معه خرج الملك القبطى يمشى خلف إبراهيم عليه السّلام اعظاما له، فأوحى الله تعالى:

ألاّ تمش قدام الجبار المتسلّط و امش خلفه، و عظمه و هيّبه، و لا بد للناس من إمّره فى الأرض، برّه أو فاجره.

و عن ابن مقفع: السلطان و ما للناس من كثره المنافع و كثره المضار، كالشمس فى النهار، و فساد الرعيه بلا سلطان، كفساد الجسم بلا روح.

و قال الافوه الأودى:

لا يصلح الناس فوضى لا سراهم و لا سراهم إذا جهّالهم سادوا

تهد الامور بأهل الرأى ما صلحت فان تولت فبالأشرار تنقاد

ص: ٤٠٦

و البيت لا بيتنى إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترش أوتاد

فإن تجمع أوتاد و أعمده فقد بلغوا الأمر الذى كادوا

هذا، و فى (المروج) (١) عن يحيى بن أكثم: دخل بعض الصوفيه على المأمون فقال له: هذا المجلس الذى قد جلسته: أ باجتماع من المسلمين عليك، أم بالمغالبه لهم بسطانك؟ قال: لا بأحدهما، و إنما كان يتولى أمر المسلمين سلطان قبلى أحمداه المسلمون، إمّا على رضا و إمّا على كره، فعقد لى و لآخر معى و لايه هذا الأمر بعده فى أعناق من حضر، فأعطوا ذلك إمّا طائعين أو كارهين، فمضى الذى عقد له معى، فلما صار إلى علمت أنى أحتاج إلى اجتماع كلمه المسلمين فى مشارق الأرض و مغاربها على الرضا، ثم نظرت فرأيت أنى متى تخليت عن المسلمين، اضطرب جبل الاسلام و انتقضت أطرافه، و غلب الهرج و الفتنة و وقع التنازع، فتعطلت أحكام الله سبحانه، و لم يحج أحد بيته و لم يجاهد فى سبيله و لم يكن له سلطان يجمعهم و يسوسهم، و انقطعت السبل و لم يؤخذ لمظلوم من ظالم، فقامت بهذا الأمر حياطه للمسلمين و مجاهدا لعدوهم، و ضابطا لسبلهم، و آخذا على أيديهم إلى أن يجتمع المسلمون على رجل، تتفق كلمتهم عليه - على الرضا - به فاسلم الأمر إليه و أكون كرجل من المسلمين، و أنت أيها الرجل رسولى إلى جماعه المسلمين، فمتى اجتمعوا على رجل و رضوا به خرجت إليه من هذا الأمر. فقال ذاك الرجل: السلام عليكم. و قام فذهب، فبعث المأمون فى أثره فانتهى الرسول إلى مسجد فيه خمسه عشر رجلا - مثله، فقالوا له: لقيته؟ قال: نعم، ذكر أنه ناظر فى امور المسلمين إلى أن تأمن سبلهم و لا يعطل الأحكام، فإذا رضى المسلمون برجل يسلم الأمر إليه. فقالوا: ما نرى بهذا بأسا. فقال المأمون:

كفينا مؤنتهم بأيسر الخطب.

ص: ٤٠٧

«حتى يستريح بر» عن المدائني: قدم قادم على معاوية فقال له: من مغربه خير؟ قال: نعم، نزلت بماء من مياه الأعراب، فيينا أنا عليه إذ أورد أعرابي إليه، فلمّا شربت ضرب على جنوبها و قال: عليك زيادا. فقلت له: ما أردت بهذا؟ قال: هي سدى ما قام لى بها راع مذ ولى زياد .

«و يستراح من فاجر» عن الشعبي (1): قال الحجاج: دلّونى على رجل للشرط: دائم العبوس، طويل الجلوس، سمين الأمانه، أعجف الخيانه، لا يحق فى الحق على جره، يهون عليه سبال الأشراف فى الشفاعه. فقيل له: عليك بعبد الرحمن بن عبيد التميمي. فأرسل إليه فقال له: لست أقبلها إلا أن تكفينى ولدك و حاشيتك. قال: يا غلام ناد فى الناس: من طلب إليه من لدى و حاشيتى حاجه فقد برئت منه الذمه. قال الشعبي: فو الله ما رأيت صاحب شرطه قطّ مثله، كان لا يجبس إلا فى دين، و كان اتي برجل قد نقب على قوم وضع منقبه فى بطنه حتى يخرج من ظهره، و إذا اتي بتباش حفر له قبرا فدفنه فيه، و إذا اتي برجل قاتل بحديده أو شهر سلاحا قطع يده، و إذا اتي برجل قد أحرق على قوم منزلهم أحرقه، و إذا اتي برجل يشكّ فيه ضربه ثلاثمائه سوط. قال الشعبي: فكان ربما أقام اربعين ليله لا يؤتى باحد، فضمّ إليه الحجاج شرطه البصره مع شرطه الكوفه.

قول المصنف: «و فى روايه اخرى أنّه عليه السّلام لمّا سمع تحكيمهم قال: حكم الله انتظر فيكم» قد عرفت أنّ المسعودى (2) رواه عن الصلت بن بهرام، و رواه الطبرى (3) عن أبى كريب باسناده قال: جعل على عليه السّلام يقب بيديه يقول هكذا

ص: ٤٠٨

١- (١) العقد الفريد ١: ١٦. [١]

٢- (٢) المسعودى ٢: ٣٩٥. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٧٤. [٣]

و هو على المنبر، فقال: حكم الله عزّ و جلّ ينتظر فيكم -مرّتين- ان لكم عندنا ثلاثا لا نمنعكم: صلاه في هذا المسجد...

و رواه ابن ديزيل في (صفينه)، هكذا قال: لَمَّا رَجَعَ عَلَيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ صَفِينِ إِلَى الْكُوفَةِ خَرَجُوا إِلَى صَحْرَاءَ بِالْكُوفَةِ تَسْمَى حُرُورَاءَ، فَنَادُوا: لَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، أَلَا إِنَّ عَلِيًّا وَ مَعَاوِيَةَ اشْرَكَا فِي حَكْمِ اللَّهِ. فَأَرْسَلَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمْ: مَا هَذَا الَّذِي أَحْدَثْتُمْ، وَ مَا تَرِيدُونَ؟ قَالُوا: نَرِيدُ أَنْ نَخْرُجَ نَحْنُ وَ أَنْتَ وَ مَنْ كَانَ مِنَّا بِصَفِينِ ثَلَاثَ لَيَالٍ، وَ تَتُوبُ إِلَى اللَّهِ مِنْ أَمْرِ الْحَكَمِينَ، ثُمَّ نَسِيرُ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَنَقَاتِلُهُ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَ بَيْنَهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: هَذَا حَيْثُ بَعَثْنَا الْحَكَمِينَ وَ أَخَذْنَا مِنْهُمْ الْعَهْدَ وَ أَعْطَيْنَاهُمُوهُ، هَلَا قَلْتُمْ هَذَا قَبْلَ؟ قَالُوا: كُنَّا قَدْ طَالَتِ الْحَرْبُ عَلَيْنَا وَ اشْتَدَّ الْبَأْسُ وَ كَثُرَ الْجِرَاحُ وَ حَلَا الْكِرَاعُ وَ السَّلَاحُ. فَقَالَ لَهُمْ: أَ فَحِينَ اشْتَدَّ الْبَأْسُ عَلَيْكُمْ عَاهَدْتُمْ، فَلَمَّا وَجَدْتُمْ الْحَمَامَ قَلْتُمْ: نَنْقُضُ الْعَهْدَ، إِنْ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ كَانَ يَفِي لِلْمُشْرِكِينَ، أَ فَتَأْمُرُونَنِي بِنَقْضِهِ؟ فَمَكُنْتُمْ مَكَانَهُمْ لَا يَزَالُ الْوَاحِدُ مِنْهُمْ يَرْجِعُ إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَ لَا يَزَالُ الْآخَرُ يَخْرُجُ مِنْ عِنْدِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَدَخَلَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ عَلَيْهِ بِالْمَسْجِدِ وَ النَّاسُ حَوْلَهُ فَصَاحَ: لَا- حَكْمَ إِلَّا- لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ، فَتَلَفَتِ النَّاسُ فَنَادَى: لَا حَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ وَ لَوْ كَرِهَ الْمُتَلَفِتُونَ. فَرَفَعَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَأْسَهُ إِلَيْهِ فَقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَ لَوْ كَرِهَ أَبُو حَسَنِ. فَقَالَ: إِنْ أَبَا حَسَنِ لَا يَكْرَهُ أَنْ يَكُونَ الْحَكْمَ إِلَّا لِلَّهِ. ثُمَّ قَالَ: حَكْمَ اللَّهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ .

«و قال» هكذا في (المصريه و ابن أبي الحديد) (1) و لكن في (ابن ميثم) (2):

«ثم قال».

«أما الأمره البرّه فيعمل فيها التّقى، و أمّا الأمره الفاجرّه فيتمتع فيها الشّقى

ص: ٤٠٩

١-١) شرح ابن أبي الحديد ٨٧:١. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ١٠١:٢. [٢]

إلى أن تنقطع مدته و تدركه منيته» قد عرفت خلو روايه المسعودى و الطبرى و ابن ديزيل عن هذه الفقرات، ثم ان كان لقوله: «و لكن هؤلاء يقولون: لا إمره الا لله...» فى الروايه الاولى ربط لفظى بقوله: «كلمه حق يراد بها باطل» فهنا ليس للفقرات ربط لفظى أيضا بقوله: «حكّم الله انتظر فيكم» كما لا يخفى. نعم هى فى نفسها صحيحه كما عرفت.

و فى (صفين نصر) (1) لَمَّا أراد عمرو اللحق بمعاويه قال لغلامه وردان: أرحل أخط يا وردان؟ فقال له وردان: ان شئت انبأتك بما فى نفسك:

اعترك الدنيا و الآخره على قلبك، فقلت: علىّ معه الآخره فى غير دنيا، و فى الآخره عوض الدنيا، و معاويه معه الدنيا بغير آخره، و ليس فى الدنيا عوض من الآخره، فأنت واقف بينهما. قال عمرو: ما أخطأت، فما ترى؟ قال: أرى أن تقيم فى بيتك، فإن ظهر أهل الدين عشت فى عفو دينهم، و إن ظهر أهل الدنيا لم يستغنوا عنك. فقال عمرو: الان و قد شهدت العرب مسيرى إلى معاويه؟ فارتحل.

ثم الغريب أنّ ابن أبى الحديد (2) قال - بعد ذكر -: العنوان «هذا نصّ صريح منه عليه السّلام بان الإمامه واجبه...» فإنّه ليس فيه تلويح إلى ما قال، فضلا عن تصريح، فإنّ كلامه عليه السّلام فى الإمامه الدنيويه، سواء كان الناس أهل دين أو غير أهل دين.

قوله عليه السّلام فى الثالث: «السلطان وزعه الله فى أرضه» هو نظير قوله عليه السّلام:

«لا بد للناس من أمير» فقالوا: لا بد للناس من وزعه، أى: من يكف أهل الفساد عنهم. و فى (الجمهره): الوازع: الذى يتقدم الصف فى الحرب فيصلحه، و يرد

ص: ٤١٠

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥. [١]

٢-٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٠٧:٢-٣٠٨. [٢]

المتقدم إلى مركزه. و يسمى الكلب وازعا لأنه يكف الذئب عن الغنم.

و في (النهايه): الوزعه: جمع الوازع.

و في (عيون القتيبي) (١) قال كسرى: لا تنزل ببلد ليس فيه خمسه أشياء:

سلطان قاهر، و قاض عادل، و سوق قائمه، و طيب عالم، و نهر جار.

و مثل (٢) مضار السلطان في جنب منافعه، مثل الغيث الذي هو سقيا الله و بركات السماء و حياه الأرض و من عليها، و قد يتأذى به السفر و يتداعى له البنيان.

هذا، و كسر المغيره أنف رجل أغلظ لأبى بكر و أدماه، فقال عمر لأبى بكر - كما في (النهايه) (٣) - : اقص هذا من هذا بأنفه. فقال: أنا لا اقص من وزعه الله فأمسك.

قلت: هو نظير عمله مع خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ظلما، فقال له عمر: اقد من خالد. فقال: لا أغمد سيفاً سلّه الله.



الخطبه (١٨٢)

و من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي و قد قال له بحيث يسمعه: لا حكم إلا الله و كان من الخوارج:

اسْكُتْ قَبْحَكَ اللَّهُ يَا أَتْرُمُ - فَوَاللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ الْحَقُّ فَكُنْتُ فِيهِ ضَبِيلاً شَخْصُكَ - خَفِيئاً صَوْتُكَ حَتَّى إِذَا نَعَرَ الْبَاطِلُ نَجَمَتْ نُجُومٌ قَرُونِ الْمَاعِزِ قَوْلِ الْمَصْنَفِ : « و من كلام له عليه السلام قاله للبرج بن مسهر الطائي » الذي

ص: ٤١١

١-١) العيون للقتبي ٦: ١.

٢-٢) العيون للقتبي ٣: ١.

٣-٣) النهايه ١٨٠: ٥. [١]

وقفت عليه في الخوارج: زرعه بن برج الطائي، ففي (الطبري) (١) عن عون بن أبي جحيفة: أن علياً لمّا أراد أن يبعث أبا موسى للحكومة أتاه رجلان من الخوارج: زرعه بن برج الطائي و حرقوص بن زهير السعدي، فدخلوا عليه فقالا له: «لا حكم إلا لله» فقال علي عليه السلام: «لا حكم إلا لله» فقال حرقوص: تب من خطيئتك و ارجع عن قضيتك، و أخرج بنا إلى عدونا نقاتلهم حتى نلقى ربنا.

فقال لهم علي عليه السلام: قد أردتكم على ذلك فعصيتموني، و قد كتبنا بيننا و بينهم كتابا و شرطنا شروطا و أعطينا عليها عهدنا و موثيقنا، و قد قال عزّ و جلّ:

«وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَ لَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَ قَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» (٢). فقال له حرقوص ذلك ذنب ينبغي أن نتوب منه. فقال علي عليه السلام: ما هو ذنب و لكنّه عجز من الرأى و ضعف من الفعل، و قد تقدّمت إليه منكم في ما كان منه و نهيتكم عنه. فقال له زرعه بن البرج: اما و الله يا علي، لئن لم تدع تحكيم الرجال في كتاب الله عزّ و جلّ قاتلتك أطلب بذلك وجه الله و رضوانه. فقال له علي عليه السلام: بؤسالك ما اشقاك! كأني بك قتيلًا تسفى عليك الريح. قال: وددت أن كان ذلك. فقال له علي عليه السلام: لو كنت محققا كان في الموت على الحق تعزيه عن الدنيا، إن الشيطان قد استهواكم فاتقوا الله عزّ و جلّ، إنّه لا خير لكم في دنيا تقاتلون عليها. فخرجنا من عنده عليه السلام يحكمان...

و لعلّ من ذكره المصنّف أبو من في خبر الطبري، ووقف عليه في خبر آخر، و يؤيده اختلاف مكالمتهما.

ص: ٤١٢

١-١ (١) تاريخ الطبري ٥: ٧٢. [١]

٢-٢ (٢) النحل: ٩١. [٢]

و ذكر (الأغانى) (١) فى الحصين بن حمام المرى الذى كان قبيل الاسلام:

أنّ برج الجلاس الطائى كان نديما له، فشرب البرج معه يوما فسكر، فانصرف إلى اخته فافتضها، فلما أفاق قال لقومه: إن علم بذلك أحد ركبت رأسى فلا ترونى أبدا. لكن أخبر الحصين بذلك أمه من طى، فقال الحصين له:

لا تحسبن أختا العفاطه أننى رجل بخبرك لست كالعلام

فاستنزوك و قد بللت نطاقها من بيت امك و الذبول دوام

و العفاطه اسم اخته- فقال لقومه: فضحتمونى. فلحق ببلاد الروم فلم يعرف له خبر.

«و قد قال له» هكذا فى طبعه (المصريه (٢) و ابن أبى الحديد) (٣) و ليس (له) فى (ابن ميثم) (٤) (و الخطيه) و قوله:

«بحيث يسمعه» ينفيه و فى (ابن ميثم) (٥): «يسمع».

«لا- حكم إلا- لله و كان من الخوارج» قوله: «و كان من الخوارج» بعد ذكر قوله: «لا- حكم إلا- لله» واضح، فذاك كان شعار الخوارج، و لو كان ذكره بعد قوله: «للبرج بن مسهر الطائى» كان وجيها .

«اسكت قبحك الله» يجوز فيه التخفيف و التشديد، أى: نحاك الله عن الخير.

«يا أترم» و الأترم من سقطت ثنيته .

«فو الله لقد ظهر الحق» قبل وقوع الإختلاف و جدّ الناس فى الجهاد.

«فكنت فيه» أى: فى ظهور الحق.

«ضئىلا» أى: نحيفا.

ص: ٤١٣

١- ١) الأغانى ١٠: ١٤. [١]

٢- ٢) الطبعه المصريه ١٣٧: ٢.

٣- ٣) شرح ابن أبى الحديد ١٣٠: ١٠.

٤- ٤) شرح ابن ميثم ٤٠٨: ٣.

٥- ٥) شرح ابن ميثم ٤٠٨: ٣.

«شخصك» لم يظهر منك عمل.

«خفيا صوتك» لم يسمع منك كلام و قول، كالعائنين و الأموات.

«حتى إذا نعر الباطل» شبه عليه السَّلام الباطل - بدخول الشبهات و الفتن فيه - بحمار دخل في أنفه نعره، قال الجوهرى: النعره - كهمزه - ذباب ضخم أزرق العين أخضر، له ابره في طرف ذنبه يلسع بها ذوات الحوافر خاصة، و ربما دخل في أنف الحمار، فيركب في رأسه و لا يرده شيء تقول: منه نعر الحمار.

بالكسر.

«نجمت» أى: طلعت و ظهرت.

«نجوم» مصدر نجم.

«قرن الماعز» فى (بديع ابن المعتز) عنه عليه السَّلام لبعض الخوارج: «و اللّٰه ما عرفت حتى نعر الباطل، فنجمت نجوم قرن الماعز» الماعز: واحد المعز - مثل صاحب - و صحب و الأشخاص اللثام، كما وصف عليه السَّلام هذا الرجل: فى الحق ابترون و فى الباطل ذوو قرن طويل.

قال الحطّيّه فى أبيه:

لنعم الشيخ أنت لدى المخازى و بئس الشيخ أنت لدى المعالى

و قال الوزير المغربى:

إذا ما الامور اضطر بن اعتلى سفيه يضام العلى باعتلائه

و سأل سليمان بن عبد الملك ابن الاهتم عنن يصلح لخراسان، فكل من سمّاه ذكر سليمان له عيبا، إلى أن ذكر وكيع بن أبى الأسود فقال له سليمان:

إنّ وكيعا لم يجتمع له مائه عنان قط إلا حدّث نفسه بغدره، هو حامل فى الجماعه، ثابت فى الفتنه.

و فى رساله الجاحظ إلى الفتح بن خاقان فى ذكر أصناف الناس: و من

صاحب للفتنه،خامل فى الجماعه،رئيس فى الفرقة،نفاق فى الهرج.

و فى (معارف ابن قتبيّه)قال الحزين الدنلى فى عمرو بن عمرو بن الزبير:

لو أنّ اللّوم مع الثريا تناول رأسه عمرو بن عمرو

و فى قصار الكتاب:و أتى عليه السّلام بجان و معه غوغاء:فقال عليه السّلام:لا مرحبا بوجه لا ترى إلّا عند كل سوءه.

هذا،و قد عرفت من خبر الطبرى أنّه كان من الخوارج غير الطائى حرقوص السعدى،و منهم حكيم البكالى،و فى (الطبرى) (١):أنّه أتى إليه عليه السّلام و هو يخطب فقال «و لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ» (٢).فقال علىّ عليه السّلام: «فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَ لَا يَسْتَحِفُّنَكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ» (٣).

هذا و قال المسعودى فى (مروجه) (٤):ظهر من فعل صاحب الزنج تصديق ما رمى به من كونه على رأى الخوارج،من قتله النساء و الأطفال و الشيخ الفانى،و قال فى خطبته:الله أكبر الله أكبر،لا إله إلّا الله و الله أكبر،لا حكم إلّا الله.



الحكمه (٩٧)

و قد سمع رجلا من الحروريّه يتهجّد و يقرأ فقال:

نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ

ص:٤١٥

١- ١) تاريخ الطبرى ٧٤:٥-٧٣. [١]

٢- ٢) الزمر:٦٥. [٢]

٣- ٣) الروم:٦٠. [٣]

٤- ٤) مروج الذهب للمسعودى ١٩٤:٤. [٤]

أقول: رواه سبط ابن الجوزى فى (تذكرته سبط ابن الجوزى - تذكره الخواص -) عن ابن عباس عنه عليه السلام.

قول المصنف : «و قد سمع» هكذا فى (المصريه) (1) و لكن فى (ابن أبى الحديد (2) و الخطيه): «و سمع» و فى نسخه ابن ميثم (3): «و قال عليه السلام: و قد سمع».

«رجال- من الحروريه» فى (كامل المبرد) (4): ناظر علىّ عليه السلام الخوارج فرجع معه منهم الفان من حروراء- و كانوا تجمعوا بها- فقال لهم: ما نسميكم؟ ثم قال: أنتم الحروريه لاجتماعكم بحروراء.

و فى (الكشى) عن المسيب بن نجبه: لما أتانا سلمان قادمًا تلقيناه- إلى أن قال- ثم سار حتى انتهى إلى حروراء، فقال: ما تسمون هذه الأرض؟ قالوا:

حروراء. فقال: خرج بحروراء شرّ الأولين، و يخرج بها شرّ الآخرين.

«يتهدج» أى: يصلى صلاه الليل. و فى (الصحاح): هجد و تهجد، أى: نام ليلا، و هجد و تهجد، أى: سهر، و هو من الأضداد، و منه قيل لصلاه الليل:

التهجد.

فى (كامل المبرد) (5): لما صار ابن عباس إلى الخوارج رأى منهم جباها قرحه بطول السجود، و أيديا كثفناات الإبل، عليهم قمص مرحضه، و هم مشمرون.

و فى (الطبرى) (6): أنّ القراء الذين أجبروا الأشر على ترك القتال ثم صاروا خوارج، قال الأشر- لهم لما رجع من الحرب-: يا أصحاب الجباه

ص: ٤١٦

١- ١) الطبعة المصريه ٣: ١٧٢.

٢- ٢) ابن أبى الحديد ١٨: ٢٥٣.

٣- ٣) شرح ابن ميثم ٥: ٢٨٩.

٤- ٤) الكامل للمبرد ٢: ١٥٥. [١]

٥- ٥) الكامل للمبرد ٢: ١٧٥. [٢]

٦- ٦) تاريخ الطبرى ٥: ٥٠. [٣]

السود! كنا نظن صلاتكم زهاده في الدنيا و شوقا إلى لقاءه تعالى، فلا- أرى فراركم إلا- إلى الدنيا من الموت، يا اشباه النبيب الجلاله، قبحا لكم! ما أنتم برائين بعدها عزا ابداء، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

«و يقرأ» أى: القرآن، و فى (ذيل الطبرى) (1) عن أبى ذر قال: قال النبى:

سيكون من امتى قوم يقرءون القرآن لا يجاوز حلوقهم، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرميح ثم لا يعودون، فيه شرار الخلق و الخليقه....

«فقال: نوم على يقين خير من صلاه فى شك» هو نظير قوله عليه السّلام المذكور فى الحكمة (145): «كم من صائم ليس له من صيامه إلا الظمأ، و كم قائم ليس له من قيامه إلا السهر، حبّذا نوم الأكياس و إفطارهم».

و مرّ فى سابقه قوله عليه السّلام لزرعه بن برج الطائى: «لو كنت محققا كان فى الموت على الحق تعزیه عن الدنيا».

و فى (المروج) (2) ضرب أبو أيوب عبد الله بن وهب الراسبى يوم النهر على كتفه فأبان يده، و ضربه صعصعه ضربه أبان بها رجله، و أدركه باخرى فى بطنه، ثم احتز رأسه و اتياه عليها عليه السّلام و قال: هذا رأس الفاسق المارق عبد الله بن وهب. فنظر عليه السّلام إليه و قال: شاه هذا الوجه- حتى خيل إلينا أنه يبكى- ثم قال: قد كان أخو راسب حافظا لكتاب الله، تاركا لحدود الله.

و فى (كامل المبرد) (3): حمل رجل من الخوارج على صف على عليه السّلام - و كان عليه السّلام قال: لا ابتدائهم- فقتل من أصحابه ثلاثه و هو يقول:

أقتلهم و لا أرى عليا و لو بدا أو جرت الخيطيا

ص: 417

1-1 (1) تاريخ الطبرى 11: 567. [1]

2-2 (2) المروج الذهب 3: 56. [2]

3-3 (3) الكامل للمبرد 2: 159. [3]

فخرج إليه عليّ عليه السّلام فقتله، فلما خالطه السيف قال: حيّذا الروححة إلى الجنة. فقال عبد الله بن وهب: ما أدري أ إلى الجنة أم إلى النار؟ فقال رجل من سعد: إنّما حضرت اغترارا بهذا و أراه قد شكّ. فانخزل بجماعه من أصحابه.

و في (ادباء الحموى) في ترجمته عليه السّلام: و كان الخوارج أربعة آلاف عليهم عبد الله بن وهب الراسبي من الازد، و ليس براسب بن جرم بن ريان و ليس في العرب غيرهما، فلمّا نزل عليّ عليه السّلام بنهروان تفرقوا فبقى منهم ألف و ثمانمائة، و قتل ألف و خمسمائة، و كان سبب تفرّقهم أنّهم عند الإحاطة بهم قالوا: أسرعوا الرواح إلى الجنة. فقال عبد الله بن وهب: و لعلها إلى النار. فقال من فارقه: نرانا نقاتل مع رجل شاكّ.

و في (الطبرى) (١): لمّا خرج عليّ عليه السّلام إلى النهروان رفع رايات أمان مع أبي أيوب فنسأدى أبو أيوب الخوارج: من جاء منكم مّتن لم يقتل و لم يستعرض فهو آمن، و من انصرف منكم إلى الكوفة أو المدائن، و خرج من هذه الجماعة فهو آمن. فقال فروه بن نوفل الأشجعي: و الله ما أدري على أى شىء نقاتل علينا؟ إلا أن انصرف حتى تنفذ بصيرتى فى قتاله أو أتباعه. فانصرف فى خمسمائة فارس حتى نزل البندنجين و الدسكره، و خرجت طائفه اخرى متفرقين فنزلت الكوفة، و خرج إلى عليّ عليه السّلام منهم نحو من مائه، و كانوا أربعة آلاف، فكان الذين بقوا مع عبد الله بن وهب منهم ألفين و ثمانمائة، زحفوا إلى عليّ عليه السّلام...

و روى (التهذيب) (٢) فى باب قتال أهل البغى، عن جميل بن دراج، قلت لأبى عبد الله عليه السّلام: الخوارج شكاك؟ فقال: نعم. فقال له بعض أصحابه: كيف

ص: ٤١٨

١- ١) تاريخ الطبرى ٥: ٨٦. [١]

٢- ٢) التهذيب ١٤٥: ٦ ح ٢٥١.

و هم يدعون إلى البراز؟ قال: ذلك مما يجدون في أنفسهم.

هذا، و في (بيان الجاحظ): كان مرّه الهمداني يقول: لَمَّا قتل عثمان حمدت الله ألا أكون دخلت في شيء من قتله فصليت مائه ركعه، فلَمَّا وقع الجمل و صفين حمدت إلا أكون دخلت في شيء و زدت مائتي ركعه، فلَمَّا كانت وقعه النهروان حمدت الله إذ لم أشهدها و زدت مائه ركعه، فلَمَّا كانت فتنه ابن الزبير حمدت الله إذ لم أشهدها و زدت مائه ركعه. قال الجاحظ: لا نعرف فقيها من أهل الجماعه لا يستحل قتال الخوارج، كما لا نعرف أحدا منهم لا يستحل قتال اللصوص.

و في (تذكرة سبط ابن الجوزي): لَمَّا قتل عمّار عطش قاتله، قال ابن سعد: فأتى بقدر من زجاج—و قال غيره من فضّه—فأبى الشرب فيه، فقال بعضهم: انظروا إلى هذا الأحمق، يمتنع من الشرب في هذا الإناء و ينسى أنه قتل عمّارا، و قد قال النبي صلّى الله عليه و آله له: تقتلك الفئة الباغية! (و فيه): لَمَّا لام ابن الزبير يوم الجمل أباه في تركه قتال عليّ عليه السّلام، و قال له: لقد فضحتنا فضيحه لا نغسل منها رؤوسنا أبدا. قال له: حلفت ألا أقاتله.

فقال له: كُفّر عن يمينك. فاعتق غلامه مكحولا، فقال بعضهم:

يعتق مكحولا لصون دينه كفاره لله عن يمينه

و النكث قد لاح على جبينه

٩

الكتاب (٧٧)

و من وصيه له عليه السّلام لعبد الله بن العباس لَمَّا بعثه للاحتجاج إلى الخوارج:

لَا تُخَاصِمُهُمْ بِالْقُرْآنِ؟ - فَإِنَّ الْقُرْآنَ؟ حَمَلٌ ذُو وُجُوهِ - تَقُولُ وَ يَقُولُونَ

ص: ٤١٩

وَ لَكِنْ حَاجِبُهُمْ بِالْسُنَّةِ - فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصًا قَوْلَ الْمُصَنِّفِ : «و من وصيته له عليه السلام لعبد الله بن العباس لما بعثه للاحتجاج» الروايات في بعثه عليه السلام لابن عباس إلى الخوارج مختلفه، فروى الطبرى (١) عن أبي رزين: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا رَجَعَ مِنْ صَفِّينَ وَ دَخَلَ الْكُوفَةَ وَ نَزَلَتِ الْخَوَارِجُ بِحُرُورٍ بَعَثَ إِلَيْهِمْ ابْنَ عَبَّاسٍ، فَرَجَعَ وَ لَمْ يَصْنَعْ شَيْئًا....

و عن (٢) عماره بن ربيعه: بعث علي عليه السلام ابن عباس إليهم، وقال: لا- تعجل إلى جوابهم و خصومتهم حتى آتيك. فخرج إليهم حتى أتاهم فأقبلوا يكلمونه فلم يصبر حتى راجعهم، فقال: ما نقتم من الحكمين و قد قال تعالى: «إِنْ يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا» (٣) فكيف بأمه محمد صلى الله عليه و آله؟ فقالت الخوارج:

قلنا: أميا ما جعل حكمه إلى الناس و أمر بالنظر فيه و الإصلاح له، فهو إليهم كما أمر به، و ما حكم فامضاه فليس للعباد أن ينظروا فيه، حكم في الزانى مائه جلده و فى السارق بقطع يده، فليس للعباد أن ينظروا فيه. قال: فإنه تعالى يقول: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِنْكُمْ» (٤). فقالوا: أو تجعل الحكم فى الصيد، و الحدث يكون بين المرأة و زوجها كالحكم فى دماء المسلمين؟ فهذه الآيه بيننا و بينك، أعدل عندك ابن العاص و هو بالامس يقاتلنا و يسفك دماءنا؟ فان كان عدلا فلسنا بعدول و نحن أهل حرب، و قد حكمتم فى أمر الله الرجال، و قد أمضى الله عزّ و جلّ حكمه فى معاويه و حزبه أن يقتلوا أو يرجعوا، و قبل ذلك دعوناهم إلى كتاب الله فأبوه، ثم كتبتم بينكم و بينه كتابا و جعلتم بينكم و بينه المودعه، و لا مودعه بين المسلمين و أهل الحرب منذ نزلت (براءه) إلا من أقرّ

ص: ٤٢٠

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٧٣: ٥. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٦٤: ٥. [٢]

٣-٣ (٣) النساء: ٣٥. [٣]

٤-٤ (٤) المائدة: ٩٥. [٤]

بالجزية- إلى أن قال- ثم خرج علي عليه السلام حتى انتهى إليهم و هم يخاصمون ابن عباس، فقال: انته عن كلامهم، ألم أنهك رحمك الله؟ ثم قال: قال لهم: من زعيمكم؟ قالوا: ابن الكواء. فقال عليه السلام: فما أخرجكم علينا؟ قالوا: حكومتكم يوم صفين. قال: أنشدكم بالله أ تعلمون حيث رفعوا المصاحف فقلتم: نجيبهم إلى كتاب الله. قلت لكم: إنني أعلم بالقوم منكم، إنهم ليسوا بأصحاب دين و لا- قرآن، إنني صحبتهم و عرفتهم أطفالا- و رجالا- فكانوا شرّ أطفال و شرّ رجال، امضوا على حاكم و صدقكم، فإنما رفع القوم هذه المصاحف خديعه و دهنه و مكيدته. فرددت على رأيي و قلت: لا بل نقبل منهم. فقلت لكم: اذكروا قولي لكم و معصيتكم إياي. فلما أبيتم إلا الكتاب اشترطت على الحكمين: أن يحييا ما أحيا القرآن و أن يميتا ما أمات القرآن، فإن حكما بحكم القرآن فليس لنا أن نخالف حكما يحكم بما في القرآن، و إن أيا فنحن من حكمهما برآء- قالوا له:

أ ترى عدلا تحكيم الرجال في الدماء؟ فقال: انا لسنا حكمنا الرجال إننا حكمنا القرآن، و هذا القرآن فإنما هو خط مسطور بين الدفتين لا- ينطق، إنما يتكلم به الرجال. قالوا: فخبّرنا عن الأجل: لم جعلته في ما بينك و بينهم؟ قال: ليعلم الجاهل و يتثبت العالم، و لعل الله عزّ و جلّ يصلح في هذه الهدنة هذه الامه....

و في (كامل المبرد) (1): ذكر أهل العلم من غير وجه: أنّ عليا لما وَّجه إليهم ابن عباس ليناظرهم قال لهم: ما الذي نقتم على أمير المؤمنين عليه السلام؟ قالوا: قد كان للمؤمنين أميرا فلما حكم في دين الله خرج من الإيمان، فليتبع بعد إقراره بالكفر نعد له. فقال ابن عباس: لا- ينبغي لمؤمن لم يشب إيمانه شك بأن يقر على نفسه بالكفر. قالوا: إنّه قد حكم. قال: إنّ الله عزّ و جلّ قد أمرنا بالتحكيم

ص: ٤٢١

فى قتل سيد، فقال عزّ و جلّ: «يَحْكُمُ بِهِ ذَوَا عَدْلٍ مِّنكُمْ» (١) فكيف فى إمامه قد أشكلت على المسلمين؟ فقالوا: إنه قد حكم عليه فلم يرض. فقال: إنَّ الحكومه كالإمامه و متى فسق الإمام وجبت معصيته، و كذلك الحكمان لئلا خالفا نبذت أقاويلهما. فقال بعضهم لبعض: لا تجعلوا احتجاج قريش حجه عليكم فإن هذا من القوم الذين قال تعالى فيهم: «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خِصَّةٌ مُمُونَ» (٢)، و قال «وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا» (٣).

و فيه (٤): وجه علىّ عليه السّلام إليهم ابن العباس فرحبوا به و قالوا: ما جاء بك؟ قال: جئتكم من عند صهر النبىّ صلّى الله عليه و آله و ابن عمه و أعلمنا بربه و سنّه نبيه، و من عند المهاجرين و الأنصار. فقالوا: إننا أتينا عظيمًا حين حكّمنا الرجال فى دين الله فإن تاب كما تبنا رجعنا. فقال لهم: نشدتكم الله أما علمتم أنّ الله أمر بتحكيم الرجال فى أرنب يساوى درهما، و فى شقاق رجل و امرأته، و أنّ النبىّ صلّى الله عليه و آله أمسك عن القتال للهدنه بينه و بين أهل الحديبيه؟ قالوا: نعم و لكن محانا نفسه من الإماره. فقال لهم: و قد محانا النبىّ صلّى الله عليه و آله اسمه من النبوه، و قد أخذ علىّ عليه السّلام على الحكّمين ألا يجورا....

و روى (مسترشد محمد بن جرير الطبرى): أنّه عليه السّلام لما بعث ابن العباس قالوا له: نقمنا على صاحبك خصالا: محانا اسمه من إماره المؤمنين، و شكّ فى نفسه حيث قال للحكّمين: «انظرا ان كان معاويه أحق بها منى فأثبتاه»، و جعل الحكم إليه غيره و قد كان عندنا من أحكم الناس، و حكم الرجال فى دين الله و لم يكن ذاك إليه، و قسّم بيننا الكراع و السلاح يوم البصره

ص: ٤٢٢

١-١ (١) المائده: ٩٥. [١]

٢-٢ (٢) الزخرف: ٥٨. [٢]

٣-٣ (٣) مريم: ٩٧. [٣]

٤-٤ (٤) الكامل للمبرد ١٧٥: ٢. [٤]

و منعنا النساء و الذريه، و أنه كان وصيًا فضيع الوصيه. فقال ابن عباس له عليه السلام: سمعت مقاتلهم و أنت أحقّ بالجواب. فقال عليه السلام له: قل لهم: أَلستم ترضون بحكم الله و حكم رسوله؟ قالوا: نعم. فقال: ابدأ على ما بدأتم: كنت أكتب للنبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله يوم صالح ابا سفيان و سهل بن عمرو، فكتبت: «بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما صالح عليه محمد رسول الله و سهيل بن عمرو و صخر بن حرب» فقال سهيل: إنا لا نعرف (الرحمن الرحيم) و لا نقرّ أنك رسول الله.

فأمرني النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله فمحوت (الرحمن الرحيم) و كتبت: «باسمك اللهم» و محوت (رسول الله) و كتبت: «محمد بن عبد الله» فقال لي: يا عليّ إنك تدعى إلى مثلها فتجيب و أنت مكره. فقالوا: هذه لك قد خرجت منها. فقال: و أمّا قولكم:

إني شككت في نفسي حيث قلت للحكمين: انظرا فان كان معاويه أحق بها مني، فإن ذلك لم يكن شكا و لكنّه نصفًا من القول، و قد قال تعالى: «وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» (١)، و قد علم الله أنّ نبيّه كان على الحق.

قالوا: و هذه لك أيضا. قال: و أمّا قولكم: إني جعلت الحكم إلى غيري و قد كنت من احكم الناس، فهذا النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله جعل الحكم إلى سعد بن معاذ يوم بنى قريظه و قد كان أحكم الناس، و قد قال تعالى: «لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ» (٢) فتأسيت به صَلَّى اللهُ عليه و آله. قالوا و هذه لك أيضا- إلى أن قال- و أمّا قولكم:

إني قسّمت يوم البصره الكراع و السلاح و منعتكم النساء و الذريه، فأنتي مننت على أهل البصره كما من النبيّ صَلَّى اللهُ عليه و آله على أهل مكه و قد عدوا علينا، فأخذناهم بذنوبهم و لم نأخذ صغيرا بكبير، و بعد فأيتكم يأخذ عايشه في سهمه؟ قالوا:

و هذه قد خرجت منها أيضا. قال: و أمّا قولكم: إني كنت وصيا فضيعة

ص: ٤٢٣

١-١ (١) سبأ: ٢٤. [١]

٢-٢ (٢) الأحزاب: ٢١. [٢]

الوصايه،فأنتم كفرتم بى وقدمتم على غيرى و لم أك أنا كفرت بكم،و ليس على الأوصياء الدعاء إلى انفسهم و إنما تدعو الأنبياء إلى انفسهم،و الوصى مدلول عليه مستغن عن الدعاء إلى نفسه،ذلك لمن آمن بالله و رسوله،وقد قال تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (١)،فلو ترك الناس الحج لم يكن البيت يكفر بتركهم إياه،و لكن يكفرون بتركه لأن الله تعالى قد نصبه لهم علما،و كذلك نصبنى النبي صلى الله عليه و آله علما حيث قال:أنت بمنزله الكعبه.فخرج معه منهم أربعة آلاف.

و رواه اليعقوبى (٢)مع زياده و نقصان.

«إلى الخوارج» هكذا فى (المصريه) (٣)و الصواب:(على الخوارج) كما فى (ابن أبى الحديد (٤)و ابن ميثم (٥)و الخطيه)و حينئذ فهو متعلق بالاحتجاج.

قوله عليه السلام : «لا تخاصمهم بالقرآن فإن القرآن حمّال ذو وجه، تقول و يقولون» حاج منصور بن حازم-و هو أحد أجله أصحاب الصادق عليه السلام-مع الناس فقال لهم:من الحجّه على الخلق بعد النبي صلى الله عليه و آله؟فقالوا له:القرآن.فقال لهم:

القرآن يخاصم به المرجى و القدرى بل الزنديق الذى لا يؤمن به،يخاصم به حتى يغلب الرجال بخصوصته،فلا بد أن القرآن لا يكون حجّه إلا بقيم يكون كل شىء قال فيه يكون حقا،فمن قيمه؟قالوا:ابن مسعود قد كان يعلم، و عمر قد يعلم،و حذيفه قد يعلم.فقال لهم:يعلمون كله؟قالوا:لا.قال لهم:فليس أحد يعرف القرآن كله إلا على عليه السلام فلا بد أنه قيم القرآن،

ص: ٤٢٤

١-١ (١) آل عمران:٩٧. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ اليعقوبى ٢:١٩٢.

٣-٣ (٣) الطبعة المصريه ٣:١٥٠.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٨:٧١.

٥-٥ (٥) شرح ابن ميثم ٥:٢٣٤. [٢]

وَأَنَّ طَاعَتَهُ مَفْرُوضَةٌ كَالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ.

قال ابن أبي الحديد (1) قوله عليه السلام: «القرآن حَمَالٌ ذُو جُوهٍ، تَقُولُ وَ يَقُولُونَ» كلام لا نظير له في شرفه و علو معناه، و ذلك أَنَّ القرآن فيه مواضع يظن في الظاهر أَنَّها متناقضة نحو قوله: «لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ» (2) مع قوله «إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ» (3)، و قوله: «وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَ مِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ» (4) مع قوله: «وَ أَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى» (5) و نظائرها، و أمَّا السُّنَّةُ فليست كذلك-إلى أن قال- و قد كان في الصحابة من يسأل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله عن كلمة في القرآن يفسره له تفسيراً موجزاً فلا يحصل له كلُّ الفهم، و لما نزلت آية الكلاله- و في آخرها «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا» (6)- سأله عمر عن الكلاله: ما هو؟ فقال له: يكفيك آية الصيف. لم يزد على ذلك، فلم يراجعه عمر و انصرف و لم يفهم مراده، و بقي عمر على ذلك إلى أن مات، و كان يقول بعد ذلك: اللهم مهما بينت فإنَّ عمر لم يتبين. يشير إلى قوله تعالى: «يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ أَنْ تَضِلُّوا» ...

بيان آية الصيف، أي: آية نزلت في الصَّيف، كما رواه (التبيان).

قلت: إذا كان فاروقهم نفسه لم يفهم المراد من القرآن في آية قال تعالى فيها: بينها لكم لئلا تضلوا، و فسرها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله، له كيف منع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آله من الوصيه و قال: حسبنا القرآن و لم نحتج إلى وصيته؟

ص: ٤٢٥

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٧١: ١٨. [١]

٢- ٢) الأنعام: ١٠٣. [٢]

٣- ٣) القيامة: ٢٣. [٣]

٤- ٤) يس: ٩. [٤]

٥- ٥) فصلت: ١٧. [٥]

٦- ٦) النساء: ١٧٦. [٦]

ففي (طبقات كاتب الواقدي) -و كان ناصيا- عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود عن ابن عباس، قال: لما حضرت النبي صلى الله عليه وآله الوفاه و في البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب، فقال النبي صلى الله عليه وآله: هلم أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده. فقال عمر: إن رسول الله قد غلبه الوجد، و عندكم القرآن حسينا كتاب الله.

فاختلف أهل البيت و اختصموا، فمنهم من قال: قربوا يكتب لكم النبي، و منهم من يقول ما قال عمر، فلما كثر اللغط و الاختلاف و غمر النبي صلى الله عليه وآله و آله قال: قوموا عني. قال عبيد الله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين النبي صلى الله عليه وآله و آله و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من اختلافهم و لغطهم.

و روى عن عكرمه عن ابن عباس: أن النبي صلى الله عليه وآله قال في مرضه الذي مات فيه: إيتوني بدواه و صحيفه أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فقال عمر: من لفلانه و فلانه -مدائن الروم- إن النبي ليس بميت حتى نفتتحها، و لو مات لانتظرناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى. فقالت زينب زوج النبي صلى الله عليه وآله: ألا- تسمعون النبي صلى الله عليه وآله يعهد إليكم؟ فلغطوا فقال: قوموا عني. فلما قاموا قبض النبي صلى الله عليه وآله عليه و آله مكانه.

و عن زيد بن اسلم عن أبيه عن عمر قال: كنا عند النبي صلى الله عليه وآله و بيننا و بين النساء حجاب فقال: غسلوني بسبع قرب، و ائتوني بصحيفه و دواه أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا. فقال النسوة: إيتوا النبي صلى الله عليه وآله بحاجته. قال عمر:

فقلت: اسكتن فإنكن صواحبه، إذا مرض عصرتن أعينكن و إذ صح أخذتن بعنقه. فقال: هن خير منكم.

و عن سعيد بن جبير قال: إن ابن عباس كان يقول: يوم الخميس و ما يوم الخميس؟ -و كأني أنظر إلى دموعه كأنها نظام اللؤلؤ- قال النبي صلى الله عليه وآله: إيتوني بالكتف و الدواه أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده أبدا.

فقالوا: إنما يهجر رسول الله.

كان فاروقهم يعلم أنّ القرآن لا يكفى الناس، وكيف لا، وهو الذى كان فاروقهم لا يفهم شيئاً من معارفه إلاّ أنّه صدّ النبيّ صلّى الله عليه وآله عن الوصيه فى تلك الساعه، لأنّه علم أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله أراد أن يعيّن أمير المؤمنين عليه السّلام فى الكتابه كما عينه فى مقالته يوم غدير خم وغيره، فلا- يمكنه التشكيك فيها لأنّ الكتابه أمر ثابت، فروى أحمد بن أبى طاهر صاحب (تاريخ بغداد) فى كتابه مسنداً عن ابن عباس قال: دخلت على عمر فى أوّل خلافته فقال: هل بقى فى نفس ابن عمك شىء من أمر الخلافه؟ قلت: نعم. قال: أ يزعم أنّ النبيّ نصّ عليه؟ قلت:

نعم. قال: لقد أراد النبيّ فى مرضه أن يصرح باسمه فمنعت من ذلك إشفاقاً وحيطه على الإسلام، لا وربّ هذه البنيه لا تجتمع عليه قريش أبداً، ولو وليها لا نتقضت عليه العرب من أقطارها، فعلم النبيّ أنّى علمت ما فى نفسه فأمسك....

إنّما منع منه إشفاقاً وحيطه على سلطنته و سلطنه صاحبه، وهل كان هو أشفق على الإسلام من رسول الله صلّى الله عليه وآله و آله؟ فكأنّ الله لا- يعلم حيث يجعل رسالته، إذا كان هو أشفق على الإسلام و لم يشفق نبيّه! وقوله بعدم اجتماع قريش عليه كانتقاض العرب مغالطه، فقريش كانوا أعداء النبيّ صلّى الله عليه وآله و إنّما وصلوا إلى ما وصلوا بمساعدته و مساعدته صاحبه، و لو لا هما لكانوا يستسلمون له و يسرون كفرهم، كما استسلموا للنبيّ و أسرّوا كفرهم، و العرب إنّما انتقضت على صاحبه حيث لم يجعل هو سلطان النبيّ صلّى الله عليه وآله فى أهل بيته، و قيام أهل الجمل و صفين عليه إنّما كان من قريش بسببه و سبب صاحبه.

وهب أنّ النبيّ صلّى الله عليه وآله لم يرد النصّ على أمير المؤمنين، ألم يكن حدوث هذه الفرق الضاله فى الإسلام- و منها الخوارج- من منع عمر للنبيّ صلّى الله عليه وآله عن

الوصيه؟ ألم يقل لهم: أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا؟ ثم إنه مع منعه له عن الوصيه-وهي الرزیه العظمى التي لو بكى الدم منها كان قليلا-لم نسب الهجر إليه؟ أليس الله تعالى قال في نبيه: «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا- وَحْيٌ يُوحَىٰ» (١)؟ و لم قال: «إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَمُوتُ وَ لَوْ أَنَّهُ مَاتَ يَرْجِعُ»، فيصير سببا لتولد مذاهب فاسده، كالكيسانيه و الناوسيه و الواقفيه و الإسماعيليه و غيرها، فليس منشأ شبهات المذاهب الفاسده التي تولدت بعده إلا شبهات مثله، كما اعترف به الشهرستاني (٢) منهم.

و لم يقول لنسائه: «اسكتن، إذا مرض عصرتن أعينكن، و إذا صحَّ أخذتن بعنقه» بمعنى أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ليس له قابليه، و أنه رجل زيري، و النساء غالبات عليهن.

و ما نسبه إلى نسائه إنما كان عمل بنته و بنت صاحبه اللتين قال تعالى فيهما: «وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَ جِبْرِيلُ وَ صَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ» (٣) دون النسوة التي قلن-كزينب و أم سلمه-: «إبتوا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بحاجته. لكن يكفيه شرفا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قال له: هن خير منك».

هذا و مما يناسب قوله عليه السلام: «حمال ذو وجوه» ما ورد: أن رجلا قال لهشام القوطي: كم تعد؟ قال: من واحد إلى ألف ألف و أكثر. قال: لم ارد هذا، كم تعد من السن؟ قال: اثنتين و ثلاثين، ست عشره من أعلى و ست عشره من أسفل. قال: لم ارد هذا، كم لك؟ من السنين قال: و الله مالي فيها شيء السنون

ص: ٤٢٨

١-١ (١) النجم: ٣-٤. [١]

٢-٢ (٢) الممل و النحل للشهرستاني ١٨: ١-٢١.

٣-٣ (٣) التحريم: ٤. [٢]

كلها لله تعالى. قال: يا هذا ما سنك؟ قال: عظم. قال: ابن كم أنت؟ قال: ابن اثنين:

رجل و امرأه. قال: كم أتى عليك؟ قال: لو أتى على شيء لقتلني. قال: فكيف أقول؟ قال: تقول: كم مضى من عمرك؟ «و لكن حاججهم بالسنة، فإنهم لن يجدوا عنها محيصا» قال ابن أبي الحديد (1) لم يعمل ابن عباس بما أوصاه فلم يحاججهم بالسنة بل بالقرآن، و لذلك لم يرجعوا.

قلت: بل حاججهم بالكتاب و السنة كما عرفت من رواياته، بل حاججهم مرتين: في أول خروجهم إلى حروراء، و بعد رجوعهم و خروجهم ثانيا، كما يظهر من خبر المبرد الثاني، بل قال المبرد (2): إنه عليه السلام بعثه إلى خوارج النخيلة أيضا بعد النهروان و قالوا له: إذا كان على حق لم يشكك و حكم مضطرا، فما باله حيث ظفر في الجمل لم يسب؟ فقال لهم ابن عباس: سمعتم الجواب في التحكيم، فأمرنا قولكم في السب، أفكنتم سابين أمكم عايشة؟ فوضعوا أصابعهم في آذانهم و قالوا أمسك عنا غزب لسانك يا ابن عباس، فإنه طلق زلق غواص على موضع الحجة. و حاججهم بالسنة بتعليم أمير المؤمنين عليه السلام له في تحكيم النبي صلى الله عليه و آله سعد بن معاذ يوم بنى قريظة، و غير ذلك مما مر في تلك الأخبار.

قال ابن أبي الحديد (3) إن قيل ما السنة التي أمر عليه السلام ابن عباس أن يحاجج الخوارج؟ قلت: كان له عليه السلام في ذلك غرض صحيح و إليه أشار و حوله كان يطوف و يحرم، و ذلك أنه أراد أن يقول لهم: قال النبي صلى الله عليه و آله: «على مع الحق»

ص: ٤٢٩

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٦. [١]

٢-٢ (٢) المبرد ٢: ١٩٤. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٨: ٧٢-٧٣. [٣]

و الحق مع علي يدور معه حيثما دار»، و قوله عليه السّلام: «اللهم وال من والاه، و عاد من عاداه، و انصر من نصره، و اخذل من خذله» و نحو ذلك من الأخبار التي كانت الصحابه قد سمعتها من فلق فيه صلى الله عليه و آله و قد بقي ممن سمعها جماعه تقوم بهم الحججه و تثبت بنقلهم، و لو احتجّ بها على الخوارج في أنّه لا يحل مخالفته و العدول عنه بحال لحصل من ذلك غرض أمير المؤمنين عليه السّلام في محاجّتهم، و أغراض اخرى أرفع و أعلا منهم، فلم يقع بموجب ما أراد و قضى عليهم بالحرب حتى أكلتهم عن آخرهم «وَ كَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا» (١).

قلت: لو كان عليه السّلام حاجّهم بأقوال النبي صلى الله عليه و آله فيه لصار أمر صديقهم و فاروقهم باطلا، كما أنّ محمد بن أبي بكر لَمَّا حاج معاويه بذلك ناقضه معاويه بذلك.

و لم يدر الإنسان أيّ شيء يقول في مثل هذه الامور؟ ألم يكن أمير المؤمنين عليه السّلام أتمّ الحجّج عليهم بنفسه: بأنّي ما حكمت الرجال بل حكمت القرآن، و لكنّ القرآن خط مسطور لا ينطق، ينطق عنه الرجال، فان حكما بما فيه يقبل و إلّا فيضرب حكمهما على رأسهما، و لم يجعل حكما مطلقا يحكمان بما يريدان، و أنّه و إن تبين للخوارج - كما كان متبيننا له عليه السّلام و لعار في أصحابه - أنّه كان مكيده إلّا أنّه لَمَّا كان كتب كتاب عهد و جب العمل به بمقتضى الكتاب و السنّه، بل و جوب الوفاء بالعهد يحكم به العقل، و كان جميع ملل الدنيا عملهم عليه؟ ثم أيّ شيء تصوّروا في قول معاويه - لَمَّا أمر برفع المصاحف -:

«بيننا و بينكم كتاب الله»؟ أ لم يعرفوا أنّ كتاب الله يقول في قوله تعالى: «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى»

ص: ٤٣٠

«تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (١) بوجوب قتال معاويه حتى يفيء إلى أمر الله و يصير تسليماً لأمير المؤمنين عليه السّلام- كما قالوا ذلك لما أنكروا الحكميه-؟ ألم يعلموا أنّ معاويه من الفئه الباغيه مع قول النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: «عَمَّارُ تَقْتُلُهُ الْفِئَةُ الْبَاغِيَّةُ» و قد كان قتل قبيل رفع المصاحف؟ و كيف هم لم يتفطنوا و قد تفطن كثير من أهل الشام، إلاّ أغبياء قال لهم معاويه: «إِنَّا مَا قَتَلْنَاهُ وَ إِنَّمَا قَتَلَهُ عَلِيٌّ الَّذِي جَاءَ بِهِ لِحَرْبِنَا»؟ و لحق به عليه السّلام بعضهم كعبد الله بن عمر العنسي لذلك، و قال:

قد كنت أسمع و الأنباء شائعه هذا الحديث فقلت: الكذب و الزور

حتى تلقّيته من أهل عيبته فاليوم أرجع و المغرور مغرور

و اليوم أبرأ من عمرو و شيعته و من معاويه المحدو به العير

ألم يعلموا أنّ معاويه كان عدو النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، و قاتله حتى صار أسيراً فجعله من الطلقاء؟ ألم يعلموا أنّ معاويه كان لعين النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ في غير موطن، و أنّه كان مظهر كلّ كفر و فجور؟ ألم يعلموا أنّ أمير المؤمنين عليه السّلام كان المتصدى لجميع حروب النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ و شريكه في شدائده في سبيل الإسلام، و أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كان يجعله بمنزله نفسه، و أنّه كان مظهر الإيمان و العداله و الورع و التقوى، و أنّه كان أعلم الناس بالكتاب و السنه و شريعه الإسلام باجماع الامّه حتى من صدّيقهم و فاروقهم؟ و ألم يكن من العجب ألاّ يقبلوا منه عليه السّلام حكميه ابن عباس و الأشتر و الأحنف، و يجبروه على أبي موسى، و يقبلوا من معاويه حكميه عمرو؟

ص: ٤٣١

ثم من أين أنهم لم يكونوا سمعوا ما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِ؟ بل رأوا ورووا جميع ذلك، إلا أن تقدم الرجلين عليه جعل جميع أقوال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِيهِ نسيا، منسيا- روى محمد بن يعقوب في روضته (١) مسندا: أن عبد الله بن نافع الأزرق كان يقول: لو أنني علمت أن بين قطريها أحدا تبلغني إليه المطايا، يخصمني: أن عليا قتل أهل النهروان و هو لهم غير ظالم، لرحلت إليه. فقيل له:

و لا ولده؟ فقال: أ في ولده عالم؟ فقيل له: هذا أول جهلك، أو هم يخلون من عالم؟ قال: فمن عالمهم اليوم؟ قيل: محمد بن علي بن الحسين بن علي. فرحل إليه في صناديد أصحابه حتى أتى المدينة فاستأذن عليه عليه السّلام، وبعث أبو جعفر عليه السّلام إلى جميع أبناء المهاجرين و الأنصار فجمعهم، ثم خرج في ثوبين ممغرين كأنه فلقه قمر و أقبل على الناس و قال- بعد الحمد و الشاء- يا معشر أبناء المهاجرين و الأنصار من كانت عنده منقبه في علي بن أبي طالب صلوات الله عليه فليقم و ليحدث. فقام الناس فسرودوا تلك المناقب، فقال عبد الله بن نافع:

أنا أروى لهذه المناقب من هؤلاء: و إنما أحدث على الكفر بعد تحكيم الحكيمين حتى انتهوا في المناقب إلى حديث خبير: «لا عطين الزايه غدا رجلا يحب الله و رسوله و يحبه الله و رسوله، كرا را غير فرار، لا يرجع حتى يفتح الله على يديه» فقال له أبو جعفر: ما تقول في هذا الحديث؟ فقال: هو حق لا شك فيه، و لكن أحدث الكفر بعد. فقال أبو جعفر عليه السّلام له: ثكلتك أمك أخبرني عن الله تعالى: أحب عليا يوم أحياه و هو يعلم أنه يقتل أهل النهروان أم لم يعلم؟ قال ابن نافع: أعد علي. فاعاده، فقال: إن قلت: لا، فقد كفرت. قال: فقل: قد علم. فقال:

قد علم. قال فأحبه الله على أن يعمل بطاعته أو يعمل بمعصيته؟ فقال: بل بطاعته. فقال: قم مخصوما. فقام ابن نافع و هو يقول: «حتي يَبَيِّنَ لَكُمْ الْخَيْطُ»

ص: ٤٣٢

«الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ» (١) «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ» (٢).

هذا، وقال عليه السلام: حاجوهم بسنه النبي صلى الله عليه وآله حتى تغلبوهم. وهم كانوا يريدون منه عليه السلام سنه أبي بكر و عمر فلا يقبلها منهم، وفي (الطبري) (٣): لما خرجت الخوارج من الكوفة أتى عليا عليه السلام أصحابه و شيعته فبايعوه و قالوا:

نحن أولياء من واليت و أعداء من عاديت. فشرط لهم فيه سنه النبي صلى الله عليه وآله، فجاءه ربيعة بن أبي شداد الخثعمي -و كان شهد معه الجمل و صفين و معه رايه خثعم- فقال له بايع علي كتاب الله و سنه رسوله صلى الله عليه وآله. فقال ربيعة: علي سنه أبي بكر و عمر. فقل له علي عليه السلام: ويلك! لو أن أبا بكر و عمر عملا بغير كتاب الله و سنه رسوله صلى الله عليه وآله لم يكونا علي شيء من الحق. فبايعه ربيعة و نظر إليه علي عليه السلام فقال: أما و الله لكأني بك و قد نفرت مع هذه الخوارج فقتلت و كأني بك و قد وطئت الخيل بحوافرها. فقتل يوم النهروان....

و كان إخواننا السنه يحاجون الخوارج في احداث عثمان -بعدم جناح فيها- بسنه أبي بكر و عمر فيغلبونهم بذلك، قال مصعب الزبيرى في (نسب قريشه): قال هشام بن عروه: قال عبد الله بن الزبير: لقيني ناس ممن كان يطعن علي عثمان ممن يرى رأى الخوارج، فراجعوني فى رأيهم و حاجوني بالقرآن، فوالله ما قمت معهم و لا قعدت، فرجعت إلى الزبير منكسرا فذكرت ذلك له فقال: إن القرآن تأوله كل قوم على رأيهم و حملوه عليه، و لعمر الله إن القرآن لمعتدل مستقيم و ما التقصير إلا من قبلهم، و من طعنوا عليه من الناس فإنهم لا يطعنون فى أبي بكر و عمر، فخذهم بسنتهما و سيرتهما. قال عبد الله:

ص: ٤٣٣

١-١ (١) البقره: ١٨٧. [١]

٢-٢ (٢) الأنعام: ١٢٤. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٥: ٧٦. [٣]

فكأنما أيقظني بذلك، فلقيتهم فحاججتهم بسنن أبي بكر، فلمّا أخذتهم بذلك قهرتهم، و ضعف قولهم حتى كأنهم صبيان يمشون....

«وَعَزَّهِمْ فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ» (١)، «فَدَرَّهُمْ فِي غَمَرَتِهِمْ حَتَّى حِينٍ» (٢) فأخواننا ينكرون الامور الفطرية و القواعد العقلية، فكون أحداث عثمان امورا منكره فطري كل موحد و ملحد، و بطلان اللازم يدل على بطلان الملزوم، فعليهم أن يقولوا ببطلان سنّه صديقيهم و فاروقهم لبطلان سنّه ذى نوريهم، لا أن يجعلوا سنّه ذى نوريهم حقًا بسنه صديقيهم و فاروقهم! فمن أعمال ذى نوريهم: نفى أبي ذر و كسر ضلع عمار، و قد قال النبي صلّى الله عليه و آله فيهما: أمرني الله تعالى بحبهما، و أنّ الجنه لمشتاقه إليهما.

و توليه الوليد الذي صلّى الصبح بالناس سكران أربعا و تغنى.

و توليه ابن أبي سرح الذي أهدر النبي صلّى الله عليه و آله دمه.

و ردّه الحكم الذي نفاه النبي صلّى الله عليه و آله.

و أمره بقتل جمع من المؤمنين حتى أجمع المهاجرون و الأنصار على قتله، و حتى إنّ أمير المؤمنين اباح قتله، فلمّا قال شرحبيل - الذي أرسله معاوية إليه عليه السلام له -: أتشهد أنّ عثمان قتل مظلوما؟ فقال: لا أشهد. فقال شرحبيل: فمن لم يزعم أنّ عثمان قتل مظلوما فنحن منه برآء و انصرف فقال عليه السلام: «إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ وَ مَا أَنْتَ بِهَادِي الْعُمَى عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ» (٣). و حتى قال هاشم بن عتبة المرقال للشامي الذي قال له: «إنّ

ص: ٤٣٤

[١-١] (١) آل عمران: ٢٤. [١]

[٢-٢] (٢) المؤمنون: ٥٤. [٢]

[٣-٣] (٣) النمل: ٨٠-٨١. [٣]

صاحبكم قتل خليفتنا» ما أنت و ابن عفان؟ إنما قتله أصحاب محمّد و أبناء أصحابه و قرّاء الناس، حين احدث الأحداث و خالف حكم الكتاب. و حتى إنّ عمّارا لمّا قال له عمرو بن العاص: «لم قتلتم عثمان» قال: لأنّه أراد أن يغيّر ديننا، و أنّ الله قتله و عليّ معه. و عمر يعرف عثمان حتى قال له: كأنّى أراك تولّى بنى أبيك على رقاب الناس حتى يضطرّ الناس إلى ضرب رقبتيك. و مع ذلك دبر الأمر له بجعل صهره ابن عوف حكما من السنّه! هذا و السنّه و إن كانت أوضح من الكتاب، إلاّ أنّه لمّا كان ما بيّن فيها محدودا مثل ما بيّن في ظاهر الكتاب كانا غير كافيين في رفع اختلاف الناس، فكان واجبا على الله الحكيم أن يجعل معهما للناس حجه يكون كالنبيّ صلّى الله عليه و آله ذا اتصال به تعالى، لا يقول ما يقول إلاّ عنه تعالى، و أن يجعل عليه دلالة و آية، قال يونس بن يعقوب - كما في (الكافي) (١) - كنت عند أبي عبد الله عليه السّلام فورد عليه رجل من أهل الشام و قال له عليه السّلام: إنّي رجل صاحب كلام و فقه و فرائض و قد جئت لمناظره أصحابك. فقال عليه السّلام: كلم هذا الغلام - يعني هشام بن الحكم - فقال له: يا غلام سلني في امامه هذا - يعني أبا عبد الله عليه السّلام - فغضب هشام حتى ارتعد، ثمّ قال له: أخبرني يا هذا أريّك أنظر لخلقه أم هم لأنفسهم؟ فقال: بل ربي أنظر لخلقه. قال: ففعل بنظره لهم في دينهم ما ذا؟ قال: كلّفهم و أقام لهم حجه و دليلا - على ما كلّفهم، و أزاح في ذلك عليهم. فقال له هشام: فما هذا الدليل الذي نصبه لهم؟ قال: هو النبيّ صلّى الله عليه و آله. قال: فمن بعده؟ قال: الكتاب و السنّه. قال: فهل ينفعنا اليوم الكتاب و السنّه في ما اختلفنا فيه، حتى يرفع عنّا الاختلاف و يمكّننا من الاتفاق؟ قال: نعم. قال: فلم اختلفنا نحن و أنت و جئنا من الشام تخالفنا، و تزعم أنّ الرأى طريق الدين و أنت تقرّ بأنّ الرأى لا يجمع

ص: ٤٣٥

المختلفين على القول الواحد؟ فسكت كالمفكر فقال له أبو عبد الله عليه السلام: مالك لا تتكلم؟ قال: إن قلت: إننا ما اختلفنا كما برت، وإن قلت: إن الكتاب والسنة يرفعان الإختلاف أبطلت لأنهما يحتملان الوجوه، ولكن لى عليه مثل ذلك. فقال عليه السلام له: سله تجده مليا. فقال الشامى لهشام: من أنظر للخلق ربهام أم أنفسهم؟ قال هشام: بل ربهام. فقال: فهل أقام لهم من يجمع كلمتهم ويرفع اختلافهم و يبين لهم حقهم من باطلهم؟ قال: نعم. قال: من هو؟ قال: أمّا فى ابتداء الشريعة فالنبي، و أمّا بعد النبي صلى الله عليه وآله فغيره. قال: و من غيره؟ قال: فى وقتنا هذا أم قبله؟ قال: بل فى وقتنا هذا. قال هشام: هذا الجالس - يعنى أبا عبد الله - الذى يشد إليه الرحال و يخبرنا بأخبار السماء وراثه عن أب و جد. قال الشامى: و كيف لى بعلم ذلك؟ قال: سله عمّا بدا لك. قال الشامى: قطعت عذرى فعلى السؤال. قال له أبو عبد الله عليه السلام: أنا أكفيك المسأله يا شامى، اخبرك عن مسيرك و سفرك:

خرجت يوم كذا و كان طريقك كذا و مررت على كذا و مرّ بك كذا. و أقبل الشامى كلما وصف عليه السلام له شيئا من أمره يقول: صدقت و الله. ثم قال الشامى: أسلمت لله الساعة. فقال له أبو عبد الله عليه السلام: بل آمنت به الساعة، إن الإسلام قبل الإيمان و عليه يتوارثون و يتناكحون، و على الإيمان يثابون. قال الشامى: صدقت، فأنا الساعة أشهد ألا إله إلا الله و أنّ محمدا صلى الله عليه و آله رسوله و أنّك وصي الأوصياء.

١٠

من الخطبه (١٩٠)

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي اللَّهُ - بِقِتَالِ أَهْلِ الْبَغْيِ وَ النَّكْثِ وَ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ - فَأَمَّا؟ النَّاكِثُونَ؟ فَقَدْ قَاتَلْتُ - وَ أَمَّا؟ الْقَاسِطُونَ؟ فَقَدْ جَاهَدْتُ - وَ أَمَّا؟ الْمَارِقَةُ؟ فَقَدْ دَوَّخْتُ - وَ أَمَّا شَيْطَانُ الرَّذْهَةِ فَقَدْ كُفَيْتُهُ - بِصِيغَةِ سِدِّعَتْ لَهَا وَجِبُهُ قَلْبِهِ وَ رَجَّهُ صَدْرِهِ - وَ بَقِيَتْ بَقِيَّتُهُ مِنْ أَهْلِ الْبَغْيِ - وَ لَيْتَنِي أَدْرِنَ اللَّهُ فِي الْكَرَةِ

ص: ٤٣٤

عَلَيْهِمْ - لَمَّا دَبَلْنَ مِنْهُمْ إِلَّا - مَا يَتَشَدَّرُ فِي أَطْرَافِ الْبِلَادِ تَشَدُّرًا «ألا وقد أمرني الله» في قوله تعالى: «يا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَ الْمُنَافِقِينَ وَ اغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَ مَا وَاهُمْ جَحَنَّمُ وَ بِئْسَ الْمَصِيرُ» (١) ذكره في سورة التوبة و سورة التحريم، و لم يجاهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِلَّا الْكُفَّارَ عَلَى تَنْزِيلِ الْقُرْآنِ، وَ حَيْثُ إِنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ بِمَنْزِلَةِ نَفْسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله بِمَقْتَضَى قَوْلِهِ تَعَالَى: «وَ أَنْفُسَنَا» (٢) لَا بَدَّ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ الْمَكْلَفُ بِجِهَادِ الْمُنَافِقِينَ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ.

و يشهد له ما رواه (الاسد) (٣). مسندا عن أبي سعيد الخدرى قال: كنّا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله فانقطع شسعه فأخذها على عليه السّلام يصلحه فمضى، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله:

إِنَّ مِنْكُمْ رَجُلًا يُقَاتِلُ عَلَى تَأْوِيلِ الْقُرْآنِ كَمَا قَاتَلْتُ عَلَى تَنْزِيلِهِ. فَاسْتَشْرَفَ لَهَا الْقَوْمُ فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: لَكِنَّهُ خَاصِفُ النَّعْلِ. فَجَاءَ فَبَشَّرَنَا بِذَلِكَ، فَلَمْ يَرْفَعْ بِهِ رَأْسًا كَأَنَّهُ شَيْءٌ قَدْ سَمِعَهُ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله.

و ما رواه أحمد بن حنبل في (فضائله) و الترمذى في (سننه) - و اللفظ للاول - أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله قَالَ: لِيَنْتَهِيَنَّ بَنُو وَ لِيَعَهُ أَوْ لِأَبْعَثَنَّ إِلَيْهِمْ رَجُلًا - كَنَفْسِي، يَمْضِي فِيهِمْ أَمْرِي، يَقْتُلُ الْمُقَاتِلَةَ وَ يَسْبِي الذَّرِيَةَ. قَالَ أَبُو ذَرٍّ: فَمَا رَاعَنِي إِلَّا - بَرْدَ كَفِّ عَمْرٍ مِنْ خَلْفِي، فَقَالَ: مَنْ تَرَاهُ يَعْنِي؟ قُلْتُ: مَا يَعْنِيكَ وَ إِنَّمَا يَعْنِي خَاصِفَ النَّعْلِ عَلَى بَنِ أَبِي طَالِبٍ - إِلَى أَنْ قَالَ - فَالْتَفَتَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله إِلَى عَلِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَ انْتَثَلَ بِيَدِهِ وَ قَالَ: هَذَا هُوَ هَذَا هُوَ - مَرَّتَيْنِ -.

و كذلك قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لِقُرَيْشٍ فِي (تاريخ بغداد) (٤): أَنَّ سَهِيلَ بْنَ عَمْرٍو لَمَّا قَالَ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: خَرَجَ إِلَيْكَ نَاسٌ مِنْ أَرْقَانِنَا فَارَدَدْتَهُمْ عَلَيْنَا. وَ قَالَ: أَبُو بَكْرٍ

ص: ٤٣٧

١ - ١) التوبة: ٧٣، و [١] التحريم: ٩. [٢]

٢ - ٢) آل عمران: ٦١. [٣]

٣ - ٣) الاسد للجزري ٤: ٣٢. [٤]

٤ - ٤) تاريخ بغداد ١: ١٣٣. [٥]

و عمر للنبي صَلَّى اللهُ عليه و آله: صدق سهيل. قال النبي: لن تنتهوا يا معشر قريش حتى يبعث الله عليكم رجلا- امتحن الله قلبه بالايمان، يضرب أعناقكم و أنتم مجفلون عنه اجفال النعم. فقال أبو بكر: أنا هو؟ قال: لا. و قال عمر: أنا هو؟ قال: لا، و لكنّه خاصف النعل.

و روى (التهذيب) (١) عن حفص بن غياث عن الصادق عليه السّلام: سأل رجل أبي عن حروب أمير المؤمنين عليه السّلام فقال له: بعث الله محمدا صَلَّى اللهُ عليه و آله بخمسة أسياف: ثلاثة منها شاهره لا تغمد- إلى أن قال- و أمّا السيف المكفوف فسيف أهل البغي و التأويل، قال تعالى: «وَ إِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» (٢) فلمّا نزلت قال النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله: إنّ منكم من يقاتل بعدى على التأويل كما قاتلت على التنزيل. فسئل: من هو؟ فقال: هو خاصف النعل. يعنى أمير المؤمنين عليه السّلام....

«بقتال أهل البغي» و هم معاويه و أصحابه.

«و النكث» و هم طلحه و الزبير و أصحابهما.

«و الفساد فى الأرض» و هم الخوارج يقتلون من يرون: الكبار و الصغار و الرجال و النساء.

و يشهد أيضا لكونه مأمورا من الله تعالى بقتال الفرق الثلاث ما رواه الكنجى الشافعى مسندا عن ابن عباس: أنّ النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله قال لأم سلمه: هذا على بن أبى طالب لحمه من لحمى و دمه من دمى، و هو منى بمنزله هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدى، يا أم سلمه هذا على أمير المؤمنين و سيد المرسلين و وعاء علمى و وصيى و بابى الذى اوتى منه و أخى فى الدنيا و الآخرة و معى فى المقام إلا على، يقتل الناكثين و القاسطين و المارقين.

ص: ٤٣٨

١- ١) التهذيب ١: ١٣٦.

٢- ٢) الحجرات: ٩. [١]

و روى (الاسد) (١) عن علي بن ربيعة قال: سمعت عليًا على منبركم هذا يقول: عهد إليّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أن اقاتل الناكثين و القاسطين و المارقين.

قال ابن أبي الحديد (٢): ثبت عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أنه قال له عليه السلام: ستقاتل بعدى الناكثين و القاسطين و المارقين.

قلت: و كذلك ثبت أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال لشيعته: إنهم يقاتلون معه عليه السلام الفرق الثلاث، كأبي أيوب الأنصاري و عمّار و أبي سعيد الخدري، روى الكنجي الشافعي في (مناقبه) مسندا عن أبي سعيد الخدري قال: أمرنا النبي صَلَّى الله عليه وآله بقتال الناكثين و القاسطين و المارقين فقلنا له صَلَّى الله عليه وآله: أمرتنا بقتال هؤلاء فمع من؟ قال: مع علي بن أبي طالب، معه يقتل عمّار.

و رواه الجزري في (اسده) (٣).

و روى هو و ابن ديزيل في (صفيه) مسندا عن مخنف بن سليم قال:

قدم علينا أبو أيوب الأنصاري فنزل ضيعتنا يعلف خيلا- له، فأتيناه فاهدينا له و قعدنا عنده فقلنا: يا أبا أيوب قاتلت المشركين بسيفك هذا مع النبي صَلَّى الله عليه وآله ثم جئت تقاتل المسلمين؟ فقال: إن النبي صَلَّى الله عليه وآله أمرني بقتال القاسطين و المارقين و الناكثين، فقد قاتلت الناكثين و قاتلت القاسطين، و أنا مقاتل إن شاء الله المارقين بالسعفات بالطرفات بالنهروان، و ما أدري أين هي؟ و في (صفين نصر) (٤)- في حديث جمع ذى الكلاع بين عمّار و عمرو بن العاص، لأنه سمع عمرا في إماره عمر: أن عمّارا تقتله الفئة الباغية- فقال عمرو لعمّار: علام تقاتلنا، أو لسنا نعبد إلها واحدا؟ فقال له عمّار: ساخيرك

ص: ٤٣٩

١- ١) اسد الغابه ٤: ٣٣. [١]

٢- ٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨٣: ١٧. [٢]

٣- ٣) الاسد للجزري ٤: ٣٣.

٤- ٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٣٨. [٣]

علام اقاتلك: أمرني النبي صَلَّى الله عليه وآله أن اقاتل الناكثين فقد فعلت و أمرني أن اقاتل القاسطين فأنتم هم، و أمّا المارقون فما أدري أدر كهم أم لا؟ ألم تعلم أيها الأبر أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «من كنت مولاه فعلى مولاه، اللهم وال من والاه و عاد من عاداه»؟ و أنا مولى الله و رسوله، و عليّ بعده و ليس لك مولى....

قال ابن أبي الحديد (١): قال تعالى في الناكثين: و مَنْ «نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَى نَفْسِهِ» (٢) أو في القاسطين: «وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا» (٣).

و قال النبي صَلَّى الله عليه وآله في المارقين: يخرج من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ينظر أحدكم في النصل فلا يجد شيئاً، فينظر في الفوق فلا يجد شيئاً. و هذا الخبر من اعلام نبوته صَلَّى الله عليه وآله و من اخباره المفصلة بالغيوب.

قلت: و كذا خبر كلاب الحوآب في الناكثين، و خبر قتل عمار في القاسطين من اعلام نبوه النبي صَلَّى الله عليه وآله و الكل من اعلام إمامه أمير المؤمنين عليه السلام أيضاً، و لم يذكر النبي صَلَّى الله عليه وآله لأحد من المتقدمين على أمير المؤمنين عليه السلام شيئاً، مع وقوع فتوح كثيره منهم و قتالهم مع الكفار، و إنما قال إجمالاً إن أمته تفتح فارس و الروم، حتى ظن عمر أن النبي صَلَّى الله عليه وآله يفتتحها بنفسه، فاستند في منعه النبي صَلَّى الله عليه وآله عن الوصيه بأنه قال لنا: يفتح فارس و الروم، و ما فتحهما بعد، فروى كاتب الواقدي في (طبقاته) عن الواقدي عن إبراهيم بن إسماعيل بن أبي حبيبه عن داود بن الحصين عن عكرمه عن ابن عباس: أن النبي صَلَّى الله عليه وآله قال في مرضه الذي مات فيه: إيتوني بدواه و صحيفه

ص: ٤٤٠

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١٧: ١٨٣. [١]

٢-٢) الفتح الجن: ١٠. [٢]

٣-٣) ١٥.

أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا. فقال عمر: من لفلائه و فلانته-مدائن الروم-إن النبي ليس بميت حتى نفتحها، و لو مات لا نظنناه كما انتظرت بنو اسرائيل موسى....

«فَأَمَّا النَّاكُثُونَ فَقَدِ قَاتَلَتْ» و في (الطبري) (١) عن ابن أبي يعقوب: قتل علي عليه السلام يوم الجمل ألفين و خمسمائة: من الأزد ألف و ثلاثمائة و خمسون، و من بني ضبّه ثمانمائة، و من ساير الناس ثلاثمائة و خمسون.

«و أمّا القاسطون فقد جاهدت» في (صفيين نصر) (٢) عن جابر الأنصاري قال: و الله لكأني أسمع عليا يوم الهيرير يقول: حتى متى نخلى بين هذين الحيين -أي: مذحج من أصحابه و الأشعريين من أصحاب معويه- قد فنيا و أنتم و قوف تنظرون إليهم، أما تخافون مقت الله-إلى أن قال- قال جابر: لا- و الذي بعث محمدا صلى الله عليه و آله بالحق نبيا، ما سمعنا برئيس قوم منذ خلق الله السماوات و الأرض أصاب بيده في يوم واحد ما أصاب عليه السلام، إنه قتل في ما ذكر العادون-زياده على خمسمائة من أعلام العرب يخرج بسيفه منحيا فيقول:

«معدره إلى الله تعالى و إليكم من هذا، لقد هممت أن أفلقه و لكن حجزني عنه أتى سمعت النبي صلى الله عليه و آله يقول كثيرا:

لا سيف إلا ذو الفقار و لا فتى إلا علي

و أنا اقاتل به دونه» فكنا نأخذه فنقومه، ثم يتناوله من أيدينا فيقتحم به في عرض الصف....

«و أمّا المارقه فقد دوخت» أي: ذللتها، في (الطبري) (٣) زحف الخوارج و هم

ص: ٤٤١

١-١ (١) تاريخ الطبري ٤:٥٤٥. [١]

٢-٢ (٢) صفيين لنصر بن مزاحم: ٤٧٧. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبري ٥:٨٦. [٣]

ألفان وثمانمائة إلى عليّ عليه السّلام- إلى أن قال- فوالله ما لبثوا الرجال أن أناموهم، ثم إن صاحب خيلهم لما رأى الهلاك نادى أصحابه: أن انزلوا. فذهبوا لينزلوا فلم يتقاروا حتى اهدموا في الساعه .

«و أمّا شيطان الردهه» قال الجزرى فى (نهايته) (١): فى حديث عليّ عليه السّلام ذكر ذا الشديه فقال: «شيطان الردهه يحتدره رجل من بجيله» الردهه: التّقره فى الجبل يستنقع فيها الماء، وقيل: قلّه الرابيه. و فى حديثه: «و أمّا شيطان الردهه فقد كفيته بصيحه سمعت لها وجيب قلبه» قيل: أراد به معاويه لما انهزم... و هو كما ترى.

و فى (المعجم) (٢) فى (ابن داب): قال مصعب الزبيرى: شيطان الردهه وضعه ابن داب، و هو ذو الشديه فى ما زعم. قال: جاءت امّه تستسقى ماء فوق بها شيطان فحملته فولدته....

و الظاهر أنّ المصعب أشار إلى الخبر الأوّل: «شيطان الردهه يحتدره رجل من بجيله».

هذا، و يقال لنوشيروان الضرير البغدادي: شيطان العراق. و هو الذى قال:

تبا لشيطانى و ما سولا لا انزلنى اربلا

ثم قال:

قد تاب شيطانى و قد قال لى لاعدت أهجو بعدها اربلا

«فقد كفيته» فى (ايضاح الفضل بن شاذان) (٣): و رويم عن أبى خالد

ص: ٤٤٢

١- ١) النهايه للجزرى ٢: ٢٦٦. [١]

٢- ٢) المعجم ١٦٢: ١٦، فى عين بن يزيد.

٣- ٣) الايضاح لابن شاذان: ٤٢.

الأحمر عن مجالد عن الشعبي عن مسروق عن عايشه قالت: لعن الله عمرو بن العاص ما أكذبه لقوله: إنّه قتل ذا الشديه بمصر! قلت: و الظاهر أنّها قالت له لَمّا أخبرها أصحابه عليه السّلام -بعد رجوعهم من النهروان- كيفيه طلبه عليه السّلام لذى الشديه فى القتلى، كما يأتى فى الخبر السادس و السابع من أخبار الخطيب العشره.

هذا و روى (ذيل الطبرى) (١): أنّ الشياطين تحدّرت على النبىّ صلّى الله عليه و آله من الجبال و الأودية، و فيهم شيطان معه شعله نار يريد أن يحرق النبىّ صلّى الله عليه و آله ففزع و جاءه جبرئيل فقال له: قل أعوذ بكلمات الله التى لا يجاوزهن برّ و لا فاجر من شرّ ما خلق و برأ و ذرأ، و من شرّ ما ينزل من السماء، و من شرّ ما يعرج فيها، و من شرّ ما ذرأ فى الأرض، و من شرّ ما يخرج منها، و من شرّ فتن الليل و النهار، و من شرّ كلّ طارق إلّا طارقا يطرق بخير يا رحمان. فطفئت نار الشياطين و هزمهم الله.

«بصعقه» فى (النهايه): الصعق: الغشوه من صوت شديد و ربما مات منه، ثم استعمل فى الموت كثيرا.

«سمعت لها وجهه» أى: اضطراب.

«قلبه و رجّه» أى: اضطراب.

«صدره» .

قال ابن أبى الحديد (٢) شيطان الردهه: قال قوم: إنّه ذو الشديه صاحب النهروان، و رووا فى ذلك خبرا عن النبىّ صلّى الله عليه و آله يقولون: إنّ ذا الشديه لم يقتل بسيف و لكنّ الله رماه يوم النهروان بصاعقه. و قال قوم: إنّه أحد الأبالسه

ص: ٤٤٣

١-١ (١) تاريخ الطبرى ١١: ٥٩٢. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٧: ١٨٣. [٢]

بأقوام يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ثم لا- يرجعون فيه حتى يرجع السهم على فوقه، وأن آية ذلك أن فيهم رجلا- أسود مخدج اليد، إحدى يديه كئدي المرأة، بها حلمه كحلمه ثدى المرأة، حوله سبع هلبات، فالتمسوه فإني أراه فيهم. فالتمسوه فوجدوه في شفير النهر تحت القتلى، فأخرجوه فكثير علي عليه السلام و قال: صدق الله و رسوله. و كان عليه السلام متقلدا قوسا عربيه فأخذها بيده، و جعل يطعن بها في مخدجته، و كبر الناس حين رأوه و استبشروا، و ذهب عنهم ما كانوا يجدون.

الرابعة: و روى (1) في كثير أبي الحسن البجلي- الأحمسي- مسندا عنه قال: لما قتل علي عليه السلام أهل النهروان خطب فقال: ألا إن الصادق المصدق صلى الله عليه و آله حدثني أن هؤلاء القوم يقولون الحق بأفواههم لا يجاوز تراقيهم، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، ألا و إن علامتهم ذو الخداجه. فطلبه الناس فلم يجدوا شيئا فقال: عودوا فإني و الله ما كذبت. و لا كذبت فعادوا فجيء به حتى القي بين يديه، فنظرت إليه و في يديه شعرات سود.

الخامسة: و روى (2) في عباد بن نسيب أبي الوضيء مسندا عنه قال:

شهدت عليا عليه السلام يوم النهروان و هو يقول: اطلبوا المخدج فو الله ما كذبت و لا كذبت. و رواه ابن طلحه الشافعي عن مسند أبي داود- زاد- قال أبو الوضيء:

فكأنني أنظر إلى المخدج: حبشي عليه قريطق، إحدى يديه مثل ثدى المرأة، عليها شعرات مثل ذنب اليربوع.

السادسة: و روى (3) في عبد الله بن شداد بن الهاد مسندا: أن عبد الله دخل

ص: ٤٤٥

١- (١) الخطيب ١٢: ٤٨٠.

٢- (٢) الخطيب ١١: ١٠١.

٣- (٣) الخطيب ٩: ٤٧٤.

على عايشه مرجعه من العراق، ليالى قتل عليّ عليه السّلام فقالت له: هل أنت صادقى عما أسألك؟ ما شىء بلغنى عن أهل العراق يقولون: ذو الثدى ذو الثدى، هل رأيتَه و قمت مع عليّ عليه فى القتلى؟- إلى أن قال- فدعا عليّ عليه السّلام الناس فقال:

أ تعرفون هذا؟ فما أكثر من جاء يقول: قد رأيتَه فى مسجد بنى فلان يصلى.

و لم يأتوا فيه بثبت يعرف إلا ذاك-الخبر و فى النسخه سقط-.

السابعه: و روى (1) فى أبى قتاده الأنصارى: أن عليّا عليه السّلام لما فرغ من قتال النهروان قفل أبو قتاده و معه ستون أو سبعون من الأنصار، فبدأ بعائشه فقالت له: ما رواءك؟ فقال لها: لما تفرقت المحكمه من عسكره عليه السّلام لحقناهم فقتلناهم- إلى أن قال- فاقمنا ندور على القتلى حتى وقفت بغله النبىّ صلّى الله عليه و آله و عليّ عليه السّلام راكبها، فقال: أقبوا القتلى. فقلبناهم فى نهر حتى خرج فى آخرهم رجل أسود على كتفه مثل حلمه الثدى، فقال عليّ عليه السّلام: «الله أكبر و الله ما كذبت و لا كذبت، كنت مع النبىّ صلّى الله عليه و آله و قد قسّم فيئا، فجاء هذا فقال: يا محمد اعدل فو الله ما عدلت منذ اليوم. فقال: ثكلتك امك و من يعدل إذا لم أعدل؟ فقال عمر: إلا- أقتله؟ قال: لا- دعه فإن له من يقتله» فقالت عايشه: يا أبا قتاده ما يمنعنى ما بينى و بين عليّ أن أقول الحقّ: سمعت النبىّ صلّى الله عليه و آله يقول: تفرقت امّتى على فرقتين تمرق بينهما فرقه: محلّقون رؤوسهم، محفّون شواربهم، ازرهم إلى أنصاف سوقهم، يقرءون القرآن لا- يجاوز تراقيهم، يقتلهم أحبّهم إلىّ و أحبّهم إلى الله تعالى. قال أبو قتاده: فقلت: يا ام المؤمنين فأنت تعلمين هذا، فلم كان الذى كان منك؟ قالت: و كان أمر الله قدرا مقدورا و للقدر أسباب.

الثامنه: و روى (2) فى ابن عباس مسندا عنه قال: لما اصيب أهل

ص: ٤٤٦

١-١ (١) الخطيب ١٦٠:١.

١-٢ (٢) الخطيب ١٧٤:١.

النهر وان خرج عليّ عليه السّلام و أنا خلفه فجعل يقول: ويلكم التمسوه-يعنى:

المخدج-فالتمسوه و قالوا:لم نجده.فعرف ذلك فى وجهه،فقال:ويلكم ضعوا عليهم القصب.فجاءوا به فلّمّا رآه خرّ ساجدا.

التاسعه: و روى (1) فى أبى جحيفه السوائى مسندا عنه قال:قال عليّ عليه السّلام حين فرغنا من الحروريه:إنّ فيهم رجلا مخدجا ليس فى عضده عظم،عضده حلمه كحلمه الثدى عليها شعرات طوال عقف.فالتمسوه فلم يوجد،و أنا فى من يلتمس،فما رأيت عليا عليه السّلام جزع جزعا قط أشد من جزعه يومئذ،فقالوا:ما نجده.قال:ويلكم!ما اسم هذا المكان؟قالوا:النهر وان.قال:

صدق الله و رسوله و كذبتهم،إنّه لفيهم فالتمسوه.فالتمسناه فى ساقه فنظرت إلى عضده:ليس فيها عظم،و عليها حلمه كحلمه ثدى المرأه،عليها شعرات طوال عقاف.

العاشره:و روى (2) فى عبد الله بن خباب مسندا عن أبى الأحوص قال:

كنا مع عليّ عليه السّلام يوم النهروان فجاءت الحروريه،فكانت من وراء النهر فقال:

و الله لا يقتل اليوم رجل من وراء النهر-إلى أن قال-فما لبثوا أن قتلهم فقال:

اطلبوا فى القوم رجلا- يده كثدى المرأه.فطلبوه فقالوا:ما وجدنا.فقال:و الله ما كذبت و لا كذبت،و إنّه لفى القوم.ثلاث مرّات يجيئون فىقول لهم هذا القول،ثم قام هو بنفسه فجعل لا- يمرّ بقتلى جميعا إلّا- بحثهم،فلا يجده فيهم حتى انتهى إلى حفره من الأرض فيها قتلى كثير،فأمرهم فبحثوا فوجد فيهم.

و روى الطبرى (3) عن عبد الملك بن أبى جره:أنّ عليا خرج فى طلب ذى

ص: ٤٤٧

١-١ (١) الخطيب ١:١٩٩.

١-٢ (٢) الخطيب ١:٢٠٥.

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٥:٨٨. [١]

الثديه و معه سليمان بن ثمامه الحنفى - أبو جبره - و الزيان بن صبره بن هوده، فوجده الريان فى حفرة على شاطئ النهر فى أربعين أو خمسين قتيلًا فلما استخرج نظر إلى عضده، فإذا لحم مجتمع على منكبه كئدى المرأة له حلمه عليها شعرات سود، فإذا مدت امتدت حتى تحاذى طول يده الأخرى، ثم ترك فتعود إلى منكبه كئدى المرأة....

و روى (1) عن أبى مريم قال: كان على عليه السلام يحد ثنا قبل خروج الحرورية إلى حروراء: أن قومًا يخرجون من الإسلام، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، علامتهم رجل مخدج اليد. سمعت ذلك مرارًا و سمعه نافع المخدج أيضًا، حتى رأيت يتكره طعامه من كثره ما سمعه يقول، و كان نافع معنا يصلّى فى المسجد بالنهار و بيت فيه بالليل، و قد كنت كسوته برنسا فلقيته من الغد فسألته: هل كان خرج مع الناس الذين خرجوا إلى حروراء؟ فقال: خرجت أريدهم حتى إذا بلغت بنى سعد، لقينى صبيان فنزعوا سلاحى و تلعبوا بى فرجعت، حتى إذا كان الحول أو نحوه خرج أهل النهر و سار على عليه السلام إليهم، فلم أخرج معه و خرج أخى أبو عبد الله فأخبرنى: أن علينا عليه السلام سار إليهم حتى إذا كان حذاءهم على شط النهر وان أرسل إليهم يناشدهم الله و يأمرهم أن يرجعوا، فلم تزل رسله تختلف إليهم حتى قتلوا رسوله، فلما رأى ذلك نهض إليهم فقاتلهم حتى فرغ منهم، ثم أمر أصحابه أن يلتمسوا المخدج فطلبوه....

هذا، و صريح خبر الخطيب الأول كون ذى الثديه من الجن، و لم يره قبل أحد من الناس، و هو مفاد خبره السادس، و لكن خبره السابع تضمن أنه عليه السلام قال: إنه جاء إلى النبى صلى الله عليه و آله وقت تقسيم فىء و قال له: ما عدلت. كما أن خبر

ص: ٤٤٨

الطبرى الثانى تضمّن أنّه كان مع الناس يصلّى فى المسجد و اسمه نافع، و يمكن حمل الخبر الأخير من الخطيب على أنّه ظهر أيام النبىّ صلّى الله عليه و آله أيضا وقتا، ثم لم ير بعد. و أمّا خبر الطبرى الثانى فغير قابل للحمل، و رواه (سنن أبى داود) [\(١\)](#) مختصرا و قال: و اسمه عند الناس حرقوس.

و روى أيضا عن أبى سعيد الخدرى قال: بعث علىّ عليه السّلام إلى النبىّ صلّى الله عليه و آله بذهيه فى تربتها، فقسمها بين الأقرع الحنظلى و عيينه الفزارى و زيد الخيل الطائى و علقمه الكلابى، فغضبت قريش و الأنصار و قالت: يعطى صنديد أهل نجد و يدعنا. فقال: إنّما اتالفهم فأقبل رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناتىء الجبين، كثر اللحية، محلوق فقال: اتق الله يا محمّد. فقال: من يطع الله إذا عصيته؟ أ يأمنى الله على أهل الأرض و لا تأمنونى؟ فسأل رجل قتله -احسبه خالد بن الوليد- فمنعه فلما ولى قال: إنّ من ضئضىء هذا -أو فى عقب هذا- قوما يقرءون القرآن لا يجاوز حناجرهم، يمرقون من الإسلام مروق السهم من الرمية، يقتلون أهل الإسلام و يدعون أهل الاوثان، لئن أدركتهم قتلتهم قتل عاد.

«و لئن أذن الله فى الكره عليهم لاديلن منهم» فى (الصحيح): أدالنا الله من عدونا، من الدوله، و الإداله: الغلبه.

«إلا ما يتشدر فى أطراف البلاد تشدرا» أى: يتفرّق تفرّقا، و ليس (تشدرا) فى نسخه ابن ميثم [\(٢\)](#).

كتب معاويه -بعد قتل عثمان و انتقال الأمر إليه عليه السّلام- إلى عبد الله بن عامر: و كأنتى بكم يا بنى اميّه شعارير كأوراق تقودها الحداة، أو كرخم

ص: ٤٤٩

١-١) السنن لأبى داود. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ٤:٣٠٦. [٢]

الخدمه تذرق خوف العقاب، فشب الآن قبل أن يستسرى الفساد و ندب السوط جديد و الجرح لَمَا يندمل، و من قبل استضرء الأسد و التقاء لحييه على فريسته. و كتب إلى الوليد بن عقبه: فلو قد استتب هذا الأمر لمريده ألفت كشريد النعام، يفرع من ظل الطائر، و عن قليل تشرب الرنق، و تستشعر الخوف.

و مرّ في (٧) من الفصل التاسع عنوانان، و في (٨) منه عنوان، و في (٩) عنوان.

ص: ٤٥٠

الفصل الرابع و الثلاثون: في ما يتعلق بالفارات

اشاره

ص: ٤٥١

و من خطبه له عليه السّلام و قد تواترت عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاويه على البلاد، و قدم عليه عاملاه على اليمن، و هما عبيد الله بن عباس و سعيد بن نمران لما غلب عليهما بسر بن أبي أرطاه، فقام عليه السّلام على المنبر ضجرا بتناقل أصحابه عن الجهاد، و مخالفتهم له فى الرأى، فقال:

مَا هِيَ إِلَّا؟ الْكُوفَةُ؟ أَقْبَضُهَا وَ أَبْسِطُهَا- إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهْتُبُ أَعَاصِمَ يَرْكُ فَجَبَحِكَ اللَّهُ- وَ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ- لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو؟ إِنِّي عَلَى وَضْرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلٍ

ثُمَّ قَالَ عُ أَيُّنْتُ؟ بُسْرًا؟ قَدْ أَطْلَعْتُ؟ الْيَمَنَ؟- وَ إِنِّي وَ اللَّهُ لَأُظُنُّ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيِّدَ الْوَنِّ

مِنْكُمْ - بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَيَاطِلِهِمْ وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ - وَ بِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَ طَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ - وَ بِأَدَائِهِمْ
الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَ خِيَانَتِكُمْ - وَ بِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَ فَسَادِكُمْ - فَلَوْ ائْتَمَنْتُمْ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ - لَخَشِيتُمْ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ -
اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِئْتُهُمْ وَ سَيِّئْتُهُمْ وَ سَمُّونِي - فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَ أَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي - اللَّهُمَّ مِثْ قُلُوبِهِمْ كَمَا يُمَاتُ الْمَلْحُ فِي
الْمَاءِ - أَمَّا وَ اللَّهُ لَعَوْدْتُ أَنْ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ - مِنْ؟ بَنِي فِرَاسٍ بَنِي غَنَمٍ؟ - هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتُ أَتَاكَ مِنْهُمْ فَوَارِسٌ مِثْلُ أَرْمِيهِ
الْحَمِيمِ

- ثُمَّ نَزَلَ عَنِ الْمِثْبَرِ.

قال الشَّريف: «أقول: الأرميه جمع رمي، و هو السحاب، و الحميم هاهنا: وقت الصَّيف، و إنَّما خصَّ الشاعر سحاب الصَّيف بالذِّكر
لأنَّه أشدَّ جفولاً - و أسرع خفوفاً لأنَّه لا ماء فيه، و إنَّما يكون السحاب ثقيل السَّير بالماء، و ذلك لا يكون في الأكثر إلاَّ زمان
السَّتاء، و إنَّما أراد الشَّاعر وصفهم بالسَّرع إذا دعوا، و الإغاثة إذا استغيثوا، و الدليل على ذلك قوله: (هنالك لو دعوت أتاكَ
منهم)

«.

أقول: رواها (مروج المسعودي - مروج الذهب - ج ٣ ص ١٤٢ المسعودي) (١) مع اختلاف، روى عن المنقري عن عبد العزيز بن
الخطاب الكوفي عن فضيل بن مرزوق قال: لمَّا غلب بسر على اليمن - و كان قتله لا - بنى عبيد الله بن العباس، و لأهل مكه و
المدينه ما كان - قام على عليه السَّلام خطيباً ثم قال: «إنَّ بسر بن أرطاه قد غلب على اليمن، و الله ما أرى هؤلاء القوم إلاَّ سيغلبون
على ما في أيديكم، و ما ذلك بحق في أيديهم، و لكن بطاعتهم و استقامتهم (لمعاويه - ظ) و معصيتكم لي، و تناصرهم و
تخاذلكم،

ص: ٤٥٤

[١-١] مروج الذهب للمسعودي ١٤٢:٣. [١]

و إصلاح بلادهم و إفساد بلادكم، و تالله يا أهل الكوفة لو ددت أنى صرفتكم صرف الدينار العشره بواحد- ثم رفع يديه فقال- اللهم إننى قد مللتهم و ملونى و سئمتهم و سئمونى فأبدلنى بهم خيرا و أبدلهم بى شرًا منى. اللهم عجل عليهم بالغلام الثقفى الذىال الميال، يأكل خضراها و يلبس فرواها و يحكم فيها بحكم الجاهليه، لا يقبل من محسنها و لا يتجاوز عن مسيئها» و ما كان ولد الحجاج يومئذ.

و جعل البلاذرى غاره بسر الخامس من غارات معاويه، و روى عن أبى مخنف باسناده: أنه عليه السّلام لما بلغه خبر بسر سعد المنبر ثم قال: أما بعد فإنى دعوتكم عودا و بدءا و سرا و جهرا، فى الليل و النهار و الغدو و الآصال، فما زادكم دعائى إلا فرارا و إدبارا، أما ينفعكم العظه و الدعاء إلى الهدى؟ و إنى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم و لكئى- و الله- لا أرى إصلاحكم بفساد نفسى. إن من ذلّ المسلمين و هلاك هذا الدين أنّ ابن أبى سفيان يدعو الأشرار فيجاب، و أدعوكم- و أنتم الأفضلون الأخيار- فتراوغون و تدافعون! قول المصنف: «و من خطبه له عليه السّلام» و له عليه السّلام خطبه اخرى فى مسير بسر إلى اليمن، رواها (الإرشاد) (1) فقال: و من كلامه عليه السّلام فى استنفار القوم و استبطائهم عن الجهاد، و قد بلغه مسير بسر إلى اليمن: «أما بعد أيها الناس، فإنّ أوّل رفتكم و بدء نقضكم ذهاب اولى النهى و أهل الرأى منكم، الذين كانوا يلقون فيصدقون، و يقولون فيعدلون، و يدعون فيجيبون، و إنى و الله قد دعوتكم عودا و بدءا و سرا و جهرا، و فى الليل و النهار و الغدو و الآصال، ما يزيدكم دعائى إلا- فرارا و إدبارا، اما ينفعكم العظه و الدعاء إلى الهدى و الحكمه؟ و إنى لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم و لكئى- و الله- لا اصلحكم

ص: ٤٥٥

بفساد نفسى، و لكن أمهلونى قليلا فكأنكم -والله- بامرئ قد جاءكم يحرمكم و يعذبكم، فيعذب به الله كما يعذبكم! إن من ذل المسلمين و هلاك الدين أن ابن أبى سفيان يدعو الأزدال الأشرار فيجاب، و أدعوكم -و أنتم الأفضلون الأخيار- فتراوغون و تدافعون! و ما هذا بفعل المتقين»:

و الظاهر أن هذه الخطبه كانت فى أول مسير بسر و خطبه المتن فى آخره.

«و قد تواترت» قال ابن أبى الحديد (١): عدّه بعضهم من أغلاط الخاصه.

و قال: التواتر لا يكون إلا مع فترات، فقوله تعالى: «ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا» (٢) ليس المراد أنهم مترادفون، بل بين كل نبين فتره لأن تترى: من الوتر.

قلت: ممن قاله الثعالبي، و ليس كما قال، ففى خبر نعى محمّد بن أبى بكر إليه عليه السّلام حدثه الفزارى: أنه لم يخرج من الشام حتى قدمت البشراء من قبل عمرو بن العاص تترى -يتبع بعضها بعضا- بفتح مصر و قتل محمّد.

و فى (الأغانى) (٣) -قالت زوجه عبيد الله بن العباس فى ابنها اللذين قتلها بسر:

تتابع بين و لوله و بين مدامع تترى

«عليه الأخبار باستيلاء أصحاب معاويه على البلاد» فى (الطبرى) (٤):

فى سنه (٣٩) كان تفريق معاويه جيوشه فى أطراف على عليه السّلام فوجه النعمان بن بشير فى الفين إلى عين التمر، و بعث سفيان بن عوف فى سته آلاف إلى

ص: ٤٥٦

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ٣٣٣:١. [١]

٢-٢ (٢) المؤمنون: ٤٤. [٢]

٣-٣ (٣) الأغانى ٢٦٥:١٦. [٣]

٤-٤ (٤) تاريخ الطبرى ١٣٣:٥. [٤]

هيت و الأنبار و المدائن، و وَّجَّه عبد الله بن مسعده الفزارى فى ألف و سبعمائه رجل إلى تيماء، و وَّجَّه الضَّحَّاك بن قيس إلى واقصه و الأعراب و الثعلبيّه و القطقطانه .

«و قدم عليه عاملاه على اليمن» الأوّل على صنعاء اليمن، و الثانى على جند اليمن و جند أعظم من صنعاء .

«و هما عبيد الله بن عباس» هكذا فى (المصريه) (١) و الصواب: (العباس) كما فى (ابن أبى الحديد) (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

و فى (الإستيعاب) (٤): كان عبيد الله أصغر من أخيه عبد الله بسنه، استعمله علىّ عليه السّلام على اليمن و أمره على الموسم، فحج بالناس سنه (٣٦) و (٣٧)، و كان أحد الأجراد و كان يقال: من أراد الجمال و الفقه و السخاء فليأت دار العباس. الجمال للفضل و الفقه لعبد الله و السخاء لعبيد الله، و عبيد الله هو الذى ترك عسكر الحسن عليه السّلام و لحق بمعاويه.

«و سعيد بن نمران» كان سعيد من سبعة من أصحاب حجر نجوا من القتل، استشفع له إلى معاويه حمزه بن مالك، لكون كلّ منهما من همدان، فوهبه له.

و فى (الطبرى) (٥): لما أقبل الأعرور الذى بعثه معاويه لقتل حجر و أصحابه، قال كريم بن عفيف الخثعمى: حين رأى الأعرور يقتل نصفنا و ينجو نصفنا فقال سعيد بن نمران: اللهم اجعلنى ممّن ينجو و أنت عنه راض.

ص: ٤٥٧

١-١ (١) المصريه ٥٩:١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٣٢:١. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١٦:٢. [٢]

٤-٤ (٤) الإستيعاب ٤٣٠:٢. [٣]

٥-٥ (٥) تاريخ الطبرى ٢٧٤:٥. [٤]

و في (الإستيعاب) (١): كان سعيد كاتباً لعلّي عليه السّلام.

«لَمَّا غلب عليهما» هكذا في (المصريه) و الصواب: (عليها) أي: على اليمن كما في المدرك (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«بسر بن أبي أرتاه» كونه بسر بن أبي أرتاه في (الطبري (٢) و انساب البلاذري). و رواه عن أبي مخنف، و بعضهم جعله ابن أرتاه.

و روى البلاذري: أنّ بسراً لَمَّا قتل عمرو بن أراكه -خليفه عبيد الله بن عباس على اليمن- قال أبوه:

لعمري لقد اردى ابن أرتاه فارساً بصنعاء كالليث الهزبر إلى اجر

و في (الإستيعاب) (٣): بسر بن أرتاه بن أبي أرتاه عويمر بن عمران من عامر بن لؤي.

و فيه ذكر ابن الكلبي في (صفينه): أنّ بسراً بارز عليّاً عليه السّلام فطعنه عليّ عليه السّلام فصرعه فكفّ عنه، كما عرض له عليه السّلام مع عمرو بن العاص.

قال الحارث بن النضر السهمي:

أ فى كل يوم فارس ليس ينتهى و عورته وسط العجاجة بادية

يكف لها عنه على سنانه و يضحك عنه فى الخلاء معاويه

بدت أمس من عمرو فقنّع رأسه و عوره بسر مثلها حذو حاذيه

فقولا لعمرو ثم بسر ألا انظرا سيلكما لا تلقيا الليث ثانيه

و لا تحمدا إلا الحيا و خصا كما هما كانتا و الله للنفس واقيه

و إنّما انصرف عليّ عليه السّلام عنهما لأنّه كان يرى فى قتال الباغين عليه ألاّ

ص: ٤٥٨

١-١ (١) الإستيعاب ١٤: ٢.

٢-٢ (٢) تاريخ الطبري ١٣٩: ٥. [١]

٣-٣ (٣) الإستيعاب ١٥٤: ١. [٢]

يتبع مدبرا، إلا أن أبا حنيفة قال: إن انهزم الباغي إلى فئه أتبع و إلى غير فئه لم يتبع.

قلت: لا- يدري صاحب (الإستيعاب) ما يقول، فأبو حنيفة و غيره إنما عرفوا أحكام جهاد الباغيين من سيرته عليه السّلام مع أهل الجمل و صفين، فالنبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله لم يبيّن أحكامهم قولا و لا اتفق له ذلك فعلا، و إنما كف عن عمرو بن العاص و بسر بن أرطاه لأنهما كشفا دبرهما، لا أنهما أدبرا من الحرب.

و في (الإستيعاب) (١) عن أبي مخنف: لَمَّا تَوَجَّهَ بِسَرِّ بْنِ أَرطَاهِ إِلَى الْيَمَنِ هَرَبَ عَيْبِدُ اللهِ، فَأَتَى بِسَرَ بْنَ ابْنِي عَيْبِدِ اللهِ فَذَبَحَهُمَا، فَنَالَ أَمَّهُمَا مِنْ ذَلِكَ أَمْرَ عَظِيمٍ، فَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

يا من أحس بابنّي اللذين هما سمعى و عقلى فقلبى اليوم مزدهف

حدثت بسرا و ما صدقت ما زعموا من فعلهم و من الإثم الذى اقترفوا

أنحى على ودجى ابنى مرهفه مشحوده و كذاك الإثم يقترف

ثم وسوست فكانت تقف فى الموسم تنشده هذا الشعر، و تهيم على وجهها.

و فى (الأغانى) (٢) قال الاصمعى: و سمع رجل من أهل اليمن -و قد قدم مكة- امرأه عبيد الله تندب ابنيها اللذين قتلها بسر بن أرطاه بقولها: «يا من أحس...» فرق لها و اتصل ببسر حتى وثق به، ثم احتال لقتل ابنه فخرج بهما إلى وادى أوطاس، فقتلها و هرب، و قال:

يا بسر بسر بنى أرطاه ما طلعت شمس النهار و لا غابت على الناس

خير من الهاشميين الذين همو عين الهدى و سمام الأسواق القاس

ص: ٤٥٩

[١-١] الإستيعاب ١: ١٥٦.

[٢-٢] الأغانى ١٦: ٢٧٢.

ما ذا أردت إلى طفلي مولّه تبكى و تنشد من انكلت فى الناس

إمّا قتلتهما ظلما فقد شرقت من صاحبيك قناتى يوم أو طاس

فاشرب بكأسهما ثكلا كما شربت أمّ الصبيين أو ذاق ابن عباس

و فى (المروج) (١): كان علىّ عليه السّلام حين اتاه خبر قتل بسر ابنى عبيد الله دعا على بسر فقال: اللهم اسلبه دينه و عقله. فخرف حتى ذهل عقله و كان لا يفارقه السيف، فجعل له سيف من خشب، و جعل فى يديه زقّ منفوخ كلّمّا تخزّق أبدل، فلم يزل يضرب ذلك الزقّ بذلك السيف حتى مات ذاهل العقل يلعب بخرثه، و ربّما كان يتناول ثم يقبل على من يراه فيقول: انظروا كيف يطعمنى هذان الغلامان ابنا عبيد الله. و كان ربّما شدّت يدها إلى وراء منعا من ذلك، فأنجى ذات يوم فى مكانه ثم أهوى بفيه فتناول منه، فبادروا إلى منعه فقال: أنتم تمنعوننى و عبد الرحمن و قثم ابنى عبيد الله يطعمانى. مات فى أيام الوليد بن عبد الملك.

و فيه و فى (الأغانى) (٢): دخل عبيد الله يوما على معاوية و عنده بسر بن أرطاه، فقال له عبيد الله: أنت قاتل الصبيين؟ قال: نعم. قال: و الله لو ددت أنّ الأرض انبتتنى عندك يومئذ. فقال له بسر: قد أنبتتك الساعة. فقال عبيد الله: ألا سيف؟ فقال: هاك سيفى. فلما أهوى عبيد الله إلى السيف ليتناوله قبض معاوية على يد عبيد الله قبل أن يقبض على السيف، ثم أقبل على بسر فقال: أخزأك الله من شيخ قد كبرت و ذهل عقلك، تعمد إلى رجل موتور من بنى هاشم فتدفع إليه سيفك؟ إنك لغافل عن قلوب بنى هاشم، و الله لو تمكن من السيف لبدأ بى قبلك. قال عبيد الله: ذلك و الله أردت.

ص: ٤٦٠

[١-١] مروج الذهب للمسعودى ١٧٢:٣. [١]

[٢-٢] الأغانى ٢٧٢:١٦. [٢]

قال ابن أبي الحديد (١): إنَّ الذي هاج معاويه على تسريح بسر إلى اليمن:

أَنَّ قوما بصنعاء كانوا من شيعة عثمان يعظّمون قتله، و لكن لم يكن لهم رأس فبايعوا لعلّي عليه السّلام على ما فى أنفسهم، و عامله عليه السّلام على صنعاء يومئذ عبيد الله، و على الجند سعيد، فلمّا اختلف الناس عليه بالعراق، و قتل محمّد بن أبى بكر بمصر، و كثرت غارات أهل الشام دعوا إلى الطلب بدم عثمان، فبلغ ذلك عبيد الله فأرسل إلى وجوههم فقال: ما الذى بلغنى عنكم؟ قالوا: إنا لم نزل ننكر قتل عثمان و نرى مجاهدته من سعى عليه. فحبسهم فكتبوا إلى من بالجند من أصحابهم، فثاروا بسعيد و اخرجوه من الجند و أظهروا أمرهم، و خرج إليهم من كان بصنعاء و انضمّ إليهم كلّ من كان على رأيهم، و لحق بهم قوم لم يكونوا على رأيهم لكن ارادوا منع الصدقة، فالتقى عبيد الله و سعيد فقال عبيد الله لسعيد: لقد اجتمع هؤلاء و إنهم لنا لمقاربون، و إن قاتلناهم لا ندرى على من تكون الدبره؟ فهلتم فكتب إلى أمير المؤمنين عليه السّلام بخبرهم فكتب ذلك، فكتب عليه السّلام إليهما:

أتانى كتابكما تذكران خروج هذه الخارجه و تعظّمان من شأنها صغيرا، و تكثّران من عددها قليلا، و قد علمت أنّ نحب أفئدتكما و صغر أنفسكما، و عدم ثبات رأيكما و سوء تدبيركما هو الذى أفسد عليكم من لم يكن عليكم فاسدا، و جرّأ عليكم من كان عن لقائكما جانا، فإذا قدم رسولى عليكم فامضيا إلى القوم حتى تقرأ عليهم كتابى، و تدعواهم إلى حظهم و تقوى ربهم، فإن أجابوا حمدنا الله و قبلناهم، و ان حاربوا استعنا بالله عليهم و نابذناهم على سواء، إنّ الله لا يحب الخائنين.

قالوا: و قال عليه السّلام ليزيد بن قيس الأرحبى: ألا ترى إلى ما صنع قومك؟

ص: ٤٦١

فقال: إِنَّ ظَنِّي بقومى لحسن فى طاعتك، فإن شئت خرجت إليهم فكففتهم، وإن شئت كتبت إليهم فننظر ما يجيبون؟ وكتب عليه السلام إليهم: من عبد الله على أمير المؤمنين إلى من شاقّ و غدر من أهل الجند و صنعاء، أما بعد، فإننى أحمد الله الذى لا إله إلا هو الذى لا يعقب له حكم، ولا يرد له قضاء و لا يرد بأسه عن القوم المجرمين، و قد بلغنى تجزيكم و شقاقكم و إعراضكم عن دينكم بعد الطاعة و إعطاء البيعه، فسألت أهل الدين الخالص و الورع الصادق و اللب الراجح، عن بدء محرركم و ما نويتم به و ما أحمشكم له، فحدثت عن ذلك بما لم أر لكم فى شىء منه عذرا مبينا، و لا مقالا جميلا و لا حجة ظاهرة، فإذا أتاكم رسولى فتفرقوا و انصرفوا إلى رحالكم، أعف عنكم و أصفح عن جاهلكم و أحفظ قاصيكم و أعمل فيكم بحكم الكتاب، فإن لم تفعلوا فاستعدوا لعدو من جيش جمّ الفرسان، عظيم الأركان يقصد لمن طغى و عصى فتطحنوا كطحن الرحي، فمن أحسن فلنفسه و من اساء فعليها «و ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» (١).

و وجه الكتاب مع رجل من همدان فقدم عليهم بالكتاب فلم يجيبوه إلى خير، فقال لهم: إننى تركت أمير المؤمنين عليه السلام يريد أن يوجه إليكم يزيد بن قيس الأرحبى فى جيش كثيف، فلم يمنعهُ إلا انتظار جوابكم، فقالوا: نحن سامعون مطيعون إن عزل عنا هذين الرجلين: عبید الله و سعيد. فرجع و أخبره عليه السلام.

قالوا و كتب تلك العصابة- حين جاءهم كتاب على عليه السلام- إلى معاوية يخبرونه، و كتبوا فى كتابهم:

معاوى ألا تسرع السير نحونا نبايع عليا أو يزيد اليمانيا

فلما قدم كتابهم دعا بسر بن أبى أرطاه- و كان قاسى القلب فظا غليظا سفاكا للدماء، لا رافه عنده و لا رحمه- فأمره أن يأخذ طريق الحجاز و المدينة فصّلت

ص: ٤٦٢

(١) - (١): ٤٦.

و مكه حتى ينتهى إلى اليمن، وقال له: لا تنزل على بلد أهله على طاعه عليّ إلا بسطت عليهم لسانك، حتى يروا أنهم لا نجاء لهم و أنك محيط بهم، ثم اكفف عنهم و ادعهم إلى البيعه لى، فمن أبى فاقتله، و اقتل شيعه عليّ حيث كانوا.

قال: و روى الثقفى (١) عن نمير بن وعله عن أبى و داك قال: كنت عند عليّ عليه السّلام حين قدم عليه سعيد فعتب عليه و على عبید الله ألا يكونا قاتلا بسرا، فقال سعيد: قد و الله قاتلت و لكن ابن العباس خذلى و أبى أن يقاتل، و لقد خلوت به حين دنا منه بسر فقلت: إن ابن عمك لا يرضى منى و منك بدون الجدّ فى قتالهم. قال: لا و الله ما لنا بهم من طاقه. فقمتم فى الناس و قلت: من كان فى طاعتنا فالىّ. فأجابنى منهم عصابه فقاتلت بهم قتالا ضعيفا، و تفرّق الناس عنى فانصرفت.

قال: و قال الثقفى (٢): روى عوانه عن الكلبي: أنّ بسرا لما خرج من المدينه إلى مكه قتل فى طريقه رجالا و أخذ أموالا، و بلغ أهل مكه خبره فتنحى عنها عامّه أهلها، و تراضى الناس بشيبيه بن عثمان أميرا لما خرج قثم بن العباس -عامل عليّ عليه السّلام- عنها هاربا، فدخل مكه و خطبهم و قال: الحمد لله الذى أعزّ دعوتنا و أذلّ عدونا بالقتل و التشريد، هذا ابن أبى طالب بناحية العراق فى ضنك و ضيق قد ابتلاه الله بخطيئته و سلمه بجريرته، فتفرق عنه أصحابه ناقلين عليه و ولى الأمر معاويه الطالب بدم عثمان فبايعوا. و وجه رجلا - من قريش إلى تباله و بها قوم من شيعه عليّ عليه السّلام، و امر بقتلهم فأخذهم و كلّم فيهم و قيل له: هؤلاء قومك فكفّ عنهم حتى نأتيك بكتاب من بسر بأمانهم. فحبسهم و خرج منيع الباهلى من عندهم إلى بسر و هو بالطائف

ص: ٤٤٣

١-١) الغارات للثقفى ٢:٤١٩. [١]

٢-٢) الغارات للثقفى ٢:٤٠٨. [٢]

يستشفع إليه فيهم، فتحمل عليه بقوم من الطائف فكلموه فيهم و سألوه الكتاب بإطلاقهم، فوعدهم و مطلهم بالكتاب حتى ظن أنه قتلهم القرشى المبعوث لقتلهم، و أن كتابه لا- يصل إليهم حتى يقتلوا، ثم كتب لهم، فأتى منيع منزله و كان قد نزل على امرأه بالطائف و رحله عندها، فلم يجدها في منزلها فوطأ على ناقته بردائه و ركب، فسار يوم الجمعة و ليله السبت لم ينزل عن راحلته قط فأتاهم ضحوه و قد أخرج القوم ليقتلوا و استبطىء كتاب بسر فيهم، فقدم رجل منهم فضربه شامى فانقطع سيفه، فقال الشاميون بعضهم لبعض:

شيموا سيوفكم حتى تلين فهزوها. و تبصير منيع الباهلى بريق السيوف فالمع بثوبه، فقال القوم: هذا راكب عنده خبر فكفوا. و قام به بعيره فنزل عنه و جاء على رجليه يشدو، فدفع الكتاب إليهم فاطلقوا. و كان الرجل المقدم الذى ضرب فانكسر السيف: أخاه.

و خرج بسر من الطائف حتى مرّ بنى كنانه و فيهم ابنا عبيد الله بن العباس و أمهما فطلبهما، فدخل رجل من بنى كنانه- كان أبوهما أوصاه بهما- فأخذ السيف من بيته فخرج فقال له: بسر ما كنا أردنا قتلك فلم عرضت نفسك للقتل؟ قال: اقتل دون جارى اعذر لى عند الله و الناس. ثم شد على أصحاب بسر حاسرا و هو يرتجز:

آليت لا يمنع حافات الدار و لا يموت مصلتا دون الجار

الآفتى أروع غير غدار

فضارب بسيفه حتى قتل، ثم قدم الغلامان فقتلا، فخرج نسوه من بنى كنانه فقالت امرأه منهن: هذه الرجال تقتلها، فما بال الولدان؟ فوالله ما كانوا يقتلون فى جاهليه و لا إسلام، و الله إن سلطانا لا يشتد إلا بقتل الضرع الضعيف و الشيخ الكبير، و رفع الرحمه و قطع الأرحام، لسلطان سوء. فقال

بسر: و الله لهممت أن أضع فيكن السيف. قالت: و الله إنه لأحب إلي إن فعلت.

و أتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المدان و كان صهر العبيد الله بن العباس، و قتل ابنه مالكا ثم جمعهم و قال: يا أهل نجران يا معشر النصارى و إخوان القروء! أما و الله إن بلغنى عنكم ما أكره، لأعودن إليكم بالتي يقطع النسل و يهلك الحرث و تحرب الديار.

ثم سار حتى أتى أرحب فقتل أبا كرب و كان يتشيع، و يقال: إنه سيد من كان بالبادية من همدان، فقدّمه فقتله.

و أتى صنعاء و قد خرج عنها عبيد الله و استخلف عليها عمرو بن أراكه الثقفى، فمنع بسرا من دخوله و قاتله، فقتله بسر و دخل فقتل منها قوما، و أتاه و فد مأرب فقتلهم، فلم ينج منهم إلا رجل واحد رجع إلى قومه و قال: «انعى قتلانا شيوخا و شبانا».

ثم خرج من صنعاء فأتى أهل حبسان- و هم شيعة علي عليه السلام- فقاتلهم و قاتلوه، فهزمهم و قتلهم قتلا ذريعا.

ثم رجع إلى صنعاء فقتل بها مائه شيخ من أبناء فارس، لأن ابنى عبيد الله كانا مستترين فى بيت امرأه من أبناء فارس تعرف بابنه بزرج. و كان الذى قتل بسر فى وجهه ذلك ثلاثين ألفا، و حرق قوما بالنار.

قال ابن أبى الحديد (1): كان مسلم بن عقبه ليزيد و ما عمل بالمدينة فى وقعه الحره، كما كان بسر لمعاويه و ما عمل فى الحجاز و اليمن «و من أشبه اباه فما ظلم».

قلت: و معاويه أشبه صدّيقهم و فاروقهم، فكتب إلى محمد بن أبى بكر

ص: ٤٤٥

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٨: ٢. [١]

- كما في (المروج) (١) وغيره-: وقد كُنَّا و أبوك معنا في حياه نبينا نرى حق ابن أبي طالب لازما لنا و فضله ميرزا علينا، فلما اختار الله لنبية ما عنده و أتم له ما وعده و أظهر دعوته و افلج حجة قبضه إليه، فكان أبوك و فاروقه أول من ابتزه و خالفه و على ذلك اتفقا و اتسقا، ثم دعواه إلى انفسهما فابطأ عنهما و تلکأ عليهما، فهما به الهموم و أرادا به العظيم فيبيع و سلم لهما، و لا يشركانه في أمرهما و لا- يطلعانه على سرهما حتى قبضا و انقضی أمرهما- إلى أن قال- فخذ حذرک- یا بن أبی بکر- و قس شيرک بفتريک تقصر من أن توازی من تزن الجبال حلمه، الذي أبوك مهد مهاده و بنى ملكه و شاده، فإن يكن ما نحن فيه صوابا فأبوك أوله، و إن يكن جورا فأبوك أسه و نحن شركاؤه، و بهديه أخذنا و بفعله اقتدينا، و لو لا ما سبقنا إليه أبوك ما خالفنا ابن أبي طالب و أسلمنا له، لكننا رأينا أباك فعل ذلك فاحتدنا بمثاله و اقتدينا بفعاله، فعب أباك ما بدا لك أو دع.

و في (الإستيعاب) (٢): ذكر أبو عمرو الشيباني أن بسرا في هذه الخرجه أغار على همدان و قتل و سبى نساءهم، فكن أول مسلمات سبين في الإسلام.

و روى (الإستيعاب) مسندا عن أبي الرباب و صاحب له: أنهما سمعا أبا ذر يتعوذ في صلاه صلاها، فسألناه مم تعوذت؟ فقال: من يوم البلاء و يوم العوره- إلى أن قال- و أميا يوم العوره فإن نساء من المسلمات يسبين فيكشف عن سوقهن، فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتریت على عظم ساقها، فدعوت الله ألا- يدركني هذا الزمان، و لعلكما تدركانہ. قالوا: فقتل عثمان ثم أرسل معاويه بسرا إلى اليمن، فسبى نساء من المسلمات فأقمن في السوق.

ص: ٤٦٦

١- ١) مروج الذهب ٣: ٢١. [١]

٢- ٢) الإستيعاب ١: ١٥٧. [٢]

و في (الطبرى) (١): ممّا كان في سنه أربعين توجيه معاويه بسرا في ثلاثه آلاف من المقاتله إلى الحجاز، فذكر عن زياد البكائي عن عوانه قال:

أرسل معاويه بعد تحكيم الحكيمين بسرا- وهو رجل من بنى عامر بن لؤى- في جيش فسار حتى قدم المدينه، و عامل علىّ عليه السّلام على المدينه يومئذ أبو أيوب ففرّ و أتى الكوفه، فصعد بسر منبر المدينه و نادى: يا دينار يا نجار يا زريق شيخي شيخي! عهدي به بالامس فأين هو؟- يعنى عثمان-.

ثمّ قال: يا أهل المدينه لو لا ما عهد الّى معاويه ما تركت بها محتلما إلّا قتلته. ثم بايع أهل المدينه، و أرسل إلى بنى سلمه فقال: ما لكم عندى أمان حتى تأتونى بجابر بن عبد الله. فانطلق جابر إلى امّ سلمه و قال لها: ما ذا ترين، خشيت أن اقتل و هذه بيعه ضلاله؟ قالت: أرى أن تبايع. فأئى قد أمرت ابني عمر بن أبى سلمه أن يبايع، و أمرت ختنى عبد الله بن زمعه أن يبايع. فأتاه جابر فبايعه، و هدم بسر دورا بالمدينه ثم مضى حتى أتى مكه- إلى أن قال- و لقي بسر ثقل عبيد الله باليمن فذبح ابنه، و قيل: وجدهما عند رجل من بنى كنانه من أهل الباديه، فلمّا أراد قتلهما قال الكنانى: إن كنت قاتلتهما فاقتلنى معهما.

قال: أفعال. فبدأ به ثم بهما، و قيل: إنّ الكنانى قاتل عنهما حتى قتل.

و قتل في مسيره ذلك جماعه كثيره من شيعه علىّ عليه السّلام باليمن، و بلغ علينا عليه السّلام خبر بسر فوجّه جاريه بن قدامه فى ألفين، و وهب بن مسعود فى ألفين، فسار جاريه حتى أتى نجران فحرق بها، و أخذ ناسا من شيعه عثمان فقتلهم، و هرب بسر و أصحابه منه و اتبعهم حتى بلغ مكه، فقال لهم: بايعونا.

فقالوا: قد هلك أمير المؤمنين فلمن نبايع؟

ص: ٤٦٧

و في (الأغاني) (١): و مضى بسر من المدينة إلى مكة فقتل نفرا من آل أبي لهب، ثم أتى السراه فقتل من بها من أصحابه، و أتى نجران فقتل عبد الله بن عبد المदान الحارثي و ابنه، و كانا من أصحاب عبيد الله بن عباس - إلى أن قال - فسرح علي عليه السلام جاريه بن قدامه السعدي في طلبه فخرج مسرعا، فلما وصل المدينة انتهى إليه قتل علي عليه السلام و معه الحسن عليه السلام، فركب في السلاح و دعا أهل المدينة إلى البيعه للحسن عليه السلام فامتنعوا، فقال: و الله لتبايعن و لو باستاهكم.

فلما رأى أهل المدينة ذلك بايعوا الحسن عليه السلام

«فقام عليه السلام على المنبر» هكذا في المصريه (٢) و الصواب: (إلى المنبر) كما في (ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم (٤)).

«ضجرا بتناقل أصحابه عن الجهاد و مخالفتهم في الرأي» قال ابن أبي الحديد (٥): روى (غارات الثقفي) (٦) عن يزيد بن جابر الأزدي قال: سمعت عبد الرحمن بن مسعده الفزاري يحدث في خلافة عبد الملك قال: لما دخلت سنه أربعين تحدت الناس بالشام أن عليا يستنفر الناس بالعراق فلا ينفرون، و تذاكروا أن قد اختلفت أهواؤهم و وقعت الفرقة بينهم، فقامت في نفر من أهل الشام إلى الوليد بن عقبه فقلنا له: إن الناس لا يشكون في اختلاف الناس على علي بالعراق، فادخل إلى صاحبك فمره فليسر بنا إليهم قبل أن يجتمعوا بعد تفرقهم، أو يصلح لصاحبهم ما قد فسد عليه من أمره. فقال: لقد قاوتته في ذلك

ص: ٤٤٨

١- ١ (١) الأغاني ٢٧١: ١٦. [١]

٢- ٢ (٢) الطبعه المصريه ٥٩: ١.

٣- ٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ٣٣٢: ١. [٢]

٤- ٤ (٤) شرح ابن ميثم ١٧: ٢.

٥- ٥ (٥) شرح ابن أبي الحديد ٦: ٢. [٣]

٦- ٦ (٦) الغارات للثقفى ٥٩٩: ٢. [٤]

و راجعته حتى لقد برم بي، و ايم الله على ذلك ما ادع ان ابلغه ما مشيتم إلى فيه.

فدخل عليه فخبّره بمجئنا إليه و مقاتلنا له، فأذن لنا فدخلنا عليه فقلنا: هذا خبر في الناس سائر فشمّر و اهتبل الفرصه، فإنك لا تدري متى تقدر على عدوك.

فقال: إن هؤلاء الذين يذكرون تفرّقهم على صاحبهم و اختلاف أهوائهم لم يبلغ عندي بهم أن أكون أطمع في استيصالهم، و أن أسير إليهم مخاطرا بجندي لا أدري على تكون الدائره أم لي؟ فإنّي آخذ بكم في وجهه هو أرفق و أبلغ في هلاكهم، قد شننت عليهم الغارات من كل جانب، فخلي مّرّه بالجزيره و مّرّه بالحجاز، و قد فتح الله ما بين ذلك: مصر، عزّ بفتحها ولينا و أذل به عدونا و أشراف أهل العراق لّمّا يرون من حسن صنيع الله لنا يأتونا على قلائصهم في كل أيام، و هذا ممّا يزيدكم و ينقصهم و يقويكم و يضعفهم، فلا تعجلوا فإنّي لو رأيت فرصه لاهتبلتها. فخرجنا من عنده و نحن نعرف الفضل في ما ذكر. و بعث عند خروجنا من عنده بسرا إلى اليمن و قال له: تمّر بالمدينه - إلى أن قال - فقال الوليد: أشرنا على معاويه برأينا أن يسير إلى الكوفه، فبعث الجيش إلى المدينه، فمثلنا و مثله كما قال الأؤل: اربها السهي و تريني القمر. فبلغ ذلك معاويه و قال: و الله لقد هممت بمساءه هذا الأحق الذي لا يدري و لا يحسن سياسه الامور .

«فقال» هو توكيد بعد قوله: «و من خطبه له» و زاد ابن ميثم (1) و ابن أبي الحديد (2): «عليه السلام» بعده.

قوله عليه السلام: «ما هي» أي: مملكتي أو بلادى، و قال ابن ميثم (3): الضمير

ص: ٤٦٩

١-١ شرح ابن ميثم ٢:١٧.

٢-٢ شرح ابن أبي الحديد ١:٣٣٢.

٣-٣ شرح ابن ميثم ٢:١٩.

للكوفه و لا معنى له.هذا،و كذلك صار الأمر فى أواخر العباسيين.

ففى (الدميرى)فى خلافه الراضى بن المقتدر:كانت البصره و واسط و الأهواز فى يد عبد الله البريدى و أخويه،و فارس فى يد عماد الدوله بن بويه، و الموصل و ديار بكر و ديار ربيعه و ديار مضر فى يد بنى حمدان،و مصر و الشام فى يد الاخشيد بن طغج،و المغرب و إفريقيا فى يد المهدي،و الأندلس فى يد بنى اميّه،و خراسان و ما والاها فى يد نصر بن أحمد السامانى، و اليمامه و هجر و البحرين فى يد أبى طاهر القرمطى،و طبرستان و جرجان فى يد الديلم،و لم يبق فى يد الراضى سوى بغداد و ما والاها.

«إلّا-الكوفه» قال الحموى:سمّيت الكوفه كوفه لاستدارتها،أخذنا من قولهم:رأيت كوفانا-بالضم و الفتح-لرمله المستديره،و قيل:لاجتماع الناس بها،من قولهم:تكوّف الرمل.و قيل:من قولهم:القوم فى كوفان،أى:فى بلاء و شرّ أو أمر يجمعهم.و قيل:من قولهم:اعطيت فلانا كيفه،أى:قطعه،فأعلت، و قيل:سمّيت بجبل صغير فى وسطها كان يقال له:كوفان،و عليه اختطت مهره موضعها.و قيل:سمّيت بموضعها لأنّ كلّ رمله يخالطها حصباء تسمى كوفه.و قيل:لأنّ جبل ساتيد ما يحيط بها كالكفاف عليها.

قلت:الأخير باطل قطعاً لأنّ(الكوف)غير(الكف)و الثانى و الثالث و الرابع ظاهراً،فكلّ بلد يجتمع فيه الناس و لم يكونوا فى بلاء،و لا موجب لمعنى القطعه.

و فى (الجمهره)قال المفضل:قال سعد:لما ارتاد للناس موضع الكوفه كوّفوا هذا الرمل،أى:نحو ارمله.

فى (المعجم)كتب عمر إلى سعد:أن اختط موضع المسجد الجامع على عده مقاتلتكم،فخطّ على أربعين ألف إنسان،فلما قدم زياد زاد فيه عشرين

ألف إنسان، وجاء بالآجر و جاء بأساطينه من الأهواز، و ذكر بشر مولى بنى أميه قدر الكوفه فكانت سته عشر ميلا و ثلثى ميل.

«أقبضها و أبسطها» قال ابن ميثم (١) -و تبعه الخوئي -: «أقبضها و أبسطها» خبر ثان لقوله: «ما هي» أو خبر ل(أنا)محذوف.

قلت: بل بدل اشتغال لقوله: «الكوفه» نظير قوله تعالى: «يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ الْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ» (٢) و لو كان خبرا ثانيا لكان معنى «ما هي إلا الكوفه» تاما و ليس كذلك، فكان تحت يده عليه السلام بلاد العراق و الحجاز و اليمن كلها، فكيف يقول: «ما هي إلا الكوفه» و إنما المراد: ما هي إلا قبض الكوفه و بسطها.

قال ابن ميثم (٣): «أقبضها و أبسطها» كناية عن وجوه التصرف فيها.

قلت: بل كناية واحده.

و قال الخوئي: يحتمل أن يكون المراد: عدم التمكن التام من التصرف في الكوفه، كمن لا يقدر على لبس ثوب بل على قبضه و بسطه.

قلت: بل لا مجال لـ ما ذكر، و إنما المراد: أن استيلاءه التام منحصر بالكوفه مركزه، كما يشهد له قوله عليه السلام بعد: «ان لم تكوني إلا أنت فبحكك الله» و لذا كان معاويه لا يجسر أن يغير عليها، كما في باقى البلاد مما بيده عليه السلام.

و قد عرفت في خبر الثقفى المتقدم تصريح معاويه لمن أشار عليه بقصد الكوفه بذلك.

«إن لم تكوني إلا أنت» في (الأغانى) (٤): بعث معاويه بعد تحكيم الحكيم

ص: ٤٧١

١-١ شرح ابن ميثم ٢:١٧.

٢-٢ البقره: ٢١٧. [١]

٣-٣ شرح ابن ميثم الأغانى ٢:١٩.

٤-٤ (٤) ٢٦٦:١٦.

بسر ابن أرطاه و الضحّاك بن قيس الفهري و غيرهما كلّاً في جيش، و أمرهم ان يسيروا في البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعة عليه السلام و أصحابه، و أن يغيروا على ساير اعماله و يقتلوا أصحابه، و لا يكفّوا أيديهم عن النساء و الصبيان.

«تهبّ أعاصيرك» جمع الإعصار: ريح تثير الغبار فترتفع إلى السماء كأنه عمود، قال الشاعر في نعامه و ظليم أرادا الرواح إلى يرضهما سريعاً:

إذا اجتهدا الترويح مدا عجاجه أعاصير ممّا تستشير خطأهما

و الجملة معترضه لبيان مزيد عيها، فإنّ هبوب الرياح و الأعاصير دائماً في بلد عيب له، و قالوا إنّ قريه (اجر) ذات عيوب، منها: ريحها العاصفه، فقالوا: إذا جئت اجر فعجل، فإنّ فيه حجراً يبرى و أسدا يفرى و ريحا تدرى.

و قال مطيع بن اياس في بغداد:

بلده يمطر التراب على الناس كما يمطر السماء الرذاذا

«فقتبحك الله» أى: أبعدك الله، و قال ابن أبى الحديد (١): معنى قوله عليه السلام: «ان لم تكونى إلاّ- أنت تهبّ أعاصيرك فقتبحك الله»: ان لم يكن لى من الدنيا ملك إلاّ ملك الكوفه ذات الفتن و الآراء المختلفه فأبعدها الله، شبه عليه السلام ما كان يحدث من أهلها من الإختلاف و الشقاق بالأعاصير لإثارتها التراب. و تبعه الخوئى.

و هو كما ترى، فجعله قوله عليه السلام: «تهبّ أعاصيرك» استعاره تحتاج إلى قرينه و لا قرينه .

«و تمثل بقول الشاعر» كذا فى (المصريه) (٢) و هو غلط و الصواب: (ثم

ص: ٤٧٢

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٣٤٢:١-٣٤٣. [١]

٢- ٢) الطبعه المصريه ١:٦٠.

تمثل) بدون زيادة كما في (ابن أبي الحديد (١) و ابن ميثم (٢) و كذا (الخطبه).

«لعمر أبيك الخير يا عمرو إننى على وضر- من ذا الإناء- قليل»

الوضر:

الدسم، قال الشاعر:

أباريق لم يعلق بها و ضر الزبد

و عن أبي عمرو: الوضر: ما يشمه الإنسان من ريح يجده من طعام فاسد. و (قليل): صفة (وضر)، و الأصل: على و ضر قليل من هذا الإناء.

و لَمَّا عصى أهل قلعه ارمشت- قرب جزيره ابن عمر شرقى دجله الموصل على جبل الجودى- على المعتضد و تحصّوا بها قصدوا بنفسه، فلَمَّا افتتحها- بعد أن أعيت أصحابه- و شاهد قلّه دخلها أمر بخرابها، و انشد فيها:

إنّ أبا الوبر لصعب المقتنص و هو إذا حصّل ريح فى قفص

و نظير ما تمثّل به عليه السلام قول آخر:

و أصبحت من ليلى الغداه كناظر مع الصبح فى أعقاب نجم مغرب

و قول الوزير المغربى:

كفى حزنا أنّى مقيم ببلده يعللنى بعد الأحبه داهر

أى: عبده.

يحدّثنى ممّا يجمع عقله أحاديث منها مستقيم و حائر

و قول الآخر:

و أصبحت من ليلى الغداه كقابض على الماء خائنه فروج الأصابع

ص: ٤٧٣

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٣٣٢:١. [١]

[٢-٢] شرح ابن ميثم ١٧:٢. [٢]

«ثم قال عليه السلام» ليست الفقرة في نسخه ابن ميثم (١).

«انبت» أي: اخبرت.

«بسرا قد اطلع» افتعل من (طلع) و الأصل من قولهم: طلع الكوكب.

«اليمين، و إني و الله لأظنّ أنّ» هكذا في (المصريه) (٢) و كلمه (أنّ) زائده لعدم وجودها في (ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم و الخطيه).

«هؤلاء القوم» أي: أهل الشام.

«سيدالون منكم» أي: يغلبونكم و يصير إليهم الدوله منكم .

«باجتماعهم على باطلهم و تفرقكم عن حركم» في (صفين نصر) (٤): لما قتل عثمان خرجت الرّكبان إلى الشام بقتله، فبينما معاويه إذ اقبل رجل متلفف فكشف عن وجهه و خاطبه بالامر و قال: أ تعرفني؟ قال: نعم، أنت الحجاج بن خزيمه، فأين تريد؟ قال: إليك القربان أنعي إليك ابن عفّان، إنك تقوى على عليّ بدون ما يقوى به عليك، لأنّ معك قوم لا يقولون إذا قلت و لا يسألون إذا امرت، و أنّ مع عليّ قوم يقولون إذا قال و يسألون إذا أمر، فقليل ممّن معك خير من كثير ممّن معه.

و كتب ابن عامر إلى معاويه في حثه على الطلب بدم عثمان: إنّ الناس في هذا الأمر تسعه لك، و واحد عليك .

«و بمعصيتكم إمامكم في الحقّ و طاعتهم إمامهم في الباطل». في (صفين نصر) (٥): بويع معاويه على الخلافة، فبايعه الناس على كتاب الله و سنه نبيّه

ص: ٤٧٤

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٢: ١٧. [١]

٢-٢ (٢) المصريه ١: ٦٠.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١: ٣٣٢. [٢]

٤-٤ (٤) صفين لنصر بن مزاحم: ٧٧. [٣]

٥-٥ (٥) صفين لنصر بن مزاحم: ٨٠. [٤]

فأقبل مالك بن هبيرة الكندي فقام خطيباً-و كان غائباً من البيعة-فقال لمعاوية:أخرجت هذا الملك و أفسدت الناس و جعلت للسفهاء مقالاً-و قد علمت العرب أنا حيّ فعال و لسنا بحي مقال،و أنا نأتى بعظيم فعالنا على قليل مقالنا، فأبسط يدك اباعك على ما أحيينا و كرهننا.فكان أول العرب بايع عليها.

و قال الزبرقان السكوني في ذلك:

معاوى أخذت الخلافة بالتي شرطت فقد بوى لك الملك مالك

بيعه فصل ليس فيها غميزه ألا كل ملك ضمّه الشرط هالك

و كانت كبيت العنكبوت مذبذبا فأصبح محجوبا عليه الأرائك

و أصبح لا يرجوه راج لعلّه و لا تنتحي فيه الرجال الصعالك

و ما خير ملك يا معاوى مخدج تجرّع فيه الغيظ و الوجه حالك

إذا شاء رده السكون و حمير و همدان و الحي الخفاف السكاسك

«و بادئهم الأمانه إلى صاحبهم و خيانتكم» و زاد ابن أبي الحديد (1):

«لصاحبكم».

«و بصلاهم في بلادهم و فسادكم» في (كامل المبرد) (2):قال معاوية أعنت على عليّ بأربع:كنت رجلا أكرم سرى و كان رجلا ظهره،و كنت في أطوع جند و أصلحه و كان في أخبث جند و أعصاه،و تركته و أصحابه الجمل،و قلت:إن ظفروا به كانوا أهون عليّ منه،و إن ظفر بهم اعتدت بها عليه في دينه،و كنت أحب إلى قريش منه،فيا لك من جامع لى و مفترق عنه.

و في (الطبرى) (3):بعث عليّ عليه السّلام في اجتماع الحكّمين أربعمائه رجل

ص:٤٧٥

١- (١) ابن أبي الحديد ٣٣٢:١. [١]

٢- (٢) الكامل للمبرد ٢٣:٢. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ٦٧:٥. [٣]

عليهم شريح بن هانئ الحارثي، وبعث معهم ابن عباس و هو يصلي بهم و يلي امورهم، و أبو موسى معهم، و بعث معاويه عمرو بن العاص في أربعائه من أهل الشام حتى توافوا بدومه الجندل، فكان معاويه إذا كتب إلى عمرو جاء الرسول و ذهب لا يدري بما جاء به و لا- بما رجع به، و لا يسأله أهل الشام عن شيء، و إذا جاء رسول علي عليه السلام جاءوا إلى ابن عباس فسأله: ما كتب إليك؟ فإن كتم ظنوا به الظنون، و قالوا: ما نراه إلا كتب بكذا و كذا. فقال لهم ابن عباس: أما ترون رسول معاويه يجيء لا يعلم بما جاء به و يرجع لا يعلم بما رجع به، و لا يسمع لهم صياح و لا لغط، و أنتم عندي كل يوم تظنون بي الظنون! «فلو ائتمت احدكم على قعب» أي: قدح من خشب مقعر. و من أمثالهم:

اتاك ريان بقعب من لبن «لخشيت أن يذهب بعلاقته» بالكسر، أي: حبله .

«اللهم إني قد مللتهم» هكذا في (المصريه) (١) و سقط منها: «و ملوني» كما يشهد به ابن أبي الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و (الخطيه).

«و سئمتهم و سئموني» في (مقاتل أبي الفرج) (٤): لما قرب أن يغلب أبو السرايا على هرثمه صاح هرثمه: يا أهل الكوفه إن أحببتم إخراج الأمر من ولد العباس، انصبوا إمامكم و اتفقوا معنا نتناظر فيه، و لا تقتلونا و أنفسكم.

فأمسك أهل الكوفه عن الحرب فغضب أبو السرايا و قال لهم: إن هذه حيله منهم فاحملوا عليهم. فقالوا: لا يحل لنا قتالهم: فقال: يا أهل الكوفه يا قتله علي

ص: ٤٧٦

١-١ (١) الطبعة المصريه ١:٦١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١:٣٣٢. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢:١٧.

٤-٤ (٤) مقاتل لأبي الفرج: ٣٦٣.

و خذله الحسين إن المغتر بكم لمغرور، و إن المعتمد على نصركم لمخدول، و إن الذليل لمن اعزتموه، و الله ما حمد عليّ أمركم في حمده و لا رضى مذهبكم، و لقد حكّمكم فحكمتم عليه، و ائتمنكم و ختمت أمانته، و وثق بكم فحلتم عن ثقته ثم لم تنفكوا عليه مختلفين و لطاعته ناكثين، إن قام قعدتم و إن قعدتم، و إن تقدّم تأخرتم و ان تأخر تقدتمت خلافا عليه و عصيانا لأمره، حتى سبقت فيكم دعوته و خذلكم الله بخذلانكم إياه .

«فأبدلني بهم خيرا» عن (غارات الثقفى) (1) قال أبو صالح الحنفى: رأيت عليّ عليه السّلام يخطب و قد وضع المصحف على رأسه، حتى رأيت الورق يتقعقع على رأسه و هو يقول: اللهم قد منعوني ما فيه فأعطني ما فيه. اللهم قد أبغضتهم و أبغضوني و مللتهم و ملونى، و حملوني على غير خلقى و طبيعتى، و أخلاق لم تكن تعرف لى. اللهم فأبدلني بهم خيرا

«و أبدلهم بى شرّاً» فى (تنبيه البكرى) على (أوهام القالى) قال أبو العباس:

كان عليّ عليه السّلام يأخذ البيعه على أصحابه فجعلوا يقولون: نعم- يريدون نعم- فقال عليّ عليه السّلام: إن النعام و الباقى فى الصحراء لكثير، ما لكم؟ أبدلكم الله منى من هو شرّ لكم منى، و أبدلنى الله منكم من هو خير لى منكم.

و فى خطبه أبى السرايا المتقدمه: اما و الله لاستبدلن بكم قوما يعرفون الله حق معرفته، و يحفظون محمدا صلّى الله عليه و آله فى عترته- ثم قال:-

و مارست أقطار البلاد فلم أجد لكم شبيها فى ما وطئت من الأرض

خلافا و جهلا و انتشار عزيمة و وهنا و عجزا فى الشدائد و الخفض

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوه فلا فيكم راض و لا فيكم مرضى

سابع دارى عن قلى من دياركم فذوقوا إذا وليت عاقبه النقص

ص: ٤٧٧

و مرَّ أن (المروج) روى: أنه عليه السلام قال بعد قوله: «و أبدلهم بى شراً منى»:

«اللهم عجل عليهم بالسلام الثقفى الذئال الميال، يأكل خضراها و يلبس فرواها و يحكم فيها بحكم الجاهليه، لا يقبل من محسنها و لا يتجاوز عن مسيئها» يعنى عليه السلام: الحجاج. و ما كان الحجاج ولد يومئذ.

قال ابن ابي الحديد (1): بعد قوله عليه السلام: فأبدلنى بهم خيرا منهم و أبدلهم بى شراً منى: «لم يكن خير فيهم و لا شر فيه عليه السلام، و إن أفعل هاهنا بمنزله قوله تعالى: «أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» (2)، و قوله تعالى: «أَذَلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ» (3).

قلت: (أفعل) إذا كان بعده (من) يكون للافضليه لا- غير، بخلاف ما إذا لم يكن، و فى آلايتين لم تكن (من) بخلاف كلامه عليه السلام، و إنما كلامه عليه السلام بمنزله قوله تعالى: «و جزاء سيئه سيئه مثلها» (4)، مع أن الجزاء ليس بسيئه، و إنما اطلق عليه السيئه لكونه فى شكل السيئه و على صورتها، و حيث إنه عليه السلام كان يكلفهم بجهاد العدو و يؤنبهم على تقاعدهم - و كان ذلك كلفه عليهم - فكأنهم اعتقدوا أن فيه عليه السلام شراً بذلك، فدعا عليه السلام عليهم أن يبدلهم الله منه عليه السلام بمن لم يقنع منهم على التحريض و التأنيب، بل ينكلهم باقسام النكال، كزياد و ابنه عبيد الله و الحجاج و ابن عمه يوسف بن عمر.

و أما قول ابن ميثم (5) و الخوئى: «يحتمل أن يكون المراد بمن هو شر غيرى» ففى غايه السقوط.

ص: ٤٧٨

١- ١) شرح ابن ابي الحديد ١: ٢٤٧. [١]

٢- ٢) فصلت: ٤٠. [٢]

٣- ٣) الفرقان: ١٥. [٣]

٤- ٤) الشورى: ٤٠. [٤]

٥- ٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٧.

«اللهم مث قلوبهم كما يماث الملح في الماء» أى: كما يذاب فيه. اقتدى عليه السَّلام في الدعاء عليهم بنبيى: ن نوح عليه السَّلام حيث قال: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَيَّ الْأَرْضِ مِنَ الْكَاْفِرِينَ دَيَّارًا» (١)، و موسى عليه السَّلام حيث قال: «رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَيَّ أَمْوَالِهِمْ وَ اشْدُدْ عَلَيَّ قُلُوبَهُمْ» (٢). و أشار أبو السرايا إلى دعائه عليه السَّلام عليهم فى قوله:

لقد سبقت فيكم إلى الحشر دعوه

كما مرّ، و يحتمل أن يكون أبو السرايا أشار إلى دعاء الحسين عليه السَّلام عليهم، فإنّه عليه السَّلام أيضا دعا على أهل الكوفه كأبيه، و يقرّ به مصراعه الأخير:

فلا فيكم راض و لا فيكم مرضى.

فإنّه عليه السَّلام دعا عليهم بعدم رضاء الولاه عنهم .

«أما و الله لوددت أن لي بكم ألف فارس» قال رجل من بنى العنبر:

فليت لي بهم قوما إذا ركبوا شتوا الإغاره فرسانا و ركبانا

لا يسألون أحاهم حين يندبهم فى النائبات على ما قال برهانا

لكن يطبرون أشتاتا إذا فزعوا و ينفرون إلى الغارات و حدانا

و من هذه الأبيات:

لو كنت من مازن لم تستبح إبلى بنو اللقيطه من ذهل بن شيانا

إذن لقام بنصرى معشر خشن عند الكريهه إن ذو لوته لانا

قوم إذا الشر أبدى ناجذيه لهم طاروا إليه زرافات و وحدانا

لكنّ قومي -و إن كانوا ذوى عدد- ليسوا من الشرّ فى شىء و إن هانا

يجزون من ظلم أهل الظلم مغفره و من إساءه أهل السوء إحسانا

كأنّ ربك لم يخلق لخشيتيه سواهم من جميع الناس إنسانا

ص: ٤٧٩

و فى (اللسان) قال عبيد بن الأبرص:

دعا معاشر فاستگت مسامعهم يا لهف نفسى لو يدعو بنى أسد

و فى (الجمهره) قال الراجز:

لقد علمت يا بن امّ صحصح أننا إذا صبح بنا لم نبرح

حتى ترى جماجما تطوح إن الحديد بالحديد يقلح

أى: يشقّ و يقطع.

«من بنى فرس» هكذا فى (المصريه) (١) و الصواب: (فراس) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«بن غنم» -بالفتح فالسكون-: حى فى كنانه، و قال ابن قتيبه: و من بنى فراس بن غنم بنو القعقاع بن حكيم الذين يكونون بالبصره، و منهم بنو بحر الأطباء بالكوفه.

و فى (العقد) (٤): و بنو مالك من كنانه بطن، منهم: جندل الطعان، و من ولد جندل الطعان ربيعه بن مكدم، و هو أشجع بيت فى العرب، و فيهم يقول على عليه السلام لأهل الكوفه: «وددت -و الله- أن لى بمائه ألف منكم ثلاثمائه من فراس بن غنم بن ثعلبه».

و فى (البيان) (٥): قالت امرأه من غامد فى هزيمه ربيعه بن مكدم لغامد وحده:

ألا هل أتاها على نايها بما فضحت قومها غامد

ص: ٤٨٠

١-١ (١) الطبعه المصريه ١:٦١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٣٣٣:١.

٣-٣ (٣) ابن ميثم ١٧:٢.

٤-٤ (٤) العقد ١٠٥:١.

٥-٥ (٥) البيان ٢٦٨:١. [١]

فليت لنا بارتباط الخيول ضانا لها حالب قاعد

وربيعه بن مكدم هو الذي قالوا فيه: هو حامى الطعن حيا و ميتا، و لم يحم ميت الحریم غيره، عرض له فارسان من بنى سليم و معه طعائن من أهله يحميهم وحده، فطاعنهم فرماه أحدهما بسهم أصاب قلبه، فنصب رمحه فى الأرض و اعتمد عليه و هو ثابت فى سرجه، و أشار إلى الطعائن بالرواح فسرنا حتى بلغنا بيوت الحى، و بنو سليم قائم بإزائه لا يقدمون عليه و يظنونه حيا حتى قال قائل منهم: إني لا أراه إلا ميتا و لو كان حيا لتحرك. فرموا فرسه بسهم فوثبت فوقه، و فاتتهم الطعائن.

هذا و فى السمعاني: فراس بن غنم بن مالك بن كنانة. مع أنه فراس بن غنم بن ثعلبه بن مالك بن كنانة كما فى (العقد).

و فى (ابن أبى الحديد) (1) فى طبعين منه: «و بنو فراس بن غنم بن خزيمه بن مدركه بن الياس بن مضر» و لا- معنى له، و لعل (بن خزيمه) مصحف (من خزيمه) بالميم، مع أنه كالتعريف بالجنس البعيد، فإنهم قالوا: إن فراسا من كنانة و هو جعله من أبيه خزيمه.

و فى (ابن ميثم): «و فراس ابن غنم بن تغلب بن وائل» و هو خطأ منه فإنه من غنم كنانة لا- غنم تغلب، و منشأ خطئه اقتصار (الصحاح) على غنم تغلب.

و فى (الصحاح) و (القاموس) فى (غنم): «و غنم ابن تغلب بن وائل» و اقتصرنا عليه و هو خبط، فلم ينحصر (غنم) بغنم تغلب، فقال السمعاني: غنم:

اسم لعدده بطون من قبائل شتى. و عدّ منها غنم الأزدي غنم بن دوس، و غنم طى

غنم بن ثوب، و غنم الأنصار غنم بن سري، و غنم أسد بن خزيمه غنم بن دودان، و غنم كنده غنم بن عوز.

و قال الجزري في (لبابه): فاته غنم الخزرج غنم بن مالك، و غنم عبد القيس بن وديعه.

قلت: وفات الجزري أيضا هذا غنم كنانه .

« هنا لك لو دعوك أتاك منهم فوارس مثل أرميه الحميم»

كأنّ هنا سقطا و الأصل: (ثم تمثّل) كما في بيت قبله، قال ابن أبي الحديد (١) البيت لأبي جندب الهذلي، و أول الأبيات:

ألا يا أمّ زنباع أقيمي صدور العيس نحو بني تميم

قلت: و في (الأساس) أيضا نسب البيت إلى أبي جندب الهذلي، و قريب من البيت قول الشاعر في نهار بن عامر من مراد:

لو كنت جار بني نهار لم ترم داري و قوتل دونها بسلاح

و قول سلامه بن جندل:

كنا إذا ما أتانا صارخ فزع كان الصراخ له قرع الظنائب

و قول بشامه النهشلي في وصف قومه:

إنّا بني نهشل لا ندعى لأب عنه و لا هو بالأبناء يشرينا

إن تبندر غايه يوما لمكرمه تلق السوابق منا و المصلينا

إنّا لمن معشر أفنى أوائلهم قيل الكماه ألا أين المحامونا

لو كان في الألف منا واحد فدعوا من فارس خالهم إياه يعنونا

قوله : «ثم نزل عليه السلام من المنبر» إنّما في (ابن ميثم) (٢): «ثم نزل».

ص: ٤٨٢

[١-١] شرح ابن أبي الحديد ٣٤٨:١. [١]

[٢-٢] شرح ابن ميثم ١٧:٢.

فى (تارىخ أعثم): لَمَّا أَنبَهُم عَلَيْهِ السَّيْلَامُ فَلَمْ يَجِيبُوهُ قَالَ لَهُمْ: إِنِّي وَ إِيَّاكُمْ كَنُوحٌ وَ قَوْمُهُ كَمَا حَكَى تَعَالَى عَنْهُ: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» (١). مَا لَكُمْ صَمُوتٌ كَالْحَوْتِ «إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الَّذِينَ لَا يَعْقلُونَ» (٢).

«قال الشريف» هكذا فى (المصريه) (٣)، و فى (ابن أبى الحديد) (٤): «قال الرضى» و فى (ابن ميثم (٥) و الخطيه): «قال السيد» و هو دليل على أن أصل الكلام ليس من المصنف.

«أقول» هكذا فى (المصريه) و هو زائد، فليس فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«الأرميه جمع رمى و هو السحاب» و فى (الجمهره): رمى: ضرب من سحاب الخريف سود، قال أبو ذؤيب الهذلى:

يمانيه احيالها مظ مائد و آل قراس صوب ارميه كحل

و قال الجوهري: الرمى: السقى و هى السحابه العظيمه القطر، الشديده الوقع من سحاب الحميم و الخريف، قال أبو ذؤيب يصف عسلا يمانيه:

و نقل بيت (الجمهره) -.

و فى (الأساس): الرمى: السحاب الخريفى العظيم القطر - و نقل بيت العنوان و بيتا آخر:

حنين اليماني هاجه بعد سلوه و ميض رمى آخر الليل يبرق

ص: ٤٨٣

١- ١) نوح: ٥-٦. [١]

٢- ٢) الأنفال: ٢٢. [٢]

٣- ٣) الطبعه المصريه ١: ٦١.

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ٣٣٣: ١.

٥- ٥) شرح ابن ميثم ١٨: ٢.

«و الحميم هاهنا» ليس (هاهنا) فى نسخه ابن ميثم.

«وقت الصيف» و يأتى بمعنى الماء الحار، كما فى قوله تعالى:

«يَطْوِفُونَ بَيْنَهَا وَ بَيْنَ حَمِيمِ آنِ» (١)، و الصديق الصميمى، كما فى قوله تعالى:

«وَ لَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا» (٢).

«و إنّما خصّ الشاعر سحاب الصيف بالذكر لانه أشد جفولا» أى:

إسراعا.

«و أسرع خفوفا» أى: قله.

«لأنّه لا- ماء فيه» لكن عرفت أنّ الجوهرى و الزمخشرى جعلوا (الأرميه) سحابا عظيم القطر، و الأصح ما قاله المصنّف، و لا ينافيه كلام ابن دريد .

«و إنّما يكون السحاب ثقيل السير» هكذا فى (المصريه) (٣) و لكن فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم): «ثقيلا» و إنّما نسب الأول «ثقل السير» إلى نسخه.

«لا متلائه بالماء، و ذلك لا يكون فى الأكثر إلاّ زمان الشتاء» هكذا فى (المصريه) (٤) و لكن فى (ابن أبى الحديد و الخطيه): «إلاّ فى أزمان الشتاء» و فى (ابن ميثم): «إلاّ فى الشتاء».

«و إنّما أراد الشاعر وصفهم بالسرعه إذا دعوا و الإغاثه إذا استغيثوا، و الدليل على ذلك قوله (هنالك لو دعوت أتاك منهم)» ليس فى (ابن ميثم) (٥) قوله:

«و الدليل...» رأسا.

ص: ٤٨٤

١- ١) الرحمن: ٤٤. [١]

٢- ٢) المعارج: ١٠. [٢]

٣- ٣) الطبعه المصريه ١: ٦٢.

٤- ٤) المصدر نفسه.

٥- ٥) شرح ابن ميثم ٢: ١٨. [٣]

و من كلام له عليه السلام و قد جمع الناس و حضهم على الجهاد فسكتوا مليا، فقال عليه السلام:

أَمْخَرَسُونَ أَنْتُمْ - فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ؟ - إِنْ سِرْتِ سِرْنَا مَعَكَ - فَقَالَ ع - مَا بِالْكُمْ لَا سُدُّتُمْ لِرُشْدٍ وَلَا هُدَيْتُمْ لِقَصْدٍ -
 أَفِي مِثْلِ هَذَا يَنْبَغِي أَنْ أُخْرَجَ - وَإِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هَذَا رَجُلٌ - مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ - وَ ذَوِي بَأْسِكُمْ - وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ
 أَدَعَ الْمَضِيرَ - وَالْجُنْدَ وَ بَيْتَ الْمَيَالِ وَ جَبَايَةَ الْأَرْضِ - وَ الْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ - وَ النَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ - ثُمَّ أُخْرَجَ فِي كَتِيبِهِ
 أَتْبَعُ أُخْرَى - أَتَقَلَّقُلُ تَقَلَّقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ - وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى - تَدُورُ عَلَيَّ وَ أَنَا بِمَكَانِي - فَإِذَا فَارَقْتَهَا اسْتَحَارَ
 مَدَارُهَا - وَ اضْطَرَبَ نِفَالُهَا - هَذَا لَعَمْرُ اللَّهِ الرَّأْيُ السُّوءُ - وَ اللَّهُ لَوْ لَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ - لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ - لَقَرَّبْتُ
 رِكَابِي - ثُمَّ شَخَّصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ - مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَ شِمَالٌ - إِنَّهُ لَا عَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عِدَدِكُمْ - مَعَ قَلِهِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ - لَقَدْ
 حَمَلْتُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ - الَّتِي لَا يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ - مَنْ اسْتَقَامَ فِإِلَى الْجَنَّةِ وَ مَنْ زَلَّ فِإِلَى النَّارِ أَقُولُ: لَمْ يَنْفِطْنَ الشَّرَاحُ
 ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ وَ غَيْرُهُ - أَنَّ هَذَا الْعِنْوَانَ فِي أَى غَارِهِ صَدَرَ، فَقَالُوا: «قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ غَارَاتِ أَهْلِ الشَّامِ عَلَى اطْرَافِ أَعْمَالِهِ
 بِالْعِرَاقِ»، وَ إِنَّمَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَارِهِ بِسَرِ عَلَى الْحِجَازِ.

ففى (غارات الثقفى - الغارات - ج ٢ ص ٦٢٤ الثقفى) (١): من حديث الكوفيين عن نمير بن وعلة عن أبى الوداك قال: قدم زواره بن قيس فخير عليا عليه السلام بالعدّه التى خرج فيها بسر، فصعد المنبر - إلى أن قال - «إنّ بسر بن أرطاه ووجه إلى الحجاز، و ما بسر لينتدب إليه منكم عصابه حتى تردوه عن شنه، فإنّما خرج فى ستمائه أو يزيدون. فسكت الناس ملياً لا - ينطقون، فقال عليه السلام: «ما لكم أ مخرسون أنتم لا - تتكلمون؟» فذكر عن الحرث بن حضيره عن مسافر بن عفيف قال: قام أبو بردة بن عوف الأزدي فقال له: إن سرت سرنا معك. فقال: «ما لكم لا سدّتم لمقال الرشد؟ فى مثل هذا ينبغي لى أن أخرج؟ إنّما يخرج فى مثل ذلك رجل ممّن ترضون من فرسانكم و شجعانكم، و لا ينبغي لى أن أدع الجند و المصر و بيت المال و جبايه الأرض و القضاء بين المسلمين و النظر فى حقوق الناس، ثم أخرج فى كتبه أتبع اخرى فى الفلوات و شعف الجبال، هذا و الله الرأى السوء، و الله لو لا - رجائي (الشهادة - ظ) عند لقائهم - لو قد حمّ لقاؤهم - لضربت ركابى ثم لشخصت عنكم، فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال، و الله إنّ فراقكم لراحه للنفس و البدن». فقام إليه جاريه بن قدامه السعدى فقال له عليه السلام:

لا أعدمنا الله نفسك و لا أرانا فراقك، أنا لهؤلاء القوم فسرحنى إليهم. قال:

فتجهّز فإنّك ما علمت: ميمون النقيبه. و قام إليه وهب بن مسعود الخثعمى فقال له عليه السلام: أنا انتدب إليهم. فقال عليه السلام: فانتدب بارك الله فيك. فنزل و دعا جاريه فأمره أن يسير إلى البصره و يخرج منها فى الفين، و ندب مع الخثعمى من الكوفه ألفين و قال لهما: أخرجا فى طلب بسر حتى تلحقاه، و أينما لحقتماه فناجزاه، فإذا التقيتما فجاريه على الناس.

نقله فى عنوان: «مسير جاريه بن قدامه» فى خبره الثانى، و رواه فى

ص: ٤٨٦

خبره الأوّل عن الكلبى و أبى مخنف بلفظ أخصر، فروى عنهما: أنّه عليه السّلام ندب الناس فتثاقلوا عنه فقال: «ا تريدون أن أخرج بنفسى فى كتيبه تتبع كتيبه فى الفيافى و الجبال؟ ذهب و الله اولو النهى و الفضل الذين كانوا يدعون فيجيون و يؤمرون فيطيعون، لقد هممت أن أخرج عنكم فلا أطلب بنصركم ما اختلف الجديدان».

قول المصنف: «و من كلام له عليه السّلام و قد جمع الناس و حضهم» أى:

رغبهم.

«على الجهاد» مع سرايا معاويه فى سرية بسر.

«فسكتوا مليا» أى: زمنا طويلا، قال تعالى: «وَ أَهْجُرْنِي مَلِيًّا» (١).

«فقال عليه السّلام» توكيد بعد قوله: «و من كلام له عليه السّلام» .

قوله عليه السّلام: «أ مخرسون أنتم» أى: صرتم أخرسين، حيث لم يجيوه عليه السّلام بشىء .

«فقال قوم منهم: يا أمير المؤمنين إن سرت سرنا معك» قد عرفت من روايه الثقفى أنّ القائل له عليه السّلام: «ان سرت سرنا معك» إنّما هو أبو بردة بن عوف الأزدي، و كان منافقا يكاتب باخباره عليه السّلام إلى معاويه كما فى (صفين نصر بن مزاحم) (٢).

«فقال عليه السّلام: ما بالكُم» و فى (ابن ميثم) (٣): «ما لكُم» و هو لفظ مستنده.

«لا سدّدتم لرشد و لا هديتم لقصد» حيث تشيرون على هكذا .

«أ فى مثل هذا» خروج بسر من قبل معاويه.

ص: ٤٨٧

١-١) مريم: ٤٦. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٤. [٢]

٣-٣) شرح ابن ميثم ١١٠: ٣. [٣]

«ينبغي» و زاد ابن أبي الحديد (١) و(الخطيه):«لى» و هو الموافق مستنده.

«أن أخرج» كما خرج عليه السلام فى قبال طلحه و الزبير، و فى قبال معاويه .

«إنما يخرج فى مثل هذا رجل ممن أرضاه من شجعانكم» كجاريه السعدى و وهب الخثعمى اللذين أجاباه إلى الخروج، و نظرائهما .

«و لا ينبغي لى أن أدع المصر و الجند» هكذا فى (المصريه) (٢) و الصواب:

(الجند و المصر) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم (٣) و الخطيه) و كما فى مستنده. و المراد بالمصر: الكوفه.

«و بيت المال» فىكون فى معرض النهب.

«و جبايه الأرض» فتكون فى معرض التعطيل.

«و القضاء بين المسلمين و النظر فى حقوق المطالبين» فتصير امور الناس مختلفه، أدع جميع ذلك ؟ «ثم أخرج فى كتيبه» فى (القاموس): الكتيبه: الجيش أو الجماعه المستخيره من الخيل، أو جماعه الخيل إذا أغارت من المائه إلى الألف.

«أتبع اخرى» أى: كتيبه اخرى من العدو .

«أ تقلقل» أى: اضطرب.

«تقلقل القدح» -بالكسر-: السهم قبل أن يراش و يركب عليه نصله.

«فى الجفير» فى (القاموس): الجفير: جعبه من جلود لا خشب فيها، أو من خشب لا جلود فيها.

«الفارغ» أى: الخالى.

ص: ٤٨٨

١-١ (١) شرح ابن أبى الحديد ٢٨٥:٧. [١]

٢-٢ (٢) الطبعة المصريه ٢٣١:١.

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١١١:٣.

«وإنما أنا قطب الرحي» استعاره عن كون مدار امور الناس عليه .

«تدور على و أنا بمكاني» فما دام الوالي في المركز تكون امور المملكه منظمه .

«فإذا فارقتها» هكذا في (المصريه) (١) و هو غلط، و الصواب: (فارقتها) كما في (ابن أبي الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه) أي: فارقت الرحي القطب.

«استحار» أي: صار حائرا.

«مدارها و اضطرب ثفالها» بالكسر، أي: الحجر الأسفل من الرحي الذي يصبّ عليه الدقيق .

«هذا لعمر الله الرأي سوء» رأيتموه لى .

«و الله لو لا رجائي الشهاده عند لقائي العدو» و كان عدوّه يومئذ معاويه.

«لو قد حمّ» أي: قدّر.

«لى لقاءه» لكن لم يكن مقدّرا، فأراد عليه السلام الشخوص إليه و خرج عسكره إلى ظاهر البلاد، فضربه اللعين ابن ملجم.

«لقربت ركابي» الركاب: الإبل التي يسار عليها.

«ثم شخصت» أي: ارتحلت.

«عنكم» إلى غيركم.

«فلا أطلبكم ما اختلف جنوب و شمال» أي: أبدأ الأبدنين.

ثم الغريب أنّ ابن ميثم اقتصر من العنوان إلى هنا، و أنّ ابن أبي الحديد (٤) زاد على العنوان -بعد ما مرّ-: «طعانين عيّابين حيّادين روّاعين».

ص: ٤٨٩

١-١ (١) الطبعة المصريه ١:٢٣١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٧:٢٨٦. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٣:١١١. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٧:٢٨٥. [٣]

و نسخه ابن ميثم و إن كانت بخط المصنّف-كما صرح به مرارا-لكن لا يبعد أنّها كانت النسخة الاولى، و أنّ ابن أبي الحديد نقل من نسخه ثانيه -كتبها المصنّف-و زاد و نقص.

و عليه فما زاده ابن أبي الحديد زياده بيان لعلّه شخوصه عليه السّلام عنهم و عدم طلبه عليه السّلام لهم، بكونهم ذوى هذه الرذائل الأربع، مضافا إلى ما يأتي من قوله عليه السّلام .

«إنّه لا غناء فى كثره عددكم مع قلّه اجتماع قلوبكم» فرجلان متّفقان قلبا أكثر غناء من ألف مختلفين .

«لقد حملتكم على الطريق الواضح التى لا يهلك عليها» أى: على مخالفتها و مجاوزتها.

«إلا هالك» كونه عليه السّلام كذلك لا يحتاج إلى بيان، و قد أقرّ به عمر يوم شوره.

و روى الخطيب (1) فى (يوسف بن محمد بن على) عن أبى ثابت مولى أبى ذر قال: دخلت على امّ سلمه فرأيتها تبكى و تذكر عليا عليه السّلام و قالت: سمعت النبىّ صلّى الله عليه و آله يقول: «علّى مع الحقّ و الحقّ مع علّى، و لن يفترقا حتى يردا علىّ الحوض يوم القيامة».

«من استقام فى الجنّه، و من زلّ فى النار» «فأما من طغى و آثر الحياه الدُّنيا فإنّ الجحيم هى المأوى و أما من خاف مقام ربّه و نهى النّفْس عن الهوى فإنّ الجنّه هى المأوى» (2).

ص: ٤٩٠

١-١ (١) الخطيب ٣٢١:١٤.

٢-٢ (٢) النزاعات: ٣٧-٤١. [١]

و من خطبه له عليه السلام:

أَمَا بَعِيدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ - فَتَحَهُ اللَّهُ لِخَاصِّهِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى - وَدِرْعُ اللَّهِ الْحَصَّةَ بَيْنَهُ وَجُنَّتَهُ الْوَثِيقَةَ - فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الدُّلِّ وَشَمَلَتْهُ الْبَلَاءُ - وَدَيْتَ بِالصَّعَارِ وَالْقَمِيَاءِ - وَضَرَبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسَدِيدِ - وَ أَدِيلَ الْحَقِّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ - وَ سَيِّمَ الْخُسْفَ وَ مَنَعَ النَّصْفَ - أَلَا وَ إِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ - لَيْلًا وَ نَهَارًا وَ سِرًّا وَ إِعْلَانًا - وَ قُلْتُ لَكُمْ اغزُوهُمْ فَبِيلَ أَنْ يَغزُوَكُمْ - فَوَاللَّهِ مَا غَزَى قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا - فَتَوَاكَلْتُمْ وَ تَخَاذَلْتُمْ - حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ وَ مَلِكْتُ عَلَيْكُمْ الْأَوْطَانَ - وَ هَذَا أَحْو؟ غَامِد؟ وَ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ؟ الْأَنْبَار؟ - وَ قَدْ قَتَلَ حَسَّانُ بْنُ حَسَّانِ الْبَكْرِيُّ؟ - وَ أَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا - وَ لَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ - عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَ الْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةَ - فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَ قَلْبَهَا وَ فَلَانِدَهَا وَ رُعَانَتَهَا - مَا تَمْنَعُ مِنْهُ إِلَّا بِالْإِسْتِزْحَامِ وَ الْإِسْتِزْحَامِ - ثُمَّ انصِرِفُوا وَافِرِينَ - مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلِمٌ وَ لَا أَرِيقَ لَهُمْ دَمٌ - فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَيَاتَ مِنْ بَعِيدٍ هَذَا أَسِيفًا - مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي حَيْدِيرًا - فَيَا عَجَبًا وَ اللَّهُ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَ يَجْلِبُ إِلَيْهِمْ - اجْتِمَاعَ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ - وَ تَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ - فَفَبِحَاقِكُمْ وَ تَرَحًا حِينَ صَرَرْتُمْ غَرَضًا يُزْمَى - يُعَارُ عَلَيْكُمْ وَ لَا تُغَيِّرُونَ - وَ تُغزُونَ وَ لَا تُغزُونَ وَ يُعَصِّى اللَّهُ وَ تَرْضُونَ - فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الضَّيْفِ - قُلْتُمْ هَذِهِ حِمَارَةُ الْفَيْطِ - أَمْهَلْنَا يُسْبِخُ عَنَّا الْحَرُّ - وَ إِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ - قُلْتُمْ هَذِهِ صَبَارَةُ الْقُرِّ -

أَمَهْلُنَا يَنْسَلِخُ عَنَّا الْبُرْدُ- كُلُّ هَذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ- فَانْتَمَ وَاللَّهِ مِنَ السَّيْفِ أَقْرُ- يَا أَشْبَاهَ الرَّجَالِ وَلَا رَجَالَ- حُلُومُ الْأَطْفَالِ وَ
عُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ- لَوِدِدْتُ أَنِّي لَمْ أَرَكُمْ وَ لَمْ أَعْرِفْكُمْ مَعْرِفَةً- وَاللَّهِ جَزَتْ نَدَمًا وَ أَعَقَبَتْ سِدْمًا- قَاتَلَكُمْ اللَّهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي
قَيْحًا- وَ شَحَنْتُمْ صَدْرِي غَيْظًا- وَ جَرَّعْتُمُونِي نَعَبَ التَّهْمِ ام أَنْفَاسًا- وَ أَفْسَدْتُمْ عَلَيَّ رَأْيِي بِالْعَصْرِ يَانِ وَالْحِجْلَانِ- حَيْتِي
قَالَتْ؟ قُرَيْشُ؟- إِنْ؟ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ؟ رَجُلٌ شَجَاعٌ- وَ لَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ- لِلَّهِ أَبُوهُمْ- وَ هَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَ أَقْدَمُ
فِيهَا مَقَامًا مِنِّي- لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَ مَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ- وَ هِيَ أَنَا قَدْ ذَرَفْتُ عَلَى السَّتِينِ- وَ لَكِنْ لَا- رَأَى لِمَنْ لَا- يُطَاعُ وَ
الحكمه (٢٤١) بعد فصل غريبه: انقضى هذا الفصل و رجع إلى سنن الغرض الأول.

وَ قَالَ ع لَمَّا بَلَغَهُ إِغَارُهُ أَصْحَابِ؟ مَعَاوِيَةَ؟ عَلَى؟ الْأَنْبَارِ؟- فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَا شَاءَ حَتَّى آتَى؟ التُّخَيْلَةَ؟- فَأَذْرَكَهُ النَّاسُ وَ قَالُوا- يَا؟ أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ؟ نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ- فَقَالَ:

مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسِيكُمْ- فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرُكُمْ- إِنْ كَانَتِ الرَّعَايَا قَبِيلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِيهَا- وَ إِنِّي الْيَوْمَ لِأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي-
كَأَنِّي الْمَقُودُ وَ هُمُ الْقَادَةُ- أَوِ الْمَوْزُوعُ وَ هُمُ الْوَزَعَةُ فَلَمَّا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ هَذَا الْقَوْلَ- فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ قَدْ ذَكَرْنَا مَخْتَارَهُ فِي جَمَلِهِ
الْخُطْبِ- تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: إِنَّي «لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَحْيِي» (١) فَمَرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَنْقُدُ لَهُ.

فقال عليه السلام:

ص: ٤٩٢

وَ أَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ أَقُولُ: رواه الخطيب في (تاريخ بغداد الخطيب - تاريخ بغداد - عنوان (ربيعه بن ناجذ الأسدي) ج ٨ ص ٤٢٠ (١) في عنوان (ربيعه بن ناجذ الأسدي)، و رواه البلاذري في (أنسابه البلاذري - أنساب الأشراف - عنوان (أمر الغارات بين علي و معاوية) في عنوان (أمر الغارات بين علي و معاوية)، فذكر الأول غاره الضحّاك بن قيس الفهري، و جعل غاره الغامدي هذا الثاني منها فقال: قالوا: و دعا معاوية سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدي، فسرحه في ستة آلاف من أهل الشام ذوى بأس، و أمره أن يلزم جانب الفرات الغربي حتى يأتي هيت، فيغير على مسالح عليّ عليه السّلام و أصحابه بها و بنواحيها، ثم يأتي الأنبار فيفعل بها مثل ذلك حتى ينتهي إلى المدائن، و حذّره أن يقرب الكوفة و قال له: إنّ الغاره تنخب قلوبهم و تكسر حدهم و تقوى أنفس أوليائنا و منتهم. فشخص سفيان في الستة آلاف المضمومين إليه، فلما بلغ أهل هيت قربه قطعوا الفرات إلى العبر الشرقي، فلم يجد بها أحدا، و أتى الأنبار فأغار عليها فقاتله من بها من قبل عليّ عليه السّلام فأتى على كثير منهم و أخذ أموال الناس، و قتل أشرس بن حسان البكري عامل عليّ عليه السّلام ثم انصرف، و أتى عليّا عليه السّلام عالج فأخبره الخبر، و كان عليلا لا يمكنه الخطبه فكتب كتابا قرئ على الناس، و قد أدنى عليّ عليه السّلام من السده التي كان يخرج منها لسمع القراءه، و كانت نسخه الكتاب: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجهنه...

و ذكره (الأغانى - الأغانى - ج ١٦ ص ٢٦٦ ذكر الخبر في مقتل ابنى عبيد الله بن العباس) (٢) في عنوان (ذكر الخبر في مقتل ابنى عبيد الله بن العباس) في جزئه الخامس عشر، و روى مسندا عن أبى عمر الواقصى: أنّ معاوية بعث إلى بسر بن أرطاه - بعد تحكيم الحكمين - و بعث معه جيشا، و وجه برجل آخر من غامد ضم إليه جيشا آخر، و وجه الضحّاك بن قيس

ص: ٤٩٣

١-١) تاريخ بغداد للخطيب ٤٢٠:٨.

٢-٢) الأغانى ٢٦٦:١٦. [١]

الفهرى فى جيش آخر، و أمرهم: أن يسىروا فى البلاد فىقتلوا كل من وجدوا من شيعه على عليه السلام و أصحابه، و أن يغيروا على ساير أعماله و يقتلوا أصحابه، و لا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان، فمرّ بسر لذلك على وجهه - إلى أن قال - و فعل مثل ذلك ساير من بعث، فقصد الغامدى إلى الأنبار - إلى أن روى مسندا عن أبى صادق - قال: أغارت خيل لمعاويه على الأنبار فقتلوا عاملا لعلى عليه السلام يقال له: حسّان بن حسّان، و قتلوا رجلا كثيرا و نساء، فبلغ ذلك عليا عليه السلام فخرج حتى أتى المنبر فرقيه - إلى أن قال بعد ذكر خطبته عليه السلام - فقام إليه رجل و قال: أنا كما قال تعالى: «لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي» (١) فمرنا بأمرك، فلنطيعنك و لو حال بيننا و بينك جمر الغضى و شوكة القتاد. قال:

و أين تبلغان ممّا اريد؟ و رواه المبرّد فى أوائل (كامله المبرّد - الكامل - ج ١ ص ٢٢ تا ٢٥) (٢) بعد ذكر كلمات عن النبى صلى الله عليه و آله ثم عن الثلاثة، فقال: و تحدّث ابن عايشه فى اسناد ذكره: أنّ عليا رضى الله عنه انتهى إليه أنّ خيلا لمعاويه وردت الأنبار فقتلوا عاملا - له، يقال له: حسّان بن حسّان، فخرج مغضبا يجر ثوبه حتى أتى النخيله و أتبعه الناس، فرقى رباوه من الأرض - إلى أن قال -: و لكن لا - رأى لمن لا - يطاع. - يقولها ثلاثا - فقام إليه رجل و معه أخوه - الرجل و أخوه يعرفان بابنى عفيف من الأنصار - فقال: أنا و أخى هذا كما قال تعالى: «رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَ أَخِي» فمرنا بأمرك، فو الله لنتهين إليه و لو حال بيننا و بينه جمر الغضى و شوكة القتاد. فدعا لهما بخير ثم قال لهما: و أين تقعان...

ص: ٤٩٤

١ - ١) المائدة: ٢٥. [١]

٢ - ٢) الكامل للمبرّد ٢٢: ١ - ٢٥. [٢]

و رواه إبراهيم الثقفي في (غاراته إبراهيم الثقفي - الغارات - ج ٢ ص ٤٦٤ تا ٤٦٨ عنوان: «غاره سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، و لقيه أشرس بن حسان البكري و سعيد بن قيس») (١) في عنوان: «غاره سفيان بن عوف الغامدي على الأنبار، و لقيه أشرس بن حسان البكري و سعيد بن قيس».

و روى عن عبد الله بن يزيد عن أبي الكنود عن سفيان الغامدي قال: دعاني معاوية - إلى أن قال - و قتل صاحبهم في رجال من أصحابه.

ثم روى (٢) عن جندب بن عفيف قال: و الله إنني لفي جند الأنبار مع أشرس ابن حسان البكري إذ صبحنا سفيان بن عوف - إلى أن قال - ثم نزل صاحبنا و هو يتلو «فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَ مِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَ مَا يَدُلُّوا تَبْدِيلًا» (٣). ثم قال لنا: من كان لا يريد لقاء الله و لا يطيب نفسا بالموت، فليخرج عن القرية ما دمننا نقاتلهم، فإن قاتلنا إياهم شاغل لهم عن طلب هارب، و من أراد ما عند الله فما عند الله خير للابرار. ثم نزل في ثلاثين رجلا. قال: فهمت و الله بالنزول ثم إن نفسي أبت...

ثم روى (٤) عن محمد بن مخنف: أن سفيان بن عوف لما أغار على الأنبار قدم عالج من أهلها على علي عليه السلام فأخبره الخبر فصعد المنبر فقال: أيها الناس إن أحاكم البكري قد أصيب بالأنبار و هو معتز لا يخاف ما كان، فاختر ما عند الله على الدنيا، فانتدبوا إليهم حتى تلاقوهم - إلى أن قال - فلم يأت رأى صمتهم نزل فخرج يمشى راجلا حتى أتى النخيلة، و الناس يمشون خلفه حتى أحاط به قوم من أشرافهم فقالوا: ارجع نحن نكفيك. فقال: ما تكفونني و لا تكفون أنفسكم. فلم يزالوا به حتى صرفوه إلى منزله و هو و اجم كئيب، و دعا سعيد بن قيس الهمداني فبعثه من النخيلة بثمانيه آلاف - إلى أن قال - فلبث

ص: ٤٩٥

١ - ١) الغارات لإبراهيم الثقفي ٢: ٤٦٤ - ٤٦٨. [١]

٢ - ٢) الغارات لإبراهيم الثقفي ٢: ٤٦٩. [٢]

٣ - ٣) الأحزاب: ٢٣. [٣]

٤ - ٤) الغارات لإبراهيم الثقفي ٢: ٤٧٠. [٤]

علّي عليه السّلام ترى فيه الكآبه و الحزن حتى قدم عليه سعيد بن قيس، فكتب كتابا، و كان فى تلك الأيام عليلا فلم يطق على القيام فى الناس بكل ما أراد من القول، فجلس بباب السده التى تصل إلى المسجد و معه الحسنان عليهما السّلام و عبد الله بن جعفر، فدعا سعدا مولاه فدفع الكتاب إليه فأمره أن يقرأه، فقام سعد بحيث يسمع علّي عليه السّلام قراءته و ما يردّ عليه الناس - إلى أن قال فيه - أمّا بعد، فإنّي قد عاتبتم فى رشدكم حتى سئمت (و-ظ). ارجعتمونى بالهزء من قولكم حتى برمت، هزء من القول لا يعاديه، و خطل لا يعز أهله، و لو وجدت بدا من خطابكم و العتاب إليكم ما فعلت، و هذا كتابى يقرأ عليكم فردّوا خيرا و افعلوه، و ما أظنّ أن تفعلوا، فالله المستعان، أيها الناس إنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة فتحه الله لخاصه أوليائه - إلى أن قال - و هذا أخو غامد قد وردت خيله الأنبار فقتل بها أشرس بن حسان - إلى أن قال - فأنتم و الله من حرّ السيوف أفرّ، لا و الذى نفس ابن أبى طالب بيده السيف تحيدون، فحتّى متى؟ و إلى متى يا أشباه الرجال و لا رجال و يا طغام الأحلام أحلام الأطفال! - إلى أن قال - فقام إليه رجل من الأزدي يقال له: حبيب بن عفيف، آخذا بيد ابن أخ له يقال له: عبد الرحمن بن عبد الله بن عفيف، فأقبل يمشى حتى استقبل أمير المؤمنين عليه السّلام بباب السده و قال: ها أنذا لا أملك إلاّ نفسى و أخى فمرنا بأمرك....

و رواه الجاحظ فى (بيانه الجاحظ - البيان و التبيين - ج ٢ ص ٥١) (١) فى جزئه الثانى فقال: و من خطب علّي أيضا رضى الله عنه: قالوا: أغار سفيان بن عوف الأزدي ثم الغامدى على الأنبار، و عليها ابن حسان أو حسان البكرى فقتله، و أزال تلك الخيل عن مسالحها، فخرج على حتى جلس على باب السده ثم قال: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنه - إلى - و قتل حسان - أو ابن حسان - البكرى و أزال خيلكم عن

ص: ٤٩٦

مسالحها، وقتل منكم رجلا صالحين-إلى أن قال-فقام رجل من الأزد يقال له فلان بن عفيف ثم أخذ بيد أخ له...

و ذكره ابن قتيبه في (عيونه ابن قتيبه-عيون الأخبار-ج ٢ ص ٢٣٦) (١) فقال: خطب عليه السّلام حين قتل عامله بالأنبار فقال: يا عجباً من جدّ هؤلاء في باطلهم و فشلهم عن حقكم! فقبحا لكم و ترحا حين صرتم غرضا يرمى...

و ذكره أبو حنيفة الدينوري في (طوالة أبو حنيفة الدينوري-الأخبار الطوال-ص ٢١١) (٢) فقال و لما رأى عليّ عليه السّلام تتأقل أهل الكوفة عن المسير معه إلى قتال أهل الشّام، و انتهى إليه وروود خيل معاوية الأنبار و قتلهم مسلحته بها و الغارة عليها، كتب و دفع ما كتب إلى رجل يقرؤه يوم الجمعة إذا فرغوا من الصلاة: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة-إلى أن قال-و قتل ابن حسان البكري...

و ذكره ابن عبد ربه في (عقده ابن عبد ربه-العقد الفريد-ج ٤ ص ١٦٠) (٣) فقال: لما أغار سفيان بن عوف على الأنبار، و عليها حسان البكري فقتله و أزال الخيل عن مسالحها، خرج عليّ عليه السّلام حتى جلس على باب السده ثم قال-بعد الحمد:- أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة...

و رواه (الكافي الكليني-الكافي-ج ٥ ص ٤ ح ٦ الباب الأول من كتاب جهاد) (٤) في الباب الأول من كتاب جهاده مسندا عن أبي عبد الرحمن السّلمي، قال: قال أمير المؤمنين عليه السّلام: أمّا بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّة-إلى أن قال-و قتل حسان بن حسان الكبرى....

و رواه (معاني أخبار الشيخ الصدوق-معاني الأخبار-ص ٣٠٩ باب (١٦١) الصدوق) (٥) في بابه (١٦١) مسندا عن ابن عايشه

ص: ٤٩٧

١-١ (١) العيون لأبن قتيبه ٢:٢٣٦. [١]

٢-٢ (٢) الطوال للدينوري: ٢١١. [٢]

٣-٣ (٣) العقد لأبن عبد ربه ٤:١٦٠. [٣]

٤-٤ (٤) الكافي ٤:٤ ح ٥:٤. [٤]

٥-٥ (٥) معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٩.

باسناد ذكره: أن علياً عليه السلام أنهى إليه أن خيلاً لمعاويه وردت الأنبار، فقتلوا عاملاً له يقال له: حسان بن حسان، فخرج مغضباً يجر ثوبه حتى أتى النخيلة و أتبعه الناس فرقى رباوه من الأرض ثم قال- بعد الحمد-: إن الجهاد باب من أبواب الجنة....

و روى (إرشاد الشيخ المفيد-الإرشاد-ص ٢٧٩ المفيد) (١) كلاماً طويلاً- عنه عليه السلام فى عنوان: «فصل و من كلامه عليه السلام فى مقام آخر». و فيه: فقبحا لكم يا أشباه الرجال و لا- رجال! حلوم الأطفال و عقول ربات الحجال!- إلى أن قال- و الله لو ددت أنى لم أعرفكم و لم تعرفونى، فإنها معرفه جرّت ندماً، لقد وزّتم صدرى غيظاً، و أفسدتم علىّ أمرى بالخذلان و العصيان حتى لقد قالت قريش: إن علينا رجل شجاع لكن لا علم له بالحرب. لله أبوهم! هل كان فيهم أحد أطول لها مراساً منى، و أشد لها مقاساه؟ لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أناذا قد ذرفت على الستين و لكن لا أمر لمن لا يطاع، أما و الله لو ددت أن ربي قد أخرجنى من بين أظهركم إلى رضوانه، و أن المنيّه لترصدنى فما يمنع أشقاها أن يخضبها- و ترك يده على رأسه و لحيته- عهداً عهداً إلى النبى الامى «و قد خاب من افترى» (٢) و نجا من اتقى و صدق بالحسنى.

يا أهل الكوفه دعوتكم إلى جهاد هؤلاء القوم ليلاً و نهاراً، و سرّاً و إعلاناً و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم، فإنه ما غزى قوم قطّ فى عقر دارهم إلاّ- ذلّوا، فتواكلتم و تخاذلتم و ثقل عليكم قولى و استصعب عليكم أمرى، و اتخذتموه وراءكم ظهرية حتى شنت عليكم الغارات، و ظهرت فيكم الفواحش و المنكرات، تمسيكم و تصبحكم كما فعل بأهل المثالات من قبلكم، حيث أخبر

ص: ٤٩٨

١- (١) الإرشاد للمفيد: ٢٧٩. [١]

٢- (٢) طه: ٦١. [٢]

اللّٰه عن الجبابره العتاه الطغاه،و المستضعفين من الغواه فى قوله عزّ و جلّ:

«يُدَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ» (١)-إلى أن قال-إذا قلت لكم:انفروا فى الشتاء.قلتكم:هذا أو ان قر و سرد.و إن قلت لكم:انفروا فى الصيف.قلتكم:هذا حمارّه القىظ انظرنا ينصرم عنا الحرّ. كل ذلك فرارا عن الجنّه،إذا كنتم عن الحرّ و البرد تعجزون فأنتم-والله-عن حراره السيف أعجز و أعجز،فإنّا لله و إنّنا إليه راجعون،قد أتانى الصريخ يخبرنى:أنّ أخوا غامد قد نزل الأنبار على أهلها ليلا- فى أربعه آلاف،فأغار عليهم كما يغار على الروم و الخزر،فقتل بها عاملى حسّيان و قتل معه رجالا صالحين ذوى فضل و عباده و نجده،بؤاً الله لهم جنات النعيم،و أنّه أباحها، و لقد بلغنى أنّ العصبه من أهل الشام كانوا يدخلون على المرأه المسلمه و الاخرى المعاهده،فيهتكون سترها و يأخذون القناع من رأسها و الخرص من أذنها و الاوضاح من يديها و رجليها و عضديها و الخلخال و الميزر عن سوقها،فما تمتنع إلا بالاسترجاع و النداء:يا للمسلمين!فلا يغيثها مغيث و لا ينصرها ناصر،فلو أنّ مؤنمات من دون هذا أسفا ما كان عندى ملوما،بل كان عندى باراً محسناً،و اعجبا كلّ العجب من تظافر هؤلاء القوم على باطلهم،و فشلكم عن حقكم!قد صرتم غرضا يرمى و لا ترمون و تغزون و لا تغزون،و يعصى الله و ترضون،تربت أيديكم،أشباه الإبل غاب عنها رعاتها،كلما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب .

«أمّيا بعد فان الجهاد باب من أبواب الجنه فتحه الله لخاصه اوليائه» روى (باب فضل جهاد الكافى) (٢):أنّ النبى صلّى الله عليه و آله قال:للجنه باب يقال له:باب

ص:٤٩٩

[١- (١) البقره:٤٩]. [١]

[٢- (٢) الكافى ٥:٢ ح ٢]. [٢]

المجاهدين، يَمْضُونَ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ مَفْتُوحٌ وَ هُمْ مَتَقَلِّدُونَ بِسُيُوفِهِمْ وَ الْجَمْعُ فِي الْمَوْقِفِ، وَ الْمَلَائِكَةُ تَرْحَبُ بِهِمْ.

وَ الْجِهَادُ مَعَامِلُهُ ثَمَنُهَا الْجَنَّةُ، وَ قِبَالَتُهَا الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ، وَ مَسْجَلُهَا هُوَ تَعَالَى عَزَّ اسْمُهُ، قَالَ سُبْحَانَهُ «إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَ يُقْتَلُونَ وَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَ الْإِنْجِيلِ وَ الْقُرْآنِ وَ مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ الَّتِي بِإِعْتَمَادِهَا وَ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» (١).

«وَ هُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى» فِي (الْكَافِي) (٢) عَنْ الصَّادِقِ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى بَعَثَ رَسُولَهُ بِالْإِسْلَامِ إِلَى النَّاسِ عَشْرَ سِنِينَ، فَأَبَوْا أَنْ يَقْبَلُوا حَتَّى أَمَرَهُ بِالْقِتَالِ، فَالْخَيْرُ بِالسَّيْفِ وَ تَحْتَ السَّيْفِ، وَ الْأَمْرُ يَعُودُ كَمَا بَدَأَ.

«وَ دَرَعَ اللَّهُ الْحَصِينَهِ وَ جَنَّتَهُ الْوَثِيقَةَ» فِي (الْكَافِي) عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى فَرَضَ الْجِهَادَ وَ عَظَّمَهُ وَ جَعَلَهُ نَصْرَهُ وَ نَاصِرَهُ، وَ اللَّهُ مَا صَلَحَتْ دُنْيَا وَ لَا دِينٌ إِلَّا بِهِ .

«فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللَّهُ ثَوْبَ الذُّلِّ، وَ شَمَلَهُ» هَكَذَا فِي (الْمَصْرِيَّةِ) (٣) وَ الصَّوَابُ: (وَ شَمَلَهُ) بِلَفْظِ الْفِعْلِ وَ الْمَفْعُولِ كَمَا فِي (ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ) (٤) وَ ابْنِ مِيثَمٍ (٥) وَ الْخَطِيئَةُ).

«الْبَلَاءُ وَ دَيْثٌ» أَيْ: دَلِيلٌ.

«بِالصَّغَارِ وَ الْقَمَاءِ» أَيْ: الذَّلَّةُ، فِي (الْأَغَانِي): ذَكَرَ مُؤَرِّجُ السَّدُوسِيِّ أَنَّ

ص: ٥٠٠

١- ١) التوبة: ١١١. [١]

٢- ٢) الكافي ٥: ٧ ح ٧. [٢]

٣- ٣) الطبعة المصرية ١: ٦٣.

٤- ٤) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤. [٣]

٥- ٥) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩. [٤]

أعشى همدان كان في حرب ابن الأشعث شديد التحرض على الحجاج، فجال أهل العراق جوله ثم غاروا، فنزل الأعشى عن سرجه و نزع عن فرسه، و نزع درعه فوضعها فوق السرج، ثم جلس عليها فأحدث و الناس يرونه، ثم أقبل عليهم فقال لهم: لعلكم أنكروا ما صنعت؟ قالوا: أو ليس هذا موضع نكير؟ فقال: كلكم سلاح في سرجه و درعه خوفا و فرقا، و لكنكم سترتموه و أظهرته.

و نسب بعضهم هذا العمل إلى ابن حلّزه الإشكري .

«و ضرب على قلبه بالاسداد» هكذا في (المصريه) و مثله روايه (الكافي) (١)، و لكن في المدرك (ابن أبي الحديد و ابن ميثم): «بالسهاب»، فلا بدّ كون النهج كذلك.

و في (الجمهره): أسهب الرجل من لدغ الحيه، و هو ذهاب العقل، و ليس في كلامهم (أفعل فهو مفعول) أي: بالفتح إلاّ ثلاثه: أسهب هذا، و أفلج، و أحصن، قال الراجز:

فمات عطشاننا و عاش مسهبا .

«و اديل الحقّ منه» أي: يجعل الكثره للحق عليه، و في مثل: يدال من البقاع كما يدال من الرجال .

«بتضييع الجهاد» أي: بسبب تضييعه له.

«و سيم الخسف» في (الصحيح): سامه الخسف، أي: أولاه الدّل.

ثم قد عرقت أنّ الجاحظ و الدينوري نقلاه مثل المتن و كذا (الكافي) و رواه المبرد (٢) و الصدوق (٣)، و اسنادهما واحد عن ابن عايشه بلفظ: «ألبيه»

ص: ٥٠١

١- ١) الكافي ٥: ٤ ح ٦. [١]

٢- ٢) المبرد ١: ٢٣. [٢]

٣- ٣) معاني الأخبار للصدوق: ٣٠٩.

اللّه الذل و سيماء الخسف» و عليه يكون (سيماء) عطفًا على (الذل) كما أنّ ما كان بلفظ «و سيم» يكون عطفًا على (ألبسه).

و لذا قال المبرد: و سماعه سيماء، و معناه العلامه، و أظنه سيم.

و قول ابن أبي الحديد: «سماع المبرد غير مرض» فى غير محله، فإنّ سماعه إنّما يكون غير مرض إذا كان بلفظ النهج و ليس فى روايته أيضًا بعده «و منع منه النصف»، فاستدلّاه لكونه (سيم) بأفعال قبله و بعده كما ترى.

«و منع النصف» أى: لا يعمل معه بالانصاف .

«ألا- و إنى قد دعوتكم إلى قتال هؤلاء القوم ليلا و نهارا و سرًا و إعلانا» هو نظير قول نوح عليه السّلام: «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا» (١).

«و قلت لكم: اغزوهم قبل أن يغزوكم» و من أمثالهم: تغد به قبل ان يتعشى بك .

«فو الله ما غزى قوم» و زاد ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و (الخطيه):

«قط» فى (المصريه) (٤) سقط.

«فى عقر» أى: أصل.

«دارهم إلا ذلّوا فتواكلتم» أى: و كل هذا إلى ذاك، و ذاك إلى هذا، فلم يتولّه أحد.

«و تخاذلتم حتى شتت» أى: صبت، و الأصل فيه: شن عليه الماء.

«الغارات عليكم» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (عليكم الغارات) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

ص: ٥٠٢

١-١ (١) نوح: ٥. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧٤: ٢. [٢]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢٩: ٢. [٣]

٤-٤ (٤) الطبعه المصريه ٦٤: ١.

«و ملكت عليكم الأوطان» و منها مصر .

«و هذا» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن ميثم و الخطيه): «هذا» و في (ابن أبي الحديد): «فهذا».

«أخو» بيان لهذا لا خبر.

«غامد» قد عرفت من روايه (العقد) أنّ الغامدى ذاك سفيان بن عوف، و قال المبرد (1): كان سفيان من بني غامد بن نصر بن الأزد، و في هذه القبيله يقول القائل:

ألا هل أتاها على نايها بما فضحت قومها غامد

تمنيتم مائتي فارس فردكم فارس واحد

فليت لها بارتباط الخيول ضانا لها حالب قاعد

و في (الجمهره) اختلفوا في اشتقاق غامد، فقال ابن الكلبي سمى به لأنه تعمّد أمرا كان في عشيرته، فسماه ملك من ملوك حمير: غامدا. فقال غامد:

تعمّدت أمرا كان بين عشيرتي فاسماني القيل الحضوري غامدا

و قال الأصمعي: سمى غامد من قولهم: غمدت البئر، إذا كثر ماؤها، و غمدت ليلتنا: إذا اظلمت، و انشد:

و ليله غامده غمودا ظلما تغشى النجم و الفرقودا

يعنى: الفرقد.

«و قد وردت» هكذا في (المصريه) (2) و الصواب: (قد وردت) كما في (ابن أبي الحديد (3) و ابن ميثم (4) و الخطيه) و لأنه خبر: «و هذا اخو غامد» .

ص: ٥٠٣

١- (١) المبرد ١: ٢٦. [١]

٢- (٢) الطبعه المصريه ١: ٦٤.

٣- (٣) شرح ابن أبي الحديد ٢: ٧٤.

٤- (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٢٩. [٢]

«خيله الأنبار» في (المعجم): الأنبار: مدينه في غربى بغداد بعشره فراسخ، و كان أول من عمّرها سابور ذو الإكتاف ثم جددها السفاح، فتحت أيام أبى بكر على يد خالد، قال البلاذرى: مرّ على عليه السّلام بالأنبار فخرج إليه أهلها بالهدايا إلى معكسره فقال: اجمعوا الهدايا و اجعلوها باجا واحدا. ففعلوا فسمى موضع معسكره بالأنبار الباج إلى الآن.

و فى (الصّحاح): باجا واحدا، أى: ضربا واحدا و لونا واحدا .

«و قد قتل حسيان بن حسيان البكرى» قال ابن أبى الحديد (١): قال إبراهيم الثقفى (٢): كان اسم عامل على عليه السّلام على مسلحه الأنبار أشرس بن حسان.

قلت: لا خلاف فى أنّ اسم أبيه حسان، و أمّا اسمه فاختلف فيه بحسان و أشرس، فخير الثقفى الذى نقله ابن أبى الحديد (٣) و خير عوانه الآتى و أنساب البلاذرى و تاريخ أعثم كلها تضمن (أشرس).

و خير ابن عايشه المروى فى (كامل المبرد) و (معانى الصدوق) و خير (الأغانى) و روايه (الكافى) كلها مثل النهج بلفظ حسان بن حسيان، و كذا (الإرشاد) و (العقد) سمّياه حسانا، و (الأخبار الطوال) عبر عنه بابن حسان، و (بيان الجاحظ) تردد فقال: حسان أو ابن حسان، و (الصحيح): أشرس، و أنّ الناقلين (حسان) رأوا ابن حسان فقرأوه (حسان).

«و أزال خيلكم عن مسالحها» فى (الصّحاح): المسلحه: قوم ذوو سلاح، و المسلحه كالنّثر و المرقب، و فى الحديث: كان أدنى مسالح فارس إلى العرب العذيب.

ص: ٥٠٤

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٢:٨٥. [١]

٢-٢) الغارات للثقفى ٢:٤٦٤. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٢:٨٥.

«و لقد بلغنى أنّ الرجل منهم كان يدخل على المرأة المسلمة و الاخرى المعاهده فينتزع حجلها» أى:خلخالها.

«و قلبها» بالضم السوار،قال خالد بن يزيد:

تجول خلاخيل النساء و لا أرى لرملة خلخالاً يجول و لا قلباً

«و قلائدها» جمع القلاده.

«و رعائتها» جمع رعته:القرط،و كان بشار الشاعر يلقب بالمرعث،لرعته كانت له فى صغره .

«ما تمنع» هكذا فى (المصريه) (١)و الصواب:(ما تمتنع)كما فى (ابن أبى الحديد (٢)و ابن ميثم (٣)و الخطيبه).

«إلا بالاسترجاع» أى:قول «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ راجِعُونَ» (٤).

«و الإسترحام» أى:طلب الترحم عليها،و قال ابن أبى الحديد (٥)و ابن ميثم:

أى مناشده الرحم.و هو كما ترى فلم يعلم رحم بين نساء الأنبار و رجال الشام حتى يناشدهم به .

«ثم انصرفوا و افرين ما نال رجلا منهم كلم» أى:جراحه.

«و لا اريق لهم» هكذا فى (المصريه) (٦)و الصواب:(له)كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) دم .

ص:٥٠٥

١-١ (١) الطبعه المصريه ١:٦٤.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٢:٧٤. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢:٢٩.

٤-٤ (٤) البقره:١٥٦. [٢]

٥-٥ (٥) شرح ابن أبى الحديد ٢:٧٨.

٦-٦ (٦) الطبعه المصريه ١:٦٥.

فى (الطبرى) (١) قال عوانه: ووجه معاويه سنه (٣٩) سفبان بن عوف فى سته آلاف رجل، و أمره أن يأتى هيت فىقطعها و أن يغير عليها، ثم يمضى حتى يأتى الأنبار و المدائن فىوقع بأهلها، فسار حتى اتى هيت فلم يجد بها أحدا، ثم أتى الأنبار و بها مسلحه لعلّى عليه السّلام تكون خمسمائه رجل و قد تفرقوا فلم يبق منهم إلّا مائه رجل، فقاتلهم فصبر لهم أصحاب علّى عليه السّلام مع قتلهم، ثم حملت عليهم الخيل و الرّجاله فقتلوا صاحب المسلحه، و هو أشرس بن حسّان البكرى فى ثلاثين رجلا، و احتملوا ما كان فى الأنبار من الأموال و احتملوا، أموال أهلها و رجعوا- إلى أن قال- و سرّح علّى عليه السّلام سعيد بن قيس فى أثر القوم، فخرج فى طلبهم فلم يلحقهم فرجع.

و روى (غارات الثقفى) (٢) عن سفبان بن عوف الغامدى قال: دعانى معاويه فقال: إئتى باعشك فى جيش كثيف ذى أداه و جلاده، فالزم جانب الفرات حتى تمرّ بهيت فتقطعها، فإن وجدت جندا فأغر عليهم، و إلّا فامض حتىّ تغير على الأنبار، فإن لم تجد بها جندا فامض حتىّ توغل المدائن، ثم أقبل إلى واتق أن تقرب الكوفه، و اعلم أنّك إن أغرت على الأنبار و أهل المدائن فكأنّك أغرت على الكوفه، إنّ هذه الغارات- يا سفبان- على أهل العراق ترعب قلوبهم و تفرح كلّ من له فىنا هوى، و يدعو إلينا كلّ من له فىنا هوى و خاف الدوائر، فاقتل من لقيته ممّن ليس هو على مثل رأيك، و أخرب كلّ ما مررت به من القرى و احرب الأموال، فإنّ حرب الأموال شبيهه بالقتل و هو أوجع للقلب. قال سفبان:

فخرجت من عنده فعسكرت، و قام معاويه فى الناس فخطبهم فقال: انتدبوا مع سفبان فإنّه وجه فىه أجر عظيم و سريعه أو بتكم. ثم نزل فما مرّت ثالثه حتىّ

ص: ٥٠٦

[١- ١] تاريخ الطبرى ١٣٤: ٥. [١]

[٢- ٢] الغارات للثقفى ٤٦٤: ٢. [٢]

خرجت في سته آلاف، ثم لزم شاطئ الفرات فأغذذت السير حتى أمر بهيت، فبلغهم أنني قد غشيتهم فقطعوا الفرات، فمررت بها و ما بها غريب كأنها لم تحلل قط، فوطئتها حتى أمر بصدوداء ففروا فلم ألق بها أحدا، فأمضى حتى أفتتح الأنبار - و قد اندروا بي - فخرج صاحب المسلحة إلي فوقف لي فلم أقدم عليه، حتى أخذت غلمانا من أهل القرية فقلت لهم: أخبروني كم بالأنبار من أصحاب علي؟ قالوا: عدده رجال المسلحة خمسمائه و لكنهم قد تبددوا و رجعوا إلى الكوفة، و لا ندرى الذى يكون فيها قد يكون مائتي رجل. فنزلت فكتبت أصحابي كتائب ثم أخذت أبعثهم إليه كتيبه بعد كتيبه، فنقاتلهم و نطاردهم و يطاردون في الأزقه، فلما رأيت ذلك أنزلت إليهم نحو من مائتين و أتبعتهم الخيل، فلما حملت عليهم الخيل و أمامها الرجال تمشى لم يكن شيء حتى تفرقوا، و قتل صاحبهم في نحو من ثلاثين رجلا، و حملنا ما كان من الأنبار من الأموال ثم انصرفت، فوالله ما غزوت غزاه كانت أقر للعيون منها، و بلغني أنها رعبت الناس، فلما عدت إلى معاوية حدثته الحديث على وجهه، فقال: كنت عند ظني بك، لا تنزل في بلد من بلداني إلا قضيت فيه ما يقضى أميره، و إن أحببت أن تولاه وليتك. فما لبثنا إلا يسيرا حتى رأيت رجال أهل العراق يأتوننا على الإبل هربا من عسكر علي .

«فلو أن امرأ مسلما مات من بعد هذا أسفا ما كان به ملوما، بل كان به عندي» و في (ابن ميثم) (1): «بل كان عندي به».

«جديرا» و مر في سابقه أن أبا ذر أخبر بسبي نساء مسلمات في غارات بسر، و استعاذ بالله من إدراكه ذاك الزمان.

و ممن مات أسفا مروان بن عبد الملك بن مروان، ففى (نسب قريش

ص: ٥٠٧

مصعب الزبيري) حجاج مروان مع أخيه الوليد- وهو خليفه- فلما كانا بوادي القرى جرى بينهما محاوره فغضب الوليد فامصه، ففتقوه مروان بالردّ عليه فأمسك عمر بن عبد العزيز على فيه فمنعه من ذلك، فقال مروان لعمر: قتلتنى رددت غيظى فى جوفى. فما راحوا من وادى القرى حتى دفنوه (١).

«فيا عجباً و الله يميت القلب و يجلب الهمّ اجتماع هؤلاء القوم» هكذا فى (المصريه) (٢) و فيها زياده و نقيصه، فى (ابن أبى الحديد) (٣) و ابن ميثم (٤):

«فيا عجباً عجباً و الله يميت القلب و يجلب الهمّ من اجتماع هؤلاء».

«على باطلهم و تفرّقكم عن حقكم» فى (خلفاء ابن قتيبه) (٥)- بعد ذكر هزيمه زحر ابن قيس من قبله عليه السّلام للضحّاك بن قيس من قبل معاويه:- أنّ معاويه جمع الناس و قال لهم: أتانى خبر من ناحيه من نواحي أمر شديد. فقالوا: لسنّا فى شىء ممّا أتاك، إنّما علينا السمع و الطاعه. و بلغ عليّاً عليه السّلام قول معاويه و قول أهل الشام، فأراد أن يعلم ما رأى أهل العراق؟ فجمعهم فقال: أيّها الناس أتانى خبر من ناحيه من نواحي. فقال ابن الكواء و أصحابه: إنّ لنا فى كل أمر رأيا فى ما أتاك، فأطلعنا عليه حتى نشير عليك. فبكى عليه السّلام ثم قال: ظفر و الله ابن هند باجتماع أهل الشام له و اختلافكم علىّ، و الله ليغلبنّ باطله حقكم، إنّما أتانى أنّ زحر بن قيس ظفر بالضحّاك و قطع الميره، و أتى معاويه هزيمه صاحبه فقال: يا أهل الشام، إنّّه أتانى أمر شديد. فقلّده و أمرهم و اختلفتم علىّ.

ص: ٥٠٨

١-١) نسب قريش لمصعب الزبيري: ١٦٢.

٢-٢) الطبعه المصريه ١:٦٥.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٢:٧٤. [١]

٤-٤) شرح ابن ميثم ٢:٣٠. [٢]

٥-٥) الخلفاء لأبن قتيبه: ١٠٧.

و فى (صفين نصر) (١) قال النجاشى:

كفى حزنا أنا عصينا إمامنا عليا و أنّ القوم طاعوا معاويه

و أنّ لأهل الشام فى ذلك فضلهم علينا بما قالوه فالعين باكيه

أ يعصى إمام أوجب الله حقّه علينا و أهل الشام طوع لطاغيه

«قبحا لكم و ترحا» أى: بعدا لكم و حزنا .

«حين صرتم غرضا» أى: هدفا.

«يرمى، يغار عليكم و لا تغيرون، و تغزون و لا تغزون، و يعصى الله و ترضون، فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الصيف» هكذا

فى (المصريه) (٢)، و الصواب:

(الحر) كما فى (ابن أبى الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) و الخطيه).

«قلت: هذه حماره» - بتشديد الراء -: شده حر الصيف، و أمّا بتشديد الميم فبمعنى أصحاب الحمير فى السّفر.

«القيظ» أى: الصيف.

«أمهلنا يسبخ» أى: يخف و يفتّر.

«عنا الحر. و إذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قلت: هذه صبارّه» بتشديد الراء: شده البرد.

«القر» أى: البرد .

«أمهلنا ينسلخ» أى: ينقضى.

«عنا البرد. كل هذا» و فى (ابن ميثم): «أ كلّ هذا».

«فرارا» مفعول له.

ص: ٥٠٩

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٤٥٣. [١]

٢-٢) الطبعه المصريه ١: ٦٥.

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ٢: ٧٤. [٢]

«من الحرّ و القر» بالفتح .

«فأنتم و الله من السيف أفر» هكذا في (المصريه) و فيه سقط، ففي (ابن أبي الحديد (1) و ابن ميثم): «فإذا كنتم من الحرّ و القرّ تفرون، فأنتم و الله من السيف أفر».

في (غارات الثقفى) (2) عن المنهال بن عمرو قال: سمعت عليًا عليه السّلام و نحن بمسكن يقول: «يا معشر المهاجرين اذْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَ لَا تَزِدُّوا عَلَيَّ أَدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ» (3). فبكوا و قالوا:

البرد شديد. و كان غزاتهم في البرد، فقال: إنّ القوم يجدون البرد كما تجدون.

فلم يفعلوا و أبوا فلما رأى ذلك منهم قال: أف لكم إنّها سنّه جرت عليكم.

و عن فرقد الجلى عنه عليه السّلام في كلام له عليه السّلام: إن قلت لكم: انفروا إلى عدوّكم. قلت: القرّ يمنعنا. أفترون عدوّكم لا يجدون القرّ كما تجدونه؟ و لكنكم أشبهتم قوما قال لهم النبيّ صلى الله عليه و آله: «انفروا في سبيل الله». فقال كبراًؤهم: «لا تنفروا في الحر» فقال تعالى لنيه: «قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ» (4).

«يا أشباه الرجال و لا- رجال» في (كامل المبرد): يروى أنّ رجلاً- من الخوارج يوم سلى، حمل على رجل من أصحاب المهلب فطعنه، فلما خالطه الرمح صاح: يا أمّاه. فصاح به المهلب: لا كثر الله بمثلك المسلمين. فضحك الخارجي و قال:

ص: ٥١٠

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٢:٧٥. [١]

٢-٢ (٢) الغارات للثقفى ١:٢٦-٢٧. [٢]

٣-٣ (٣) المائدة: ٢١. [٣]

٤-٤ (٤) التوبة: ٨١. [٤]

أمّك خير لك منى صاحباً تسقيك محضاً و تعل رائباً (١)

و فى (تفسير القمى): كانت هند بنت عتبه يوم احد فى وسط العسكر، فكلّمها انهزم رجل من قريش رفعت إليه ميلاً و مكحله و قالت له: إنّما أنت امرأه فاحتحل بهذا (٢).

و فى (تسيبه البكرى): قتل رجل من مازن سعد العشيره أخا عمرو بن معديكرب، و طلبوا من عمرو قبول الديه لكون القاتل سكران، فقبل عمرو فقالت اخته كبشه:

فإن أنتم لم تقتلوا و اتديتمو فمشوا باذان النعام المصلم

و لا تشربوا إلا فضول نسائكم إذا أنهلت اعقابهن من الدم

فأكب عمرو بالغاره عليهم فأوجع فيهم (٣).

و فى (الأغانى) (٤): كان عمليق الطمسي أمر الأ- تزوج بكر من جديس حتى يفتريها هو قبل زوجها ليله زفافها. فلما تزوجت الشموس- و هى عفيه بنت عباد، اخت الأسود الذى وقع إلى جبل طى، فقتله طى و سكنوا الجبل من بعده- انطلقوا بها إلى عمليق فافتريها، فخرجت إلى قومها فى دماء شاقه درعها من قبل و من دبر و الدم يسيل، و هى فى أفبح منظر، و هى تقول:

أ يجمل ما يؤتى إلى فتياتكم و أنتم رجال فيكم عدد النمل

و لو أننا كنا رجالاً و كنتم نساء لكنا لا نقرّ بذا الفعل

و إن أنتم لم تغضبوا بعد هذه فكونوا نساء لا تعاب من الكحل

و دونكم طيب العروس فإنما خلقتم لأثواب العروس و للنسل

ص: ٥١١

١- (١) الكامل للمبرد ٢:٢٣٧ [١] مؤسسه المعارف-بيروت.

٢- (٢) تفسير القمى ١:١١٦. [٢]

٣- (٣) ذيل الأمالى للقالى: ١٩٠ [٣] دار الآفاق الجديده-بيروت.

٤- (٤) الأغانى ١١:١٦٥ [٤] دار إحياء التراث العربى-بيروت.

فبعدا و سحقا للذى ليس دافعا و يختال يمشى بيننا مشيه الفحل

«حلوام الأطفال» أى: لهم عقول كعقول الأطفال، قال الشاعر:

ترى الفتىان كالنخل و ما يدريك ما الدخل

و قال حسان:

إنى رأيت من المكارم حسبكم أن تلبسوا حر الثياب و تشبعوا

و قال آخر:

الا طعان الا فرسان عاديه الا تجشؤكم حول التناير

«و عقول ربات الحجال» فى (الصحيح): الحجله-بالتحريك-: واحده حجال العروس، و هى بيت بالثياب و الاسره و الستور.

و فى (الجزرى): قال عبيد الله بن الحر الجعفى فى قصيده له:

ألم تر قيسا قيس عيلان برقت لحاها و باعت نبلها بالمغازل

و قالوا: قال أبو العتاهيه فى ابن معن بن زائده:

فما تصنع بالسيف إذا لم تك قتالا

فكسر حليه السيف و وضعها لك خلخالا

فكان ابن معن إذا تقلد السيف و رمقه واحد تبين الخجل عليه.

و قال المبرد (1): نسبهم عليه السلام فى قوله هذا إلى ضعف النساء، قال تعالى:

«أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْجَلِيهِ وَ هُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرٌ مُّبِينٍ» (٢).

و قال الشاعر:

متى ترعبنى مالك و جرانه و جنبيه تعلم أنه غير نائر

حضع كام التوأمين توکأت على مرفقيها مستهله عاشر

١-١) المبرد ٢٨:١.

٢-٢) الزخرف: ١٨. [١]

«لوددت أنّي لم أركم و لم أعرفكم معرفه و الله جرّت ندما و أعقبت سدما» أى:

حزنا، قالوا: نادم سادم، و فى (الجمهره): قال قوم: السّادم مأخوذ من المياه الاسدام، و هى المندفنه التى تغيرت لطول المكث، يقال: ماء أسدام و مياه أسدام. و هو ما وصف واحده بصفه الجمع.

و فى (الطبرى) (١) - بعد ذكر إعطاء محمد بن الأشعث الأمان لمسلم و تسليمه - قال مسلم له: إنّنى أراك ستعجز عن أمانى، فهل تستطيع أن تبعث رجلا - إلى الحسين عليه السّلام يقول له: «ارجع بأهل بيتك و لا يغررك أهل الكوفه، فإنهم أصحاب أبيك الذى كان يتمنى فراقهم بالموت أو القتل، إنّ أهل الكوفه كذبوك و كذبونى و ليس لمكذوب رأى»؟ «قاتلكم الله لقد ملأتم قلبى قيحا» بالفتح: ماء يخرج من الجرح بدون الدم، و فى (الجمهره): قاح الجرح، يقيح و يقوح، و أقاح يقيح .

«و شحنتم» أى: ملأتم صدرى.

«غيظا، و جرّعتمونى نغب» جمع النغبه بالضم، أى: جرّع.

«التهام» أى: ألهم، قال ابن أبى الحديد (٢) التّهام بفتح التاء، و كذلك كلّ تفعال، كالترداد و التكرار و التجوال، إلّا التّبيان و التّلقاء فإنّهما بالكسر.

قلت: أخذه من (الصحاح) فى (بين) فقال: «تبيان مصدر و هو شاذ، لأنّ المصادر إنّما تجىء على تفعال» بفتح التاء، مثل التّذكّار و التّكرار و التّوكّاف و لم يجىء بالكسر إلّا - التّبيان و التّلقاء و لكّنه - كما ترى - قال: كلّ مصدر على تفعال إنّما هو بالفتح سوى حرفين لا كلّ تفعال بالفتح كما قال و ان لم يكن مصدرا، فعن أبى عمرو: «تفعال بالفتح مصدر، و تفعال بالكسر اسم» و فى

ص: ٥١٣

١-١ (١) تاريخ الطبرى ٣٧٤: ٥. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٨٠: ٢. [٢]

كلامه عليه السّلام ليس بمصدر بل اسما كالهم، مع أنّ (الجمهره) لم يذكر تفعال بالفتح بل بالكسر، و عدّ في صيغه التّكلام و التّلقام و التّمساح و التّضراب و التّمراد و التّلفاق و التّجفاف و التّمثال و التّهواء و التّعشار و التّبراك و التّنبال و التّلعاب و التّقصار و التّعمار، كما عدّ التّبيان و التّلقاء.

«أنفاسا» أى: نفسا نفسا .

«أفسدتم على رأيي بالعصيان و الخذلان حتى قالت قريش: إنّ ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب» فى (المروج) (1): بلغ عليّا عليه السّلام عن اناس من قريش ممّن قعد عن بيعته و نافق فى خلافته كلام كثير، فقال عليه السّلام: «و قد زعمت قريش أنّ ابن أبى طالب شجاع و لكن لا- علم له بالحروب. تربت أيديهم و هل فيهم أشدّ مراسا لها منّى؟ لقد نهضت فيها و ما بلغت الثلاثين، و ها أناذا قد أربيت على نيف و ستين».

«لله أبوه! و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا» أى: ممارسه .

«و أقدم فيها مقاما منى» و كيف لا- علم له عليه السّلام بالحرب و قد بين عليه السّلام آداب الحرب للناس؟ «لقد نهضت» أى: قمت.

«فيها و ما بلغت العشرين» قد عرفت أنّ الكليني و الصدوق و المفيد و الجاحظ أيضا رووه كذلك، و لكن المسعودى رواه: «و ما بلغت الثلاثين» و الظاهر صحّته، فأول حروبه عليه السّلام الرّسميه حرب بدر، و كانت فى السنّه الثانيه من الهجره و كان عليه السّلام وقت البعته ابن عشر على الأصح، و كان مقام النّبىّ صلّى الله عليه و آله بمكه قبل الهجره ثلاث عشره سنه .

«و ها أنا اليوم قد ذرّفت» بالتشديد، أى: زدت.

ص: ٥١٤

«على الستين» وقد عرفت أنّ الدينورى رواه: «جنفت الستين»، والمسعودى: «قد أربيت على نيف و ستين».

«و لكن» هكذا فى (المصريه) ونسخه ابن ميثم (١)، و لكن فى ابن أبى الحديد (٢) و الخطيه: «و لكنه».

«لا رأى لمن لا يطاع» لأنه يذهب رأيه هدرًا.

قول المصنف فى العنوان الثانى «و قال عليه السلام لما بلغه إغاره أصحاب معاويه» بقياده سفيان بن عوف الغامدى.

«على الأنبار فخرج بنفسه ماشيا» لما ندبهم إلى الخروج إليه و دفعه و لم يجيبوه.

«حتى أتى النخيله» و نزلها عليه السلام فى طريقه إلى صفين أيضا، و دلّهم على قبر يهودا و قبر هود كما رواه نصر بن مزاحم فى (صفينه) (٣).

«فأدركه الناس و قالوا: يا أمير المؤمنين نحن نكفيكمهم. فقال عليه السلام: ما تكفوننى» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (و الله ما تكفوننى) كما فى (ابن أبى الحديد (٤) و ابن ميثم (٥) و الخطيه).

«أنفسكم فكيف تكفوننى غيركم؟» قالوا: إنّ قوما غير عليهم فاستصرخوا بنى عمّهم، فأبطأوا عنهم حتى اسروا و ذهب بهم ثم جاءوا يسألون عنهم، فقبل لهم: «أ سائر اليوم و قد زال الظهر» فصار مثلا، أى: أ تطمع و قد بان اليأس؟

ص: ٥١٥

١-١ شرح ابن ميثم ٢:٣٠.

٢-٢ شرح ابن أبى الحديد ٢:٧٥. [١]

٣-٣ صفين لنصر بن مزاحم: ١٢٦. [٢]

٤-٤ شرح ابن أبى الحديد ٢:٨٨. [٣]

٥-٥ شرح ابن ميثم ٢:٣١. [٤]

«إن» مخففه من المثقله.

«كانت الرعايا قبلي لتشكو حيف» أى: ظلم.

«رعاتها» جمع الراعى.

«وإننى اليوم لأشكو حيف رعيتى كأننى المقود و هم القاده أو الموزوع» أى:

المكفوف.

«و هم الوزعه» أى: الكافه، قال الحسن البصرى: لا بد للناس من وزاع. أى:

سلطان يكفهم .

«فلما قال عليه السلام هذا القول فى كلام طويل قد ذكرنا مختاره فى جملة الخطب» فى (٢٦) منها.

«تقدم إليه رجلان من أصحابه» قد عرفت من روايه المبرد و الجاحظ أن الرجلين كانا اخوين، و فى (الكامل) للمبرد: الرجل و أخوه

يعرفان بابنى عفيف من الأنصار، و فى (بيان الجاحظ): «فلان بن عفيف، ثم اخذ بيد أخ له»:

و من روايه الثقفى أنهما كانا عمّا و ابن أخ، اسم الأول حبيب بن عفيف، و الثانى عبد الرحمن بن عبد الله .

«فقال أحدهما: انى «لا أمليك إلا نفسى و أختى» فمرنا بأمرك ننقد» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (ننفذ). كما فى غيرها: «له» . و

قالا: لنضربن دونك و إن حال جمر الغضا و شوك القتاد.

«فقال عليه السلام: و أين تقعان ممّا اريد؟» بعد أن أثنى عليهما و دعا لهما.

٤

الخطبه (٣٤)

و من خطبه له عليه السلام فى استنفار الناس إلى أهل الشام:

أَفْ لَكُمْ لَقَدْ سَمَّمْتُ عَتَابَكُمْ «أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ» (١)

ص: ٥١٦

عَوْضًا- وَ بِالذَّلِّ مِنَ الْعِزِّ خَلْفًا- إِذَا دَعَوْتُمْكُمْ إِلَى جِهَادِ عِدْوِكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ- كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرِهِ- وَ مِنَ الذَّهْوِ فِي سَكْرِهِ- يُرْتَجُّ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ- فَكَأَنَّ قُلُوبَكُمْ مِأْلُوسَةٌ فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ- مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سِجِسَ اللَّيَالِي- وَ مَا أَنْتُمْ بِرُكْنِ يَمَالٍ بِكُمْ- وَ لَا زَوَافِرٍ عِزٌّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ- مَا أَنْتُمْ إِلَّا كِبَابِلٌ ضَلَّ رِعَاتُهَا- فَكَلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ- لَيْسَ لَعَمْرُ اللَّهِ سَعُرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ- تُكَادُونَ وَ لَا- تَكِيدُونَ- وَ تُنْتَقِصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ- لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَ أَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ- غَلِبَ وَ اللَّهُ الْمُتَخَذِلُونَ- وَ أَيُّمُ اللَّهِ- إِنِّي لَمَأْظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَعَوْ حِمْسَ الْعَوَاغِي- وَ اسْتَحَزَّ الْمَيُوتُ- قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟ انْفِرَاجِ الرَّأْسِ- وَ اللَّهُ إِنْ أَمْرًا يُمَكِّنُ عِدْوَهُ مِنْ نَفْسِهِ- يَعْزُقُ لَحْمَهُ وَ يَهْشِمُ عَظْمَهُ- وَ يَفْرِى جِلْدَهُ لِعَظِيمِ عَجْزِهِ- ضَعِيفٌ مِثْلُ ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَازِيحُ صَدْرِهِ- أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ- فَأَمَّا أَنَا فَوَاللَّهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذَلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرِفِيِّهِ- تَطِيرُ مِنْهُ فَرَّاشُ الْهَامِ- وَ تَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَ الْأَقْدَامُ- وَ يَفْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ مِمَّا يَشَاءُ أَيُّهَا النَّاسُ- إِنْ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَ لَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ- فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنِّصَّةُ بِيحِهِ لَكُمْ- وَ تَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ- وَ تَعْلِيمُكُمْ كَيْلًا- تَجْهَلُوا وَ تَأْدِيبُكُمْ كَيْمًا تَعْلَمُوا- وَ أَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ- وَ النَّصِيحَةُ بِيحِهِ فِي الْمَشْهَدِ وَ الْمَغِيبِ- وَ الْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ وَ الطَّاعَةُ حِينَ أَمُرُّكُمْ أَقُولُ: قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ (١): خَطَبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِهَا بَعْدَ فِرَاغِهِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَ قَدْ كَانَ قَامَ بِالنَّهْرَوَانَ وَ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَحْسَنَ نَصْرَكُمْ، فَتَوَجَّهُوا مِنْ فُورِكُمْ هَذَا إِلَى عَدُوِّكُمْ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ. فَقَالُوا: نَفَدَتْ نَابِلَانَا وَ كَلَّتْ سِيوفُنَا وَ انصَلتْ أَسْنَتُهُ

ص: ٥١٧

(١-١) شرح ابن أبي الحديد ١١٩: ٢. [١]

رماحنا، ارجع بنا إلى مصرنا نستعد بأحسن عدتنا، ولعل يزيد في عددنا مثل من هلك منا، فإنه أقوى لنا على عدونا.

قلت: رواه الثقفى فى (غاراته الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٢٣ تا ٢٥ عنوان: «قدوم على عليه السلام إلى الكوفة عن حرب الخوارج»)
(١) فى عنوان: «قدوم على عليه السلام إلى الكوفة عن حرب الخوارج» مسندا عن أبى الوداك و زاد فى آخره: «و كان الذى ولى كلام الناس الأشعث بن قيس». و قال ابن أبى الحديد (٢) - بعد ما مرّ - فكان جوابه عليه السلام «يا قوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا تزددوا على أذباركم فتتقلبوا خاسرين» (٣) فتلكأوا عليه و قالوا: إن البرد شديد. فقال: إنهم يجدونه كما تجدون. فابوا، فقال: أف لكم إنها سنه جرت. ثم تلا: «قالوا يا موسى إن فيها قوماً جبارين و إنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإننا داخلون» (٤). فقام منهم جمع فقالوا: الجراح فاش فى الناس - و كان الخوارج قد أكثروا الجراح فى أصحابه عليه السلام - فارجع بنا إلى الكوفة فأقم أياما ثم أخرج بنا. فارجع عليه السلام إلى الكوفة من غير رضا.

قلت: و رواه (غارات الثقفى) (٥) عن معلى بن السكن فى خبرين و زاد الروايه عن طارق بن شهاب: أنه عليه السلام لما رجع إلى الكوفة و أقام أياما و تفرق عنه ناس كثير، فمنهم من أقام يرى رأى الخوارج، و منهم من أقام شاكا فى أمره. و روى عن أبى الوداك: أنه عليه السلام لما نزل التخييه أخذ الناس يتسللون، فلا من دخل الكوفة خرج إليه، و لا من أقام معه صبر، فلما رأى ذلك دخل الكوفة.

قال: و روى نصر بن مزاحم عن عمر بن سعد عن نمير بن وعلة عن أبى

ص: ٥١٨

١ - ١) الغارات للثقفى ٢٣: ١-٢٥. [١]

٢ - ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٩٣: ٢. [٢]

٣ - ٣) المائدة: ٢١. [٣]

٤ - ٤) المائدة: ٢٢. [٤]

٥ - ٥) الغارات للثقفى ٣٠: ١-٣١. [٥]

وداك قال: لَمَّا كره القوم المسير إلى الشام بعد النهروان أقبل عليه السّلام بهم فأنزلهم التّخيله و أمر الناس أن يلزموا معسكرهم، و يوطّنوا على الجهاد أنفسهم، و أن يقلّوا زياره نسائهم و أبنائهم حتى يسير بهم إلى عدوهم- و كان ذلك هو الرأى لو فعلوه- و أقبلوا يتسللون و يدخلون الكوفه فتركوه عليه السّلام و ما معه من الناس إلّا رجلا من وجوههم قليل، و بقى المعسكر خاليا فلا من دخل الكوفه خرج إليه و لا من أقام معه صبر، فلَمَّا رأى ذلك دخل الكوفه فخطب الناس- و هى أوّل خطبه خطبها بعد قدومه من حرب الخوارج- فقال: أيّها النّاس استعدوا لقتال عدو في جهادهم القربه إلى الله عزّ و جلّ و درك الوسيله عنده، قوم حيارى عن الحق لا يبصرونه، موزعين بالجور و الظلم لا يعدلون به، جفاه عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون في الطغيان، و يتسكعون في غمره الضلال، ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ» (١) و توكلوا «عَلَى اللَّهِ وَ كَفَى بِاللَّهِ وَ كَيْلًا» (٢). فلم ينفروا فتركهم أيّاما ثم خطبهم فقال: «اف لكم لقد سئمت عتابكم» «أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ» (٣) عوضا» إلى آخر الفصل، و زاد: أنتم اسود الشرى في الدّعه، و ثعالب رواغه حين البأس. إنّ أخوا الحرب اليقظان، ألا إنّ المغلوب مقهور و مسلوب.

قال: و روى الأعمش عن الحكم بن عتيبه عن قيس بن أبى حازم قال:

سمعت عليّا عليه السّلام على منبر الكوفه و هو يقول: يا أبناء المهاجرين، انفروا إلى أئمه الكفر و بقيه الأحزاب و أولياء الشيطان، انفروا إلى من يقاتل على دم حمّال الخطايا، فو الله الذى فلق الحبه و برأ النسمة إنّه ليحمل خطاياهم إلى يوم

ص: ٥١٩

١- ١) الأنفال: ٦٠. [١]

٢- ٢) النساء: ٨١. [٢]

٣- ٣) التوبه: ٣٨. [٣]

القيامة و لا ينقص من أوزارهم شيئاً.

و أوله على أنّ المراد بمن يقاتل على دم حمال الخطايا: أهل الشام الذين يقاتلون على دم معاويه، لا معاويه الذى يقاتل على دم عثمان.

قلت: و هو كما ترى، ثم ما يفعل بقول عمّار يوم صفّين: اقصدوا بنا نحو هؤلاء القوم الذين يبغون دم عثمان و يزعمون أنّه قتل مظلوماً، و الله ان كان إلّا ظالماً لنفسه حاكماً بغير ما أنزل الله... «فإنّها لا تعمى الأبصار و لكنّ تعمى القلوب الّتى فى الصّدور» (١).

و رواه الثقفى فى (غاراته) (٢) عن بكر بن عيسى عن الأعمش... مثله.

و كيف كان، فروى الثقفى (٣) فى (غاراته) كما فى المجلس الثامن عشر من (أمالى المفيد) (٤) - عن محمّد بن إسماعيل عن زيد بن المعدّل عن يحيى بن صالح عن الحرث بن حضيره عن أبى صادق عن جندب بن عبد الله الأزدى قال: سمعت عليّاً عليه السّلام يقول لأصحابه - و قد استنفرهم أيّاماً إلى الجهاد فلم ينفروا أيّها الناس، إنّى قد استنفرتكم فلم تنفروا، و نصحت لكم فلم تقبلوا، أنتم شهود كإغياص، و صم ذوو أسماع، أتلو عليكم الحكمة و أعظكم بالموعظة الحسنه و أحثّكم على جهاد عدوّكم الباغين، فما أتى على آخر منطقتى حتى أراكم متفرقين أيّادى سباً، فإذا أنا كففت عنكم عدتم إلى مجالسكم حلّقا عزيزين، تضربون الأمثال و تتناشدون الأشعار و تسألون عن الأخبار، و قد نسيتم الاستعداد للحرب و شغلتم قلوبكم بالأباطيل، تربت أيديكم اغزوا القوم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزى قوم قط فى عقر ديارهم إلّا ذلوا، و ايم الله ما

ص: ٥٢٠

[١ - ١] الحج: ٤٦. [١]

[٢ - ٢] الغارات للثقفى ١: ٤٠. [٢]

[٣ - ٣] الغارات للثقفى ٢: ٤٩٣ - ٢: ٤٩٤. [٣]

[٤ - ٤] الأمالى للمفيد: ١٤٥ - ١٤٦، المجلس ١٨.

أراكم تفعلون حتى يفعلوا، و لوددت أنى لقيتهم على تيتى و بصيرتى فاسترحت من مقاساتكم، فما أنتم إلا- كإبل جمه ضلّ راعيها، فكلما ضمت من جانب انتشرت من جانب آخر، و الله لكأنى بكم لو حمى الوغى و حم البأس قد انفرجتم عن على بن أبى طالب (انفراج الرأس و ظ) انفراج المرأه عن قبلها.

فقام إليه الأشعث بن قيس الكندى فقال له: فهلاً فعلت كما فعل ابن عفان؟ فقال عليه السّلام له: يا عرف النار و يلك! إن فعل ابن عفان لمخزاه على من لا- دين له و لا- حجّه معه، فكيف و أنا على بينه من ربى و الحق فى يدي؟ أو الله إن امرأ يمكن عدوّه من نفسه يجدع لحمه و يهشم عظمه و يفرى جلده و يسفك دمه، للضعيف ما ضمت عليه جوارح صدره. أنت فكن كذلك إن أحببت، أمّا أنا فدون أن اعطى ذلك ضرباً بالمشرفى، و تطيح منه الأكفّ و المعاصم، و يفعل الله بعد ما يشاء.

فقام أبو أيوب الأنصارى- صاحب منزل النبى صلّى الله عليه و آله- فقال: أيها الناس، إن أمير المؤمنين عليه السّلام قد أسمع من كانت له اذن و اعيه و قلب حفيظ، إن الله قد أكرمكم بكرامه لم تقبلوها حقّ قبولها: إنّه نزل بين أظهركم ابن عمّ نبيكم و سيّد المسلمين من بعده، يفقّهم فى الدين و يدعوكم إلى جهاد الملحدين، فكأنكم صمّ لا تسمعون، أو على قلوبكم غلف مطبوع عليها فأنتم لا تعقلون، أفلا تستحيون؟ عباد الله، أليس إنّمأ عهدكم بالجور و العدوان أمس قد شمل البلاء و شاع فى البلاد، فذو حق محروم و ملطوم و جهه، و موطوء بطنه و ملقى بالعرء يسفى عليه الأعاصير، لا يكنه من الحرّ و القرّ و صهر الشمس و الضح إلاّ الأ- ثواب الهامده و بيوت الشعر الباليه، حتّى جاءكم الله بأمر المؤمنين عليه السّلام فصدع بالحقّ و نشر العدل و عمل بما فى الكتاب، يا قوم فاشكروا نعمه الله عليكم و لا تولوا مدبرين «و لا تكونوا كالذين قالوا سمعنا و هم لا»

«يَسْمَعُونَ» (١) اشحذوا السيوف و استعدوا لجهاد عدوكم، و إذا دعيتم فأجيبوا و إذا أمرتم فاسمعوا و اطيعوا....

و فى (الطبرى) (٢): قال أبو مخنف عمّن ذكره عن زيد بن وهب: إنّ عليّاً عليه السّلام قال للناس- و هو أوّل كلام قاله لهم بعد النهر:-

أيّها الناس، استعدوا للمسير إلى عدوّ فى جهاده القربه إلى الله و درك الوسيله عنده، حيارى فى الحق، جفاه عن الكتاب، نكب عن الدين، يعمهون فى الطغيان و يتسكعون فى غمره الضلال، ف «أَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَ مِنْ رِباطِ الْخَيْلِ» (٣) و توكّلوا على الله «وَ كَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَ كَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا» (٤). فلا- هم نفروا و لا تيسروا، فتركهم أيّما حتى إذا أيس من أن يفعلوا، دعا رؤساءهم فسألهم عن رأيهم و ما الذى ينظرونهم، فمنهم المعتل و منهم المكره و أقلهم من نشط، فقام فيهم خطيباً فقال: عباد الله ما لكم إذا أمرتكم أن تنفروا «اتّأقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِ يَتِيمٍ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ» (٥)، و بالذلّ و الهوان من العزّ؟ أو كلّما نددتكم إلى الجهاد دارت أعينكم كأنكم من الموت فى سكره، و كأنّ قلوبكم مألوسه فأنتم لا- تعقلون، و كأنّ أبصاركم أكمه فأنتم لا تبصرون؟ لله أنتم! ما أنتم إلاّ اسود الشرى فى الدّعه و ثعالب رّواغه حين تدعون إلى الناس، ما أنتم لى بثقه سحيس الليالى، ما أنتم بركب يصال بكم و لا ذى عز يعتصم اليه، لعمر الله لبئس حشاش الحرب أنتم! إنكم تكادون و لا تكيدون، ينتقض أطرافكم و لا تتحاشون، و لا ينام عنكم و أنتم فى

ص: ٥٢٢

١- (١) الأنفال: ٢١. [١]

٢- (٢) تاريخ الطبرى ٩٠: ٥. [٢]

٣- (٣) الأنفال: ٦٠. [٣]

٤- (٤) النساء: ٤٥. [٤]

٥- (٥) التوبه: ٣٨. [٥]

غفله ساهون. إنّ أخا الحرب اليقظان ذو عقل، و ثابت لذلّ من وادع، و غلب المتجادلون، و المغلوب مقهور و مسلوب.

ثمّ قال عليه السّلام: أما بعد، فإنّ لي عليكم حقاً و إنّ لكم عليّ حقاً، فأما حقّكم عليّ فالنصيحة لكم ما صحبتكم، و توفير فيئكم، و تعليمكم كيما لا- تجهلون، و تأديبكم كي تعلموا، و أمّا حقّي عليكم فالوفاء بالبيعه، و النصح لي في الغيب و المشهد، و الإجابة حين أدعوكم. و الطاعة حين آمركم، فإن الله بكم خيراً و تردعوا عمّا أكره و تراجعوا إليّ ما أحبّ، تناولوا ما تطلبون و تدرّكوا ما تأملون.

و رواه مثله (غارات الثقفى) (١) باسناده عن زيد بن وهب.

و رواه ابن قتيبه (٢) مع زيادات:- إلى أن قال- ويحكم! ما أنتم إلّا كإبل جامحة ضلّ عنها رعاؤها، فكلّما ضمت من جانب انتشرت من جانب، و الله لكأني أنظر إليكم- و قد حمى الوطيس- لقد انفرجتم عليّ انفراج الرأس، و انفراج المرأه عن قبلها. فقام إليه الأشعث فقال: فهلاً فعلت كما فعل عثمان؟ فقال عليه السّلام له: ويملك: و كما فعل عثمان رأيتني فعلت؟ عائذا بالله من شر ما تقول، و الله إنّ الذي فعل عثمان لمخزاه عليّ من لا- دين له و لا- حجّه معه، فكيف و أنا عليّ بينه من ربي و الحقّ معي؟ و الله إنّ امرأ مكنّ عدوّه من نفسه فنهش عظمه و سفك دمه، لعظيم عجزه و ضعيف قلبه. أنت يا بن قيس فكن ذلك، فأما أنا فوالله دون أن اعطى ذلك ضرباً بالمشرفى يطير له فراش الرأس، و تطيح منه الأكفّ و المعاصم و تجذبه الغلاصم، و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء.

«افّ لكم» في (الجمهره): يقال: أتانا على افّ ذلك. أى: أبانه. و افّ لك: إذا

ص: ٥٢٣

[١- ١] الغارات للثقفى ٣٣: ١-٣٨. [١]

[٢- ٢] خلطاء ابن قتيبه: ١٥٠-١٥١. [٢]

تَضَجَّرَتْ مِنْهُ، وَ قَالَ أَبُو زَيْدٍ فِي قَوْلِهِمْ: أَفَ وَ تَفَ: (أَفَ) الْأَظْفَارُ، وَ (تَفَ) وَ سَخَهَا. وَ فِي (الصَّحَاحِ): أَفَا لَهُ. أَي: قَدْرًا، وَ التَّنْوِينُ لِلتَّنْكِيرِ.
«لقد سئمت» أي: مللت.

«عتابكم» أي: لومكم، و إنما سئمت عليه السَّلام من عتابهم لأنَّه كان يعاتبهم مره بعد مره على الشخوص إلى العدو—بعد الفراغ من الخوارج، و في النخيله و في الكوفه—فيتقاعدون.

«أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَآخِرَةِ» عوضاً قال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضِيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْمَآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْمَآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ» (١).

«و بالذل من العز خلفاً» و كان أهل العراق أعزاء قبل رجوعهم من صفين، و صاروا أذلاء بعده بتركهم القتال مع أهل الشام .

«إِذَا دَعَوْتَكُمْ إِلَى جِهَادٍ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ الْمَوْتِ فِي غَمْرِهِ» الأَصْلُ فِيهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يُنْظَرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ» (٢).

«و من الدهول» أي: الغفله.

«في سكره» فلا تعقلون ما يقال لكم .

«يرتج» من: ارتجت الباب: إذا أغلقتة.

«عليكم حوارى» بالكسر من المحاوره، أي: خطابي.

«فتعمهون» أي: تتحيرون.

ص: ٥٢٤

(١ - ١) التوبه الأحزاب: ٣٨. [١]

(٢ - ٢) ١٩.

«فكأنّ» و في (ابن ميثم) (١): «و كأن».

«قلوبكم مألوسه» في (الجمهره): الألس و الآلاس: ذهاب العقل، رجل مألوس: إذا كان كذلك.

«فأنتم لا تعقلون» فمن اخذ قلبه و ذهب عقله، كيف يعقل ؟ «ما أنتم لى بثقه سجييس الليالى» كناية عن الأبد، قال الشاعر:

هنالك لا أرجو حياه تسرنى سجييس الليالى مبسلا بالجرائر

و مثله سجييس الدهر، قال:

و لو لا ظلمه ما زلت أبكى سجييس الدهر ما طلع النجوم

قال ابن دريد يقال: لا آتيك سجييس الليالى، كما يقال: طوال الليالى، و طوال الدهر .

«و ما أنتم بركن يمال بكم» قالوا فى قوله تعالى: «أَوْ آوَىٰ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ» (٢) أى عزّ و منعه. و ركن الشىء جانبه الأقوى .

«و لا زوافر» أى: أسباب.

«عزّ يفتقر إليكم» لمّا كان الحجاج يقاتل شبيب الخارجى، و أمده عبد الملك بسفيان بن الأبرد الكلبى قام الحجاج على المنبر و قال، يا أهل الكوفه، لا أعزّ الله من أراد بكم العزّ، و لا نصر من أراد بكم النّصر، أخرجوا عنّا و لا تشهدوا معنا قتال عدونا، الحقوا بالحيره فانزلوا مع اليهود و النصارى.

و قال أعشى همدان فى انهزام أهل العراق مع ابن الأشعث:

و ينزل ذلاً بالعراق و أهله كما نقضوا العهد الوثيق المؤكدا

فكيف رأيت الله فزق جمعهم و مزّقهم عرض البلاد و شرّدا

ص: ٥٢٥

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٢:٧٦. [١]

٢-٢ (٢) هود: ٨٠. [٢]

بما نكثوا من بيعه بعد بيعه إذا ضمنوها اليوم خاسوا بها غدا

و ما أحدثوا من بدعه و عظيمه من القول لم تصعد إلى الله مصعدا

«ما أنتم إلا كابل ضلّ رعاتها» الرعاه: جمع الراعى.

«فكلّمنا جمعت من جانب انتشرت من آخر» و قد عرفت أنّ فى روايه الثقفى:

«فما أنتم إلا- كابل جمّه ضل راعيها...» و فى روايه القتيبي: «ما أنتم إلا كابل جامحه ضلّ عنها رعاؤها، فكلّمنا ضمت من جانب انتشرت من جانب».

«لبئس لعمر الله سَعْر» بالضم و التشديد، جمع ساعر من: سعرت النار:

إذا أوقدتها، قرئ «وَ إِذَا الْجَحِيمُ سُعِّرَتْ» (١) بالتشديد و التخفيف.

و سمى شاعر أسعر بقوله:

فلا يدعنى الأقوم من آل مالك إذا أنا لم أسعر عليهم و اثقب

«نار الحرب أنتم! تكادون و لا تكيدون و تنقص» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (و تنتقص) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«أطرافكم فلا تمتعضون» أى: لا يشق عليكم فتعضبون .

«لا ينام عنكم و أنتم فى غفله ساهون» أى: مساهلون .

«غلب» بالضم، أى: يصير مغلوبا.

«و الله المتخاذلون. و ايم الله» بمعنى يمين الله.

«إِنّى لأظنّ أن لو حمس» أى: اشتدّ.

«الوغى» أى: الحرب .

«و استحر» مثل حر، بمعنى اشتد.

١-١) التكوير: ١٢. [١]

٢-٢) شرح ابن أبي الحديد ١٨٩:٢. [٢]

٣-٣) شرح ابن ميثم ٧٦:٢. [٣]

«الموت» و المراد القتل .

«قد انفرجتم» أى: انفصلتم.

«عن ابن أبى طالب انفراج الرأس» قال الشاعر:

تفرقت القبائل عن رباح تفرق بيضه عن ذى جناح

قال ابن أبى الحديد (١): معنى انفراج الرأس: أى كما ينفلق الرأس، فيذهب نصفه يمنه و نصفه شامه. و قال الزاوندى: معناه انفراج من أدنى رأسه إلى غيره ثم حرف رأسه عنه. و قال ابن ميثم: انفراج الرأس مثل، قيل: أول من تكلم به أكثم بن صيفى فى وصيته لبنيه: لا- تنفرجوا عند الشدائد انفراج الرأس، فإنكم بعد ذلك لا تجتمعون على عز. قال ابن دريد: معناه أن الرأس إذا انفرج عن البدن لا يعود إليه. و قال المفضل: الرأس اسم رجل ينسب إليه قريه من قرى الشام يقال لها: بيت الرأس يباع فيه الخمر. قال حسان:

كأن سبيته من بيت رأس يكون مزاجها غسل و ماء

و هذا الرجل قد انفرج عن قومه و لم يعد، فضرب به المثل. و قيل: معناه أن الرأس إذا انفرج بعض عظامه كان بعيد الالتيام. و قيل: معناه انفراج المرأة عن رأس ولدها حاله الوضع، كما فى قوله عليه السلام فى موضع آخر: «انفراج المرأة عن قبلها».

قلت: الأصح قول ابن دريد، و أميا ما عن المفضل فيختلف تعريفا و تنكيرا، و أما الأخير فيردّه أن الثقفى و القتيبي جمعا بينهما فى روايتهما .

«و الله إن امرأ يمكّن عدوّه من نفسه يعرق لحمه» أى: يأكل جميع لحمه من عظمه. و سمى شاعر طائى عارقا بقوله:

إن لم يغير بعض ما قد صنعتم لأنتحين للعظم ذو انا عارقه

ص: ٥٢٧

(١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٩١: ٢. [١]

«و يهشم عظمه» أى: يدقه، من: هشم الثريد، و منه سمى هاشم، و اسمه عمرو، قال الشاعر:

عمرو الذى هشم الثريد لقومه و رجال مكة مستنون قحاف

«و يفرى جلده» من: أفرى الأديم: قطعه على جهه الإفساد، و أمّا فريته فقطعه على الإصلاح .

«لعظيم عجزه ضعيف ما ضمت عليه جوانح» جمع جانحه: الاضلاع المحيطه بالصدر.

«صدره» أى: ضعيف قلبه، فى (عيون القتيبي) (1): قال الحرسي: استثرنا من مزرعه فى بلاد الشام رجلين يذريان حنطه، أحدهما أصيفر أحيمس و الآخر مثل الجمل عظما، فقاتلنا الأصيفر بالمذرى لا تدنو منه دابه إلا نخس أنفها و ضربها حتى شق علينا، فقتل و لم نصل إلى الآخر حتى مات فرقا، فأمرت بهما فوقرت بطونهما، فإذا فؤاد الصّخم يابس مثل الحشفه، و فؤاد الاصيفر مثل فؤاد الجمل يتخضخض فى مثل كوز من ماء.

و اخرج شبيب الخارجى من الماء-بعد غرقه-فشق بطنه و اخرج فؤاده، فاذا هو مثل الكوز، فجعلوا يضربون به الأرض فينزو .

«و أنت فكن ذاك إن شئت» قد عرفت من روايه الثقفى و روايه القتيبي أنّ المخاطب له عليه السّلام بهذا الكلام: الأشعث بن قيس لما قام إليه فى خطبته تلك و قال له: هلا فعلت كما فعل عثمان؟ فجزه عليه السّلام و قال له: إنّ الذى فعل لمخزاه على من لا دين له و لا حجّه معه، فكيف و أنا على بينه من ربّى و الحق معى؟ و الله ان امرأ مكن عدوّه... و فى روايه الثانى: «أنت يابن قيس فكن ذلك».

ص: ٥٢٨

قال أبو عبيده: سألت بعض بني كليب: ما أشد ما هجيتم به؟ قال قول البعيث:

ألست كلييا إذا سيم خطه أقرّ كإقرار الحليله للبعل

و كلّ كليبيّ صحيفه وجهه أذلّ لأقدام الرّجال من النعل

«فأما أنا فوالله دون أن اعطى ذلك ضرب بالمشرفيه» أي: سيوف منسوبه مشارف قريه بها تعمل السيوف .

«تطير منه فراش» أي: عظام دقاق.

«الهام» أي: الرأس، في (القاموس): لقب ناجيه الجرمي: معود الفتيان لأنه ضرب مصدق نجده الخارجى فخرق بناجيه، فضربه بالسيف و قتله و قال:

اعوّدها الفتيان بعدى ليفعلوا كفعلى إذا ما جار فى الحكم تابع

«و تطيح» أي: تهلك و تسقط.

«السواعد» سواعد اليد.

«و الأقدام» أخذ كلامه عليه السلام ثابت قطنه فكتب إلى يزيد بن المهلب يحرضه على القتال:

إنّ امرأ حدبت ربيعه حوله و الحى من يمن و هاب كؤدا

لضعيف ما ضمنت جوانح صدره إن لم يلف إلى الجنود جنودا

أ يزيد كن فى الحرب إذ هيبتها كأبيك لا رعشا و لا رعديدا

شاورت أكرم من تناول ماجدا فرأيت همك فى الهموم بعيدا

ما كان فى أبويك قادح هجنه فيكون زندك فى الصلود زنودا

إنّا ضاربون فى حمس الوغى رأس المتوج إذ أراد صدودا

و ترى إذا كثر العجاج ترى لنا

و ترى مواطنهم إذا اختلف القنا و المشرفيه يلتظين وقودا

فلما قر يزيد كتابه قال: إنّ ثابتا لغافل عمّا نحن فيه، لا طيعنه و سيرى ما يكون ١.

إنّ امرأ حدبت ربيعه حوله و الحى من يمن و هاب كؤدا

لضعيف ما ضمنت جوانح صدره إن لم يلف إلى الجنود جنودا

أ يزيد كن فى الحرب إذ هيبتها كأبيك لا رعشا و لا رعديدا

شاورت أكرم من تناول ماجدا فرأيت همك فى الهموم بعيدا

ما كان فى أبويك قادح هجنه فيكون زندك فى الصلود زنودا

إنّا ضاربون فى حمس الوغى رأس المتوج إذ أراد صدودا

و ترى إذا كثر العجاج ترى لنا

و ترى مواطنهم إذا اختلف القنا و المشرفيه يلتظين وقودا

فلما قر يزيد كتابه قال: إنّ ثابتا لغافل عمّا نحن فيه، لا طيعنه و سيرى ما يكون (١).

فى (صفين نصر) (٢): ذكر معاويه يوما صفين بعد عام الجماعة- إلى أن قال- فقال عبد الرحمن بن خالد بن الوليد: أمّا و الله لقد رأيت يوما من الأيام و قد غشينا ثعبان مثل الطود الأرعن قد أثار قسطلا حال بيننا و بين الأفق، و هو على أدهم سائل يضربهم بسيفه ضرب غرائب الإبل، كاشرا عن أنيابه كشر الحذر الحرب. فقال معاويه: و الله إنّه كان يجالذ و يقاتل عن تره له و عليه، أراه يعنى علينا.

و ممّن لم يمكن عدوّه من نفسه المختار، ففى (الطبرى) (٣): أنّ المختار لما حوصر خرج فى تسعه عشر رجلا فقال لهم: أ تؤمنونى و أخرج إليكم؟ فقالوا: لا إلا على الحكم. فقال: لا احكمكم فى نفسى أبدا. فضارب بسيفه حتى قتل، و قد كان قال لأصحابه- حين أبوا أن يتابعوه على الخروج معه-: إذا أنا خرجت إليهم فقتلت لم تزدادوا إلا ضعفا و ذلا فإن نزلتم على حكمهم و ثب أعداؤكم الذين قد وترتموهم، فقال كلّ رجل منهم لبعضكم: هذا عنده ثأرى.

فيقتل و بعضكم ينظر إلى مصارع بعض فتقولون: يا ليتنا أطعنا المختار و عملنا برأيه، و لو أنّكم خرجتم كنتم إن أخطأتم الظفر ممّم كراما، و إن هرب منكم هارب فدخل فى عشيرته يكن أذلّ من على ظهر الأرض- فكان كما قال-

ص:

١- (١) الأغاني ٢٧٧:١٤-٢٧٨. [١]

٢- (٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٨٧. [٢]

٣- (٣) تاريخ الطبرى ١٠٧:٦. [٣]

ولمّا كان الغد من قتل المختار قال بجير المسلى من أصحابه لباقيهم: يا قوم قد كان صاحبكم بالأمس أشار عليكم بالرأى فما أطعتموه، يا قوم إنكم إن نزلتم على حكم القوم ذبحتم كما تذبح الغنم، أخرجوا بأسيافكم حتى تموتوا كراما. فقالوا: لقد أمرنا بهذا من كان أطوع عندنا فعصيناه. فأمكنوا من أنفسهم و نزلوا إلى الحكم، فبعث مصعب إليهم عباد الحبطى فكان هو يخرجهم مكثفين - إلى أن قال - فقال بجير لمصعب: إن حاجتى إليك ألا تقتل مع هؤلاء، إننى أمرتهم أن يخرجوا مع أسيافهم فيقاتلوا حتى يموتوا كراما فعصونى. فقدم فقتل، وقال مسافر بن سعيد بن نمران لمصعب لما أبى إلا قتلهم: قبح الله قوما أمرتهم أن يخرجوا ليلا على حرس سكه من هذه السكك، فنظردهم ثم نلحق بعشائنا فعصونى حتى حملونى على أن أعطيت التى هى أنقص و أدنى، و أبوا إلا أن يموتوا ميتة العبيد، فأنا أسألك ألا تخلط دمي بدمائهم. فقدم فقتل ناحيه.

و فيه: لمّا حمل عبد الجبار الأزدى إلى المنصور بعد خروجه عليه قال له: قتله كريمه قد تركتها وراءك يابن اللخناء.

و فيه (١): إنّ معديكرب بن ذى يزن لما استجار بكسرى لينصره حتى يخرج الحبشه من بلاده، أمر بمن كان فى سجنه فاحصوا فبلغوا ثمانمائه، فقوّد عليهم قائدا من أساورته يقال له: وهرز، كان كسرى يعدله بألف أسوار، و أمر بحملهم فى ثمانى سفائن فى كلّ سفينه مائه، فغرقت سفينتان و سلمت ست فخرجوا ساحل حضر موت، و سار إليهم مسروق بن أبرهه فى مائه ألف من الحبشه و حمير و الأعراب، و نزل و هرز على سيف البحر و جعل البحر وراء ظهره، فلما نظر مسروق الحبشى إلى قتلهم طمع فيهم فأرسل إلى وهرز:

ص: ٥٣١

ما جاء بك و ليس معك إلا من أرى و معى من ترى؟ لقد غررت بنفسك و أصحابك فإن أحببت أذنت لك فرجعت، و إن أحببت ناجزتك الساعه، و إن أحببت أجلتك حتى تنظر أمرك. فرأى و هرز أنه لا- طاقه له بهم فقال: بل تضرب بينى و بينك أجلا- إلى أن قال- فلما انقضى الأجل إلا يوما أمر بالسيفن التى كانوا فيها فاحرقت بالنار، و أمر بما كان معهم من فضل كسوه فاحرق، و لم يدع منه إلا ما كان على أجسادهم، ثم دعا بكل زاد معهم فقال لأصحابه. كلوا هذا الزاد. فأكلوا فلما انتهوا أمر بفضله فالقى فى البحر، ثم قام فيهم خطيبا فقال: أما أن أحرقتم سفنكم فأردت أنه لا سبيل لكم إلى بلادكم أبدا، و أما أن أحرقت من ثيابكم فإنه كان يغىظنى إن ظفروا بكم أن يصير ذلك إليهم، و أميا ما ألقيت من زادكم فى البحر فأنتى كرهت أن يطمع أحد منكم أن يكون معه زاد يعيش به يوما واحدا، فإن كنتم تقاتلون معى و تصبرون أعلمتمونى ذلك، و إن كنتم لا تفعلون اعتمدت على سيفى هذا حتى يخرج من ظهرى، فأنتى لم أكن امكنهم من نفسى أبدا. فقالوا: بل نقاتل معك حتى نموت عن آخرنا أو نظفر.

فلما كان صبح اليوم الذى انقضى فيه الأجل عبأ أصحابه و جعل البحر خلفه، و أقبل عليهم يحضهم على الصبر و يعلمهم أنهم معه بين خلتين: إما ظفروا بعدوهم و إميا ماتوا كراما، و أمرهم أن تكون قسيهم موتره و قال: إذا أمرتكم أن ترموا فارموهم رشقا بالبنجكان. - و لم يكن أهل اليمن رأوا النشاب قبل ذلك- و أقبل مسروق فى جمع لا يرى طرفاه على فيل، و على رأسه تاج بين عينيه ياقوته حمراء مثل البيضة لا- يرى أن دون الظفر شيئا، و كان و هرز قد كل بصره، فقال: أرونى عظيمهم. فقالوا: هو صاحب الفيل. ثم لم يلبث مسروق أن نزل فركب فرسا، فقالوا: قد ركب فرسا. فقال: ارفعوا لى حاجبى.

و كانا قد سقطا على عينيه من الكبر، فرفعوهما بعصابه ثم أخرج نشابه

فوضعها فى كبد قوسه و قال: أشيروا لى إلى مسروق. فأشاروا حتى أثبتته ثم قال: ارموا فرموا. و نزع فى قوسه حتى إذا ملأها سرح
النشابه فأقبلت كأنها رشا حتى صكت جبهته فسقط عن دابته، و قتل فى ذلك الرشق منهم جماعه كثيره، و انقضّ صفهم لما رأوا
صاحبهم صريعا فلم يكن دون الهزيمه شىء، و غنم من عسكرهم ما لا يحصى، و جعل الأسوار يأخذ من الحبشه و من حمير و
الأعراب الخمسين و الستين فيسوقهم مكتفين .

«و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء» :

سأغسل عنى العار بالسيف جالبا على قضاء الله ما كان جالبا

و أذهل عن دارى و أجعل هدمها لعرضى من باقى المذمه حاجبا

و يصغر فى عينى تلادى إذا انثت يمينى بإدراك الذى كنت طالبا

و لابن المفرغ:

لا ذعرت السوام فى فلق الصبح مغيرا و لا دعيت يزيدا

يوم اعطى من المهانه ضيما و المنايا يرصدنى أن أحيدا

و للعدوانى:

إنى أبى أبى ذو محافظه و ابن أبى أبى من أبين

و أنتم معشر زيد ما على مائه فأجمعوا كيدكم طرا فكيدونى

هذا و مدح جريد الحجاج بقصيده- إلى أن قال:-

قل للجبان إذا تأخر سرجه هل أنت من شرك المنيه ناج

فقال له الحجاج: يابن اللخناء جرأت على الناس. فقال: ما ألقىت لها بالا إلا وقتى هذا.

هذا، و قد قيل فى التشجيع نظما و نثرا عربيا و فارسيا و أكثرها، و أحسن ما قيل فى ذلك أبيات الفردوسى المعروف بالفارسىه التى
منها:

اگر جز بکام من آید جواب من و گرز و میدان و افراسیاب

و لما سمعه السلطان محمود الغزنوی قال: لمن هذا البيت الذى يقطر منه ماء الشجاعه؟! إلا إنه-لعمرى-أين ذاك البيت من كلامه عليه السّلام: «و ان امرؤ يمكّن عدوّه-إلى-و يفعل الله بعد ذلك ما يشاء»؟ «أيها النّاس ان لى عليكم حقًا و لكم علىّ حقّ، فأما حقّكم علىّ فالنصيحه لكم، و توفير» أى: استيفاء.

«فيئكم» أى: غنائمكم.

«عليكم، و أمّا حقّى عليكم فالوفاء بالبيعه و النصيحه فى المشهد و المغيب» و كان عليه السّلام يؤدّى حقّهم إليهم أكثر ممّا لهم، و كانوا يقصّرون فى أداء حقّه.

و فى (الطبرى) (1): وجّه معاويه فى سنه (39) عبد الله بن مسعده الفزارى فى ألف و سبعمائه رجل إلى تيماء، و أمره أن يتصدّق من مرّ به من أهل البوادي، و أن يقتل من امتنع من الإعطاء، ثم يأتى مكه و المدينه و الحجاز يفعل ذلك و اجتمع إليه بشر كثير من قومه، فلَمّا بلغ ذلك عليّ عليه السّلام وجّه المسيّب بن نجبه الفزارى فسار حتى لحقه بتيماء، فاقتتلوا ذلك اليوم حتى زالت الشمس، و حمل المسيّب على ابن مسعده فضربه ثلاث ضربات كلّ ذلك لا يلتمس قتله، و يقول له: النجاء النجاء. فدخل ابن مسعده و عامّه من معه الحصن و هرب الباقون نحو الشام، و انتهب الأعراب إبل الصدقه التى كانت مع ابن مسعده، و حصره المسيّب ثلاثة أيام ثم ألقى الحطب على الباب و ألقى النيران فيه حتى احترق فلَمّا أحسّوا بالهلاك اشرفوا على المسيّب فقالوا: يا مسيب قومك قومك. فكره هلاكهم فأمر بالنار فاطفئت، و قال لأصحابه: قد جاءتنى عيون فأخبرونى أنّ جندا قد أقبل إليكم من الشام، فانضموا فى مكان واحد: فخرج

ص: 534

ابن مسعده في أصحابه ليلا حتى لحقوا بالشام، فقال له عبد الرحمن بن شبيب: سر بنا في طلبهم فأبى المسيب، فقال له: غششت أمير المؤمنين و داهنت.

٥

الخطبه (٢٩)

و من خطبه له عليه السلام:

أَيُّهَا النَّاسُ الْمُجْتَمِعَةُ أَيْدَانُهُمْ - الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ - كَلَامُكُمْ يُوهِي الصَّمَّ الصَّلَابَ - وَ فِعْلُكُمْ يُطْمَعُ فِيكُمْ الْأَعْيَادَ - تَقُولُونَ فِي الْمَحَارِسِ كَيْتَ وَ كَيْتَ - فَمَاذَا جَاءَ الْقِتَالُ قَلْتُمْ حَيْدَى حَيْدٍ - مَا عَزَّتْ دَعْوُهُ مَنْ دَعَاكُمْ - وَ لَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ - أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلِ دِفَاعِ ذِي الدِّينِ الْمَطُولِ - لَا يَمْنَعُ الضَّيْمَ الدَّلِيلُ - وَ لَا يُدْرِكُ الْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ - أَيُّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ - وَ مَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعِيدٍ تُقَاتِلُونَ - الْمَغْرُورُ وَ اللَّهُ مَنْ غَرَزْتُمُوهُ - وَ مَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَ اللَّهُ بِالسَّهْمِ الْمَأْخِيْبِ - وَ مَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ - أَضَيْبِ بَحْتٍ وَ اللَّهُ لَا أَصِيدُ قَوْلَكُمْ - وَ لَا أَطْمَعُ فِي نَضِيرِكُمْ - وَ لَا أُوْعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ - مَا بِالْكُمْ مَا دَوَاؤُكُمْ مَا طِبُّكُمْ - الْقَوْمُ رِحَالٌ أَمْثَالُكُمْ - أَوْ قَوْلًا - بَغَيْرِ عِلْمٍ - وَ غَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ - وَ طَمَعًا فِي غَيْرِ حَقِّ قَالَ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ ٢ ابْنُ أَبِي الْحَدِيدِ - شَرَحَ نَهْجَ الْبَلَاغَةِ - ج ٢ ص ١١٧ (١): رَوَى مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكَلِينِيُّ مُحَمَّدُ بْنُ يَعْقُوبَ الْكَلِينِيُّ - كِتَابُ الْكَلِينِيِّ - : أَنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اسْتَصْرَخَ النَّاسَ عَقِيبَ غَارِهِ الضَّحَاكِ عَلَى أَطْرَافِ أَعْمَالِهِ، فَتَقَاعَدُوا عَنْهُ فَخَطَبَهُمْ فَقَالَ: «مَا عَزَّتْ دَعْوُهُ مِنْ دَعَاكُمْ، وَ لَا اسْتَرَاخَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ...».

ص: ٥٣٥

(١ - ١) شرح ابن أبي الحديد ١١٧: ٢. [١]

قلت: و في (بيان الجاحظ- البيان و التبيين- ج ٢ ص ٥٤ الجاحظ) (١)- بعد ذكر خطبته عليه السّلام في غاره سفيان الغامدي على الأنبار-: و له عليه السّلام خطبه اخرى بهذا الاسناد شبيه بهذا المعنى، قام فيهم خطيبا فقال: «أيها الناس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم، كلامكم يوهي الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم، تقولون في المجالس: كيت و كيت فاذا جاء القتال قلت: حيدى حيا. ما عزّت دعوه من دعاكم، و لا- استراح قلب من قاساكم، أعاليل بأضاليل، و سألتموني التأخير، دفاع ذى الدين المطول، هيهات لا يمنع الضيم الدليل، و لا يدرك الحق إلا بالجد.

أى دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أىّ إمام بعدى تقاتلون؟ المغرور من غررتموه، و من فاز بكم فاز بالسهم الأخب، أصبحت و الله لا اصدق قولكم، و لا أطمع فى نصرتكم، فزق الله بينى و بينكم و أعقبى بكم من هو خير لى منكم، و لوددت أنّ لى بكلّ عشره منكم رجلا من بنى فراس من غنم، صرف الدينار بالدرهم».

و رواه ابن عبد ربه فى (عقده ابن عبد ربه- العقده الفريد-) مثل (بيان الجاحظ) إلا أنّ فيه: «أعاليل بأباطيل» و فيه: «دفاع ذى الدين المطول لا يدفع الضيم».

و فى (مطالب سؤل ابن طلحه الشافعى- مطالب السؤل- ابن طلحه الشافعى): و من ذمه عليه السّلام فى أهل الكوفه: «أيها الفئه المجتمعه أبدانهم، المتفرقه أديانهم، إنّه و الله ما عزّت دعوه من دعاكم، و لا- استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، إذا دعوتكم إلى أمر فيه صلاحكم و الذبّ عن حريمكم اعتراكم الفشل و جئتم بالعلل، ثم قلت: كيت و كيت، و ذيت و ذيت.

أعاليل و أضاليل فى أقوال الأباطيل، ثم سألتموني دفاع ذى الدين المطول، هيهات هيهات، إنّه لا يدفع الضيم الذلّ، و لا يدرك الحقّ إلا بالجدّ، فخبرونى يا

ص: ٥٣٦

أهل العراق مع أيّ إمام بعدى تقاتلون؟ أم أيّ دار تمنعون؟ الدليل و الله من نصرتموه، و المغرور من غررتموه. أصبحت لا أطمع في نصركم و لا أصدق قولكم، فزق الله بيني و بينكم، و أبدلكم بي غيري، و أبدلني بكم من هو خير لي منكم، أما ستلقون بعدى ذلاً شاملاً، و سيوفا قاطعه، و اثره قبيحه يتخذها الظالمون عليكم سنّه، فتبكي عيونكم و يدخل الفقر بيوتكم و قلوبكم، و تمنون في بعض حالاتهم أنكم رأيتموني فنصرتموني و أرقتم دماءكم دوني، و لا يبعد الله إلا من ظلم، يا أهل الكوفة أعظكم فلا تتعظون، و اوقظكم فلا تستيقظون! إن من فاز بكم فقد فاز بالخيبة، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناضل».

و رواه ابن قتيبه في (خلفائه ابن قتيبه - الخلفاء - ص ١٥٠) (١) جزء الخطبة السابقة في التّخيله بعد الفراغ من الخوارج و أمرهم بالخروج إلى معاوية، فقال: قال عليه السّلام: «استعدوا للمسير إلى عدوّ جهاده القربه - إلى أن قال - أيّها النّاس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم، ما عزّت دعوه من دعاكم، و لا - استراح قلب من قاساكم، كلامكم يوهي الصّم، و فعلكم يطمع فيكم عدوّكم، إذا أمرتكم بالمسير قلتّم:

كيت و كيت، أعاليل بأضاليل، هيهات لا - يدرك الحق إلا - بالجد و الصبر، أيّ دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أيّ إمام بعدى تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه و من فاز بكم فاز بالسهم الأخب، أصبحت لا أطمع في نصرتكم، و لا اصدق قولكم، فزق الله بيني و بينكم، و أعقبني بكم من خير لي، و أعقبكم بعدى من شرّ لكم مني، أما إنكم ستلقون بعدى ذلاً شاملاً، و سيفا قاتلا و اثره يتخذها الظالمون بعدى عليكم سنّه، تفزق جماعتكم و تبكي عيونكم و تدخل الفقر بيوتكم...».

ص: ٥٣٧

و نقله (أنساب البلاذرى - أنساب الأشراف - البلاذرى) و رواه باسناده عن أبى مخنف عن الحرث بن حصيره عن أبى صادق عن جنذب الأزدى: أن علياً عليه السلام خطبهم حين استنفرهم إلى الشام بعد النهروان فلم ينفروا، فقال: «أيها الناس المجتمعه أبدانهم...».

و رواه (الاحتجاج - الاحتجاج - ص ١٧٤) (١) جزء خطبته عليه السلام فى لومهم فى تشاقلهم عن قتال معاويه ففيه: «أما و الله أيها الشاهده أبدانهم، و الغائبه عنهم عقولهم، و المختلفه أهواؤهم، ما أعز الله نصر من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، و لا قرّت عين من آواكم، كلامكم يوهن الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، و يحكم أى دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أى إمام بعدى تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه، و من فاز بكم فاز بالسهم الأخبى، أصبحت لا أطمع فى نصرتكم، و لا اصدق قولكم، فرّق الله بينى و بينكم...».

و رواه المفيد فى (إرشاده الشيخ المفيد - الإرشاد - ص ١٤٦) (٢) فقال: و من كلامه عليه السلام فى استبطاء من قعد عن نصرته: «أيها الناس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم، كلامكم يوهى الصمّ الصلاب، و فعلكم يطمع فيكم عدوكم المرتاب، تقولون فى المجالس: كيت و كيت، فاذا جاء القتال، قلت: حيدى حياء. ما عزّت دعوه من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم، أعاليل أضاليل، سألتمنى التأخير دفاع ذى الدين المطول، لا يمنع الضيم الدليل، و لا يدرك الحق إلا بالجدّ. أى دار بعد داركم تمنعون؟ أم مع أى إمام بعدى تقاتلون؟ المغرور و الله من غررتموه، و من فاز بكم فاز بالسهم الأخبى، أصبحت و الله لا اصدق قولكم، و لا أطمع فى نصرتكم، فرّق الله بينى و بينكم، و أبدلنى بكم من هو خير لى منكم، و الله

ص: ٥٣٨

١- ١) الاحتجاج: ١٧٤. [١]

٢- ٢) الإرشاد للمفيد: ١٤٦. [٢]

لوددت أن لي بكلّ عشره منكم رجلا من بني فراس ابن غنم، صرف الدينار بالدرهم».

هذا، وقال ابن أبي الحديد (١): خطب عليه السيّد السّلام بهذه الخطبه في غاره الضحّاك بن قيس. روى غارات الثقفى (٢): أنّ غاره الضحّاك كانت بعد الحكمين وقبل النهر، وذلك أنّ معاويه لمّا بلغه أنّ عليّا عليه السّلام بعد واقعه الحكمين تحمّل إليه مقبلا هاله ذلك، فخرج من دمشق معسكرا وبعث إلى كور الشام فصاح فيها:

إنّ عليّا قد سار إليكم، وكتب إليهم نسخه واحده فقرئت على الناس: أمّا بعد، فإنّا كتبنا كتابا بيننا وبين عليّ وشرطنا فيه شروطا، وحرّمنا رجلين يحكمان عليّ و عليه بحكم الكتاب لا يعدوانه، وجعلنا عهد الله و ميثاقه عليّ من نكث العهد و لم يمض الحكم، وإنّ حكمى الذى كنت حكّمته أثبتنى، وإنّ حكمه خلعه و قد أقبل إليكم ظلما، تجهّزوا للحرب و أقبلوا خفافا و ثقالا. و اجتمع إليه الناس من كلّ كور و أرادوا المسير إلى صفّين، فاستشارهم و قال: إنّ عليّا قد خرج من الكوفه و عهد العاهد به أنّه فارق النخيله. فقال حبيب بن مسلمه: فإنّى أرى أن تخرج حتى تنزل منزلنا الذى كنّا فيه فأنّه منزل مبارك. و قال عمرو بن العاص: إننى أرى لك أن تسير بالجنود حتى توغلها فى سلطانهم من أرض الجزيره، فإنّ ذلك أقوى لجندك و أذلّ لأهل حربك. فقال معاويه: إن جهد الناس أن يبلغوا منزلهم الذى كانوا به -يعنى صفّين- فمكثوا يومين أو ثلاثه يجيلون الرأى حتى قدمت عليهم عيونهم و أخبروهم: أنّ عليّا عليه السّلام اختلف عليه أصحابه، ففارقته فرقه أنكرت أمر الحكومه، و أنّه قد رجع عنكم إليهم. فكبر الناس سرورا لانصرافه عنهم و ما ألقى من الخلاف بينهم، فلم يزل معاويه

ص: ٥٣٩

١-١) شرح ابن أبي الحديد ١١٣:٢. [١]

٢-٢) الغارات للثقفى ٤١٦:٢. [٢]

معسكرًا في مكانه منتظرًا لَمَّا يكون من عليّ عليه السّلام و هل يقبل بالناس أم لا؟ فما برح حتى جاء الخبر: أنّ عليًا قد قتل أولئك الخوارج و أنّه أراد بعد قتلهم أن يقبل بالناس، و أنّهم استنظروه و دافعوه فسرّ بذلك، فدعا الضّحّاك بن قيس الفهري و قال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفة و ترفع عنها ما استطعت، فمن وجدت من الأعراب في طاعه عليّ فأغر عليه، و إن وجدت له مسلحه أو خيلاً فأغر عليها، و إذا أصبحت في بلده فأمس في أخرى، و لا تقيمنّ لخيّل بلغك أنّها قد سرّحت إليك لتلقاها فتقاتلها. فسرحه في ما بين ثلاثه آلاف إلى أربعة، فأقبل الضّحّاك فنهب الأموال و قتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالثعلبية فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثم أقبل فلقى عمرو بن عميس الذهلي ابن أخي ابن مسعود، فقتله عند القطقطانه و قتل معه ناسًا من أصحابه، فروى إبراهيم بن المبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن ابن روق عن أبيه:

سمع عليًا عليه السّلام - و قد خرج إلى النَّاس - على المنبر: يا أهل الكوفة أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قد أصيب منهم طرف، أخرجوا فامنعوا حريمكم إن كنتم فاعلين. فردّوا عليه ردًا ضعيفًا و رأى منهم عجزًا و فشلاً، فقال: و الله لو ددت أنّ لي بكلّ ثمانية منكم رجلاً منهم، و يحكم! أخرجوا معي ثمّ فروا عنّي ما بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربي عليّ نيتي و بصيرتي، و في ذلك روح لي عظيم و فرج من مناجاتكم و مقاساتكم... ثمّ نزل فخرج يمشى حتى بلغ الغريين، ثمّ دعا حجر بن عدى فعقد له على أربعة آلاف، فخرج حجر حتى مرّ بالسماوه - و هي أرض كلب - فلقى بها امرأ القيس الكلبى و هم أصهار الحسين عليه السّلام فكانوا أدلاءه في الطريق و على المياه، فلم يزل مغدًا في أثر الضّحّاك حتى لقيه بناحية تدمر فوافقه، فاقتلوا ساعه فقتل من أصحاب الضّحّاك تسعة عشر رجلاً و من أصحاب حجر رجلان، و حجز الليل

بينهم فمضى الضحّاك، فلَمّا أصبحوا لم يجدوا له ولأصحابه أثرا.

قلت: إنّ ابن أبي الحديد كما ترى خلط وخبط، فقال: إنّ (غارات الثقفى) روى: أنّ غاره الضحّاك كانت قبل النهر. ثم نقل عن (الغارات) أنّ الخبر لَمّا جاء معاويه: أنّ عليّا قتل اولئك الخوارج و بعد قتلهم أراد الشخصوص إليه فامتنع عليه أصحابه، دعا حينئذ الضحّاك و بعثه و وصاه بما مرّ، و كون غاره الضحّاك بعد ممّا لا ريب فيه، فواقعه النهروان كانت فى سنه (٣٧) و جعل الطبرى غاره الضحّاك فى سنه (٣٩) و قال: لكنّ أكثر أهل السير ذكروها فى سنه (٣٨)... فجعل الاختلاف فى سنه غاره الضحّاك دون كونها بعد النهر.

و كيف كان، فكون الخطبه فى غاره الضحّاك كما قال غير معلوم، إنّما كانت خطبته عليه السّلام فى غاره الضحّاك: «أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس، و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف» إلى آخره كما مرّ عن (غارات الثقفى) و كما صرّح به (إرشاد المفيد) و إنّما نسب كون العنوان فى غاره الضحّاك الكلينى و لم نتحققه فليس فى (الكافى)، و قد عرفت أنّ الجاحظ و ابن قتيبه و ابن عبد ربّيه و ابن طلحه منهم، و المفيد و الطبرسى ممّن رووه و لم يشر أحد منهم إلى كون الخطبه فى غاره الضحّاك، بل صرّح بعضهم بكونها فى غيرها على ما مرّ.

و بالجملة لا- ريب فى كون غاره الضحّاك أوّل غارات معاويه، فروى الثقفى (١): أنّه خطب على منبر الكوفه و قال: أمّيا إنيّ صاحبكم الذى أغرت على بلادكم، فكنّت أوّل من غزاها من الإسلام، و شرب من ماء الثعلبيه و من شاطئ الفرات- إلى أن قال- أنا الضحّاك بن قيس، أنا أبو أنيس، أنا قاتل عمرو بن عميس. إلّا- أنّ كون هذه الخطبه فى غاراته غير معلوم، و لم يكن غارته بتلك

ص: ٥٤١

الأهميه، فروى الثقفى أيضا: أنه لما خطب بما مرّ قام إليه رجل و قال له: ما أعرفنا بما ذكرت! أو لقد لقيناك بغربى تدمر فوجدناك شجاعا مجريا. فخرى الضحّاك، و روى أيضا: أنه عليه السّلام كتب إلى أخيه عقيل فى جوابه فى قصّه الضحّاك: «فأما ما ذكرت من غاره الضحّاك على أهل الحيره، فهو أقلّ و أذلّ من أن يلم بها أو يدنو منها، و لكنّه قد أقبل فى جريده خيل فأخذ على السماوه، حتى مرّ بواقصه و شراف و القطقطانه ممّا و إلى ذلك الصقع، فوجّهت إليه جندا كثيفا من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرّ هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن، و كان ذلك حين رجعت الشمس للاياب فتناوشوا القتال، كلاً و لا فلم يصبر لوقع المشرفيه و ولّى هاربا، و قتل من أصحابه بضعه عشر رجلا و نجا جريضا بعد ما اخذ عنه بالمخنق» لكن يأتى فى العنوان (١٢) أنّ للضحّاك غارتين، أحدهما قبل الجمل - و فيه كتاب عقيل - و الاخرى بعد النهروان، و أنّ الثقفى خلط فى جعل كتاب عقيل فى الأخيره .

«أيها الناس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم» كتب عبد الله بن الحسن إلى زيد بن على لما أراد الخروج: يابن عمّ، إنّ أهل الكوفه نفخ العلابنيه، خور السريره، هرج فى الرجاء، جزع فى اللقاء، تقدمهم ألسنتهم و لا - تشايهم قلوبهم، لا - بيتون بعده فى الأحداث، و لا ينيئون بدوله مرجوه.

و لمحمود الوراق:

يا ناظرا يرنو بعينى راقدا و مشاهدا للأمر غير مشاهد

و قد أخذ معنى كلامه عليه السّلام أبو تمام فدخل على ابن داود فى مجلس حكمه و أنشد أبياتا، فقال له: سيأتيك ثوابها. ثم اشغل بتوقعات فى يده فأحفظ ذلك أبا تمام فقال له، احضر أيديك الله فانك غائب، و اجتمع فانك متفرّق.

ثم أنشده:

ص: ٥٤٢

إن حراما قبول مدحتنا و ترك ما يرتجى من الصنفد

كما الدنانير و الدراهم فى الصرف حرام إلا يدا بيد

فأمر بتوفير حباته و تعجيل عطائه .

«كلامكم يوهى» أى: يوهن.

«الصمّ الصلاب» أى: الصخر الغلاظ الصلاب، أو الجبال الغلاظ الصلاب .

«و فعلكم يطمع فيكم الأعداء» فى (عيون القتيبي) (1): كان لأبى حَيّه النميرى سيف ليس بينه و بين الخشبه فرق، و كان يسميه لعاب المتيه، قال جاره له: أشرفت عليه ليله و قد انتضاه و شمّر و هو يقول: أيها المغترّ بنا و المجترى علينا، بئس و الله ما اخترت لنفسك، خير قليل و سيف صقيل، لعاب المتيه الذى سمعت به مشهور ضربته، و لا تخاف نبوته، أخرج بالعفو عنك و إلا دخلت بالعقوبه عليك، إنى و الله إن أدع قيسا تملأ الأرض خيلا و رجلا، يا سبحان الله ما أكثرها و أطيبها! ثم فتح الباب فاذا كلب قد خرج، فقال: الحمد لله الذى مسخك كلبا و كفانى حربا.

و كان بالبصره شيخ من بنى نهشل يقال له: عروه بن مرثد، و يكتى أبا الأغر، ينزل بنى اخت له فى سكه بنى مازن، و بنو اخته من قریش، فخرج رجالهم إلى ضياعهم فى شهر رمضان، و خرج النساء يصلين فى مسجدهم فلم يبق فى الدار إلا الاماء، فدخل كلب يعتس فرأى بيتا فدخله و انصفق الباب، فسمع الحركه بعض الاماء فظنوا أنّ لصا دخل الدار، فذهبت احداهن إلى أبى الأغر فأخبرته، فقال أبو الأغر: ما يتغى اللص؟ ثم أخذ عصاه فجاء فوقف على باب البيت و قال: إيه يا ملامان أما و الله إنك بى لعارف، فهل أنت إلا من لصوص بنى مازن، شربت حامضا خبيثا حتى إذا دارت القدوح فى رأسك

ص: ٥٤٣

منتك نفسك الأمانى و قلت: أطرق ديار بنى عمرو و الرجال خلوف و النساء يصلين فى مسجدهن فأسرقهن. سواء لك، و الله ما يفعل هذا ولد الأحرار، و ايم الله لتخرجن أو لأهتفن هتفه مشؤمه يلتقى فيها الحيان: عمرو و حنظله، و تجىء سعد بعدد الحصى و تسيل عليك الرجال من هاهنا و هاهنا، و لئن فعلت لتكونن أشأم مولود. فلما رأى أنه لا يجيبه أحد أخذ باللين فقال: أخرج أبى و امى، أنت مستور، إنى و الله ما أراك تعرفنى و لو عرفتنى لقنعت بقولى و اطمأنتت إلى أنا-فديتك-أبو الأغر النهشلى، و أنا خال القوم و جلده بين أعينهم لا- يعصوننى، و لن تضار الليله فأخرج فأنت فى ذمتى، و عندى قوصرتان أهدهما إلى ابن اختى البار الوصول، فخذ إحداهما فانتبذها حلالا- من الله و رسوله. و كان الكلب إذا سمع الكلام أطرق، و إذا سكت و ثبت يزيغ المخرج، فتهاثف أبو الأغر ثم تضاحك و قال: يا أأم الناس و أوضعهم، لا أرى إلا أنى لك الليله فى واد و أنت فى واد، أقلب السوداء و البيضاء فتصيح و تطرق و إذا سكت عنك و ثبت تزيغ المخرج، و الله لتخرج أو لأولجن عليك البيت. فلما طال وقوفه جاءت إحدى الإماء فقالت: أعرابى مجنون و الله ما أرى فى البيت شيئا. فدفعت الباب فخرج الكلب شدا، و حاد عنه أبو الأغر ساقطا على قفاه .

«تقولون فى المجالس: كيت و كيت» قال الجوهرى: قال أبو عبيده: كان من الأمر كيت و كيت، بالفتح و الكسر، و التاء فىهما هاء فى الأصل، فصارت تاء فى الوصل. و فى (القاموس) معناهما كذا و كذا .

«فاذا جاء القتال قلت: حيدى حيا» أى: مل عنى مل عنى، و قال الجوهرى:

حيدى حيا: كقولهم: فيحى فياح.

و لا بد أنه أراد فى الوزن و إلا فحيدى حيا يقوله المدبر عن الشىء، فقال نفسه: فياح مثل قطام: اسم للغاره، و كان أهل الجاهليه يقولون: فيحى فياح،

أى: اتسعى، قال:

دفعنا الخيل سائله عليهم و قلنا بالضحي فيحي فياح

و توهم ابن ميثم (١) أنّ مراده أنّه بمعناه، فقال: معنى حيدى حياذ: اعدلى عن الغاره أيتها الحرب.

فى (الأغانى) (٢) هجا دعبل المطلب بن عبد الله و كان واليا على المصر، فقال:

تعلق مصر بك المخزيات و تبصق فى وجهك الموصل

و عاديت قوما فما ضرهم و شرفت قوما فلم يبلوا

شعارك عند الحروب النجا و صاحبك الأخور الأفضل

فأنت إذا ما التقوا آخر و أنت إذا ما انهربوا أول

و لبعضهم: ما فيهم إلا- مشغول بنفسه، منكب على مجلس انسه، يرى السلامه غنيمه، و إذا عنّ له وصف الحرب لم يسأل إلا عن طرق الهزيمه، أموال تنهب و ممالك تذهب، لا يبالون بما سلبوا، و هو كما قيل: إن قاتلوا قتلوا أو طاردوا طردوا أو حاربوا حربوا أو غالبوا غلبوا.

سريع إلى ابن العم يشتم عرضه و ليس إلى داعى الندى بسريع

و لقد أجاد من قال فى وصف مثلهم بالفارسيه:

ما همه شيريم ولى شير علم حمله مان از باد باشد نى قدم

و بالعرييه:

و لو أنّ حرقوصا على ظهر قمله يكرّ على صفّى تميم لوّلت

قالوا: الحرقوص دويبه أكبر من البرغوث أو عضها أشدّ من عضه،

ص: ٥٤٥

١-١) شرح ابن ميثم ٥٠:٢.

٢-٢) الأغانى ١٦٠:٢٠.

و أكثر ما يعرض أحراح النساء و خصى الرجال.

فى السىر: لَمَّا تَوَجَّهَ الْخَوَارِجُ إِلَى الْكُوفَةِ وَ خَالَطُوا سُودَهَا فِى أَيَّامِ الْقُبَاعِ - وَ كَانَ جَبَانًا - تَنَاقَلَ عَنِ الْخُرُوجِ، فَذَمَّرَهُ إِبْرَاهِيمُ بْنُ الْأَشْتَرِ وَ لَامَهُ النَّاسُ، فَخَرَجَ مُتَحَامِلًا حَتَّى أَتَى النَخِيلَةَ. ففى ذلك يقول الشاعر:

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سِيرًا نَكَرًا يَسِيرُ يَوْمًا وَ يَقِيمُ شَهْرًا

أيضًا:

إِنَّ الْقُبَاعَ سَارَ سِيرًا مَلَسًا بَيْنَ دَبَاهَا وَ دَبِيرِ خَمْسَا

و جعل يعد الناس بالخروج و لا- يخرج، و الخوارج يعيشون حتى أخذوا امرأه فقتلوا أباهما بين يديها ثم أرادوا قتلها- و كانت جميلة- فقالت: أقتلون «مَنْ يُنْشِئُ فِى الْحَلِيَّةِ وَ هُوَ فِى الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ» (١). فقال أحدهم: دعوها.

فقالوا له: قد فتنتك. ثم قدموها فقتلوها ثم قدموا اخرى فقتلوها، و هم بحذاء القباع و الجسر معقود بينهم، و هو فى ستة آلاف و المرأة تستغيث، و الناس ينفلتون إلى الخوارج و القباع يمنعهم، فلما خاف أن يعصوه أمر بقطع الجسر، و أقام بين دباهما و دبيري خمسة أيام و الخوارج بقربه، و هو يقول للناس فى كل يوم: إذا لقيتم العدو غدا فأثبتوا أقدامكم و اصبروا فإن الحرب أولها الترامى، ثم اشراع الرماح ثم سله السيوف، فنكلت رجلا امه فر من الزحف.

فقال بعضهم- لَمَّا أَكْثَرَ عَلَيْهِمْ -: أَمَّا الصَّفْهَ فَقَدْ سَمِعْنَاهَا، وَ أَمَّا الْفَعْلَ فَمَتَى يَقَعُ؟ فَأَخَذَتِ الْخَوَارِجُ حَاجَتَهُمْ وَ كَانَ شَأْنُ الْقُبَاعِ التَّحْصِينَ مِنْهُمْ (٢).

و فيها: بعث المهلب إلى عبد الرحمن بن محمد بن الأشعث أن يخندق و على أصحابه من الخوارج، فأجابه: أنهم أهون عليه من شرطه الجمل، فيبته

ص: ٥٤٦

١- ١) الزخرف: ١٨. [١]

٢- ٢) نهج البلاغه ١٦٣: ٤-١٦٤.

قطرى فقتل من أصحابه خمسمائه و فرّ لا يلقى على أحد، فقالوا فيه:

تركت ولداننا تدمى نحورهم و جئت منهزما يا شرطه الجمل (1)

و فيها: فرّ امّيه بن عبد الله بن خالد بن اسيد من أبى فديك الخارجى، فسار من البحرين إلى البصره فى ثلاثه أيام، فقال يوما: سرت على فرسى من البحرين إلى البصره فى المهرجان فى ثلاثه أيام. فقال له: بعضهم فلو ركبت فى النيروز لسرت إليها فى يوم واحد.

و أتى الحجاج بدواب من دواب امّيه هذا، و قد وسم على أفخاذها: «عده» فأمر أن يكتب تحت «عده» «للفرار». و قال الشاعر فيه:

إذا صوت العصفور طار فؤاده و ليث حديد التّاب عن التّرائد (2)

و فى (الأغانى) (3) فى خروج عبد الله بن يحيى طالب الحق زمن مروان الحمار، و توجيهه جيشا من مكه إلى المدينه، قال رجل من قريش: لو شاء أهل الطائف لكفونا أمر هؤلاء لكنهم داهنوا، و الله ان ظفرنا لنسيرنّ إلى أهل الطائف فلنسيبهم. ثم قال: من يشتري منى سبى أهل الطائف؟ فلمّا انهزم الناس رجع ذاك القرشى فى أول المنهزمين، فدخل منزله و أراد أن يقول لجاريته: اغلقى الباب، فقال لها: «غاق باق». دهشا، و لم تفهم الجاريه قوله حتى أوّما إليها بيده فأغلقت الباب، فلّقبه أهل المدينه بذلك: (غاق باق).

و فيه: أنّ زيد بن على لمّا خرج كتب إلى الكميّ: أخرج معنا يا اعيّمش، أ لست القائل:

ما ابالى إذا حفظت أبا القاسم فيكم ملامه اللوام

ص: ٥٤٧

١-١) نهج البلاغه ١٨٧:٤.

٢-٢) نهج البلاغه ١٠٧:٦.

٣-٣) الأغانى ٢٣١:٢٣. [١]

فكتب إليه الكميته:

تجود لكم نفسى بما دون وثبه تظلّ لها الغربان حولى تحجل

و لقد قالت الشعراء فى هذا المعنى فأكثرُوا، منها:

تمنيتم مائتى فارس فردكم فارس واحد

يشمر للبح عن ساقه و يغمره الموج فى الساحل

و أنت أخو السلام و كيف أنتم و لست أخا الملمات الشداد

أى: أنت أخو السلام اللفظى، و سؤال كيف أنتم؟ فى المقال دون الفعال.

إذا كان صلح تبخترت فيه و إن كان هيح دخلت الثقب

أ فى السلم أعيارا جفاء و غلظه و فى الحرب أشباه النساء العوارك

أى: الحائضات.

أ فى الولائم أولاد الواحده و فى العباده أولاد العلات

هذا، و فى (القاموس) فى (عروس): مات زوج أسماء العذريه - و اسمه عروس - عنها، فتزوجها رجل أعسر أبخر بخيل دميم، فلما أراد

أن يظعن بها قالت: لو أذنت لى رثيت ابن عمى. فقال: افعلى. فقالت:

أبكيك يا عروس الأعراس

يا ثعلبا فى أهله و أسدا عند الباس

مع أشياء ليس يعلمها الناس

قال: و ما تلك الأشياء؟ قالت:

كان عن الهمة غير نعاس و يعمل السيف صبيحات الباس

ثم قالت:

يا عروس الأغر الأزهر الطيب الخيم الكريم المخصر

مع أشياء له لا تذكر.

ص: ٥٤٨

قال: وما تلك الأشياء؟ قالت:

كان عيوقا للخنا والمنكر طيب النكهه غير أبخر

أيسر غير أعسر

فعرف أنّها تعرض له، فلما رحل بها قال: ضمّي إليك عطر ك. و قد نظر قشوه عطرها مطروحه فقالت: «لا عطر بعد عروس».

و في (محاسن الجاحظ) في الشجاعه الضدّ قيل: هو أجبن من المنزوف ضرطا، و كان من حديثه أنّ نسوه من العرب لم يكن لهنّ رجل، فتزوجت واحده منهن برجل كان ينام إلى الضحى، فإذا انتبه ضربنه و قطن له: قم فاصطحب. فيقول: «لو لعاديه نبهتني». أي: خيل عاديه عليكن مغيره، فأدحضها عنكن. ففرحن و قطن: إنّ صاحبنا لشجاع. ثم قطن: تعالين نجربه.

فأتينه كما كنّ يأتينه فأيقظنه فقال: لو لعاديه نبهتني. فقلن له: نواصي الخيل معك. فجعل يقول: الخيل الخيل. و يضطر حتى مات.

و فيه: قال الحجاج لحميد الأرقط- و قد أنشده قصيده يصف فيها الحرب:- يا حميد هل قاتلت قط؟ قال: لا أيها الأمير إلا في النوم. قال: و كيف كانت وقعتك؟ قال: انتبهت و أنا منهزم .

«ما عزّت» أي: لا صارت عزيزه.

«دعوه من دعاكم، و لا استراح قلب من قاساكم» يمكن أن يكون هو، و (ما عزت) دعاء و ان يكونا اخبارا .

«أعاليل بأضاليل» أي: تعتلون بعلل هي ضلال و باطل، يقال للباطل: ضلّ بتضلال. كان عليه السّلام لما فرغ من أهل النهروان قال لهم: إنّ الله قد أحسن بكم و أعزّ نصركم، فتوجّهوا من فوركم هذا إلى عدوّكم. فقالوا: نفدت نبالنا و كلّت سيوفنا و نصلت أسننه رماحنا .

ص: ٥٤٩

«دفاع» مفعول مطلق لعامل مدلول عليه بالمقام.

«ذى الدين» أى: المديون.

«المطول» أى: المماطل. (المطول) فعول من: مطل الدين. و الأصل فى (مطل الدين): مطل الحديد، إذا ضربها لتطول، و مواعيد عرقوب معروفه. كان عرقوب من العماليق فأتاه أخوه يسأله، فقال: إذا طلعت هذه النخلة فلكك طلعتها.

فأتاه للعدو، فقال له: دعها حتى تصير بلحا. فلما أبلحت قال له: حتى تصير رطبا. فلما أرطبت قال له: حتى تصير تمرا. فلما أتمرت عمد إليها فجزّها و لم يعطه شيئا .

«لا يمنع الضيم» مفعول مقدم، أى: الذلّه.

«الذليل و لا يدرك الحق إلا بالجدّ» فى الأمر، قال الشاعر:

متى تجمع القلب الذكى و صارما و أنفا حميا تجتنبك المظالم

و باه بقيس فى الرّخاء و لا تكن أخاها إذا ما المشرفيه سلّت

«أى دار بعد داركم تمنعون؟ و مع أىّ إمام بعدى تقاتلون» كتب عدى بن ارطاه عمر بن عبد العزيز يخبره بسوء طاعه أهل الكوفة، فوقع فى كتابه: لا تطلب طاعه من خذل عليّا عليه السّلام و كان اماما مرضيا.

و شكّا عامل الكوفة إلى الحجاج من أهلها، فوقع: ما ظنّك بقوم قتلوا من كانوا يعبدونه؟ «المغرور» الحقيقى.

«و الله من غررتموه» فى (فتوح البلاذرى): لما مات المنذر بن ساوى بعد النبىّ صلّى الله عليه و آله بقليل، ارتدّ من البحرين من قيس بن ثعلبه، و ارتدّ ربيعه و أمروا عليهم ابنا للنعمان بن المنذر، و كان يسمّى الغرور، فلما ظهر المسلمون عليهم قال: لست بالغرور و لكنى المغرور .

«و من فاز بكم فقد فاز بالسَّيِّئِهم الأَخيب» الفوز بالسَّيِّئِهم الأَخيب أحسن استعاره، كقوله تعالى: «فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» (١). و السَّيِّئِهم الأَخيب من سهام الميسر الذى فيه الغرم، و هو شرَّ السَّهام، ففى بعضها الغنم و فى بعضها لا غنم و لا غرم .

«و من رمى بكم فقد رمى بافوق ناصل» أى: بسهم منكسر لا نصل فيه .

«أصبحت و الله لا أصدق قولكم» بعد أن رأيت منكم عدم الفعل كرارا .

«و لا أطمع فى نصركم» بعد أن شاهدت منكم الخذلان مرارا .

«و لا أوعد بكم العدو» بعد أن ما وقَّيتم بوعدكم لوليكم، قال الشاعر:

و لقد طويتكم على بللاتكم و عرفت ما فيكم من الأذراب

«ما بالكم» أى: نفسكم و حالكم .

«ما دواؤكم» من مرضكم المزمن.

«ما طبَّكم» أى: علاجكم، و الأصل فى الطب الكسر، و يجوز فيه الفتح و الضم .

«القوم رجال أمثالكم» لما كان المغلوب يتوهم من ضعف نفسه أنّ الغالب جنس آخر رد عليه السَّيِّئِلام عليهم هذا الوهم، و كانت الفرس فى قتال العرب يظنون أنّهم ما يموتون، كما أنّ العرب فى قتال التتر كانوا كذلك، حتى رأى بعضهم موت بعضهم فتعجَّب .

«أ قولاً بغير علم و غفله من غير ورع و طمعا فى غير حقّ» و فى (الإرشاد) (٢):

قال عليه السَّيِّلام لهم: حتى إذا تفرقتم تسألون عن الأشعار جهله من غير علم، و غفله من غير ورع، و تثبطا من غير خوف، نسيتم الحرب و الاستعداد لها....

ص: ٥٥١

١- ١) آل عمران: ٢١، و [١] التوبة: ٣٤، و [٢] الانشقاق: ٢٤. [٣]

٢- ٢) الإرشاد ٢٧٨: ١. [٤]

و من خطبه له عليه السلام:

مُنِيْتُ بِمَنْ لَّا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ - وَ لَّا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ - لَّا أَيْبَا لَكُمْ مِمَّا تَنْتَظِرُونَ بِنَصِيرِكُمْ رَبُّكُمْ - أَمَّا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَ لَّا حَمِيَّةَ تُحْمِسُكُمْ - أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَضِيرِخًا وَ أُنَادِيكُمْ مُنْعَوِّثًا - فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا وَ لَّا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا - حَتَّى تَكْشِفَ الْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ الْمَسَاءِ - فَمَا يُدْرِكُ بِكُمْ نَارًا وَ لَّا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ - دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصِيرِ إِخْوَانِكُمْ - فَجَزَّ جَزْؤُكُمْ جَزْجَرَةَ الْجَمَلِ الْأَسِيرِ - وَ تَنَاقَلْتُمْ تَنَاقَلَ النَّصُورِ الْأَذْبَرِ - ثُمَّ حَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَدَائِبٌ ضَعِيفٌ - «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» (١) قال الشريف: أقول: قوله عليه السلام (متدائب) أى: مضطرب من قولهم:

(تذاعت الریح) أى: اضطرب هبوبها، و منه يسمّى الذئب ذئبا لا اضطراب مشيته .

أقول: هذه الخطبه خطب عليه السلام بها فى فتح مصر و قتل محمد بن أبى بكر، روى الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٥ ص ١٠٦ (٢) عن أبى مخنف عن جندب عن عبد الله بن فقيم عن الحارث بن كعب: أن عليا عليه السلام قام فى الناس فقال: أما بعد، فإن هذا صريخ محمد بن أبى بكر و إخوانكم من أهل مصر، و قد سار إليهم ابن النابغه عدو الله و ولى من عادى الله، فلا يكونن أهل الضلال إلى باطلهم، و الركون إلى سبيل الطاغوت، أشد اجتماعا منكم على حَقِّكم هذا، فإنهم قد بدؤكم و إخوانكم بالغزو فاعجلوا إليهم بالمواساه و النصر، عباد الله إن مصر أعظم من الشام و أكثر خيرا و خيرا

ص: ٥٥٢

[١ - ١] (١ - الأنفال: ٦). [١]

[٢ - ٢] (٢ - تاريخ الطبرى ١٠٦: ٥). [٢]

أهلاً-فلاً- تغلبوا على أهل مصر فإنّ بقاء مصر في أيديكم عزّ لكم و كبت لعدوّكم،أخرجوا إلى الجرعه-بين الحيره و الكوفه- فوافوني بها هناك غدا.

فلما كان من الغد خرج يمشى فنزلها بكره،فأقام بها حتى انتصف النهار فلم يوافه منهم واحد فرجع،فلما كان من العشى بعث إلى أشراف الناس،فدخلوا عليه القصر و هو حزين كئيب فقال:الحمد لله على ما قضى من أمرى و قدر من فعلى،و ابتلاني بكم أيتها الفرقة ممّن لا يطيع إذا أمرت،و لا يجيب إذا دعوت،لا أبا لغيركم!ما تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقّكم؟الموت و الذلّ لكم في هذه الدنيا على غير الحق؟فو الله لئن جاء الموت-و ليأتين-ليفرقنّ بينى و بينكم و أنا لصحبتكم قال و بكم غير ضنين،لله أنتم!لا- دين يجمعكم و لا- حميه تحميكم إذا أنتم سمعتم بعدوّكم يرد بلادكم و يشنّ الغاره عليكم، أو ليس عجبا أنّ معاويه يدعو الجفاه الطغام فيتبعونه على غير عطاء و لا- معونه،و يجيونه في السنه مرتين و الثلاث إلى أى وجه شاء،و أنا أدعوكم -و أنتم اولو النهى و بقيه الناس على المعونه-فتقومون عنى و تعصوننى و تختلفون علىّ؟! -إلى أن قال عليه السّلام بعد ذكر مجيء الخبر بقتل محمد بن أبى بكر و فتح مصر و خطبته الناس و اخبارهم بذلك:-إئى و الله ما ألوم نفسى على التقصير و إئى لمقاساه الحرب مجدّ خير،و إئى لأقدم على الأمر و أعرف وجه الحزم و أقوم فيكم بالرأى المصيب،فأستصرخكم معلنا و نادىكم نداء المستغيث معربا،فلا تسمعون لى قولاً و لا تطيعون لى أمراً حتى تصير بى الامور إلى عواقب المساءه،فأنتم القوم لا يدرك بكم الشار و لا- ينقض بكم الأوتار،دعوتكم إلى غياث إخوانكم منذ بضع و خمسين ليله،فتجرتم جرجه الجمل الأشدق،و ثناقتم إلى الأرض ثناقل من ليس له نيه فى جهاد العدو و لا اكتساب الأجر،ثم خرج الئى منكم جنيد متذائب «كأنما يُساقون إلى»

«الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» (١) فافّ لكم....

و مثله الثقفى فى (غاراته الثقفى -الغارات-ج ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦) (٢) و رواه ابن بكار فى (موفقيات زبير بن بكار-الموفقيات-
(عن محمد بن الضحّاك عن أبيه: أنّ ابن غزويه الأنصارى-ثم النجارى-قدم على على عليه السّلام من مصر، و قدم عليه عبد
الرحمن بن شبيب الفزارى من الشام و كان عينا لعلى عليه السّلام بها، فأمرًا الأنصارى فكان مع محمد بن أبى بكر، و حدّثه
الفزارى: إنّه لم يخرج من الشام حتى قدمت الرسل و البشرى من قبل عمرو بن العاص تترى، يتبع بعضها بعضا بفتح مصر و قتل
محمد بن أبى بكر، حتى آذن معاويه بقتله على المنبر. و قال له عليه السّلام: ما رأيت سرور قوم قط أظهر من سرور رأيت بالشام
حين أتاها قتل محمد بن أبى بكر. فقال له عليه السّلام: حزننا على قتله على قدر سرورهم بقتله، لا بل يزيد أضعافا. و حزن على
قتله حزننا شديدا حتى رئى فى وجهه و تبين فيه، و قام على المنبر فحمد الله و أثنى عليه ثم قال عليه السّلام:

ألا- و إنّ محمد بن أبى بكر اصيب رحمه الله و عند الله نحتسبه، أما و الله أن كان ممّن ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض
شكل الفاجر و يحب هدى المؤمنين، ألا و الله لا ألوم نفسى فى تقصير و لا عجز، إنى بمقاساه الحرب لجدّ خبير، و إنى لأتقدم فى
الأمر فأعرف وجه الحزم، فأقوم فيكم بالرأى المصيب معلنا و أناديكم نداء المستغيث، فلا تسمعون لى قولا و لا تطيعون لى أمرا
حتى تصير بى الامور عواقب الفساد، و أنتم لا يدرك بكم الأوتار و لا يشفى بكم الغل، دعوتكم إلى غياث إخوتكم منذ بضع و
خمسين ليله، فخرجتم جرجره الجمل الاسر، و تناقلتم إلى الأرض تناقل من ليس له نيه فى جهاد

ص: ٥٥٤

[١- ١] الأنفال: ٦.

[٢- ٢] الغارات للثقفى ٢٩٥-١: ٢٩٦. [٢]

العدو ولا احتساب الأجر، ثم خرج منكم جنيد ضعيف «كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ» فاف لكم. ثم نزل فدخل رحله.

وقال ابن أبي الحديد: خطب عليه السلام بها في غاره النعمان بن بشير الأنصاري على عين التمر و تبعه ابن ميثم (1) والخوئي.

قال ابن أبي الحديد (2): ذكر صاحب (الغارات) (3) أن النعمان قدم هو و أبو هريره على علي عليه السلام من عند معاويه بعد أبي مسلم الخولاني، يسألانه:

أن يدفع قتله عثمان إلى معاويه ليقيدهم بعثمان لعل الحرب أن يطفأ. وإنما أراد معاويه أن يرجع مثل النعمان و أبي هريره من عند علي عليه السلام إلى الناس و هم لمعاويه عاذرون و لعلي عليه السلام لائمون، و قد علم معاويه أن عليا عليه السلام لا يدفع قتله عثمان إليه فأراد أن يكون هذان يشهدان له عند أهل الشام بذلك، فقال لهما: ائتيا عليا. فأتياه عليه السلام فقال له أبو هريره: إن الله قد جعل لك في الإسلام فضلا و شرفا- إلى أن قال عليه السلام- فقال لهما دعا الكلام: في هذا، حدثني عنك يا نعمان أنت أهدى قومك- يعني الأنصار- سيلا؟ قال: لا. قال: فكل قومك اتبعني إلا شذاذا منهم ثلاثة أو أربعة فتكون أنت من الشذاذ؟ فقال: إنما جئت لأن أكون معك و أزمك و قد كان معاويه سألني أن أودي هذا الكلام.

و لحق أبو هريره بالشام و أقام النعمان ثم خرج فازا، حتى إذا مرّ بعين التمر أخذه مالك بن كعب الأرحبي- و هو عامله عليه السلام علي عين التمر- فقال له ما مرّ بك هاهنا؟ قال: إنما أنا رسول بلغت رساله صاحبي ثم انصرفت. فحبسه و قال له: كن حتى أكتب فيك إلى علي عليه السلام. فأرسل النعمان إلى قرظ بن كعب

ص: ٥٥٥

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٢:٩٩.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٢:٣٠١. [١]

٣-٣ (٣) الغارات للثقفى ٢:٤٤٥-٢:٤٤٦. [٢]

الأنصاري-و هو كاتب عين التمر-فجاءه مسرعا فقال لمالك:خل سبيل ابن عمي.فقال له:أتق الله و لا تتكلم في هذا،فإنه لو كان من عياد الأنصار لَمَّا هرب من أمير المؤمنين إلى أمير المنافقين.فلم يزل يقسم عليه حتى خلى سبيله و قال له:لك الأمان اليوم و الغد،فإن أدركتك بعد لأضربن عنقك.فخرج لا يلوى على شيء،أين هو من الأرض ثلاثه أيام،حتى سمع امرأه تطحن و تقول:

شربت مع الجوزاء كأسا رديه و اخرى مع الشعري إذا ما استقلت

معتقه كانت قريش تصونها فلما استحلوا قتل عثمان حلت

فعلم أنه عند حى من أصحاب معاويه،ثم قدم على معاويه فخبره بما لقي،ثم غزا الضحّاك بن قيس أرض العراق ثم انصرف،فقال معاويه:أما من رجل أبعث معه بجريده خيل حتى يغير على شاطئ الفرات؟فإن الله يرعب بها أهل العراق فقال له النعمان:فابعثنى.فندب معه ألفى رجل و أوصاه:أن يجتنب المدن و الجماعات،و ألا يغير إلا على مسلحه،و أن يعجل الرجوع.

فأقبل النعمان حتى دنا من عين التمر،و بها مالك بن كعب الأرحبى الذى جرى له معه ما ذكرنا،و مع مالك ألف رجل و قد إذن لهم فرجعوا إلى الكوفه فلم يبق معه إلا مائه،فكتب إلى على عليه السلام:إن النعمان نزل بى فى جمع كثيف.

فصعد عليه السلام المنبر و قال لهم:أخرجوا إلى مالك أخيك فإن النعمان قد نزل به فى جمع من أهل الشام،فانهضوا لعل الله أن يقطع بكم من الكافرين طرفا.ثم نزل فلم يخرجوا فأرسل إلى وجوههم:أن ينهضوا و يحثوا الناس على المسير.فلم يصنعوا شيئا و اجتمع نحو ثلاثمائه فارس أو دونها،فقال عليه السلام:

«ألا إني منيت بمن لا يطيع...».

ثم نزل فدخل منزله فقام عدى بن حاتم فقال:هذا و الله الخذلان،على هذا بايعنا أمير المؤمنين.ثم دخل إليه فقال له:إن معى من طي ألف رجل لا

يعصونني فإن شئت سرت إليهم. فقال عليه السلام: ما كنت لأعرض قبيله واحده للناس، ولكن اخرج إلى النخيله و عسيكر بهم. و فرض عليه السلام لكل رجل سبعمائه فاجتمع إليه ألف فارس عدا طي أصحاب عدى، و ورد الخبر بهزيمة النعمان و نصره مالك، فقرأ الكتاب ثم نظر إلى الناس و قال: هذا بحمد الله و ذم أكثركم.

فأمّا خبر مالك مع النعمان فقال عبد الله بن حوزة الأزدي: كنت مع مالك حين نزل بنا النعمان و هو في ألفين و ما نحن إلا مائه، فقال لنا: قاتلوهم في القرية و اجعلوا الجدر في ظهوركم «و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة» (1)، و اعلّموا أنّ الله تعالى ينصر العشرة على المائة، و المائة على الألف، و القليل على الكثير. ثم قال: إنّ من أقرب من هاهنا إلينا من شيعة أمير المؤمنين عليه السلام و عمّاله قرظ بن كعب و مخنف بن سليم، فاركض إليهما و اعلّمهما حالنا.

فمررت بقرظ فقال: إنّما أنا صاحب خراج و ليس عندي من أعينه به. فمضيت إلى مخنف فأخبرته فسرح معي عبد الرحمن بن مخنف في خمسين رجلا، و كان مالك قاتل النعمان إلى العصر، فأتينا و قد كسر هو و أصحابه جفون سيوفهم و استسلموا للموت، فما هو إلاّ أن رأنا أهل الشام فأخذوا ينكصون، و رأنا مالك و أصحابه فشدّوا عليهم حتى دفعوهم عن القرية، فاستعرضناهم فصرعنا منهم رجلا ثلاثة، و ارتفعوا عنّا و ظنّوا أنّ وراءنا مددا، و لو ظنّوا أنّه ليس غيرنا لأقبلوا علينا و أهلكونا، و حال الليل بيننا فانصرفوا إلى منازلهم، و كتب مالك إلى عليّ عليه السلام: أمّا بعد، فإنّ نزل بنا النعمان في جمع من أهل الشام كالظاهر علينا، و كان عظم أصحابي متفرّقين، و كنّا للذي كان منهم آمنين، فخرجنا إليهم رجلا مصلتين فقاتلناهم حتى المساء، و استصرخنا مخنف بن سليم فبعث إلينا رجلا من شيعة أمير المؤمنين و ولده، فنعم الفتى و نعم

ص: ٥٥٧

الأنصار كانوا، فحملنا عليهم فأنزل الله تعالى علينا نصره و هزم عدوه.

و قال ابن أبي الحديد (1): و روى محمد بن فرات الجرمي عن زيد بن علي في هذه الخطبة: أيها الناس، إني دعوتكم إلى الحق فتوليتم عني، و ضربتكم بالدره فأعيتموني، أما إنه سيليكم بعدى و لاه لا- يرضون منكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط و بالحديد، فأما أنا فلا اعذبكم بهما، إنه من عذب الناس في الدنيا عذبه الله في الآخرة، و آيه ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحل بين أظهركم فيأخذ العمال و عمال (ظ) العمال، رجل يقال له: يوسف بن عمر، و يقوم عند ذلك رجل من أهل البيت فانصروه فإنه داع إلى الحق. و كان الناس يتحدثون: أن ذلك الرجل هو زيد.

قلت: و لا- بد أن ابن أبي الحديد خلط و لم ينقل لفظ الثقفى في الخطبة، بل قال: قال: «إني منيت بمن لا يطيع إلى آخر الفصل. و كيف، و قد عرفت أن الثقفى روى العنوان في قتل محمد بن أبي بكر، و قد نقله ابن أبي الحديد ثمه عنه هنا، و إن غفل عنه هنا، و أيضا فقرات العنوان تشهد لعدم كونها في غاره النعمان، فقوله: «دعوتكم إلى نصر إخوانكم...» يدل أنه عليه السلام كان قبل دعاهم، فخرج منهم من لم يكن أثر فيه حتى وقع ما خافه، و لم يكن ذاك إلا في قتل محمد بن أبي بكر، و أما في غاره النعمان فبنقله: خرج جمع كثير برياسه عدى و أتاه الخبر بالفتح.

و بالجمله لا- ريب في كون العنوان في قتل محمد بن أبي بكر، و أن من قوله عليه السلام: «منيت» إلى «و لا- حميه تحمشكم» مأخوذ من خطبته عليه السلام في الدعاء و الحث إلى الخروج إلى نصر محمد بن أبي بكر، و من قوله: «أقوم فيكم مستصرخا» إلى آخر العنوان، مأخوذ من خطبته عليه السلام بعد مجيء الخبر بقتله

ص: ٥٥٨

١- (١) شرح ابن أبي الحديد ٣٠٦: ٢. [١]

و فتح مصر، كما عرفته من روايه الطبرى، و المصنّف جمع بينهما كما هو دأبه فى الكتاب، و أمّا خطبته عليه السّلام فى غاره النّعمان على عين التمر فشىء آخر.

راجع الغارات صفحه (٤٥١) (١).

«منيت» أى: ابتليت.

«بمن لا يطيع إذا أمرت» و ذلك بلاء عظيم، و فى (حيوان الجاحظ) (٢) قال يزيد بن الصعق لبنى سليم حين صنعوا بسيدهم العباس ما صنعوا- و كانوا توجوه و ملكوه فلمّا خالفهم فى بعض الأمر و ثبوا عليه لقله رهطه:-

و إن الله ذاق حلوم قيس فلمّا ذاق خفتها قلاها

رآها لا تطيع لها أميرا فخلأها تردد فى خلاها

«و لا يجب إذا دعوت» فما من تهتفين به لنصر بأسرع إجابته لك من هذيل

و فى (أمثال الكرمانى)- بعد ذكر البيت:- زعمت العرب أنّ هذيلاً كان فرخاً على عهد نوح فصاده جارح، فما من حمامه إلا و هى تبكيه و تدعوه فلا يجيبها .

«أما دين يجمعكم» فالدين يجمع بين العرب و العجم، و أهل المشرق و المغرب .

«و لا حميه تحمشكم» أى: تغضبكم .

«أقوم فيكم- إلى- عن عواقب المساء» لقتل مثل محمّد بن أبى بكر، و تصرّف العدو مثل مصر .

«فما يدرك بكم ثأر» لعدم حميه لكم.

ص: ٥٥٩

[١- ١] الغارات: ٢: ٤٥١. [١]

[٢- ٢] الحيوان للجاحظ ٥: ٣٠. [٢]

«و لا يبلغ بكم مرام» أى: مقصد .

«دعوتكم إلى نصر إخوانكم» من أهل مصر .

«فجر جرتم» الجرجره: صوت يردده البعير فى حنجرتة .

«جر جره الجمل الأسر» قال الجوهري: بعير أسر إذا كانت بكر كرتة دبره، قال الشاعر:

إن جنبى عن الفراش لناب كتجافى الأسر فوق الظراب

«و تناقلتم تناقل النَّصْو» البعير المهزول .

«الأدبر» كالدبر ذو القرحة. قال: و هان على الأملس ما لاقى الدبر .

«ثم خرج إلى منكم جنيد» تصغير الجند .

«متدائب ضعيف» و فى نسخه ابن ميثم (١): «ضعيف متدائب» .

«كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» اقتباس من قوله تعالى:

«يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَ هُمْ يَنْظُرُونَ» (٢).

فى (البلاذرى) سار القبايع لقتال الخوارج من الكوفه إلى باجوا شهرا، فقال الشاعر:

سار بنا القبايع سيرا نكرا يسير يوما و يقيم شهرا

قول المصنف: «قال الشريف» هكذا فى (المصريه) (٣) و فى (ابن أبى الحديد) (٤): «قال الرضى رضى الله عنه»، و فى (الخطيه): «قال السيد» .

«أقول» هكذا فى (المصريه) و هو زائد لعدم وجوده فى (ابن أبى الحديد و الخطيه).

ص: ٥٦٠

١-١ (١) شرح ابن ميثم ٢:٩٩.

٢-٢ (٢) الأنفال: ٦. [١]

٣-٣ (٣) الطبعة المصريه ١:٨٦.

٤-٤ (٤) شرح ابن أبى الحديد ٢:٣٠٠. [٢]

«قوله عليه السّلام (متذائب) أى: مضطرب من قولهم: (تذابت الريح) أى:

اضطرب هبوبها» و من قولهم: «تذابت الريح» أيضا سمّيت الذّوابه بالذّوابه، كما صرّح به فى (الجمهره).

«و منه يسمّى» هكذا فى (المصريه) و الصواب: (سمّى) كما فى (ابن أبى الحديد و الخطيه).

«الذّئب ذئبا» هكذا فى (المصريه) و ليس (ذئبا) فى (الخطيه) و فى (أصل ابن أبى الحديد) و إنّما كتب فى الحاشيه.

«لاضطراب مشيته» و الأصمعى عكس. قال الجوهري: تذابت الريح أى: اختلفت و جاءت مرّه كذا و مرّه كذا. قال الأصمعى أخذ من فعل (الذّئب) لأنّه يأتى كذلك.

هذا، و ليس فى (ابن ميثم) بيان الرضى هنا رأسا، كما فى الشفشقيه، هذا و يأتى فى الآتى أنّ الأصل فى هذا و ذاك واحد.



الخطبه (١٧٨)

و من خطبه له عليه السّلام فى ذم أصحابه:

أَحْمَدُ اللَّهِ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ - وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيُّهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِيعْ - وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ -
إِنْ أُمِّهَلْتُمْ خُضْتُمْ وَ إِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ - وَ إِنْ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ - وَ إِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقِّهِ نَكَضْتُمْ - لَا - أَيُّهَا لَغَيْرِكُمْ مَا
تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ - وَ الْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ - الْمَوْتُ أَوْ الدُّلُّ لَكُمْ - فَوَاللَّهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي وَ لِيَأْتِيَنِي لِيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَ بَيْنِكُمْ - وَ أَنَا لَكُمْ
قَالَ وَ بِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ - لِلَّهِ أَنْتُمْ أَمَا دِينَ يَجْمَعُكُمْ وَ لَا حَمِيَّةَ تَشْحَذُكُمْ - أَوْ لَيْسَ عَجَبًا أَنْ؟ مُعَاوِيَةَ؟

ص: ٥٦١

يَدْعُو الْجُفَاءَ الطَّعَامَ - فَيَتَّبِعُونَهُ عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ - وَأَنَا أَدْعُوكُمْ وَأَنْتُمْ تَرِيكُهُ الْإِسْلَامَ - وَبَقِيَهُ النَّاسِ إِلَى الْمَعُونَةِ وَطَائِفِهِ مِنَ الْعَطَاءِ - فَتَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ - إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًا فَتَرْضَوْنَهُ - وَلَا سِيْخُطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ - وَإِنَّ أَحَبَّ مَيَّا أَنَا لَأَقِي إِلَيْي الْمَوْتَ - قَدْ دَارَسْتُمْ كِتَابِي وَفَاتَحْتُمْ الْحِجَابَ - وَعَرَفْتُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ وَسَوَّعْتُمْ مَا مَجَّجْتُمْ - لَوْ كَانَ الْأَعْمَى يَلْحِظُ أَوْ النَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ - وَأَقْرَبُ بِقَوْمٍ مِنَ الْجَهْلِ بِاللَّهِ قَائِدُهُمْ؟ مَعَاوِيَةُ؟ - وَمُؤَدِّبُهُمْ؟ ابْنُ النَّبِغَةِ؟ أَقُولُ: الْأَصْلُ فِيهِ وَفِي سَابِقِهِ وَاحِدٌ، لَكِنَّهُ لَمَّا اخْتَلَفَتِ الرِّوَايَةُ فِي نَقْلِ كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَامَ اخْتَلَفَا.

قال المصنّف في أول الكتاب: «إنّ روايات كلامه عليه السّلام تختلف اختلافا شديدا» وهو وان قال: «إنّه قد يعيد كلامه عليه السّلام استظهارا للاختيار وغيره على عقايل الكلام» إلا أنه لم يتفطن هنا وغفل، كما قال: «و ربّما بعد العهد بما اختير أو لا فاعيد بعضه سهوا و نسيانا». و لم يتفطن الشرح أيضا، و إنّما زاد المصنّف ثمه كلامه عليه السّلام بعد مجيء الخبر بقتل محمد بن أبي بكر و أصحابه، من قوله: «دعوتكم إلى نصر إخوانكم فجزرتهم جرحه الجمل الأسر، و تناقلتم تناقل النضو الادبر، ثم خرج إلى منكم جنيد متذائب...» و هنا زاد امورا اخر.

و نقلنا الأصل في العنوان ثمه من خبر الطبري، و نقله هنا من خبر الثقفى، و الأصل في الخبرين واحد، روى الثقفى الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٢٩٠ (١) عن المدائني عن الحرث بن كعب عن جندب بن عبد الله قال: و الله إنني لعند عليّ عليه السّلام - إلى أن قال - قال عليه السّلام

ص: ٥٦٢

على المنبر: فهذا صريخ محمد بن أبي بكر وإخوانكم من أهل مصر قد سار إليهم ابن النابغه- إلى أن قال- فقال عليه السلام: الحمد لله على ما قضى و قدر من فعل، و ابتلائي بكم أيتها الفرقة التي لا تطيع إذا أمرتها و لا تجيب إذا دعوتها، لا أبا غيركم! ما تنتظرون بنصركم و الجهاد على حقكم؟ الموت خير من الذل في هذه الدنيا بغير الحق، و الله إن جاءني الموت- و ليأتيني- و يفرقن بيني و بينكم و إنني لصحبتكم لقال، ألا دين يجمعكم؟ ألا حميه تغيظكم؟ ألا تسمعون بعدوكم ينتقض بلادكم و يشن الغارة عليكم؟ أو ليس عجا أن معاويه يدعو الجفاه الطغاه الظلمه، فيتبعونه على غير عطاء و لا معونه، فيجيئون في السنه المره و المرتين و الثلاث إلى أى وجه شاء، ثم أنا أدعوكم و أنتم- اولو النهى و بقيه الناس- تختلفون و تفترون عني و تعصونني و تخالفون عليّ....

قول المصنف: «و من خطبه له عليه السلام» هكذا في (المصريه) (1) و الصواب:

(و من كلام له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد (2) و ابن ميثم (3) و الخطيه).

«الحمد لله على ما قضى من أمر و قدر من فعل» لأنه يجب حمده في الضراء كما في السراء، و المراد على ما قضى و قدر من فتح العدو لمصر و قتل عامله و شيعته.

«و على ابتلائي بكم، أيتها الفرقة التي إذا أمرت» بلفظه المتكلم المعلوم.

«لم تطع، و إذا دعوت لم تجب» عن (غارات الثقفى) (4): كان لعلي عليه السلام صديق يكنى أبا مريم من أهل المدينه، فلما سمع بتشتت الناس عليه أتاه، فلما رآه قال عليه السلام: أبو مريم؟ قال: نعم. قال: ما جاء بك؟ قال: لم آتكم لحاجه، و لكنى

ص: ٥٦٣

١-١ (١) الطبعة المصريه ٢:١٢١.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٠:١٦٧. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٣:٣٧٥. [٢]

٤-٤ (٤) الغارات للثقفى ١:٦٨. [٣]

أرى لو ولو ك أمر هذه الامه أجزأته. قال: يا أبا مريم، أنا صاحبك الذى عهدت، و لكنى منيت بأخيث قوم على وجه الأرض، أذعوهم إلى الأمر فلا يتبعونى، فإذا تابعتهم على ما يريدون تفرقوا عنى .

«إن امهلتم خضتم» الأصل فى الخوض: الدخول فى الماء، و يأتى للدخول فى حديث الناس.

«و إن حوربتم خرتم» من: خار يخور، أى: ضعفتم و انكسرتم .

«و إن اجتمع الناس على إمام طعنتم» و فى نسخه ابن ميثم (1): «ظعنتم».

«و إن اجئتم» أى: جىء بكم.

«إلى مشاقه» أى: مغالظه العدو.

«نكصتم» أى: رجعتم على أعقابكم .

«لا أبا لغيركم» أى: الرداءه لغيركم.

«ما تنتظرون» هكذا فى (المصريه)، و الصواب: (ما تنتظرون) كما فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«بنصركم ربكم» هكذا فى (المصريه)، و كلمه (ربكم) زائده لعدم وجودها فى (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«و الجهاد على حقكم» لأنهم كانوا هم المسلمين دون معاويه و أصحابه، فبلاد الإسلام كان واجبا أن تكون تحت أيديهم، يعنى مع إمارته عليه السلام .

«لئن جاء يومى» جاء عليه السلام ب(إن) الموضوعه للشك لكون جوابه «ليفزقن...» غير متحقق الوقوع دون شرطه، و لذا جاء بالاستدراك و قال:

«و ليأتينى» بالتشديد.

«ليفزقن بينى و بنيكم و أنا» الواو للحاليه.

ص: ٥٦٤

«لكم» هكذا في (المصريه) (١)، و الصواب: (لصحتكم) كما في (ابن أبي الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«قال» من القلى، أى: مبغض.

«و بكم غير كثير» قال الكراچكى في (كنزه): روى أنّ هذه الأبيات له عليه السلام:

أخذتكم درعا حصينا لتدفعوا سهام العدى عنى فكنتم نصالها

فإن أنتم لم تحفظوا لمودتى ذماما فكونوا لا عليها و لا لها

قفوا موقف المعذور عنى بجانب و خلّوا بنا للعدى و نبالها

«لله أنتم! أما دين يجمعكم، و لا حميه تشدكم» من: شحذت السكين، إذا حدته، و مرّ فى سابقه بلفظ «تحمشكم».

«أ و ليس عجا أن معاويه يدعو الجفاه» جمع الجافى، أى: الغلاظ.

«الطغام» أرذال الناس و أوغادهم، قال:

فما فضل اللبيب على الطغام

«فيتبعونه على غير معونه و لا عطاء» قال ابن أبى الحديد (٤): المعونه للجند: شىء يسير برسم ترميم أسلحتهم و إصلاح دوابهم، و

يكون ذلك خارجا عن العطاء المفروض شهرا فشهر.

قلت: العطاء أيضا أعّم من فرض الشهر، إنّما فرض الشهر يقال له:

الرزق، و لازم ما قال من كون العطاء الشىء المفروض أن يكون جند معاويه بدون أرزاق، و هو غير ممكن، و إنّما لم يكن

يعطيهم عطايا زائده و معونات زائده.

ص: ٥٦٥

١- (١) الطبعة المصريه ٢:١٢١.

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠:٦٧.

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٣:٣٧٥.

٤- (٤) شرح ابن أبى الحديد ١٠:٧١. [١]

«و أنا أدعوكم و أنتم تريكه الإسلام» قال ابن أبي الحديد (١): التريكة: بيضه النعام تتركها في مجتمها، أى: أنتم خلف الإسلام و بقيته كالبيضة التي يتركها النعامه.

و تبعه من تأخر عنه و هو خطأ، فيبيضه النعامه رذيله لا- فضيله، فمن أمثال العرب: أرذل من بيضه النعامه. قال الكرمانى فى (أمثاله) تترك النعامه بيضتها فى فلاه من الأرض فلا ترجع إليها....

و الصواب: أنها بمعنى البقيته، فى (النهايه) (٢) فى حديث الحسن: «(إنَّ لَّله ترائك فى خلقه) أراد امورا أبقاها الله فى العباد...» فيكون المعنى: أنتم الذين ترككم الإسلام من أفراده و ملته.

«و بقيه الناس» قال ابن أبي الحديد (٣): هذا الكلام فى غايه اللطف، و معناه:

أنّ باقى الناس غير اتباعه لا يقال لهم: الناس، لعدم وجود الإنسانيه فيهم، فكأنّ الناس انقروضوا إلاّ أتباعه عليه السّلام فهم بقيتهم التي بقوا منهم.

«إلى المعونه و طائفه من العطاء، فتتفرقون عنى و تختلفون على» روى (غارات الثقفى) (٤) خطبته عليه السّلام فى غاره بسر- إلى أن قال- إنّ من ذلّ المسلمين و هلاكك الدين أنّ ابن أبي سفيان يدعو الأردال و الأشرار فيجاب، و أدعوكم- و أنتم الأفضلون الأختيار- فتراوغون و تدافعون، ما هذا بفعل المتقين.

قال ابن أبي الحديد (٥): كان معاويه يعطى الرؤساء و لا يعطى الأتباع،

ص: ٥٦٦

١- ١) شرح ابن أبي الحديد ٧١: ١٠. [١]

٢- ٢) النهايه ١٨٨: ١. [٢]

٣- ٣) لم نعثر على نص العبارة فى الفصل.

٤- ٤) الغارات للثقفى ٦٢٥: ٢. [٣]

٥- ٥) شرح ابن أبي الحديد ٧١: ١٠. [٤]

و أما هو عليه السلام فكان يقسم بين الرؤساء و الأتباع، و لا يرى لشريف على مشروف فضلا.

قلت: روى الثقفى (١): أن أشراف الكوفة كانوا غاشين له عليه السلام و كان هواهم مع معاويه لأنه عليه السلام كان لا يعطى أحدا من الفىء أكثر من حقه، و كان معاويه جعل الشرف فى العطاء ألفى درهم.

ثم كان عجباً كما قال عليه السلام و فوق العجب أن معاويه - و كان معدن كل فجور و كفر، و منكراً للكتاب و السنه - لما أراد بالصوره و الخدعه أن يبايعه الناس على الكتاب و السنه يقول له مالك بن هبيرة الكندى - من رجال الشام:-

جعلت للسفهاء مقالا، ابسط يدك ابايعك على ما أحببنا و كرهنا:

ألا كل ملك ضمته الشرط هالك

و ينكر جمع منهم بيعه عدّه له عليه السلام على أنهم أولياء من و إلى و أعداء من عادى، مع أنه عليه السلام كان مظهر الكتاب و السنه قولاً و عملاً .

«إنه لا يخرج إليكم من أمرى رضا فترضونه، و لا سخط فتجتمعون عليه» قال ابن أبى الحديد (٢): يعنى أنكم لا تقبلون ممّا أقول لكم شيئاً، سواء كان ممّا يرضيكم أو يسخطكم.

قلت: بل يعنى عليه السلام أنه كل ما خرج إليكم من أمرى شىء فيه رضاي، و كان الواجب عليكم الرضا به لا ترضونه، و كل ما خرج إليكم من أمرى شىء فيه سخطى، و كان الواجب عليكم أن تسخطوا منه جميعاً لا تجتمعون على السخط منه، و ما قاله من عدم رضاهم بما يرضيهم لا معنى له.

ص: ٥٦٧

[١- ١] الغارات للثقفى ٤٤-١-٤٥. [١]

[٢- ٢] شرح ابن أبى الحديد: ٧١. [٢]

و روى (غارات الثقفى) (١) فى غاره الغامدى: أنه عليه السلام قال فى خطبته: قد عاتبتكم فى رشدكم حتى سئمت، و راجعتومونى بالهزء من قولكم حتى برمت، هزء من القول لا- يعاذ به، و خطل لا- يعزّ أهله، و لو وجدت بدًا من خطابكم و العتاب إليكم ما فعلت، فردوا خيرا و افعلوه، و ما أظن أن تفعلوا .

«و إنّ أحبّ ما أنا لاق إلى الموت» هكذا فى النسخ، و كأنه محرف: (و إنّ أحب ما أنا لاقه الموت).

و كيف كان، ففى (العقد) قالت الحكماء: أشدّ من الموت ما إذا نزل بك أحببت له الموت، و أطيب من العيش ما إذا فارقته أبغضت له العيش .

«قد دارستكم الكتاب» قال ابن أبى الحديد (٢): أى دارسته عليكم. دارست الكتب و تدارستها و ادرستها و درستها بمعنى، و هى من الألفاظ القرآنيه.

قلت: لم نقف على من ذكر (ادرس) و إنّما فى القرآن مجردة: (درست و درسوا و تدرسون) ثم الظاهر أنّ المراد: علّمتكم درس القرآن و تفسيره، فإنّ الأصل فى تفسيره هو عليه السلام.

«و فاتحتكم الحجاج» أى: فتحت لكم أبواب المحاجه فى الدين، و هو عليه السلام أوّل من علّم الناس الاحتجاج فى دين الله، و قال ابن أبى الحديد (٣): أى حاكمتمكم بالمحاجه، و هو كما ترى .

«و عرّفتمكم ما أنكرتم» ممّا لبسه المتقدّمون عليه، على الناس.

«و سوغتمكم» الأصل فيه: ساغ الشراب: سهل مدخله فى الحلق.

«ما مججتم» و الأصل فى الميج: معج الشراب من فيه، إذا رمى به، و المراد:

ص: ٥٦٨

١- (١) الغارات للثقفى ٢: ٤٧٤. [١]

٢- (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧٢: ١٠. [٢]

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧٢: ١٠. [٣]

ردّهم إلى السنن من بدع المتقدّمين عليه .

«لو كان الأعمى يلحظ» أى: يبصر.

«و النائم يستيقظ» أى: يسمع و يفهم، أى: كما أنّ لحظ الأعمى و تيقّظ النائم محال، كذلك محال أن تفهموا-بعد أن دارستكم الكتاب، و فاتحتكم الحجاج و عزّفتكم ما أنكرتم و سوّغتكم ما مجّتم-مقامى و أنّى من جعله الله إماما للناس، و أنّ المتقدّمين عليه كانوا ضالّين «أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ» (١).

و قال ابن أبى الحديد (٢): أيضا: معنى الكلام قد فعلت معكم ما يقتضى حصول الاعتقادات الحقيقيه فى أذهانكم، لو أزلتم عن قلوبكم ما يمنع من حصولها، من الهوى و العصبية و الإصرار على اللجاج، و محبّته نصره عقيدته قد سبقت إلى القلب، و زرعها فيه التعصّب و مشقّه مفارقه الاسلاف الذين قد انغرس فى النفس تعظيمهم، و مالت القلوب إلى تقليدهم لحسن الظن بهم .

«و أقرب بقوم من الجهل بالله قائدهم معويه، و مؤدّبهم ابن النابغه» أى:

عمرو بن العاص، و فى (الطبرى) (٣) عن زيد بن وهب: مرّ علىّ عليه السّلام فى صفّين على جماعه من أهل الشام-فيهم الوليد بن عقبه-و هم يشتمونه، فخبّر بذلك فوقف فى من يليهم من أصحابه فقال: انهدوا إليهم و عليكم السكينة و وقار الإسلام و سيماء الصالحين، فوالله لأقرب قوم من الجهل قوم قائدهم و مؤدّبهم معاويه و ابن النابغه و أبو أعور السلمى، و ابن أبى معط شارب الخمر المجلود حدّا فى الإسلام، و هم أوّل من يقومون فينقصوننى.

ص: ٥٦٩

١-١ (١) يونس: ٣٥. [١]

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧٢: ١٠. [٢]

٣-٣ (٣) تاريخ الطبرى ٤٥: ٥. [٣]

و في (طرائف ابن طائوس) عن بعضهم في معاويه و عمرو في تغييرهما السنه في التختم من اليمين إلى الشمال:

سنّ التختّم في اليمين محمّد للقائلين بدعوه الإخلاص

فسعى ابن هند في إزاله رسمه و أعانه في ذلك ابن العاص

هذا، و لابن أبي نعيم في يحيى بن أكثم القاضى و الخليفه العباسى و امرائهم:

أميرنا يرتشى و حاكمنا يلوط و الراس شرّ ما راس

قاص يرى الحدّ في الزنا و لا يرى على من يلوط من باس

ما أحسب الجور ينقضى و على الامّه وال من بنى العباس



الخطبه (٦٦)

و من كلام له عليه السلام لما قلّد محمّد بن أبى بكر مصر فملك عليه فقتل:

وَ قَدْ أَرَدْتُ تَوَلِيَّهَ؟ مَضِيرٌ؟ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْهَ؟ - وَ لَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَّا خَلَّى لَهُمُ الْعُرْصَةَ - وَ لَا أَنهَزَهُمُ الْفُرْصَةَ - بَلَا ذَمٌّ؟ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ؟ - فَلَقِمْتُ كَأَنَّ إِلَى حَبِيبًا وَ كَأَنَّ لِي رَبِيبًا أَقُولُ: قال ابن أبى الحديد ابن أبى الحديد - شرح نهج البلاغه - ج ٦ ص ٩٣ (١): روى المدائنى: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: رَحِمَ اللَّهُ مُحَمَّدًا، كَانَ غُلَامًا حَدِثًا، لَقَدْ كُنْتُ أُرَدْتُ أَنْ أَوْلِيَ الْمُرْقَالَ هَاشِمُ بْنُ عُبَيْهَ مِصْرًا، فَإِنَّهُ وَ اللَّهُ لَوْ وُلِّيَهَا مَا خَلَّى لِابْنِ الْعَاصِ وَ أَعْوَانِهِ الْعُرْصَةَ، وَ لَا قَتَلَ إِلَّا وَ سَيْفِهِ فِي يَدِهِ، بَلَا ذَمٌّ لِمُحَمَّدٍ، فَلَقِدَ أَحْمَدُ نَفْسَهُ وَ قَضَى مَا عَلَيْهِ.

قلت: و روى الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٥ ص ١١٠ (٢) عن أبى مخنف مثله، لكن فيه: «و أعوانه الفجره»،

ص: ٥٧٠

١-١) شرح ابن أبى الحديد ٩٣:٦. [١]

٢-٢) تاريخ الطبرى ١١٠:٥. [٢]

و فيه: «فقد اجتهد نفسه».

قول المصنف: «و من كلام له عليه السّلام لَمَّا قَلِمَد» قال الجوهري: «قَلِمَدت المرأه فتقلدت هي». و منه التقليد في الدين، و تقليد الولاة الأعمال.

«محمد بن أبي بكر مصر فملكته عليه فقتل» هكذا في (المصريه) (١) و الصواب: (و قتل) كما في (ابن أبي الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

ثم إن ابن أبي الحديد (٤) نقل مقتله من (غارات الثقفى) (٥)، و أنقله من (تاريخ الطبرى) (٦)، فروى عن أبي مخنف: أن أهل الشام لما انصرفوا من صفين كانوا ينتظرون ما يأتى به الحكمان، فلما انصرفا و تفرقا بايع أهل الشام معاويه بالخلافه و لم يزد إلا قوه، و اختلف الناس بالعراق على عليّ عليه السّلام، فما كان لمعاويه هم إلا مصر، و كان لأهلها خائفا لقبهم منه و شدّتهم على من كان على رأى عثمان، و قد كان على ذلك علم أن بها قوما ساءهم قتل عثمان و خالفوا عليّا عليه السّلام، و كان يرجو أن يكون إذا ظهر عليها ظهر على حرب عليّ لعظم خراجها، فدعا من كان معه من قريش: عمرو بن العاص و حبيب بن مسلمه و بسر بن أبي أرطاه و الضحّاك بن قيس و عبد الرحمن بن خالد بن الوليد، و من غيرهم: أبا الأعرور السلمى و حمزه بن مالك الهمدانى و شرحبيل الكندى، فقال لهم: أ تدرّون لم دعوتكم؟ فقال عمرو: أهّمّك أمر هذه البلاد الكثير خراجها و الكثير عددها، فاعزم و اقدم، و نعم الرأى رأيت.

ص: ٥٧١

١-١ (١) الطبعه المصريه ١:١١٣.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبي الحديد ٥٣:٦. [١]

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ١٨٦:٢. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن أبي الحديد ٨٤:٦-٨٧. [٣]

٥-٥ (٥) الغارات للثقفى ١:٢٧٠. [٤]

٦-٦ (٦) تاريخ الطبرى ٥:٩٧. [٥]

فقال معاوية: رأيتم كيف صنع الله بكم؟ جاءكم عدوكم و هم لا يرون إلا أنهم سيقضون بيضتكم و يخزبون بلادكم. فكتب عند ذلك معاوية إلى مسلمة بن مخلد الأنصاري و إلى معاوية بن حديج الكندي -و كانا خالفا عليا عليه السلام:-

فاصبروا و صابروا عدوكم، و ادعوا المدبر هداكما و كأن الجيش قد أظل عليكم، فانقشع كل ما تكرهان و كان كل ما تهويان - إلى أن قال في جواب مسلمة لمعاوية - عجل علينا خيلك و رجلك فإن عدونا قد كان علينا حربا و كنا فيهم قليلا، فقد أصبحوا لنا هائبين و أصبحنا لهم مقرنين، فإن يأتنا الله بمدد من قبلك يفتح الله عليكم - إلى أن قال - فبعث معاوية عمرا في ستة آلاف رجل فخرج يسير حتى نزل أدنى أرض مصر، فاجتمعت العثمانيه إليه فأقام بهم و كتب إلى محمد بن أبي بكر: تنح عني بدمك يا بن أبي بكر فإنني لا - احب أن يصيبك مني ظفر، إن الناس بهذه البلاد قد اجتمعوا على خلافك و رفض أمرك و ندموا على اتباعك، فهم مسلموك لو قد التقت حلقتا البطان فاخرج منها فإنني لك من الناصحين. و بعث عمرو كتابه مع كتاب معاوية إلى محمد، و في كتاب معاوية: إن غب البغي و الظلم عظيم الوبال، و إن سفك الدم الحرام لا يسلم صاحبه من النقمه في الدنيا و من التبعه الموبقه في الآخرة، و إننا لا نعلم أحدا كان على عثمان أعظم بغيا و لا أسوأ له عيبا و لا أشد خلافا عليه منك، سعت عليه في الساعين و سكفت دمه في السافكين، ثم تظن أنني عنك نائم أو ناس لك، حتى تؤمر فتأمر على بلاد أنت فيها جاري و جل أهلها أنصاري، يرون رأيي و يرقبون قولي و يستصرخوني عليك؟ و قد بعثت إليك أقواما خناقا عليك، يستسقون دمك و قد أعطوا الله عهدا ليمثلن بك، و لو لم يكن منهم إليك ما عدا قتلك ما حذرتك و لا أنذرتك و لا أحببت أن يقتلوك بظلمك و قطيعتك و عدوك على عثمان، يوم تطعن بمشاقصك بين خششائه و أوداجه، و لكن

أكره أن أمثل بقرشى، و لن يسلمك الله من القصاص أبداً أينما كنت. فطوى محمد بن أبى بكر كتابيهما و بعث بهما إلى علي عليه السلام و كتب معهما: إن ابن العاص قد نزل أدنى أرض مصر فى لجب من جيش خرب، و إن من كان بها على مثل رأيه خرج إليه، و قد رأيت ممن قبلى بعض الفشل، فإن كان لك فى أرض مصر حاجه فأمدنى بالرجال و الأموال. فكتب إليه علي عليه السلام: جاءنى كتابك تذكر أن ابن العاص نزل بأدنى أرض مصر، و أن من كان بها على مثل رأيه خرج إليه، و خروج من يرى رأيه إليه خير لك من إقامتهم عندك، و ذكرت أنك قد رأيت فى بعض ممن قبلك فشلاً، فلا تفشل و إن فشلوا، حصن قريتك و اضمم إليك شيعتك، و اندب إلى القوم كنانه بن بشر المعروف بالنصيحه و النجده و البأس، فإننى نادب إليك الناس على الصعب و الذلول، فاصبر لعدوك و امض على بصيرتك، و قاتلهم على بيتك و جاهدهم صابراً محتسباً، و إن كانت فتتك أقل الفئتين فإن الله قد يعز القليل و يخذل الكثير. و قد قرأت كتاب الفاجر ابن الفاجر معاويه و الفاجر ابن الكافر عمرو، المتحابين فى عمل المعصيه و المتوافقين المرتشين فى الحكومه، المنكرين فى الدنيا (قد استمتعوا بخلاقهم كما استمتع الذين من قبلهم بخلاقهم) (١)، فلا يهلك إرعادهما و إبراقهما و أجهما، إن كنت لم تجبهما بما هما أهله فإنك تجد مقالا ما شئت.

فكتب محمد بن أبى بكر إلى معاويه جواب كتابه: أتانى كتابك تذكرنى من أمر عثمان أمراً لا أعتذر إليك منه، و تأمرنى بالتخى عنك كأنك لى ناصح، و تخوفنى المثلثه كأنك شفيق، و أنا أرجو أن تكون لى الدائره عليكم فأجتاحكم فى الوقعه، و أن تؤتوا النصر و يكن لكم الأمر فى الدنيا، فكم لعمرى ما من

ص: ٥٧٣

ظالم قد نصرتم، وكم من مؤمن قد قتلتم و مثلتم به، و إلى الله مصيركم و مصيرهم، و إلى الله مرد الامور و هو أرحم الراحمين و هو المستعان على ما تصفون.

و كتب إلى عمرو: زعمت أنك تكره أن يصيبني منك ظفر، و أشهد أنك من المبطلين، و تزعم أنك لى نصيح، و اقسم أنك عندى ظنين، و تزعم أن أهل البلد قد رفضوا رأى و ندموا على اتباعى، فأولئك لك و للشيطان الرجيم أولياء، و حسبنا الله رب العالمين.

فأقبل عمرو حتى قصد مصر، فقام محمد فى الناس فقال: معاشر المسلمين و المؤمنين، إن القوم الذين كانوا ينتهكون الحرمه و ينعشون الضلال، و يشنون نار الفتنة و يتسلطون بالجبريه، قد نصبوا لكم العداوه و ساروا إليكم بالجنود. عباد الله، فمن أراد الجنه و المغفره فليخرج إلى هؤلاء القوم فليجاهدهم. فلما دنا عمرو من كنانه سرح الكتائب كتيبه بعد كتيبه، فجعل كنانه لا تأتیه كتيبه إلا شد عليها بمن معه حتى يقربها بعمرو، فعلى ذلك مرارا، فلما رأى عمرو ذلك بعث إلى معاويه بن حديج فأتاه فى مثل الدهم، فأحاط بكنانه و أصحابه و اجتمع أهل الشام عليهم من كل جانب، فلما رأى ذلك كنانه نزل عن فرسه و نزل أصحابه و كنانه يقول: «و ما كان لِنَفْسٍ أَنْ تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كِتَابًا مُّؤَجَّلًا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ مَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَ سَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ» (١). فضا ربهم بسيفه حتى استشهد.

و أقبل عمرو نحو محمد و قد تفرق عنه أصحابه-لما بلغهم قتل كنانه- حتى بقى و ما معه أحد من أصحابه، فلما رأى ذلك خرج يمشى فى الطريق حتى انتهى إلى خربه فى ناحيه الطريق فأوى إليها، و جاء عمرو حتى دخل

ص: ٥٧٤

الفسطاط، و خرج معاويه بن حديج في طلب محمد حتى انتهى إلى علوج في قارعه الطريق، فسألهم: هل مرّ بكم أحد تنكرونه؟ فقال أحدهم: إنني دخلت تلك الخربه فإذا أنا برجل فيها جالس. فقال ابن حديج: هو و ربّ الكعبه. فانطلقوا يركضون حتى دخلوا عليه فاستخرجوه و قد كاد يموت عطشا، فأقبلوا به نحو فسطاط مصر، و وثب أخوه عبد الرحمن بن أبي بكر إلى عمرو- و كان في جنده- فقال: أ تقتل أخى صبيرا؟ أبعث إلى ابن حديج فانه. فبعث إليه عمرو يأمره أن يأتيه بمحمد، فقال: قتلتم كنانه و اخلّى أنا عن محمد؟ هيهات «أ كُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أَوْلِيَّكُمْ أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ» (١)؟ فقال لهم محمد:

اسقوني. فقال ابن حديج: لا سقاه الله ان سقاك قطره أبدا، إنكم منعمتم عثمان أن يشرب الماء حتى قتلتموه صائما محرما، فتلقاه الله بالرحيق المختوم، و الله لأقتلنك يا بن أبي بكر فيسقيك الله الحميم و الغساق. فقال له محمد: يا بن اليهوديه السّاجه، ليس ذلك إليك و لا إلى من ذكرت، إنّما ذلك إلى الله عز و جل، يسقى أوليائه و يظمى أعداءه أنت و ضرباؤك و من تولاه، أما و الله لو كان سيفي في يدي ما بلغت منى هذا. قال له ابن حديج: أ تدرى ما أصنع بك؟ ادخلك في جوف حمار ثم احرقه عليك بالنار. فقال له محمد: إن فعلتم ذلك بي فطالما فعل ذلك بأولياء الله، و إنى لأرجو هذه النار التي تحرقني بها، أن يجعلها الله عليّ بردا و سلاما كما جعلها على خليله إبراهيم عليه السّلام، و إن يجعلها عليك و على أوليائك كما جعلها على نمرود و أوليائه، إنّ الله يحرقك و من ذكرته قبل -يعنى: عثمان- و امامك-يعنى: معاويه- و هذا- و أشار إلى عمرو- بنار تلظى عليكم كلّما خبت زادها الله سعيرا. قال له ابن حديج: إنى إنّما أقتلك بعثمان. قال له محمد. و ما أنت و عثمان؟ إنّ عثمان عمل بالجور و نبذ حكم القرآن، و قد قال

ص: ٥٧٥

تعالى: «وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ» (١) فنقمنا عليه ذلك، و حسنت أنت و نظراؤك له ذلك، فقد برّأنا الله تعالى من ذنبه، و أنت شريكه في إثمه و عظم ذنبه و جاعلك على مثاله. فغضب ابن حديج فقدمه فقتله، ثم ألقاه في جيفه حمار ثم أحرقه بالنار.

قوله عليه السّلام : «و قد أردت توليه مصر هاشم بن عتبة» إنّ هاشما و إن كان قتل في صَفَيْن سنة (٣٧) و قتل محمّد بن أبي بكر في مصر كان في سنة (٣٨) إلا أنّ توليته عليه السّلام لمحمّد كان قبل صَفَيْن بعد عزل قيس بن سعد بن عباده عنها، و أراد عليه السّلام توليه هاشم فطلب منه عليه السّلام ابن أخيه عبد الله بن جعفر -أخو محمّد لأمّه- توليه محمّد .

«و لو وليته» أي: هاشما.

«إياها» يعني: مصر.

«لما خلى لهم العرصه» قال ابن دريد: عرصه الدار: ما لا بناء فيه. و مثله الجوهري، و في (الأساس): قال النضر: لو جلست في بيت من بيوت الدار كنت جالسا في العرصه، بعد ألا تكون في العلو.

و كيف كان، فعدم تخليه العرصه كناية عن عدم اعطائهم المهله .

«و لا أنهزم الفرصه» يعني: لا يعطيهم فرصه يغتمونها، هذا، و قد عرفت أنّ الطبرى و المدائنى رويَا بدل «و لا أنهزم الفرصه»: «و لَمَّا قتل إلا و سيفه في يده».

هذا، و هاشم ابن أخى سعد بن أبى وقاص -و في (الاستيعاب) (٢)- كانت رايه علىّ عليه السّلام على الرّجاله يوم صَفَيْن بيده، و هو القائل يوم صَفَيْن:

ص: ٥٧٦

١- (١) المائدة: ٤٧. [١]

٢- (٢) الاستيعاب ٦١٩: ٣-٦٢٠. [٢]

أعور يبغى أهله محلاً قد عالج الحياه حتى ملاً

لا بد أن يفلاً أو يفلاً

و قطعت رجله يومئذ، فجعل يقاتل من دنا منه و هو بارك و يقول:

الفحل يحمى شوله معقولا

و قاتل حتى قتل.

و في (صفين نصر) (١): و لَمَّا سَقَطَ هَاشِمٌ مِنْ طَعْنِهِ شَقَّتْ بَطْنَهُ رَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا هُوَ بِعَبِيدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِ بْنِ الْخَطَّابِ قَتِيلًا - إِلَى جَانِبِهِ، فَجَثَا حَتَّى دَنَا مِنْهُ فَعَضَّ عَلَى ثَدْيِهِ حَتَّى تَبَيَّنَتْ فِيهِ أَنْيَابُهُ، ثُمَّ مَاتَ وَ هُوَ عَلَى صَدْرِ عَبِيدِ اللَّهِ.

و فيه (٢): كَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِهَاشِمٍ - كَهَيْئَةِ الْمَازِحِ - : أَبَا هَاشِمٍ، أَمَا تَخْشَى مِنْ نَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ أَعُورَ جَبَانًا؟ فَقَالَ: سَتَعَلِمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، وَ اللَّهُ لَأَلْفَنُ بَيْنَ جَمَاجِمِ الْقَوْمِ لَفَّ رَجُلٌ يَنْوِي الْآخِرَةَ....

و فيه (٣): مَرَّ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَوْمَ صَفِّينَ عَلَى هَاشِمٍ وَ عَلَى عَصَابِهِ مِنْ أَسْلَمٍ مِنَ الْقُرَاءِ أَصِيبُوا مَعَهُ فَقَالَ:

جَزَى اللَّهُ خَيْرًا عَصَبَهُ أَسْلَمِيهِ صَبَاحَ الْوَجُوهِ صَرَّعُوا حَوْلَ هَاشِمٍ

و في (الاستيعاب) (٤): فَفَقَّتْ عَيْنَهُ يَوْمَ الْيَرْمُوكِ، وَ افْتَتَحَ جُلُودَهُ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: فَتْحُ الْفَتْوحِ، وَ كَانَ سَبَبَ الْفَتْحِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ فِي الْقَادِسِيَةِ .

«بلا ذم لمحمد» لأنه جاهد حتى لم يبق معه أحد .

«فلقد كان إلي حبيبا و كان لي ربيبا» هكذا روايه المصنّف، و قد عرفت أنّ المدائني و الطبري روايا بدل هذا الكلام: «فلقد اجتهد نفسه و قضى ما عليه»

ص: ٥٧٧

١-١) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٥. [١]

٢-٢) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٢٧. [٢]

٣-٣) صفين لنصر بن مزاحم: ٣٥٦. [٣]

٤-٤) الاستيعاب ٦١٧: ٣. [٤]

و هو الأنسب بقوله: «بلا ذم لمحمد» دون ما نقله المصنّف، فحبيب الإنسان كربييه قد يكون مذموماً، قال تعالى لنبية صلّى الله عليه وآله: «إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ» (١).

و الظاهر أنّه عليه السّلام قال هذا الكلام، غير متصل بذلك الكلام فقال المدائني:

قيل لعلّي عليه السّلام: لقد جزعت على محمّد بن أبي بكر؟ فقال: و ما يمنعني؟ إنّّه كان لي ربيياً، و كان لي أخاً، و كنت له والداً. أعدّه ولداً و مثله المسعودي (٢) فقال:

قال عليه السّلام: ما جزعت على هالك منذ دخلت هذه الحرب جزعى عليه، كان لي ربيياً و كنت أعدّه ولداً، كان بي براً....

و كيف كان، كان محمّد ربييه عليه السّلام لأنّه تزوّج بأمّه أسماء بنت عميس و ربّاه عليه السّلام لأنّه كان يوم موت أبيه ابن ثلاث، و في (الكشي): كانت نجاته من قبل أمّه أسماء.

و في (المروج) (٣): لثما وصل محمّد إلى مصر بعد قيس كتب إلى معاوية -بعد ذكر بعث الله تعالى لنبية صلّى الله عليه وآله- فكان أوّل من أجاب و أناب و آمن و صدّق و أسلم و سلّم: أخوه و ابن عمّه عليّ بن أبي طالب، صدّقه بالغيب المكتوم و آثره على كلّ حميم، و وقاه بنفسه كلّ هول و حارب حربه و سالم سلمه، فلم يبرح مبتذلاً لنفسه في ساعات الليل و النهار و الخوف و الجوع، حتى برز سابقاً لا نظير له في من اتّبعه و لا مقارب له في فعله، و قد رأيتك تساميه و أنت أنت و هو هو، أصدق الناس نبيّه و أفضل الناس ذريه، و خير الناس زوجه و أفضل الناس ابن عمّ و أخوه الشاري بنفسه يوم موته، و عمّه سيد الشهداء

ص: ٥٧٨

١-١ (١) القصص: ٥٦. [١]

٢-٢ (٢) المسعودي ٢: ٤٠٩. [٢]

٣-٣ (٣) مروج الذهب ٣: ١١. [٣]

يوم احد و أبوه الذابّ عن النبي صَلَّى الله عليه و آله و عن حوزته، و أنت اللعين ابن اللعين لم تزل أنت و أبوك تبغيان للنبي صَلَّى الله عليه و آله الغوائل، و تجهدان في إطفاء نور الله، تجمعان على ذلك الجموع و تبدلان فيه المال و تؤلبان عليه القبائل، على ذلك مات أبوك و عليه خلفته، و الشهيد عليك من يدني و يلجأ إليك من بقيه الأحزاب و رؤساء النفاق، و الشاهد لعليّ عليه السّلام- مع فضله المبين القديم- انصاره الذين معه، الذين ذكرهم الله بفضلهم و أثنى عليهم من المهاجرين و الأنصار، فكيف -يا لك الويل- تعدل نفسك بعليّ عليه السّلام و هو وارث النبي صَلَّى الله عليه و آله و وصيّيه و أبو ولده، أوّل الناس له اتباعا و أقربهم به عهدا، يخبره بسرّه و يطلعه على أمره، و أنت عدوّه؟ فتمتّع في دنياك ما استطعت بباطلك و ليمدّدك ابن العاص في غوايتك، فكأنّ أجلك قد انقضى- إلى أن قال- فكتب: من معاوية بن صخر إلى الزاري على أبيه محمّد بن أبي بكر: أتاني كتابك و لأبيك فيه تعنيف، ذكرت فيه فضل ابن أبي طالب و قديم سوابقه و قرابته إلى النبي صَلَّى الله عليه و آله و مواساته إيّاه في كلّ هول و خوف، فقد كنّا- و أبوك فينا- نعرف فضل ابن أبي طالب و حقّه لازما لنا مبرورا علينا، فلمّا قبض الله نبيّه كان أبوك و فاروقه أوّل من ابتزّه حقّه و خالفه على أمره، على ذلك اتّفقا و اتّسقا ثم إنّهما دعواه إلى بيعتهما، فأبطأ عنهما و تلكا عليهما، فهما به الهموم و أرادا به العظيم، ثم إنّه بايع لهما و سلّم لهما، و أقاما لا يشركانه في أمرهما و لا يطلعانه على سرّهما حتى قبضا، ثم قام ثالثهما عثمان فهدى بهديهما و سار بسيرهما- إلى أن قال- و قس شريك بفترك تقصر أن توازن من يزن الجبال بحلمه، أبوك مهّد مهاده و بنى له ملكه و شاده، فإن يك ما نحن فيه صوابا فأبوك استبد به و نحن شركاؤه، و لو لا ما فعل أبوك من قبل ما خالفنا ابن أبي طالب و لسلمنا إليه، و لكننا رأينا أباك فعل ذلك به من قبلنا فأخذنا بمثاله، فعب أباك بما بدا لك، أو دع ذلك.

و من كتاب له عليه السلام إلى عبد الله بن العباس بعد مقتل محمد بن أبي بكر:

أَمَا بَعْدُ فَإِنَّ مِضِيرَ؟ قَدْ افْتِتِحَتْ - وَ؟ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ؟ رَحِمَهُ اللَّهُ قَدْ اسْتُشْهِدَ - فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُ بِهِ وَلَدًا نَاصِحًا وَ عَامِلًا كَادِحًا - وَ سَيْفًا قَاطِعًا وَ رُكْنًا دَافِعًا - وَ قَدْ كُنْتُ حَشْتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ - وَ أَمَرْتُهُمْ بِعِيَاثِهِ قَبْلَ الْوُقُوعِ - وَ دَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا وَ عَوْدًا وَ بَدَاءً - فَمِنْهُمْ الْمَاتِي كَارِهًا وَ مِنْهُمْ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا - وَ مِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا - وَ أَسْأَلُ اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يَجْعَلَ مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا - فَوَاللَّهِ لَوْ لَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عِدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ - وَ تَوَطَّيْتُ نَفْسِي عَلَى الْمَيِّتِ - لِأَحْبَبْتُ أَلَّا أَبْقَى مَعَ هَؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا - وَ لَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا
أقول: رواه الطبري في (تاريخه الطبري - تاريخ الطبري - ج ٥ ص ١٠٩) (١) و الثقفى في (غاراته الثقفى - الغارات - ج ١ ص ٢٩٩ و ٣٠٠) (٢) بدون قوله:

«ولدا ناصحا و عاملا كادحا و سيفا قاطعا و ركنا دافعا».

و روي (٣) أيضا جواب ابن عباس لكتابه عليه السلام: رحم الله محمد بن أبي بكر و أجرك فيه، و قد سألت الله أن يجعل لك من رعيته التي ابتليت بها فرجا و مخرجا، و أن يعزك بالملائكة عاجلا بالنصره، فإن الله صانع لك ذلك و معزك و مجيب دعوتك و كابت عدوك، اخبرك يا أمير المؤمنين أن الناس ربما تناقلوا ثم ينشطون، فارق بهم. قال الثاني و روى أن ابن عباس قدم

ص: ٥٨٠

[١-١] التاريخ للطبري ١٠٩:٥. [١]

[٢-٢] الغارات للثقفى ١:٢٩٩. [٢]

[٣-٣] الغارات للثقفى ١:٣٠٠. [٣]

من البصره عليه عليه السّلام فعزّاه به.

و روى (١) أيضا: أنّه عليه السّلام قام فى الناس خطيبا و قال: ألا إنّ مصر قد افتتحها الفجره اولو الجور و الظلم، الذين صدوا عن سبيل الإسلام و بغوا الإسلام عوجا، ألا و إنّ محمّد بن أبى بكر قد استشهد رحمه الله فعند الله نحتسبه، أما و الله أن كان ما علمت: لممن ينتظر القضاء و يعمل للجزاء و يبغض شكل الفاجر و يحب هدى المؤمن.

و روى الكلينى فى (رسائله): أنّ الناس سألوه عن أبى بكر و عمر و عثمان فغضب عليه السّلام و قال: قد تفرغتم للسؤال عمّا لا يعينكم، و هذه مصر قد افتتحت و قتل معاويه بن حديج محمّد بن أبى بكر، فى لها من مصيبه ما أعظمها! فو الله ما كان إلّا كبعض بنى. و قريب منه فى (خلفاء القتيبي).

قول المصنف: «و من كتاب له عليه السّلام إلى عبد الله بن العباس» هكذا فى (المصريه) (٢) و زاد ابن أبى الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) بعده: «رحمه الله».

«بعد مقتل محمّد بن أبى بكر» هكذا فى (المصريه) و فيها سقط فزاد (ابن أبى الحديد و ابن ميثم و الخطيبه) بعده: «بمصر».

قوله عليه السّلام: «أمّا بعد، فإنّ مصر قد افتتحت» و كان فتحها فى سنه (٣٨).

«و محمّد بن أبى بكر قد استشهد» قتل صبورا ثم احرق، و إنّما قتلوه هكذا لكونه شيعته، و ما دافع عنه أخوه لأبيه عبد الرحمن بن أبى بكر لذلك، و إنّما قال لفظا لابن العاص: أقتلون أخى صبورا. و لو لم يكن شيعته عليه السّلام لمّا قتلوه لكونه ابن أبى بكر و لأخيه عبد الرحمن و لاخته عايشه.

ص: ٥٨١

١-١ (١) الغارات للثقفى ١:٢٩٥. [١]

٢-٢ (٢) الطبعه المصريه ٣:٦٧.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبى الحديد ١٦:١٤٥. [٢]

٤-٤ (٤) شرح ابن ميثم ٥:٧٦. [٣]

«فَعِنْدَ اللَّهِ نَحْتَسِبُهُ» فَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّ مَصِيبَتَهُ كَانَتْ عَلَيْهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَظِيمَةً حَتَّى رَأَى ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ.

«وَلِدَا نَاصِحًا» فَإِنَّ الرَّيِّبَ كَالْوَالِدِ.

«وَعَامِلًا كَادِحًا» أَي: مُجَدِّدًا.

«وَسِيْفًا قَاطِعًا وَرَكْنًا دَافِعًا» كَمَا عَرَفْتَ فِي سَابِقِهِ مِنْ كِتَابِهِ إِلَى مَعَاوِيَةَ فِي شَأْنِهِ .

«وَقَدْ كُنْتُ حَثَّتُ النَّاسَ عَلَى لِحَاقِهِ» وَدَرَكِهِ.

«وَأَمَرْتَهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ» أَي: إِيقَاعِ الْعَدُوِّ بِهِ.

«وَدَعَوْتَهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا وَعُودًا وَبَدءًا» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُمْ لَمَّا جَاءَهُ صَرِيخُ مُحَمَّدٍ:

أَخْرَجُوا إِلَى الْجَرْعَةِ - وَهِيَ قَرْيَةٌ بَيْنَ الْحَيْرَةِ وَالْكُوفَةِ - فَوَافُونِي بِهَا هُنَاكَ غَدًا.

ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَمْشِي مِنَ الْغَدِ بَكَرَهُ إِلَى الْجَرْعَةِ فَأَقَامَ بِهَا حَتَّى انْتَصَفَ النَّهَارَ فَلَمْ يُوَافِهِ أَحَدٌ، فَرَجَعَ بِالْعَشِيِّ إِلَى أَشْرَافِهِمْ وَانْتَبَهُمْ، فَقَامَ مَالِكُ بْنُ كَعْبِ الْأَرْحَبِيِّ وَقَالَ: انْدَبَ النَّاسَ مَعِيَ. فَأَمَرَ مُنَادِيَهُ أَنْ يَنْتَدِبُوا فَخَرَجَ مَعَهُ قَلِيلٌ نَحْوَ أَلْفِي رَجُلٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ: سَرَفَ اللَّهُ مَا أَخَا لَكَ تَدْرِكُوا الْقَوْمَ حَتَّى يَنْقُضِي أَمْرَهُمْ. وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي خُطْبَتِهِ بَعْدَ شَهَادَةِ مُحَمَّدٍ وَأَصْحَابِهِ: وَقَدْ دَعَوْتَكُمْ إِلَى غِيَاثِ إِخْوَانِكُمْ مِنْذُ بَضْعِ وَخَمْسِينَ لَيْلَةً، فَتَجَرَّجْتُمْ جَرَجْرَهُ الْجَمَلِ الْأَشْدَقِ.

«فَمِنْهُمْ الْآتَى كَارَهَا وَمِنْهُمْ الْمَعْتَلُ» أَي: الْآتَى بِالْعَلَّةِ لِتَخْلُفَهُ كَاذِبًا.

«وَمِنْهُمْ الْقَاعِدُ خَاذِلًا وَأَسْأَلَ اللَّهَ» هَكَذَا فِي (الْمَصْرِيَّةِ) (١) وَالصَّوَابُ: (أَسْأَلَ اللَّهَ) كَمَا فِي (ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ) (٢) وَابْنِ مِيثَمٍ (٣).

ص: ٥٨٢

١- (١) الطبعه المصريه ٣:٦٧.

٢- (٢) شرح ابن أبي الحديد ١٤٥:١٦.

٣- (٣) شرح ابن ميثم ٥:٧٦. [١]

«أن يجعل منهم» هكذا في (المصريه) و الصواب: (أن يجعل لى منهم) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم).

«فرجا عاجلا، فوالله لو لا طمعى عند لقائى عدوى فى الشهاده و توطينى نفسى على المنيه» أى: الموت.

«لأحبت ألا أبقى مع هؤلاء يوما واحدا، و لا التقى بهم أبدا» و كان عليه السلام غير مسرور من الناس بعد عملهم معه يوم السقيفه و لو كانوا مجددين معه، فقال عليه السلام: «لو لا ما أخذ الله على العلماء ألا يقاروا على كظه ظالم و لا سغب مظلوم، لألقت حبلها على غاربها و لسقيت آخرها بكأس أولها» و كيف و قد عاملوه عليه السلام تلك المعامله، و كان عملهم جزاء من الله تعالى لهم بعملهم فى السقيفه و فى يوم الدار «و ما رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ» (١) فأبدلهم الله به و بأهل بيته- أهل بيت الرحمه- بنى اميه الشجره الملعونه فى القرآن.

١٠

الخطبه (٦٧)

و من كلام له عليه السلام:

كَمْ أَدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى الْبَكَارُ الْعَمِيدَةُ- وَ الثِّيَابُ الْمُتَدَاعِيَةُ- كَلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهْتَكْتُ مِنْ آخِرٍ- أ كَلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسَرٌ مِنْ مَنْاسِرِ أَهْيَلٍ؟ الشَّامِ؟- أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ- وَ أَنْجَحَرَ أَنْجَحَارَ الضَّبِّهِ فِي جُحْرِهَا وَ الضَّبِّعِ فِي وَجَارِهَا- الذَّلِيلُ وَ اللَّهُ مَنْ نَصَرَ زُتْمُوهُ- وَ مَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقٍ نَاصِلٍ- إِنْكُمْ وَ اللَّهُ لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ- وَ إِنْى لَعَالِمٌ بِمَا يُضِيْلِحُكُمْ وَ يُقِيمُ أَوْدَكُمْ- وَ لَكِنِّى لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي- أَضْرَعَ اللَّهُ خُدُودَكُمْ وَ أَتَعَسَ جُدُودَكُمْ- لَا

ص: ٥٨٣

(١-١) فصلت: ٤٦. [١]

تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ - وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَابْطَالِكُمُ الْحَقَّ أقول: لم يهتد أحد من الشراح إلى الأصل في هذه الخطبه، و قد عرفت في السادس أن الأصل فيها في غاره النعمان بن بشير على عين التمر، و أن ابن أبي الحديد توهم أن تلك الخطبه كانت في غاره النعمان، مع أن تلك كانت في مقتل محمد بن أبي بكر في فتح مصر.

روى اليعقوبى فى (تاريخه اليعقوبى - تاريخ اليعقوبى - ج ٢ ص ١٩٥) (١): أن معاويه وجه النعمان بن بشير فأغار على مالك بن كعب الأرحبى، و كان عامل على عليه السلام على مسلحه عين التمر، فندب على عليه السلام الناس فقال: يا أهل الكوفه انتدبوا إلى أخيكم مالك بن كعب، فإن النعمان بن بشير قد نزل به فى جمع ليس بكثير، لعل الله أن يقطع من الظالمين طرفا. فأبطؤوا و لم يخرجوا فصعد المنبر فتكلم كلاما خفيا لم يسمع، فظن الناس أنه عليه السلام يدعو الله، ثم رفع صوته فقال: أما بعد، يا أهل الكوفه، أكلما أقبل منسر من مناسر أهل الشام أغلق كل امرىء منكم بابه، و انجحر فى بيته انجحر الضب و الضبع فى و جاره؟ أف لكم لقد لقيت منكم برحا، يوما اناجيكم و يوما اناديكم، فلا إخوان عند النجاء و لا أحرار عند النداء.

ثم دخل بيته فقام عدى بن حاتم و قال للناس: هذا و الله الخذلان القبيح.

و روى الطبرى الطبرى - تاريخ الطبرى - ج ٥ ص ١٣٣ (٢) مسندا عن شيخ من بنى فزاره قال: بعث معاويه النعمان بن بشير فى ألفين فأتوا عين التمر - إلى أن قال - فانتهت إلى على عليه السلام على المنبر، و قد سبقنى بالتشهد و هو يقول: يا أهل الكوفه، كلما سمعتم بمنسر من مناسر أهل الشام أظلكم الجحر كل امرىء منكم فى بيته و أغلق بابه، انجحر الضب فى جحره و الضبع فى و جارها، المغرور من غررتموه

ص: ٥٨٤

١-١ (١) تاريخ اليعقوبى ٢:١٩٥. [١]

٢-٢ (٢) تاريخ الطبرى ٥:١٣٣. [٢]

و من فاز بكم فاز بالسهم الأخبب، لا أحرار عند اللقاء و لا إخوان ثقه عند النجاء، ما ذا منيت به منكم؟ عمى لا تبصرون و بكم لا تنطقون و صم لا تسمعون، إننا لله و إننا إليه راجعون.

لكنّ المستندين خاليان من صدر العنوان إلى «تهتكت من آخر» و إنّما ذكره (الإرشاد الشفيذ-الإرشاد-ج ١ ص ٢٧١) (١) في غاره الضحّاك لا هنا .

«و من كلام له عليه السّلام» هكذا في (المصريه) (٢) و فيها سقط، فبعده «في ذمّ أصحابه» كما يشهد له ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) و (الخطيه).

قوله عليه السّلام: «كم اداريكم كما تدارى البكار» بالكسر: جمع البكر، بالفتح:
الفتى من الإبل.

«العمده» أى: المنفضخ داخل سنامها من الركوب و ظاهره صحيح، خص عليه السّلام من الإبل البكار المريضه لأن مداراتها أشدّ من مداراه المسنّه المريضه، و قد شبّههم عليه السّلام فى موضع آخر بالآبال من حيث آخر فقال: يا أشباه الإبل غاب عنها رعاؤها، كلّما اجتمعت من جانب تفرّقت من جانب .

«و الثياب المتداعيه» أى: ثياب تدعو كلّ قطعه منها الاخرى إلى الخرق .

«كلّما حيصت» أى: خيطة.

«من جانب تهتكت» أى: تخرّقت.

«من آخر» أى: من جانب آخره، و للحمدونى فى وصف طيلسان خرق منعق.

طيلسان لابن حرب يتداعى لا مساسا

ص: ٥٨٥

١-١ (١) الإرشاد ٢٧١:١.

١-٢ (٢) الطبعه المصريه ١١٣:١.

٣-٣ (٣) شرح ابن أبي الحديد ١٠٢:٦. [١]

٢-٤ (٤) شرح ابن ميثم ١٨٨:٢.

قد طوى قرنا فقرنا و اناسا فاناسا

كبس الأيام حتى لم يدع فيه لباسا

و لما خاف نصر بن مسلم-عامل مروان بن محمد على خراسان- خروج أبي مسلم كتب إلى مروان يستنصره، فأبطأ فأعاد عليه:

و الثوب إن أنهج فيه البلى أعيى على ذى الحيله الصانع

كنا نداريها فقد مزقت و اتسع الخرق على الراقع

«كلما أطل» بالمهملة، أى: أشرف، قال الشاعر:

انا البازى المطل على نمير

«عليكم منسر» -بالكسر- قطعته من الجيش يمرّ قدام الجيش الكثير، قاله الجوهري. و قال ابن دريد: المنسر: ما بين الأربعين إلى الخمسين من الخيل.

«من مناسر أهل الشام أغلق كل رجل منكم بابه» و فى (الأغانى) (١) فى وقعه ذى قار: أقبلت الأعاجم يسيرون على تعبيد، فلما رأتهم بنو قيس بن ثعلبه انصرفوا فلحقوا بالحي، فاستخفوا فسّمى حى بنى قيس بن ثعلبه: خفيا .
«و انجحر» بتقديم الجيم، أى: اختفى.

«انجحر الضبه فى جحرها» -بتقديم الجيم-: ثقتها فى الأرض التى تأوى إليها .

«و الضبع فى وجارها» -بالكسر و الفتح-: سرب الضبع فى الأرض، و فى (أنساب البلاذرى) خرج الياس بن مضر منتجعا و معه أهله و ماله، فدخلت بين إبله أرنب فنفرت الإبل، فخرج عمرو بن الياس فى طلبها فأدركها، فسّماه أبوه:

مدركه، و خرجت ليلى خلف ابنها مهروله فقال لها إياس: إلى اين تخندفين؟ فسّميت: خندف، و خرج عامر فى طلب الأرنب فصادها و طبخها، فقال له أبوه:

ص: ٥٨٦

أنت طابخه، و رأى عميرا قد انقمع فى المظله فهو يخرج رأسه منها، فقال له:

أنت قمعه .

«و الدليل و الله من نصرتموه، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل» و مرّ فى العنوان الخامس: «المغرور و الله من غررتموه، و من فاز بكم فقد فاز و الله بالسهم الأخبب، و من رمى بكم فقد رمى بأفوق ناصل» و مرّ أنّ معنى أفوق ناصل: سهم منكسر لا نصل فيه.

فى (الأغانى): قال الحجاج يوما لجلسائه: ما حرّض علىّ أحد فى خروج ابن الأشعث علىّ كما حرّض أبو كلده، فإنّه نزل عن سرجه فى وسط عسكر ابن الأشعث ثم نزع سراويله فوضعه و سلح فوقه و الناس ينظرون إليه، فقالوا له ويلك! أجننت؟ ما هذا الفعل؟ قال: كلكم قد فعلتم مثل هذا إلا أنّكم سترتموه و أظهرته. فشتموه و حملوا علىّ، فما أنساهم و هو يقدمهم و يقول:

نحن جلبنا الخيل من زرنجا مالك يا حجاج منّا منجى

لتبعجنّ بالسيوف بعجا أو لنفرقن بذاك أحجى

فلقد كاد أهل الشام يومئذ يتعضعون .

«و إنكم» هكذا فى (المصريه) (١) و الصواب: (إنكم) كما فى (ابن أبى الحديد (٢) و ابن ميثم (٣) و الخطيه).

«و الله لكثير فى الباحات» أى: ساحات الديار .

«قليل تحت الرايات» قال ابن أبى الحديد (٤): نظيره قول عويف القوافى:

أ لستم أقلّ الناس عند لوائهم و أكثرهم عند الذبيحه و القدر

ص: ٥٨٧

١- ١) الطبعه المصريه ١:١١٤.

٢- ٢) شرح ابن أبى الحديد ١٠٢:٦. [١]

٣- ٣) شرح ابن ميثم ١٨٨:٢. [٢]

٤- ٤) شرح ابن أبى الحديد ١٠٦:٦. [٣]

و خرج (١) ابن سعيد العجلي في ثلاثين رجلا بظهر الكوفة فحططوا، و خالد القسري أمير العراق يخطب على المنبر ففرق و جعل يقول: اطعموني ماء. فقال ابن نوفل:

أ خالد لا جزاك الله خيرا و اير في حرامك من أمير
تروم الفخر في أعراب قسر كأنك من سراه بنى جرير
جرير من ذوى يمن أصيل كريم الأصل ذو خطر كثير
و أمك علجه و أبوك و غد و ما الأذنان عدل للصدور
و كنت لدى المغيره عبد سوء تبول من المخافه للسريه
لا علاج ثمانيه و شيخ كبير السن ليس بذى ضرير
صرخت من المخافه اطعموني شرابا ثم بلت على السريه
قلت: و قال الفرزدق كما في (الأساس):

يستيقظون إلى نهاق حميرهم و تنام أعينهم عن الأوتار
و قال ابن حرثان في اميه بن خالد بن عبد الله بن اسيد:

إذا هتف العصفور طار فؤاده و ليث حديد التاب عند الترائد

و قال ثابت قطنه- كما في (الأغانى) (٢)- فى من فر عن يزيد بن المهلب حتى قتل:

عصافير تنزو فى الفساد و فى الوغى إذا راعها روع جمايح بروق

فأنتم على الأدنى اسود مخيفه و أنتم على الأعداء خزان سملق

ص: ٥٨٨

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١:١١١. [١]

٢-٢) الأغانى ١٤:٢٨٠.

و في (كامل المبرد) (١): يروى أنّ أسديا و هذليا تفاخرا فرضيا برجل فقال: إنّي ما أقضى بينكما إلّا أن تجعللا لي عقدا وثيقا: ألا تشتماني و لا- تضرباني، فإنّي لست في بلاد قومي. ففعلا فقال: أمّا أنت يا أخا بني أسد فكيف تفاخر العرب و أنت تعلم أنّه ليس حتى أحبّ إلى الجيش و لا أبغض إلى الضيف و لا أقلّ تحت الرايات منكم؟ و أمّا أنت يا أخا هذيل فكيف تكلمّ الناس و فيكم خلال ثلاث: كان منكم دليل الحبشه على الكعبه، و منكم خوله ذات النحين، و سألتم النبي صلّى الله عليه و آله أن يحل لكم الزّنا؟ و لكن إن أردتما بيتي مضر فعليكما بهذين الحيين من تميم و قيس، قوما في غير حفظ الله.

هذا، و وصف النبي صلّى الله عليه و آله- كما في الخبر- الأنصار بصد ما وصف عليه السّلام أهل الكوفه، فقال لهم: إنكم لتكثرون عند الفزع، و تقلّون عند الطمع .

«و إنّي لعالم بما يصلحكم و يقيم أودكم» أي: عوجكم، قالوا: كان عمرو من بعده- إلى زياد- إذا أخذوا العصاه نزعوا عمائمهم و أقاموهم للناس، و أمّا زياد فيضربهم بالسياط، فجاء بعده مصعب فحلق مع الضرب بالسياط، فجاء بعده بشر بن مروان فكان يصلب تحت الإبطين و يضرب الأكفّ بالمسامير، فأخرج بشر رجلا إلى الرّي فكتب أهله إليه يتشوّقونه، فأجابهم:

لولا مخافه بشر أو عقوبته أو أن يرى شائتي كفي بمسما

إذن لعطّلت ثغري ثم زرتكم إنّ المحبّ المعنى جدّ زوار (٢)

فلما جاء الحجاج قال: كلّ هذا لعب. فقتل العصاه بالسيف، فلما ولي في سنه (٧٥) العراق دخل الكوفه قبل البصره فخطبهم و تهددهم، ثم قال: ما كانت الولاة تفعل بالعصاه قبلي؟ فقالوا: كانت تضرب و تحبس. فقال: و لكن ليس

ص: ٥٨٩

١-١ (١) الكامل للمبرد ٤٠٧:١. [١]

٢-٢ (٢) نهج البلاغه ٤٥:١٢.

لهم عندي إلا السيف، إن المسلمين لو لم يغزوا المشركين لغزاهم المشركون، و لو سأغت المعصية لأهلها ما كان قوتل عدو و لا جبي فيء. ثم جلس لتوجيه الناس فقال: قد أجلتكم ثلاثا و اقسم بالله لا يتخلف أحد من أصحاب المهلب بعدها و لا من أهل الثغور إلا قتلته. ثم قال لصاحب حرسه و صاحب شرطته:

إذا مضت ثلاثه أيام فاتخذنا سيوفكما. فجاءه عمير بن صابئ البرجمي بابنه فقال: إن هذا أنفع لكم مني، هو أشد بني تميم أيدا و أجمعهم سلاحا و أربطهم جأشا، و أنا شيخ كبير عليل. و استشهد جلساءه، فقال الحجاج: عذرك لو اضح، و إن ضعفتك لبين و لكني أكره أن يجترىء بك الناس علي، و بعد فأنت ابن صاحب عثمان. ثم أمر به فقتل، فاحتمل الناس و أن أحدهم ليتبع بزاده و سلاحه، و أتى الحجاج البصره فكان عليهم أشد إلحاحا- و قد كان أتاهم خبره بالكوفه- فتحمّل الناس قبل قدومه فأتاه رجل من بني يشكر- و قد كان شيخا كبيرا أعور، و كان يجعل على عينه العوراء صوفه، فكان يلقب ذا الكرسفه- فقال للحجاج: إن بي فتقا و قد عذرنى بشر، و قد رددت العطاء. فقال:

إنك عندي لصادق. ثم أمر به فضربت عنقه، ففي ذلك قال الشاعر:

لقد ضرب الحجاج بالمصر ضربه تفرقر منها بطن كلّ عريف (١)

و عن ابن سيره قال: إننا لتتغدى مع الحجاج إذ جاءه رجل من سليم برجل يقوده، فقال له: إن هذا لعاص. فقال: أنشدك الله في دمي، فو الله ما قبضت ديوانا قط و لا- شهدت عسكريا، و إنني لحائكك اخذت من تحت الخف. فقال الحجاج: اضربوا عنقه. فلمّا أحسّ بالسيف سجد فلحقه السيف و هو ساجد، فامسكنا عن الطعام فأقبل علينا فقال: ما لي صفرت أيديكم و اصفرت

ص: ٥٩٠

وجوهكم و حدّ نظرکم من قتل رجل واحد (١).

«و لکنّی» هكذا فی (المصريه) (٢) و لکن فی (ابن میثم و الخطیبه): «و لکنّی و اللّٰه».

«لا أرى إصلاحکم یافساد نفسی» و فی (الإرشاد) (٣) قال علیه السّلام: و ما كنت متحرّيا صلاحکم یافساد نفسی، و لکن سیسلط علیکم بعدی سلطان صعب، لا یوقر کبیرکم و لا یرحم صغیرکم و لا یكرم عالمکم و لا یقسم الفیء بالسویه بینکم، و لیضربنکم و لیذلنکم و یجهزنکم فی المغازی و لیقطعنّ سیلکم، و لیحجنکم علی بابہ حتی یأکل قویکم ضعیفکم، ثم لا یبعد اللّٰه إلّا من ظلم منکم، و لقلما أدبر شیء ثم أقبل، و إنّی لأظنکم فی فتره و ما علیّ إلّا النصح لکم.

و روى (غارات الثقفی) (٤) عن فرقد البجلی قال: سمعت علیا علیه السّلام یقول:

یا معاشر أهل الکوفه، و اللّٰه لقد ضربتکم بالدّرّه التي أعظ بها السفهاء فما أراکم تنتهون، و لقد ضربتکم بالسیاط التي اقیم بها الحدود فما أراکم ترعون، فما بقى إلّا سیفی، و إنّی لأعلم الذی یقوّمکم بإذن اللّٰه، و لکنّی لا احب أن آتی تلك منکم.

و روى (روضه الکافی) (٥) عن الأصبغ قال أتى ابن عمرو ولد أبی بکر و سعد بن أبی وقاص إلى علیّ علیه السّلام و طلبوا منه التفضیل لهم، فصعد المنبر و قال فی خطبته: فلا- یقولنّ رجال غمّتهم الدنیا- إلى أن قال- و قد عاتبکم بدرّتی التي اعاتب بها أهلی فلم تتالوا، و ضربتکم بسوطی الذی اقیم به حدود

ص: ٥٩١

١-١) المصدر نفسه.

٢-٢) الطبعه المصريه ١:١١٤.

٣-٣) الإرشاد ١:٢٨١. [١]

٤-٤) الغارات للثقفی ١:٤٢. [٢]

٥-٥) روضه الکافی ٣٦٠:٨-ح ٥٥١.

ربى فلم ترعوا، و تريدون أن أضربكم بسيفى، أما إني أعلم الذى تريدون و يقيم أودكم، و لكن لا- أشتري صلاحكم بفساد نفسى، بل يسلط الله عليكم قوما فينتقم لى منكم، فلا دنيا استمتعتم بها و لا آخره صرتم إليها، فبعدا و سحقا لأصحاب السعير.

و روى الثقفى (1) عن زيد بن على قال: قال على عليه السلام: إني دعوتكم إلى الحق فتوليتم عنى، و ضربتكم بالدره فأعيتموني، أما إنه سيليكم بعدى و لاه لا يرضون منكم بذلك حتى يعذبوكم بالسياط و بالحديد، فأما انا فلا أعدبكم بهما، إنه من عذب الناس فى الدنيا عذبّه الله فى الآخرة، و آيه ذلك أن يأتيكم صاحب اليمن حتى يحلّ بين أظهركم فيأخذ العمال و عمال العمال رجل يقال له يوسف بن عمر، و يقوم عند ذلك رجل من أهل البيت

«أضرع الله» أى: أذلّ الله.

«خدودكم» الخد: يمين الوجه و شماله .

«و أتعس جدودكم» هكذا فى (المصريه) (2) و ليست الفقره فى (ابن أبى الحديد (3) و ابن ميثم) (4) رأسا.

و كيف كان، فمعناها أهلك الله حظوظكم. و أصل التعس: الكب ضد الانتعاش، قال مجمع:

تقول و قد أفردتها من حليلها تعست كما أ تعستنى يا مجمع

«لا- تعرفون الحق كمعرفتكم الباطل، و لا تبطلون الباطل كباطلكم الحق» هذا الكلام لا قيمه له و لا يعادله كلام، فإن أهل الدنيا يكونون فى كلّ عصر كذلك،

ص: ٥٩٢

[١- ١] الغارات للثقفى ٢: ٤٥٨. [١]

[٢- ٢] الطبعة المصريه ١: ١١٤.

[٣- ٣] شرح ابن أبى الحديد ١٠٢: ٦. [٢]

[٤- ٤] شرح ابن ميثم ١٨٨: ٢. [٣]

و لهذه العلة يتقدم أهل الباطل و يتأخر أهل الحق، ففرعون كان يقول للناس:

«أَنَا رَبُّكُمْ الْأَعْلَى» (١). فقبلوا منه، و قال لهم موسى: إني رسول ربكم. و أراهم تسع آيات بينات فلم يقبلوا منه، و الثلاثة المتقدمون على أمير المؤمنين عليه السلام جاءوا بتلك البدع المذكورة في مطاعنهم، و لم ينكروا عليهم.

و أمّا إنكارهم على ثالثهم أخيرا فإنما كان لأنه خص الأموال و الولايات بأقاربه و بنى اميته، و إلا فلو كان فعل أضعاف ما فعل، و كان يشرك الناس معهم فيهما لَمَا أنكروا عليه أصلا، كما أنهم اليوم مع تواتر تلك الشناعات التي يتورّع عنها الفجار و الكفار يقبلون إمامته.

و أمّا أمير المؤمنين عليه السلام فمع كونه مظهر كل فضيله كالنبي صلى الله عليه و آله - حتى إنه لم ير أحد منه لفظه أو لحظه على خلاف الشريعة في حياة النبي صلى الله عليه و آله و في أيام الثلاثة و في أيامه عليه السلام، و كيف و هو نفس النبي صلى الله عليه و آله بنص القرآن، و رأوا منه عليه السلام آيات بينات، لا سيما في الجمل في قصة كلاب الحوآب، و في صفين في قصة عمار، و في النهروان في قصة ذي الثدية؟ فكانوا يعاملون معه عليه السلام تلك المعاملة، فذاك خوارجهم و هذا دواخلهم.

١١

من الخطبة (٩٥)

و من خطبه له عليه السلام:

و لئن أمهل الظالم - فلن يفوت أخذه - و هو له بالمزاد على مجاز طريقه - و بموضع الشجا من مساع ريقه - أما و الذي نفسي بيده - ليظهرن هؤلاء القوم عليكم - ليس لأنهم أولى بالحق منكم - و لكن لاسيراعهم إلى باطل صاحبهم و إبطائكم عن حقي - و لقد أصبحت

ص: ٥٩٣

الْأَمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِيهَا- وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي- اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا- وَ أَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا- وَ دَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَ جَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا- وَ نَصِيحَتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا- أَ شَهُودٌ كَغِيَابِ وَ عَيْدٌ كَأَرْبَابِ- أَتَلُّو عَلَيْكُمْ الْحِكْمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا- وَ أَعْظُمُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الَّتِي الْغِيهِ- فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا- وَ أَحْشَكُمُ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ- فَمَا آتَى عَلَى آخِرِ قَوْلِي- حَتَّى أَرَ أَرْكَامَ مُتَفَرِّقِينَ أَيْدِي سَبَابِ تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ- وَ تَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ- أَقْوَمُكُمْ غُدُوهُ وَ تَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّتِي- كَظَهْرِ الْحَيَّةِ عَجَزَ الْمُقْوَمُ وَ أَعْضَلَ الْمُقْوَمُ- أَيُّهَا الشَّاهِدُ أَيْدَانُهُمْ- الْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عَقُولُهُمْ- الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ- الْمُتَبَلِّغَةُ بِهِمْ أَمْرًاؤُهُمْ- صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللَّهَ وَ أَنْتُمْ تَعْصُونَهُ- وَ صَاحِبُ أَهْلِ؟ الشَّامِ؟ يَعِصِي اللَّهَ- وَ هُمْ يُطِيعُونَهُ- لَوِ دِدْتُ وَ اللَّهَ أَنْ؟ مُعَاوِيَةَ؟ صَارَفَنِي بِكُمْ- صَرَفَ الدِّينَارِ بِالدَّرْهَمِ- فَأَخَذَ مِنِّي عَشْرَةَ مِنْكُمْ- وَ أَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ- يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ؟- مُنِيَتْ مِنْكُمْ بِثَلَاثٍ وَ اثْنَتَيْنِ- صُمْ ذُوو أَسْمَاعِ- وَ بُكْمُ ذُوو كَلَامِ- وَ عُمِّي ذُوو أَبْصَارِ- لَا- أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللَّقَاءِ- وَ لَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ- تَرَبَّتْ أَيْدِيكُمْ- يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتِيهَا- كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ- وَ اللَّهَ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ- أَنْ لَوْ حَمَسَ الْوَعْيُ وَ حَمِي الضَّرَابُ- وَ قَدْ انْفَرَجْتُمْ عَيْنِ؟ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ؟- انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَيْنِ قُبُلِيهَا- وَ إِنِّي لَعَلَى بَيْنِهِ مِنْ رَبِّي وَ مِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّ- وَ إِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ- أَلْقَطُهُ لَقَطًا قَوْلِ الْمَصْنَفِ: «و من خطبه له عليه السَّلام» هكذا في (المصريه) (1) و الصواب:

ص: ٥٩٤

(و من كلام له عليه السلام) كما في (ابن أبي الحديد (1) و ابن ميثم (2) و الخطيه).

قوله عليه السلام: «و لئن أمهل» هكذا في (المصريه) و الصواب: (و لئن أمهل الله) كما في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه).

«الظالم فلن يفوت أخذه» «و لا- تحسبَنَّ الله غافلاً- عمّا يعْمَلُ الظالمونَ إنما يُؤخَّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِي رُؤْسِهِمْ لا يَزِيدُ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَ أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءً» (3).

و عن الصادق عليه السلام: أن الله عز و جل أهبط ملكا إلى الأرض فلبث فيها دهرا ثم عرج، فقيل له: ما رأيت؟ فقال: رأيت عجائب! و من أعجب ما رأيت: أنى رأيت عبدا متقلبا في نعمتك، يأكل رزقك و ادعى الربوبية، فعجبت من جرأته عليك و من حلمك عنه! فقال تعالى: فمن حلمى عجبت؟ قد امهلته أربعمائه سنه، لا يضرب عليه عرق و لا يريد شيئا من الدنيا إلا ناله، و لا يتغير عليه فيها مطعم و لا مشرب (4).

«و هو له بالمرصاد» قال ابن دريد: فلان لفلان بمرصد و مرصاد، أى:

حيث يرقبه و يرى فعله.

«على مجاز» أى: مسلوك.

«طريقه و بموضع الشجا» قال الجوهرى: الشجا ما ينشب فى الحلق من عظم و غيره.

«من مساغ» قال الجوهرى: ساغ الشراب: سهل مدخله فى الحلق.

«ريقه» ماء فمه، قال تعالى: «و لَوْ تَرَى إِذِ الظالمونَ فى عَمَراتِ المَوْتِ»

ص: ٥٩٥

١-١ شرح ابن أبي الحديد ٧٠:٧. [١]

٢-٢ شرح ابن ميثم ٤٠٢:٢.

٣-٣ إبراهيم: ٤٢-٤٣. [٢]

٤-٤ البحار ٣٨١:٧٣. [٣]

«أَنْزَلَ اللَّهُ وَ لَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَ الْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ» (١).

و الأصل فى العنوان إلى هنا ما رواه (الإرشاد) (٢): أَنَّ معاوية لَمَّا نقض شرط الموادعه و أقبل يشن الغارات على أهل العراق قال عليه السلام: قاتل الله معاوية، لقد أرادنى على أمر عظيم: أراد أن أفعل كما يفعل، فأكون قد هتكت ذمتى و نقضت عهدى، فيتخذها على حجة فيكون على شينا إلى يوم القيامة كلما ذكرت، فإن قيل له: أنت بدأت. قال: ما علمت و لا امرت. فمن قائل يقول:

صدق. و من قائل يقول: كذب. أم و الله إن الله لذو أناه و حلم عظيم، لقد حلم عن كثير من فراعنه الأولين و عاقب فراعنه، فإن يمهله الله فلن يفوته، و هو له بالمرصاد على مجاز طريقه، فليصنع ما بدا له، فإننا غير غادرين بدمتنا و لا ناقضين لعهدنا، و لا مروعين لمسلم و لا معاهد حتى ينقضى شرط الموادعه بيننا .

«أما و الذى نفسى بيده ليظهرن هؤلاء القوم عليكم، ليس لأنهم أولى بالحق منكم و لكن لإسراعهم إلى باطل صاحبهم، و إبطائكم عن حقى» روى أبو مخنف فى قصه يوم الحرة: أَنَّ مسلم بن عقبه ركب فرسا فأخذ يسير فى أهل الشام و يحرضهم و يقول: يا أهل الشام إنكم لستم بأفضل العرب فى أحسابها و لا أنسابها، و لا أكثرها عددا و لا أوسعها بلدا، و لم يخصصكم الله بالذى خصكم به من النصر على عدوكم، و حسن المنزلة عند أئمتكم إلا بطاعتكم و استقامتكم، و إن هؤلاء القوم أشباههم من العرب غيروا فغير الله بهم- إلى أن قال- قال ابن الغسيل لأهل المدينة: و الله ما أظن ربكم أصبح عن أهل بلد من

ص: ٥٩٦

١- ١ (١) الأنعام: ٩٣. [١]

٢- ٢ (٢) الإرشاد ٢٧٥: ١. [٢]

بلدان المسلمين بأرضى منه عنكم، و لا على أهل بلد من بلدان العرب بأسخط من هؤلاء القوم الذين كانوا يقاتلونكم .

«و لقد أصبحت الامم تخاف ظلم رعاتها» جمع الراعى .

«و أصبحت أخاف ظلم رعيتى» فى (المروج) (١) كان المعتمد أوّل خليفه قهر و حجر عليه، و كان أخوه الموفق غلب على الامور، و كان المعتمد هرب الموصل فبعث الموفق من رده و وكل به فى فم الصلح .

«و استنفرتكم للجهاد فلم تنفروا، و أسمعتكم فلم تسمعوا، و دعوتكم سرّاً و جهراً فلم تستجيبوا» هو نظير قول نوح عليه السّلام «رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَ نَهَارًا فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَائِي إِلَّا فِرَارًا» (٢).

«و نصحت لكم فلم تقبلوا» كان عليه السّلام ناصحاً للناس كالأنبياء، قال نوح عليه السّلام لقومه: «و لا يَنْفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ أَنْصَحَ لَكُمْ» (٣).

«أشهود كغياب» حيث لا يحصل منكم جواب .

«و عبيد كأرباب» حيث لا تبالون العتاب و لا تخافون العقاب .

«أتلو عليكم الحكم» -بالكسر فالفتح-: جمع الحكمة.

«فتنفرون منها» قال تعالى: «كَانَتْهُمْ حُمْرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ» (٤).

«و أعظكم بالموعظه البالغه فتتفرقون عنها» قال تعالى لنبىه صلى الله عليه و آله:

«وَ عِظْتُهُمْ وَ قُلْتُ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا» (٥).

ص: ٥٩٧

[١-١] المروج ٢١١:٤. [١]

[٢-٢] نوح: ٥-٦. [٢]

[٣-٣] هود: ٣٤. [٣]

[٤-٤] المدثر: ٥٠-٥١. [٤]

[٥-٥] النساء: ٦٣. [٥]

«وَأَحْكُم» أَي: ارغَبِكُمْ.

«على جهاد أهل البغي» كما أمر الله تعالى به: «فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوا حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» (١).

«فما أتى على آخر القول» هكذا في (المصريه) (٢)، و الصواب: (قولى) كما في (ابن أبي الحديد (٣) و ابن ميثم (٤) و الخطيه).

«حتى أراكم متفرقين أيادى سبأ» قال الجوهري: سبأ: اسم رجل ولد عامه قبائل اليمن، يصرف و لا يصرف، و قولهم: ذهبوا أيدي سبأ، و أيادى سبأ، أي:

متفرقين اسمان جعلوا واحدا.

و في (الميداني)، روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله: ولد سبأ عشرة، تيامن منهم ستة و تشاءم منهم أربعة، فأما الذين تيامنوا: فالأزد و كنده و مذحج و الأشعرون و انمار منهم بجيله، و أما الذين تشاءموا: فعامله و غسان و لخم و جذام و هم الذين أرسل عليهم سيل العرم، و ذلك أن الماء كان يأتي أرض سبأ من الشجر و أوديه اليمن، فردموا ردما بين جبلين و حبسوا الماء، و جعلوا في ذلك الردم ثلاثه أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الباب الأعلى ثم من الثانى ثم الثالث، فأخصبوا و كثرت أموالهم، فلما كذبوا رسولهم بعث الله جرذا نقيب ذلك الردم حتى انتقض، فدخل الماء جنتهم فغرقهم و دفن السيل بيوتهم، فذلك قوله تعالى: «فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرَمِ» (٥).

و روى عن أبى صالح قال: ألفت طريفه الكاهنه إلى عمرو بن عامر

ص: ٥٩٨

١- (١) الحجرات: ٩. [١]

٢- (٢) الطبعة المصريه ١: ١٨٨.

٣- (٣) شرح ابن أبى الحديد ٧٠: ٧. [٢]

٤- (٤) شرح ابن ميثم ٢: ٤٠٣. [٣]

٥- (٥) سبأ: ١٦. [٤]

-الذى يقال له:مزيقيا بن ماء السماء-أن سد مأرب سيخرب،و أنه سيأتى سيل العرم فيخرب الجنتين،فباع عمرو بن عامر أمواله و سار هو و قومه حتى انتهوا إلى مكه،فأقاموا بمكه و ما حولها،فأصابتهم الحمى و كانوا يبلى لا يدرون فيه ما الحمى؟فدعوا طريقه فشكوا إليها الذى أصابهم،فقالت لهم:قد أصابنى الذى تشكون و هو مفرق بيننا.قالوا:فما ذا تأمرين؟قالت:من كان منكم ذا هم بعيد و حمل شديد و مزاد حديد فليلحق بقصر عمان المشيد -فكانت أزد عمان-ثم قالت:من منكم ذا جلد و قسر و صبر على أزمت الدهر فعليه بالاراك من بطن مر-فكانت خزاعه-ثم قالت:من كان منكم يريد الراسيات فى الوحل المطعمات فى المحل فليلحق ييثرب ذات النخل-فكانت الأوس و الخزرج-ثم قالت:من كان منكم يريد الخمر و الخمير و الملك و التأمير و يلبس الديباج و الحرير فليلحق ببصرى و غوير-و هما من أرض الشام،و كان الذى سكنوها آل جفنه من غسان-ثم قالت:من كان منكم يريد الثياب الرقاق و النخيل العتاق و كنوز الأرزاق و الدم المهرق فليلحق بأرض العراق.فكان الذين سكنوها آل جذيمه الأبرش و من كان بالحيره و آل محرق .

«ترجعون إلى مجالسكم و تتخادعون عن مواعظكم» و تجعلونها أساطير .

«اقومكم» أى:أجعلكم مستقيما.

«غدوه» أى:صباحا.

«و ترجعون إلى عشيهِ» أى:مساء .

«كظهر الحيه» هكذا فى (المصريه) (١)و الصواب:(الحنيه)أى:القوس، كما فى (ابن أبى الحديد (٢)و ابن ميثم (٣)و الخطيه).

ص:٥٩٩

١-١ (١) الطبعه المصريه ١:١٨٨.

٢-٢ (٢) شرح ابن أبى الحديد ٧:٧٠.

٣-٣ (٣) شرح ابن ميثم ٢:٤٠٣.

«عجز المقوم» و المراد نفسه عليه السلام عن التقويم .

«و أعضل» أى: أشكل.

«المقوم» و المراد أصحابه عن قبول التقويم، فى (العقد) (١) قال نافع بن كليب: دخلت الكوفة للتسليم على على عليه السلام فأتى لجالس تحت منبره و عليه عمامه سوداء- إلى أن قال- ثم نزل عليه السلام تدمع عيناه فقال: «إِنَّا لِلَّهِ وَ إِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ» (٢) أقومهم و الله غدوه و يرجعون إلى عشيهِ مثل ظهر الحنيه، حتى متى، و إلى متى؟ «أيها الشاهده أبدانهم، الغائبه عقولهم، المختلفه أهواؤهم، المبتلى بهم أمراؤهم» مرّ فى العنوان (٥): «أيها الناس المجتمعه أبدانهم، المختلفه أهواؤهم».

«صاحبكم يطيع الله و أنتم تعصونه، و صاحب أهل الشام يعصى الله و هم يطيعونه» و مرّ فى الأول: «و بمعصيتكم إمامكم فى الحق، و طاعتهم إمامهم فى الباطل».

«لوددت و الله أن معاويه صارنى بكم صرف الدينار بالدرهم، فأخذ منى عشره منكم و أعطانى رجلا منهم» فكان الصرف بين الدينار و الدرهم فى عصره عليه السلام كذلك، ثم سعد الدينار، و فى (البلدان) (٣) فى الجعفرى:- كان فى أيام المتوكل كلّ خمسة و عشرين درهما بدينار.

و مرّ فى الأول قوله عليه السلام: لوددت أن لى بكم ألف فارس من بنى فراس بن غنم.

ص: ٦٠٠

١- ١) العقد ١٦٢: ٤.

٢- ٢) البقره: ١٥٦. [١]

٣- ٣) البلدان ١٤٣: ٢.

هنالك لو دعوت أتاك منهم فوارس مثل أرميه الحميم

وقال ابن أبي الحديد (١) أخذ ابن الزبير لفظه عليه السلام هنا، فلَمَّا وفد أهل البصره و فيهم الأحنف تكلم منهم أبو حاضر الأسدي - و كان خطيبا جميلا - فقال له ابن الزبير: اسكت، فوالله لوددت أن لي بكلّ عشره من أهل العراق واحدا من أهل الشام، صرف الدينار بالدرهم. فقال له: إن لنا و لك مثلا قول الأعشى:

علقتها عرضا و علقت رجلا غيرى و علق اخرى غيرها الرجل

أحبك أهل العراق، و أحببت أهل الشام، و أحب أهل الشام عبد الملك.

هذا، و في (الأذكياء): سئل أبو العيلاء عن حماد بن زيد بن درهم، و حماد بن سلمه بن دينار، فقال: بينهما في القدر ما بين آبائهما في الصرف.

قلت: أي: ما بين جديهما درهم و دينار.

و في (المعجم) كان الحسن بن الرجاء و أحمد بن هشام و علي بن هشام و دينار بن عبد الله و يحيى بن أكثم ينزلون المخرم - محلّه ببغداد - فقال دعبل الخزاعي يهجوهم:

ألا فاشتروا منّي دروب المخرم أبع حسنا و ابني هشام بدرهم

و اعطى رجاء بعد ذاك زياده و أدفع دينارا بغير تدم

فإن ردّ من عيب عليّ جميعهم فليس يرد العيب يحيى بن أكثم

قلت: و لا بد أنّه هجا أبا الحسن بن رجاء أيضا لقوله: «و اعطى رجاء» و لم يذكره الحموي .

«يا أهل الكوفه منيت منكم بثلاث و اثنتين: صم ذوو أسمع، و بكم ذوو كلام، و عمى ذوو أبصار، لا أحرار صدق عند اللقاء، و لا إخوان ثقه عند البلاء» قال ابن أبي

ص: ٦٠١

الحديد (١): لم يقل عليه السلام: بخمس، لأنّ الثلاث إيجابيه و الاثنتين سلبيه، فأحبّ أن يفرّق بين الإثبات و النفي.

قلت: ليس التفريق من حيث الإثبات و النفي، بل من حيث إنّ الثلاث من واد و الاثنتين من آخر، و في مثله مقتضى البلاغ أن يفرّق بينهما.

روى الكليني (٢) و الصدوق (٣) في أسانيد: أنّ عمر لما استخلف أقبل يهودى فسأله عن مسائل عجز عن جوابها، فارشد إلى أمير المؤمنين عليه السلام فقال له عليه السلام: أخبرني عن ثلاث و ثلاث و واحده: أخبرني عن أول حجر وضع في الأرض، و أول شجره غرست على وجه الأرض، و أول عين نبعت على وجه الأرض، و أخبرني كم لهذه الامّه من إمام هدى؟ و أين منزل نبيكم في الجنّه؟ و من معه في منزله؟ و أخبرني عن وصي: محمّد كم يعيش بعده؟...

فكلّها إيجابيه إلا أنّها لاختلاف ثلاث منها مع اخرى، و اختلاف واحده منها معهما، فرّق بينهما بما فيه .

«تربت أيديكم» سقطت هذه الفقرة من (المصريه) (٤) بدليل (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه و الخوئي).

هذا، و في (الطبري) (٥): رفع إلى المنصور أنّ أهل الكوفه لا تزال الجماعه منهم يطعنون على عاملهم، و يتظلمون من أميرهم، و يتكلّمون في سلطانهم.

فقال للربيع: أخرج إلى من بالباب من أهل الكوفه فقل لهم: إنّ الخليفه يقول لكم:

لئن اجتمع اثنان منكم في موضع لأحلّقن رؤوسهما و لحاهما و لأضربن

ص: ٦٠٢

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧:٧٦. [١]

٢-٢ (٢) الكليني ١:٥٣١ ح ٨. [٢]

٣-٣ (٣) الخصال للصدوق ٢:٤٧٦-٢ ح ٤٠.

٤-٤ (٤) الطبعة المصريه ١:١٨٩.

٥-٥ (٥) تاريخ الطبري ٨:٧٩. [٣]

ظهورهما، فالزموا منازلكم و أبقوا على أنفسكم. فخرج اليهم الربيع بهذه الرسالة، فقال له ابن عيَّاش: يا شبه عيسى بن مريم! أبلغ الخليفة عني كما أبلغتنا عنه، فقل له: و الله ما لنا بالضرب طاقه، فأما حلق اللحي- و كان ابن عيَّاش منتوفا، كما كان الربيع لقيط- فاذا شئت فأبلغه فضحك فقال: قاتله الله ما أدهاه و أخبثه .

«يا أشباه الإبل غاب عنها رعاتها، كلما جمعت من جانب تفرقت من جانب آخر» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن أبي الحديد (١): «من آخر» و في (ابن ميثم) (٢):
«من جانب».

و كيف كان، فمَرَّ أيضا: «ما أنتم إلا كإبل ضلَّ رعاتها، فكلما جمعت من جانب انتشرت من آخر» .
«و الله لكأني بكم في ما اخال» أي: أظن .

«أن لو» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن ميثم و الخطيه): «لو» بدون (أن) و في (ابن أبي الحديد): «الو» بدون النون، و قال: «أصله أن لو».

«حمس» أي: اشتد.

«الوغى» أي: الحرب .

«و حمى» -بالكسر- من: حمى التنور: اشتد حرّه.

«الضراب» مصدر ضارب، أي: المجالده في الحرب .

«و قد» هكذا في (المصريه) (٣) و الصواب: (قد) كما في (ابن أبي الحديد (٤)

ص: ٤٠٣

١-١ (١) شرح ابن أبي الحديد ٧١:٧. [١]

٢-٢ (٢) ابن ميثم ٤٠٣:٢. [٢]

٣-٣ (٣) الطبعه المصريه ١٨٩:١.

٤-٤ (٤) ابن أبي الحديد ٧١:٧. [٣]

و ابن ميثم (١) و الخطيه) و لأنه جواب (لو).

«انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج المرأه عن قبلها» مرّ في العنوان الرابع عنه عليه السّلام: «و ايم الله إنّي لأظنّ بكم أن لو حمس الوغى و استحر الموت قد انفرجتم عن ابن أبي طالب انفراج الرأس».

و مرّ عن (غارات الثقفى) (٢) عنه عليه السّلام: «و الله لكأنى بكم لو حمس الوغى و احمزّ البأس قد انفرجتم عن على انفراج الرأس و انفراج المرأه عن قبلها».

و مرّ قريبا منه عن (خلفاء القتيبي) و مرّ ثمه المراد به.

و ممّا قيل في الانفراج عن الرئيس قول دختنوس- بنت لقيط بن زراره- في تخليه بنى أسد و هوازن أباهما، و قول شاعر في تخليه أصحاب زيد الشهيد له:

فرت بنو أسد فرا ر الطير عن أربابها

و هوازن أصحابهم كالفأر في أذناها

أولاد درزه أسلموك و طاروا

«و إنّي» هكذا في (المصريه) و لكن في (ابن أبي الحديد و ابن ميثم و الخطيه): «انى» .

«لعلى بيته من ربّي» هذا صريح في إمامته عليه السّلام بالمعنى الذى يقوله الإماميه من كون الإمام كالنبي صلّى الله عليه و آله من قبل الله لا من قبل الناس، و قد قال تعالى في نبيّه صلّى الله عليه و آله: «أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ رَبِّهِ» (٣).

«و منهاج» أى: طريق واضح.

ص: ٤٠٤

١-١) شرح ابن ميثم ٢:٤٠٤. [١]

٢-٢) الغارات للثقفى [٢] هود ٢:٤٩٥.

٣-٣) ١٧.

«من نبى» فإنه عليه السلام كان يسلك بعد النبى صلى الله عليه وآله على حسب دستوره قدما بقدمه، فأخبره بأن الامه ستغدر به بعده، وأمره بالتسليم أيام الثلاثه، و بين صلى الله عليه وآله له قيام الناكثين و القاسطين و المارقين عليه، وأمره بقتالهم فامتثل ما مثل له، و كل ذلك مما يشهد لغير المكابر كونه عليه السلام حجّه من قبل الله تعالى .

«و إني لعلى الطريق الواضح» و قد أقرّ فاروقهم أنه لو ولى الخلفه ليحملنّ الناس على المحجّه البيضاء.

«ألقطه لقطا» قال ابن أبى الحديد (١): يريد أن الضلال غالب على الهدى، فيلتقط طريق الهدى من بين طرق الضلال، كما يسلك الانسان طريقا دقيقه قد اكتنفها الشوك و العوسج من جانبيها كليهما، فهو يلتقط المنهج التقاطا.

قلت: يمكن أن يكون الضمير فى (ألقطه) إلى الحق المفهوم من المقام، بمعنى: أنه عليه السلام يلقط الحق كما يلقط السنبل.

١٢

من الكتاب (٣٦)

و من كتاب له عليه السلام إلى أخيه عقيل بن أبى طالب، فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، و هو جواب كتاب كتبه إليه عقيل:

فَسِرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ - فَلَمَّا بَلَغَهُ ذَلِكَ شَمَّرَ هَارِبًا وَ نَكَصَ نَادِمًا - فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ - وَ قَدْ طَفَلَتِ الشَّمْسُ لِلْيَابِ - فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلًّا وَ لَأَ - فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفٍ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا - بَعِيدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ - وَ لَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ - فَلَأْيَا بِلَأْيٍ مَا نَجَا قَوْلَ الْمُصَنَّفِ : «و من كتاب له عليه السلام...» هكذا فى (المصريه) (٢) و الصواب:

ص: ٦٠٥

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ٧:٧٦. [١]

٢- ٢) الطبعه المصريه ٣:١٦٧.

فى ما (ابن أبى الحديد (١) و ابن ميثم (٢): «و من كتاب له عليه السّلام فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء، و هو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل بن أبى طالب».

«فى ذكر جيش أنفذه إلى بعض الأعداء» و هو الضّحّاك بن قيس، و روى: أنّ عقيلاً ورد على معاويه و حوله عمرو و أبو موسى و الضّحّاك، فقال لمعاويه لمّا سأله عنهم: استقبلنى قوم من المنافقين ممّن نفر بالنبي صلى الله عليه و آله ليله العقبه- إلى أن قال- و أمّا الضّحّاك منهم فقد كان أبوه جيد الأخذ لعسب التيوس.

و فى كتاب عقيل إليه: «فأفّ لحياه فى دهر جرؤا عليك الضّحّاك، و ما الضّحّاك الا فقع بقرقر» أى: كمأه رخوه فى قاع أملس تطأها كلّ دابه.

«و هو جواب كتاب كتبه إليه أخوه عقيل» المفهوم من ابن قتيبه (٣) أنّ عقيلاً- كتب إليه فى أوّل خلافته كتاباً فأجابه بما فى العنوان، فى (خلفائه) (٤) ذكروا أنّ عليّاً عليه السّلام تردد بالمدينه أربعه أشهر ينتظر جواب معاويه فأتاه على غير ما يجب، فشخص من المدينه فى تسعمائه راكب من وجوه المهاجرين و الأنصار، فلمّا كان فى بعض الطريق أتاه كتاب أخيه عقيل: إننى خرجت معتمراً فلقيت عايشه معها طلحه و الزبير، قد أظهروا الخلاف و نكثوا البيعه، ثمّ مرّ ابن أبى سرح فى نحو من أربعين راكباً من أبناء الطلقاء من بنى اميه ليلحقوا بمعاويه، ثمّ قدمت مكه فسمعت أهلها يتحدّثون: أنّ الضّحّاك بن قيس أغار على الحيره و اليمامه فأصاب ما شاء من أموالهما، ثمّ انكفأ راجعاً إلى الشّام- إلى أن قال فى جواب كتابه عليه السّلام له- و أمّا ما ذكرت من غاره الضّحّاك

ص: ٦٠٦

١- ١) شرح ابن أبى الحديد ١٤٨: ١٦. [١]

٢- ٢) شرح ابن ميثم ٧٧: ٥. [٢]

٣- ٣) الخلفاء لابن قتيبه: ٥٤-٥٦.

٤- ٤) الخلفاء لابن قتيبه: ٥٤-٥٦.

على الحيره و اليمامه،فهو أذلّ و ألام من أن يكون مرّ بهما فضلا عن الغاره، و لكن جاء في خيل جريده،فسرّحت إليه جندا من المسلمين،فلما بلغه ذلك ولى هاربا فاتبعوه فلقوه ببعض الطريق حين همت الشمس للإياب،فاقتتلوا و قتلوا من أصحابه بضعه عشر رجلا،و نجا هاربا بعد أن أخذ منه بالمخنق، فلو لا الليل ما نجا...و هو كما ترى دالّ على أنّه كان قبل الجمل أيضا.

و جعله الطبرى (١) بعد صفّين فى سنه (٣٩)فقال:و فيها أيضا وّجه معاويه الضحّاك بن قيس و أمره أن يمرّ بأسفل و اقصه،و أن يغير على كلّ من مرّ به ممّن هو فى طاعه علىّ من الأعراب،و وّجه معه ثلاثه آلاف رجل،فأخذ أموال الناس و قتل من لقي من الأعراب،و مرّ بالثعلبيه فأغار علىّ مسالح علىّ عليه السّلام و أخذ أمتعتهم،و مضى حتى انتهى إلى القطقطانه فأتى عمرو بن عميس-و كان فى خيل لعلّى عليه السّلام و أمامه أهله يريد الحجّ-فأغار علىّ من كان معه و حبسه عن المسير،فلما بلغ ذلك علّينا عليه السّلام سرّح حجر بن عدى الكندى فى أربعه آلاف و أعطاهم خمسين خمسين،فلقى الضحّاك بتدمر فقتل منهم تسعه عشر رجلا و قتل من أصحابه رجلا،و حال بينهم الليل فهرب الضحّاك و أصحابه و رجع حجر و من معه.

و جعله الثقفى (٢)أيضا بعد صفّين إلاّ أنّه قال-كما نقل ابن أبى الحديد فى (٢٨-١)-و كتب فى أثر هذه الوقعه عقيل إليه عليه السّلام:إنّى خرجت إلى مكه معتمرا،فلقيت عبد الله بن سعد بن أبى سرح فى نحو من أربعين شابا من أبناء الطلقاء،فعرفت المنكر فى وجوههم فقلت:أ بمعوايه تلحقون؟عداوه و الله منكم غير مستنكره،فلما قدمت مكه سمعت أهلها يتحدّثون:أنّ الضحّاك بن

ص:٦٠٧

١- (١) تاريخ الطبرى ١٣٥:٥. [١]

٢- (٢) الغارات للثقفى ٤٢٩:٢. [٢]

قيس أغار على الحيره فاحتمل من أموالها ما شاء ثم انكفأ- إلى أن قال في جوابه عليه السّلام- تذكر في كتابك أنك لقيت ابن أبي سرح مقبلا- من قديد، في نحو أربعين فارسا من أبناء الطلقاء متوجهين إلى جهة الغرب، و ان ابن أبي سرح طالما كاد الله و رسوله و كتابه، و صدّ عن سبيله و بغاها عوجا- إلى أن قال- و أمّا ما ذكرت من غاره الضحّاك على أهل الحيره، فهو أقلّ و أدلّ من أن يلمّ بها أو يدنو منها، و لكنّه قد كان أقبل في جريده خيل فأخذ على السماوه، حتى مرّ بواقصه و شراف و القطقطانه ممّا و إلى ذلك الصقع، فوجهت إليه جندا كثيرا من المسلمين، فلما بلغه ذلك فرّ هاربا فاتبعوه فلحقوه ببعض الطريق و قد أمعن، و كان ذلك حين طفلت الشمس للاياب، فتناوشوا القتال قليلا كلا و لا فلم يصبر لوقع المشرفيه و ولّى هارابا، و قتل من أصحابه بضعه عشر رجلا و نجا جريضا بعد ما اخذ منه بالمخنق فلايا بلاى ما نجا...

و هو و إن لم يذكر ما ذكره ابن قتيبه من كتابه عقيل إليه عليه السّلام في كتاب:

إنّه لقي في طريقه عايشه و طلحه و الزبير، إلّا- أنّه ذكر ما ذكره من لقائه ابن أبي سرح مع أربعين من أبناء الطلقاء ليفروا إلى معاويه، و لا بدّ أنّهم فرّوا إلى معاويه في أوّل خلافته عليه السّلام.

و أيضا روى الثقفى (1) عن محمّد بن مخنف: أنّ الضحّاك قال على منبر الكوفه في أيام معاويه: أمّا إنى صاحبكم الذى أغرت على بلادكم، فكنت أوّل من أغارها فى الإسلام و شرب من ماء الثعلبيه و من شاطيء الفرات....

و التحقيق أنّ بعث معاويه للضحّاك كان مرتين، أو لاهما: فى أوّل خلافته قبل الجمل و اقتصر عليه ابن قتيبه، و فيها كان كتاب عقيل إليه عليه السّلام و ثانيتهما: بعد صفين و الحكمين و اقتصر عليها الطبرى و قد مرّ كلامهما،

ص: ٦٠٨

يشهد لكون بعثه مرتين أن (الأغانى) (١) فى الجزء الخامس عشر من (٢١) جزءا فى عنوان: «ذكر الخبر فى مقتل ابنى عبيد الله بن العباس» ذكر الأخيره مجملا بأسانيد، فروى عن القلاس عن الخراز عن المدائنى عن أبى مخنف و جويريه بن أسماء و الصقب بن زهير و أبى بكر الهذلى عن أبى عمر الواقسى: أن معاويه بعث إلى بسر بن أرطاه بعد تحكيم الحكيمين - و على عليه السلام يومئذ حى - و بعث معه جيشا، و وجه برجل من عامر ضم إليه جيشا آخر، و وجه الضحّاك بن قيس الفهرى فى جيش آخر، و أمرهم أن يسيروا فى البلاد فيقتلوا كل من وجدوه من شيعه على، و أن يغيروا على ساير أعماله و يقتلوا أصحابه، و لا يكفوا أيديهم عن النساء و الصبيان، فمّر بسر لذلك - إلى أن قال - و ذبحهما بيده بمديه كانت معه، ثم انكفأ راجعا إلى معاويه، و فعل مثل ذلك ساير من بعث معه، و قصد العامرى إلى الأنبار فقتل ابن حسان البكرى....

و لم يذكر تفصيل أفعال الضحّاك، ثم روى (٢) الأولى عن محمّد بن العباس اليزيدى عن عبد الله بن محمّد عن جعفر بن بشير عن صالح بن يزيد الخراسانى عن أبى مخنف عن سليمان بن أبى راشد عن أبى الكنود عن عبد الرحمن بن عبيد قال: كتب عقيل إلى أخيه على عليه السلام: أمّا بعد فإنّ الله جارك من كلّ سوء و عاصمك من المكروه، إنى خرجت معتمرا فلقيت عبد الله بن أبى سرح فى نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء، فقلت لهم - و عرفت المنكر فى وجوههم - يا أبناء الطلقاء، العداوه و الله لنا منكم غير مستنكره، قديما تريدون بها إطفاء نور الله و تغيير أمره، فأسمعنى القوم و أسمعهم، ثم قدمت

ص: ٦٠٩

١-١ (١) الأغانى ١٦:٢٦٦ [١]

٢-٢ (٢) الأغانى ١٦:٢٦٨ [٢]

مكه و أهلها يتحدّثون: أن الضحّاك بن قيس أغار على الحيره فاحتمل من أهلها ثم انكفأ راجعا، فافّ لحياه في دهر قد امر عليكم الضحّاك، و ما الضحّاك و هل هو إلاّ فقع قرقره و قد طنت؟! او بلغنى أنّ أنصارك قد خذلوك فاكتب الّى يابن ام برأيك، فإن كنت الموت تريد تحملت إليك بينى أيبك و ولد أخيك، فعشنا ما عشت و متنا معك، فوالله ما احبّ أن أبقى بعدك فواقا، فاقسم بالله الأعزّ الأجلّ، إنّ عيشا أعيشه في هذه الدنيا بعدك لعيش غير هنيء و لا مرىء و لا نجيع، و السلام.

فأجابه علىّ عليه السّلام: أمّا بعد، كلأنا الله و إياك كلاءه من يخشاه بالغيب إنّهُ حميد مجيد، فقد قدم علىّ عبد الرحمن بن عبيد الأزدى بكتابك تذكر أنّك لقيت ابن أبى سرح مقبلا من قديد في نحو أربعين شابا من أبناء الطلقاء، و أنّك تنبىء عن ابن أبى سرح طالما كاد الله و رسوله و كتابه، و صدّ عن سبيله و بغاها عوجا، فدع ابن أبى سرح عنك، و دع قريشا و تركاضهم في الضلال و تجوالهم في الشقاق، فإنّ قريشا قد أجمعت على حرب أخيك، إجماعها على حرب رسول الله صلّى الله عليه و آله قبل اليوم، فأصبحوا قد جهلوا حقّه و جحدوا فضله، و كادوه بالعداوه و نصبوا و جهدوا عليه كلّ الجهد، و سألوا إليه جيش الامرين، اللهم فاجز عنى قريشا الجوازي، فقد قطعت رحمى و تظاهرت علىّ، و الحمد لله على كلّ حال، و أمّا ما ذكرت من غاره الضحّاك بن قيس على الحيره، فهو أقلّ و أدلّ من أن يقرب من الحيره، و لكنّه جاء في بريده فأخذ على السماوه، و مرّ بواقصه و شراف و ما و إلى ذلك الصقع، فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين، فلمّا بلغه ذلك جاز هاربا فاتبعوه فلقوه ببعض الطريق، و قد أمعن في السير و قد طفلت الشمس للإياب فاقتتلوا، و أمّا ما سألت عنه أكتب إليك فيه فرأى قتال المحلين حتى ألقى الله، لا يزيدنى كثره الناس حولى عزّه

ولا- تفرّقهم عنّي وحشه، لأنّني محقّ و الله مع المحقّ و أهله، و ما أكره الموت على الحق، و ما الخير كلّه إلاّ بعد الموت لمن كان محقاً، و أمّا ما عرضته عليّ من مسيرك الّتي بيني أبيك و ولد أخيك فلا حاجه لي في ذلك، فأقم راشدا مهديا، فو الله ما احبّ أن تهلكوا معي إن هلكت، و لا تحسبنّ ابن أبيك لو أسلمه الزمان و الناس متضرّعا متخشعا، و لكن أقول كما قال أخو بني سليم:

فإنّ تسأليني كيف أنت فإنّني صبور على ريب الزّمان صليب

يعزّ عليّ أن ترى بي كآبه فيشمت باغ أو يساء حبيب

و أوّل من خلط-في ما أعلم-إبراهيم الثقفى فى (غاراته) (1) فقال، كما فى (ابن أبى الحديد) (83): فعند ذلك-أى: قتل الخوارج، و وقوع الاختلاف بين أصحابه-دعا معاويه الضحّاك بن قيس الفهرى، و قال له: سر حتى تمرّ بناحية الكوفه و ترتفع عنها ما استطعت، فمن وجدته من الأعراب فى طاعه عليّ فأغر عليه، و إن وجدت له مسلحه أو خيلا فأغر عليها، و إذا أصبحت فى بلده فأمس فى اخرى-إلى أن قال-فأقبل الضحّاك فنهب الأموال و قتل من لقي من الأعراب، حتى مرّ بالشعبيه فأغار على الحاج فأخذ أمتعتهم، ثمّ أقبل عمرو بن عميس-ابن أخى عبد الله بن مسعود-فقتله فى طريق الحاج عند القططانه و قتل معه ناسا من أصحابه-إلى أن قال-قال: و كتب فى هذه الوقعه عقيل إلى أخيه....

و يمكن أن يكون هو المفهوم من (الأغانى) حيث ذكره فى العنوان المتقدم، و يحتمل بعيدا أن يكون ذكره لوقوع الضحّاك فى خبره الأوّل مع بسر، فذكره تلميذا.

و كيف كان، فكتاب عقيل و كتابه عليه السّلام يشهدان أنّه كان فى أوّل خلافته

ص: 611

قبل الجمل، و أمّيا بعد النهروان فلم يختص اللحوق بمعاويه بأبناء الطلقاء، بل كان كثير من أصحابه عليه السّلام يلحقون به و يكاتبونه، لئما يرون من ضعف أمره عليه السّلام و قوّه أمر معاويه، ولأنّ بعد التحكيم كان له أثر عظيم فأغار على مسالحه و أغار على الحاج، و قتل عمرو بن عميس و ناسا من أصحابه، حتى خرج عليه السّلام إلى الناس و قال: يا أهل الكوفة، أخرجوا إلى العبد الصالح عمرو بن عميس و إلى جيوش لكم قد اصيب منهم طرف، أخرجوا فقاتلوا عدوّكم و امنعوا حريمكم ان كنتم فاعلين. فردوا عليه عليه السّلام ردا ضعيفا و رأى منهم عجزا و فشلا، فقال: و الله وددت أن لى بكل ثمانية منكم رجلا، و يحكم أخرجوا معى ثم فروا عنى ما بدا لكم، فو الله ما أكره لقاء ربي على نيتى و بصيرتى، و فى ذلك روح لى عظيم و فرج من مناجاتكم و مقاساتكم. ثم نزل فخرج يمشى حتى بلغ الغريين.

قال الثقفى (1): روى ذلك إبراهيم بن مبارك البجلي عن أبيه عن بكر بن عيسى عن أبي روق عن أبيه - كما فى (ابن أبى الحديد) - فكيف يقول عليه السّلام فى جواب عقيل ما قال من عدم أثر للضحاك؟ قوله عليه السّلام: «فسرحت» أى: ارسلت.

«إليه» إلى الضحاك.

«جيشا كثيفا» أى: غليظا.

«من المسلمين» و مفهومه أنّ معاويه و أصحابه لم يكونوا من المسلمين، و قد عرفت من روايه الطبرى أنّه عليه السّلام سرح إليه حجر بن عدى فى أربعة آلاف.

«فلما بلغه ذلك» أى: تعاقب جيش منه عليه السّلام له.

«شمر» أى: رفع ذيله.

ص: ٦١٢

«هاربا» أى للفرار.

«و نكص» أى:رجع على عقبه.

«نادما فلحقوه ببعض الطريق» فى تدمر.

«و قد طقلت» أى:مالت.

«الشمس للإياب» أى:الغياب،قال الجوهري:آبت الشمس:لغته فى(غابت الشمس).فلا- يحتاج إلى ما طوله ابن أبى الحديد (١)فقال:للإياب،أى:للرجوع إلى ما كانت عليه فى الليله قبلها.يعنى غيوبتها تحت الأرض،و هذا الخطاب إنما هو على قدر أفهام العرب، كانوا يعتقدون أنّ الشمس مقرّها تحت الأرض، و أنّها تخرج كلّ يوم فتسير على العالم ثم تعود إلى منزلها، كما يأوى الناس إلى منازلهم....

«فاقتتلوا شيئا كلا و لا» كناية عن القصر،قال ابن هانى المغربى-على نقل ابن ميثم (٢)-:

و أسرع فى العين من لحظه و أقصر فى السمع من لا و لا

و لكنّ ابن أبى الحديد (٣)نقله:«من لا و ذا»و هو الأصح،قال الطرمّاح:

كذا و كلا إذا حبست قليلا تغلّلتها بمسود الدين

قال فى(الأساس):أى كان قليلا مثل هذه الكلمه.

و قال الجوهري:قال الكميّ:

كلا و كذا تغميضمه ثم هجتم لدى حين أن كانوا إلى النوم أفقرا

أى:كان نومهم فى القلّه و السرعه،كقول القائل:«لا»و«ذا».

ص:٦١٣

١-١) شرح ابن أبى الحديد ١٤٩:١٦. [١]

٢-٢) شرح ابن ميثم ٧٧:٥. [٢]

٣-٣) شرح ابن أبى الحديد ١٤٨:١٦. [٢]

و مما قيل في الاستقصار قول الصولي:

كوميض برق عرض فأسرع، و لمع فأطمع، حتى انحسرت مغاربه، و أيقن مطالبه. لا ملاذ و لا وزر، و لا مورد و لا صدر .
«فما كان» أي: القتال.

«إلا كموقف ساعه حتى نجا» أي: الضحاك.

«جريضا» أي: مبتلعا ريقه على هم و حزن، قال امرؤ القيس:

و أفلتهن علباء جريضا و لو أدر كنه صفر الوطاب

و قال رؤبه:

أصبح أعداء تميم مرضى ماتوا جوى و المفلتون جرضى

«بعد ما اخذ منه بالمخثق» -بالتشديد-: موضع الخناق من العنق.

«و لم يبق منه غير الرمق» أي: بقيه الروح.

«فلأيا بلأى» أي: شدّه مختلطه بشدّه.

«ما نجا» يمكن أن تكون ما مصدرية-أي: نجاته-و أن تكون وصفا للآى، أي: بلأى عظيم.

و كيف كان، يجاء ب(ما) هذه بعد لأى غالبا، ففي (الجمهره) يقولون: بعد لأى ما عرفته.

و في (الأساس) قال الشاعر:

فلأيا بلأى ما حملنا غلامنا على ظهر محبوبك شديد مراكله

هذا، و قال ابن أبي الحديد (1): قد تقدم ذكر هذا الكتاب في اقتصاصنا ذكر بسر بن أرطاه و غاراته على اليمن في أول الكتاب.

ص: ٦١٤

و قال الراوندى (١): «هذه القصة و هذا الهارب جريضا و بعد لأى ما نجا هو معاويه، و قيل: إن معاويه بعث امويًا فهرب على هذه الحال، و الأول أصح» و هذا مضحك و ما وددت له شرح الكتاب.

قلت: و كما أنّ الراوندى و هم، هو أيضا و هم، فالعنوان غير مربوط ببسر بل بالضحاك- كما عرفت- و غاره بسر على اليمن المذكوره فى (١-٢٤) النهج، و لم يذكر فيه شيئا مربوطا بالعنوان، و إنّما ذكر قصه الضحاك و كتاب عقيل إليه عليه السلام و جوابه فى العنوان (٢٨) و قلنا ثمه: إنّ توهّم أيضا فى كون ذاك العنوان فى الضحاك، مع أنّه كان فى طلب الشخصوص إلى معاويه ثانيا. هذا، و ابن ميثم لم يتفطن فتوقف.

هذا، و ذكرنا غاره هيت فى (١٣) فى فصل آداب الحرب فى عنوان «و من كتاب له عليه السلام إلى كميل الراوندى».

ص: ٦١٥

العنوان

رقم الصفحة

تتمه الفصل الثلاثون-فى بيعته عليه السلام

العنوان ١٤ من الحكمه ٣٢١:«...لك أن تشير علىّ و أرى فإن عصيتك فأطعنى...» ١

العنوان ١٥ من الخطبه ٢١٢:«اللهم أيما عبد من عبادك سمع مقالتنا العادله ٥

الفصل الواحد و الثلاثون-فى الجمل و هم الناكتون ٩

العنوان ١ الحكمه ١٠٧:«ربّ عالم قد قتله جهله و علمه معه لا ينفعه...» ١١

العنوان ٢ من الخطبه ١٤٨:«...كلّ واحد منهما يرجو الأمر له...» ١٤

العنوان ٣ من الخطبه ٦:«...و الله لا أكون كالضّبع تنام على طول اللدم...» ٢٣

العنوان ٤ من الخطبه ٣١:«...لا تلقينّ طلحه،فأنك إن تلقه تجده كالثور...» ٣١

العنوان ٥ من الخطبه ١٦٩:«إنّ الله بعث رسولا هاديا بكتاب ناطق...» ٤٠

العنوان ٦ من الخطبه ١٧٢:«...فخرجوا يجرّون حرمة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم...» ٤٦

-من الخطبه ٢١٨:«...فقدموا على عمّالى بها و خزّان بيت مال المسلمين...» ٤٦

العنوان ٧ من الكتاب ٥٧:«...أما بعد،فإني خرجت من حيّى هذا أما ظالما...» ٦٣

العنوان ٨ من الخطبه ٦٣:«...من عبد الله علىّ أمير المؤمنين إلى عبد الله...» ٦٨

العنوان ٩ من الخطبه ١٧٠:«...أرأيت لو أنّ الذين وراءك بعثوك رائدا...» ٨٤

العنوان ١٠ من الخطبه ١٥٦:«...فمن استطاع عند ذلك أن يعتقل نفسه...» ٩٤

العنوان ١١ من الخطبه ٢١٩:«...لقد أصبح أبو محمّد بهذا المكان غريبا...» ١٤٤

العنوان ١٢ من الخطبه ١٢:«...أهوى أخيك معنا؟...» ١٦٥

العنوان ١٣ من الخطبه ٩: «...وقد أرعدوا و أبرقوا،...» ١٧٢

العنوان ١٤ من الخطبه ١١٨: «...أنتم الأنصار على الحقّ...» ١٧٨

العنوان ١٥ من الكتاب ٢٩: «...وقد كان من انتشار جبلكم و شقاقكم...» ١٨١

ص: ٦١٧

الفصل الثانی و الثلاثون-فی القاسطین و ما یتعلق بصفتین ۱۸۹

العنوان ۱ من الكتاب ۸:«...أما بعد فإذا أتاك كتابي فاحمل معاويه...» ۱۹۱

العنوان ۲ من الخطبه ۴۸:«الحمد لله كلما وقب ليل و غسق...» ۱۹۴

العنوان ۳ من الكتاب ۱۰:«...و كيف أنت صانع إذا تكشفت عنك...» ۲۰۱

العنوان ۴ من الخطبه ۵۱:«...قد استطعموكم القتال، فأقروا على مذهبه...» ۲۱۴

العنوان ۵ من الخطبه ۲۶:«...و لم يبايع حتى شرط أن يؤتیه على البيعه ثمنا...» ۲۲۴

العنوان ۶ من الكتاب ۱۷:«...فأما طلبك إليّ الشام فأني لم أكن لأعطيك...» ۲۳۰

العنوان ۷ من الخطبه ۵۵:«...أما قولكم أكل ذلك كراهيه الموت؟...» ۲۶۵

العنوان ۸ من الخطبه ۲۴:«و لعمرى ما عليّ من قتال من خالف الحق...» ۲۷۷

العنوان ۹ من الخطبه ۱۰۵:«و قد رأيت جولتكم و انحيازكم عن صفوفكم...» ۲۷۹

العنوان ۱۰ من الخطبه ۱۸۰:«ألا أنه قد أدبر من الدنيا ما كان مقبلا...» ۲۸۶

العنوان ۱۱ من الحكمه ۳۲۲:«...أ تغلبكم نساءكم على ما أسمع!...» ۳۰۹

العنوان ۱۲ من الخطبه ۲۰۶:«...أيها الناس أنه لم يزل أمرى معكم...» ۳۱۳

الفصل الثالث و الثلاثون-فی المارقين ۳۲۱

العنوان ۱ من الخطبه ۳۵:«الحمد لله و ان أتى الدهر بالخطب الفادح...» ۳۲۳

العنوان ۲ من الخطبه ۱۲۳:«...فإن أبيتتم أن تزعموا إلا أنني أخطأت...» ۳۳۷

-من الخطبه ۱۷۵:«...فاجمع رأي ملتكم على أن اختاروا رجلين...» ۳۳۸

العنوان ۳ من الخطبه ۱۲۳:«...إننا لم نحكم الرجال، و إنما حكمنا القرآن...» ۳۶۲

العنوان ۴ من الخطبه ۱۲۰:«...أكلكم شهد معنا صفتين؟...» ۳۷۱

العنوان ۵ من الخطبه ۱۱۹:«...هذا جزاء من ترك العقده...» ۳۸۰

العنوان ٦ من الخطبه ٤٠: «...كلمه حق يراد بها الباطل...» ٣٩٧

-من الحكمه ١٩٨: «...كلمه حق يراد بها باطل...» ٣٩٨

-من الحكمه ٣٣٢: «السُّلطان وزعه الله في أرضه» ٣٩٨

العنوان ٧ من الخطبه ١٨٢: «...اسكت قبحك الله يا أثم!...» ٤١١

العنوان ٨ من الحكمه ٩٧: «نوم على يقين خير من صلاه في شك...» ٤١٥

العنوان ٩ من الخطبه ٧٧: «...لا تخاصمهم بالقرآن...» ٤١٩

العنوان ١٠ من الخطبه ١٩٠: «...ألا وقد أمرني الله بقتال أهل البغي...» ٤٣٦

ص: ٦١٨

الفصل الرابع و الثلاثون: في ما يتعلّق بالغارات ٤٥١

العنوان ١ من الخطبه ٢٥: «... ما هي إلا الكوفه، اقبضها و ابسطها...» ٤٥٣

العنوان ٢ من الخطبه ١١٧: «... أ مخرسون أنتم؟...» ٤٨٥

العنوان ٣ من الخطبه ٢٧: «أما بعد، فإنّ الجهاد باب من أبواب الجنّه...» ٤٩١

-من الحكمه ٢٦١: «... ما تكفونني أنفسكم، فكيف تكفونني غيركم؟...» ٤٩٢

العنوان ٤ من الخطبه ٣٤: «... أفّ لكم سئمت عتابكم...» ٥١٦

العنوان ٥ من الخطبه ٢٩: «أيّها النّاس المجتمعه أبدانهم...» ٥٣٥

العنوان ٦ من الخطبه ٣٩: «... منيت بمن لا يطيع إذا امرت...» ٥٥٢

العنوان ٧ من الخطبه ١٧٨: «... أحمد الله على ما قضى من أمر...» ٥٦١

العنوان ٨ من الخطبه ٦٦: «... و قد أردت توليه مصر هاشم بن عتبه...» ٥٧٠

العنوان ٩ من الخطبه ٣٥: «أما بعد، فإنّ مصر قد افتتحت و...» ٥٨٠

العنوان ١٠ من الخطبه ٦٧: «كم أداريكم كما تداري البكار العمده...» ٥٨٣

العنوان ١١ من الخطبه ٩٥: «... و لئن أمهل الظالم فلن يفوت أخذه...» ٥٩٣

العنوان ١٢ من الكتاب ٣٦: «... فسرحت إليه جيشا كثيفا من المسلمين...» ٦٠٥

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آواده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٠٢١ - ٨٨٣١٨٧٢٢

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩ شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
اصبحان
الغمامة



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم
www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

